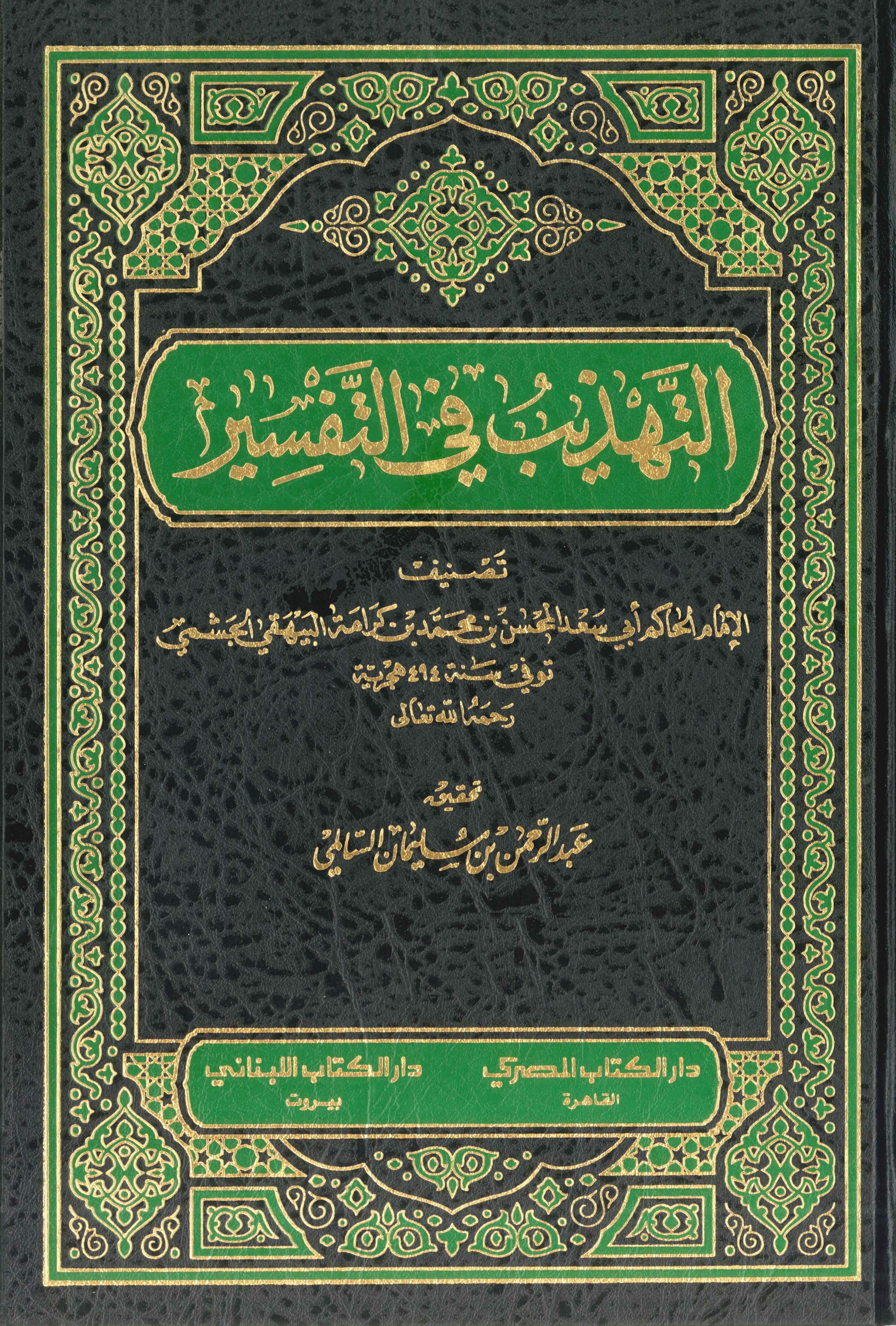

التهذيب في التفسير
تصنيف
الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي
توفي سنة ٤٩٤ هجرية
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الرحمن بن سليمان السالمي
دار الكتاب المصري
القاهرة
دار الكتاب اللبناني
بيروت

التَّهذيب في التَّفسير

التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي

توفي سنة ٤٩٤ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

الجزء الرابع

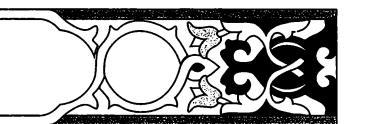
سورة الأنعام - سورة التوبة

دار الكتاب المصري

القاهرة

دار الكتاب اللبناني

بيروت



تابع سورة الأنعام

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٤٤)﴾

القراءة

قرأ أبو عمرو وابن عامر ويعقوب وابن كثير رواية القواس «**من المَعَز اثنين**» بفتح العين، وقرأ الباقون: ساكنة العين[١]، وفي مصحف ابي «**من المعزى**» وقراءة العامة «**الضأن**» ساكنة الهمزة، وعن الحسن وطلحة بفتح الهمزة، وتميم تهمزه[٢]، وسائر العرب لا تهمزه، وقراءة العامة «**من المعز اثنين ومن الضأن اثنين**» وعن أبان بن عثمان

(١) حجة القراءات ٢٧٥.

(٢) بهمزة: تهمزه، أ، ش، ز.

«**اثنان**» فيهما، أما المعْز ساكنة العين فهو جمع ماعز، مثل صاحب وصَحْب، وراكب ورَكْب، وأما فتح العين قيل: جمع لا واحد له، وقيل: جمع ماعز كخادم وخَدَم، فأما (اثنين) فنصب[1]؛ لأنه مفعول تقديره: أنشأ لكم من الإبل اثنين، فأما اثنان فعلى تقدير قولهم: رأيت القوم، منهم قائم وقاعد، ويجوز: قائمًا وقاعدًا.

۞ اللغة

الحَمُولَةُ: الإبل يحمل عليها الأثقال، كانت عليها الأثقال أو لم تكن، لا واحد لها من لفظها، كالجزور، وأصله من الحمل والحُمولة بضم الحاء الأحمال، وهي الحمول أيضًا، والحمول: الهوادج؛ لأنها تحمل فيها النساء يقال: حملت الشيء أحمله حملاً، والحمل بالفتح: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، والحِمل بالكسر: ما كان على ظهر أو رأس، والحمالة أن يتحمل الدية، والحميل: الرجل الدعي بِحَمْلِهِ نسبه على غيره، والحميل: الكفيل بِحَمْلِهِ ما على الأصل. الفَرْش من الأنعام: الذي لا يصلح إلا للذبح هكذا ذكره صاحب المحمل، وقيل: الفرش: صغار الإبل، وقال أبو عمرو: الحمولة الإبل، والفرش: البقروالغنم، قال الأزهري[2]: وهو الصحيح، ولذلك قال تعالى: «**ثمانية أزواج**» فنصب بدلاً من الحمولة، والفرش: مصدر فرشت، وهو أصل الباب، والفرش المفروش، وتفرش الطائر إذا قرب من الأرض، ورفرف بجناحيه، والفراش: المرأة، ومنه: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤] والفراش الزوج مستعار له من اسم المرأة، ومنه: «الولد للفراش»[3]، وسمي صغار الأنعام فرشًا قيل: لاستواء أسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يُفْتَرَشُ، وقيل: من الفرش، وهي الأرض المنسوبة التي يتوطأها الناس. الخطوات: جمع خُطوة بالضم، وهي ما بين القدمين، والخَطوة بالفتح مصدر يقال: خَطوت خطوة، وجمعه: خطوات، وفي خطوات جمع خُطوة بالضم ثلاث لغات:

---

(١) فنصب: نصب، أ، ش، ز.

(٢) الأزهري: الأزهر، ش.

(٣) مسند الربيع رقم ٦٠٩، والبخاري رقم ١٩١٢، ومسلم رقم ٢٦٤٥.

خُطُوات بضم الخاء والطاء، وبضم الخاء وسكون الطاء، وبضم الخاء وفتح الطاء. والضأن قيل: واحده ضائن نحو: تاجر وتَجْر عن الزجاج، ونظيره: صاحب وصَحْب، وراكب ورَكْب لا واحد له، وقيل: يجمع على الضئين، كقولك: عبد وعبيد، وماعز ومَعْز إلا أنه يفتح لحرف الحلق، وجمعه: مواعز. والزوج: زوج المرأة، والزوج: الصنف واللون، ومنه: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥] ويقال للواحد والاثنين زوج كما يقال للواحدة والاثنين: خصم وعدل. والاشتمال: أصله الشمول يقال: شملهم الأمر أي: عمهم يشملهم شمولاً، وهو شامل، ومنه: الشمال بشمولها على ظاهر الشيء وباطنه لقوتها، ولطفها، ومنه: الشمول الخمر لاشتمالها على العقل، وقيل: لأن لها عصفة كعصفة الشمال، والشملة: كساء يؤتزر به.

۞ الإعراب

نصب «**حمولة وفرشا**» أي: أنشأ جنات، وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، ونصب «**ثمانية**»؛ لأنها بدل من الحمولة والفرش، وفي «**اثنين**» يجوز الرفع والنصب على ما تقدم، والاختيار النصب؛ لأنه أول على معنى الإنشاء وعليه الفراء.

۞ النزول

عن ابن عباس بن مالك بن عوف الجشمي أتى رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآيات، وكان رجلاً ذا رأي فقال: يا محمد، إنك تحرم أشياء كانت آباؤنا تحلها، وتحل أشياء كانت آباؤنا تحرمها فلم ذاك؟ فقال ﷺ: «إن الله خلق ثمانية أزواج فمن أين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكر أم من قبل الإناث أم من قبل ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بين إن كنت صادقًا أن الله حرم هذا؟» فسكت فقال: «مالك لا تتكلم؟» فقال: تكلم أَسْمَعْ، فتلا عليه هذه الآيات إلى قوله: «**قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ**»... إلى آخرها.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ عظيم نعمته وقدرته في الإنعام عطفًا على ما بين من أمر الزرع والثمر، فقال سبحانه: «**وَمِنَ الأَنْعَامِ**» أي: وأنشأ من الأنعام «**حَمُولَةً وَفَرْشًا**» فيه أقوال:

الأول: الحمولة كبار الإبل، والفرش الصغار، عن عبد الله وابن عباس بخلاف، والحسن ومجاهد وأبي علي.

الثاني: الحمولة ما يحمل عليه من الإبل والبقر والفرش الغنم، عن الحسن وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد.

الثالث: الحمولة كل ما يحمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، والفرش الغنم، كأنه ذهب إلى أنه يدخل في الأنعام الحافر على الإتباع، عن ابن عباس.

الرابع: أنشأ لكم من الأنعام ما تنتفعون به في الحمل وما تفترشونه للذبح، ومعنى الافتراش الاضطجاع للنحر، وهذا كقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج:٣٦]، عن ابي مسلم، وتوقف في أن العرب تسمي صغار الغنم الفرش، وعن الربيع بن أنس: الفرش ما يفرش للذبح، وعن ابن زيد: الفرش ما (يجلب) ويؤكل ويتخذ صوفها ولبنها.

الخامس: الفرش ما يفرش من أصوافها وأوبارها، وما يفرش ويبسط، عن ابي علي حكاه القاضي، وقد شنّع بعضهم على ابي علي حيث تأول الفرش على ذلك، وهو إنما تأوله على ذلك لَمَّا توقف فيه أبو مسلم، وذكر أنها الذي يفترش للذبح، وذلك غير ظاهر في اللغة، والأحسن ما تأوله عليه أبو علي؛ لأنه بين أنه أنشأ من الأنعام ما ينتفع به في الحمل، وينتفع به في الفرش والبُسُط ويحتمل أنه سمي فرشًا لما يتخذ من صوفه من الفرش كما يسمى حمولة لما يحمل عليه.

«**كُلُوا**» أي: استحلوا أكلها، فعلى هذا هو أمر، وقيل: أراد نفس الأكل فيكون بمعنى الإباحة «**مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**» أعطاكم الله، ولا تحرموها كفعل أهل الجاهلية في الحرث والأنعام، «**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**» قيل: ما يتخطى بكم الشيطان إليه من

تحليل إلى تحريم، ومن تحريم إلى تحليل، وقيل: طرق الشيطان؛ فإنه لا يذهب بكم إلا في طريق ضلالة «**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**» أي: ظاهر العداوة، قد أبان عداوته لكم بما كان منه إلى أبيكم آدم، وبما أوعد ذريته، وقيل: بَيِّن العداوة، عن الحسن، أي: لإظهاره ذلك في حزبه وأوليائه من الشياطين[1]، وإذا كان عدوًا فإنه يقصد إلى الضلال والفساد، ثم فسر الحمولة والفرش، فقال سبحانه: «**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**» قيل: ثمانية أفراد، عن الأصم كقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]، وقيل: ثمانية أصناف، وهو الوجه «**مِنَ الضَّأْنِ**» يعني من النعاج «**اثْنَيْنِ**» ذكرًا وأنثى «**وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ**» ذكرًا وأنثى «**قُلْ**» يا محمد «**ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ**» يعني ذَكَرَ المعز والضأن حرمهما الله - تعالى - أو إناثهما، وإن كانت الذكورة حرمها فَحَرِّمُوا كل ذَكَرٍ، وإن كانت الأنوثة حرمها فحرموا كل أنثى «**أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ**» أي: أم حرم ما ضمها الرحم من الأنثيين النعاج والماعز، يعني إن كان المحرم ما اشتملت عليه الرحم فكل ولد كذلك، ففي ما ستحللتم بعض الذكران، وبعض الإناث، وبعض الأولاد وحرمتم البعض؟وقيل: أمحرم ما اشتمل عليه الرحم مما لم يُعْلَمْ أنه ذكر أو أنثى،عن أبي مسلم «**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ**» أي: خبروني بحجة ودليل يقتضي العلم «**إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**» في هذا التحريم والتحليل «**وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ**» ذكرًا وأنثى «**وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ**» ذكرًا وأنثى «**قُلْ**» يا محمد «**ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ**» الله منهما «**أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ**» ومعناها قد تقدم، قيل هذا حجاج فيما حرموا من البحيرة والسائبة، والوصيلة والحام، وحَرَّمَوا[2]ما في بطون الأنعام على ما تقدم فحاجهم بذلك «**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ**» أي: حضورًا «**إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا**» أي: أمركم به وحَرَّمَهُ حتى تضيفوه إليه «**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ**» استفهام والمراد الإنكار أي: لم يأمركم به، وَوَصَّى: أَمَرَ ووصى وأوصى بمعنى «**فَمَنْ أَظْلَمُ**» أي: فمن أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب «**لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**» أي: ليذهب بالناس عن طريق الحق بشبهة لا بحجة، وقيل: ليضل الناس عما أمر الله به

---

(١) الشياطين: الشيطان، أ، ش، ض، د.

(٢) وحرمه: وحرموه، أ، د، ش.

ونهى عنه، وإنما أضاف الإضلال إليه؛ لأنه سبب الإضلال والداعي إليه «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**» قيل[1]: لا يثيبهم ولا يهديهم إلى الجنة، عن ابي مسلم، وقيل: لا يحكم بهدايتهم.

الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه وقدرته بخلق الأنعام لما فيها من الانتفاع من الأكل والركوب والحمل عليها، وما يتخذ من أصوافها وأوبارها من الفرش، ومَنْ تأمله علم أنه تدبير مدبر حكيم.

وتدل على إباحة أكل الأنعام، وذلك يُعْلَمُ من دينه ضرورة، ولذلك ذمهم على تحريمها.

وتدل على أنهم حرموها جهلاً لذلك قال: «**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ**».

وتدل على أن المعارف مكتسبة، وتدل على أن الإضلال والافتراء ليس بخلق لله تعالى؛ لذلك أضافه إليهم وذمهم عليه، ولو كان خلقه لكان إضافته إليه أولى، ولكان لا يعيب خلقه.

وتدل على عظيم وبال من أضل الناس عن الدِّين، ودعاهم إلى بدعة.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾

---

(١) قيل: قل، أ، د، ش.

۞ القراءة

قرأ ابن كثيروحمزة «**إلا أن يكون**» بالياء «**ميتةً**» بالنصب[1]، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «**يكون**» بالياء «**ميتة**» بالرفع، وقرأ الباقون «**يكون**» بالياء «**ميتةً**» بالنصب، وكلهم خففوا «**ميتة**» غير ابي جعفر فإنه شددها، فمن قرأ «**يكون**» بالياء فلتذكير المحرم، ومن قرأ بالتاء فلتأنيث الميتة، ومن قرأ «**ميتةً**» بالنصب فعلى خبر كان، واسمه مضمر تقديره: إلا أن يكون المحرمُ ميتةً، ومن رفعه أَنَّثَ الفعل لمكان تأنيث «**ميتة**» تقديره: فإن وقعت ميتة.

قراءة العامة «**يطعمه**» بالتخفيف، وعن علي «**يطّعّمهُ**» بتشديد الطاء على تقدير: يتطعمه فأدغم التاء في الطاء.

۞ اللغة

الطعام: المأكول، يقال: طعم الشيء طُعْمًا، وكل ما يُطْعَمُ فهو طعام، والطعام يقع في كل ما يطعم حتى الماء ومنه: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة:٢٤٩] وفي حديث النبي ﷺ في زمزم: «إنه طعام طعم، وشفاء سقم»[2]والطعمة: المأكلة، ورجل مطعم: كثير الأكل، ومطعام: كثير القِرَى، وعن بعض أهل اللغة: الطعام البُرُّ خاصة، و» طاعم» فاعل من الطعم، وطاعم: حسن الحال في المطعم. والسفح: الصب، والمسفوح: المصبوب، سفحت الدمع أَسْفَحُهُ: إذا صببته، ومنه: السِّفَاح لصب الماء ضائعًا، ونظيره: الصب والإراقة. والإهلال: رفع الصوت بالشيء، ومنه: أَهَلَّ الصبي: إذا صاح عند سقوطه من بطن أمه، ومنه الهلال لرفع الصوت عند رؤيته بالتكبير.

---

(١) حجة القراءات ٢٧٧.

(٢) مسند أحمد رقم ٢١٥٦٥، وصحيح ابن حبان رقم ٧١٣٣، والمستدرك رقم ٥٤٥٧، والمعجم الكبير رقم ٧٧٣.

الإعراب

«**رجس**» رفع لأنه خبر (إن)، و» **فسقا**» نصب على ما تقدم من المحرمات ميتة أو دمًا مسفوحًا، وجميع ذلك نصب بخبر (كان).

المعنى

لما تقدم ذكر ما حرمه المشركون افتراء على الله أمر رسوله أن يبين لهم المحرمات، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ**» أي: أوحاه الله إليّ أي: شيئًا «**مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ**» آكل يأكله.

ومتى قيل: لم اقتصر على هذه الأقسام مع تحريم غيرها في المائدة من المنخنقة والموقوذة؟

فجوابنا أن جميع ذلك يقع عليه اسم ميتة، وله حكمها بَيَّن ههنا إجماله[1]، وثَمَّ فَصَّلَ، وقيل: إن ما عدا ذلك حرم بعده؛ لأن الأنعام مكية، والمائدة مدنية، فما ذكر فيه طارئ، وقيل: تقديره: لا أجد فيما أوحي إليّ مما كنتم تستبيحون وتتناولون محرمًا إلا هذه، فزعم أنها مقيدة بهذا الوجه «**إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً**» فالميتة حرام أكله «**أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا**» أي: مصبوبًا كدم العروق، فأما الكبد والطحال فدم جامد غير مسفوح فتحل، وكذلك الدم الذي يخالط اللحم فليس بمسفوح فتحل، عن قتادة وعكرمة، وأكثر الفقهاء «**أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**» أي: نجس «**أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**» يعني ما ذبح، وذكر عليه اسم الأوثان، وقيل: حرم ما أهل به لغير الله كأنه ذبح تقربًا إلى الأوثان، وسمي فسقًا لخروجه عن أمر الله، وقيل: أَكْلُهُ فِسْقٌ عن ابي علي «**فَمَنِ اضْطُرَّ**» أي: بلغ الضرورة في المجاعة «**غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ**» قيل: غير باغ: طالب التلذذ بأكله، وقيل: عامدًا لتحليل ما حرم الله، ولا عادٍ أي: طالب زيادة، وقيل: لا يعتد يتجاوز ذلك إلى ما حرم الله، وقيل: غير عاد بسبقه في قطع الطريق «**فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ**

---

(١) إجماله: تجميله،أ، د، ش.

رَحِيمٌ﴾ قيل: غفور يغفر الذنب بالتوبة رحيم بعباده، عن ابي علي،وقيل: حكم بالرخصة كما حكم بالرحمة والمغفرة، وقيل: من رحمته، ومغفرته رخص لكم، وقيل: غفور لمن تاب من استحلال ذلك في الجاهلية، رحيم إذ أحلها عند الضرورة، ولم يأمرهم بقتل أنفسهم، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على تحريم ما في الآية وليس بمانع من تحريم غيره بعده، وقد تعلق ابن عباس بالآية في تحليل لحوم الحُمُر، وعائشة في تحليل لحوم السباع، وعكرمة في إباحة كل شيء سوى ما في الآية، وعن الشعبي أنه أبيح لحم الفيل، ويتلو هذه الآية، ولا تعلق لجميعهم بذلك؛ لأنه بين أنه لا تحريم في تلك الحالة إلا ما في الآية، ثم يجوز تحريم أشياء بعد ذلك، ويجوز تحريم الصيد لعارض، فأما الحُمُر فالمقصود تحريم الحيوان فلا يدخل فيه غيره.

وتدل على تحريم الدم بشرط أن يكون مسفوحًا، فلا يدخل فيه الكبد والطحال، وقد وردت السنة بإباحته، وتدل على تحريم ما يذبح للأوثان.

ومتى قيل: إذا حرم غير ما في الآية وجب أن يكون نسخًا؟

قلنا: ذلك زيادة تحريم، وليس بنسخ لما في الآية؛ لأن حاله لا يتغير فعلى هذا يصح القول بتحريم كل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير، وغير ذلك، وتفصيل ما يحرم ويحل من الحيوانات موضعه كتب الفقه.

قوله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «ظُفُر» بضم الظاء والفاء، وعن الحسن بكسر الظاء وسكون الفاء، وعن ابن السماك بكسر الظاء والفاء، وكلها لغات.

۞ اللغة

الظُّفُر: ظفر الإنسان وغيره، وظَفَرَ في الشيء إذا جعل ظُفْرَهُ فيه، ورجل أظفر: طويل الأظفار، مثل: أشعر: طويل[1] الشعر، ويقال للمهين: كليل الظفر. الحوايا: المباعر، قال الزجاج: قيل في واحدها حاوية وحاوياء وحوية فعلى القولين الأولين زنته[2] فواعل، نحو: قاصعا وقواصع، وضاربة وضوارب، وعلى حوية زنته فعائل نحو: سفينة وسفائن، وهو ما يحوي في البطن فاجتمع واستدار، والحِوَاءبيوت مجتمعة على ماء، ومنه الحديث: «كان يحوي وراءه بعباءة ثم يردفها[3]»[4]وصفته أن يجعل حوية، وهو أن يدير كساء حول السنام ثم يركب. والبأس: الشدة في الحرب، ورجل ذو بأس.

۞ الإعراب

«إلا ما حملت» نصب على الاستثناء، وموضع «الحوايا» من الإعراب فيه قولان:

الأول: رفع بالعطف على الظهور بتقدير أو حملت الحوايا.

الثاني: نصب بالعطف على (ما) في «إلا ما حملت» على تقدير: أستثني ما حملت، واستثني الحوايا، فأما (ما اختلط) فنصب بالعطف على (ما) الأولى.

۞ النزول

قيل: إن العرب قالوا: إنا علمنا تحريم السائبة من أهل الكتاب فكَذَّبهم الله تعالى، وبَيَّنَ ما كان محرمًا على اليهود، ونزلت الآية.

---

(١) أشعر طويل: ـ، ش.
(٢) زنته: زنة، أ، د، ش.
(٣) بعباءة ثم يردفها: بعباءة ثم يرد، ش، ك.
(٤) مسند أحمد رقم ١٢٦٣٧، ومسند أبي يعلى رقم ٣٧٠٣.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر المحرمات في القرآن مما[1]حرمه على اليهود، فقال سبحانه: «**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا**» يعني اليهود «**حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**» قيل: كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام، والأوز، والبط، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي، وقيل: هو الإبل فقط، عن ابن زيد، وقيل: يدخل فيه جميع السباع والكلاب والسنانير، ومايصطاد بظفره، عن ابي علي، وكل ذي مخلب من الطير، وكل ذي حافر من الدواب حكاه القتيبي «**وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا**» يعني: وحرمنا شحوم البقر والغنم على اليهود إلا ما استثني، وهو ما حملت الظهور، وهو اللحم السمين، «**أَوِ الْحَوَايَا**»، قيل: المباعر، عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهدو السدي، وقيل: الأمعاء التي عليها الشحم، عن ابي علي «**أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**» قيل: شحم الجنب والألية؛ لأنها على العصعص، عن ابن جريج والسدي، وقيل: الألية لا تدخل في الاستثناء، عن ابي علي كأنه لم يعتد بالعصعص» «**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ**» يعني أن هذا التحريم على اليهود كان بسبب تقدم منهم، من ارتكابهم المحظورات والبغي وطلب الزيادة فيما ليس له «**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**» أي: في هذا التحريم، وأن الكفار كَذَبُوا في ذلك على ربهم «**فَإِنْ كَذَّبُوكَ**» قيل: جَحَدَكَ[2] أهل الكتاب[3]، عن الأصم، وقيل: المشركون «**فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**» على جميع خلقه، ولكن «**وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**» يعني العصاة، وقيل: هو ذو رحمة لا يعاجلهم بالعقوبة لرحمته، ولكن يعذبهم بالتكذيب، وقيل: ذو رحمة، على المؤمنين، وذو عقاب على الكافرين.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن هذه الأشياء حرمت على اليهود دوننا، فتدل على أن الشرائع مختلفة.

ومتى قيل: إذا كان محرمًا عليهم فيجب أن يلزمنا؟

---

(١) من ما: مما، ش، ك.

(٢) جحدوك: جحدك، ش، ك.

(٣) الكتاب: العباد، ش، ك.

قلنا: شرائعهم لا تلزمنا إلا ما قام عليه دليل، ومن قال بذلك يقول: دل الدليل على أن هذا التحريم يخصهم.

وتدل على أن هذا التحريم كان بسبب منهم محظور، فزعم بعضهم أن التحريم عقوبة ببغيهم، عن ابي مسلم، وعندنا أنه تكليف يستحق به الثواب إذا امتثله، فكيف يكون عقوبة؟ إلا أنه يجوز أن يكون الصلاح لهم في تحريمها عند بغيهم، وهذا كما نقول في الكفارات.

ومتى قيل: هذا التحريم ثابت أم منسوخ؟

قلنا: بل هو منسوخ بشريعة نبينا ﷺ، وقيل: إن المسيح (عليه السلام) نسخها.

وتدل الآية على الوعد والوعيد فإنه بين أنه ذو رحمة، وذو عقاب؛ ترغيبًا وترهيبًا.

قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «**كذبوا**» من التكذيب أي: كذبوا الرسل، وقرأ بعضهم بالتخفيف، أي: كذبوا في مقالتهم.

اللغة

الحجة: البينة المصحِّحة للأحكام، وأصله القصد، ومنه: الحج: القصد، ثم

اختص بهذا الاسم القصد إلى بيت الله ـ تعالى ـ للنسك، والحج: الحاجُّ، وحاججت فلانًا فحججته، أي: غلبته بالحجج، وسمَّى الحُجّة حجة؛ لأنه يقصد بها تصحيح الأحكام البالغة البيان الكافي، ومنه: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥] والبليغ أن يبلغ بلسانه كُنْهَ ما في ضميره، وبالغ مبالغة: اجتهد في الأمر، وتوصف الحجة بأنها بالغة، قيل: لأنها تبلغ المراد في صحة الأمر في النفس، وقيل: لأنه يبلغ المعنى بالنفس على أعلى ما يكون من البلوغ. والعدول: الميل عن الشيء، يقال: عدلت عن الطريق عدولاً، ومنه: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠]، وعدَّلْتُهُ فاعتدل؛ أي: قَوَّمْتُهُ فاستقام كأنه مال إلى الاستقامة.

۞ الإعراب

«**فتخرجوه لنا**» نصب لأنه جواب بالفاء للاستفهام لقوله: «**هل عندكم**».

(هَلُمّ) يتعدى مرة ولا يتعدى أخرى، وإنما كان كذلك؛ لأنه يكون مرة بمعنى هاتوا، ومرة بمعنى تعالوا، نحو: ﴿هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ [الأحزاب:١٨] نظيره: عليك زيدًا، فهذا يتعدى إلى واحد، وعَلَيَّ زيدا يتعدى إلى مفعولين، وهلم: بمعنى هاك، ثم اختلفوا فمنهم من يستعمل ذلك في الواحد والجماعة والذكر والأنثى، وهو لغة أهل العالية، فأما أهل السافلة فتقول: هلم يا رجل، هلما يارجلان، هلموا يا رجال، يجرونه مجرى الفعل كقولك: رد ردًا وردوا، ويقولون للمرأة: هلمي وهَلْمُمْنَ.

۞ النزول

قيل: إن المشركين قالوا: لو كره الله ما نحن عليه من الدين لنَقَلَنا عنه، فكذبهم الله تعالى، وأنزل هذه الآية، عن الحسن حكاه شيخنا أبو حامد.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الرد على المشركين في اعتقاداتهم الفاسدة، ورد عليهم قولهم: أنّما أتوا بمشيئة الله، فقال سبحانه: «**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**» أي: يقول لك يا محمد المشركون «**لَوْ شَاءَ اللَّهُ**» أراد الله «**مَا أَشْرَكْنَا**» يعني لو كَرِهَ شِرْكَنا ما أشركنا، فلما أَشْرَكْنَا دل أنه يريده «**وَلاَ آبَاؤُنَا**» أي: ولو لم يرد شِرْكَ آبائنا لما أشركوا «**وَلاَ حَرَّمْنَا**»

أي: لو شاء الله ألآنحرم شيئًا مما حرمنا مما تقدم ما حَرَّمْنا «**مِنْ شَيْءٍ**» أي: من السائبة والوصيلة والحام، وسائر ما حكى عنهم فيما تقدم «**كَذَلِكَ**» يعني كما كذبك هؤلاء يا محمد في أنه ـ تعالى ـ لا يريد الشرك والمعاصي «**كَذَلِكَ كَذَّبَ**» أسلافهم أنبياءهم فيما دعوهم إليه من أنه ـ تعالى ـ لا يريد القبائح؛ إذ لو كان ما قالوه دين الأنبياء لما كان ذلك تكذيبًا بل كان تصديقًا «**حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا**» حتى نالهم عقابنا «**قُلْ**» يا محمد لهم جوابًا عما قالوا: إن الشرك بمشيئة الله: «**هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ**» قيل: من حجة تؤدي إلى العلم، قيل: أَبِعِلْمٍ تقولون هذا «**فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**» أي: أخرجوا ذلك العلم، أو تلك الحجة، ثم بين أنهم لا حجة لهم فقال: «**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ**» والظن ليس بطريق في أصول الدين، وفي مسألة المشيئة «**وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ**» أي: تكذبون في هذه المقالة، ولما رد عليهم قولهم: إن الكفر بمشيئة الله. بَيَّنَ الوجه فيه، وأزال شُبْهَةَ القوم: لو لم يشأ لمنع منه، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد إذا عجزوا عن إقامة حجة على ما قالوا «**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**» أي: الكافية التي يراد المحتج بها في ثبوتها، وقيل: البالغة: الكافية، وقيل: سميت بالغة لكثرتها، وقيل: لترادفها، وقيل: لوضوحها، وقلة الشبه فيها، وقيل: لأنها المتناهية في الصحة وإيقاع العلم بالنظر فيه، وقيل: الذي تبلغ قَطْعَ عذر المحجوجين، وتزيل كل شبهة، عن ابي علي، فبين ـ تعالى ـ أنه إنما لم يشأ الكفر ولم يُخَلِّ بينهم وبين ذلك حجة عليهم فخلاهم وما اختاروا ليؤمنوا باختيارهم؛ لتكون له الحجة عليهم، ثم بَيَّنَ أنهم ما يُحَالُ بين ما اختاروا وبينهم لعجز، فقال: «**فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**» أي: لألجأكم إلى الإيمان، ومنعكم من الكفر، فبين ـ تعالى ـ ما أزال كل شبهة أنه لم يشأ الكفر؛ لأنه قبيح، وإنما لم يمنع لتكون له الحجة، ولو شاء لألجأهم إلى ذلك يدل عليه أنه نفى في الآية الأولى المشيئة، وأثبتها هنا، فلا بد أن يكونا متغايرين[1] فالأول مشيئة الاختيار، والثاني مشيئة الإلجاء، ثم بين ـ تعالى ـ أن الطريق إلى حجة مذاهبهم تنسد إذا لم يثبت ذلك بعقل، ولا سمع، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد لهم «**هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ**» أي:

(١) متغايرين: غيرين، ش، ك.

أحضروا شهداءكم على ما ادعيتم «**الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا**» وقيل: أحضروا حجتكم وبراهينكم.

ومتى قيل: كيف دُعُوا إلى شهادة لا تقبل؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: لأنهم لم يشهدوا على الوجه الذي دعوا، دعوا أن يشهدوا ببينة وحجة، عن أبي علي.

الثاني: شهودا من غيركم ولم يجدوا ذلك في معنى قول الحسن؛ لأنه قال: ولا تجدون من يشهد لهم.

«**فَإِنْ شَهِدُوا**» يعني فإن حضر هؤلاء، ولم يشهد غيرهم فلا تشهد معهم على ذلك، قيل: أحبوا أن يشهد محمد لهم بتحريم السائبة والبحيرة ونحوها، فنهاه الله عن ذلك، وقيل: لا شاهد لهم إلا رؤساؤهم، وعلماؤهم[1]، وهم كذبة «**فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ**» وهذا إظهار لبطلان مذهبهم، وإلا فمن لا شاهد له لا يؤمر بإحضار شاهده، ولأن كل من كان يشهد كان لا تقبل شهادته مع تكذيب الله ـ تعالى ـ إياهم «**وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» أي: بالقرآن «**وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**» قيل: يجعلون له عدلاً، وهو المثل، عن أبي مسلم، وقيل: يشبهون بخالقهم أحجارًا لا تنفع ولا تضر، عن الأصم.

الأحكام

تدل الآية على بطلان مذهب المجبرة في الإرادة والمخلوق والاستطاعة.

أما دلالتها على الإرادة فمن وجوه:

أولها: أنه ـ تعالى ـ ذكر هذه المقالة عن الكفار على سبيل الإنكار.

وثانيها: أنهم احتجوا لشركهم بالمشيئة كما تقوله المجبرة.

---

(١) رؤساءهم وعلماءهم: رؤساؤهم وعلماؤهم، ش، ك.

وثالثها: أنه بيّن أنهم في ذلك كذّبوا الأنبياء، ولو كان مذاهب الأنبياء في المشيئة ما تقوله المجبرة أنه يشاءكل كُفرٍ لما كان ذلك تكذيبًا لهم، بل كان تصديقًا، فلما كان تكذيبًا دل أن الأنبياء دَعَوْا إلى خلاف قولهم، وهو قول أهل العدل.

ورابعها: أنه قال: «**حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا**» والعذاب لا يستحق إلا بباطل.

وخامسها: قوله: «**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ**» ومثل هذا نزل في المذاهب الباطلة، كقوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

وسادسها: قوله: «**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ**» بين أن ما قالوه ابتغوا فيه الظن لا العلم، وذلك الظن ما يزعمه أهل الجبر أنه لو لم يشأ الكفر لَمَنَعَ منه، ولو استدلوا وعلموا أن ذلك يؤدي إلى بطلان التكليف، وأن التكليف لا يصح إلا مع الاختيار ما ابتغوا هذه الشبهة.

وسابعها: قوله: «**وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ**» أي: تكذبون فكذبهم في مقالتهم، فأما دلالتها في مسألة المخلوق؛ فلأنه[1] لو خلقها لشاءها، فلما بين أنه لا يشاءالكفر دل أنه ليس بخلق له، ولأنه أضاف الشرك والتحريم إليهم.

وأما دلالتها في الاستطاعة فعندهم أن القدرة موجبة للفعل، فإذا خلق العلّة الموجبة للكفرفلا بد أن يريده، فلما بقي مشتبهًا دلّ أنه لم يوجب ذلك.

وتدل الآية على صحة الحجاج في الدين، وتدلُّ على أن كل قول بغير علم باطلٌ، فيوجب بطلان التقليد، وتدلُّ على أن المعارف مكتسبة، وتدل على أن الحجة البالغة لله تعالى، وذلك يصح على مذهب أهل العدل أنه ـ تعالى ـ كلّف وأزاح العلّة، وأعطى القدرة والآلة وخيّر وبعث الرسل، ولم يبق من جهته شيء إلا فعله، فأتي الكافر في كفره من جهته، فأما على مذهب المجبرة فالحجة عليه؛ لأنه خلق الكفر، ومنع من الإيمان، وخلق القدرة الموجبة للكفر، ولم يخلق قدرة الإيمان، وكلّف ما لا يطاق، وترك ما يخلقه هو، وشاء الكفر، ولم يشأ الإيمان، وكل ذلك يبيّن فساد

(١) فلأنه: لأنه، ش، ك.

مذهبهم. وتدلّ على أنه قادر أن يلجئ جميع الخلق إلى الإيمان، ولم يفعل للتكليف والامتحان، وتدل على أن الواجب اتباع الدليل فقط، دون اتباع الهوى، وللهوى أسباب ينبغي للعاقل أن يتجنب كل ذلك، منها التقليد، ومنها الإلف والعادة، ومنها الشبهة، ومنها ترك النظر، ومنها الأسباب الداعية الدنيوية، وكل ذلك يؤدي إلى الهلاك.

قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

اللغة

معنى «تعال»: أَقْبِلْ وادْنُ، وأصله: من العلو والارتفاع، على تقدير: أن الداعي في المكان العالي، وإن كان في مستأمن[1] الأرض، كما يقال للإنسان: ارتفع إلى صدر المجلس، والعلو ضد السفل، والعلو الارتفاع، وعَلِيَ[2] في المكارم يَعْلى[3] عَلاءً، وعلا في المكان يعلو علوًا.

والتحريم: أصله المنع، ونظيره: الحجر والحظر، ونقيضه: الإطلاق والإباحة.

والتلاوة: القراءة، والتلاوة غير المَتْلُوّ كما أن الحكاية غير المحكي، هو الكلام الأول، والتلاوة: القراءة، والتلاوة: الحكاية، الثاني على طريق الإعادة.

والإملاق: الإفلاس من المال والزاد، وهو الفقر، أملق إملاقًا: إذا افتقر، ومنه: الملق والتملق؛ لأنه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع.

---

(١) مستأمن: مستؤمن، ش، ك.

(٢) علي: علا، ش، ك.

(٣) يعلى: تعلى، ك، ش.

والفواحش: جمع فاحشة، وهو: القبيح العظيم في القبح، ووصى وأوصى بمعنى.

الإعراب

يقال: (ما) في قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ما موضعه من الإعراب؟

قلنا: فيه وجهان:

الأول: نصب بـ(أتل) أي: أتل الذي حرم عليكم.

الثاني: نصب بـ(حرم) أي: أتل أي شيء حرم ربكم؛ لأن (أتلو) بمنزلة أقول.

يقال: لم حذفت الواو من «**أتل**»، وهي من نفس الحرف؟

قلنا: لأن الجازم لما كان عمله الحذف فلم يصادف زيادة عمل في النفس لوجوب العمل له على هذا الوجه.

ويقال: ما موضع قوله: «**ألا تشركوا**» من الإعراب؟

قلنا: موضع (أن) فيه ثلاثة أقوال:

الأول: الرفع على تقدير: ذلك ألاَّتشركوا به شيئًا.

الثاني: النصب، ثم اختلفوا فقيل: على: أوصى ألاَّتشركوا به شيئًا، عن الزجاج، ويجوز نصبه على (أتل)، ولا تشركوا به شيئًا، وقيل: حرم أن تشركوا، و(لا): صلة، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:١٢]، وقيل: بدل من ما حرم، وقيل: نصب على الإغراء، وتم الكلام عند قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثم قال: «**عليكم**» «**ألا تشركوا**».

الثالث: لا موضع بمعنى أي: لا تشركوا به شيئًا.

ويقال: ما موضع «**تشركوا**» من الإعراب؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: نصب على (أن).

الثاني: جزم بـ(لا) على النهي، ويجوز أن يعطف على النهي، ولا تقتلوا على الخبر، كقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

۞ المعنى

ولما رَدَّ عليهم تحريم ما حرموا عقبه بذكر المحرمات، وأمر رسوله بأن يتلو عليهم ذلك، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد لهؤلاء المشركين «**تَعَالَوْا**» أقبلوا وهلموا «**أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ**» ألاّتفعلوه، أمركم «**أَلاَّ تُشْرِكُوا**» الآية، لا فرق بين قوله: «**حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**»، وبين قوله: **أمر ألاَّ تفعلوا**؛ لأن معنى «لاتشركوا»، ومعنى» حرم الشرك» واحد، عن أبي علي وأبي مسلم، وقيل: تقديره: أتلُ ما حرم ربكم عليكم فعل هو تركه، ثم قال: فمما حرم فعله الشرك، وأوجب ألاَّ تشركوا، وحرم العقوق، وأوجب الإحسان، وحرم القتل، وأوجب تركه؛ لأن ما وجب فعله حرم تركه فبيان أحدهما بيان الآخر، وقيل: فيه بيان المتلو لا بيان المحرم فتقديره: أتل أي: لا تشركوا، وأتل أي: أحسنوا إلى الوالدين، وقيل: أمر وأوصى ألاَّ تشركوا، وقيل: (لا) زائدة، وقيل: تقديره: حرم أن تشركوا، وقيل: إنه يتصل بـ (عليكم) أي: عليكم ألاّ تشركوا على الإغراء، وتم الكلام عند قوله: «**رَبُّكُمْ**» «**أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، يعني في العبادة وادعاء الإلهية «**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**» يعني أمركم بالإحسان إلى الوالدين، ولما كانت نِعَمُ الوالدين تالية نِعَمَ الله في التربية والنعم أمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بطاعته وعبادته «**وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ**» قيل: من الفقر، عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج والضحاك، وقيل: لا تئدوا بناتكم خشية العيلة «**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**» رازق الجميع هو الله، فلا يَدْعُكُمْ[1] الفقر إلى قتل الأولاد «**وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ**» قيل: المعاصي والقبائح كلها، وقيل: الزنا، وقيل: يدخل الصغير والكبير، والأولى[2] أنه يتناول الكبائر «**مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» أي: ما أعلنتم وما أسررتم قيل: لأنهم كانوا لا يرون بالزنا سرًّا بأسًا فنهى عن ذلك، عن ابن عباس والضحاك

---

(١) يدعكم: يدعوكم، ش، ك.

(٢) الأولى: الأول، ش، ك.

والسدي، وقيل: إنما قال ذلك لإزالة التوهم الفاسد في الاستبطان، عن الحسن وقتادة، وقيل: ما ظهر الخمر، وما بطن الزنا عن الضحاك، وقيل: الظاهر أفعال الجوارح، الباطن أفعال القلوب، وقيل: هو ما ظهر للناس وما هو باطن عنهم، عن ابي علي، وإنما المراد ترك المعاصي كلها؛ لأنها لا تخلو من ظاهر وباطن «**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**» أعاد ذكر القتل، وإن كان داخلاً في الفواحش تفخيمًا لشأنه، وتعظيمًا لأمره، والذي حُرِّمَ من القتل نَفْسُ المؤمن والمعاهد «**إِلاَّ بِالْحَقِّ**» يعني بما أباح قتلها، وهو الردة والزنا إذا كان محصنًا، وقتل النفس بغير حق، والبغي على الإمام العادل، وقطع الطريق، وأن يقصد إنسانًا بالقتل فيدفعه، ولا يقصد قتله، فإن قتله فدمه هدر «**ذَلِكُمْ**» يعني هذه الأشياء المذكورة «**وَصَّاكُمْ بِهِ**» يعني أمَرَكُمْ «**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» أي: تعلمون ذلك فامتثلوا أمره، وانتهوا عما نهى عنه، وقيل: استعملوا عقولكم في معرفة ذلك لتعلموا أن الله أراد بكم الرحمة، وقيل: إذا قبلتم أمري عقلتم ما يجب عليكم.

۞ الأحكام

تدلُّ الآية على تحريم هذه الأشياء فقد ورد الشرع مؤكدًا ومنبهًا ولطفًا وتفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لأمرها، وقوله: «**أَلاَّ تُشْرِكُوا**» يدلُّ أن التكليف يتعلق بألاَّيفعل كما يتعلق بالعقل، وأنه يستحق الثواب والعقاب على ألاّيفعل، على ما يقوله أبو هاشم، خلاف ما يقوله أبو علي، وتدل على أن مَنْ عَبَدَ غيره فهو مشرك، فتدل من هذا الوجه أن من قال: إنه ـ تعالى ـ جسم أو له صورة وأعضاء فهو مشرك، وتدل على أنه لا قديم معه؛ لأنه إذا أَثْبَتَ[1] معه قديمًا فقد أشرك معه في أخص وصفه، فيوجب إثبات مِثْلٍ له، وتدل على وجوب الإحسان إلى الوالدين، وهو ما يخرجه من حد العقوق من النفقة والبر والصلة، ولهذا قلنا: إن نفقة الوالدين تجب وإن كانا كافرين بخلاف سائر الأقارب، وتدل على تحريم قتل الأولاد خوف العيلة، فيدخل فيه إن شرب دواء ليقتل الجنين، وأبطل عذرهم بقوله: «**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ**» ويدل قوله: «**مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» أن أفعال

(١) أثبت: ثبت، ش، ك.

القلوب والجوارح مأخوذ بها، وتدل على تحريم قتل النفس، إلا ما استثني، ولما كان الاستثناء مجملاً كان المستثنى منه أيضًا مجملاً فيحتاج إلى بيان، وقد بيّن رسول الله ﷺ بقوله: «كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق»[1] ويدل قوله: «**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» أنه أراد من الجميع أن يعقل خلاف قول المجبرة، وتدل أن هذه الأشياء فعلهم؛ لذلك تعلق به الأمر والنهي، والثواب والعقاب، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم «**تَذَكَّرُون**» بالتخفيف، وقرأ الباقون «**تَذّكَّرون**»[2] بتشديد الذال كل القرآن، والمعنى واحد.

اللغة

الأَشُدّ: قال علي بن عيسى جمع شدّ، كما أن الأصر جمع صر، والأشر جمع شر، وقيل: لا واحد لها، وقيل: الأشد واحد مثل: الأيك في قول بعض البصريين، والأشد قوة الشاب عند ارتفاعه، كما أن أشد النهار قوة الضياء عند ارتفاعه قال عنترة: رواه المفضل:

عَهْدي بـه شَـدّ الـنـهـار كـأنـمـا خُضِبَ البنَانُ[3] ورأسه بالعِظْلِم[4]

وأصله من الشدة.

(١) أبو داود رقم ٤٣٦٣، وسنن الدارمي رقم ٢٢٩٧.
(٢) حجة القراءات ٢٧٦.
(٣) البنان: اللبان أ، د، ز.
(٤) قاله عنتره، انظره في المحكم (شد)، ولسان العرب (شدد).

وقال أبو مسلم: الأَشُدّ جمع شدة مثل نعمة وأنعم، ووزنه فعلة وأفعل. والقسط: العدل.

۞ الإعراب

نصب «**ذا قربى**» على خبر (كان)، واسم (كان) محذوف، تقديره: ولو كان الرجل ذا قربى، وأوفوا وفُوا بمعنى، وهو الذي فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى.

۞ المعنى

بَيَّنَ تمام ما يتلو من المحرمات والمأمورات والمنهيات فقال: «**وَلاَ تَقْرَبُوا**» يعني لا تتأولوا ولا تأخذوا، وإنما ذكر القرب تأكيدًا «**مَالَ الْيَتِيمِ**» الذي لا أب له، وإنما خصه بالذكر؛ لأنه لا يدفع عن نفسه ولا عن ماله هو ولا غيره، فكانت الأطماع في ماله أشد، فخصه بالذكر تأكيدًا «**إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**» أي: أنفع وأعدل، وقيل: هي حفظه إلى أن يكبر فيسلم المال إليه، وقيل: ينميه بالتجارة، عن مجاهد والضحاك والسدي، وقيل: أَكْل القيّم عليه بالمعروف دون الكسوة، عن ابي علي وابن زيد، وقيل: أن يأخذه قرضًا، وقيل: ركوب دابة واستخدام خادم، حكى الوجهين الأصم «**حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**» تجتمع قوته، وقيل: يحتلم فتكتب عليه الحسنات والسيئات عن يحيى بن يعمرو الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم، وقيل: ثلاثون سنة، عن السدي، وقيل: ما بين ثماني عشرة سنة؛ لأنه أكثر ما يقع عنده البلوغ إلى ثلاثين سنة، عن الكلبي، وقيل: حتى يعقل وتجتمع قوته، عن ابي العالية، وقيل: حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة، عن أبي حنيفة، وقيل: حتى يتقوى على حفظ ما له، وهو اختيار القاضي، ولا شبهة أن هذا الحد لأجل أن يصير حيث يمكنه حفظ ماله، واجتهد العلماء في ذلك فقال أبو حنيفة: إنه إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة يؤنس منه الرشد، ويقوى على حفظ ما له، وفي الآية حذف؛ لأن مجرد بلوغ الأشد لا يوجب دفع ما له إليه فتقديره: حتى يبلغ أشده ويؤنس رشده فادفعوا إليه حينئذ «**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**» أي: أتموا ما تعطونه بالكيل والميزان «**بِالْقِسْطِ**» بالعدل «**لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**» أي: طاقتها، قيل: في إيفاء الكيل والوزن، حتى لا يُؤاخِذَفي ذلك بالحبات وما لا

يمكن التحرز منه، وقيل: «**لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**» أي: ما يسعها، ويحل لها، ولا تعنيف فيه، وقيل: لا يكلف إلا ما يقدر عليه ويمكنه، فلا تعتذروا بعدم القدرة على ما تزعمه المجبرة «**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا**» أي: اصدقوا في مقالتكم، وهذا من الأوامر العجيبة البليغة التي يعقل فيها مع قلة حروفها وعذوبة ألفاظها الأقاويل والشهادات والوصايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفتاوى والقضايا والأحكام والمذاهب ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾ قيل: فيه حذف أي: ولو كان المشهود عليه والمحكوم عليه ذا قربة منكم، فلا تمنعن قَرابتُهُ أن تقولوا الصدق ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ﴾ قيل: عهده: فرائضه، وما أوجب عليكم فافعلوه كما أمر، وقيل: ما يوجبه باليمين، عن ابي علي، وقيل: هو ما وصى به في هذه الآيات، وعن ابن عباس: أن هذه آيات محكمات لم ينسخ منها شيء، وعن كعب: أول التوراة هذه الآيات، وعن الربيع بن خثيم: ألا أقرأ صحيفة عليها خاتم محمد ﷺ [ثم] قرأ هذه الآيات، وقيل: ما يوجبه المرء على نفسه، وقيل: الكل مراد بالآية؛ لأن الجميع داخل في اسم أنه عهد الله، ولا تنافي، فيحمل على الجميع ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم﴾ أمركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي تذكروا، وقيل: تتعظوا، وقيل: كي لا تغفلوا عنه، وتتركوا العمل به، وقيل: لتتفكروا فيها فتميزوا ما يلزم مما لا يلزم، وقيل: لتذكر عقاب الله على العصاة فتمسكوا بهذه الأمور، وقيل: لتصيروا من أهل الذكر.

۞ الأحكام

تدل الآية على النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، فقيل: على جواز التصرف إذا كان أحسن، قال شيخنا أبو علي: بأنه مبني على قوله: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ٦] وقيل: إنه ما يعود نفعه إلى اليتيم وهو الصحيح قال القاضي: والأقرب أنه مجمل يحتاج إلى بيان، ويدل على لزوم الاحتياط عند المعاملات بمكان الإيفاء، وتدل على قبح تكليف ما لا يطاق، وأنه ـ تعالى ـ لا يفعله خلاف قول المجبرة، وتدل أنه كما يلزم إيفاء الحقوق في الأموال يلزم في الحقوق كالشهادات وغيرها مما ذكرنا، وتدل على امتثال أوامره عقلاً وشرعًا؛ لأن جميع ذلك عهده يجب الوفاء به، وتدل أنه أراد من الجميع أن يَذَّكَّرَ، خلاف قول المجبرة، وتدل

أن جميع ما ذكر في الآية فعلهم، وليس بخلق لله، فلذلك علق المدح والذم بهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾

القراءة

قرأ ابن عامرويعقوب «**وإِنْ هذا**» بكسر ألف أن وسكون النون[1]، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الألف وتشديد النون، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو بفتح الألف وتشديد النون، والقراء أجمعوا على سكون الياء من «**صراطي**» غير ابن عامر فإنه فتحها، وقرأ ابن كثير وابن عامر «**سراطي**» وحمزة بين الصاد والزاي والباقون صافية، وكلها لغات.

فأما فتح (إن) ففيه وجهان: **الأول**: العطف على ألاَّتشركوا .**الثاني**: لأن هذا صراطي فاتبعوه.

فأما الكسر ففيه وجهان:

أحدهما: على «**أَتْلُ ما حرم**»، وأتل أن هذا صراطي، بمعنى: أقول.

الثاني: على الاستئناف.

اللغة

الصراط: الطريق، وإنما قيل للشرع طريق؛ لأنه يؤدي إلى الجنة، فهو يؤدي إليها، فأما سبيل الشيطان: فطريق النار نعوذ بالله منها، والصراط والسبيل نظائر.

الإعراب

يقال: ما الفرق بين الرفع والنصب في قوله: «**مستقيمًا**» ؟

(١) حجة القراءات ٢٧٦.

قلنا: الفائدة إذا نصب في صراطي، وإذا رفع فليس كذلك، إنما الفائدة في اجتماع أنه صراط، وأنه مستقيم، ونصب «**مستقيمًا**» على الحال، فـ(هذا) اسم و(صراطي) خبره، ومستقيم: نصب على الحال، وقيل: نصب على القطع؛ لأنه نكرة، وصراطي معرفة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أن ما تقدم ذِكْرُهُ طريقه المستقيم الذي أوجب اتباعه، فقال سبحانه: «**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي**» أي: الإسلام طريقي الذي أمرت بها، وقيل: القرآن وسائر الحجج «**مُسْتَقِيمًا**» أي: قيمًا لا عوج فيه ولا تناقض «**فَاتَّبِعُوهُ**» أي: اقتدوا به واعملوا به، واعتقدوا صحته، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه «**وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**» قيل: الديانات المخالفة للإسلام، عن ابي علي،وقيل: طريق الكفر (الضلال)[1] «**فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**» يعني إذا تركتم طريق الحق المستقيم تفرقتم، وتفرق جمعكم، وزالت ألفتكم «**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**» أمركم به «**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» أي: لكي تتقوا المعاصي، وقيل: لتتقوا التفرق به كناية عن القرآن، أو الإسلام كأنه قال: وصاكم بالإسلام، ويحتمل وصاكم بما تقدم، وقيل: لتتقوا عذابه بفعل الواجبات واجتناب المعاصي، عن ابي علي وابي مسلم، وقيل: لكي تتقوا بما أوحى إليكم ما كنتم عليه من الضلال، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على تحريم الاختلاف؛ لما فيه من العدول عن الحق.

وتدل على أنه أراد من الجميع الاتقاء، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن طريق الحق واحد، وهو في أصول الدين.

وتدل على أن اتباع الحق والباطل فِعْلُهُم؛ لذلك أمرهم ونهاهم.

---

(١) الضلال: البلاغ، أ، د، ش، ص.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «**تمامًا على الذي أحسن**» بنصب النون على أنه فعل ماض، وعن يحيى بن يعمر «**أَحْسَنُ**» بضم النون على تقدير تمامًا على الذي هو أحسن.

اللغة

التمام والكمال من النظائر، وتم الشيء: كَمُلَ، وأتممته أنا، وقد يكون الإتمام القيام بالأمر، ومنه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [البقرة:١٩٦]. والفصل: البيان، والتفصيل: التبيين كما يحتاج إليه. والبركة: ثبوت الخير بزيادته ونموه، وأصله الثبوت، قال الشاعر:

ولا يُـنْـجِـي مِـنَ الـغَـمَـرات إلا ... بَـرَاكَـاءُ الـقِـتَـالِ أو الـفِـرَار(١)

ومنه: تبارك الله أي: دائم ثابت لم يزل، ولا يزال.

الإعراب

«**أحسن**» يجوز فيه الرفع والنصب، واختلفوا هل يجوز أن يكون في موضع خفض، فأجازه الفراء، وزعم أن العرب تقول: مررت بالذي خير منك، وبالذي أحبك، ولا يقولون بالذي قائم؛ لأنه يكره. وقال الزجاج: أجمع البصريون أنه لا يجوز.

و«**مبارك**» يجوز فيه الرفع والنصب، فالرفع لأنه من صفة الكتاب اللازمة،

---

(١) قائله بشر بن أبي خازم، انظره في اللسان (برك)، وجمهرة اللغة(برك)، وتهذيب اللغة (برك)، والعين (برك).

والنصب على الحال العارضة في وقت الفعل، و(ثُمَّ) من حروف العطف، وحروف العطف وإن اتفقت في النسق اختلفت في المعنى، فالواو للجمع عند الأكثر، وقيل: للترتيب، وذلك لا يصح، و(الفاء) للتعقيب، و(ثم) للتراخي، و(أو) للتخيير. «**تمامًا**» نصب على القطع، وقيل: على التفسير، «**وتفصيلاً**» «**وهدى ورحمة**» نصب على تقدير: أنزلناه تفصيلاً، وهدى ورحمة، أو أنزلناه هدى، وفصلناه تفصيلاً.

۞ النظم

يقال: كيف إذا كانت (ثم) للتراخي، فكيف جاز أن يقول: «**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**» وكتابه نزل قبل القرآن، كيف تقدير الكلام ونظمه؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: أن فيه حذفًا تقديره: ثم قل يا محمد إنا آتينا موسى الكتاب، ويدل عليه «**قل تعالوا أتل**»، فتقديره: اتْلُ ما أوحي إليك، ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى.

وثانيها: قال الزجاج: ثم اتل ما آتينا موسى الكتاب(١).

وثالثها: (ثم) بمعنى الواو، وحروف العطف يكون بعضها مقام بعض على تقدير: وآتينا موسى الكتاب.

ورابعها: أنه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى، أو مخبر على مخبر كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ [الأعراف: ١١] وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦] وتقديره: أخبركم أنه جعل منها زوجها، وتقدير الآية ثم أخبركم أنه أعطى موسى الكتاب، حكاه الشيخ أبو حامد، والذي يؤيده قول الشاعر:

قُلْ لِمَنْ ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده(٢)

---

(١) الزجاج، معاني القرآن، ٢/٣٠٦.

(٢) قاله أبو نواس الحسن بن هاني، أنظر ديوان أبي نواس.

وخامسها: أنه يتصل بقوله في قصة إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] فَعَدَّ نعمه عليه بما جعل في ذريته من النبوة، ثم عطف عليه بذكر ما أنعم عليه بما آتى موسى من الكتاب والنبوة، وهو من ذريته، عن ابي مسلم، وقيل: تقديره: ثم أعلمتكم عن موسى وكتابه بعد الذي بينت لكم، واحتججت عليكم، عن الأصم.

المعنى

«**ثُمَّ آتَيْنَا**» أعطينا «**مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني التوراة «**تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ**» فيه ستة أقوال:

أولها: تمامًا على إحسانه أي: إحسان موسى بطاعاته، عن الربيع والفراء والأصم، كأنه قيل: ليكمل إحسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة.

وثانيها: تمامًا على المحسن، عن مجاهد، وقيل: في قراءة ابن مسعود: (تمامًا على الذي أحسن)، والنون قد تحذف قال الشاعر:

وَإِنَّ الـذِي حَـانَـتْ بِـفَـلْـجٍ دِمَـاؤُهُـمْ هُـمُ الـقَـومُ كُـلُّ الـقَـوْمِ يـا أُمَّ خَـالِـدِ[١]

كأنه قيل: تمامًا للنعمة على المحسن الذي هو أحدهم، قال أبو عبيدة: معناه تمامًا على كُلِّ مَنْ أحسن، يعني أظهر فضله عليهم.

وثالثها: تمامًا على إحسان الله إلى أنبيائه، عن ابن زيد.

ورابعها: تمامًا لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا، عن الحسن وقتادة، قال قتادة: تقديره: من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة.

وخامسها: تمامًا على إحسان الله إلى موسى بالنبوة وغيرهما من الكرامة، عن ابي علي.

وسادسها: قيل: إنه يتصل بقصة إبراهيم أي: تمامًا للنعمة على إبراهيم، ولجزائه

---

(١) قاله الأشهب بن رميلة. انظره في اللسان (ذا) وتهذيب اللغة (ذا)، والصحاح (لذي).

على إحسانه في طاعة ربه، وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل له، عن ابي مسلم، ويرجع الإحسان إلى إبراهيم.

«**وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ**» أي: بيانًا لكل ما يحتاج إليه المكلف «**وَهُدًى**» أي: دلالة على الحق والدين يهتدى بها إلى التوحيد والعدل والشرائع «**وَرَحْمَةً**» أي: نعمة على سائر المكلفين؛ لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والأحكام «**لَعَلَّهُمْ**» أي: لكي «**بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ**» معناه الرجوع إلى ملكه وسلطانه يوم لا يملك أحد شيئًا سواه، وقيل: بلقاء جزائه فجعل لقاء الجزاء لقاه تفخيمًا لشأنه مع الإيجاز من غير إخلال بالمعنى، كما يقال: من مات فقد لقي الله، وليس هناك إلا لقاء ما أعد له من الجزاء، وقيل: بلقاء الله إياهم «**يُؤْمِنُونَ**» يصدقون «**وَهَذَا كِتَابٌ**» يعني القرآن سمي كتابًا؛ لأنه يكتب، وقيل: لأنه كتاب الله إلى عباده «**أَنزَلْنَاهُ**» يعني أنزله جبريل إلى محمد من اللوح المحفوظ، فإنه[1] أضاف النزول إليه توسعًا، كما يقال: جاءت رسالة فلان، يعني جاء فلان بالرسالة «**مُبَارَكٌ**» أي: فيه كل خير وبركة، وقيل: دام ببركته «**فَاتَّبِعُوهُ**» اعتقدوا صحته واعملوا به، وكونوا من أتباعه «**وَاتَّقُوا**» قيل: اتقوا معاصي الله، وقيل: اتقوا عقابه، وقيل: اتقوا مخالفة الكتاب المنزل إليكم فبه تنالوا[2] [الخير] «**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**» أي: لكي ترحموا، وفيه أقوال:

قيل: اتقوا على رجاء الرحمة، عن أبي مسلم.

وقيل: اتقوا لترحموا أي: ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله.

وقيل: لترحموا جزاء على التقوى، عن الأصم وأبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ أعطى موسى الكتاب لكي يؤمنوا، خلاف قول المجبرة أنه أعطاه لكي يكفر بعضهم، وتدل على أن القرآن منزل على محمد كما أنزل

(١) فإنه: فإن، ش، ك.
(٢) تنالوا: تنال، ش، ك.

التوراة على موسى، فتدل على حدث القرآن والتوراة لصحة الإنزال عليهما، وتدل على أن الكتابين منزلان، خلاف ما يقوله الباطنية.

ومتى قيل: ما المراد بنزوله؟

قلنا: إنه كُتِبَ في اللوح المحفوظ، ثم أنزله جبريل حالاً بعد حال على قدر الحاجة بأمر الله.

وتدل على وجوب اتباع القرآن، واتباعه بالعلم والعمل دلّ أنه حجة، وتدلّ على أن الإيمان والاتباع فِعْلُ العبد؛ لذلك أمرهم به، خلاف قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

القراءة

أجمع القراء على التاء في قوله: «**أن تقولوا**» على الخطاب «**أو تقولوا**» وقرأ الأعمش وابن محيصن بالياء فيهما على الحكاية.

اللغة

الطائفة: القطعة من كل شيء، والطائفة: الجماعة. وصَدَفَ عن الشيء: أعرض عنه، وامرأة صَدُوفٌ: يصدف عنها زوجها.

الإعراب

يقال: ما موضع «**أن تقولوا**» من الإعراب؟ وما العامل فيه؟

قلنا: العامل فيه «**أنزلناه**» بتقديرين:

أحدهما: أنزلناه لِئَلاَّ تقولوا، فحذف (لا) لظهور المعنى في أنه أنزل لئلا يكون لهم حجة، وحذف (لا) قول الفراء.

الثاني: أنزلناه كراهة أن تقولوا، عن الزجاج، ولم يُجِزْ حذف (لا) ههنا.

وقال الكسائي: أن تقولوا يا أهل مكة أوتقولوا[١]، نصب تقولوا بـ(أنْ)، و(أو تقولوا) نصب؛ لأنه معطوف على (أن تقولوا)، واللام في قوله: «**لغافلين**» لام الابتداء.

ويقال: لم فتحت (أن تقولوا)[٢] مع أنه لا يقع فيه المصدر؟

قلنا: لأن الفعل مقدر فيه[٣] «تقولوا»[٤] كأنه قيل: لو وقع إلينا أو[٥] أنزل الكتاب علينا. إلا أن هذا الفعل لا يظهر من أجل طول (أن) بالصلة، ولا تحذف مع المصدر إلا في الشعر.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أنه أنزل هذا الكتاب على رسول الله ﷺ قَطَعًا للعذر، وإزاحة للعلة، فقال سبحانه: «**أَنْ تَقُولُوا**» أي: لئلا تقولوا يا أهل مكة «**إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ**» جماعتين، قيل: اليهود والنصارى، عن ابن عباس والحسن ومجاهدو ابن جريج وقتادة والسدي، وإن ما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور أمرهما «**وَإِنْ كُنَّا**» أي: وقد كنا «**عَنْ دِرَاسَتِهِمْ**» قراءتهم الكتب، وإنما قال: دراستهم ولم يقل دراستهما؛ لأن كل طائفة جماعة قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] «**لَغَافِلِينَ**» يعني لا نعلم ما فرض علينا في الكتاب، «**وكنا في غفلة**» يعني أهل مكة «**أَوْ**

---

(١) أو تقولوا: أن تقولوا، أ، د، ض.
(٢) أن تقولوا: أن تعدلوا، أ، د، ض.
(٣) في: فيه، ش، ك.
(٤) تقولوا: تعدلوا، أ، د، ض.
(٥) أو: أما أ، د.

﴿تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ يعني أهدى إلى الحق من الطائفتين وأصوب قولاً منهم **﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾** أي: حجة وبيان وهو القرآن **﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾** أي: هو كلامه أنزله على بينة **﴿وَهُدًى﴾** أي: يهتدي به الخلق إلى[1] الجنة الدائمة، والثواب العظيم **﴿وَرَحْمَةٌ﴾** أي: نعمة لمن اتبعه وعمل به **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾** أي: أشد عدوانًا، وأخطأ فعلاً **﴿مِمَّنْ كَذَّبَ﴾** جحد **﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** يعني القرآن، ومن أتى به، وهو محمد ﷺ **﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾** أي: أعرض عنها مكذِّبًا[2]، عن ابن عباس ومجاهدو قتادة والسدي **﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا﴾** أي: يعرضون عن حججنا مكذبين لها **﴿سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾** أي: أعرضوا عن محمد والقرآن وخالفوهما.

الأحكام

تدل الآية على أنه أنزل الكتاب لطفًا قطعًا للعذر، وإزاحة للعلّة، وأنه لو لم ينزل لكان لهم حجة، وإذا كان مَنْعُ اللطف عذرًا فمنع القدرة أولى، وخَلْق الكفر أحق، وتدل على أن أهل الكتاب طائفتان دون المجوس على ما يقوله أبو حنيفة، خلاف ما يقوله الشافعي، وتدل على وجوب اتباع القرآن، والتحذير عن الإعراض عنه، وتدل على أنهم استحقوا العذاب على إعراضهم، خلاف ما يقوله قوم: إن العذاب لا يستحق على الأعمال، وتدل على أن التكذيب أعظم الذنوب؛ لأنه كُفْرٌ، وتدل على أن من أعرض عن الدليل بترك النظر حتى لا يعلم معالم دينه فهو كافر، فتدل على أن المعارف مكتسبة، وتدل على أن الإعراض فِعْلُهم، فيبطل قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

---

(١) إلى: +، ز.

(٢) مكذبا: تكذبا، أ، د، ض.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**تأتيهم**» بالتاء وفي (النحل) مثله، وقرأ الباقون «**يأتيهم**» بالياء في السورتين، فالتاء على اللفظ، والياء على المعنى، ولأن الفعل إذا تقدم على الجمع يذكر ويؤنث[١].

قراءة العامة: «**لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**» بالياء على تذكير الإيمان، وعن عمر وابن الزبير «**تنفع**» بالتاء. قال المبرد: وهي على المجاورة لا على الأصل كقول جرير:

لَـمَّـا أتـى خـبـرُ الـزبـيـر تـواضـعـتْ[٢] سُـورُ الـمـديـنـة والـجـبـالُ الـخُـشَّـعُ[٣]

فَأَنَّثَ فِعْلَ سُورِ، وهو مذكر لاتصاله بمؤنث.

۞ اللغة

النظر: تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، نظرت إليه أنظر، والنظر: الانتظار، والنظر: التفكر.

۞ الإعراب

(هل) بمعنى (ما)، كأنه لم يعتد بكل انتظار غير هذا لعظم شأنه، وهو كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وتكلمت وما تكلمت «**نفسا**» مفعول، والإيمان الفاعل تقديره: لا ينفع الإيمانُ نفسًا.

۞ المعنى

ثم عقّب ـ تعالى ـ ما تقدم من الحجة عليهم بالوعيد، فقال: «**هَلْ يَنظُرُونَ**» أي: ينتظرون ويرتقبون بعد بعثة الرسل، وإنزال الكتب مع إقامتهم على الكفر «**إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ**» قيل: تقبض أرواحهم، وقيل: لإنزال العذاب والخسف بهم، وقيل: بعذاب القبر.

---

(١) حجة القراءات ٢٧٧.

(٢) في هامش أ، د: تساقطت.

(٣) انظره في جمهرة اللغة (رسو)، واللسان(حرث).

«**أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**» فيه أقوال:

الأول: أو يأتي أمر ربك بالعذاب، عن الحسن، وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٥٧] يعني أولياء الله، وكقولهم عند ظهور جور وحَيْف بني أمية: جاءنا بنو أمية يعني جورهم، وعند ظهور عدل عمر: جاءنا عمر أي: عدله.

الثاني: أو يأتي ربك بجلائل آياته، فيكون [المعنى] يأتي به، على معنى الفعل المتعدى.

الثالث: أنهم يعرفونه ضرورة، فكأنه أتاهم فشاهدوه.

الرابع: يأتي بالوقت الذي يكون الأمر فيه كله لله، يعني يوم القيامة، فأما حقيقة الإتيان فلا يجوز عليه تعالى؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، والله ـ تعالى ـ ليس بجسم.

«**أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**» قيل: طلوع الشمس من مغربها، عن مجاهد وقتادة والسدي، وروي ذلك مرفوعًا، وقيل: عذاب الاستئصال، فيكون تقدير الآية: ما ينتظرون إلا نزول الملائكة تقبض الأرواح، أو أمر الله بأخذهم في القيامة، أو عذاب الاستئصال ينزل بهم، عن الأصم وأبي مسلم، وقيل: كلآية تضطر إلى المعرفة، فيزول التكليف بها، وقيل: بعض آيات ربك ما وعدهم من الانتقام منهم في الدنيا إن لم يتوبوا «**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**» التي تضطرهم إلى المعرفة فيزول التكليف «**لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**» قيل: الآيات الحواجب عن التوبة ستة، وروي عن النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال ستة: طلوع الشمس من المغرب، والدابة، والدجال، والدخان، وخويصة أحدكم ـ أي موته ـ وأمر العامة ـ يعني القيامة ـ»[1]، عن الحسن عن النبي ﷺ، وقيل: (طلوع الشمس من المغرب، والدجال، ودابة الأرض). ابن مسعود وأبو هريرة، ورفعه إلى النبي ﷺ، وقيل: هو طلوع الشمس من مغربها، رواه جماعة عن النبي ﷺ «**لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**» ليس المراد به الإيمان

(١) صحيح مسلم رقم ٢٩٤٧، وابن ماجه رقم ٤٠٥٦، والمستدرك رقم ٨٥٧٤.

الشرعي؛ لأنه ينفع متى وجد، واختلفوا فقيل: أراد جنس الإيمان الذي لو وقع مع التخلية لَنَفَعَ، وقيل: المراد به التصديق.

«**أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: الإيهام في أحد الأمرين.

الثاني: التغليب؛ لأن الأكثر ممن ينتفع بإيمانه حينئذ مَنْ كان كسب في إيمانه خيرًا قبل.

الثالث: لأنه لا ينفعه إيمانه حينئذ، وإن اكتسب فيه خيرًا إلا أن يكون ممن آمن قبل، عن السدي، وكَسْبُ الخير في الإيمان هو الاستكثار من أعمال البر، «**قُلْ**» يا محمد «**انْتَظِرُوا**» قيل: أراد أحد هذه الثلاثة: الموت، أو القيامة أو الاستئصال، عن الأصم وابي مسلم،وقيل: انتظروا الدوائر بكم في الدنيا، وعذاب الآخرة «**إِنَّا مُنتَظِرُونَ**» ذلك لكم.

۞ الأحكام

تدل الآية على وعيد عظيم للكفار، وتدل على أن للمكلف حالة لا يقبل فيها الإيمان، ولا يكون كذلك إلا والتكليف يزول عنه، وهو حال الإلجاء.

ومتى قيل: كيف يُلْجِئُهم؟

فجوابنا بأن يعلمهم عند هذه الآيات أنهم لو حاولوا خلاف ذلك لمنعوا منه، وحيل بينهم وبينه، فيصير هذا العلم بمنزلة المنع بأنه يزيل التكليف، وتدل على أن الإيمان مُجَرَّدًا[1] لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات في حال الإيمان، وهو القيام بالواجبات واجتناب الكبائر خلاف ما تقوله المرجئة، وتدل على أن التوبة لا تنفع في تلك الحال؛ لأنه إذا لم يقبل الإيمان فغيره أولى، ثم ختم الآية بالوعيد بقوله: «**فانتظروا**».

(١) مجردا: مجرده، أ، د، ض.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**فارقوا**» بالألف[1]، وهي قراءة علي بنابي طالب (عليه السلام)، ورواه معاذ عن النبي ﷺ، ومعناه: خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الباقون «**فرقوا**» بغير ألف وتشديد الراء، وهو قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب أي: جعلوا دين الله ـ وهو واحد ـ أديانًا مختلفة فتهودوا وتنصروا،» ففارقوا» يقتضي أنهم ليسوا من الدين على شيء، و«فرقوا» يقتضي أنهم متمسكون بالبعض مفارقون للبعض.

اللغة

الشِّيَعُ: الفِرَقُ التي يمالي بعضهم بعضًا على أمر واحد مع اختلافهم في غيره ومنه: «**وَكَانُوا شِيَعًا**» أي: فِرَقًا شايع بعضهم بعضًا، وقيل: أصله من الظهور يقال: شاع الخبر يشيع: إذا ظهر، وشَيَّعْتُ النار: إذا ألقيت عليها الحطب تذكيها، كأنك تظهرها، وقال الزجاج: أصله الاتباع من قولك: شايعه على الأمر إذا اتبعه، والعرب تقول: شاعكم السلم أي: تبعكم، وأشاعكم الله السلم، وكل من تبع إنسانًا فهو مِنْ شيعته، والجمع: شِيَعٌ وأشياع. والنبأ: الخبر، وجمعه: أنباء، ومنه: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾ [الحجر:٤٩] إلا أنه في الأكثر يستعمل في خبر يعظم شأنه.

الإعراب

«**شيعًا**» نصب لأنه خبر (كان)، واسمه في الكناية، وتقديره: كان هؤلاء شيعًا.

النزول

قيل: نزلت الآية في الكفار ثم نسختها آية السيف، عن السدي.

---

(١) حجة القراءات ٢٧٨.

وقيل: نزلت في أهل البدع، وأهل الضلالة والشبهات من هذه الأمة رواه أبو هريرة مرفوعًا.

۞ المعنى

ثم ذكر وعيدًا معطوفًا على ما تقدم من الوعيد، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوادِينَهُمْ**» يعني خرجوا من الدين، من المفارقة، وفرقوا من التفريق، أي: جعلوا دين الله، وهو واحد أديانا، فتهود بعضهم، وتنصر بعض، وقيل: هم أهل البدع جعلوا دين الله وهو الحنيفية أديانًا، فهم الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة» «**دِينَهُمْ**» قيل: الذي أمرهم الله به، وجعله دينًا لهم، عن الأصم وابي علي وهو الوجه، وقيل: الدين الذي هم عليه لإكفار بعضهم بعضًا «**وَكَانُوا شِيَعًا**» يعني فرقًا، قيل: هم اليهود تفرقوا فرقًا، عن مجاهد، وذلك أنهم مالوا إلى عُبّاد الأوثان، ونصروهم على المسلمين، وقيل: اليهود والنصارى، عن قتادة؛ لأن اليهود فِرَقٌ يُكَفِّرُ بعضهم بعضًا كاليعقوبية والنسطورية والملائكية، وقيل: هم أهل البدع من هذه الأمة، عن ابي هريرة، ورواه مرفوعًا، كأنه تحذير من تفرق الكلمة، ودعوة إلى الاجتماع، وقيل: جميع المشركين، عن الحسن والأصم وأبي علي وهو الوجه؛ لأنهم جميعًا بهذه الصفة فارقوا النبي ﷺ، وتركوا دينهم، وصاروا أحزابًا «**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**» أي: لست من موالاتهم في شيء بل أنت بريء منهم، لا توال من خالف دينك، وقيل: أمره بالمباعدة التامة بحيث لا يجتمع معهم في مذهب فاسد، وقيل: سبيلهم غير سبيلك؛ لأنهم كفار، وأنت على بينة من ربك، وهدى من دينك، عن الأصم، وهو الوجه، وقيل: إنه أَمْرٌ بالكف، ثم نسخ بآية السيف، وليس بالوجه؛ لأنه إذا احتمل معنى صحيحًا من غير نسخ فلا معنى لحمله على النسخ، وقيل: من عذابهم في شيء؛ لأنه ـ تعالى ـ يؤاخذهم بفعلهم، ويجازيهم عليه، وقيل: كانوا يؤذونه فيغتم فقال: لا تغتم، فالله يكفي أمرهم «**إِنَّمَا أَمْرُهُمْ**» في مجازاتهم عن سوء أفعالهم «**إِلَى اللَّهِ**»، وقيل: أمرهم في الإنظار والاستئصال إلى الله، وقيل: أمرهم يعني الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله، عن الأصم، «**ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ**» يخبرهم، ويجازيهم «**بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**» من المعاصي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الدين خصال يجوز أن يجمع ويفرق، وذلك يصحح قولنا: إنه يزيد وينقص، وأنه اسم لكل طاعة، وتدل على أن مضرة العصيان تؤول إلى فاعلها؛ لأنه قال: لست من فعلهم في شيء، وتدل على وعيد لهم، وتسلية للنبي ﷺ، وتدل على أن المفارقة فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ يعقوب: «**عشرٌ**» مُنَوّن «**أَمْثَالَها**» برفع اللام مثل قراءة الحسن وسعيد ابن جبير، وقرأ الباقون بالإضافة «**عَشْرُ**» بغير تنوين «**أَمْثَالِها**» بالكسر، فالأول على تقدير: فله حسنات عشر أمثالها. الثاني: على تقدير: فله عشر حسنات أمثالها.

۞ اللغة

المِثْلُ: النظير، وجمعه: أمثال. والحسنة: من الحسن أدخل عليها الهاء للمبالغة نحو: علامة، ونسابة.

۞ الإعراب

يجوز في «**عَشْرُ أَمْثَالِهَا**» ثلاثة أوجه: الإضافة، وهو قراءة العامة. والتنوين وهو قراءة يعقوب على الصفة، والنصب على التمييز كقولك: عندي خمسةٌ أثوابًا، ذكر ذلك الفراء والزجاج.

قال أبو مسلم: خرج عدد الأمثال على لفظ التأنيث، وإن كان المِثْلُ مذكرًا؛ لأنه على معنى الحسنات، وهي مؤنثة.

۞ المعنى

ثم رغب ـ تعالى ـ بعد ذكر الوعيد على معاصيه ـ في طاعته بما وعد من تضعيف الجزاء، فقال سبحانه: «**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**» قيل: بالتوحيد، عن الحسن، وقيل: بسائر الطاعات، عن أبي علي وغيره، «**فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**» يعني عشر حسنات، والمراد بالأمثال كونها حسنة، عن ابي علي، وقيل: عشر أمثالها في الكثرة لا في الصفة؛ لأن الثواب يقارنه التعظيم والتفضل يفارقه في ذلك، ولذلك لا يجوز الابتداء بالثواب، ولو جاز لما حسن التكليف، وقيل: عشر في الجنس لا في الكثرة، فثواب واحد[1] يزيد على الجميع، ولا يجوز أن يساوي التفضل الثواب في القدرة والصفة، عن ابي علي وابي هاشم، وقيل: الحسنة: الإيمان، وهي عشرخصال على ما ذكر في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية فيعطيه على كل خصلة جزاء وحسنة، عن أبي مسلم، «**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**» قيل: بالشرك، عن الحسن والأصم، وقيل: بكل معصية عن أبي علي وغيره «**فَلَا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا**» أي: ما استحق عليها، ولا يُزَادُ؛ لأن التفضل بالنعم والنفع الخالص يجوز، ولا يجوز أن يبتدأ بالضرر، ولا يحبس في الآخرة إلا مستحقًا «**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**» ببخس حقهم من الثواب وعقابهم على غير معصية.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن كل من جاء بطاعة فله عشر أمثالها.

ومتى قيل: أهو تفضل أم ثواب؟

قلنا: قيل: كله تفضل ضَمِنَ الله ذلك لفاعل الطاعة إلى سبعمائة ضعف، عن ابي علي والأصم، قال أبو علي: وهذه العشر قدرها دون قدر الثواب، وليس المراد أمثالها في القدر بل المراد بها حسنة، كما أن الطاعة حسنة، وقيل: المراد بالعشر الثوابُ والتفضلُ؛ لأنه كمالُ ما يفعل به عند أكثر مشايخنا.

ومتى قيل: أليس قال في موضع آخر: إن جزاءه سبعمائة؟

---

(١) فثواب واحد: واحد ثواب، أ، ش، ض، د.

قلنا: درجات الأعمال مختلفة فالجزاء عليها مختلف، وتفضُّله عليها مختلف.

وتدل الآية على أنه ـ تعالى ـ لا يظلم أحداً فيبطل قول المجبرة من وجوه:

أحدها: أن الابتداء بالعذاب لا يجوز؛ لأنه ظلم، وهم يجوزونه.

وثانيها: الزيادة على المستَحَقِّ.

وثالثها: خلق الظلم وإرادة الظلم.

ورابعها: عقوبة الأطفال.

وخامسها: أن الاستطاعة مع الفعل؛ لأنه لا ظلم أعظم ممن يأمر بما لا يُقْدَرُ عليه، ثم يعذبه.

وتدل على أن فعل الحسنة والسيئة حادث من جهة العبد، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «**قَيِّما**» بفتح القاف، وكسر الياء مشددة، ومعناه مستقيم، وقرأ ابن عامروعاصم وحمزة والكسائي: «**قِيَما**»[1] بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وهو مصدر كالكِبَرِ والصغر، وقرأ أبو جعفرونافع «**مَحياي**» ساكنة الياء «**ومماتي**» بفتح الياء قال علي بن عيسى: وهو غلط عند النحويين؛ لأنه جمع بين ساكنين في الوصل، وقرأ الباقون «**محيَاي**» بفتح الياء «**مماتي**» ساكنة الياء

---

(١) حجة القراءات ٢٧٨.

لئلا يجتمع ساكنان، وعن ابن ابي إسحاق «**محيي**» بتشديد الثانية من غير ألف، وهي لغة يقولون: قفي وعصي، ولا يجوز القراءة إلا بالظاهر المنقول، وقراءة العامة، «**نُسكي**» بضم السين، وعن السلمي بسكونها.

۞ اللغة

القِيَمُ بالتخفيف: مأخوذ من قام، وأصله: قِوَمٌ، والقَيِّمُ بالتشديد: أصله منه، يقال: هو قَيِّمُ قَوْمِهِ، وقيم قومه: إذا كان قائمًا بأمورهم، وهو قِوَامُ قومه، والقَيِّمُ بالتشديد: المستقيم، وقِيم بالتخفيف: مصدر كالصغر.

قال ابن عرفة: القِيَمُ: الاستقامة. والحنيف قيل: أصله الميل، ومنه رجل أحنف: إذا كان مائل القدم، قال الزجاج: والحنيف: المائل إلى الإسلام ميلاً لازمًا لا رجوع فيه، وقيل: أصله الاستقامة، وإنما جاء أحنف على التقول، عن ابي علي. والنسك: العبادة، ورجل ناسك، ومنه: النسيكة: الذبيحة، والمَنْسِكُ: الموضع الذي يذبح فيه النسائك، قال الزجاج: إلا أن الأغلب عليه أمر الذبح الذي يتقرب به إلى الله تعالى. والملة: الدين، وقيل: الشريعة، مأخوذة من الإملال، كأنه يأتي بما يُسْمِعُ ويُمْلِي الرسول على أمته ليحفظوه، يقال: أَمْلَلْتُ الكتاب مثل أمليته.

۞ الإعراب

قوله: «**دينًا قيمًا**» في نصبه أقوال:

الأول: إن هداني بمنزلة عرَّفنيِ، عن الزجاج، فهو نصب على المفعول به.

الثاني: نصب على المصدر عن الفراء كأنه قيل: هداني اهتداء، ووضع دينًا موضعه.

الثالث: على تقدير أعني دينًا قيمًا.

الرابع: نصب على الإغراء، على تقدير: اتبعوا دينًا قيمًا.

الخامس: نصب على الحال والقطع عن قطرب.

السادس: نصب على المدح، عن ابي مسلم، ونصب ملة بدلاً من الدين، و(حنيفًا) نصب على الحال، و(محياي) لابد من فتح الياء؛ لأنما قبلها ساكن، (ومماتي) أنت بالخيار إن شئت سكنتها، وإن شئت فتحتها؛ لأن ما قبلها متحرك، وهي الياء.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أن الهادي هو الله تعالى، وأنه هدى الجميع وأزاح العلة، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد أو قل أيها الإنسان، والأول الوجه «**إِنَّنِي هَدَانِي**» قيل: دَلَّني وأرشدني، فالهدى بمعنى الدلالة، عن أبي علي وأبي مسلم، وقيل: وَفَّقَنِي ولَطَفَ لي حتي اهتديت، فالهدى بمعنى اللطف، وقيل: المراد بالهدى: الاهتداء؛ لأنه مدح، وإنما يكون مدحًا إذا اهتدى، كأنه قال: حصل لي الهداية والعلم بالله ودينه «**رَبِّي**» مالكي وخالقي «**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» طريق واضح مُسْتَوٍ لا عوج فيه، وهو دين الإسلام «**دِينًا قِيَمًا**» قيل: مستقيمًا، وقيل: ثابتًا دائمًا لا ينسخ «**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**» يعني دينه، وإنما وصفه بملة إبراهيم للرغبة فيه لجلالة إبراهيم في نفوس كل أهل الأديان، ولانتساب العرب إليه، واتفاقهم أنه كان يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة الأصنام «**حَنِيفًا**» قيل: مخلصًا لعبادة الله بريئًا من كل شرك، عن الحسن والأصم، وقيل: مستقيمًا، عن أبي علي «**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» يعني إبراهيم لم يشرك قَطُّ بالله «**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي**» قيل: دعائي، وقيل: الصلاة المشتملة على الركوع والسجود والقيام «**وَنُسُكِي**» ذبيحتي في الحج والعمرة، عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك، وإنما خص الذبيحة؛ لأنهم كانوا يذبحون للأوثان، وقيل: نسكي ديني، عن الحسن، وقيل: عبادتي، عن أبي علي والزجاج والأصم، «**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**» قيل: حياتي وموتي، والمراد التسليم لأمر الله في تدابيره وأموره كأنه قيل: أبذل طاعتي لك، بل أبذل روحي وحياتي فهو مبالغة في الانقياد، وقيل: صلاته ونسكه له عبادةً، وحياته ومماته له ملكًا وقدرة، عن القاضي، وقيل: عبادته له؛ لأنه بهدايته ولطفه ومحياه ومماته؛ لأنه تدبيرهوخلقه، وقيل: أراد النعمة في المحيا والممات أي: لا تشرك في نعمه، وقيل: الأعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة من

الطاعات لله، ومما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالطاعة، وفيه تنبيه أنه لا ينبغي أن يجعل حياته لشهوته، ومماته لورثته، وقيل: هو المختص بأن يحييني ويميتني، كأنه قال: أعبده لأنه المختص بالقدرة على الإحياء والإماتة «**رَبِّ الْعَالَمِينَ**» خالق الخلق ومالكهم، وسيدهم «**لاَ شَرِيكَ لَهُ**» يعني لا ثاني له في الإلهية، وقيل: لا شريك له في العبادة «**وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ**» أي: أمرني ربي «**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**» قيل: أول المسلمين من هذه الأمة، عن الحسن وقتادة، وقيل: أول من أطاعه واستسلم من أهل زمانه، عن الكلبي، وفيه بيان وجوب اتباعه على الإسلام، وفضل الإسلام؛ إذ كان أول شارع إليه نبينا ﷺ، وإنما أمره بذلك ليتأسى به، ويقتدى بفعله.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن دين إبراهيم دين الإسلام، وذلك إما أن يُحْمَلَ على التوحيد والعدل الذي يستوي في ملة كل نبي، أو يحمل على أن ملة إبراهيم داخلة في شريعة محمد ﷺ، وإن كان زاد ونقص، وهو الوجه؛ ليكون لاختصاص إبراهيم فائدة، وتدل أنه الدين المستقيم دون سائر الأديان، وتدل على أن صفة الدين القيم أن تكون العبادة لله - تعالى - وحده، وتدل على أن هذه العبادات إنما تكون دينًا متى كانت لله - تعالى - خالصة.

قوله تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

۞ اللغة

البَغْيُ: الطلب، بغيت الشيء: طلبته، وأصل الرب: التربية، وإذا أضيف يستعمل في غير الله تعالى، فيقال: رب الدار مالكها، ورب العبد، وإذا أطلق فهو لله

ـ تعالى ـ خاصة. والوِزْرُ: مصدر وَزَرَ يَزِرُ وِزْرًا، ووُزِرَ يُوزَرُ فهو موزور، وأصل الوزر: الملجأ، ومنه: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ [القيامة:١١] فحال الموزور كحال الملتجئ إلى غير ملجأ، ومنه: الوزير؛ لأن الملك يلتجئ إليه في الأمور، وقيل: أصله الثقل، ومنه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح:٢]. والخلائق: واحدها خليقة، كصحيفة وصحائف، وسفينة وسفائن. خَلَفَ فلانًا يَخْلُفُهُ فهو خليفة: إذا جاء بعده.

الإعراب

في نصب «**درجات**» ثلاثة أقوال:

أولها: أن تقع موقع المصدر، كأنه فيه رَفْعَهُ.

وثانيها: إلى درجات، فيحذف كما يحذف من دخلت البيت.

وثالثها: على المفعول من قولك: ارتفع درجة، ورفعته درجة، مثل اكتسى ثوبًا، وكسوته ثوبًا.

«**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ**» استفهام والمراد الإنكار.

المعنى

لما بين إخلاصه في الدين أَمَرُه أن يحتج عليهم في بطلان ما هم عليه، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا**» يعني كيف أطلب ربًا، وأترك عبادة من خلقني ورباني، والمراد أنه لا ينبغي لأحد أن يفعل ذلك، وقيل: أغيره أبغي راعيًا، وهو يكفي الهم[1] وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ» أي: مالكه وخالقه ومدبره «**وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا**» أي: لا تؤاخذ كل نفس أتت بمعصية سواها فهي كسبت ذلك على نفسها، واتصاله بما قبله أنه لا ينفعني في ابتغاء رب سواه ما أنتم عليه من ذلك؛ لأنه لا يؤخذ بذنبي إلا أنا[2] وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» يعني لا يجازى أحد بذنب غيره أشار إلى أنه لا يؤخذ بذنبهم، وإنما يدعوهم نصيحةً وعظة فقط «**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ**

(١) الهم: المهم، أ، ش، ض.
(٢) أنا: إياي، أ، ش، ض.

مَرْجِعُكُمْ» أي: إلى الموضع الذي لا حكم ولا أمر إلا له «**فَيُنَبِّئُكُمْ**» قيل: يخبركم بما في صحائفكم، وقيل: يجازيكم «**بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**» يعني اختلافهم في الأديان، فيظهر المحسن والمسيء فيندم المسيء، ولا تنفعه الندامة، «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ**» يعني أذهب من كان قبلكم وأهلكهم، وأورثكم الأرض، وجعلكم خلفاءهم، وهذا لا يكون إلا من تدبير عالم مدبر، عن الحسن والسدي، وقيل: في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة على حسب المصلحة «**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**» ليختبركم أي: يعاملكم معاملة المختبر فكلف الفقير الصبر، والغني الشكر، والعاقل النظر في الأدلة، واكتساب العلم والعمل بما يعلم، وقول الحق، وأهل الحرف الأمانة، والسلاطين العدل «**فِي مَا آتَاكُمْ**» أي: أعطاكم لتظهر منكم الطاعة والمعصية، فمن ظهرت معصيته فإنه سريع العقاب، ومن ظهرت طاعته فإنه غفور رحيم، قيل: وصفه بأنه سريع؛ لأن كل آت سريع، وقيل: سريع العقاب لمن استحقه في الدنيا، فيكون تحذيرًا لمواقعة الخطيئة على هذه الجهة، وقيل: سريع العقاب الهلاك في الدنيا، وقيل: سريع العقاب لأعدائه، غفور رحيم لأوليائه عن عطاء، وقيل: سريع من أسماء الإضافة، فالقيامة ـ وإن تأخرت ـ فهو سريع بالإضافة إلى ما بعد ذلك، وقيل: إنه ـ تعالى ـ افتتح السورة بالحمد على نعمه تعليمًا، وختم بالمغفرة والرحمة لنحمده على ذلك.

الأحكام

تدل الآية على أن العقاب لا يكون إلا على فِعْلٍ، وتدل على أن أحدًا لا يؤخذ بذنب غيره، وتدل أن العبد فاعله، فيبطل قول المجبرة في جواز الابتداء بالعقاب، ومسألة الأطفال، ومسألة المخلوق، وتدل على أنه كَلَّفَهُمْ لتظهر أعمالهم، فيجازي كُلاًّ[1] بعمله، فيثيب المؤمن، ويعاقب الكفار والعصاة.

---

(١) كلاً: كل، أ، ش، ض.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

وهي مكية عن الأصم، وذكر أن فيه إجماعًا، وقيل: هي مكية إلا قوله «**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**» إلى قوله: «**بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» فإنها نزلت بالمدينة عن قتادة، وهي مائتان وست آيات في الكوفي والحجازي، وعشر في البصري والشامي.

وروى أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين النار سترًا وكان آدم شفيعًا له يوم القيامة».

وقيل: لما ختم السورة بالرحمة بَيَّنَ أن مِنْ رحمته أنه أنزل كتابًا فيه معالم الدين.

وقيل: إنه لما قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢] اتصل به: «**كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ**».

وقيل: لما ختم السورة بالوعد والوعيد افتتح هذه السورة بذكر مَنْ أهلك من الأمم تسلية للنبي ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر «**قليلا ما تذكرون**» بالياء والتاء، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء، وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالتاء وتشديد الذال[1]، فالتخفيف على التاء الثانية، والتشديد على الإدغام، والقراء كلهم قَرَأُوا «**ولا تتبعوا**» بالعين غير معجمة من الاتباع، وعن مالك بن دينار «**ولا تبتغوا**» بالغين المعجمة من الابتغاء، وهو الطلب أي: لا تطلبوا.

۞ اللغة

الحرج: الضيق وهو الأصل، والحرج: الإثم. والإنذار: الإعلام بموضع المخافة لِيُتَّقَى، ومنه النذير. وَالاتِّباع: اقتداء الثاني بالأول في التصرف، فيتصرف بتصرفه، ويتدبر بتدبره. ويقال: ذكرت الشيء بلساني وذكرته بقلبي، فإذا أضيف إلى اللسان فهو قول، وإذا أضيف إلى القلب فهو الحفظ، وتذكرت: أخذت في الذكر شيئًا بعد شيء كقوله: تعلم وتفقه، وهذا هو الأصل في «تَفَعَّلَ».

۞ الإعراب

يقال: لم بنى «**المص**» على السكون في الوصل، مع أن قبلها ساكنا؟

قلنا: لأن حروف الهجاء توصل على نية الوقف؛ لأنها تجري على تفصيل الحروف؛ للفرق بينها وبين ما يوصل[2] للمعاني، وأدغمت الميم التي في اللام في ميم بعدها، وجزمت الصاد، وهذه الحروف مجزومة أبدًا، إلا أنها حروف هجاء، فإن عَطَفْتَ بالواو نونتها وأعربتها، تقول: ألفٌ ولام وميم وصاد.

يقال: ما موضع «**المص**» من الإعراب؟

قلنا: فيه أقوال:

---

(١) حجة القراءات ٢٧٩.

(٢) يوصل: يوصي، أ، ش، ض، د.

الأول: الابتداء وخبره «**كتاب**».

الثاني: رفع لأنه خبر الابتداء على تقدير هذه (المص)، في معنى قول الفراء.

الثالث: لا موضع له لأنه في موضع جملة كما روي عن ابن عباس«أنا الله أعلم وأَفْصِل»، عن الزجاج، وعلى هذين الوجهين «**كتاب**» رفع؛ لأنه ابتداء.

ويقال: ما العامل في قوله: «**كتاب**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: هذا كتاب فحذف؛ لأنها حال إشارة وتنبيه.

الثاني: «**المص كتاب**».

ويقال: ما معنى الفاء في قوله: «**فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ**»؟

قلنا: يكون[1] محمولاً على معنى (إذًا).

ويقال: ما موضع «**وذكرى**».

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: نصب على أنه أنزل للإنذار وذكرى، كما تقول: جئتك للإحسان وشوقًا إليك، وقيل: نصب على المصدر أي: ويذكر[2] ذكرى.

الثاني: رفع على تقدير: وهو ذكرى، وقيل: مردود على الكتاب.

الثالث: قال الزجاج: ويجوز فيه الجر؛ لأن المعنى: لِأَنْ تنذر وذكرى، قال علي بن عيسى: في هذا الوجه ضعف.

النظم

يقال: بأي شيء يتصل قوله: «**لتنذر**»؟

(١) قلنا يكون: فيكون، أ، ش، ض.
(٢) ويذكر: يتذكر، أ، ش، ض.

قلنا: فيه وجهان:

الأول: على التقديم والتأخير، تقديره: كتاب أنزلناه إليك لتنذر به، فلا يكن في صدرك حرج، عن الفراء والزجاج وأكثر أهل العلم.

الثاني: فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به على انشراح الصدر بالإنذار، فلما أمره بالإنذار، بالقرآن أمر جميع المكلفين باتباعه، عن قطرب.

۞ المعنى

«**المص**» فيه أقوال: قيل: اسم للسورة ومفتاح لها، عن الحسن وقتادة وأبي علي، وقال مجاهد: فواتح افتتح بها كتابه، وقيل: إنه كناية[1] عن حروف الهجاء، إشارة إلى أن القرآن مركب من هذه الحروف وبها يتكلمون، وقد عجزتم عن الإتيان بمثلها؛ لتعلموا أنها معجزة، وأنه كلام الله تعالى، عن أبي مسلم، وقيل: إنها إشارة إلى أن كلامه من هذه الحروف، وهي محدثة، فوجب أن كلامه محدث[2]، وقيل: لما قال المشركون: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [فصلت:٢٦] ذكر ـ تعالى ـ هذه الحروف في أوائل السورة، ولم يكونوا سمعوا بجنسها فاستمعوا فتعقبه بما[3] هو حجة عليهم وما هو قرآن، عن قطرب والأصم، وقيل: إنه سر الله في كتابه لا يعرف معناه وهذا [لا] شيء لوجوه:

منها: أنه ـ تعالى ـ خاطب للتفهيم، فلا يجوز أن يخاطب بما لا يُفهم معناه.

ومنها: أن الصحابة تكلموا في معنى الحروف من غير نكير، وكذلك التابعون.

ومنها: أنه لا يخلو إما أن يكون لها معنى أو لا معنى لها، فإن كان لها معنى صح أن يُعلمه، وإن لم يكن فذكره لغو.

وقيل: إنه مفاتيح أسماء الله تعالى، ثم اختلفوا، فقال ابن عباس: معناه: أنا الله

---

(١) كناية: كتابه.، أ، ش، ض.

(٢) محدث: محدثًا، أ، ش، ض.

(٣) فتعقبه بما: فيتعقبه ما، أ.

أفضل، وعن السدي: أنا المصور، وعن سعيد بن جبير: أنا الله الصادق. عن ابن عباس أنها اختصار من كلامي فهمه النبي ﷺ كقول الشاعر:

قُـلـتُ لَـهَـا قِـفـي لَـنَـا قَـالَـت قَـافِ

يعني: وقفت، وعن محمد بن كعب: الألف افتتاح أسمائه[١] : أحد أول آخر، واللام افتتاح اسمه لطيف، والميم افتتاح اسمه مجيد، والصاد افتتاح أسمائه «صمد صادق صانع»، هذا «**كِتَابٌ**» وهو القرآن «**أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ**» قيل: ضيق عن الحسن وابي العالية يعني لاتتعرض لضيق الصدر منه، وقيل: شك، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي يعني لا تشكفي ما يلزمك؛ لأنه أنزل الكتاب لتبيينه، وقيل: لايضيقن[٢] صدرك في تأديته[٣] وإبلاغه، فالله يعصمك من الناس، وقيل: لا يَضِقْ صدرك بتكذيبهم إياك، فإن الله يجازيهم، والمؤمن لا يضيق صدره بالقرآن لكن يضيق صدره بأن يكذب رسول الله مع جلالته، ويُرَدَّ كتاب مثل القرآن «**لِتُنذِرَ بِهِ**» أي: لتخوف بوعده وقوارعه وأمثاله وأمره ونهيه «**وَذِكْرَى**» أي: موعظة لهم ليتذكروا ما فيه من العبر، وقيل: ليتذكروا ما فيه من العمل، وخص المؤمنين لأنهم ينتفعون به، وإن كان ذكرى لجميع المكلفين «**اتَّبِعُوا**» قيل في الكلام حذف يعني: قل لهم: اتبعوا، وقيل: لا حذف فيه، ولكنه خطاب له ولسائر المكلفين باتباع القرآن، واتباعه الإيمان به، والعمل بما فيه «**مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**» يعني القرآن «**وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ**»؛ لأن مَن لم يتبع القرآن صار متبعا لغير الله من المعبودين كالأصنام وغيرهما، فأمر باتباع القرآن، ونهى عن اتباع الأصنام ليعلم أن اتباع القرآن اتباع الله ـ تعالى ـ «**أَوْلِيَاءَ**» قيل: أنصارًا على معنى يرجون منهم النصرة، وهي الأصنام، وإن كانوا لا يَنْصُرُون، وقيل: آلهة، وقيل المراد رؤساؤهم «**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**» أي: ما أقل تذكرهم، وقيل: قليل منهم من يتذكر.

---

(١) أسمائه: اسمه، أ، ش، ض.

(٢) يضيقن: يضيق، أ، ش.

(٣) في تأديته: بتأديته، أ، ض.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن القرآن منزل فيدل على حدثه، فيبطل قول من يقول: إنه ليس بمنزل؛ لأنه كلامه ﷺ وهم الباطنية، ويبطل قول من يقول بقدمه، ويدل على أنه أنزله لينذر، فيدل على كونه هدى ودلالة، وأنه يعلم معناه، ويلزمه التدبر[١] فيه، ويدل على أنه ﷺ يلزمه الإبلاغ والصبر عليه، فيدل على أنه لا يكتم شيئًا خلاف ما تقوله الرافضة، وتدل على وجوب اتباعه، فيدل على أنه حجة، وتدل على أن اتباعه اتباع الله تعالى، واتباعه يقتضي امتثاله على الوجه الذي يقتضيه من وجوب اتباعه، ويدل أنه[٢] حجة من وجوب أو ندب أو إباحة.

ويقال: لم عد «**المص**» ولم يعد قاف وصاد؟

قلنا: لأنه بمنزلة الجملة مع أن آخره ثلاثة أحرف بمنزلة المردف، فلما اجتمع فيه هذان السببان، وكل واحد يقتضي عده عد، ولم يعد «**المر**»؛ لأن آخره لم يشبه المردف، ولم يعد صاد وقاف؛ لأنه بمنزلة الاسم المفرد، عن علي بن عيسى.

قوله تعالى:

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

۞ اللغة

القَيْلُ: نوم نصف النهار، ومنه: القيلولة، وأصله الراحة، وأَقَلْتُهُ البيع: أرحته منه، وقِلْتُ: استرحت إلى النوم في وقت القائلة، قال، يَقِيلُ، قيلولة، وقَيْلاً، ومَقِيلاً، وقايلة، قال الكسائي: القائلة: الاسم. والتبييت: أن يأتي العدو ليلاً، يقال: بيَّتُّ القوم تبييتًا: أتيتهم ليلاً، وبات بياتًا، وبيت الرجل الأمر إذا دبره ليلاً، والبيات

---

(١) ويلزمه التدبر: ويلزم التدبير، ش، ض.
(٢) ويدل أنه: وتدل أنها، أ.

والتبييت بمعنى، وبات يفعل إذا فعله ليلاً. والدعاء والدعوى: أصله الطلب، غير أن في الدعوى اشتراكًا بين الدعاء والادعاء بالمال، ونحوه. والبأس: شدة العذاب، ومنه: البؤس شدة الفقر، وبئس من شدة الفساد الذي يوجب الذم.

۞ الإعراب

(وكم) موضعه رفع بالابتداء، وخبره في (أهلكنا) وقيل: نصب برجوع الهاء في (فجاءها) إليه. و(كم) للتكثير، و(رب) للتقليل.

ويقال: ما معنى (أو) في قوله: «**أو هم قائلون**» ؟

قلنا: قيل: الواو مضمر [فيه] ومعناه أو وهم قائلون، يعني منها ما أهلكت ليلاً، ومنها ما أهلكت نهارًا، وإنما حذفت الواو استثقالاً لنسق على نسق عن الفراء، وقيل: معنى (أو) التخيير والإباحة تقديره: جاءهم بأسنا مرة ليلاً ومرة نهارًا، فاستغنى بـ (أو) عن الواو عن الزجاج، وأنكر قول الفراء.

ويقال: لم دخل الفاء في «**فجاءها بأسنا**» ؟

قلنا: فيه أربعة أقوال:

أولها: أهلكناها في حكمنا، فجاءها بأسنا.

وثانيها: أهلكناها بإرسال الملائكة للعذاب فجاءها العذاب بياتًا.

الثالث: أن الفاء بمعنى الواو، كقولك: زرته فأكرمته.

الرابع: أهلكناها، فصح أنه جاءها بأسنا

(بياتًا) نصب على المصدر.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: «**وكم أهلكنا**» بما قبله؟

قلنا: يتصل بما قبله من الإنذار الذي أمر الله رسوله به، وأنزل الكتاب له، وهو سوء العاقبة، كأنه قيل: اتبعوا القرآن واحذروا مخالفته [لئلا] ينزل بكم ما نزل

بأولئك، عن ابي مسلم، ويحتمل لينذرهم ما نزل بأولئك أن ينزل بهم، وقيل: يتصل بقوله: «**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**» يعني ما أقل تذكركم، ووعظ الله بما نزل بمن قبلكم من العذاب، وأخذهم في حال أمن.

۞ المعنى

«**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ**» أي: من أهل قرية، عن ابي علي، وقيل: أراد بالقرية القرية وما فيها «**أَهْلَكْنَاهَا**» قيل بعذاب الاستئصال «**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا**» أي: عذابنا، واختلفوا في الهلاك والبأس قيل: هما نوعان من العذاب، وقيل هما واحد، ثم اختلفوا فقيل: حكمنا عليهم بالهلاك فجاءهم بأسنا، وقيل: فجاءهم بأسنا: تفصيل العذاب، وقيل: أهلكناها، وجاءها بأسنا، وقيل: أهلكنا بإرسال الملائكة، فجاءهم العذاب «**بَيَاتًا**» أي: ليلاً «**أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**» أي: في وقت القائلة، وهو نصف النهار، عن الحسن، وإنما خص الوقتين لأنه وقت راحة، فالأخذ بالشدة فيه أعظم في العقوبة «**فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ**» أي: دعاءهم. وقيل: من كان دعواهم المذاهب الفاسدة «**إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا**» أي: عذابنا «**إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**» على أنفسنا بما اعتقدنا من المذاهب الفاسدة، وما عملنا من الأعمال القبيحة، وقيل: ظلمنا المسلمين في بعضهم بالباطل، وغصب أموالهم وسيء القول فيهم، وإنما قالوا هذا حال معاينة البأس، والعلم بأنه نازل بهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على التحذير من تكذيب الله ورسوله وأن[1] ينزل بهم [ما نزل] بأولئك القوم في وقت الأمن والراحة، وهو الليل كما فعل بقوم لوط، وفي وقت القائلة كما نزل بقوم شعيب، فإنه أتاهم نار شديدة في وقت القائلة، فأهلكتهم.

وتدل على أن الظلم فعلهم لذلك اعترفوا به عند معاينة البأس، فيبطل مذهب المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

وتدل على أن الاعتراف والتوبة عند المعاينة لا تنفع.

---

(١) أن: وأن، أ.

قوله تعالى:

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

اللغة

السؤال: طلب الجواب بأداته في الكلام، كما أن الاستخبار طلب الخبر بأداته في الكلام، سألت الشيء سؤالاً ومسألة، ورجل سُؤَلَةٌ: كثير السؤال. والقصة: جمعها[1] القصص، وهو ما يتلو بعضه بعضًا، ومنه: القصاص لأنه يتلو الجناية في الاستحقاق، ومنه: اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، واقتصصت الأثر: إذا اتبعته. والغائب: البعيد عن حضرة الشيء، والغيب: كل ما غاب عنك. والوزن: مقابلة أحد الشيئين بالآخر ليظهر مقداره منه، وهذا هو الأصل في الباب، ثم يستعمل في أشياء: منها: وزن الشعر بالعروض، ووزن فلان كلامه وزنًا، ويقال: وزنت الشيء وزنًا، والزنة: قدر الموزون، والثقل: نقيض الخفة، والثقيل: نقيض الخفيف، وحقيقة الثقل: هو الاعتماد اللازم السفلي، وهو معنى في الثقيل غيره، عند أبي هاشم، وقال أبو علي: إنه يرجع إلى أجزاء الثقيل، واتفقوا أن الخفة ليست معنى، وأنه عدم الثقل. والخسران: ذهاب رأس المال.

الإعراب

يقال: أي فاء في قوله: «**فلنسألن**»؟

قلنا: فاء عطف جملة على جملة، والفاء قد تكون لهذا، وقد تكون لعطف مفرد على مفرد، وقد تكون للجواب.

ويقال: ما اللام في قوله: «**فلنسألن**» «**فلنقصن**»؟ وما النون؟

(١) جمعها: جمع، أ، د.

قلنا: اللام لام القسم، والنون نون التأكيد، وإنما لزم نون التأكيد القسم دون غيرها مما تدخل فيه للاجتماع بسببين:

أحدهما: أنه طلب للتصديق.

والثاني: أنه موضع تأكيد لدخول القسم، وإنما دخلت نون التأكيد مع لام القسم في المستقبل دون الماضي؛ لأنها تؤذن بطلب الفعل، وذلك يكون في المستقبل، وإنما فتحت هذه النون ما قبلها في جمع المتكلم ولم تفتحه في جمع الغائب؛ لأن الضمة يجب أن تبقى لتدل على الواو المحذوفة في (ليقصن) بالياء، وليس كذلك المتكلم؛ لأنه لا واو فيه، وقوله: «**يومئذ الحق**» يجوز فيه الرفع والنصب، أما الرفع فعلى خبر الوزن، وأما النصب فعلى المصدر، والخبر يومئذ، عن الفراء.

ويقال: ما أصل ميزان؟

قلنا: مِوْزَان من الوزن، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، فأما في (جوَاز) فلم تقلب؛ لأن الواو متحركة، مع أنها لم تَجْرِ على فعل لها.

المعنى

لما أنذرهم بعذاب الاستئصال عقبه بالإنذار بعذاب الآخرة فقال تعالى: «**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ**» أقسم الله ـ تعالى ـ أنه يسأل الخلق كلهم، الذين أرسل إليهم الأمم، والمرسلون[1]: الأنبياء، قيل يسأل الأمم ما أجبتم المرسلين، وما فعلتم فيما جاء به الرسل من الأوامر والنواهي، ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤوا به وما بلغوه، وقيل: يسأل الأمم عن الإجابة والرسل عن التبليغ، وقيل: سؤال الأمم سؤال توبيخ، وسؤال الرسل سؤال شهادة على الخلق، عن الحسن، وقيل: سؤال الأمم سؤال توبيخ، وسؤال الرسل سؤال إكرام وإعزاز.

وفائدة السؤال أشياء:

منها: ليعلم الخلق أنه ـ تعالى ـ أرسل الرسل، وأزاح العلل، وأنه لا يظلم أحدًا.

(١) والمرسلون: المرسلين، أ، ش.

ومنها: أن الأنبياء بلغوا وأدوا ولم يقصروا.

ومنها: يعلم أن الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم.

ومنها: ما يزداد أهل الإيمان سرورًا بالثناء الجميل عليهم، ويزداد غم الكفار وحسرتهم بما ظهر من أفعالهم القبيحة.

ومنها: كونه لطفًا لنا إذْ[1] أخبرنا به.

ومتى قيل: أليس قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] فكيف تليق هذه الآيات؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: لا نسأل سؤال استعلام، ولكن سؤال تقريع وتبكيت، لذلك عقبه ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقيل: إنهم يُسْألون، ثم تنقطع المسألة عند قرارهم في الدارين، فالسؤال يكون في القيامة.

وقيل: معناه لا يسأل عن ذنب مذنب إنس ولا جان، ولكن يسأل كل مذنب عن ذنبه.

وقيل: في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل، وفي بعضها لا يسأل، ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أنه يسألهم لا لاستفادة علم ولا لخفاء شيء عليه؛ لأنه عالم بتفاصيل ذلك لم يزل ولا يزال، وأنه يخبرهم فقال سبحانه: «**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ**» أي: نخبرهم بجميع أفعالهم؛ ليعلموا أن أعمالهم كانت محفوظة، وليعرف كل أحد جزاء عمله، وأنه لا ظلم عليه وليظهر لأهل الموقف أحوال الخلق، وإنما ذكر لنسألن بلفظ الجمع على ما جرت به العادة من كلام العظماء، وروي عن النبي ﷺ أنه ـ تعالى ـ يسأل كل أحد بكلام له ليس بينه وبينه ترجمان، فيقول له: أتذكر يوم فعلت كذا وكذا حتى يذكره جميع ما فعل في الدنيا، وقيل: الملائكة تقصه عليهم بأمره تعالى، قال ابن عباس:

(١) إذ: إذا، أ، ش.

تقص عليه بما تجده في كتاب عمله «**بِعِلْم**» قيل نقص بأنا عالمون، وقيل: بمعلوم كقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: معلومه «**وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**» عن الخلق، وقيل: من علم ذلك، وقيل: عن الرسل فيما بلغوا والأمم فيما أجابوا، وذكر ذلك مؤكدًا لعلمه بأحوالهم.

«**وَالْوَزْنُ**» فيه أقوال:

أولها: أن الوزن معناه العدل، والمراد أن القضاء يومئذ بالعدل وليس ثَمَّ ميزان، عن مجاهد والضحاك.

وثانيها: يوزن بميزان له كفتان ولسان، فتوزن الحسنات والسيئات، عن ابن عباس وابن مسعود وسلمان والحسن وأبي علي وأكثر أهل العلم، واختلفوا في ما يوزن به؛ لأن الأعمال، أعراض عدمت لا يجوز عليها الإعادة ولا لها وزن، ولا تقوم بنفسها، فقيل: توزن صحائف الأعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة، وقيل: تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس، عن أبي علي، وقيل: يظهر نور وظلمة، وقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة قبيحة، عن ابن عباس.

الثالث: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥] فالمعنى من أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه يعني يعظم قدره فقد أفلح، ومن أتى بالعمل السيئ الذي لا وزن له ولا قيمة، فقد خسروا أنفسهم، عن أبي مسلم.

الرابع: يوزن الإنسان، عن عبيد بن عمير، وروي نحوه عن سلمان، فأما من أثبت ميزانًا له لسان وكفت انك موازين الدنيا اختلفوا فقيل: لجميع الخلق ميزان واحد، وقيل: بل هناك موازين، وقيل: صاحب الميزان جبريل، عن حذيفة.

ومتى قيل: ما فائدة الموازين مع أنه ـ تعالى ـ عالم بها، وهي مكتوبة محفوظة؟

فجوابنا: فيه فوائد جمة:

منها: أنه لطف للخلق إذا أخبرهم بذلك.

ومنها: ليعلم أنه ـ تعالى ـ لا يضيع شيئًا، وإن كان مثقال ذرة، فيجازي كل أحد على فعله.

ومنها: ليعلم أنه ـ تعالى ـ لا يظلم أحدًا بنقصان ثوابه ولا بزيادة عقابه على المستحق.

ومنها: ليعلم ما انحبط من أعماله.

ومنها: ليظهر الولي من العدو والمثاب من المعاقب.

«**يَوْمَئِذٍ**» يعني يوم القيامة «**الْحَقُّ**» يعني بوزن الحق، ثم يجازي كل أحد بعمله لا يُبخَس محسن من إحسانه ولا يزاد مسيء في عقوبته «**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**» بالحسنات «**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» الظافرون بدخولهم الجنة «**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**» بالسيئات «**فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ**» فكأنهم خسروها، وقيل: خسروا منافع أنفسهم أبدًا، وقيل: خسر منزله في الجنة لو آمن وعمل لله «**بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا**» بحججنا «**يَظْلِمُونَ**» قيل: يجحدون، وقيل: يظلمون الآيات بالتكذيب والرد، وقيل: ظلم نفسه بالتكذيب بآيات الله.

الأحكام

تدل الآيات على أنه ـ تعالى ـ يسأل كل مكلف عن عمله.

قال أبو علي: وتدل على أنه يحاسب الكل، في بطل قول من يقول: المحاسبة إنما تكون في الذين يخلطون العمل الصالح بالسيء.

وتدل على بطلان قول المشبهة؛ لأنه لوكان على العرش لكان غائبًا عن الخلق.

وتدل على إثبات الموازين، وإذا ورد القرآن بالميزان وله حقيقة، وورد بالموازين وهو جمع فلا مانع من حمله على ظاهره مع أن أكثر العلماء عليه فلا معنى لإنكاره، ولا شبهة أن الأعمال لا يصح أن توزن فلا بد من حمله على أحد الوجوه التي ذكرنا.

وتدل على بطلان قول المجبرة في المخلوق؛ لأن أفعال العباد لو كانت مخلوقة

له ـ تعالى ـ لم يكن للسؤال والوزن والحساب والإشهاد معنى وفائدة، ولو جاز أن يعاقب ابتداء لم يكن في ذلك فائدة.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

القراءة

أجمع القراء على «**معايش**» بغير همز إلا ما روى خارجة[1] عن نافع أنه همزها، وعن الأعرج أيضا بالهمز. قال مجاهد[2] : وهذا غلط على نافع، وأهل العربية والقراء قالوا: إن الهمز فيه لحن؛ لأن الياء فيها عين الفعل أصلية، ولم تعرض فيها علة، كما عرضت في أوائل الكلمة، وإنما يهمز ما كان على «فعائل» إذا كانت الياء زائدة «كقبائل وكتائب»، وكذلك الواو، ولا يهمز ما كان أصليًا» كمصايب» وإنما أهمز في الزائد؛ فصلاً بينه وبين الأصلي، ومنهم من يقول: للهمز وجه على بُعْد وهو أنه مشتبه «بأوائل وبفعائل» إذا كانت الياء زائدة، وقد همز بعضهم «مصائب»، وإنما قلنا: إن الياء فيها أصلية؛ لأنك تقول: عاش يعيش بالياء، وتقول في فرائض: فرض يفرض فليس فيها ياء.

اللغة

التمكين: إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المانع[3]، قال ابن عرفة: التمكين زوال الموانع، مكنه تمكينًا. والمعايش: جمعم عيشة، وأصله من العيش، وهو

(١) خارجة: خاجة، أ، ش.
(٢) مجاهد: ابن مجاهد، أ، د.
(٣) المانع: المنع، أ، د.

الحياة، والمعيشة والعيش واحد، وهو ما يعيش به من الزرع والضرع وغيره. والخلق: إحداث الشيء على تقديره، وأصله التقدير، وقيل: الخلق ما يوجد هم خترعًا. والتصوير: جعل الشيء على صورة، والصورة بنية على هيئة ظاهرة. والسجود: أصله الانخفاض، وهو في الشرع: وضع الجبهة على الأرض قال الشاعر:

تَرَى الأُكم فيها سُجُدا للحوافِرِ[1]

الإعراب

«**قليلاً**»: نصب بوقوع (يشكرون) عليه، و(ما) صلة، وقيل تقديره: ما يشكرون قليلاً ولا كثيرًا، فلا يكون على هذا (ما) صلة، وقيل: تقديره: قليلاً شكركم.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: تذكير للنعم بالتمكين في الأرض، وما خلق فيها من الأرزاق مضافًا إلى نعمه بإنزال الكتب وإرسال الرسل، ثم عقب ما أنعم علينا بنعمه على آدم إذ كان أبًا لنا.

ويقال: إذا كان (ثم) للتراخي كيف يصح نظم الآية مع أن الأمر بالسجود قبل خلقنا وتصويرنا؟

قلنا: فيه سبعة أقاويل:

أولها: معنى خلقناكم خلقنا أباكم آدم، وصورناكم أي: صورنا أباكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، عن أبي علي والحسن ويونس النحوي، وهذا كما يُذْكر المخاطَب ويراد سلفه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣] أي: ميثاق أسلافهم يعني أسلاف بني إسرائيل زمن موسى، ومثل هذا يكثر في كلامهم، قال الزجاج: ابتدأنا خلقكم خلق آدم.

(١) لزيد الخيل الطائي، وتمامه:

بِجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراته تَرَى الأُكم فيها سُجُدا للحوافِرِ

انظره في الصحاح (سجد)، واللسان (سجد).

الثاني: خلقنا آدم، ثم صورناكم في ظهره، عن مجاهد والربيع وقتادة والضحاك والسدي، وهذا شيء لم يثبت.

الثالث: تقديره: خلقناكم ثم صورناكم، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، كما تقول: إني داخل ثم إني معجل.

الرابع: قال الأخفش: (ثم) ههنا بمعنى الواو، وقال الزجاج: هو خطأ عند جميع النحويين، قال الشاعر رواه الأخفش:

سَأَلَتْ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا فَقَالُوا لِمَهْ[1]

فقيل في البيت: لتخبر أولاً عن الأب، ثم عن الأم، وقيل: ثم بمعنى الواو.

الخامس: أنه على تقدير محذوف أي: خلقناكم كما خلقنا آدم، وصورناكم كما صورنا آدم، فلما صورنا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، حكاه الشيخ أبوحامد، وفيه بُعْدٌ.

السادس: قيل: يعني آدم وجميع أولاده، ثم خصهم بالذكر في أمر السجود، عن الأصم.

السابع: قيل: إنه عطف خبرًا على خبر، لا مخبرًا على مخبر، كقول الشاعر:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَاد أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ[2]

والأوجه فيه ما قاله شيخنا أبو علي ـ رحمه الله ـ.

المعنى

«**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ**» أي: ملكناكم وأوطأنا لكم، وجعلناها لكم قرارًا، «**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا**» في الأرض «**مَعَايِشَ**» يعني ما تعيشون به من أنواع الرزق من الحبوب والثمار ووجوه النعم والمنافع، وقيل: معايش: مكاسب، وإقداره إياهم عليها[3] بالعلم والقدرة والآلات «**قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**» يعني أنعمنا بهذه النعم لتشكروا،

(١) للأقيشر الأسدي، انظره في الأغاني ١١/٢٦٨.
(٢) أنظر ديوان أبي نواس.
(٣) عليها: عليه، أ، ش، ك.

وقد قل شكركم، يعني قليلاً ما شكرتم، عن ابي علي، وقيل: قليلاً منكم من يشكر،عن الأصموابي مسلم، وذكر أبو مسلم الوجهين، «**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ**» قيل: خلقنا آدم وصورناه، وقيل أولاده المخاطبين، وقيل: خلقنا آدم ثم صورنا ذريته، عن الضحاك وقتادة والسدي، وقيل: خلقنا أصلكم آدم ثم صورناكم في أرحام النساء، عن عكرمة، وقيل: خلقناكم في الرحم «**ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**» بشق السمع والبصر وسائر الأعضاء عن يمان «**ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ**» مَنَّ ـ تعالى ـ على خلقه بثلاثة أشياء: بأن خلقهم ثم صورهم، وبأن جعلهم من ذرية مَنْ أَمَرَ الملائكة بالسجود له «**اسْجُدُوا لآدَمَ**» قيل: هو ضرب من الخضوع دون السجود، وقيل: هو تكرمة لآدم عبادة لله، عن ابي بكرأحمد بن علي، وقيل: هو قبلة للسجود كالكعبة، ومزية لآدم، وقيل: هي سجدة التحية لآدم لا سجدة العبادة «**فَسَجَدُوا**» يعني الملائكة «**إِلاَّ إِبْلِيسَ**» كان مأمورًا مع الملائكة بالسجود ولم يكن منهم، وهذا الاستثناء استثناء من غير الجنس، ومثله كثير في كلام العرب، ونطق به القرآن قال الشاعر:

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلالاً أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبِعْ مِنْ أَحَدِ[1]

وليس هي من جنس أحد. وقال آخر:

وَبَلْدةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ إِلاَّ الْيَعَافِيرُ وإلا الْعِيسُ

وذلك ليس من جنس الأنيس لكن لما كان نصًا في الربع ذكرها كما ذكر إبليس مع الملائكة لما كان مأمورًا معهم، وإن لم يكن منهم «**لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**» أي: لم يسجد مع من سجد من الملائكة.

الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمته ـ تعالى ـ بالتمكين في الأرض، وبخلقه، وجعله ساكنًا، وما يخرج منه من الأرزاق.

وتدل على وجوب الشكر على هذه النعم.

(١) للنابغة. انظره في الصحاح (أصل)، واللسان (أصل).

وتدل على نعمته بالخلق والتصوير إذ خلقهما على أحسن صورة، وهذا وإن كان مؤخرًا فهو مقدم، وتقديره: خلقكم وصوركم، ومكنكم في الأرض ورزقكم من الطيبات، وما تعيشون به.

وتدل على عظيم رتبة آدم إذ أسجد له ملائكته، ورتبة لأولاده بكونهم من ذريته، وفيه تنبيه على أن لأولاد الرسول ﷺ فضيلة لكونهم من أولاده على ما يذهب إليه مشايخنا الزيدية.

وتدل على أن إبليس كان مأمورًا بالسجود، وتدل على أن السجود فعلهم لذلك مدح على فعله، وذم على تركه، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

اللغة

الهبوط: الانحدار إلى جهة السفل، ومنه: هَبَطَ المرضُ لَحْمَ العليل. والتكبر: إظهار كبره، فهو ذم في صفة العباد. والصاغر: الذليل لصغر القدر، صَغُرَ صَغَرًا وصغارًا، وتصاغرت إليه نفسه ذلاً ومهانة، والأصل: الصغر.

الإعراب

قوله: «**ما منعك ألا تسجد**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن تكون (لا) صلة مؤكدة قال الشاعر:

أَبى جُودُهُ لا البُخْلَ واسْتَعْجَلَتْ بِهِ ... نَعَمْ مِنْ فَتىً لاَ يَمْنَعُ الجودَ نَاهِلُهْ[1]

أي: أبى جوده البخل، وفي البيت وجوه غير هذا.

---

(١) انظره في اللسان (لا)، وتهذيب اللغة (لا)، والمحكم (نعم).

الثاني: أنه دخله معنى ما دعاك إلى ألا تسجد.

الثالث: ما ألجأك إلى أن لا تسجد، أو ما أحوجك.

وقال الفراء: لما تقدم الجحد في أول الكلام أكد بهذا كما قال الشاعر:

مَـا إِنْ رَأَيْـنَـا مِـثْـلَـهُـنَّ لِـمَـعْـشَـرٍ سُـودِ الـرؤوسِ فَـوالـجٌ وفُـيُـولُ[1]

وقيل: تقديره: من قال لك ألا تسجد؟

ويقال: ما موضع (ما) من الإعراب؟

قلنا: رفع على تقدير: أي شيء منعك من السجود، و(أن) في موضع نصب بوقوع المنع عليهما، و(ما) في قوله: «**فَمَا يَكُونُ**» في موضع رفع أي: فما يكون لك التكبر فيها.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ قصة إبليس لما أمر بالسجود لآدم، فقال سبحانه: «**قَالَ**» قيل: قاله على لسان بعض ملائكته، عن ابي علي، وقيل: بلقالهالله ـ تعالى ـ ودلال معجز أنه كلامه «**مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ**» أي: ما دعاك ألا تسجد، وليس المراد المنع؛ لأنه لم يكن ممنوعًا من السجود إذ لو كان ممنوعا لما أمر به، فالمراد ما صرفك؛ لأن الصارف كالمانع كما أن الداعي إلى الشيء بمنزلة الحامل عليه «**إِذْ أَمَرْتُكَ**» بالسجود له، «**قَالَ**» إبليس مجيبًا «**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**» يعني من آدم «**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ**»، وخلقت آدم من طين، فلما كان النار خيرًا من الطين كنت خيرًا من آدم، فلا أسجد له.

قد أخطأ إبليس في هذا من وجوه:

منها: أنه اعتقد أن أمر الله ـ تعالى ـ إياه بالسجود لآدم خطأ، فكفر به.

ومنها: أنه لم يعلم أن هذا الأمر ليس أمرا بعبادته؛ لأن عبادة غير الله كفر كمن يقول: لا أصلي إلى الكعبة؛ لأنه حجر.

---

(١) انظره في معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٦.

ومنها: أنه ظن المفاضلة بالخلقة، وهو جهل؛ لأن المفاضلة بالأعمال، ولا معتبر بأصل الخلقة.

ومنها: أنه ظن التفاوت بين الأرض والنار، وفضل أحدهما على الآخر وجميعها جواهر من جنس واحد، وإنما اختلفت بالأعراض، فظن التفاوت فيما لا تفاوت فيه.

ومنها: أنه ظن أنه لا يجوز أن يسجد الأشرف للأدون، وهذا باطل لأنه استصلاح ولطف لا ثواب واستحقاق، ولا يعتبر فيه بأصل الخلقة.

ومنها: أنه اعتقد أن النار خير من الأرض، وهو خطأ؛ لأنه [إنْ] اعتبر كثرة المنافع، فالأرض أكثر منافع من النار؛ لأن النار مضيئة حارة، فيها منافع لكن الأرض مقر الخلق والنار وموضع العيون والزرع والضرع والأشجار والنبات والرياحين وأجناس المعادن وغير ذلك من المنافع التي يتعذر عدها، والنار لا ينتفع بها إلا في الأرض، والأرض ينتفع بها من دون النار.

ومنها: أن الملائكة خير منه سجدوا له بالأمر ولم يسجد تكبرًا وحسدًا، وهذا جهل.

ومنها: أن الفضل لا ينقص بائتمار أمر الله والسجود لآدم بل يزيد، وهو ظن خلاف ذلك.

ومنها: أنه رد أمر الله وهو رب الخلق.

ومتى قيل: فلماذا لم يجبه الله ـ تعالى ـ ولم يرد عليه؟

قلنا: رد عليه بأن لعنه وأوجب عليه العذاب، ولم يبين هذه الأجوبة تحقيرًا له؛ لأنه ليس كل سؤال يسوى الجواب؛ لأنه وكل ذلك إلينا حيث أظهر العداوة لنا [وإلى الملائكة] «**قَالَ**» الله عند ذلك لإبليس: «**فَاهْبِطْ مِنْهَا**» أي: انزل وانحدر منها قيل: من السماء، عن الحسن، وقيل: من الجنة، عن ابي علي، وقيل: من الدرجة الشريفة التي كانت له، عن ابي مسلم، وروي أنه كان رأس خزان الجنة، ومفاتيح الجنان بيده،

فأنزل عن تلك الدرجة «**فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ**» على آدم «**فِيهَا**» قيل: في الجنة، وقيل: في الحالة التي أمر بالسجود لآدم، وقيل في السماء، وقيل: إن التكبر مذموم في كل موضع لكن يمنع في الجنة فمنع منه وخرج(١)، وكذلك السماء لا يسكن السماء متكبر، ولا عاص «**فَاخْرُجْ**» قيل: من الجنة وقيل: من بين الملائكة، عن ابي مسلم، وقيل: من الأرض إلى جزائرالبحور، عن الكلبي، وقيل: من السماء، عن الأصم، قال: وكان يكون في السماء أحيانًا هو وولده لاستراق السمع حتى بعث النبي ﷺ فمنع منه بالشهب «**إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**» من الأذلاء يعني اخرج ذليلاً؛ لأنه أخرج مهانًا عقوبة له، وقيل: إنك ممن يبقى في الذل والصغار أبدًا، وقيل: أراد لَمِن المعذبين بالنار، عن أبي مسلم.

الأحكام

تدل الآية على أن إبليس كان يعرف الله ـ تعالى ـ لذلك أضاف الخلق إليه.

وتدل على أن أمر الله يقتضي الوجوب؛ لذلك قال: «**مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**»، خلاف قول ابي علي وأبي هاشم أنه على الندب، وخلاف من يقول بالوقف.

وتدل على أن إبليس استحق العقاب لَمَّا اعتقد وقال ما قال وأنه كفر به.

وتدل على أن الجنة منزهة عن كون أعداء الله فيها.

وتدل على أن الطرد والإبعاد من الذل والعقوبة.

وتدل على أن ترك السجود فعله لذلك استحق العقوبة، فبطل قول المجبرة في المخلوق(٢).

---

(١) فمنع منه وخرج: يمنع منه ويخرج، أ.

(٢) جاء في النسخة ك، ما لفظه: تم المجلد الثالث من التفسير ـ ويتلوه المجلد الرابع قوله تعالى: «قَالَ أَنظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنْ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» بعون الله ـ تعالى ـ وتيسيره ولطفه، فله الحمد كثيرًا، بتاريخ يوم الثلاثاء من شهر ذي الحجة آخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة بخط العبد الفقير إلى الله ـ تعالى ـ أبي القاسم عبد الحكيم البعداني غفر الله له ولوالديه، ولمن دعا له بالمغفرة آمين آمين يا رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

قوله تعالى:

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

اللغة

الإنظار: الإمهال إلى مدة يتمكن فيها النظر في الأمر، طال أم قصر، والإنظار والإمهال والتأخير نظائر، والنظرة: التأخير، ومنه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والبعث: أصله الانطلاق في الأمر، والانبعاث: الانطلاق، والبعث: الحشر.

والغواية: أصلها الهلاك، يقال: غوى هلك، وغوى خاب، قال الشاعر:

فمن يلق خيرًا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغَيِّ لائما

الإعراب

يقال: لم عمل (إن)وهي حرف؟

قلنا: لشبهها بالفعل الماضي من جهة أنها ثلاثة أحرف مفتوحة الأخير فهي بمنزلة (كان) إلا أنه خولف بعملها لأنها حرف، فتفتح الاسم وترفع الخبر بخلاف (كان).

ويقال: بم انتصب ﴿صِرَٰطَكَ﴾ ؟

قلنا: على تقدير محذوف أي على صراطك، كما يقال: ضرب زيد الظهر والبطن؛ أي على الظهر والبطن.

ويقال: لم دخلت (من) في الخلف والقدام و(عن) في اليمين والشمال؟

قلنا: لأن في الخلف والقدام معنى طلب النهاية، وفي اليمين والشمال الإعراب عن الجهة.

يقال: ما معنى «ما» في قوله: «**فبما نقضهم**» ؟

قلنا: فيه خلاف.

قلنا: هو استفهام تقديره: فبأي شيء أغويتني لأقعدن. وقيل: لأجل أنك أغويتني لأقعدنك، وقيل: (ما) المصدر في موضع القسم؛ أي: بإغوائك إياي لأقعدن، كقوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [يس:٢٧].

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما كان من إبليس عند طرده ولعنه، قال: ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس ﴿أَنظِرْنِىٓ﴾ أمهلني وأخرني، فلا تمتني. وقيل: أنظرني في الجزاء إلى يوم القيامة، لما خاف تعجيل العقوبة. وقيل: سأل الإنظار لا لصالح [الخلق]، ولكن لضلال الخلق ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل: يبعثون من قبورهم، وهو يوم القيامة.

ومتى قيل: ما وجه سؤاله مع أنه مطرود وملعون؟

فجوابنا: بإحسانه ـ تعالى ـ إلى خلقه من أطاع، ومن عصى، فلم يمنعه من السؤال ما ارتكب من المعصية.

﴿قَالَ﴾ يعني الله ـ تعالى ـ لإبليس ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ من المؤخرين.

ومتى قيل: هل حاطه بهذا؟

قلنا: يحتمل ذلك، ويحتمل أنه أمر بذلك فخاطبه به.

واختلفوا، فقيل: لم يُنْظَر إلى يوم القيامة ولكن إلى يوم الوقت المعلوم، وهو وقت الموت، عند السدي وجماعة. وقيل: الوقت المعلوم عند الله، لا عند إبليس. وقيل: بل أُنْظَرُ إلى يوم القيامة.

ومتى قيل: هل يجوز إجابة دعوى الكافر؟

قلنا: فيه خلاف.

الأول: قيل: لا، لأنه إكرام وتعظيم، عن ابي علي، ولذلك يقال: فلان مستجاب الدعوة، وأُنظر لا على سبيل إجابة دعائه لأنه ملعون، ولأنه لم يسأل على

وجه الخضوع. وقيل: سأله الإنظار إلى يوم القيامة فمنعه الله ـ تعالى ـ ذلك، وأنظره إلى الوقت المعلوم، ثم اختلفوا في الوقت المعلوم، فقيل: وقت موته، فعلى هذا الإنظار لأنه لم يوقت. وقيل: النفخة الأولى. وقيل: أنظر إلى وقت قيام الساعة، عن ابي علي.

الثاني: يجوز إجابة دعائه استصلاحًا لأنه تفضل، عن ابي بكر أحمد بن علي، وليس بالوجه.

ومتى قيل: إذا نظر هل يكون إغراء بالمعصية؟

قلنا: لا؛ لأنه لم يعلم الوقت المعلوم فلا يكون إغراء مع تجويزه هجوم الموت عليه، ولأنه يُقال: لما أعلمه أنه يدخله النار ولعنه علم أنه لا يختار الإيمان أبدًا.

ومتى قيل: ما فائدة إنظاره؟

قلنا: لطف؛ لأنه يمكنه من استدراك أمره، وهل يضل به أحد؟ قال أبو علي: لا، لقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣]، ولأنه لو ضل به أحدا كان بقاؤه مفسدة، وكان الله ـ تعالى ـ لا ينظره. فأما أبو هاشم فيجوز أن يضل به أحد، ويكون بمنزلة زيادة الشهوة، ويجوز أن يكون لطفًا لنا من وجوه:

أحدها: أن المكلف مع وسوسته إذا امتنع من القبيح كان ثوابه أكثر، ولأنه ـ تعالى ـ عرفنا عداوته، والعاقل يجتهد في أن يغيظ عدوه ويغمه، وذلك إنما يكون بطاعة ربه، ومن أطاعه فمن قبل نفسه أتى، لا من قبل ربه.

﴿قَالَ﴾ يعني إبليس ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ قيل: جنبتني من رحمتك وجنتك، والإغواء: التجنيب، عن ابي علي. وقيل: جعلتني في العذاب بمصيري إليه بحكمك. وقيل: حكمت بغوايتي كقولك: أضللتني؛ أي حكمت، أي بضلالتي، في معنى قول ابن عباس، وابن زيد. وقيل أغويتني: أهلكتني، ومنه: «فسوف يلقون غيا»، عن الأصم، يعني أمرتني بالسجود لآدم فدعاني بعد الأنفة إلى معصيتك، وقيل أغويتني: أي أضللتني عن الدين، وقيل: إن هذا لا يجوز؛ لأنه لو أراد ذلك لرد الله ـ تعالى ـ

عليه، وقيل: يجوز أن يكون هذا مذهب إبليس، كما أنه مذهب المجبرة، وقد رد الله عليه حين لعنه وأوجب له العذاب.

ويقال: ما معنى (الباء) في قوله: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ ؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: بمعنى (مع) أي: مع إغوائك إياي لأقعدن.

الثاني: بمعنى (اللام) أي: لأجل إغوائك إياي.

الثالث: بمعنى (القسم) كقولك: تالله لأفعلن، وليس إغواؤه سبيلا لإضلاله لأنه كان يضل ولم يكن ذلك.

﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ لأجلسن ﴿لَهُمۡ﴾ بمعنى لأولاد آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ طريقك المستوي، وهو طريق الحق، وهو الإسلام والدين. وقيل: معناه لا أفتر عن إفسادهم، فلذلك ذكر القعود. وقيل: أرصد الطريق، وأصرفهم عن النفوذ في طاعة الله.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: دنياهم وآخرتهم. وقيل: حسناتهم وسيئاتهم، عن ابن عباس وقتادة وإبراهيم والسدي وابن جريج. يعني زين لهم الدنيا وخوفهم بالفقر ويقول في آخرتهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وفي الحسنات يثبطهم عنها بالفراغ من التزين، ويزين لهم السيئات والشهوات.

الثاني: من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون، عن مجاهد.

الثالث: في كل جهة يمكن الاحتيال عليهم، عن ابي علي.

الرابع: في جميع متصرفاتهم، إن أقبلوا وإن أدبروا، أو أخذوا يمينًا أو شمالاً، عن ابي مسلم.

ولم يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم، ولم يذكر من تحتهم لأنها من مواضع الساجدين. وقيل: لأن متصرفاتهم الجهات الأربع[1].

---

(١) الأربع: الأربعة، أ، د.

وروى شفيق: أنه قال: إن الشيطان قعد لي على أربعة مراصد[1]، أما من بين يدي فيقول: لا تحزن إن الله غفور رحيم، فأقول: ذلك لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى، وأما من خلفي فيخوفني السعة، فأقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]. وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل العاقبة فأقول: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وأما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات، فأقول: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ يعني أكثر بني آدم لا يشكرون. وقيل: شاكرون لنعمتك بل يكفرون. وقيل: لا تجد أكثرهم موحدين.

ومتى قيل: من أين علم أنهم يطيعونه؟ وأن أكثرهم غير شاكرين؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: أنه قال ظنًا وتخمينًا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ:٢٠]، وذلك أنه ظن أنه لما أمكنه وسوسة آدم وحواء مع ضلالتهما ظن ذلك في ذريتهما أنفذ، عن الحسن وابي مسلم.

الثاني: قاله علمًا، وإنما علم ذلك من جهة الملائكة بإخبار الله ـ تعالى ـ إياهم أن ولد آدم يفسدون ويسفكون الدماء، عن ابي علي.

الثالث: عرف بطول العادة من نفسه وغيره من اتباع الشهوات، فظن أنهم يطيعونه.

الأحكام

تدل الآية أنه سأل الإنظار، وأن الله ـ تعالى ـ أنظره، وقد بَيَّنَّا أن الله ـ تعالى ـ لم ينظره إجابة لمسألته، وبينا ما قيل فيه، وأن بعضهم قال: لم ينظره على الوجه الذي سأل؟.

(١) أربعة مراصد: أربع مراصد، أ، د.

وتدل على شدة عداوته لبني آدم وحرصه على إضلالهم.

وتدل على أن أكثر بني آدم غير شاكرين.

وتدل على أن الضلال فعل إبليس.

قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**ملكين**» بفتح اللام، وعن ابن عباسوالضحاك «**مَلِكَيْنِ**» بكسر اللام اعتبارًا بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

اللغة

الذَّأم والذَّيْمُ: أشد العيب بالهمز وترك الهمز، ويقال: ذَأَمَهُ يَذْأَمُهُ ذَأْمًا، فهو مذموم، وذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْمًا، فهو مَذِيمٌ، وذمه يذمه ذمًا إذا عابه، فهو مذموم، وقال ابن عمرو: ذأمته: إذاحقرته وأبعدته، والذام: الطرد والإبعاد، والزجر الطرد والدفع على جهة الهوان والإذلال، زجره يزجره زجرًا وزجورًا. والوسوسة: الدعاء إلى أمرٍ بصوت خفي كالخشخشة، وسوس يوسوس وسوسة، قال رؤبة:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ[1]

قال أبو مسلم: الوِسواس الإكثار من الكلام على غير نظام، ومن هي قال للمختلط: موسوس.

(١) انظره في تاج العروس (وسس)، وتهذيب اللغة (وسوس)، ولسان العرب (وسس)، وأساس البلاغة (وسوس).

والإبداء: الإظهار، والبُدُوُّ الظهور، بدا يبدو إذا ظهر، وفلان ذو بدوٍّ إذا بدا له الرأي، وبدا لي في هذا الأمر: تغير رأيي عما[1] كان عليه.

والمواراة والستر واحد في المعنى وأصله جعل الشيء وراء ما ستره، ويقال: واريت الميت إذا سترته في التراب، ومنه: ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] أي: يستره ولم يهمز، و(رُوِيَ)؛ لأن الثانية مدة ولولا ذلك لوجب الهمز.

والسوءة: الفَرْج؛ لأنه يسوء صاحبه إظهاره، وكل ما قبح إظهاره فهو سوأة من هذا المعنى، وإذا أرادوا المبالغة قالوا: السوأة السَّوْآء[2].

والقسم واليمين والحلف نظائر، وإنما ذكر على المفاعلة؛ لأنه في معنى المقابلة يقال: عاقبت اللص، ونازلت الرجال، وعافاه الله فكأنه قابله في المنازعة باليمين، وأصل القسم القسمة؛ لأنه الحلف يقسم المعنى باليمين من يقتضيه بإيجاب صحته دونه، ومنه: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ [النمل: ٤٩] أي تحالفوا.

والنصح نقيض الغش، نصحته[3] أنصحه، وهو إخلاص[4] الفاعل لضميره فيما يظهر من عمله.

الإعراب

يقال: ما اللام في قوله: «**لمن اتبعك**» «**لأملأن**»؟

قلنا: قيل: الأولى لام الابتداء، والثانية لام القسم، وقيل: هما لاما[5] التأكيد عن أبي علي.

ويقال: أين جواب الجزاء في قوله: «**لمن تبعك**»؟

---

(١) عما: كما، أ، د.

(٢) السواء: السوء، أ، د.

(٣) في د نصحه؛ ونصحته: نصحت، أ.

(٤) إخلاص: خلاص، أ.

(٥) لاما: لام، د.

قلنا: قد كفى فيه جواب القسم وكان أحق بالذكر؛ لأنه في صدر الكلام ولو كان في جنبي الكلام كان الجزاء أحق منه كقولك: إن تأتِ[1] والله أكرمك، ولا يجوز أن يكون (مَنْ) بمعنى الذي؛ لأنها لا تقلب الماضي إلى المستقبل.

ويقال: لم قيل: «**منكم**» والمخاطب واحد؟

قلنا: على التغليب للخطاب على الضمير كما يغلب المذكر على المؤنث، وكتغليب الأخف على الأثقل في العمرين.

ويقال: ما موضع «**فتكونا**» من الإعراب؟

قلنا: فيه وجهان: نصب على الجواب، وجزم على النهي.

ويقال: ما المحذوف من «**إلا أن تكونا**[2] **ملكين**» ؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: اللام كأنه قيل: لئلا تكونا ملكين[3]، وقيل: كراهة أن تكونا[4] ملكين.

«**أجمعين**» في موضع جر؛ لأنه نعت الكاف والميم في «**منكم**».

المعنى

ثم بيّن ـ تعالى ـ ما خاطب به إبليس من الهوان، وما آتى آدم من الإكرام، وما أظهر إبليس عند ذلك من العداوة حسدًا، فقال سبحانه لإبليس: «**اخْرُجْ**» قيل: قاله مخاطبة وعلم بمعجزة أنه كلامه، وقيل: قاله على لسان بعض الملائكة، عن ابي علي. «**اخْرُجْ مِنْهَا**» قيل: من الجنة، عن ابي علي. وقيل: من السماء ,عن الأصم. وقيل: من المنزلة الرفيعة التي كانت له في الجنة والعبادة، عن ابي مسلم. «**مَذْءُومًا**» قيل: مذمومًا، عن زيد وابي مسلم. وقيل: معيبًا، عن المبرد. وقال أبو علي: مستقبلاً

(١) تأت: تأتي، أ، د.
(٢) تكونا: يكونا، أ، ش.
(٣) تكونا ملكين: يكونا مكلين، أ، د.
(٤) تكونا: يكونا، أ، د.

ما تكره[1]، وقيل: مهانًا، عن ابن عباس. وقيل: لعينًا، عن قتادة. وقيل: مطرودًا، عن السدي. «**مَدْحُورًا**» قيل: مطرودًا، عن مجاهد والسدي والأصم وابي علي. «**لَمَنْ تَبِعَكَ**» أي: أطاعك واقتدى بك «**مِنْهُمْ**» أي: من بني آدم «**لأَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ**» يعني منك ومن ذريتك وكفار بني آدم «**أَجْمَعِينَ**» وإنما قال ذلك؛ لأنه لا يكون في جهنم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس وفساقهم الذين انقادوا له وتركوا أمر الله لأمره فجمعهم في الخطاب.

ومتى قيل: لم ضيق جهنم ووسع الجنة؟

قلنا: لأن جهنم حبس والجنة دار ملك.

ومتى قيل: فما الفائدة في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ [ص:٨٥]؟

قلنا: لطفًا[2] ليكون المكلف تبعًا للأنبياء دون الشياطين، ولطفا لإبليس وحزبه؛ لأنه عابه في النهي والزجر.

«**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ**» يعني حواء وذكرها بلفظ التذكير[3]؛ لأن الإضافة إلى آدم إنابة عن المعنى فكان الإيجاز من غير إخلال بالمعنى أحسن «**الْجَنَّةَ**» قيل: جنة من جنان السماء، عن ابي علي وابي هاشم. وقيل: جنة الخلد عن جماعة، وهو اختيار علي بن عيسى، وقد تقدم ذكر هذه القصة، والفائدة في إعادتها أن القرآن نزل في بضع وعشرين سنة، والعوارض تعرض، والوفود تقدم، فكانت القصة تعادل يسمع من لم يسمع استصلاحًا ولطفًا، ولأن في إعادة قصة واحدة في مواضع بألفاظ مختلفة كل واحد في نهاية الحسن من إعجاز القرآن «**فَكُلاَ**» هو إباحة بأمر «**مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**» أي: من نعيمها «**وَلاَ تَقْرَبَا**» أي: تجنبا «**هَذِهِ الشَّجَرَةَ**» وقيل: هو نهي وتحريم إلزام، وقيل: نهي تنزيه، والأكثر على الأول، واختلفوا في الشجرة، قيل: العنبة، وقيل:

---

(١) تكره: يكره، أ، د.

(٢) لطفًا: ولطف، أ، د.

(٣) جاء في هامش النسخة د: وقد تقدم ما يدل على أن اللغة الفصيحة زوج، ولا يقال زوجة، وبهذا ورد في القرآن في غير موضع. تمت كتابه غفر الله له آمين.

البر، والشجرة اسم لكل ما له ساق، «**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**» لأنفسكما بأكلها، وهذا وعيد.

ومتى قيل: كيف كان صغيرة مع أنه مقرون بالوعيد؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

قيل: نسيا[1] الوعيد، وظنا أنه نهي تنزيه.

وقيل: أخطأ[2] في التأويل، وظنا أن النهي عن شجرة بعينها لا عن جنسها، فأكلا من الجنس، عن أبي علي.

وقيل: نسيا النهي، والأصح ما قاله أبو علي؛ لأنه عند النسيان النهي لا يؤخذ به.

«**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**» أي: لآدم وحواء.

ومتى قيل: لم قال: وسوس لهما، ولم يقل: إليهما؟

قلنا: لأنه في وسوسته له أوهم النصيحة له.

«**لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا**» أي: ليظهرما ستر من عوراتهما، وقال أبو علي: ليخرجا من الجنة ويسلبا من نعيمها من اللباس وغيره، واللام في قوله: «**ليبدي**» يحتمل لام (كي)؛ لأن قصد إبليس كان ذلك، وهو الوجه، ويحتمل أن يكون لام العاقبة أي: كان عاقبة وسوسته إياه أن ظهر سوآتهما، فلما كان ذلك عند الوسوسة والأكل جاز أن يضاف إليهما.

ثم بَيَّنَ صفة الوسوسة فقال سبحانه: » **وَقَالَ**» يعني إبليس «**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**» قيل: أوهمهما أن مَنْ أَكَلَ من هذه الشجرة ففي حكمة الله أن يصير ملكًا، ويجعله بصورة الملك، وقيل: أراد أن يكون بمنزلة الملك في علو المنزلة والرتبة لا الصورة «**أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**» يعني من الدائمين، قيل: أطمعهما في شيئين: في درجة الملائكة، وفي الخلود.

---

(١) نسيا: نسي، أ.

(٢) أخطا: أخطائي، د.

ومتى قيل: كيف وسوس إليهما، وهما في الجنة وقد خرج منها؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

قيل: وسوس إليهما وهو في الأرض، وهما في الجنة فوصلت الوسوسة إليهما بالقوة التي خلقها الله ـ تعالى ـ له، عن الحسن.

وقيل: كانا يخرجان إلى السماء فيلقاهما هناك، عن أبي علي.

وقيل: خاطبهما من باب الجنة، عن أبي بكر أحمد بن علي.

«**وَقَاسَمَهُمَا**» قيل: حلف لهما بالله حتى خدعهما عن قتادة «**إِنِّي لَكُمَا**» يا آدم وحواء إني لكما من الناصحين المخلصين النصيحة.

ومتى قيل: هل صدّقاه فيما قال؟

قلنا: لا؛ لأن في التصديق بالخلود إنكار الموت والبعث وذلك كفر، وآدم كان يعلم جميع ذلك وإبليس كان مقرًا به ولذلك قال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وقيل: ظنا صدقه على ظن أنهما يبقيان إلى وقت الثواب، ثم ينقلهما إلى دار الثواب والفناء إنما يعلم بالسمع، فيجوز أنه لم يرد عليه ذلك السمع أو أوهمه إبليس ذلك، وظنا أن لتلك الشجرة شأنًا عظيمًا، وهذا غير ممتنع.

ومتى قيل: هل ظنا وأقدما على ذلك بقوله؟

قلنا: قال أبو علي: لا؛ لأنه وعدهما الثواب على أكل الحرام وأنهما بالمعصية يستحقان[1] أن يصيرا ملكين، ويخلدا في الجنة، وأقسم كاذبًا، وأظهر النصيحة كاذبا، وذكر أنه نهي عن ذلك؛ لئلا[2] يبقى، وهذا كذب كله وغرور منه لهما، فلا يجوز على آدم أن يظن صدقه، أو يقبل به.

وقيل: لَمَّا طالت الأيام وامتدت الوسوسة ونسي الوعيد أَكَلَ.

وقيل: لم يأكل لوسوسته، ولكن تأول حتى دعته الشهوة إلى تلك الشجرة، فأكل من جنسها، لا من عينها، وقد بينا الكلام في ذلك في سورة البقرة.

(١) يستحقان: استحقا، أ، د.

(٢) لئلا: لأن لها، أ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على الوعيد لمن تبع إبليس، وأنه يملأ جهنم منهم، ولا بد فيه من شرط وهو ألاَّ يتوب[1]، أو لا يكون معه طاعة أعظم.

وتدل على إذلال إبليس وطرده ولعنه بسبب عصيانه تحذيرًا عن مثل حاله.

وتدل على إكرام آدم، وفيه لطف وداع[2] إلى التوبة وزاجر عن المعصية.

وتدل على أن المقدم على الصغيرة ظالم لنفسه؛ لأن ذنوب الأنبياء لا تكون إلا صغيرة، واختلفوا لم كان ظالمًا لنفسه؟ قيل: لنقصان قدر من ثوابه، عن ابي هاشم، وقيل: لأنه يلزمه التوبة كلما يذكره، عن ابي علي.

وتدل على شدة عداوة إبليس لآدم وذريته تحذيرًا من قبول وسوسته.

وتدل على أن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأنه غير جائز مع رفعة آدم بالنبوة أن يوسوس إليه بذكر الملك إلا وهم أفضل.

وتدل على أن الوسوسة فعل إبليس، والأكل فعل آدم، وذلك يبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) يتوب: صوب، أ، د.

(٢) وداع: وداعي أ، د.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي[تَخْرُجون] بفتح التاء وضم الراء وكذلك في (الروم)[1] وفي (الزخرف)، وفي الجاثية ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية:٣٥] بفتح الياء، وقرأ ابن عمرههنا وفي (الزخرف) بفتح الياء،وفي (الروم) و(الجاثية) بضم الياء والتاء، وقرأ يعقوب ههنا بفتح التاء وفي (الروم) و(الزخرف) بضم التاء والياء، فالفتح على أن الخروج مضاف إليهم، والضم على ما لم يسم فاعله.

اللغة

تَدَلَّى: قرب، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل، وتدلى[2] بنفسه، ودَلَّى غيره.

واختلفوا في أصل تدليهما على قولين:

الأول: قيل: أصله من تدلية الدلو إذا أرسلته في البئر ومنه: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف:١٩]، أي: أرسل دلوه في البئر، يقال: أدليت الدلو: أرسلته في البئر، ودلوت: نزعت دلوًا، فعلى هذا دلاهما أي: حد لهما، عن أبي عبيدة.

وقيل: إنه مأخوذ من العطشان تدلى في البئر ليروى فلا يجد ماء، فيكون مُدْلَى فيها بالغرور، فوضعت التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعًا، ومنه: فلان يتدلى على الشر،والشر سافل، والخير عال، ويقال: أدلى بحجته أتى بها[3] .

الثاني: قيل: أصله دلهما من الدل، وهو الجرأة، والدَّالَّة مثلها، أبدلت إحدى[4] اللامين ياء، كقوله: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠]، يقال: ما دَلَّكَ على فلان، أي: ما جرأك، ومنه: تدللت المرأة على زوجها، وهي أن تريه جرأة عليه في تَغَنُّجٍ وتَشَكُّلٍ كأنها تخالفه، وليس بها خلاف.

(١) حجة القراءات ٥٥٧.
(٢) وتدلى: ودلا، أ.
(٣) أتى بها: إليّ، أ، د.
(٤) إحدى: أحد، أ، د.

والغرور: إظهار النصح وإبطان الغش، ومنه: الغرر، لخفاء ما لا يؤمن به، ومنه: الغِرُّ[1]، الذي لم يجرب الأمور لخفائها عليه، والغِرة: الأخذ على الغفلة، وأصله الغر: طيّ الثوب على غرة أي: على كسر طيه، كأنه يظهر منه بعضه، ويخفي بعضه، والغَرُّ: الكسر في الجلد والثوب.

طفق يفعل كذا، أي: جعل يفعل، ومثله ظل يفعل، وأخذ، يقال: طفق يَطْفَق طَفَقًا، وقال أبو عبيدة: مازال يفعل ذلك.

والخصف: أصله الضم والجمع، ومنه: خصف نعله، وهو إطباق طاقٍ على طاق، وقيل: أصله القطع، يخصفان: يقطعان من ورق الجنة، ومنه: المِخْصَفُ المثقب الذي يخصف به النعل، وهو الأشفى، والإخصاف: سرعة العدو؛ لأنه يقطعه بسرعة، والخَصَفُ: ثياب غلاظ؛ لأنه يعسر قطعها لغلظها، وسمى رسول الله ﷺ عليًا ـ عليه السلام ـ «خاصف النعل»؛ لأنه كان بيده يخصفها.

والورق: ورق الشجرة، ومنه الوِرق: الدراهم؛ لأنها كالورق في الرقة.

والهبوط: النزول لسرعة. والحين: الوقت طال أم قصر.

۞ الإعراب

قيل: تم الكلام عند قوله: «**اهبطوا**» ثم استأنف فقال: «**بعضكم لبعض عدو**» فهو رفع على الابتداء.

«**تحيون**» لم يسم فاعله، و» **تموتون**» مضاف إليه.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما آل أمرهم إليه، فقال سبحانه وتعالى: «**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**» قيل: قربهما إلى المعصية بغروره[2]، وقيل: دلاهما من الجنة إلى الأرض، وقيل: أوقعهما

---

(١) الغر: الغرر، أ، ش.

(٢) بغروره: بغروه، أ، د.

في المعصية بغرور، عن ابي مسلم. وقيل: أطعمهما[١] فيما لا مطمع فيه مأخوذ من العطشان تَدَلَّى في البئر ليروى من مائها ولا ماء فيها، وقيل: جرأهما على أكل الشجرة، وقيل: خدعهما بغروره، وقيل: زين لهما الباطل، عن مقاتل. «**بِغُرُور**» قيل: غرهما بأن زين لهما الحرام، وقيل: دعاه إلى جنس ما نهي عنه، لا إلى عينه، فاغتر به، ولم يغتر بقوله[٢] ولا صدقاه في مقالته ويمينه، ولكن تركا الاحتياط حتى تدليا[٣] إلى الأرض وفارقا الجنة، فصارا مغرورين «**فَلَمَّا ذَاقَا**» قيل: ابتدًا بالأكل فنالا شيئًا يسيرًا، وإنما ذكر الذوق لأنهما تناولا شيئًا قليلاً على خوف شديد «**الشَّجَرَةَ**» يعني ثمرة الشجرة، يقال: أكلت من هذه الشجرة، يريد ثمرتها «**بَدَتْ**» ظهرت «**لَهُمَا**» دون غيرهما «**سَوْآتُهُمَا**» عوراتهما، قيل: تهافت عنهما اللباس، حتى رأى كل واحد منهما عورة صاحبه، ولم يرها قبل ذلك، وقيل: كان لباسهما من نور، وقيل: من ظُفْرٍ، عن قتادة. فنزع عنهما لباسهما، قيل: نزعه الله، وقيل: أمرهما بالنزوع، وذلك علامة خروجهما من الجنة إلى الدنيا.

ومتى قيل: كيف رأيا سوآتهما، ولم يرهما غيرهما؟

قلنا: بأن يصرف الله شعاع الرائين ويحول بينهما حجابًا وسترًا.

ومتى قيل: فما الفائدة في نزع لباسهما؟

قلنا: علامة لآدم بالخروج من الجنة والنزول إلى الأرض، وقيل: لطفًا للمكلفين إذا علموا أن لباس الجنة لا يعطى مع صغيرة، فكيف يطمع فيها صاحبها مع الكبيرة، فيدعوهم[٤] إلى الإنابة، وقيل: مصلحة لآدم.

«**وَطَفِقَا**» جعلا «**يَخْصِفَانِ**» قيل: يرفعان ويضمان طاقًا على طاق، وقيل: يقطعان «**مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**» قيل: ورق التين فصار كهيئة الثوب «**وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا**» يذكرهما النهي

---

(١) أطمعهما: قاطعهما، أ، د.
(٢) بقوله: بقول، أ، د.
(٣) تدليا: تدلي، أ، د.
(٤) فيدعوهم: يدعوه، أ، د.

السابق والأمر بالتجنب عن الشيطان، وقال: «**أَلَمْ أَنْهَكُمَا**» يا آدم وحوى «**عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**» ظاهر «**قَالا**» يعني آدم وحوى «**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**» بأكل ما نهيت، قيل: ظلمنا أنفسنا لنقصان ثوابنا، وقيل: بالنزول إلى الأرض، وكذا العيشة ومفارقة العيش الرغد، وقيل: المراد بظلم النفس ما أتاه من الصغيرة، وروي أن الله ـ تعالى ـ قال: «يا آدم أما كان لك مندوحة بما أتحت لك عما حرمت عليك، فقال: بلى، يا رب، ولكن ما ظننت أحدًا من خلقك يحلف بك كاذبًا»، عن ابن عباس، فقال تعالى: لأهبطنك إلى الأرض، ولا تنال العيش إلا كَدًّا. «**وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا**» ما سلف منا «**وَتَرْحَمْنَا**» بقبول توبتنا «**لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» قيل: قال هذا انقطاعًا إلى الله تعالى، واستغناء به، وقيل: تجنبًا من الأضرار، وقيل: ندمًا على ما سلف ليستدرك ما فاته من الثواب، فكل من كان أعرف بالله وأقرب منزلة منه فهو أخوف، وموقع الذنب من قلبه أعظم، ويقال: إن آدم (عليه السلام) سعد بخمسة أشياء: اعترف بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يقنط من الرحمة. وشقى إبليس لعنه الله بخمسة أشياء: لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يَلُمْ نفسه، بل أضاف إلى ربه، فلم يتب، وقنط من الرحمة «**قَالَ**[(١)] **اهْبِطُوا**» قيل: من السماء إلى الأرض، وقيل: معناه اذهبوا، عن أبي مسلم، واختلفوا لمن الخطاب، قيل: لآدم وحواء وإبليس، وجمع[(٢)] بينهم وإن كان إبليس أُخرج قبل ذلك؛ لأنه جمع في الأخبار بينهم وإن وقع متفرقًا، عن السدي والأصم وأبي علي. وقيل: آدم وحواء والحيَّة عن أبي صالح «منها» من السماء إلى الأرض «**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**» يعني آدم وذريته عدو إبليس وحزبه، وإبليس وحزبه عدو لآدم وذريته، قيل: إن آدم وذريته مؤمنون، وإبليس وحزبه كفار، فلهذا أظهرت بينهم العداوة، وقيل: لأنه بسببها أخرج من الجنة وأضمر العداوة لهما، عن الأصم. وقيل: إنما كان عداوة آدم؛ لأن إبليس لم يسجد له، ورأى فضله عليه وتسبب إلى خروجه من الجنة، وكانت عداوة إبليس لأنه أمر بالسجود لآدم وفضل عليه، ولعن وطرد بسببه، وأخرج من الجنة «**وَلَكُمْ فِي**

(١) قال: قلنا، د.

(٢) وجمع: وجميع، أ.

الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» أي: موضع استقرار، عن ابي العالية. وقيل: هو الاستقرار؛ لأن[١] المصدر يجيء على زنة المفعول، كقوله: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ [النساء: ٣١]، أي إدخالاً، وقيل: منزلا تستقرون فيه **«وَمَتَاعٌ»** أي: زاد ومنافع يتمتعون بها **«إِلَى حِينٍ»** إلى وقت، قيل: إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت، **«قَالَ»** الله ـ تعالى ـ **«فِيهَا»** أي: في الأرض **«تَحْيَوْنَ»** تعيشون **«وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ»** عند البعث، وأخبر بكونهم في الأرض ما داموا أحياء، فإذا ماتوا نقلوا إلى الأرض، ثم يبعثون، ثم ينقلون إما إلى الجنة، وإما[٢] النار. واختلفوا في الأنبياء الذين هم في الجنة، فقيل: يحشرون عن السماوات كالملائكة، وهم مخصوصون من الآية، وقيل: بل يعاد نبتهم[٣] إلى الأرض، ثم يحشرون منها.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه لما بدت سوآتهما اجتهدا في سترها، فدل على أن ستر العورة كان من شريعة آدم، وقد استدل قوم بالآية على وجوب الستر، قال القاضي: وليس في الآية ما يدل على ما يوجب الوجوب؛ إذ ليس فيها بأكثر من أنهما فعلا ذلك.

قال الأصم: وتدل على[٤] أن الستر من خُلق آدم وحواء، وأنهما كرها التعري، وإن لم يكن لهما ثالث، ففي ذلك دليل على قبح التعري إلا عند الحاجة.

وتدل على أن نزع اللباس لم يكن عقوبة؛ إذ لو كان عقوبة لما فعل بآدم لأنه لم يستحق العقوبة، ويجوز أن يكون فعله الله لمصلحة وهو الأقرب. وقيل: إنه كان علامة لوقت هبوطه إلى الأرض، وقد روي أن الناس يحشرون عراة، وليس ذلك بإهانة ولا عقوبة، على أنه لو كان ذمًا لكان إذا ظهر لغيرهما، فأما كشف العورة بين الزوجين فحلال طلق.

---

(١) لأن: لا، أ.

(٢) وإما: أو، أ، د.

(٣) بل يعاد نبتهم: بل إيعاد ينبتهم؛ أ، د.

(٤) على: عن، أ، د.

ويدل قوله: «**أَلَمْ أَنْهَكُمَا**» أن ما[1] تناولا من الشجرة دخل تحت النهي، فإذا لم يكن بالنص والتعيين فليس إلا ما ذكرنا أنه من جنسه بتناول آدم.

وتدل أنه ـ تعالى ـ أمره بالتحرز من الشيطان، فإذا أوجب عليه ذلك مع جلالته فعلينا أوجب، وإذا أوجب التحرز منه؛ لأنه يدعو إلى الفساد، فكل مَنْ هذا حاله وجب التحرز منه، فلهذا قلنا: يجب التحرز أولاً من الكفار، ثم من المبتدعة، ثم من الظلمة، وأهل الفساد.

وتدل على اعترافهما بالذنب وسؤالهما المغفرة، فدل أن الأكل كان فعلهما، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أن الصغيرة ظلم للنفس، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه.

وتدل على أن الجنة وطعامها حرام على العصاة، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أن الأرض مستقر الخلق إلى وقت الموت، وفيه تنبيه على نعمة عظيمة، وكمال قدرة من الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر والكسائي «**ولِبَاسَ**» بالنصب[2] وهو اختيار الفراء عطفًا على لباس، والعامل فيه «**أنزلنا**» وقرأ الباقون «**لِبَاسُ**» بالرفع على أنه ابتداء وخبر، وكذلك قرأ ابن مسعود وأُبَيّ بن كعب، (**ولباسُ التقوى خير**).

قراءة العامة: «**وريشا**» بغير ألف، وعن عثمان والحسن والسلمي وقتادة (**رِيَاشًا**)،

---

(١) ما: ـ، أ.

(٢) حجة القراءات ٢٨٠.

ويروى نحوه عن عاصم. واختلفوا فقيل: رياش: جمع ريش، كذئب وذئاب، وقدح وقداح، وقيل: الريش والرياش واحد، كلبس ولباس، وحِلّ وحلال، وحرم وحرام عن قطرب. وقيل للرياش مقدم راشه[1] الله يريشه رياشًا.

اللغة

النزول: الانحطاط من فوق إلى أسفل، أنزله إنزالاً، ونزل[2] من الدابة نزولاً، فالنازلة: الشديدة من الدواهي، تنزل بالناس. واللباس: ما يصلح للبس من ثوب أو غيره، كالدرع وما يغشى به البيت من نطع أو غيره، وقيل: أصله المصدر من لبسه يلبسه لبسًا ولباسًا بكسر اللام. والسوءات جمع سوأة، وهي: العورة. الريش: الخير، والرياش: المال، ورِشْتُ فلانًا أَرِيشُهُ ريشًا، وقد تري شفلان، أي: صار لهما يعيشبه، وقيل: الريش ما فيه الجمال، ومنه ريش الطائر. والتقوى من التقى، كما السروى من السرى، وأصله الاتقاء: وهو اجتناب الشيء.

الإعراب

«**سوءاتكم**» إذا جمعت كسرت التاء؛ لأن تاء الجماعة مكسورة في موضع النصب، ومن جعل السوأة واحدة فتح التاء؛ لأنها عوض من الهاء التي في سوأة إلا أنها صارت في الإدراج تاء.

ويقال: ما موضع «**ذلك**» من الإعراب؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: رفع بأنه صفة لباس، وخبره «**خير**».

الثاني: لا موضع له على معنى الفصل بـ(هو)[3].

---

(١) راشه: رأسه، أ، د.

(٢) ونزل: فنزل، أ.

(٣) هو: وهو، أ، ش.

۞ النزول.

قيل: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنهاهم الله عن ذلك، عن مجاهد.

۞ النظم

يقال: ما الذي اقتضى ذكر اللباس ههنا؟ وكيف يتصل بما قبله؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: تعريهم[1] في الطواف بإغواء الشيطان كما أغوى أبويهم حتى تعريا عن لباسهما، فينبغي أن يخالفوه، في معنى قول مجاهد.

الثاني: التذكير بالنعمة في اللباس بعد النعمة في ثبوت[2] الدار والمستقر في الأرض، عن علي بن عيسى.

الثالث: أخبر أنه كساهم لباسًا بعدما نزع عنهما لباس الجنة يسترون به سوآتهم، فَمَنَّ بذلك عليهم، عن الأصم.

الرابع: أنه يتصل بقوله، كأنه قيل: لما أهبطهم إلى الأرض، وبهما حاجة إلى اللباس والمعاش، قال: اهبطوا، فقد أنزلنا ما تحتاجون إليه من اللباس والمعاش.

۞ المعنى

«**يَا بَنِي آدَمَ**» خطاب عام لجميع المكلفين في كل عصر «**قَدْ أَنْزَلْنَا**» مع آدم وحوى حين أُمرا[3] بالإهباط، عن الأصم وابي علي. وهوالظاهر، ويحتمل أنه [لَمَّا] أنزله خلقه لهما حين نزلا عريانين، وقيل: إنه[4] ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء، عن الحسن وابي علي. وقيل: لأن أصله وبذره من السماء عن أبي علي. وقيل: لأن البرك اتتنسب إلى أنها تأتي من السماء، كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، عن علي بن عيسى. وقيل: معنى «**أنزلنا**» أعطيناكم ووهبنا لكم، وكلما أعطاه الله من عنده فقد

---

(١) في هامش النسخة د: يغويهم. ظ.

(٢) في هامش النسخة د: ثبوت، ثبوته، أ.

(٣) أمرا: أمر، أ.

(٤) وقيل إنه: بسبب، أ.

أنزله ليس لأن[١] هناك علوا وسفلا[٢]، ولكن تجري المخاطبة على وجه التعظيم كقولهم: رفعت[٣] حاجتي إلى فلان، ورفعت قضيتي، ورفعتك، عن ابي مسلم. وقيل: خلقنالكم،وقيل: ألهمناكم كيفية صنعته «**لِبَاسًا**» وهو ما يلبس من الثياب وغيره «**يُوَارِي**» يستر «**سَوْآتِكُمْ**» عوراتكم «**وَرِيشًا**» قيل: أثاثًا مما تحتاجون إليه، وقيل: ما فيه الجمال، عن ابن زيد. وقيل: لباسًا، عن أبي عمرو. وقيل: هو اللين من اللباس، عن ابي مسلم. وقيل: الثياب والنعيم، عن ابن عباس. وقيل: الخصب والمعاش،عن الأخفش. وقيل: ما يعيشبه، عن الزجاج. والريش: الخير، فكل ما قاله المفسرون وجد فيه إلا أن كل واحد خص بعضه بالذكر «**وَلِبَاسُ التَّقْوَى**» قيل: العمل الذي يقي العذاب، وفيه الجمال كجمال اللباس من الثياب، وقيل: العمل الصالح، عن ابن عباس، واختاره القاضي؛ لأنه خير، ويدخل فيه جميع أنواع الخير، وهو الوجه. وقيل: هو الإيمان، عن قتادة والسدي وابن جريج. وقيل: هوالحياء الذي يلبسكم التقوى، عن الحسن. وقيل: هو ثياب النسك، والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب، عن أبي علي. وقيل: هو لباس الحرب الدرع ونحوه، عن زيد بن علي ـ عليه السلام ـ وأبي مسلم. وقيل: هو ستر العورة، عن ابن[٤] زيد. وقيل: هو خشية الله، عن عروة بن الزبير. وقيل: هوالثياب التي يلبسها الإنسان عند إقامة الصلاة فإنها أول أحوال المتقي، عن أبي مسلم. وقيل: لباس التقوى: العلم والأدلة التي بها تصح التقوى من عذاب الله؛ ولذلك[٥] قال: هو خير، عن الأصم. يقال: فلان لباسه الخير، وقيل: هو الذي يشبه اللباس، وإذا كان الجميع زادًا كان الجميع محتملاً، وقاله جماعة من أهل العلم، [وما دام] لا مانع من حمله على الجميع وجب أن يحمل على الجميع «**ذَلِكَ خَيْرٌ**» يعني لباس التقوى خير من اللباس المنزل الذي يلبس «**ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**» قيل: ما تقدم من النعمة حجة ودليل على

(١) لأن: أن، أ.
(٢) علوا وسفلا: علو وسفل، أ، د.
(٣) رفعت: وقعت، أ، د.
(٤) ابن: أبي، أ.
(٥) ولذلك: وكذلك، أ، د.

توحيده وعدله، وقيل: لباس التقوى الذي هو من[1] آيات الله؛ لأن[2] تعبده بالنظر فيها، وقيل: اللباس خير لكم؛ لأنكم تسترون به عورتكم، عن الأصم. «**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**» أي لكي يذكروا نعم ربهم، قيل: يذكروا أنه خالقهم، وأنه لا يقدر على هذه النعم إلا الله، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه ـ تعالى ـ بهذه النعم التي أعدها، واختلفوا، فذكر علي بن موسى القمي أنه يدل على وجوب ستر العورة، وقال آخرون: لا يدل، وليس في الظاهر إلا الإنعام به من حيث تقي الحر والبرد، وتستر العورة، ويتجمل به، فأما أنه واجب فيبعد في هذه الشريعة وجوبه بالخبر المستفيض والإجماع، فلا حاجة إلى الرجوع إلى شريعة أخرى.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ كما أنعم بنعم الدنيا أنعم بنعم الدين، فإن الأقرب أن لباس التقوى العلم والعمل الصالح، وكأنه[3] ضم إلى نعم الدنيا نعم الدين التي[4] بها يحصل الفوز بالثواب الذي هو الغرض في الخلق والتكليف، فيحصل له نعمة الدارين.

وتدل أنه أراد من الجميع أن يتفكروا، خلاف قول المجبرة.

وتدل أن التذكر فعلهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨)﴾

---

(١) الذي هو من: هو الدين، أ، د.

(٢) لأن: لأنه، أ، د.

(٣) وكأنه: فكأنه، أ، د.

(٤) التي: الذي، أ، د.

اللغة

الفتنة: الابتلاء والامتحان، يقال: فتنت الذهب بالنار: امتحنته، ثم تستعمل في مواضع، والفتان: الشيطان، وقلب فاتن أي: مفتون، قال الشاعر:

رَخِيمُ الكَلَامِ قَطِيعُ القِيَام ... أَمْسَى فُؤادِي بِهِ فَاتِنَا[1]

قال الخليل: الفَتْنُ: الإحراق، وَوَرِقٌ فَتِينٌ[2] محرق.

والنزع: قلع الشيء عن موضعه، نزعته عن مكانه[3] نزعًا، ونزع عن الأمر ينزع نزوعًا تشبيه[4] بهذا، ونازعه في الأمر: إذا رام كل واحد أن يزيل صاحبه عما هو عليه، وبعير نازع: إذا حَنَّ إلى مرعاه.

القبيل: جماعة من قبائل شتى، والقبيل: بنو أب واحد، ومنه: قبائل العرب، واحدها قبيلة، قال الأزهري: القبيل: الجماعة ليسوا من أب واحد، وجمعه: قُبلٌ، فإذا كانوا من أب واحد فهم قبيلة.

الإعراب

«**ينزع**» المراد نَزَعَ، والعرب تقيم المستقبل مقام الحال، وقوله: «**أتقولون**» استفهام، والمراد الإنكار، أي: لا تقولوا[5] .

النظم

يقال: بِمَ تتصل الآية؟

قلنا: بقوله: «**يا بني آدم قد أنزلنا**» وفيه موعظة لجميع البشر، وتحذير من الشيطان، عن أبي مسلم.

---

(١) انظره في العين (فتن)، والصحاح (فتن)، واللسان (فتن).

(٢) فتين: فتن، أ، د.

(٣) نزعته عن مكانه: نزعت مكانه، أ، د.

(٤) تشبيه: تشبيهًا، أ، د.

(٥) لا تقولوا: ألا تقولون، أ، ض.

وقيل: اتصل بذكر الشيطان، فحذرهم مكره، وبيّن ما نزل بآدم بسببه، عن الأصم.

وقيل: لا يفتننكم الشيطان فيبدي عوراتكم في الطواف، كما فعل بآدم.

۞ المعنى

«**يَا بَنِي آدَمَ**» خطاب لجميع المكلفين وعظة لهم «**لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ**» قيل: لا يضلنكم عن الدين، ولا يصرفنكم عن الحق، وأصله المحنة بالدعاء إلى الخطيئة من جهة تقبل، فأعلم ـ تعالى ـ التحذير منه، وبيّن أنه إذا نفذت حيلته على آدم مع جلالته فعلى غيره أنفذ «**كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ**» آدم وحوى «**مِنَ الْجَنَّةِ**» وأضاف الإخراج إليه؛ لأنه بسببه، ووقع الخروج عند وسوسته ودعائه، وهذا كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وكقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص:٤]، وإلا كان الخروج بأمر الله وصلاحًا لآدم، فحل محله الخروج(١) من حيث إنه يجب التحرز من الكفران(٢) «**يَنْزِعُ عَنْهُمَا**» يعني نزع عنهما عند وسوسته ودعائه «**لِبَاسَهُمَا**» قيل: ثيابا من ثياب الجنة، وقيل: كان لباسهما الظفر، عن ابن عباس. وقيل: كان لباسهما نورًا، عن وهب بن منبه. «**لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**» عوراتهما «**إِنَّهُ**» يعني الشيطان «**يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ**» قيل: قبيلته، عن ابن عباس وابن زيد وابي علي، ويدل عليه قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف:٥٠]، وقيل: جنوده من الجن والشياطين، وقيل: أشكاله من الجن «**مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**».

ومتى قيل: لِمَ يروننا، ونحن لا نراهم؟

قلنا: لأنه ـ تعالى ـ جعل لأبصارهم قوة شعاع يرى بعضهم بعضًا ويروننا، وليس لأبصارنا تلك القوة.

«**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**» قيل: حكمنا وبينا أنهم يتناصرون

---

(١) الخروج: محل، أ؛ د؛ الحدود؛ والتصحيح من هامش د.

(٢) التحرز من الكفران: والتصحيح من هامش د: من الكفران، سببه والكفارات، أ.

على الباطل، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف:١٩]، وقيل: خلينا بينهم حتى صار بعضهم أولياء بعض، وقيل: جعلناهم قرناء لكفرهم وفسقهم، وقيل: تبرأنا منهم فصاروا أولياء الشيطان، عن أبي مسلم. كأنه وهب بعضهم لبعض، وذكر الذين لا يؤمن ونتنبيهًا أنهم مع اجتهادهم وحرصهم أنهم لا يتمكنون من جهاد الكفرة والفساق الغفلة، وأنه لا سبيل لهم على العالم المتيقظ العامل بعلمه «**وَإِذَا فَعَلُوا**» قيل: كناية عن المشركين الذين كانوا يرون سوآتهم في طوافهم، عن ابن عباس ومجاهدو سعيد بن جبير والشعبي والسدي. وقيل: هم عبدة الأوثان، عن الحسن وابي علي. «**فَاحِشَةً**» قيل: ما عظم قبحه، عن الزجاج. وقيل: اسم جامع لكل المعاصي والقبائح، عن الأصم وابي مسلم. وقيل: إظهار العورة عند الطواف، عن ابن عباس ومجاهدو السدي. وقيل: الشرك، عن الحسن وابي علي. «**قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا**» قال: فيه إضمار، يعني فعلوا فاحشة، فنهوا عنه قالوا: وجدنا آباءنا «**وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**» قيل: كان أهل الجاهلية أهل أخبار، وقالوا: لو كره الله ما نحن عليه من الدين لَنَقَلَنَا عنه، فهو قولهم: والله أمرنا بها، عن الحسن. وقال: توهموا أن آباءهم لم يكونوا عليه إلا وهو من قِبَلِ الله، وإنما قاله آباؤهم عن جهل وسفه[1]، وقيل: قيل لهم: فمن أين أخذ آباؤكم؟ قالوا: الله أمرنا بها «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**» بالقبائح «**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ**» في ذلك «**مَا لا تَعْلَمُونَ**».

۞ الأحكام

تدل[2] الآية على التحذير من فتنة الشيطان.

وتدل [على] أنهم يروننا ولا نراهم، وقد بينا أن ذلك لقوة شعاعهم، فلذلك يرى بعضهم بعضًا وضعف شعاعنا، وضعف الشعاع لا يكون منعًا ما لم ينضم إليه شيء من الموانع كالرقة والبعد، وقد زاد في التحذير بما ذكر من الصفة ليكون تحرزًا لنا أشد في جميع أحوالهم.

---

(١) وسفه: وشبهة، أ، د، ؛ والتصحيح من هامش د.
(٢) تدل: دل، أ، ش.

وعن مالك بن دينار: أن عدوًّا يراك[1] ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله.

وعن ذي النون: إن كان هو يراك من حيث لا تراه فالله يراه من حيث لا يراه[2]، فاستعن بالله عليه، فإن كيد الشيطان كان ضعيفا.

وتدل على أن الشيطان وحزبه على صفة من الرقة لا نراهم، وحال الشعاع على ما هو عليه.

وتدل على بطلان قول العامة: إن الشيطان يتصور لنا ونراه، بل من اعتقد أنهم يصورون أنفسهم، فذلك كفر؛ لأن المصور هو الله تعالى.

ومتى قيل: أليس يُرون زمن الأنبياء، ويرى المعاين الملك؟

فجوابنا: أنه يزداد قوة الشعاع أو تتكاثف أبدانهم فتكون معجزة للنبي، ولذلك زادهم الله قوة، ومع[3] سليمان معجزة له.

وتدل على أن الشيطان ولي العصاة؛ لأنهم يتبعونه.

ويدل قوله: «**وجدنا عليها آباءنا**» على بطلان التقليد.

وتدل على بطلان الجبر من وجوه:

أحدها: قوله: «**إن الله لا يأمر بالفحشاء**» وعندهم لو أَمَرَ به جاز.

وثانيها: أنه حذر من الشيطان فلو كان وسوسته خلقًا له، وقَوْلُ الكافر وكفره خلقًا له لما كان للتحذير منه معنى، بل كان هو أولى بالتحذير.

وثالثها: أنه أضاف الفاحشة إليهم والقول بغير علم، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على التحذير من كل ضال ومبتدع ومشبه وملحد؛ لأنه بمنزلة الشيطان في الدعاء إلى الضلال، فينبغي أن نتبع الأدلة ليظهر الحق فنتبعه، ونجتنب دعاة[4]

(١) يراك: يرى، أ، د.

(٢) يراه: يرى، أ، د.

(٣) ومع: ومن، أ، د.

(٤) دعاة: دعا، أ.

الضلال كدعاة الباطنية والرافضة والخارجية، وغيرهم من أهل الجبر والتشبيه، وندفع باطلهم بحقه، وشبههم بحجته.

وتدل على أن المعارف مكتسبة لنفي العلم عنهم.

قوله تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾

اللغة

القسط: العدل، وأصله من العدول، كأنه عدول إلى جهة الحق والاستقامة، ومنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وإذا مال إلى الباطل فهو جور، ومنه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]، قال أبو مسلم: العدل: اسم يجمع كل محمود.

والبدء: فعل الشيء أول مرة، وبدأت بالأمر وأبدأت بمعنى، وهما لغتان، والعود: فعل الشيء ثاني مرة، والله المبدئ المعيد، ومنه: عاد يعود، والإعادة إنما تجوز على ما يبقى من فعل الله إذا لم يكن عن[١] سبب. والفريق: الجماعة.

والاتخاذ: افتعال من الأخذ، معناه: إعداد الشيء لأمر من الأمور.

والحسبان والظن من النظائر، وليس الحسبان علما ولا شكا[٢]؛ لأن الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر، والشك ألاَّ يترجح أحدهما.

الإعراب

نصب «فريقًا» بعطف فِعْل على فِعْل، كأنه قيل: وفريقًا أضل، إلا أنه فسره بما

(١) عن: على، أ، د.

(٢) علما ولا شكا: علم ولا شك، أ، د.

بعده، فأغنى عن ذلك، وقيل: نصب بـ «**تعودون**» فريقًا على الحال، والثاني عطف[1] عليه، عن الفراء، ولو رفع على تقدير أحدهما كذا، والآخر كذا جاز، كقوله: ﴿تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] به.

«**وأقيموا**» قيل: إنه عطف على ما تقدم؛ أي: احذروا الشيطان فلا تطيعوه وأقيموا وجوهكم، عن ابي مسلم. وقيل: تقديره: أمر ربي بالقسط، وبأن تقيموا. وقيل: تقديره: قل أمر ربي بالقسط، وقل: أقيموا وجوهكم، وإن ما قال حقًا[2] .

و(**الضلالة**) مؤنثة؛ لأنه مصدر مثل الضلال، فذهب إلى تذكيره؛ لأن[3] تأنيثه غير حقيقي.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل[4] : لما بَيَّنَ أنه لا يأمر بالفحشاء كما زعم الكفار، وهو اسم جامع للقبائح، عَقَّبه ببيان ما يأمر به، فجاء باسم جامع لجميع الخيرات، وهو القسط الذي هو العدل والاستقامة، ثم عقبه بالوعد والوعيد، عن أبي مسلم والقاضي.

وقيل: لما بين أن الشياطين أولياء الكفرة بَيَّنَ ما به يصير أولياء الله تعالى.

ويقال: بم يتصل قوله: «**كما بدأكم تعودون**» ؟

قلنا: فيه أقوال:

قيل: إنه كلام مستأنف، أي: يعيدكم بعد الموت فيجازيكم، عن أبي مسلم.

وقيل: يتصل بقوله: «**فيها تحيون وفيها تموتون**» فعلم أن مشركي العرب ينكرون

---

(١) عطف: علق، أ.
(٢) حقًا: حق، أ، د.
(٣) لأن: لا، أ، د.
(٤) قيل: فقيل، أ، ش.

البعث، فدل عليهم بقوله: «**كما بدأكم تعودون**» في كلام وجيز، وبيان[١] عجيب، ودليل ظاهره «**كما بدأكم**» من التراب، يعيدكم من التراب، عن الأصم.

وقيل: يتصل بما قبله أي: ادعوا الله مخلصين؛ لأنه كما بدأكم تعودون، فيجازيكم.

المعنى

«**قُلْ**» يا محمد لهم «**أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**» قيل: بالعدل، عن مجاهد والسدي. وقيل: بالتوحيد، عن الضحاك. وقيل: بلا إله إلا الله، عن ابن عباس. وقيل: بجميع الطاعات والقرب، عن ابي مسلم، وهو الوجه «**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**» قيل: توجهوا إلى قبلة كل مسجد في الصلاة على الاستقامة، عن مجاهد والسدي وابن زيد. وقيل: توجهوا إلى الكعبة في صلاتكم، عن أبي علي، وأكثر المفسرين. وقيل: توجهوا بالإخلاص لله لا لِوَثَنٍ[٢] ولا لغيره، عن الربيع. وقيل: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه، فإن لم يكن عند مسجد فليصل في أي مسجد شاء، عن الضحاك. وقيل: أراد بالمسجد أوقات السجود، وهو أوقات الصلاة؛ أي: أقيموا وجوهكم الجهة التي أمركم الله بالتوجه إليها عند الصلاة في مواقيتها، وقيل: أراد به سائر العبادات أن يجعلها[٣] خالصة لله من الرياء والمحبطات «**وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ**» قيل: اعبدوه بالإخلاص، ولا تشركوا به شيئًا «**لَهُ الدِّينَ**» يعني الطاعة والعبادة، وقيل: ما يدان به «**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**» قيل: كما خلقكم أحياء لا من شيء أولاً تعودون أحياء بعد الموت والفناء، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وابن زيد وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: يعودون على ما ماتوا عليه، المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره، عن ابن عباس بخلاف وجابر ومجاهد. وقيل: بدأهم في التراب يعني آدم، وتعودون إلى التراب، عن قتادة والأصم. قيل: كما بدأكم عرايا[٤]، تعودون عرايا[٥] لا شيء معكم، عن الربيع بن أنس.

---

(١) وبيان: والإتيان، أ، د.
(٢) لوثن: بوثن، أ، د.
(٣) يجعلها: يخلها، أ، ش.
(٤) عرايا: عريانا، أ، د.
(٥) عرايا: عريانا، أ.

واختلفوا، قيل: ذكر هذا على وجه الحجاج؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث، عن الزجاج. وقيل: أمر بالإقرار به كأنه قال: أقروا بأنه كما بدأكم تعودون، عن قطرب.

«فَرِيقًا» أي: جماعة **«هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ»** فيه أقوال:

قيل: فريق هداه الله فاهتدى؛ لأنه وإن هدى الجميع فمن لم يهتد لا يطلق بأنه هداه الله، وفريقًا حق عليهم أنهم ضالون.

وقيل: هدى أي: حكم بهدايتهم مدحًا لهم بأنهم مهتدون وذمًّا لأولئك بأنهم ضالون.

وقيل: المراد بالهدى الدلالة التي يشرح بها صدور هؤلاء للاهتداء، ويضيق بها صدر أولئك، وذلك أن المؤمن نظر فعرف، وهؤلاء لم يعرفوا؛ إذ[1] لم ينظروا وبقوا[2] متحيرين تضيق صدورهم، عن الأصم.

وقيل: هداهم بالألطاف التي فعلها بهم فاهتدوا عنده، وخذلان أولئك أنه لا لطف لهم.

وقيل: الهدى إلى طريق الثواب، والإضلال عنه بالعقاب في النار، عن أبي مسلم وأبي علي. ومعنى حَقَّ: وَجَبَ.

«إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ» بيّن الله أنه لم يبدأهم[3] بالعقوبة، ولكن جازاهم على عصيانهم ولا تباعهم الشياطين، والمعنى: اتخذوا الشياطين لنصرهم من دون الله، ومعنى أولياء: أنصار، وقيل: أرباب[4]، وقيل: اتخذوهم أولياء بأن أطاعوهم، عن ابي مسلم **«مِنْ دُونِ اللَّهِ»** أي: ما اتبعوا أمر الله **«وَيَحْسَبُونَ»** ويظنون **«أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ»** في ذلك أنهم على هداية وحق فيما اعتقدوا.

---

(١) إذ: إذا، أ.

(٢) وبقوا: ويبقوا، أ، د.

(٣) يبدأهم: يبدهم، أ.

(٤) أرباب: أربابًا، أ، د.

۞ الأحكام

الآية تدل أنه ـ تعالى ـ أمر بالقسط والعدل.

وتدل على التعبد بالصلاة والإخلاص في العبادة.

وتدل على صحة الإعادة؛ لأنه دل عليه بالبشارة الأولى.

وتدل على الإفناء؛ لأنه لو لم يكن فناءً لما صحت الإعادة.

وتدل على أن الناس فريقان يوم القيامة لا ثالث من المكلفين، إما مثاب وإما[1] معاقب، فيبطل ما يقوله قوم أن في المكلفين من يستوي ثوابه وعقابه، فأزال ـ تعالى ـ هذا التوهم.

وتدل على بطلان الظن في أصول الدين، وأن الواجب فيه العِلْمُ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ لأنه وصفهم بالحسبان، ولو علموا لما ظنوا.

وتدل أن أفعالهم حادثة من جهتهم؛ لذلك قال: «**أقيموا**»، و«**ادعوه**»، «**واتخذوا الشياطين**»، «**ويحسبون**»، فيبطل قولهم في المخلوقين.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ نافع «**خالصة**» بالرفع على أنه خبر الابتداء، تقديره: بل هي خالصة، وهو قراءة ابن عباس وقتادة.

---

(١) وإما: أو، أ، د.

وقرأ الباقون بالنصب، قيل: على الحال، وقيل: على القطع، تقديره: ولهم في الآخرة خالصة.

۞ اللغة

التحريم: أصله المنع، حَرَّمَ يُحَرِّمُ، فكأنه بين وجوب تجنبه، ونقيضه: التحليل، ومنه: الحرم، والإحرام، والأشهر الحرم، والمحرم.

والزينة: ما يتزين به، كالثياب الجميلة والجليلة.

والإسراف: الخروج عند الاستواء في زيادة المقدار، والإسراف والإقتار مذمومان، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

۞ الإعراب

الطيبات: في موضع نصب بالعطف على الزينة، ولكن التاء[(١)] الزائدة[(٢)] لا يدخلها النصب.

ويقال: ما العامل في «**خالصة**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: اللام المذكورة في (للذين[(٣)] آمنوا) عن الزجاج.

والثاني: (لهم) محذوف على تقدير: وهي لهم خالصة يوم القيامة عن الفراء.

۞ النزول

قيل: نزلت في الذين طافوا بالبيت عرايا[(٤)]، عن ابن عباس وطاؤوس و جماعة.

وقيل: كانت بنو عامر يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وإن

---

(١) التاء: الباب، أ.

(٢) الزائدة: +، د.

(٣) اللذين: الذين، أ.

(٤) عرايا: عريانا، أ، د.

طاف أحد وعليه ثوبه نزع منه، فأنزل الله تعالى: **«يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»**، عن جماعة من المفسرين.

وروى علي بن موسى القمي وإسماعيل بن إسحاق القاضي أن أناسًا من كندة كانوا يفعلون ذلك، فنزلت الآية.

وقال الأصم: كان مشركو[1] العرب يطوفون عراة، ويقولون: لا نطوف في ثوب أصبنا فيه الذنوب، فأمر الله ـ تعالى ـ بالستر.

قال الكلبي: وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتًا، ولا يأكلون دسمًا في أيام حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله، نحن أحق أن نفعل ذلك، فنزلت الآية.

وقيل: كان قوم إذا حجوا أو اعتمروا حرموا الشاة عليهم، وما يخرج منها من اللبن واللحم والشحم، فنزلت الآية، عن ابن زيد والسدي.

وقيل: نزلت الآية في اللباس عند الصلاة.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر ما أنعم الله ـ تعالى ـ على عباده من اللباس والرزق بَيَّنَ أنه خلقه لهم، ولم يحرِّمه عليهم، وبيّن ما يحل وما لا يحل، فقال سبحانه: **«يَا بَنِي آدَمَ»** خطاب عام، والمراد به المكلفون **«خُذُوا زِينَتَكُمْ»** يعني لباسكم الذي تتجملون به، وقيل: ما تسترون به عوراتكم، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، عن مجاهد. وقيل: أمرهم بالمشط والعطر والخاتم، وقيل: بالحذاء والرداء **«عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»** قيل: عند المسجد[2] الحرام؛ لأنهم[3] كانوا يطوفون عراة، عن ابن عباس وعطاء وإبراهيم والحسن وقتادة وسعيد بن جبير. وقيل: هو التزين للجُمَع والأعياد، وهي سُنَّة، عن الزجاج، وقيل: اللبس وستر العورة والعبادة دون الرياء والسمعة.

---

(١) مشركو: مشركي، أ، د.
(٢) المسجد: مسجد، أ، د.
(٣) لأنهم: لأنه، أ.

ومتى قيل: ما وجه شبهتهم في الطواف عرايا[1] ؟

قلنا: فيه قولان: أن الثياب دنستها المعاصي. الثاني: تفاؤلاً بالتعري.

«**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**» مما أباح الله، قيل: هو عام في جميع المباحات، وقيل: في اللحم واللبن في حال الإحرام «**وَلا تُسْرِفُوا**» يعني لا تجاوزوا الحلال والحرام، وقيل: الإسراف ما قصر به عن حق الله، وأنفق في معصية الله، عن مجاهد. وقيل: لا تسرفوا أي: لا تحرموا الحلال، عن الكلبي «**إِنَّهُ لا يُحِبُّ**» أي: لايريد إكرامهم وتعظيمهم «**الْمُسْرِفِينَ**».

ثم أكد ما تقدم، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد لهم «**مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ**» يعني مَنْ منع مِنْ لبس اللباس الحسن والثياب؟ وقيل: من حرم أخذ اللباس في الحج والطواف؟ «**وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**» أي المستلذ مما أعطاكم الله، وقيل: الحلال من الرزق، والأول أظهر لخلوصه يوم القيامة.

واختلفوا في ذلك الرزق، قيل: ما حرمه[2] أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، عن ابن عباس والحسن وقتادة.

وقيل: السمن واللبن، وكانوا يحرمون ذلك في الإحرام، عن ابن زيد والسدي.

وقيل: الغنائم والخُمس.

وقيل: الأغذية الطيبة ما لم يبلغ سرفًا، عن أبي علي.

وقيل: الحلال الذي أحل لنا الله تعالى.

«**قُلْ**» يا محمد لهم مَنْ حرمه؟ فإذا عجزوا عن الجواب فقل: «**هِيَ**» يعني الطيبات «**لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قيل: إنها في الدنيا مشتركة بين المؤمن والكافر، وفي الآخرة خالصة لهم دون أعدائهم من المشركين، عن ابن عباس

---

(١) عرايا: عريانا، أ، د.

(٢) قيل ما حرمه: قيل ما هو ما حرمه،أ.

والحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد. وقيل: خالصة لهم من سائر مضرة تلحقهم، بخلاف ما في الدنيا؛ لأنها مشوبة، عن أبي علي والأصم وأبي مسلم. «**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ**» أي: نبين ونشرح الحجج والأدلة «**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**» قيل: يعلمون حال الآخرة، وقيل: يعلمون الأدلة وينظرون فيها، وقيل: لكل[1] عاقل، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: لقوم[2] شأنهم أن يعلموا الحق، عن الأصم.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الستر في الصلاة؛ لأنه مفعول عند المسجد؛ ولذلك قال: «**عند كل مسجد**» ولو كان المراد به الطواف كان المسجد واحدًا، فالظاهر ما ذكرنا، وإن اختلفوا في سبب نزوله، فالمراعى لفظ الآية لا سببه، ثم يدخل فيه الطواف والجمعة والأعياد وسائر الصلاة.

ومتى قيل: ما المراد بالمساجد؟

قلنا: يحتمل الصلاة موضع الصلاة، والمساجد المبنية، لكن الظاهر أنه المساجد المبنية، فلا وجه للعدول عنه إلا بدليل، وكل بيت للصلاة، فعلمنا أن الستر للصلاة.

وتدل على تأكيد وجوبها في الصلاة؛ لأن في سائر الحالات، وإن وجب سترها فقد يجوز كشفها بحال، وفي الصلاة لا يجوز، ولو كشفت فسدت الصلاة، فصار من شرائط الصلاة؛ فلهذا خصه بالذكر، ولأن وجوبه لغيرها لا يمنع وجوبه لها، فلا يتوجه عليه سؤال، ولا خلاف أن الواجب في الصلاة ستر العورة، ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة: السرة ليست بعورة، وقال الشافعي: عورة، وقال أبو حنيفة: الركبة عورة، وقال الشافعي: ليست بعورة، وأكثر العلماء على أن الفخذ عورة، وقال أصحاب الظاهر: ليس بعورة.

والحرة: جميع بدنها عورة إلا الوجه والكف والقدم عند أبي حنيفة، وروي عن الهادي أن القدم عورة.

---

(١) لكل: الكل، أ، د.

(٢) لقوم: القوم، أ.

وأما الأَمَة: فشعرها ووجهها ويداها[١] إلى العضد وساقها ليس بعورة.

وإذا انكشف من العورة المغلظة بقدر الدرهم لا يبطل الصلاة، فإن زاد بطلت، وفي المخففة يقدر فيه الربع، هذا عند أبي حنيفة، وقال الهادي: إن انكشف شيء وإن قل، وهو يقدر على ستره بطلت صلاته.

وتدل على أنه مأمور بأخذ الزينة، وذلك يزيد على قدر ستر العورة، إلا أن ما علا ستر العورة مستحب، وليس بواجب، وإن تناوله الظاهر، وفيه تنبيه وتأديب بأنه يجب أن يتزين عند العبادات بمناجاة[٢] ربه.

وتدل على إباحة التمتع بكل مأكول ومشروب وملبوس، فالآية توجب الإباحة، فإن اختار المرء أن يقتصر على الأدون احتياطًا لدينه كما روي عن أمير المؤمنين وجماعة من الصحابة وهو أفضل، وإن تمتع جاز بعد أن يعتقد الإباحة في الحالين.

وتدل على المنع في الإسراف وذلك على وجهين:

أولها: إنفاق في معصيته كاللهو، واللعب، والقمار، والزنا، والخمر ونحوها.

وثانيها: أن يتعدى الحدود، وذلك مختلف، بحسب حال اليسار[٣] والفقر؛ لأن من له قدر يسير[٤] لو أنفقه في ضيافة أو طيب أو اشترى سراويل قصبًا أو عمامة خز وهو وعياله يحتاجون إليه ـ فهو سرف محرم، ومثله من الموسر لا يقبح، ولا يكون سرفًا.

وتدل على أن الأشياء على الإباحة، والعقل يدل على ذلك؛ لأنه ـ تعالى ـ خلقه لمنافعهم، والسمع ورد مؤكدًا، ولذلك قال: مَنْ حرَّمه مطالَبٌ بدليل سمعي.

وتدل أنه لا يريد السرف؛ ولذلك «**لا يحب المسرفين**».

وتدل على أن هذه النعم تخلص للمؤمن من الشوائب، فرغب فيها ليتأهبوا لذلك ويعلموه[٥].

---

(١) ويداها: يديها، أ.

(٢) بمناجاة: بمناجات، أ، د.

(٣) حال اليسار: فحال يسار، أ، د.

(٤) قدر يسير: قدرا يسيرا، أ، د.

(٥) ويعلموه: ويعلمونه، أ، ش.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾

اللغة

أصل التحريم: المنع، ويقال: أثم فهو آثم وأثيم محتمل للآثام، والأثام ـ مقصور[(١)] ـ الإثم، وقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨] يعني جزاء إثمهم، فسمي الجزاء عليه باسمه.

والبغي أصله: الطلب، يقال: هذا بغيتي أي: طلبتي، وما يبغي أي: ما يطلب، وينبغي كذا أي هو الأولى أن يطلب، والبغي: الزيادة من غير حق.

والأُمَّةُ: الجماعة التي يعمهم معنى، وأصله من أَمَّ يَؤُمُّ إذا قصد، والأمة: الجماعة على مقصد.

والأَجَل: مدة الشيء، وهو الوقت المضروب لانقضائه، ومنه: الأجل الدين، وأجل العمر.

والاستقدام: استفعال من القدم، يقال: قَدَمَ يَقْدُمُ، وأقدم يُقْدِمُ، وقدّم يقدّم، ويقال: قدمته وأقدمته قدمًا، واستقدم يستقدم، قيل: معناه تقدم، ومنه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٤]، وقيل: هو طلب الإقدام.

والاستئخار: طلب التأخير، وهو من الآخرة، والآخر بعد الأول، وفعل ذلك بآخَرة بنصب الخاء أي آخرًا، وبعته بآخِرة بكسر الخاء، وبنظرة[(٢)].

الإعراب

يقال: ما الفرق بين النهي والتحريم في التعدية؟

(١) مقصورا: مقصور،أ، د.

(٢) وبنظرة: ينظره،أ.

قلنا: النهي صيغة يخاطب بها المنهي فتعدى إليه، ثم احتيج إلى الفرق بين المنهي والمنهي عنه فدخل حرف الإضافة لهذه العلة.

والتحريم تَعَدٍّ إلى القبيح؛ لأنه يتعلق به ما احتيج إلى الفرق بين المحرم والمحرم عليه، فدخل حرف الإضافة فيه.

المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - المحرمات، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ**» قيل: جميع القبائح والمحظورات والكبائر، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وذكر الجملة ثم فصل، كأنه قيل: الفواحش التي منها البغي والإثم والإشراك بالله، وقيل: الفواحش: الربا، وهو الذي بطن، والتعري في الطواف وهو الذي ظهر، عن مجاهد. وقيل: هو الطواف عريانًا «**مَا ظَهَرَ مِنْهَا**» طواف الرجال بالنهار «**وَمَا بَطَنَ**» طواف النساء بالليل، وقيل: ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: أفعال القلوب، وقيل: ما ظهر: ما جاهر بعضهم بعضًا، وما بطن: ما ستر بعضهم عن بعض من الإثم، وقيل: الفواحش الكبائر، «**وَالإِثْمَ**» الصغائر، عن الأصم، وقيل: الإثم الذنوب والمعاصي، عن أبي علي. وقيل: الإثم ما دون الحد، وقيل: الإثم الخمر عن الحسن، وأنشد الأخفش:

شَرِبْتُ الإثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ[1]

وقال آخر: نهانا رسول الله ﷺ أن نقرب الخنا، وأن نشرب الإثم الذي يوجب الوزر. «**وَالْبَغْيَ**» قيل: الاستطالة على الناس، والظلم عليهم، والبغي: الفساد بغير حق؛ لأن البغي قد يخرج عن كونه ظلمًا إذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص، وقيل: البغي لا يكون إلا مذمومًا وذكر (بغير حق) تأكيدًا لقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]، «**وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ**» يعني حرم الشرك «**مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**» أي: لم تقم عليه حجة؛ لأن الشرك لا دلالة فيه ولا حجة «**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا**

---

(١) انظره في تهذيب اللغة (أثم)، والصحاح (أثم)، ولسان العرب (أثم).

تَعْلَمُونَ» يعني حرم القول على الله بغير علم، قيل: في الشرك، وقيل: في التحليل والتحريم، وقيل: عام، وهو الوجه.

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما فيه تسلية للنبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار، فقال[١] سبحانه: «**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ**» أي: لكل جماعة وأهل عصر، وإنما ذكر الأمة دون كل أحد، قيل: لأن ذكر الأمة يقتضي تقارب أعمار أهل العصر، وقيل: لأنه يقتضي إهلاكهم في الدنيا بعد إقامة الحجة عليهم بالرسل «أجل»، قيل: وقت يختبرهم[٢]، عن أبي علي. وقيل: وقت لاستئصالهم، عن الحسن والأصم. «**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ**» وقتهم «**لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً**» ولا يتقدمون ساعة؛ أي: عن ذلك الوقت لا يتأخر عذابهم وموتهم ولا يتقدم وإنما أدخل السين في «**يستأخرون**» للتأكيد يعني في الأجل يأتيهم، وبما عاينوا لا يطلبون التأخر.

۞ الأحكام

تدل الآية على تحريم ما ذكر مقابلاً لتحليل ما تقدم، فالتحليل من نصيب الدنيا، والتحريم من نصيب الآخرة.

وتدل على تحريم جميع الذنوب؛ لأن قوله: «**الفواحش والإثم**» يشتمل على الصغير والكبير، والأفعال القبيحة، والعقود المخالفة للشرع كالربا وغير ذلك، والأقاويل الفاسدة، والاجتهادات الباطلة، ودخل في قوله: «**ما ظهر**»، «**وما بطن**» أفعال الجوارح، وأفعال القلوب، والجنايات، والمكر، والخديعة، ودخل تحت قوله: «**والبغي**» كل ظلم وتعدٍّ[٣] على الغير، فيدخل فيه ما يفعله البغاة، والخوارج، والأمراء، والحكام إذا انتصروا بغير حق، ودخل تحت قوله: «**وأن تشركوا**» تحريم كل شرك وعبادة لغير الله، ودخل تحت قوله: «**وأن تقولوا**» كل بدعة وضلالة، وفتوى بغير حق، وشهادة زور ونحوه، فالآية جامعة في المحرمات، كما أن ما قبله جامعة في المباحات، وفيه تعليم الآداب دينًا ودنيا.

---

(١) فقال: قال،أ، ش.

(٢) يختبرهم: يحياهم،د.

(٣) وتعد: تعدي،أ.

وتدل على بطلان التقليد؛ لأنه أوجب اتباع الحجة لقوله: «**ما لم ينزل به سلطانا**» والسلطان: الحجة.

وتدل على أن لكل أحد وقتَ حياةٍ ووقتَ مواتٍ، لا يجوز فيه التقديم والتأخير، فيبطل قول من يقول: المقتول مات قبل أجله.

وتدل على أن الأجل واحد، وهو لا يعلم أنه يجوز فيه، فيبطل القول بالأجلين.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

اللغة

القصص: وصل الحديث بالحديث، وأصله إتباع الشيء الشيء، ومنه: المِقَصُّ لاتباع القطع به القطع، ومنه: القِصَاص؛ لأنه يتبع أصل الجناية، والقَصّاص: الراوي يأتي بالقصة، ويقال: قصصت الشيء: إذا تتبعت أثره شيئًا بعد شيء قصصًا وقصّا.

والتكذيب: تنزيل الخبر على أنه كذب، ونقيضه التصديق، ويختلف حاله بالإضافة، والتكذيب بآيات الله كفر، والتكذيب بالطاغوت إيمان.

والاستكبار: طلب الترفع بالباطل.

والرسل: جمع الرسول، وأصله الإطلاق.

قال الكسائي: أكثر ما تخفف إذا كانت مرفوعة، مثل: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]؛ وذلك لأن توالي الضمات يستثقل[١]، فإذا كانت منصوبة فالثقل[٢] أظهر.

---

(١) يستثقل: يستقبل، د.
(٢) فالثقل: فالثقيل، أ.

۞ الإعراب

(ما) في قوله: «**إمّا**» صلة، قال الفراء: دخلت النون الشديدة لمكان (إما) التي معناها الجزاء؛ لأن النون الشديدة والخفيفة تدخلان في الأمر والنهي والاستفهام ولام التمني، و(إن) التي للجزاء إذا وصلت بـ(ما) وتدخل بها إذا كانت صلة، وموضعه ههنا[1] موضع المجازاة.

و«**يقصون**» في موضع الحال، وتقديره: إن يأتكم رسل قاصين آياتي. «**فمن اتقى**» في موضع المجازاة فهو عطف على قوله: «**إما يأتينكم**» وجوابه: «**فلا خوف**»، وتلخيصه: إن أتاكم رسل فاتقيتم[2] لم تخافوا، عن أبي مسلم.

ويقال: أين جواب (إن)؟

قلنا: فيه قولان:

قيل: محذوف، دل الكلام عليه، تقديره: فأطيعوهم.

وقيل: الفاء في قوله: «**فمن اتقى وأصلح**».

۞ المعنى

لما تقدم في الآيات المتقدمة ذكر نعم الدنيا، وما أحل وما حرم، عقبه بذكر نعم الدين وما أرسل به الرسل، ثم ذكر الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «**يَا بَنِي آدَمَ**» قيل: هو خطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم، وهو معطوف على ما تقدم من خطا بآدم وبنيه، وتقديره: وقل[3] لهم ولكل أمة[4]، عن أبي مسلم وجميع المفسرين. وقيل: الخطاب لمشركي العرب، والمراد بالرسل محمد، ﷺ عن مقاتل، والأول الوجه. «**إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ**» أي: إن أتتكم «**رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي**» يتلون عليكم «**آياتي**»

(١) ههنا: ـ، د.
(٢) فاتقيتم: فتتقوا، أ.
(٣) وقل: وقال، أ، د.
(٤) أمة: ابن، أ، د.

حججي وبيناتي[1]، وقيل: القرآن «**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ**» قيل: اتقى المعاصي واجتنبها، وأصلح عمله، والمتقي اسم جامع لذلك، وهو اسم مدح لا يطلق إلا على المؤمن المستحق للثواب؛ ولذلك أطلق، وقيل: اتقى ما يحبط أعماله الصالحة، وقيل: اتقى الله وعذابه[2] فصدق رسله، عن الأصم. «**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**» في الآخرة «**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**» والحزن: الغم «**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» حججنا «**وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**» قيل: تكبروا عن قبول الحق، وقيل: تكبروا عن الإيمان بمحمد والقرآن «**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**» أي: ملازمون لها «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» أي: دائمون.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب اتباع الرسل، وقبول ما يؤدون.

وتدل على أن الصلاح في الرسل أن يكون من جملة من بعث إليهم؛ لأنهم يكونون بطريقته أعرف، وعن النفار عنه أبعد، وإلى السكون إليه أقرب.

وتدل على أن الغرض بالرسول ما يؤدي من الأدلة؛ فلذلك قلنا: لا يجوز أن يكون رسولاً إلا ومعه ما يؤديه.

وتدل على أن الجنة تنال بشيئين: بالأعمال الصالحة، واتقاء المعاصي، فبطل قول المرجئة.

وتدل على أن المؤمن في الآخرة لا يخاف ولا يحزن، خلاف ما تقوله الإخشيدية والحشوية[3]، هكذا قاله أكثر أصحابنا[4].

وقال أبو بكر أحمد بن علي: قوله: «**لا خوف عليهم**» كقول الطبيب للمريض: لا بأس عليك، يعني أن أمره يؤول إلى العافية، وليس هذا بالوجه؛ لأنه نفى الخوف والحزن مطلقًا.

---

(١) وبيناتي: وسيأتي، أ، د.

(٢) وعذابه: وعدله، أ، ش.

(٣) والحشوية: الحشو، أ.

(٤) أكثر أصحابنا: أصحابنا أكثر، أ.

وتدل على أن التقوى والصلاح والتكذيب فعل العبد، فيبطل قولهم في المخلوق والاستطاعة.

قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

اللغة

الافتراء: قول الكذب، ومنه: الفرية. والنَّيْلُ: الوصول إلى الشيء، يقال: نلت النخلة أنالها نيلاً. والنصيب: الحظ. والوفاة: الموت، وأصله من قولهم: توفيت الشيء واستوفيته: قبضته بتمامه.

الإعراب

«**فمن أظلم ممن افترى**» استفهام، والمراد التقرير، أي: لا أحد أظلم، وإنما ذكر بلفظ الاستفهام؛ لأنه أبلغ حتى لا يجوز إمالته؛ لأنه جزم لا ينصرف، وفي الإمالة نزع يصرف وإنما كتبت بالياء[1] وإن لم يجز إمالتها تشبيها بـ(حبلى) لأن الألف رابع[2] حروفه.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ وعيد المكذبين الذين تقدم ذكرهم، فقال سبحانه: «**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**» بحججه، قيل: المفتري: من يعرف الله ويعتقده ويكذب عليه، والمكذب بآياته: من لا يعتقده ويكذب بحججه فلهذا جمع

(١) وإنما كتبت بالياء: +، د.
(٢) رابع: أربع، أ.

بينهما، وقيل: جمع بينهما لأنهما صيغتا[١] نقض، التكذيب بحججه، والكذب عليه، قال أبو مسلم: وتقديرالكلام: منكذب على الله فهو أظلم الناس وأكذبهم. «**أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ**» ينالهم نصيبهم حظهم من الكتاب، قيل: من العذاب، عن الحسن والسدي والأصم. يعني ما كتب عليهم من عذابهم المستحق، وقيل: من الرزق والعمى والعمل والخير والشر في الدنيا، عن الربيع وابن زيد. وقيل: يبقون إلى الأجلال مكتوب لهم، والأجل في هذا الموضع الكتاب، فإذا جاء ذلك الأجل جاءته رسلنا، عن أبي مسلم. وقيل: جميعم اكتب لهم وعليهم، عن مجاهد وعطية. وقيل: أعمالهم التي عملوها وأسلفوها وكتبت عليهم من خير أو شر، فمن عمل خيرًا أو شرًّا يجزى به، عن ابن عباس وقتادة والضحاك. وروي عن ابن عباس أن ما كتب لمن يفتري على الله أن يسود وجوههم، وقيل: أراد أهل الذمة فينالهم نصيبهم من كتابنا بحقن دمائهم وأموالهم والذب عنهم وألاَّ يتعدى عليهم وننصفهم في معاملاتهم، عن أبي علي. «**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا**» يعني الملائكة جاءتهم «**يَتَوَفَّوْنَهُمْ**» قيل: وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة، عن الحسن. وقيل: الملائكة التي تأتيهم في النار لتعذيبهم، وقيل: وفاة الموت توبخهم عنده الملائكة، عن أبي علي، وهوالظاهر، وذلك يكون في حال المعاينة إذا جاء والقبض أرواحهم، وذلك حقيقة في الوفاة «**قَالُوا**» يعني الملائكة لهؤلاء الكفار «**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» قيل: الأوثان، يعني هلاّ دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب، وقيل: رؤساؤهم الذين كانوا يتبعونهم.

وفائدة السؤال وجهان: توبيخ وتبكيت لهم يزيدهم غَمًّا إلى غم، ولطف للمكلفين؛ لأنه إذا تصور ذلك صرفه عن التكذيب.

«**قَالُوا**» يعني الكفار «**ضَلُّوا عَنَّا**» ضاعوا[٢]، لا ندري أين ذهبوا؟ يعني الأوثان، بطلت عبادتنا إياهم، وقيل: فضلوا عنا أي: بطل ما كنا نأمل، عن الأصم. «**وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**» أي: أقروا على أنفسهم بالكفر.

---

(١) لأنهما صيغتا: صيغتا، أ.

(٢) ضاعوا: أضاعوا، أ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن أعظم الذنوب الكذب على الله، وتكذيب أنبيائه؛ فلذلك قلنا: إنه كفر، وأن العقاب عليه أعظم.

وتدل على أن اسم الظلم ينطلق على ما يضر بنفسه، كما ينطلق على الإضرار بالغير، فيوجب أن كل معصية ظلم.

وتدل على أن الملائكة يوبخونه عند قبض روحه، أو عند إنزال العذاب به على اختلاف المفسرين.

وتدل على أنهم يعترفون بذنوبهم، ولكن لا ينفع ذلك.

قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ۝٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ۝٣٩﴾

۞ القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «**لكل ضعف ولكن لا يعلمون**» بالياء على الكناية عن غائب، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب[١].

وقرأ العامة: «**ادَّاركوا فيها**» بتشديد الدال على الإدغام، وقرأ الأعمش: «**إذا تداركوا**» على الأصل، وقرأ النخعي «**ادّركوا**» مثقلة الدال من غير ألف على «افتعلوا» من الدرك، وبوزن ادَّاركوا أصله: تداركوا «تفاعَلُوا»، فلما أدغمت التاء في الدال اختفت[٢] ألف الوصل للنطق بالساكن بعده.

---

(١) حجة القراءات ٢٨١.

(٢) اختفت: اختلف، أ، ش.

۞ اللغة

الأمة: الجماعة، وأصله القصد من أم يؤم، فكأنهم يكونون على قصد واحد.

والخِلْو: انتفاء الشيء عن مكانه، يقال: خلا عن البيت، وقيل: ليس في العالم خلاء بل كلها ملاء، عن أبي القاسم. وقيل: فيها خلاء وملاء، عن أبي علي وأبي هاشم. وتداركوا من أدركه: إذا لحقه[١]، يقال: أدرك قتادة الحسن، وأدرك الغلامُ: إذا لحق وقت الحلم، وأدركت التمر: لحق وقت نضجه، وأدرك الزرع: لحق وقت حصاده.

والضِّعْف: المِثْلُ الزائد على مثله، يقال: أضعف هذا الدرهم أي: اجعل معه آخر، ومنه: المضاعف، والضِّعفان[٢]: ما كانا مثلين، والمضاعف: ما كان أكثر من ذلك.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - ما يجري بين الملائكة وبينهم يوم القيامة، فقال سبحانه: «**قَالَ ادْخُلُوا**» قيل: الملائكة تقول لهم؛ لأنه جرى ذكرهم، وقيل: الله - تعالى - يقول لهم عن أبي علي وأبي مسلم. «**ادْخُلوا**» يعني: لما استوفيتم ما كتب لكم من الأعمار والأرزاق ولم تفعلوا[٣] ما دعيتم إليه وأنتم مختارون فادخلوا الآن «**فِي أُمَمٍ**» من جملة أقوام وجماعات «**قَدْ خَلَتْ**» مضت «**مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ**» كفار «**الْجِنِّ وَالإِنْسِ**» في الأمم الماضية «**فِي النَّارِ**» أي: سبقوكم إلى النار «**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ**» جماعة «**لَعَنَتْ أُخْتَهَا**» في الدين والملة، وإنما قال «**أختها**» ولم يقل: أخاها؛ لأنه عنى به الأمة والجماعة، قيل: المشرك يلعن المشرك، واليهودي يلعن اليهودي، والنصارى تلعن النصارى، وكذلك المجوس والصابئون، عن أبي مسلم. قال: إذا حصلوا في النار وعاينوا العذاب بعدما كانوا يتوددون في الدنيا، ويتحابون لعن[٤] الأتباع القادة والرؤساء يقولون[٥]: أنتم

---

(١) لحقه: تداركو، د.
(٢) الضعفان: الضعفين، أ.
(٣) تفعلوا: تجتنبوا، أ.
(٤) لعن: بلغ، أ.
(٥) يقولون: تقول، أ، د.

غررتمونا وأوردتمونا هذه الموارد، فلعنكم الله «**حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا**» قيل: تلاحقوا واجتمعوا في النار، وقيل: حصلوا في درك من الدركات، وقيل: الدرك: النار والمهواة بهاوية، وليس لأهلها قرار؛ لأن القرار دعة وراحة، يقول: حتى إذا هوى في النار، عن الأصم. «**قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ**» قيل: الأتباع للقادة، عن الأصم. وقيل: أولاهم الذين يدخلون النار أولاً، وأخراهم الذين يدخلون النار آخرًا، عن مقاتل. وقيل: أولاهم الذين شرعوا لهم تلك[1] البدع والضلالة، وأخراهم الذين كانوا بعدهم في آخر الزمان، عن السدي. «**رَبَّنَا هَؤُلاءِ**» يعني هؤلاء الرؤساء القادة ومن شرع الضلالة ودعا إليها «**أَضَلُّونَا**» قيل: دعونا إلى الضلال وزينوا ذلك وحملونا عليه، وقيل: منعونا عن اتباع الحق بالوعيد والترهيب «**فَآتِهِمْ عَذَابًا**» أي: عذبهم «**ضِعْفًا**» أي مِثْلَيْ ما لنا «**مِنَ النَّارِ**» وقيل: ضعفي ما هم فيه، وهذا دعاء تسلية، وإلا فالعذاب لا يزيد بدعائهم ولا ينقص، ويحتمل أن يكون المراد أنهم يستحقون ضِعْفَيْ ما نستحق؛ لأنهم ضلوا وأضلوا، ونحن ضللنا فقط، وقد فعل بهم ذلك، وهذا هو الوجه، «**قَالَ**» الله[2] ـ تعالى ـ مجيبًا لهم «**لِكُلٍّ ضِعْفٌ**» قيل: لكل قسط وحظ، عن أبي مسلم. وقيل: لكل ضعف أي: شدة إلى شدة وعذاب إلى عذاب يعني القادة والأتباع، فأراد به شدة ما هم فيه، وإلا فلا بد من تفاوت بين الأتباع والقادة لكثرة الآثام وقلتها «**وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ**» أي: كل واحد لا يعلم ما بصاحبه من العذاب ومقداره، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: هو خطاب للكافر في الدنيا؛ أي: لايعلم مصير هو أنهم يتلاعنون، عن الأصم. «**وَقَالَتْ أُولاهُمْ**» القادة «**لأُخْرَاهُمْ**» الأتباع مجيبًا لهم «**فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ**» ليس بيننا تفاوت في الكفر، فنحن سواء، عن أبي علي. وقيل: تركنا النظر واعتقدنا الباطل وقلدتمونا واعتقدتم الباطل فساويتمونا، وقيل: لم يكن لكم علينا من فضل في ترك الكفر، عن السدي. «**فَذُوقُوا**» يحتمل أنه كلام الله ـ تعالى ـ إليهم ابتداء، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض، عن الأصم. وقيل: هو من كلام بعضهم لبعض؛ أي: فذوقوا معنا جزاء بما كنتم كسبتم، عن أبي علي وأبي مسلم. «**بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**».

---

(١) تلك: ذلك، أ، د.

(٢) قال الله: فالله، أ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الكفار والضلال والمبتدعة وإن تناصروا وتعاونوا على ضلالتهم وتوادوا في الدنيا، فإنهم في الآخرة يتلاعنون ويتقاطعون، ويسألون العذاب لِمَنْ أضلهم.

وتدل على فساد التقليد والاغترار بقول علماء السوء. وتدل على أن الداعي إلى الضلال مضل. وتدل على أن إضلال[1] غيره إياه[2] ليس بعذر له.

وتدل على أن اشتراكهم في العذاب لا يوجب لهم راحة، بخلاف[3] الاشتراك في محن الدنيا[4].

وتدل على أن ذلك الإضلال فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والهدى والضلال.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو وحده «**لا تُفْتَحُ**» بالتاء خفيفة[5]، وقرأ حمزة والكسائي بالياء والتخفيف[6]، وقرأ الباقون بالتاء والتشديد[7]، والتشديد والتخفيف لغتان، إلا أن في

---

(١) إضلال: في الإضلال، أ، ش.
(٢) غيره إياه: الغير إياه، في هامش د.
(٣) بخلاف: يختلف، أ.
(٤) وتدل على أن اشتراكهم... الدنيا: ـ، د.
(٥) حجة القراءات ٢٨١.
(٦) والتخفيف: خفيفة، أ، ش.
(٧) والتشديد: مشددة، أ، د.

التشديد مبالغة أنه لا تفتح مرة بعد مرة، كما تفتح للمؤمنين، وأما التاء والياء لأنه مقدم على الجميع، وهو الأبواب.

قراءة العامة «**الجمل**» وهو البعير، وعن عكرمة وسعيد بن جبير «**الْجُمَّل**» بضم الجيم وتشديد الميم، وقيل: إنه حبل السفينة التي يقال لها القلس بالقاف، وقيل: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخيل، عن عكرمة.

اللغة

الأبواب: جمع باب. والفتح نقيض الإغلاق، وهذا أصله، ثم يستعمل في غيره توسعًا، فيقال: فتح عليه العلم، وفتح المدينة، ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنْهَمِرٖ ١١﴾ [القمر:١١]. والولوج: الدخول، ولَجَ يَلِجُ: دخل، ومنه: الوليجة: الدخيلة، ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٢] أي: يدخل.

والسَّمُّ بفتح السين وضمها: الثقب، ومنه: السُّم القاتل؛ لأنه ينفذ بلطافته في مسام البدن حتى يصل إلى القلب، وكل نفث في البدن لطيف سُمٌّ وسَمٌّ، وجمعه: سموم، والسُّم القاتل بفتح وبضم أيضًا، والجمع: سِمَامٌ، ومنه: السَّموم: الريح الحارة، وقيل للإبرة خِيَاط ومِخْيَطٌ كما يقال: لحاف وملحف، وقناع ومقنع، وإزار[١] ومئزر، وقوام ومقوم[٢]، عن الفراء.

والمهاد: الوطاء الذي يفترش، ومنه: مهد الصبي، وقد مهد هذا الأمر، أي وطأه له.

والغواش: اللباس، ومنه: غاشية السرج، وفلان يغشى فلانًا[٣] يلابسه، ومنه: ﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية:١] ليوم القيامة؛ لأنه يغشى كل شيء.

---

(١) وإزار: وإيزار، أ.

(٢) قوام ومقوم؛ قوم ومقم؛ والتصحيح من معاني القرآن، الفراء للآية، وينظر في (تفسير البيان) للطوسي ٤/ ٤٠١، وكذلك تفسير الطبري، ٥/ ٤٨٧.

(٣) فلانا: فلان، أ.

وجهنم: اسم من أسماء النار، واشتقاقها من الجُهُومَة وهو الغلظ، رجل جَهْم الوجه[1] غليظ، فسميت بذلك لغلظ أمرها في العذاب، نعوذ بالله منها. وقيل: أخذ من قولهم: بئر جِهِنَّام؛ أي: بَعُدَ قعرها.

الإعراب

«**جهنم**» لا ينصرف؛ لأنها معرفة مؤنثة.

«**غَوَاشٍ**» في موضع الرفع بـ «**لهم**» إلا أنه من بنات الياء، فلا يدخل فيها رفع، كقولك: هذا قَاضٍ.

ويقال: لم جاز صرف «**غواش**»، وهي فواعل؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أن التنوين عوض من الياء المحذوفة، وليس بتنوين الصرف، عن سيبويه.

الثاني: أنه تنوين الصرف ظهر عند حذف الياء لالتقاء الساكنين في التقدير.

المعنى

عاد الكلام إلى الوعيد عطفًا على ما تقدم، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» أي جحدوا حجتنا، وردوها بالكذب، وقيل: الآيات القرآن، وقيل: بل عام «**وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**» أي: تكبروا عن قبولها «**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» قيل: تفتح لأرواح[2] المؤمنين[3] ولا تفتح لروح الكافر، عن ابن عباس والسدي. وقيل: لا تفتح لدعائهم وأعمالهم، عن مجاهد وإبراهيم. وقيل: لا تفتح لدعائهم، عن الحسن، وقيل: لا لأرواحهم ولا لأعمالهم، عن ابن جريج والأصم، وعن الأصم يعني لا تصعد بها الملائكة؛ لأن كتاب الفجار وأرواحهم في سجين، وقيل: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة؛ لأن الجنة في السماء، عن أبي علي. وقيل: معناه لا

(١) جهم الوجه: جهنم، أ، ش.
(٢) لأرواح: أرواح، أ، د.
(٣) المؤمنين: المؤمن، د.

يرحمهم الله؛ لأنه ـ تعالى ـ أجرى العادة بأن البركات والرحمة تنزل من السماء، عن أبي مسلم. وقيل: لا تفتح هوانًا لهم واستخفافًا بهم، وإن فتحت للعذاب[١] **«وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ»** قيل: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والجمل: البعير ولد الناقة، عن عبد الله والحسن وأبي العالية والضحاك وأكثر المفسرين. ولما أكثروا مراجعة الحسن فيه قال: هو أسير، وهذا مثل للتعند[٢] كقول العرب: لا أفعل حتى يشيب الغراب، ولا يريدون للتوقيت والشرط، ويقولون: حتى يعود القارظ العنزي، قال الشاعر:

فَـرَجِّـي الـخَـيـرَ وَانـتَـظِـرِي إِيـابـي ... إِذا مـا الـقـارِظُ الـعَـنَـزِيُّ آبـا[٣]

وقال آخر:

إِذَا شَـابَ الـغُـرابُ أَتَـيْـتُ أَهْـلِـي ... وَعَـادَ الـقَـارُ كَـالَّـلـبَـنِ الـحَـلِـيـبِ[٤]

وقال آخر:

وإِنَّـكَ سَـوْفَ تَـفْـعَـلُ أَوْ تـنَـاهـي ... إِذَا مـا شِـبْـتَ أَوْ شَـابَ الـغُـرَابَ[٥]

وقيل: هو الحبل الغليظ، عن ابن عباس ومجاهد والسدي. وهو حبل السفينة.

«وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» المذنبين **«لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ»** قيل: موضع مهاد، وقيل: مهاد فراش من النار **«وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ»** ظلل منها، عن الحسن وأبي علي والأصم. وقيل: الغواش: اللُّحُف، عن مجاهد. وروى ابن عازب عن النبي ﷺ قال: «يكسى الكافر في قبره لوحين من النار»[٦] فذلك قوله: **«مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ [وَمِنْ] فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ»** الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وغيرهم بالعدوان.

---

(١) للعذاب: العذاب، أ، ش.
(٢) للتعند: للمتعند، أ.
(٣) لبشر بن أبي خازم. انظره في العين (قرظ)، وجمهرة اللغة (رظف)، واللسان (رجا).
(٤) انظره: في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٥٨، لأبي حاتم محمد بن حبان، دار الكتب العلمية، ـ بيروت ـ ط١٩٧٧، ت: محمد محيي الدين.
(٥) المستقصى من أمثال العرب ٢/ ٥٩، للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢ ـ ١٩٨٧.
(٦) كنز العمال رقم ٤٢٥٣٠.

۞ الأحكام

تدل الآية أن المكذِّب لا يدخل الجنة، وأنهم أيسوا من رحمة الله فيدخل فيه الكفار، خلاف ما يقوله جهم[1] والمبتدعة.

وتدل على[2] أنه يجازي كل مجرم بالنار، فتدل أن الفاسق يدخل النار؛ لأنه مجرم، فيبطل بذلك قول [**المرجئة**][3] [4].

وتدل على أن الجنة في السماء؛ لذلك قال: «**لا تفتح لهم أبواب السماء**».عن القاضي، وهذا على تأويل صحيح.

ويدل عليه قوله: «**ولا يدخلون الجنة**» كأنه قيل: لا تفتح لهم أبواب السماء[5] لدخول الجنة.

وتدل على أن التكذيب والاستكبار فعلهم، وأنهم محدثون لذلك، فيبطل قول المجبرة في المخلوق وجزاء الأعمال.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر «**ما كنا لنهتدي**» بغير واو، وقرأ الباقون بالواو «**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**»[6].

---

(١) جهم: +، د.
(٢) على: ـ، أ.
(٣) ما بين المعكوفين في أ كلمة غير واضحة، ولعلها: المرجئة.
(٤) بالنار فتدل أن... المرجئة: ـ، د.
(٥) عن القاضي وهذا... السماء: +، د.
(٦) السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢٨٠.

۞ اللغة

التكليف: تحميل ما يشق على النفس، وأصله: [من] الكلفة وهي المشقة، وتكلف القول: إذا تحمل ما فيه من المشقة. والوسع: الطاقة، وأصله من السعة، والسعة: الغنى، وأوسع الرجل: صار ذا سعة. والنزع: رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه، يقال: نزع الشيء عن مكانه نزعًا. والصدر: موضع القلب، مأخوذ من صدر عن الأمر، و«صدر» خلاف «ورد»، وسمي بذلك لأنه يصدر من جهة الرأي، ومنه: صدر المجلس، والصدر والصِّدَار: سمة على صدر البعير، والمصدور: الذي يشتكي صدره. والغل: الضِّغَن والحقد.

والنداء: الدعاء بطريقة: يا فلان، كأنه قيل: يا أيها المؤمنون تلكم الجنة.

والإرث: الميراث، وأصله الواو، ووَرِثْتُ الشيء أَرِثُهُ ورثًا وإرثًا، لكن الواو تقلب ألفًا، فيقال: إرث. والميراث: أصل الياء فيه الواو، والإرث: ما صار إليه من غيره، يقال: فلان على إرث من كذا أي: على أمر قديم، توارثه الآخر عن الأول.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «**لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**» من الإعراب؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: لا موضع له؛ لأنه اعتراض، والخبر الجملة في «**أولئك**».

والثاني: أن يكون موضعه رفعًا؛ لأنه[1] خبر على حذف الفاءين، كأنه قيل: (منهم ولا من غيرهم)، ويحذف لأنه معلوم.

ويقال: ما معنى (أن) في قوله: «**أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**» ؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: معنى أي، فيكون نودوا بالتهنئة بكلام هذا معناه.

(١) لأنه: بأنه، د.

الثاني: أن الخفيفة تكون من الثقيلة فتكون: نودوا بهذا القول، قال الشاعر:

أُكَـــاشِـــرُهُ وَأَعْـــلَـــمُ أَنْ كِـــلاَنَـــا عَـلَـى مَـا سَـاءَ صَـاحِـبُـهُ حَـرِيـصُ[1]

وإنما قال: «**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**»؛ لأن المخبر عنها غائب، ولو كان حاضرًا لقال: هذه، وقيل: العرب تقيم (تلك) مقام (هذه)، و(هذا) مقام (ذلك)، و(ذلك) مقام (هذا).

قوله: «**ونزعنا**» قيل: عطف على قوله: «**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**» أي: أدخلناه الجنة، ونزعنا الغل، وقيل: وعلى الذين آمنوا بتقدير: وبرئت من الغل صدورهم، كلا الوجهين ذكر أبو مسلم.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآيات بما قبله؟

قلنا: لما تقدم الوعيد للكافرين وأنهم أصحاب النار أتبع ذلك الوعد للمؤمنين، وأنهم أصحاب الجنة لما آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا من أحسن الكلام.

ويقال: كيف يتصل: «**لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**»؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

لما وعد المؤمنين الجنة على أنهم آمنوا وعملوا الصالحات بَيَّنَ أنهم لم يكلفهم من الصالحات إلا ما يقدرون عليه تأكيدًا للحجة، عن أبي مسلم.

وقيل: إنه يتصل بقوله من قبل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾، ولا يكلفون أحدًا إلا وسعه؛ يعني أن الرسل لا تأتي إلا بما في الوسع، فمن آمن استحق الجنة ومن كفر استحق النار، عن الأصم.

الثالث: أنه اعتراض بين الكلامين، كأنه لما وعد المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار بيّن أنه لا يكلف أحدًا منهم إلا ما في وسعه، وأن من استحق النار فمن قِبَلِهِ أُتِيَ.

---

(١) البيت ينسب لعمرو بن جابر الحنفي، محاضرات الأدباء، ١/ ١١٤.

المعنى

«**وَالَّذِينَ آمَنُوا**» صدقوا الله ورسوله «**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» الطاعات وما أمروا به[١] لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا» يعني لا نُحَمِّلُه[٢] إلا ما في[٣] قدرته وطاقته، وقيل: لا يكلف من الأعمال الصالحة إلا ما يقدر عليه العباد، عن أبي مسلم. «**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**» الملازمون لها الدائمون فيها «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» دائمون «**وَنَزَعْنَا**» أي: أذهبنا وأبطلنا «**مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**» أي: غش وحقد وعداوة، وقيل: أذهب ذلك بألطافه حتى تاب وذهب حقد العداوة، عن أبي علي. وقيل: بخلوص المودة بينهم حتى ذهب الحقدو العداوة، عن أبي علي. وقيل: بالأمر إياهم أن يجتنبوا عداوة المؤمنين، فكأنه أذهبه، وقيل: بإعطائه مجميع الأماني حتى ارتفع الطمع والحسد والعداوة، وقيل: بقصور شهواتهم على ما أعطوا، فلم يبقف يقلبهم موضع للحسد والغل، عن القاضي. وقيل: يلجؤون إلى ترك كل قبيح بأن يعلموا أنهم لو راموا فعله لمنعوا منه، وقيل: شفى غيظهم بعقوبة أعدائهم، فخرجت العداوة عن قلبهم، واختلفوا، فقيل: إن هذا النزع في الآخرة، وقيل: في الدنيا والآخرة «**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ**» من تحت أبنيتهم وأشجارهم «**وَقَالُوا**» يعني أهل الجنة «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» شكرًا منهم على نعمه إليهم «**الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**» قيل: دلنا على الجنة بالأدلة في الدين، وقيل: هدى إلى طريق الجنة ومنازلها، وقيل: الحمد لله الذي أعطانا بقليل العمل كثير الثواب، وقيل: لطف لهم حتى انصرفوا عن المعاصي، فكانت المنّة لله في دخولهم الجنة، واعترفوا بذلك شكرًا له، وتلذذوا بذلك الشكر؛ لأنه ليس هناك تكليف، وقيل: الحمد لله الذي هدانا لعملٍ هذا ثوابه؛ أي: دلنا.

ومتى قيل: إذا كان الثواب جزاء عملهم فكيف يحمدونه[٤] عليه؟

قلنا: إذا كان التمكين والهداية والألطاف من جهته فكأنه منه.

---

(١) أمروا به: أمر بها، أ، د.

(٢) نحمله: +، د.

(٣) إلا ما في: إلا في، د.

(٤) يحمدونه: يحمدونهم، أ، ش.

«**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**» إليه بدلائله وألطافه «**لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**» قيل: جميع ما أمروا ونهوا ووعدوا وأوعدوا وجدناه حتمًا، وقيل: شكروا الأنبياء على[1] حثهم ودعائهم إلى الدين كما شكروا الله ـ تعالى ـ في الهداية والتمكين «**وَنُودُوا**» يعني يناديهم مناد من الله تعالى، وقيل: يجوز أن يخاطبهم الله ـ تعالى ـ بذلك «**أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**» أي: هذه الجنة «**أُورِثْتُمُوهَا**» أي: أُعطيتموها إرثًا[2]، وقيل: معناه صارت لكم، كما يصير الميراث لأهله، عن الأصم. وقيل: ورثهم منازل الكفار التي حرموها لكفرهم، عن الحسن.

وفي خبر معروف مرفوع: «لكل مكلف موضع من الجنة فإذا كفر أعطي منزله المؤمن»، وقيل: لأنهم أعطوها بلا نَصَبٍ وكد كالإرث، وقيل: أعطوها باستحقاق كالوارث «**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**»، أي: جزاء لأعمالكم بلا منّة لأحد غير الله عليكم، فيعظم بذلك سرورهم ويشكرون الله ـ تعالى ـ على ذلك.

۞ الأحكام

تدل الآية أن الجنة لا تستحق إلا بالإيمان والعمل الصالح، خلاف قول المرجئة.

وتدل على أنه ليس بتفضل محض على ما يقوله بعضهم؛ لذلك قال: «**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**».

وتدل أنها تستحق على الأعمال خلاف قول من يقول إن الثواب يستحق على جهة الأصلح.

وتدل على أن أهل الجنة مخلدون، فيبطل قول جهم: إن الجنة والنار يفنيان.

وتدل على أنه لا يكلف ما لا يطاق، خلاف قول المجبرة، فيبطل قولهم في الاستطاعة والمخلوق.

وتدل على أن أعمال العباد حادثة من جهتهم؛ لذلك أضاف العمل إليهم، وأوجب الجزاء لهم فيبطل قولهم.

---

(١) على: في، د.

(٢) إرثا: +، د.

وتدل على رضا كل أحد بحظه، ولا يكون فيها تخاصم وتباغض.

وروي عن علي أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممّن قال الله تعالى: «**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**».

وتدل على توادٍّ بين أهل الجنة خلاف أهل النار، فإنهم يتلاعنون ويتباغضون.

وتدل على أنهم يحمدون الله - تعالى - ورسله على هداهم، وفي هذا الشكر لهم تلذذ وسرور.

وتدل أنهم كانوا يعرفون الثواب والجنة، فلذلك صح منهم الإشارة إليه.

قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

۞ القراءة

قرأ الكسائي «**نَعِمْ**» بكسر العين كل القرآن، وقرأ الباقون بالفتح، وهما لغتان، غير أن الفتح أشهر وأخف[1].

وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي «**أنّ**» مشددة «**لعنةَ الله**» بالنصب على أنها اسم (أن)، والباقون «**أن**» مخففة «**لعنةُ الله**» بالرفع[2].

۞ اللغة

الأذان: الإعلام، تأذن فلان أي: أَعْلَمَ، ويسمى الأذان أذانًا؛ لأنه إعلام، والمؤذِّن: المُعْلِمُ بأوقات الصلاة، والأذان والإيذان والأَذِينُ بمعنى، قال جرير:

---

(١) حجة القراءات ٢٨٣.

(٢) حجة القراءات ٢٨٣.

هَل تَملِكونَ مِنَ المَشاعِرِ مَشعَرًا أَو تَشهَدونَ مَعَ الأَذانِ أَذينا[1]

وقال آخر:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسْمَاءُ[2]

وقيل: الأَذِينُ: المكان يأتيه الأذان[3] من كل ناحية، يقال: أذن وتأذن نحو: تيقن وأيقن.

والصد: العدول عن الشيء عن قَلْيٍ، والصد والإعراض من النظائر، إلا أن الصد يجوز أن يتعدى، فيقال: صده عن الحق يَصُدُّه صدًا، وصدهم عنه أيضًا، والإعراض لا يتعدى. والبغي: أصله الطلب.

والعِوج بكسر العين: في الطريق والدين، وبفتح العين في الخلقة، يقال: في دينه عِوج، وفي ساقه عَوج.

۞ الإعراب

يقال: لم كان جواب الإيجاب بـ (نَعَمْ) وجواب النفي بـ (بلى)[4]؟

قلنا: لأن (نعم) تحقق معنى الخبر المذكور في الاستفهام، و(بلى) تحققه بإسقاط حرف النفي.

ويقال: بم ينتصب «**عوجًا**»؟

قلنا: فيه وجهان:

الأول: على المفعول به كقولك: يبغون لها العوج.

الثاني: على المصدر، كأنه قيل: يطلبونها هذا الضرب من الطلب كقولهم: رجع القهقرى، أي هذا الضرب من الرجوع إلى طلب الاعوجاج.

---

(١) تهذيب اللغة (أذن).

(٢) صدر بيت للحارث بن حلزة في معلقته، وعجزه: رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء.انظره في المحكم (قوو)، واللسان(أذن).

(٣) الأذين المكان يأتيه الأذان: الأذان المكان ما أتته المكان، أ.

(٤) بلى: لا، أ.

المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - ما يجري بين أهل الدارين عند استقرارهم فيهما، فقال سبحانه: «**وَنَادَى**» يعني سينادي، وإنما ذكر بلفظ الماضي قيل: لتحقيق المعنى، كأنه قد كان؛ لأنه كائن لا محالة، فجعل كالكائن؛ لأنه أبلغ في الزجر والردع، وقيل: فيه حذف، وتقديره: إذا كان يوم القيامة نادى «**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ**» يعني: أهلُ الجنة وهم فيها أهلَ النار، وهم في النار.

ومتى قيل: كيف ينادونهم[1] وهم في السماء وهؤلاء في الأرض مع بعد المسافة؟

قلنا: قيل: تزول الموانع من السماع.

«**حَقًّا**» وصدقًا «**فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ**» من العقاب صدقًا، وهذا سؤال توبيخ وشماتة وتقرير، وإلا فالجميع عالمون بذلك، فيزيد به سرور أهل الجنة، وغم أهل النار حسرتهم «**قَالُوا**» يعني أهل النار «**نَعَمْ**» وهذا اعتراف على وجه التحسر والذل «**فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ**» أي: نادى منادٍ[2] من جهة الله - تعالى - أَسْمَعَ الفريقين وأعلمهم «**أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**» أي: وجبت وحلت، «**لعنة الله**» عذابه، قيل: لعنته: إبعاده من الجنة، عن أبي علي. وقيل: هوالعذاب، عن أبي مسلم. وقيل: هوالإبعاد إلا أنه هنا هو العذاب، وقيل: كما سمي المثاب مقربًا لذلك سمي المعذَّب مبعدًا، فكأنه أبعده من رحمته، «على[3] الظالمين» قيل: الكافرين، وقيل: كل ظلم يدخل فيه، وتخصيص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها.

ثم وصف الظالمين[4] كيف كانوا في الدنيا حتى استحقوا العذاب، فقال سبحانه: «**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل: يعرضون، وقيل: يصرفون[5] غيرهم عن سبيل الله، قيل: الحق الذي دعا إليه، فهو سبيله، وقيل: دين الله، وقيل:

(١) ينادونهم: يناديهم، أ، د.
(٢) مناد: منادى، أ، د.
(٣) على: من، أ، ش.
(٤) الظالمين: الظالم، أ، د.
(٥) يعرفون: يصرفون، أ.

الطريق الذي دلهم الله عليه يؤدي إلى الجنة، والكل يرجع إلى معنى واحد «**وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**» قيل: يبغون بها العوج بالشبه التي يلبسون بها، ويوهمون أنها قادحة فيها، وقيل: جورًا، عن الأصم. «**وَهُمْ بِالآخِرَةِ**» يعني بالقيامة والبعث والجزاء «**كَافِرُونَ**» أي: جاحدون.

الأحكام

تدل الآية على أنهم يعرفون ما كان منهم في الدنيا.

وتدل على أنهم يعرفون، ويعرفون أن الثواب والعقاب من جهته.

وتدل على أن مَنْ وعَدَهُ العقاب يناله لا محالة، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أن في هذا النداء سرورًا لأهل الجنة، وتوبيخًا لأهل النار.

وتدل على أن كل ظالم ملعون.

ومتى قيل: أليس وصف أهل النار أنهم صم بكم عمي، فكيف يسمعون؟

قلنا: تختلف أحوالهم، فمرة يعاقبون بسلب حواسهم، ومرة يعاقبون بتقويتها.

ومتى قيل: كيف ينادونهم؟

قلنا: يرتفعون[1] إلى سور الجنة، فيشرفون عليهم، فيرونهم، أو يقوي الله أبصارهم وأصواتهم.

وتدل على أن الصد والبغي والكفر فِعْلُهُم؛ لذلك يعاقبهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

---

(١) يرتفعون: يرتبعون، أ، ش.

اللغة

الحجاب: الحاجز المانع من الإدراك، ومنه قيل للضرير: محجوب، ومنه: الحاجب؛ لأنه يمنع الناس من الوصول إلى الأمير، ومنه حاجب العين، ويقال: حجبه؛ أي: منعه من الوصول إليه، وإنما يكون الحجاب مانعًا من الرؤية: إذا كان الرائي يرى بالحاسة، فأما القديم سبحانه فالحجاب لا يمنع من رؤيته؛ لأنه يُرَى لا بحاسة.

والأعراف: الأمكنة المرتفعة، أخذ من عُرْف الفرس، ومنه: عُرْف الديك، فكل مرتفع من الأرض عُرْفٌ؛ وذلك لأنه بظهوره أعرف ممن انخفض منه.

والسِّيماء: العلامة، وفيها ثلاث لغات: سيما بالقصر، وسِيْمَاء على زنة كبرياء، قال الشاعر:

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يافِعًا لَهُ سِيْمَياء [لاَ تَشُقُّ] عَلَى البَصَرْ[1]

والصرف: العدول بالشيء من جهة إلى جهة، وهو على وجهين في معنى المتعدي وغير المتعدي[2]، والصرف متعدٍّ ههنا، ونظيره: الرجوع. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة، تقول: هو تلقاء كنحو: هو حذاءك، وهو ظرف من ظروف المكان.

الإعراب

يقال: ما زنة[3] السيما؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: فعل من سام إبله يسومها[4] سومًا إذا أرسلها[5] في المرعى بعلمه وهي السائمة.

---

(١) انظره في تهذيب اللغة (سام)، والصحاح (سوم)، واللسان (سوم).

(٢) المتعدي: متعدي، أ، ش.

(٣) ما زنة: ما زينه، أ.

(٤) يسومها: يسومه، أ، د.

(٥) أرسلها: أرسله، أ، د.

الثاني: أنه من وسمت، قلبت الواو إلى موضع العين، فيكون على هذا عَفْلَى كما قالوا: جَاهٌ[١] أي: وجه، وأرض خَامَة[٢] أي وَخْمَة[٣].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الفريقين في الجزاء، بَيَّنَ مكانهما، فقال سبحانه: «**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**» أي: بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستر، وهو الأعراف عن أبي مسلم. وقيل: بين الجنة والنار، عن أبي علي. «**وَعَلَى الأعراف**» قيل: سور بين الجنة والنار، عن مجاهد والسدي. وفي التنزيل: من الجنة والنار عن أبي علي ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣]، والأعراف اسم لذلك السور، وقيل: الأعراف شُرَفُ السور، عن أبي علي. وقيل: سمي أعرافًا لارتفاعها، وقيل: سمي أعرافًا لأن أهلها يعرفون الناس، عن السدي. وقيل: الأعراف: الصراط، «**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ**» قيل: هم فضلاء المؤمنين، عن الحسن ومجاهد. وقيل: هم شهداء، وهم عدول الآخرة، عن أبي علي. وقيل: هم الأنبياء، وقيل: قوم قتلوا[٤] في سبيل الله، فَأُطْلِعُوا على أعدائهم ليشمتوا بهم، فعرفوهم بسيماهم، وسلموا على أهل الجنة، وقيل: هم ملائكة يُرون في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار، عن سليمان التيمي وأبي مجلز، فقيل: لأبي مجلز: فإنه ـ تعالى ـ يقول: «**وعلى الأعراف رجال**» وأنت تزعم أنهم ملائكة، فقال: إنهم ذكور، ليسوا بإناث، وقيل: هم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس، عن حذيفة. وقيل: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهذا لا يجوز؛ لأنه ـ تعالى ـ بَيَّنَ في مواضع فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه؛ لأن الإجماع انعقد أن كل مطيع أو عاص لا بد أن يصير إلى إحدى الدارين، وروى الضحاك عن ابن عباس أن الأعراف موضعٌ عالٍ على الصراط، عليه

---

(١) جاه: أخاه، أ.

(٢) خامة: جامهه، أ.

(٣) وخمه: أي وجامه، أ، د.

(٤) قتلوا: أردوا، أ.

العباس وحمزة وعلي وجعفر ـ رضي الله عنهم ـ يعرفون محبهم ببياض الوجوه، ومبغضهم بسواد الوجوه «**يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ**» أي: يعرفون كل أحد بعلاماتهم، قيل: سيما أهل الجنة ببياض الوجوه وحسن العيون، وسيما أهل النار بسواد الوجوه وزرقة العيون، عن الحسن. وقيل: بسيماهم الذين كانوا يشاهدونهم في الدنيا. «ونادوا[1] [إن سلام عليكم لم يدخلوها]»، يعني أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة. وقيل: أهل الجنة، عن أبي مجلز.

ومتى قيل: إذا كان أصحاب الأعراف أفاضل المؤمنين، فلم تأخر دخولهم؟

قلنا: لأنهم يحصلون[2] اللذة بالشماتة على الأعداء، أو أن تأخر دخولهم لظهور فضلهم وجلالة موقعهم، فيشمتون بأهل النار، ويهنئون أهل الجنة.

وقيل: منزلتهم[3] عالية، فالأعراف طريقهم إلى منازلهم، فقد روي أن أهل عليين يراهم من تحتهم كما يرون الكوكب في أفق السماء، وأن أبا بكر وعمر منهم، وقيل: لأنهم شهدوا الآخرة.

«**وَهُمْ يَطْمَعُونَ**» هذا طمع يقين كقول إبراهيم: ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢]، عن الحسن وأبي علي. وإنما قال: «**صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ**» يعني أبصار أهل الأعراف، وقيل: يحتمل أبصار أهل الجنة، عن الأصم. وإنما قال: «**صُرِفَتْ**» لأن نظرهم إلى أهل النار نظر عداوة، فلا ينظرون إلا أن تصرف وجوههم إليهم، فأما أهل الجنة فوجوههم إليهم، سرورًا بهم، فلا يحتاج إلى تكلف، وقيل: لأنهم مع أهل الجنة بعد أمر[4] أهل النار فيحتاجون إلى صرف أبصارهم إليهم «**تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ**» أي جهتهم، «**قَالُوا**» يعني أصحاب الأعراف متعوذين «**رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**» يعني ما هم إليه صائرون، هذا على وجه السرور لا على وجه التعبد.

---

(١) ونادوا: ينادوا، أ.
(٢) يحصلون: يجعلوا، أ، ش.
(٣) منزلتهم: منازلهم، د.
(٤) بعد أمر: بعيد من، د.

الأحكام

تدل الآية على حجاب وسور بين الجنة والنار.

وتدل على أن هناك أقواما[1]، والصحيح أنهم الشهداء على ما ذكره أبو علي، ولذلك قال: «**يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ**»؛ ولذلك قالوا: «**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ**»؛ ولذلك يهنئون أهل الجنة، ويوبخون أهل النار.

وتدل على أنهم لم يدخلوا الجنة في هذه الحال، وهو حال الشهادة.

وتدل على وجوب الاجتناب من الظلمة في الدنيا كي لا نكون معهم في الآخرة.

قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

اللغة

النداء: امتداد الصوت، وهو الدعاء بطريقة: يا فلان، ونادى ودعا من النظائر، غير أن في (نادى) رَفْعَ الصوت. والغَنَاء بالفتح والمد هو[2] الكفاية، والغانية: المرأة التي استغنت بزوجها.

والقَسَمُ: اليمين. والنيل: اللحوق، نلته أناله نيلاً: ألحقه.

والخوف: توقع المكروه، وهو يرجع إلى الاعتقاد، ونقيضه: الأمن.

الإعراب

يقال: ما موضع (الذين) في قوله: «**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ**» من الإعراب؟

---

(١) أقواما: أقوام، أ، ش.

(٢) والمد هو: والمد الكناية، أ.

قلنا: رفع؛ لأنه خبر هؤلاء، ولا يجوز أن يكون صفة لهؤلاء من وجهين:

أحدهما: أن المبهم لا يوصف بالجنس.

والآخر: أنه يبقى المبتدأ بغير خبر.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما خاطب به أهلُ الأعراف أصحاب النار، فقال سبحانه: «**وَنَادَى**» أي: سينادي، وذكر على لفظ الماضي للوجهين اللذين[1] تقدما، أحدهما: تحقق كونه، الثاني: على حَذْفٍ: إذا كان يوم القيامة. «**أَصْحَابُ الأعراف رِجَالاً**» من أهل النار، قيل: عظماء أهل الضلالة عرفوا أماكنهم من النار «**يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**» أي: بعلاماتهم، قيل: بسواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين، عن أبي علي. وقيل: بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا، عن أبي مسلم. وقيل: بالأعلام الدالة على كفرهم، عن الأصم. «**قَالُوا**» يعني أصحاب الأعراف لهم «**مَا أَغْنَى عَنْكُمْ**» أي: ما نفعكم ولا يغني[2] عنكم شيئًا «**جَمْعُكُمْ**» قيل: جماعتكم التي استندتم إليها، عن الأصم وأبي علي. وقيل: جمعكم للأموال والعدد في الدنيا «**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**» أي: ما كنتم تتكبرون عن قبول الحق، فإنا نصحناكم فتكبرتم واشتغلتم بالجمع والمال فلم تقبلوا منا، فأين ذلك الجمع، وأين ذلك المال، وأين ذلك التكبر؟ لا يغني عنكم شيئًا «**أَهَؤُلاءِ**» استفهام والمراد به التوبيخ.

واختلفوا من القائل «**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ**» على أقوال:

الأول: قيل: أصحاب الأعراف، عن الحسن وأبي مجلز، وهو قول أبي علي، يقولون: أهؤلاء يعني أهل الجنة «**أَقْسَمْتُمْ**» حلفتم يا أهل النار أنه لا ينالهم الله برحمة، قال الكلبي: ينادون وهم على سور: يا وليد بن مغيرة، يا أبا جهل بن هشام، ويا فلان، ويا فلان، ثم ينظرون إلى أهل الجنة، فيرون الفقراء مثل: سلمان،

(١) اللذين: الذين، أ، د.

(٢) ولا يغني: ولا يخفى، د.

والمقداد، وعمار، وصهيب، وبلال، وكان الكفار يستهزئون منهم[1] فقالوا: «**أَهَؤُلاءِ**» يعني المستضعفين «**أَقْسَمْتُمْ**» في الدنيا «**لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ**» بالجنة.

الثاني: قيل: هو قول الله ـ تعالى ـ في أصحاب الأعراف، عن ابن عباس.

الثالث: قيل: هو كلام أهل الجنة يخاطبون أهل النار، و«**أَهَؤُلاءِ**» أصحاب الأعراف.

الرابع: أنه من كلام الملائكة، و«**أَهَؤُلاءِ**» أصحاب الأعراف «**أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ**»، عن مقاتل.

الخامس: أنه كلام أصحاب الأعراف، و«**أهؤلاء**» هم أصحاب الأعراف، فمعنى «هؤلاء»: نحن كأنه قيل: أنحن اليوم الذين حلفتم لا ينالنا الله برحمة، وقوله: «**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**» كلام أصحاب الأعراف يتداعون[2] بينهم بدخول الجنة بعد تبكيت أهل النار، فيقول بعضهم لبعض: ادخلوا الجنة، وفي الكلام محذوف، كأنه قيل: بل كذبتم وظهر كذبكم، بل هم الذين ينالهم الله برحمة.

«**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ**» قيل: إنه كلام أصحاب الأعراف للمؤمنين، عن أبي علي والأصم. وقيل: كلام بعضهم لبعض، يعني أصحاب الأعراف يتواعدون[3] بدخول الجنة، عن أبي مسلم. وقيل: كلام المؤمنين لأصحاب الأعراف، عن مقاتل. وقيل: هو من كلام الله ـ تعالى ـ لأصحاب الأعراف، عن ابن عباس. «**لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**» قيل: لا تخافون فوت الجنة ولا تحزنون فيها بشيء، عن أبي علي. وقيل: لا خوف عليكم من العذاب النازل بالكفار، ولا تحزنون على إبطال حسناتكم وفوت الجنة كحزن الكفار، عن الأصم.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن أصحاب الأعراف هم الشهداء؛ ولذلك يخاطبون أهل النار،

---

(١) منهم: بهم، أ، د.

(٢) يتداعون: يتوامرون، أ.

(٣) يتداعون: يتوامرون، أ.

وبذلك فهو يدل أنهم شهداء على أهل النار بأنهم استكبروا عن قبول الحق، وأنهم حلفوا بالباطل.

فهو يدل على أن المخاطبين هم القادة والسادة؛ لأن الجمع إنما يكون لهم.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ أمرهم بدخول الجنة تكذيبًا للكفار سواء حمل على أنه كلام أهل الجنة أو كلام أهل الأعراف أو من كلام الله تعالى؛ لأن جميع ذلك من جهته بإذنه، وأولى الأقاويل بالصحة قول أبي مسلم أن جميع ذلك كلام أصحاب الأعراف؛ لأن ذلك نسق الكلام، ولأن أهل الجنة قد دخلوا الجنة، فلا يؤمرون بالدخول، ولم يَجْرِ كلام لأهل الجنة، فوجب حمله على ما قال.

قوله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾

اللغة

الإفاضة: إجراء الماء من علٍ، فاض الماء يفيض فيضًا، وأفاض إناءه: ملأه حتى فاض، وأفاض دموعه، وأفاض القوم من عرفة إلى مزدلفة: صاروا إليها، وأفاضوا في الحديث: اندفعوا فيه، أي أجروه بينهم من أوله؛ لأن أوله بمنزلة أعلاه، والفيض: الموت، وقيل: أصله الإفاضة سرعة الركض، وحديث فاض ومستفاض ومستفيض: أي جار بين الناس، قال الفراء: طيء تقول: فاظت نفسه بالظاء، وقيس تقول: فاضت نفسه بالضاد.

والتحريم: أصله المنع، ومنه: الحرام، والحَرَم، والمحرم، والإحرام، والحريم.

والدين: الجزاء، والدين: العادة، والدِّين: ما يدان به.

اللهو: أصله الانصراف عن الشيء، يقال: لها عنه، ومنه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، ولهوت من اللهو، ولهيت عنه إذا اشتغلت عنه، فأما اللعب فأصله اللعاب، وهو المرور على غير استواء، فكأنه طلب الفرح بما لا يحسن كالصبي، والتِّلْعَابُ الكثير اللعب، وفي كلام أمير المؤمنين: يزعم ابن[١] النابغة أن فيّ دعابة، وأني امرؤٌ تلعابة، يعني عمرو بن العاص، والغرور بين الباطل للوقوع،فيه غره يغره غرورًا. والجحد: إنكار معنى الخبر.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع (ما) في قوله: (بما نسوا) و(بما كانوا)؟

قلنا: موضع المصدر، وتقديره: بنسيانهم وجحدهم، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

ثم ذكر - تعالى - خطاب أهل النار لأهل الجنة، وما أظهروا من الافتقار بعد ما كانوا فيه من التكبر، فقال سبحانه وتعالى: «**وَنَادَى**» أي: سينادي، والوجه فيه ما ذكرنا «**أَصْحَابُ النَّارِ**» والفرق بين أهل النار وأصحاب النار أن قوله: «**أَصْحَابُ النَّارِ**» ينبئ عن الملازمة، وأهل النار ينبئ عن المناسبة، وكلا اللفظين ينبئ عن الخلود، «**أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا**» أي صبوا، وذكروا لفظة الإفاضة؛ لأن أهل الجنة أعلى مكانًا «**مِنَ الْمَاءِ**» هم يحتاجون إلى كل شيء غير أنهم سألوا الأهم، ولا شيء أهم وأحوج إليه من الماء لإطفاء حرارتهم «**أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**» أعطاكم الله، قيل: من الطعام، عن السدي وابن زيد. وقيل: طلبوا شيئًا من نعيم الجنة، عن أبي علي. «**قَالُوا**» يعني أهل الجنة جوابًا لهم بما يوهم «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا**» تحريم منع لا تحريم تعبد كأنه قال: إن الله منعهما من الكافرين.

---

(١) ابن: بن، أ.

ثم وصف الكافرين، فقال سبحانه: «**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا**» واختلفوا كلام من هذا؟ قيل: هو كلام أهل الجنة حكاه الله تعالى. وقيل: إنه من كلام الله ـ تعالى ـ لهم على غير وجه الحكاية، وتم كلامهم عند قوله: «**حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِيْنَ**»، وقيل: إلى قوله: «**الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**» من كلام أهل الجنة، وتم الحكاية عنهم، ثم استأنف ـ تعالى ـ الكلام، وقال: «**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ**» فبين ما يقابلهم به، وهو كلامه ـ تعالى، عن أبي مسلم.

واختلفوا في معنى قوله: «**دينهم**» قيل: ما أَتَوْا به مما زين لهم الشيطان، وقيل: دينهم الذي أُمِرُوا أن يدينوا به، وقيل: الدين الجزاء، فهم[1] اتخذوا ذلك لعبًا حيث أنكروه، وقيل: دينهم عيدهم[2]، عن أبي روق.

«**لَهْوًا وَلَعِبًا**» قيل: لم يرعوا[3] حق الدين لفسقهم وتهتكهم[4]، وقيل: اللهو أنهم لا يصدقون بكتاب الله ورسوله، واللعب كل أمر باطل، عن الأصم. وقيل: سخروا بالدين لعبًا ولهوًا.

ومتى قيل: من اعتقد دينًا كيف يأخذه لعبًا؟

قلنا: إذا اعتقده بهواه فهو كاللاعب.

وقيل: كانوا يلعبون بالحق؛ لأنهم لا يصدقونه[5] وسخروا من المسلمين لما هم عليه من الجهل وإنكار الدين «**وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**» لأنهم اغتروا بالحياة الدنيا عن الآخرة، فكأن الدنيا غرتهم، عن أبي علي. «**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ**» قيل: نتركهم في النار آيسين من الرحمة، عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي. وقيل: نعاملهم معاملة المنسي في النار؛ لأنه لايجاب لهم دعوة ولا يرحم لهم عبرة، عن أبي علي. وقيل:

(١) فهم: هم، أ، د.
(٢) عيدهم: عندهم، أ.
(٣) يراعوا: يرع، أ، د، ش.
(٤) لفسقهم وتهتكم: لفسقه وتهتكه، أ، د.
(٥) يصدقونه: يصدقوه، أ.

نجازيهم على نسيانهم بأن نتركهم في النار، عن أبي مسلم. «**كَمَا نَسُوا**» قيل: كما تركوا طاعة الله، وقيل: كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان، وقيل: لاشتغالهم بملاذ الدنيا صير ذلك سببًا لنسيانهم، وقيل: المراد بالنسيان ما هم عليه من الجهل بالآخرة، عن القاضي. «**وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**» بحججنا، قيل: القرآن، إنهم ينكرون ذلك، أي يفعل ذلك بهم بجحدهم الحق والحجة.

الأحكام

تدل الآية على إظهار أهل النار شدة افتقارهم وحاجتهم إلى الماء وغيره لعظم ما نزل بهم.

ومتى قيل: كيف يطلبون ذلك، أيرجونه أم هم آيسون، ويطلبون مع ذلك كما تقع منهم الاستغاثة والدعاء مع الإياس؟

واختلفوا هل يريدون ذلك، فقال أبو علي: لا؛ لأنهم إذا علموا أنه لا نفع يقبح[1] إرادته.

وقال أبو هاشم: يجوز؛ لأن المطلوب يحسن فعله، فلا مانع من إرادته.

وتدل على جواب يوجب[2] اليأس.

وتدل على أن اللعب بالدين كفر، وكل من لعب بالدين أو بشيء منه كفر، ولهذا قال مشايخنا: جد الكفر جد، وهزله جِدٌّ.

وتدل على أن الاغترار بالدنيا مذموم، وأنه يؤدي إلى عواقب وخيمة.

وتدل على أنهم يخلدون في النار.

وتدل على أن اتخاذ الدين لعبًا فِعْلُهُم؛ لذلك وبخهم، فيبطل قول مخالفينا في المخلوق.

---

(١) يقبح: بقبح، أ، د.

(٢) يوجب: توجب، أ.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

اللغة

(جاء) نقيض (ذَهَبَ)، وجئته[١] بكذا: نقلتهُ[٢] إلى حضرة المذكور. والتأويل: ما يؤول إليه حال الشيء، أوَّله تأويلاً، وآل إليه أمره يؤول أَوْلاً. والمآل: العاقبة.

والنسيان: ذهاب المعنى عن النفس، واختلفوا فقال أبو علي: هو معنى، وقال أبو هاشم: ليس بمعنى، وإنما هو سهو، وقال القاضي: هو ذهاب العلم الضروري.

الإعراب

قوله: «**هدى**» فيه ثلاثة أوجه من الإعراب:

النصب من وجهين: الحال، والمفعول به، وقال أبو مسلم: نصب على المصدر[٣] وفيه معنى الحال.

والرفع على الاستئناف.

والجر على البدل من «**كتاب**» إلا أن القراءة بالنصب.

«**ورحمة**» عطف على «**هدى**» و(فيشفعوا)[٤] نصب؛ لأنه جواب النهي بالفاء. «**أو نرد**» رفع على تقدير: هل يشفع لنا. و«**هل ينظرون**» استفهام، والمراد النفي، وتقديره: أنهم لا يصيرون بتكذيبهم إلى حال لهم فيها صلاح، عن أبي مسلم

(١) وجئته: جئت، أ.

(٢) نقلته: نقله، أ، د.

(٣) المصدر: الصدر، أ، ش.

(٤) فيشفعوا: يشفعوا، أ، ش.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل «**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ**» بما قبله؟

قلنا: قيل: يتصل بقوله قبل هذه الآيات: «**أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ**» إلى قوله: «**وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**» ثم قال: «**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ**»، عن أبي مسلم.

وقيل: يتصل بما قبله من قصة الفريقين، فبين أنه أتاهم الكتاب والحجة.

۞ المعنى

«**وَلَقَدْ**» قَسَمٌ من الله ـ تعالى ـ وتأكيد الكلام «**جِئْنَاهُمْ**» أتيناهم «**بِكِتَابٍ**» وهو القرآن «**فَصَّلْنَاهُ**» بَيَّنَّاه وفسرناه، يعني جئت هؤلاء الكفار بكتاب مشروح مبين «**عَلَى عِلْمٍ**» قيل: فَصَّلَهُ، وهو عالم به، وقيل: على علم بحاجة عباده إليه، وعلمه بما يحدث فيهم من علم الغيب الذي فيه، عن الأصم. «**هُدىً**» أي: دلالة ترشدهم إلى الحق وتنجيهم من الضلالة «**وَرَحْمَةً**» من العذاب لمن عمل به «**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» خصهم به؛ لأنهم انتفعوا به، عن أبي علي. وقيل: خصهم؛ لأنهم العالمونَ بما فيه «**هَلْ يَنْظُرُونَ**» أي: ينتظرون، وإنما ذكر أنهم ينتظرونه وإن كانوا جاحدين؛ لأن ذلك يأتيهم لا محالة إتيان المنتظر «**إِلاَّ تَأْوِيلَهُ**» قيل: عاقبته من الجزاء به، عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي. وقيل: حقيقته، عن ابن زيد. يعني حقيقة ما أخبر من الوعد والوعيد، وقيل: ما وعدوا فيه من البعث والنشور والحساب والعقاب، عن أبي علي،وقيل: إلاّ أن يعاينوا ما أخبرهم الكتاب من النعمة والدار الآخرة، عن الأصم. «**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ**» أعرضوا عنه، فصار كالمنسي، عن مجاهد وأبي علي. وقيل: تركوا العمل به،عن الزجاج. «**قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**» أي: بالصدق وفيما أخبروا به عن الله ـ تعالى ـ «**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا**» في إزالة العقاب والتخفيف «**أَوْ نُرَدُّ**» قيل: نرد إلى الدنيا فنعمل، عن أبي مسلم وجماعة. وقيل: يشفع[1] حتى نرد إلى

(١) يشفع: ليشفع، أ.

الدنيا، وقيل: نرد إلى حال التكليف لنعبده، عن الأصم وأبي علي. «**فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**» يعني في معرفة الله وطاعته، وهذا على وجه النوح والتحسر، وإلا فهم يعلمون أنهم لا يجابون إلى ذلك، ولا يُمَكَّنُون منه، قال الله تعالى: «**قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**» أي: أهلكوها، وقيل: خسروا منافع أنفسهم «**وَضَلَّ عَنْهُمْ**» هلك، ويضل عنهم «**مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**» ما يَكْذِبون: دعوى آلهة لهم، ثم رجوا نفعهم وشفاعتهم، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: عبادتهم ومعبودهم فلم يغن عنهم شيئًا، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الكتاب الذي هو القرآن مِنْ عنده، وأنه فَصَّلَهُ، وتدل على حدوثه.

وتدل على أن أهل الآخرة يتمنون الشفعاء والرد إلى الدنيا، فلا يجابون.

وتدل على أن[1] الآخرة ليست بدار تكليف؛ إذ لو كانت كالدنيا لما تمنوا الرجوع.

وتدل على أنهم في الدنيا كانوا فاعلين مختارين قادرين؛ إذ لو لم يكونوا كذلك لما تمنوا الرجوع، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قال أبو علي: ما تقوله النجارية أن في الآخرة تكليفًا[2] خلاف الإجماع، والآية تدل على بطلان قولهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

---

(١) أن: ـ أ.

(٢) تكليفا: تكليف، أ، د.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكرعن عاصم: «يُغَشِّي» مشددة[1]، وفي (الرعد) مثله. قرأ الباقون «يُغْشِي» خفيفة فيهما، وهما لغتان أَغْشَى يُغشِي، وغَشَى يَغْشَى.

وقرأ[2] ابن عامر وحده: «والشمس والقمر»، قال أبو مسلم: نصب على الحال أي: خلق ذاك، وجعل هذه حاله، وهو أنه سخره.

۞ اللغة

الاستواء: الاستقرار، ومنه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤]، والاستواء: القصد، ومنه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]، وكل مرفوع من أمره قصد لغيره فقد استوى له، وإليه.

قال ابن عرفة: الاستواء من الله الإقبال على الشيء والقصد له.

قال الفراء: تقول العرب: استوى إليّ يخاصمني؛ أي: أقبل عليّ، والاستواء: الاستيلاء، قال الشاعر:

قَـدِ اسْـتَـوىَ بِـشْـرٌ عَـلَـى الـعِـرَاقِ[3]

وقال آخر:

فَـلَـمَّـا عَـلَـوْنَـا وَاسْـتَـوَيْـنَـا عَـلَـيْـهِـمُ ... تَـرَكْـنَـاهُـمْ صَـرْعَـى لِـنَـسْـرٍ وكَـاسِـرِ

والاستواء: العلو، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨].

والعرش: السرير، ومنه: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]، والعرش: المُلْك، يقال: ثُلَّ عرشهم، والعرش: السقف، وعرش البيت سقفه، قال تعالى: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ

---

(١) حجة القراءات ٣٦٨.

(٢) وقرأ: قرأ، أ.

(٣) انظره في الصحاح (سوا)، واللسان(سوا) البيت ينسب للأخطل:

قـد اسـتـوى بـشـر عـلـى الـعـراق ... مـن غـيـر سـيـف ودم مـهـراق

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩]، ومنه الحديث: «أو كالقنديل المعلق بالعرش»، والعرش: البناء، ومنه: ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] أي: يبنون، ومنه: عريش الكَرْمِ، ومنه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، قال أبو مسلم: يعني بنى السماوات والأرض على الماء، وذلك أبلغ في القدرة وأعجب، ويقال: عرش يَعْرِشُ، ويَعْرُش بكسر الراء وضمها، ومنه: العريش ما يستظل به، قيل لرسول الله ﷺ: ألا نبني لك عريشًا؟

والإغشاء: لباس الشيء بما يستره، ومنه: غاشية السرج، ومنه غشي على الرجل: إذا غشيه ما يزيل عقله من عارض علة، والليل يستر النهار بظلامه، فيقال يغشاه.

والحثيث: السير السريع بالسوق، يقال: حثه يحثه، وأصل البركة: النبات، وتبارك «تفاعل» من البركة. والتسخير: التذليل، ومنه: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد:٢] أي: ذللهما، وكل مقهور لا يملك لنفسه ما يحمله من القهر مُسَخَّرٌ، وقوله: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون:١١٠] فما دار من الغير فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم.

۞ الإعراب

(السموات) جمع بالواو لأن أصلها الواو، ومنه: يقال سماؤه، ثم أبدل الواو همزة، فصار سماء، وعليه القراءة.

ويقال: إذا كان (ثم) للعطف والتعقيب، فما معنى «ثم» [في] قوله: «**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**»؟

قلنا: فيه أقوال:

الأول: ثم رفع العرش، وهو مُسْتَوْلٍ عليه، و(ثُمَّ) للرفع، عن أبي علي.

الثاني: ثم بين أنه مستولٍ على العرش، «فثم» للبيان.

الثالث: ثم صح الوصف بأنه مستولٍ على العرش؛ لأنه لم يكن عرشًا، قبل[1] : وجوده، «فثم» لصحة الوصف.

الرابع: ثم قصد لخلق العرش فثم[2] للخلق، دل بهذا أن خلق العرش بعد خلق السماء والأرض، عن القاضي.

الخامس: أنه عطف خبر على خبر، كقول الشاعر:

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

السادس: قال الأصم: فيه تقديم وتأخير، إن ربكم الذي استوى على العرش، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

النظم

يقال: بِمَ تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قيل: لما تقدم ذكر الكفار وعبادتِهِم غَيْرَ الله احتج عليهم مبينًا بأفعاله أنه لا معبود سواه، عن الأصم وأبي مسلم.

وقيل: يتصل بقوله: «**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا**»، ثم اعترض الوعد والوعيد، ثم عاد وبَيَّنَ أن الذي لا تبطل عبادته هو خالق السموات، ذكره الشيخ أبو حامد قال الأصم: وتقدير الآية: إن ذلكم الله الذي له الخلق والأمر استوى على العرش، ثم خلق الشمس والقمر إلى آخره.

المعنى

«**إِنَّ رَبَّكُمُ**» سيدكم ومالككم، ومدبركم الذي يجب أن تعبدوه أيها الناس «**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ**» أي: أنشأ أعيانها وأبدعها لا من شيء، ثم أمسكها بلا عمد، وبلا علاقة، ثم زينها بالنجوم الزاهرة، والأفلاك الدائرة «**وَالْأَرْضَ**» أي: أنشأ الأرض،

---

(١) قبل: قيل، أ.

(٢) فثم: +، د.

وأسكنها لا على شيء «**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**» يعني في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، ولا شبهة أنه ـ تعالى ـ يقدر على أمثال ذلك في لحظة؛ لكن خلقها في هذه المدة لمصلحة وفائدة.

واختلف العلماء في ذلك:

فقيل: لاعتبار[١] الملائكة لخلق شيء بعد شيء؛ لأنهم لا يضبطونها ولا يعرفون كيفية ثباتها في أقل من تلك المدة، فحصل مع[٢] خلقها اعتبار الملائكة[٣]، وليعلمهم[٤] الجمع والتفريق.

وقيل: إن ذلك رتب[٥] على أيام الأسبوع فابتدأ بالأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، فاجتمع الخلق فيه في ستة أيام، عن مجاهد.

وقيل: إن تدبير الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء أدل على عالم مدبر يُصَرِّفُهُ على اختياره ويجريه على مشيئته.

وقيل: تعليمًا لخلقه التروي[٦] والتثبيت[٧] في الأمور، عن سعيد بن جبير.

وقيل: بَيَّنَ لنا بذكر الأيام الستة ما أراد أن يعلمنا من الحساب الذي لا سبيل لنا إلى معرفة شيء من أمور الدين و[٨] الدنيا إلا به، وأصل جميع الحساب في ستة، ومنه تفرع سائر العدد، عن أبي مسلم. «**ثُمَّ**[٩] **اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ**»، قيل: استوى عليه وقدر فيصرفه كيف شاء، عن أبي علي.

---

(١) لاعتبار: اعتبار، أ.

(٢) مع: من هذا، أ.

(٣) لخلق شيء بعد شيء... الملائكة؛ –، د.

(٤) وليعلمهم: يعلمهم، أ، ش.

(٥) رتب: وقت، د، ش.

(٦) التروي: الرزق، أ.

(٧) والتثبت: والتثبيت، د.

(٨) الدين و: +، د.

(٩) الحساب في ستة... ثم: +، د.

وقيل: استوى أمره وتدبيره على العرش، عن الحسن، يعني بذلك نفاذ أمره فيما يريده.

وقيل: استولى على ملكه فهو قادر على جميع ما خلق يصرفه كيف شاء، خلاف قول المجوس.

وقيل: استوى على بناء السموات والأرض، كلا الوجهين، عن أبي مسلم.

وقيل: قصد إلى خلق[1] العرش، عن الفراء وجماعة.

فأما ما قاله الكلبي ومقاتل استقر على العرش فغير صحيح؛ لأنه من صفة الأجسام والله ـ تعالى ـ ليس بِجِسْم، ولا تجوز عليه الجهة والمكان.

«**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**» يلبسه بأن يأتي أحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار «**يَطْلُبُهُ حَثِيثًا**» سريعًا أي: يتلوه فيدركه، وهذا توسع؛ لأن الطلب عليهما لا يجوز، والمراد يأتي بالليل عقيب النهار وبالنهار عقيب الليل «**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ**» مذللات «**بِأَمْرِهِ**» أي: بإرادته، يعني أنه يجري على حسب ما يريده، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: بفعله، يعني أنه المجري لجميع ذلك، وقيل: يأمر بتوحيد هو طاعته دون مَنْ سواه، عن الأصم. «**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**» أي: هو القادر على خلق ما يشاء من الأجسام والأعراض، له خلقه لا يقدر عليه غيره، «**والأمر**» أي: له أن يأمر فيما خَلَقَ بما أحب. وقيل: هو الذي ينفذ أمره، يعني إرادته، عن أبي علي. وقيل: الأمر كله له، فلا مزاحم له، والمراد بالأمر الأفعال «**تَبَارَكَ اللَّهُ**» وتعالى، قيل: ـ تعالى ـ بدوام الثبات، وقيل: ـ تعالى ـ بالبركة أي البركة في ذكر اسمه، وقيل: تعظم عن الضحاك. وقيل: تمجد عن الخليل. «**رَبُّ الْعَالَمِينَ**» خالق العالمين وسيدهم.

الأحكام

تدل الآية أنه ـ تعالى ـ يُعرف بهذه الأفعال وأمثالها، ولو كان يدرك ويبصر لكان تعريفه[2] بذلك أولى.

(١) خلق: الخلق، أ.

(٢) تعريفه: تعرفه، د، ش.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ خلق السموات والأرض في مدة، فتدل على تقدم مُكلَّف ليبصر خلقها على هذا الحال صلاحًا له، وإلا لم يكن للمدة معنى[1].

وتدل على عظيم نعمته بهذه الأشياء وتسخيرها.

وتدل على أن النجوم ليست بجهة، بل هي مصرفة؛ لأن التسخير يُنْبِئ عن ذلك.

وتدل على أن له الخلق والأمر، وإن دخل في قوله: «**له الخلق**» فذكره لتقدم الخلق عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١] فعطف القرآن على الكتاب، ولا تعلق للحشوية بها؛ فإن الأمر ليس بِخَلْقٍ.

قوله تعالى:

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

اللغة

التضرع: التذلل؛ وهو إظهار الذل الذي في النفس، ونظيره: التخشع، يقال: يتضرع[2] له[3] أي: يخشع. والخفية: خلاف العلانية. والاعتداء: تجاوز الحد. والإصلاح: نقيض الإفساد، فالصلاح: النفع الحسن، والإصلاح: النفع الذي يدعو إليه، والإفساد: إضرار بماتزجر عنه الحكمة. والطمع: توقع المحبوب، ونقيضه اليأس.

الإعراب

في تذكير القريب مع أن الرحمة مؤنثة أقوال[4]:

---

(١) وتدل على أنه تعالى خلق السموات. . . . معنى: ـ ، د.
(٢) يتضرع: أتضر، أ، ش.
(٣) له: -، د.
(٤) أقوال: الأقوال، أ.

الأول: قال الفراء وأبو عمرو: إذا ذهب بهم ذهبا لمكان لم يؤنث ولم يُثَنَّ ولم يجمع، وإذا ذهب به مذهب السبب أُنِّثَ وثُنِّي وجمع، يقال: قريب وقريبة وقريبان، قال عروة:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ ۝ فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[(١)]

الثاني: قال الزجاج: هذا غلط، كل ماقرب في مكان أو نسب فهو جائز عليه التأنيث والتذكير، وكذلك قال الخليل وأبو عبيدة، وأنشد:

كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِبَلْدَةٍ ۝ أَخِلَّائي عنها نازحون[(٢)] بعيدُ

وجعله الأخفش من باب الصيحة والصياح؛ لأن الرحمة من الله، والإنعام واحد، ومثل ذلك قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ المُزْجِي مَطِيَّته ۝ سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ[(٣)] ما هذِهِ الصَّوتُ

أي: الصيحة، فذكر المؤنث، وأراد[(٤)] المذكر؛ لأنه في معناه، ويؤنث به المذكر، ويراد به المؤنث لأنه في معناه.

وقيل: الرحمة مصدر، فَتُذَكَّر، كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، عن النضر بن شميل، وأنشد:

إنَّ السَّمَاحَة والمَرُوءَةَ ضُمِّنَا ۝ قَبْرًا بِمَرْوٍ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

ولم يقل: ضمتا لأنهما مصدران.

---

(١) تهذيب اللغة(بعد)، واللسان (بعد).
لعروة بن حزام العذري:
عشية لا عفراء منك بعيدة ۝ فتسلو ولا عفراء منك قريب
وأني لتغشاني لذكراك فترة ۝ لها بين جلدي والعظام دبيب
الأغاني ج ٢٠/ ص ١٥٦.
(٢) أخلاني عنها نازحون: اخلاي منها نازح، أ.
(٣) أسد: أسدة، أ.
(٤) واراد: يراد، أ.

وقيل: مكان الرحمة قريب، عن الكسائي كقوله: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، أي: أسبابها.

وقيل: تقديره: رحمةُ اللهِ شيءٌ قريبٌ.

وقيل: قريب في معنى: ذات قرب كما يقال: تارس ورامح، وامرأة طالق وحامل، أي ذات ترس ورمح وطلاق وحمل، فأما إذا أنثته يذكر ويؤنث، يقال: قرب فهو قريب، وقربت فهي قريبة، وبعد فهو بعيد، وبعدت فهي بعيدة.

۞ المعنى

ثم ذكر بعد دلائل التوحيد بدعائه على وجه الخشوع، قال القاضي: لما بيّن ما خلق عطف عليه بذكر التعبد، فقال سبحانه: «**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا**» تخشعًا وتذللاً لله في الدعاء «**وَخُفْيَةً**» قيل: سرًّا عن الحسن، وقال أبو علي: لئلا يشوب الدعاء معنى الرياء، وقيل: معناه اعبدوا الله على وجه الخشوع والإخلاص، عن الأصم. وقيل: أراد فعل الفرض ظاهرًا وفعل النفل سرًّا، وقيل: التضرع رفع الصوت، والإخفاء السر، يعني ادعوه سرًّا وعلانية، عن أبي مسلم. «**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**» قيل: لا ينالون[1] منازل الأنبياء فيجاوزون الحد في الدعاء، عن أبي مجلز. وقيل: هو الصياح في الدعاء، عن ابن جريج. وقيل: هو[2] الدعاء على المؤمنين بأن يقول: اخزهم والْعَنْهُم، وقيل: لا يحب تجاوز الحد المرسوم لهم في جميع العبادات والطاعات والدعوات «**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**» قيل: إفساد الأرض بقتل المؤمنين والاعتداء عليهم، عن الحسن. وقيل: إفسادها أن يعبد غير الله، ويحكم بغير حكمه فيؤدي إلى إهلاك[3] بعضهم بعضًا، عن الأصم. وقيل: إفساد الأرض بالعمل بمعاصي الله، وإصلاحها بطاعة الله، وقيل: لا تفسدوها بعد إصلاح الله إياها بأن خلقها [على] أحسن نظام، وبعث الرسل، وبَيَّنَ الطريق، وأبطل الكفر، عن أبي مسلم.

---

(١) ينالون: ينالوا، أ.

(٢) هو: هذا، د.

(٣) إهلاك: الهلاك، أ، ش.

وقيل: لا تفسدوها بعد إصلاحكم لعمارتها، يعني لا تعصوا في مسك الله المطر فتهلك عماراتكم، عن عطية. «**وَادْعُوهُ**» يعني ادعوا الله «**خَوْفًا وَطَمَعًا**» قيل: خوفًا من عقابه لمجانبة معاصيه، وطمعًا في ثوابه بفعل الطاعات، وقيل: خوفًا من التقصير في العبادات، وأن ترد عليه، فلا تقبل، وطمعًا في أن يقبل منه، ويحسن إليه ربه، وقيل: طمعًا في التوفيق، وخوفًا من الخذلان، وقيل: خوف العدل وطمع الفضل، عن ابن جريج. «**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ**» ثواب الله، عن سعيد بن جبير. وقيل: هوالمطر، عن الأخفش. وقيل: فضلهوإنعامه «**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**» قيل: المطيعين لله تعالى، وقيل: المحسن من يعبد الله كأنه يراه، ولا يؤذي أحدًا، وقيل: المحسن من أدى الفرائض، واجتنب المعاصي، فصارت أفعاله لا قبح فيها، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله - تعالى - بالدعاء؛ لأن نعم الدين والدنيا لا تُنال إلا من جهته.

وتدل على أن المستحب في الدعاء الإخفاء؛ لأنه - تعالى - يسمع السر وإن خفي، ولأنه أبعد من الرياء، وروي في الخبر أنه ﷺ سمع الناس يصيحون بالتكبير والتهليل فقال: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا»[1] وقد حكى الله - تعالى - عن زكريا (عليه السلام): ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣].

وتدل على وجوب إخفاء «آمين» في الصلاة؛ لأن «آمين» من جملة الدعاء، ولأنها تذكر عقيب الدعاء، ومعناه: اللهم أجب، وقد اختلفوا، فكان أبو حنيفة يقول: بقولها سرًّا، والشافعي يقول: بقولها جهرًا، وعند الهادي (عليه السلام): لا يقولها.

وتدل على أنه لا يريد الاعتداء حتى يصح أن يقال: لا يحب المعتدين، فيبطل قول المجبرة في الإرادة وفي المخلوق.

(١) البخاري رقم ٢٨٣٠، ومسلم رقم ٢٧٠٤.

وتدل على النهي عن الإفساد في الأرض، فيدخل فيه الوُلاةُ، ومن يتمكن في الأرض.

وتدل على أن الدعاء والفساد فِعْلُ العبد، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على جواز الدعاء بأمور الدنيا.

وتدل على أن رحمة الله قريب من المحسنين، فيبطل قول المرجئة: إن رحمة الله قريب من العصاة والعتاة والفسقة.

قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**الرياح**» على الجمع «**نُشُرا**» بضم النون والشين وهو جمع نَشُورٌ كصبور، وصُبُرٌ وشَكُور وشُكُر[١].

وقرأ حمزة والكسائي «**الريح**» على الواحد[٢] «**نَشْرا**» بفتح النون وسكون الشين، والنشر: الريح الطيبة، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، واختاره أبو عبيد وخلف، لقوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾ [المرسلات:٣].

وقرأ ابن عامر «**الرياح**» جمع «**نُشْرا**» بضم النون وسكون الشين، وهو مصدر كالعصف، وهو قراءة الحسن والسلمي.

وقرأ عاصم «**الرياح**» جمع «**بُشْرا**» بالباء وضمها وسكون الشين من البشارة يعني

---

(١) حجة القراءات ٢٨٥.

(٢) الواحد: الوحد، أ، د.

أنها تبشر بالمطر، يدل عليه قوله: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم:٤٦]، وروي عن مسروق «نَشَرا» بفتحتين؛ أراد منشورًا.

اللغة

النَّشْرُ: خلاف الطي، والريح بمنزلة المطوي في أنه لا يدرك، ثم صار يدرك، فكان كنشر الثوب، والبشر بالباء: من البشارة، ومنه البشير. والإقلال: حمل الشيء، يقال: استقل بحمله استقلالاً: إذا نهض به، وأقلّه يُقِلُّه[1] إقلالاً: إذا حمله.

والسحاب: الغيم الجاري في السماء، واحدها سحابة، وهو من الإسحاب[2] سحبه سحبًا[3] والثقل: اعتماد السفلى. والسوق: حثه الشيء في السير حتى يقع الإسراع، ساقه يسوقه سوقًا.

الإعراب

قيل: اللام في قوله: «لبلد» بمعنى (إلى)، وحروف الصفات تتبادل، قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:٥]، أي: إليها، و﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] أي إلى هذا.

وقيل هو بمعنى الإضافة أي: أنشأ السحاب، وسقناه لإحياء بلد ميت، والكناية في قوله: «سقناه» ترجع إلى السحاب.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الحجاج، وبيان الأدلة عطفًا على ما تقدم من خلق السماوت والأرض، فقال سبحانه: «**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ**» أي: يجريه إرسالاً «**نشرا**» بالنون يعني: منتشرة «**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**» يعني قُدَّامَ رحمته، وهو المطر، وبضم النون والشين

---

(١) يقله: نقله، أ.

(٢) الإسحاب: الاحتساب، أ، د، ض.

(٣) سحبا: سلبًا، أ، د، ض.

يعني الرياح التي تهب بكل ناحية، قال أبو بكر بن عياش: لا تمطر قطرة حتى تعمل فيها أربع: الرياح الصبا تهيجه، والشمال تجمعه، والجنوب تدره، والدبور تفرقه، وبالباء مبشرًا «**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا**» قيل: حملت، وقيل: رفعت وكلاهما بمعنى واحد «**سَحَابًا ثِقَالاً**» بالمطر «**سُقْنَاهُ**» إلى بلد «**مَيِّتٍ**» وموت البلد بِعَفاء مزارعه، ودروس مشاربه، لا نبات فيه ولا زرع «**فَأَنْزَلْنَا بِهِ**» قيل: بالسحاب، وقيل: بالبلد، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وعنى بالماء المطر «**فَأَخْرَجْنَا بِهِ**» يعني بالماء، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: بالبلد، عن الأصم. «**مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**» يعني المعتادة في كل بلد، يخرجه على الوجه الذي أجرى العادة بها ودبرها «**كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى**» أي: كما نخرج النبات بعد أن لم يكن، كذلك نحيي الموتى، ونخرجهم من الأرض «**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**» أي: لكي يذكركم المَثَلَ المضروب في تشبيه إخراج الموتى بالنبات، فإن قُدْرَتَهُ على إحياء الموتى كقدرته على إخراج النبات، عن أبي مسلم. وقيل: لتذكروا قدرة الله على إحداث الأجسام فتوحدوه وتعبدوه، عن الأصم وأبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه علينا بالمطر دينًا ودنيا.

وتدل على الحجاج في إحياء الموتى بإحياء الأرض بالنبات.

وتدل أنه أراد من الجميع التذكر، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أنه أجرى العادة بإخراج النبات بالماء وإلا فهو قادر على إخراجه من غير ماء، فأجرى العادة على وجوه، ودبرها عليها على ما نشاهده لضرب من المصلحة دينًا ودنيا.

أما الدينية: فلكونه لطفًا في طلب الجنة، والتشمير للعبادة؛ لأن العاقل إذا استحسن تحمل المشقة الكبيرة لنفع قليل، فلأن يتحمل لنعم دائمة قليل المشقة أولى.

ومنها إذا رأى الأرض الطيبة تُزْرَعُ دون الأرض السبخة، فإنها قطع متجاورات، علم فساد التقليد، وأن يجب أن يتفحص عن الحق حتى يعتقده.

ومنها أنه إذا زرع وعلم[1] وجوب حفظه من المبطلات علم وجوب حفظ الأعمال[2] الصالحة من المحبطات.

ومنها ما يعتبره ويتذكر عنده من نعم الجنة، فيرغب فيها ويعمل لها.

ومنها ما يصح من المعجزات التي لولا العادات لما صحت المعجزات.

وأما الدنياوية: فلما عرف من ترتيب الأشياء في أوقاتها حتى يطلب كل ثمرة من شجرة، ولولا هذا الترتيب لما صح ذلك.

ومنها ما يصل إليه من المنافع في كل وقت حتى يقصد الطلب في وقته، وغير ذلك من وجوه الترتيب والحكم، فجعل في إجراء العادة هذه الفوائد سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر «**نكَدًا**» بفتح الكاف وهو المصدر، والباقون بكسرها، وهو الاسم.

اللغة

الطيب: ضد الخبيث، والطيب: ما فيه أسباب التلذذ، والخبيث: ما فيه أسباب التَّكَرُّهِ.

والنكد: [العسر] القليل النزول [إلا] بعناء[3] والنكد: كل شيء خرج إلى طالبه بشدة، رجل نَكِدٌ ونكَد، وناقة نكداء: لا لبن لها، نَكِدَ يَنْكَدُ نكَدًا ونكْدًا: إذا سئل فبخل ونكد[4]، قال الشاعر:

---

(١) وعلم: وحال، أ.

(٢) الأعمال: أعمال، أ.

(٣) بعناء: الزيغ، أ، د، ش، ض.

(٤) ونكد: ونكدوه، أ، د، ض: وما أثبتناه من تفسير التبيان: ٤/ ٤٣٣. والطبري ٥/ ١٩٥.

لا تُـنْـجِـزِ الـوَعْـدَ إنْ وَعَـدْتَ وإنْ أَعْـطَـيْـتَ أَعْـطَـيْـتَ تَـافِـهًـا نَـكِـدَا[1]

الإعراب

(البلد) رفع بالابتداء، وخبره في (يخرج).

المعنى

لما بَيَّنَ ـ تعالى ـ إنزال المطر وما يحيي به من الأرض الميتة بَيَّنَ حال الأرض[2] التي يأتيها المطر وما يخرج النبات وما لا يخرج، وضرب مثلاً، فقال سبحانه وتعالى: «**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ**» يعني الأرض الطيبة تربتها «**يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**» بأمره وإرادته وخلقه «**وَالَّذِي خَبُثَ**» من الأراضي وهي السبخة «**لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا**» يعني ينبت مالاً قليلاً لا ينتفع به، عن السدي، وقيل: إلا ما لا خَيْرَ[3] «**كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ**» نبين وجوه الحجج ونصرفها «**لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**» أي: يشكرون الله على نعمه، قيل: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمنافق، فالمؤمن طيب يخرج منه العمل الصالح وهو عبادة الله عند نزول المطر، وهو القرآن، والمنافق خبيث لا يخرج منه إلا الخبيث من العمل وعبادة غير الله، وقيل: كما أن الأرض الطيبة هي ما تنبت، والخبيثة[4] ما لا تنبت، كذلك أنتم: الطيبون مَنْ يُخْرِج منكم من الطيبات من القول والعمل، والخبيث مَنْ تخرج منه الخبائث من القول والعمل، ونظيره: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور:٢٦]، عن الأصم. وقيل: أراد به لا يكفي المطر في الإنبات حتى يصادف محلاً طيبًا، كذلك لا تكفي المواعظ ما لم تصادف قلوبًا واعية وآذانًا سامعة، وقيل: إنه ـ تعالى ـ بَيَّنَ ذلك أن مع الأرض والعمارة والماء ينبت في بعض المواضع تنبيهًا على قدرته، وأنه المنبت كما يشاء، ونظيره: ﴿ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد:٤]، وقيل: إن طارح البذر في الأرض السبخة يحصل على تحسرعظيم حيث لم ينتفع بعمله، ولا يُقْدَمُ على مثله،

(١) لسان العرب (تفه).
(٢) الأرض: الأراضي، أ، ش.
(٣) خير: خيرا، أ، ض.
(٤) والخبيثة: الخبيث، أ، د.

فلأن لا يقدم على المعاصي المؤدية لنهاية الحسرة أولى، والله ـ تعالى ـ قادر على أن ينبت في كل بقعة، ولكن أجرى العادة على ما يشاهدها مصلحة ولطفًا لعباده على ما قدمناه.

الأحكام

تدل الآية على عظيم قدرته ووفور نعمته بما أجرى العادة فيما ينبته، وعلى كمال قدرته في ذلك، وقد بينا ما في إجراء العادة من المصالح.

ومتى قيل: هلا قلتم إنه موجب الأرض والبذر والهواء على ما تقوله الطبائعية؟

فجوابنا أن ذلك لو كان موجبًا لكان لا يتأخر النبات والثمار، ولكن النبات يختلف في السرعة والإبطاء، ولأن العلة لا تجوز إلا بشيء واحد.

ومتى قيل: فأي فائدة في العبادة؟

فجوابنا ما بَيَّنًا على أنا إذا علمنا أن للعالم صانعًا لا يقدر على الأجسام غيره، وأنه حكيم، وعلمنا أنه أجرى العادة ـ علمنا أن ذلك لمصلحة وفائدة فيكفي، وإن لم نعلم وجه الفائدة.

وتدل على أنه أراد من المكلفين الشكر، وأن الشكر فِعْلُهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والإرادة.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفروالكسائي «غَيْرِهِ» بكسر الراء على أنه نعت للإله على اللفظ، وهو قراءة يحيى بن وثاب والأعمش، وقرأ الباقون بالرفع على وجهين: أحدهما: الاستثناء، والثاني: الصفة للإله على الموضع؛ لأن تقدير الكلام: ما لكم إله غيره.

وقيل: إنه رفع وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ما لكم غيره من إله.

وروي عن بعضهم «غيرَه» بفتح الراء، قال الفراء: بعض بني أسد وقضاعة إذا[1] كان معنى (غير) (إلا) نصبوها تم الكلام قبلها أو لم يتم، يقولون: ما جاءني غَيْرَك، وما أتاني أحد غَيْرَك.

قال الزجاج: قد يكون النصب من وجهين:

أحدهما: الاستثناء من غير جنسه.

والثاني: الحال من قومه اعبدوا الله؛ لأن (غيره) نكرة وإن أضيف إلى المعارف.

قرأ أبو عمرو: «**وأُبْلِغُكُمْ رسالات ربي**» بالتخفيف في (أبلغ) وفي (الأحقاف) مثله، وقرأ الباقون بالتشديد، وهما لغتان، أَبْلَغَ يُبْلِغُ، وبَلَّغ يُبلِّغ، وإنما اختار أبو عمرو التخفيف لقوله: «**أبلغتكم رسالة ربي**»، ولقوله: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ [الجن:٢٨]، واختار الباقون التشديد لأظهر اللغتين، وأجراه واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، ولقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٦٧].

۞ اللغة

العذاب: الألم[2] الجاري على استمرار. العقاب: الألم على ما كان من الإجرام. والملأ: الجماعة من الرجال ليس فيهم نساء، عن الفراء، وإنما سمي ملأ لأنهم يملؤون المحافل، وقيل: هم الرؤساء والأشراف، ومنه قول النبي ﷺ في قتلى بدر

---

(١) إذا: إذ، أ.

(٢) الألم: الإثم، أ.

لما سمع بعض الأنصار يقول: ما قتلنا إلا عجائز ضلعا، فقال ﷺ: «أولئك الملأ من قريش، لو رأيتهم في ناديهم لهبتهم، ولو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك عند فعالهم»، والجمع: أَمْلاء مثل: نبأ وأنباء.

والإبلاغ: إيصال ما فيه بيان وإفهام، ومنه: البلاغة والتبليغ.

والنصح: خلاف الغش، والنصيحة: إخلاص النية من شائب الفساد، يقال: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له.

والتكذيب: نسبة الخبر إلى الكذب. ونجاه وأنجاه لغتان بمعنى أخلصه من الهلكة، ونقيضه: الإهلاك.

والفلك: السفينة، ويكون للواحد وللجميع، وأصله الدور، ومنه: فلك ثدي المرأة إذا استدار، ومنه الفلَك والفلكة.

والعمى: الضلال عن طريق الهدى، يقال: عَمِيَ يَعْمَى، ورجل عم[1]، ورجلان عميان، ورجال عَمُون، ورأيت قومًا عمين، ويقال: رجل عم عن طريق الحق، وأعمى في البصر، وقيل: العَمِي والأعمى كالخضِر والأخضر، وقال زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

الإعراب

ويقال: لِمَ جاز به ضلالة ولم يجز به معرفة؟

قلنا: لأن فيه معنى (عَرَضَ بِهِ) كما يقال: به جُنَّةٌ، وبه جوع، وبه عطش؛ لأنه عارض به، وليست المعرفة تعارض لصاحبها ولكن لم يصح به.

ويقال: لم حذفت ياء الإضافة من «**يا قوم**» ؟

قلنا: لقوة النداء[2] على النفس حتى يحذف للترخيم، فلما جاز أن يحذف في غيره للاجتزاء بالكسرة فيها جاز أن يحذف فيه لاجتماع[3] السببين فيها.

(١) عم: عمى، أ.
(٢) النداء: البدل، د.
(٣) لاجتماع: للاجتماع، أ.

ويقال: لم[1] جاز حذف النون من (لكني)؟

قلنا: لاجتماع النونات، ويجوز الإدغام؛ لأنه الأصل.

ويقال: ما معنى (مِنْ) في قوله: «**رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» ؟

قلنا: هو لابتداء الغاية الله الذي ابتدأني بالرسالة، وكل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه، وأصل (مِنْ) لابتداء الغاية كقولك: خرجت من بغداد إلى الكوفة.

ويقال: الألف في قوله: «**أوعجبتم**» أي ألف هي؟

قلنا: ألف استفهام دخل على واو العطف كقوله: أصنعتم كذا وكذا، والمراد بالاستفهام[2] التقريع والإنكار، وإنما فتحت الواو لأنها واو عطف، دخل عليها ألف استفهام، و(أن) في قوله: «**أوعجبتم**[3]» محله نصب، عن الفراء.

المعنى

لما تقدم في السورة توحيد الله ـ تعالى ـ والأمر بعبادته، وذكر الأدلة على توحيده وحذر العقاب ووعد[4] الثواب ترغيبًا وترهيبًا؛ ذكر بعده أخبار الأمم وما فعل بالمكذبين وكيف يحيي الموتى[5] زيادة في الترغيب والترهيب، وابتدأ بقصة نوح، فقال سبحانه: «**لَقَدْ**» اللام لام القسم، و(قد) تأكيد للكلام، وتقديره: حقًا أقول إنا «**أَرْسَلْنَا نُوحًا**» وهو نوح بن لَمَك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام، وهو أول نبي بعد إدريس، وقيل: كان نجارًا وولد في العام الذي مات فيه آدم، وقيل: بعث وهو ابن خمسين سنة،وقيل: بعث وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ثم كان الطوفان، وأغرق قومه[6] وهو ابن ألف وثلاثمائة وتسعين سنة، وعاش بعد الطوفان تسعين سنة.

---

(١) جاز أن يحذف. . . لم: ـ، د.
(٢) بالاستفهام: الاستفهام، د.
(٣) أوعجبتم: أوجبتم، أ.
(٤) ووعد: ورغب في، أ.
(٥) الموتى: المؤمنين، د.
(٦) قومه: +، د.

ثم ذكر حسن دعاء نوح إلى دين الله فقال سبحانه: «**فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ**» خالق ومدبر «**غَيْرُهُ**»، ولما دعاهم لعبادته لم يكن بُدٌّ أن ذكَّرهم أدلة التوحيد والعدل، وأظهر لهم أدلة النبوة، ثم أوعدهم بمخالفته، فقال سبحانه: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**» يعني يوم القيامة، قيل: قال[١] : أخاف[٢] ولم يقطع؛ لأنه جَوَّزَ أن يؤمنوا، وقيل: لأنه خوف شفقة لا خوف شك، وقيل: يجوز أنه لم يرد عليه سمع بوعيدهم فأخبرهم على مقتضى العقل «**قَالَ الْمَلأُ**» قيل: الأشراف والرؤساء عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: الجماعة «**مِنْ قَوْمِهِ**» عن أبي علي. «**إِنَّا لَنَرَاكَ**» قيل: معناه رؤية القلب أي: نعلمك[٣]، وقيل: رؤية البصر أي: نراك على هذه الحالة، قيل: نراك من الرأي الذي هو غالب الظن «**فِي ضَلالٍ**» أي: مخطئًا عن الحق بخلاف قومك «**مُبِينٍ**» بَيِّنَ ظاهر، فأجابهم نوح، و» **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ**» عن الحق «**وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي**» أي: أؤدي إليكم ما حَمَّلَني ربي من الرسالة والشرع «**وَأَنْصَحُ لَكُمْ**» فيما أمركم، والنصح أن يريد بهم ما يريد بنفسه، عن أبي مسلم، وقال الأصم: الناصح الداعي إلى الصلاح المانع من الفساد. «**وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**[٤]» وقيل: من الوعد على اتِّبَاعِي والوعيد على مخالفتي، عن أبي علي. وقيل: أعلم من توحيد الله وعدله وصفاته «**مَا لا تَعْلَمُونَ**». وقيل: أعلم من أين جاءني[٥] العلم والرسالة ما لا تعلمونني[٦] ؛ لأنكم لا تصدقونني، عن الأصم. وقيل: أعلم من قدرة الله وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمون، عن أبي مسلم. والأوجه أني قال: أعلم من الله ما لاتعلمون، فيدخل فيه جميع ما تقدم وغيره أيضًا، وقيل: أعلم من الغرق والطوفان ما لا تعلمون «**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ**» قيل: نبوة ورسالة، وقيل: آيات[٧]، وقيل: معجزة تعلمون بها

(١) قال: قيل، أ.
(٢) أخاف: ـ ، د.
(٣) نعلمك: أعلم، أ.
(٤) ما لا تعلمون: +، د.
(٥) جاءني: جاءك، أ.
(٦) تعلمونني: تعلموني، أ، د، ض.
(٧) في د بيان.

صدقي لأني رجل منكم لا أقدر على ما لا تقدرون عليه[1]، عن الأصم. «**مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ**» أي مِنْ نسبكم نشأ بينكم تعرفون نسبه وأحواله وأمانته[2]، ثم أتاكم بمعجزة تعرفون صدقها فأين الأعجوبة[3] فيه، وقيل: [على] بمعنى (مع)، عن الفراء، يقال: جاءني الخير[4] على وجهك، أي مع وجهك، وقيل: معناه أنه منزل على رجل منكم «**لِيُنْذِرَكُمْ**» ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا «**وَلِتَتَّقُوا**» أي: لكي تتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه لترحموا، وقيل: اتقوا ما تعبدون من دون الله عن الأصم. «**وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**» أي: لكي ترحموا، وقيل: اتقوا رجاء الرحمة «**فَكَذَّبُوهُ**» أي: كذبوا نوحًا فيما دعاهم إليه «**فَأَنْجَيْنَاهُ**» خلصناه «**وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ**»، وهم المؤمنون، قيل: بنوه الثلاثة وأزواجهم وسبعة أناس كانوا[5] معهم في الفلك، عن ابن أبي إسحاق. وقيل: كانوا ثمانين[6] نفرًا أربعين[7] رجلاً وأربعين[8] امرأة، عن الكلبي. وقيل: نوح وأصحابه ومن آمن به ومن كل شيء زوجان[9] اثنان، وكان أمر باتخاذ السفينة للطوفان بأن يحملهم فيها «**وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» بمعنى أهلكنا بالغرق جميع من كذب «**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**» قيل: جهالاً، وقيل: كفارًا، عن الضحاك. وقيل: عمين عن نزول الغرق بهم، عن مقاتل.

الأحكام

في الآيات فوائد:

منها: أن نوحًا دعاهم أولاً إلى التوحيد، والرسول وإن حَمَلَ الشرائع فلا طريق له

---

(١) عليه: ـ ، د.
(٢) وأمانته: أماتته، أ، د.
(٣) الأعجوبة: العجوبة، أ.
(٤) الخير: الحر، أ.
(٥) كانوا: كان، أ، د، ض.
(٦) ثمانين: ثمانون، أ.
(٧) أربعين: أربعون، أ.
(٨) وأربعين: أربعون، أ، د، ض.
(٩) زوجان: زوجين، أ، د.

إلى بيان الشرائع إلا بعد العلم بالتوحيد والعدل، ولأنهم لا ينتفعون بذلك إلا بعد اعتقاد التوحيد، فلذلك بدأ به، ولأنه أهم من الشرائع فبدأ بالأهم، وهكذا جميع الرسل بَدَؤُوا بالتوحيد، ثم بالشرائع؛ ولذلك كان أكثر حجاج نبينا ﷺ[(١)] بمكة في التوحيد، فلما هاجر إلى المدينة، وثَمَّ اليهود - كان النزاع في النبوة.

ومنها: أنه لا بد لكل نبي أن يحمل رسالة إلى قومه.

ومنها: تدل على بطلان قول أصحاب المعارف لقوله: أعلم ما لا تعلمون، وبقوله: «**عمين**».

ومنها: بطلان مذهب المجبرة في الإرادة والمخلوق؛ لأن قوله: «**لتتقوا**» يقتضي[(٢)] أن التقوى فِعْلُهُم، وأنه ـ تعالى ـ يريد ذلك منهم.

❁ من القصة

قد بَيَّنَّا ما قيل في سِنِّهِ ونسبه، وكان من قصته أن الله ـ تعالى ـ بعثه إلى الخلق، فدعا إلى الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، وكانوا أصحاب أصنام، وأصنامهم ما عدّ الله ـ تعالى ـ في سورة نوح: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر. وتوالت القرون على تكذيبه، فلما أيس منهم دعا عليهم بأمر الله تعالى، فأمره ـ تعالى ـ باتخاذ السفينة، فكانوا يمرون عليه، وهو يصنع السفينة، فيسخرون منه ويقولون: صرت نجارًا بعدما كنت نبيًّا، وكان علامة الطوفان أن يفور التنور، فلما ظهر ذلك جعل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهله إلا امرأته كانت كافرة وابنه كان كافرًا، وكان الطوفان على ما نص الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١، ١٢]، وعرف الناس، واستوت السفينة على الجودي، وتوالد الناس من بنيه الثلاثة، فالعرب والعجم والروم من ابنه سام، والهند والزنج والحبشة من حام، والترك ويأجوج من يافث.

(١) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، أ.
(٢) ومنها بطلان مذهب... يقتضي: -، د.

وقيل: كان مبعوثًا إلى الخلق أجمع.

وقيل: كان معجزته أنه إذا صاح وهو بالمشرق سمعه مَنْ بالمغرب، وإذا صاح وهو بالمغرب سمعه من بالمشرق، ولا أحد إلا ويقر بطوفان نوح غير المجوس، وقيل: إن تاريخهم بعد الطوفان. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

اللغة

السَّفَهُ: نقيض الحلم، وأصله: الخفة والطيش، ثوب سفيه: رديء النسج، وسفه فلان رأيه: إذا جهل، وكان رأيه مضطربًا لا استقامة له، وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ [النساء: ٥]، سُمُّوا سفهاء لخفة عقولهم.

والأمين: الثقة في نفسه، وأصله من الأمن، ورجل مأمون: يأمنه غيره، وأمين: ثقة في نفسه، ورجل أَمَنَةٌ وأُمَنَةٌ بفتح الهمزة وضمها: يثق بكل أحد.

والبسطة: أصله السعة، وأصله: بسط اليدين إذا فتحت على أبعد[1] أقطارها[2]، ومنه: ﴿بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ [الشورى: ٢٧]، و ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يعني بالعطاء، ومنه: البساط، ومنه الحديث في صفة الغنم: «بسيطًا مداركًا» أي: انبسط على الأرض.

والآلاء: النعماء، واحدتها إِلىً مثل مِعىً[3]، وإِلْيٌ مثل: حسي، وأَلاً: مثل رجاء وقفا، قال الشاعر:

أَبْـيَــضُ لا يَــرْهَــبُ[4] الْــهُــزَالَ ولاَ يَقْطَعُ رِحْمًا ولا يَخُونُ[5] إِلا[6]

«وَنَذَرَ» جاء فيه الأمر والمضارع وأهمل الماضي واستغنى عنه بـ(ترك) وكذلك «نَدَع» استغنى عن ماضيه بـ(ترك)، ولا يقال: يستغني بـ(ترك) عن نذر لأن نذر أخف لحذف[7] الواو منه، قال الخليل: أماتت العرب[8] الفعل من ذر في الماضي فلا يكاد يقولون وذرته وقد جاء شاذًا.

والرجس والرجز: العذاب، والأصل الزاي قلبت سينًا كما تقلب السين تاء في قول الشاعر:

يَـا قَـبَّـحَ الـلـهُ بَـنـي الـسِّـعْـلاَتِ[9] عَـمْـرِو بـنْ يَـرْبُـوعٍ لِـئَـامِ الـنَّـاتِ[10]

---

(١) أبعد: بعد، د.
(٢) أقطارها: أقطاهرها، د..
(٣) معىً: معا، أ.
(٤) يرهب: يرتكب، أ.
(٥) يخون: ـ ، أ.
(٦) البيت للأعشى. اللسان (إلا).
(٧) لحذف: الحذف، أ.
(٨) العرب: ـ ، أ.
(٩) السعلات: السلعات، د.
(١٠) لعباء بن أرقم. انظره في جمهرة اللغة (سعل)، وتاج العروس (عسل)، وفي رواية صدر البيت: ألا لحى الله بني السعلاتِ

أي: الناس.

والسلطان: ما يتسلط على إبطال الفساد، ومنه سمي الحجة؛ لأنه يبطل بها شبهة أهل الضلال.

والدابر: الآخر، ودابر الرجل: عقبه لأنه[1] يكون بالموت[2] من خلفه، ودابر الأمر: آخره[3].

الإعراب

انتصب «**هودًا**» بـ «**أرسلنا**» في أول الكلام وإن طال ما بينهما؛ لأن تفصيل القصة يقتضي ذلك، وتقديره: وأرسلنا هودًا إلى عاد.

ويقال: لم صرف (هود) ولم يصرف (ثمود)؟

قلنا: لخفة (هود)[4] وكثرتها في الاستعمال[5] كجُمْل، فأما (ثمود) فمنهم من يصرفه، ومنهم من لا يصرفه.

ويقال: لم كسرت (إن) مع القول، وفتحت مع الظن؟

قلنا: لأنه مع القول حكاية، والحكاية تقتضي الاستئناف المحاكي بخلاف الظن.

ويقال: لم عملت (إن) المشددة، ولم تعمل المخففة؟

قلنا: لأنها عند التشديد تشبه (كأَنَّ) فعملت، وبالحذف زال الشبه.

ويقال: لم حذفت همزة (نريك) في المضارع دون الماضي؟

قلنا: لاجتماع ثلاثة أسباب: الزيادة في أوله، وتبقيته دليلاً عليه، وكثرة الاستعمال لها.

يقال: ما موضع (قوم) من الإعراب في قوله: «**يا قوم**» ؟

---

(١) لأنهم: لأنهم، د.

(٢) يكون بالموت: كائنون، د.

(٣) آخره: آخر، د.

(٤) هود: هو، أ.

(٥) الاستعمال: الاستعلاء، أ.

قلنا: نصب؛ لأنه منادى[١] مضاف.

المعنى

لما تقدم قصة نوح عطف عليه قصة هود، فقال سبحانه: «**وَإِلَى عَادٍ**» يعني: وأرسلنا إلى عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح «**أَخَاهُمْ**» يعني في النسب، لا في الدين «**هُودًا**»، وهو هود بن صالح بن أرف حشد بن سام بن نوح فيلتقي معهم في سام، أعني ابن إسحاق، وقيل: هو من ولد عاد بن عوص، وقيل: جميعًا من ولد آدم وحواء[٢]، عن الأصم. وإنما ذكر أخاهم؛ لأنه أبلغ في الحجة؛ لأنه منهم، فهم أعرف به وأقرب[٣] منه، وأسكن إليه «**قَالَ**» يعني هودًا «**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**» أي: خالق ومدبر «**أَفَلا تَتَّقُونَ**» استفهام، والمراد التقرير، يعني اتقوا الله؛ أي: اتقوا عذابه باتقاء الكفر والمعاصي، فوحدوه واعبدوه «**قَالَ الْمَلأُ**» قيل: الجماعة، عن أبي علي. وقيل: الأشراف، عن أبي مسلم. «**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ**» جحدوا نبوته وما أتى به من التوحيد «**إِنَّا لَنَرَاكَ**» يا هود «**فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ**» أي: جهالة وضلالة في ترك ديننا ودين آبائنا «**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ**» وقيل: المراد بالظن العلم، كقول الشاعر[٤]:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ   سُرَاتُهُمْ فِي الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٥]

أي: يخبر بخبر لا يعلم أنه[٦] صادق، بل يعلم كذلك، وقيل: المراد به الظن؛ أي لا يعلم أنك صادق أو كاذب. قال الحسن: كان تكذيبهم إياه على ظن، لا على اليقين «**مِنَ الْكَاذِبِينَ**» في أنك رسول الله، وقيل: في نزول العذاب بنا، فعدل هود عن سفههم، وعاد إلى الدعاء إلى الله[٧] ـ تعالى ـ بأحسن مقالة، وأبين حجة فـ «**قَالَ يَا قَوْمِ**

---

(١) منادى: بدا، أ.
(٢) آدم وحواء: آدم حوى، أ.
(٣) وأقرب: أفهم، أ.
(٤) البيت لدريد بن الصمة.
(٥) الصحاح (ظنن)، واللسان (ظنن).
(٦) أنه: أنك، د.
(٧) وقيل في نزول. . . إل الله: ـ ، د.

لَيسَ بِي سَفَاهَةٌ ضلالة عن الحق وجهالة «**وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» أي: أرسلني رب العالمين و(مِنْ) لابتداء الغاية «**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**» أي: أنا رسول والرسول لا يكون ضالاً ولا جاهلاً، وأنا ناصح لأمتي، وأنا أمين على الرسالة والوحي، قيل: مأمون من أن يكون مني تغيير وتبديل، عن الضحاك وأبي علي وجماعة. وقيل: عرفت اليوم فيكم أمينًا، عن الكلبي. «**أَوَعَجِبْتُمْ**» أي: لا عجب في «**أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ**» قيل: نبوة، وقيل: بيان، وقيل: معجزة «**مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ**» في النسب نشأ بينكم، قيل: قال لهم: كيف تتعجبون من بعثة رجل منكم ولا[1] تتعجبون من عبادة صخر «**لِيُنْذِرَكُمْ**» يعني ليخوِّفكم[2] سطوات الله وقوارعه «**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ**» يعني اذكروا إذْ[3] هلك قوم نوح لما عصوا، وجعلكم خلفاء بعدهم، وأسكنكَم الأرض «**وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً**» قيل: طولاً وقوة، عن ابن عباس وجماعة. وقيل: البسطة مقدار ما يبلغ الإنسان عند رفعة، وقيل: إنهم فضلوا على أهل زمانهم بهذا المقدار من الطول، حكاه أبو علي. وقيل: كان طول رجل منهم اثني عشر ذراعًا، عن مقاتل. وقيل: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعًا، عن الكلبي. وقيل: كان طولهم سبعين[4] ذراعًا، عن أبي حمزة الثمالي. وقيل: ثمانون ذراعًا، عن ابن عباس. وقيل: كان أطولهم ستين[5] ذراعًا وأقصرهم اثني عشر ذراعًا «**فَاذْكُرُوا**» أي: اشكروا «**آلاءَ اللَّهِ**» أي: نعمه، عن الحسن وغيره. «**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**» أي: لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة «**قَالُوا أَجِئْتَنَا**» يا هود «**لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ**» نترك عبادة «**مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**» من الأصنام «**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا**» من العذاب «**إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» في رسالاتك، وقيل: في نزول العذاب بنا، عن أبي علي. «**قَالَ**» هود لما أيس من إيمانهم «**قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**» أي نزل[6] وحلّ، وقيل: وجب، عن الأصم. «**رِجْسٌ**» قيل: عذاب، وقيل: سخط، عن ابن عباس. «**وَغَضَبٌ**» غضبه إرادة العقوبة «**أَتُجَادِلُونَنِي**»

---

(١) تتعجبون من. . . ولا: ـ ، أ.
(٢) ليخوفكم: فيخوفكم، أ، د.
(٣) إذ: إذا، أ.
(٤) سبعين: سبعون، أ.
(٥) ستين: ستون، أ.
(٦) أي نزل: بياض في د؛ مطموس في أ.

أتخاصمونني «**فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ**» يعني أصنامًا سميتموها آلهة لا تضر ولا تنفع «**مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**» أي: حجة وبرهان يحتمل، لا حجة في تسميتها آلهة، ولا حجة في عبادتها «**فَانْتَظِرُوا**» نزول العذاب بكم «**إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**» لذلك[1]، عن أبي علي والأصم. وقيل: انتظروا العذاب لكم فإني أنتظر الرحمة لمن آمن بي «**فَأَنْجَيْنَاهُ**» خلصناه يعني هودًا من العذاب، «**والَّذِينَ مَعَه**» يعني آمنوا به واتبعوه «**بِرَحْمَةٍ مِنَّا**» يعني: برحمة منا خلصناه[2] «**وَقَطَعْنَا دَابِرَ**» القوم، قيل[3] : أصلهم، وقيل: آخرهم فلم[4] يبق لهم عقب؛ يعني استأصلناهم عن آخرهم «**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» حججنا، وهم قوم هود «**وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**» ذكر ذلك ذمًّالهم، وأن هذا الاسم يعني قولنا: (مؤمنين) لا يجتمع مع التكذيب، وقيل: هو إخبار عنهم بأنهم لم يفوا ولم[5] يؤمنوا، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على حسن دعاء هود (عليه السلام) قومه، وأنه بدأ بالأهم فالأهم من التوحيد والعدل والبراءة من الأصنام، وثنّى بأداء الشرائع.

وتدل على فساد التقليد حين ذمهم بسلوك طريقة آبائهم.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: «**ما أنزل الله بها من سلطان**» أن الواجب اتباع الحجة والتمسك بالأدلة.

وتدل على بطلان كل مذهب لا دليل عليه.

ويدل قوله: «**أتجادلونني**» على أن المبطل مذموم في جداله، والواجب عليه النظر ليعرف الحق.

وتدل أن رحمته تلحق المؤمنين حيث نجاهم برحمته، فيبطل قول من يقول: إن رحمته تلحق العصاة.

---

(١) لذلك: بذلك، أ.
(٢) واتبعوه برحمة. . . خلصناه: ـ أ.
(٣) قيل: في، أ.
(٤) فلم: لم، أ.
(٥) ولم: لم، أ.

وتدل على أنه استأصل قوم هود، وأنه لا عقب لهم.

القصة

إنه[1] حمل ما ذكره المفسرون وأصحاب التواريخ أن عادًا كانوا ينزلون الأحقاف، وهم رجال من حد اليمن إلى عُمان إلى حضرموت، وكانوا يعبدون الأصنام، وكانوا ذوات[2] بسطة وقوة، قهروا الناس بفضل القوة، فبعث الله إليهم هودًا وهو من أوسطهم نسبًا، وأفضلهم دينًا وورعًا، فدعاهم إلى الله وتوحيده، ووُعِدُوا وعدًا[3] فكذبوه، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث[4] سنين متواليات[5] فجهدوا، وكان الناس يومئذ إذا نزلت بهم نازلة التجؤوا إلى الحرم فيجتمع المسلم والمشرك بمكة تعظيمًا لها، فبعثت[6] عاد وفدًا إلى مكة وبها العماليق من ولد عمليق، وسيدهم معاوية بن بكر، وعاد أخواله منهم أمه، فنزلوا عليه فساق[7] الله سبحانه سحابة سوداء إلى عاد، فاستبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا، وعلم هود فاعتزل هو[8] ومن [9] آمن معه لئلا[10] تؤذيهم الريح، فمرت على عاد، وكانت تطير الإبل والرجال في الهواء، فدخلوا البيوت، فدخلت عليهم فأهلكتهم، وبقيت سبع ليال وثمانية أيام، ووفد عاد عند معاوية إذ أقبل رجل، فوقف على ناقة في ليلة مقمرة، وأخبر خبر عاد، قال: وكانت الريح ترفعهم وتوقعهم بالحجر، ثم أرسل الله طيورًا سوداء فنقلتهم[11] إلى البحر، وألقتهم فيها.

واختلفوا في قبر هود: قيل: بمكة، وقيل: بحضرموت عن أمير المؤمنين، وروي أن

---

(١) إنه: -، د.
(٢) ذوات: ذات، أ.
(٣) ووعدوا وعدا: ووعد وعدًا، د.
(٤) ثلاث: بثلاث، أ.
(٥) متواليات: -، د.
(٦) فبعثت: فبعث، أ.
(٧) فساق: وساق، د.
(٨) هو: هود، أ.
(٩) ومن: من، أ.
(١٠) لئلا: لا، أ.
(١١) فنقلتهم: فتلقيهم، أ.

بين الركن والمقام قبر تسعة وتسعين نبيًا، وفيه قبر صالح، وهود، وشعيب، وإسماعيل.

وقيل: كان النبي إذا هلك قومه أتى مكة يعبد الله حتى يموت.

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «تبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون قردة وخنازير، وليصيبهم خسف وفرق فيقولون: لقد خسف الله الليلة ببني فلان، وليرسلنّ الله عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادًا بشربهم الخمور، وأخذهم الربا، واتخاذهم القينات، ولبسهم الحرير، وقطعهم الأرحام»[1].

قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وحده «**وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، وَقَالَ الْمَلأُ**» بزيادة واو، وقرأ الباقون بغير واو[2].

---

(١) جاء في هامش أ: وقال ﷺ: «مدمن الخمر يموت كعابد وثن، وحقيق على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: ما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «هي عصارة أهل النار».

(٢) حجة القراءات ٢٨٧.

والقراءة الظاهرة: «ثمودَ» بفتح الدال على ترك الصرف، وعن يحيى بن وثاب بالجر[1] والتنوين، ويجوز صرف (ثمود) وترك صرفه.

أما الصرف فعلى أنه اسم للحي المذكر.

وأما ترك صرفه فعلى أنه اسم للقبيلة، وقد ورد القرآن بهما، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود:٦٨] والاختيار ترك الصرف في [أي] موضع؛ لأنه أخف.

والقراءة: «تَنْحِتُون[2]» بكسر الحاء، وعن الحسن بفتحها، وهما لغتان.

اللغة

ثمود: قال أبو عمرو بن العلاء: سميت [كذلك] لقلة مائها، والثَّمَدُ: الماء القليل الذي لا مادة له[3]، وأثمدت فلانًا النساء إذا قطعن ماءه، فلان مثمود، إذا كرر عليه السؤال حتى ينفد ما عنده.

والبينة: العلامة[4] الفاصلة بين الحق والباطل، وأصله: من بان الشيء: إذا ظهر، وأصله: من القطع[5]، ومنه: ما أُبِينَ من الحي فهو ميت، فكأن البينة تقطع بين الحق والباطل.

والناقة: الأنثى من الجمل، وأصله: التوطئة[6] والتذليل، يقال: بعير منوق[7] مذلل، وتَنَوَّقَ في العمل أي جَوَّدُه، كالموطأ المذلل، وجمع الناقة: نُوقٌ ونياق في أدنى العدد، وأيانق جمع الجمع.

(١) بالأحرى، وفي أ بالإجزاء.
(٢) تنحتون: ينحتون، أ.
(٣) له: +، د.
(٤) العلامة: العادلة مه، أ.
(٥) القطع: القطق، أ.
(٦) التوطئة: التوصية، أ.
(٧) منوق: متفوق، أ.

والإبانة والعلامة والدلالة نظائر[1]. والتبوئة: المتمكن من المنازل، يقال: بوأته منزلاً، وأصله: الرجوع، ومنه: ﴿بَآءَ بِغَضَبٍ﴾ [الأنفال:١٦] أي: رجع.

والقصور: جمع قصر، والقصر: الدار التي لها سور تكون به مقصورة، وأصله القصر، وهو الحمل على منزلة دون منزلة، واقتصر على الشيء: إذا اكتفى به، ويقال: قصر وأَقْصَرَ: كف، وقصرت نفسي عن الشيء: حبستها عليه. والعثو: الاضطراب في الأمر بالفساد، عَثِيَ يَعْثَي عِثِيًا، وأصله عاث يعيث عيثًا ثم ثقلت، وهما بمعنى. والاستكبار: طلب الكبر فوق القدر. والاستضعاف: طلب الضعف، والأصل في بناء (اسْتَفْعَلَ) الطلب.

والعلم مصدر علم يعلم علمًا، واختلفوا في حده، قيل: ما يوجب سكون النفس إلى ما اعتقده: عن القاضي، وقيل: اعتقاد الشيء على ما هو به عن ثقة من جهة ضرورة أو حجة، عن أبي علي. وقيل: اعتقاد الشيء على ما هو به، عن أبي القاسم.

والعقر: أصله الجرح الذي يأتي على النفس، وأصله عقر الحوض، وهو أصله، وهو موقف الإبل، وجمعه: أعقار. والعقر: أصل كل شيء، ومنه: العقار؛ لأنه اعتقار أصل المال، وعَقَرْتُ الفرسَ: ضربتُ قوائِمَهُ.

والعُتُوُّ: تجاوز الحد في الفساد، وأصله: تجاوز الحد، عتا يعتو عتوًّا: إذا استكبرو تجاوز الحد، والليل العاتي: الشديد الظلمة لتجاوزه الحد في الظلمة.

والرجف: الاضطراب، يقال: رجفت الأرض، والبحر رجاف لاضطرابه، وأرجف الناس بالسر: إذا خاضوا واضطربوا فيه، ومنه: الأراجيف.

والجاثم: البارك على ركبتيه، يقال: جثم يجثم جثومًا: إذا برك على ركبتيه، وجثم الطائر: وقع بالأرض، جثمه غيره: إذا شده، وجمع قوائمه، ومنه (النهي عن المجثمة والمصورة): فالمجثمة أن يشد جميع قوائمه، ويلقى على وجهه، والمصورة أن يحبس للقتل[2].

---

(١) نظائر: +، د.

(٢) للقتل: القتل، د.

والتولي[1] : الإعراض عن الشيء والذهاب عنه، وتولاه أولاه[2] نصرته، وتولى عنه: أعرض عنه.

الإعراب

يقال: كم وجهًا يجوز في (غيره) في العربية؟

قلنا: ثلاثة أوجه، وقد بَيَّنَّاها: الجر على اللفظ، والرفع على الموضع، والنصب على المستثنى والحال، فالقراءة الظاهرة بالرفع والجر.

وقوله: «**آيةً**» نصب على الحال.

وقوله: «**لمن آمن منهم**» يقال: ما موضعه من الإعراب؟

قلنا: نصب على البدل من الكلام الأول، وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر كقولك: مررت بإخوتك بعضهم.

«**فيأخذكم**» نصب لأنه جواب للنهي بالفاء.

ويقال: ما أصل «**أَأْتِنا**» حتى همز في الوصل، ولم يهمز في الابتداء بذلك الهمز؟

قلنا: أصله: (إئتنا[3] إلا أنه لما لم يجز اجتماع همزتين في موضع واحد، قلبت الثانية على ما قبلها، وإذا وصل سقطت ألف الوصل، فظهرت همزة الأصل.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ قصة صالح، فقال سبحانه: «**وَإِلَى ثَمُودَ**» أراد بني ثمود، وقيل: ثمود قبيلة، كقوله: ربيعة ومضر وتميم، هو: ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانت مساكنهم (الْحِجْر) بين (الشام) و(الحجاز) إلى وادي القرى «**أَخَاهُمْ**» يعني في النسب؛ لأنه منهم، وقيل: الناس كلهم إخوة في النسب؛ لأنهم ولد آدم وحوى عن

(١) والتولي: التوالي، د.
(٢) أولاه: أولى، د.
(٣) إئتنا: أتينا، د.

الأصم. «**صَالِحًا**» قيل: هو من ولد ثمود، «**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ**» وحده «**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**» فإنهم لما طلبوا من صالح معجزة وعينوا[١] ذلك بأن تكون ناقة تخرج من صخرة[٢] ملساء، ذات عرف وناصية، وشعر ووبر، فسأل هو ربه، فتزلزلت الصخرة وخرجت الناقة، فقد جاءتكم حجة من ربكم على صدقي وهي الناقة، وقال لهم: «**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ**» قيل: أضافها إليه تفضيلاً[٣] وتخصيصًا كقولهم: بيت الله، وقيل: لأنها خلقت بلا واسطة، وقيل: لأنه لا مالك لها غيره عن أبي علي. وقيل: لأنها حجته عليهم عن الأصم. كأنه قيل: هذه ناقة الله. «**لَكُمْ آيَةً**» أي: حجة، والآية في الناقة: خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخضت المرأة، وقيل: الآية فيها شربها ما يكفي الأمة عن أبي مسلم. وقيل: آية؛ أي: فرضنا أن يَدَعُوها تأكل وترعى كيف شاءت، وقيل: لها شربي ومولهم شربي وملا يقاربهم، ثمولد تسَقْبًا مثلها، وكانت تسقيهم اللبن بدل ما تشرب عن السدي وأبي إسحاق. ذكرهم بهذه النعمة والمعجزة، وقيل: حلبت، وقيل: لمتحل بقطرة، ذكر الوجهين الأصم، ثمنهاهم عن إيذائها[٤] فقال: «**فَذَرُوهَا**» أي: اتركوها «**تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا**» أي: لا[٥] تصيبوها بِعَقْرٍ[٦] «**فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» وجيع به، وإنما عوقبوا بالعقر، ولم يعاقبوا قبله مع ترك التوحيد، قيل: تمامًا للحجة بظهور الآيات، وقيل: لاستخفافهم بنعمة الله عليهم.

ثم ذكر نعمة أخرى لله عليهم فقال سبحانه حاكيًا عنه: «**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ**» يعني أهلكهم وخلصت أموالهم لكم، وصرتم خلفًا في ذلك «**وَبَوَّأَكُمْ**» أسكنكم ومكنكم من منازل تأوون إليها «**فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا**» يعني تبنون في سهلها الدور والقصور «**وَتَنْحِتُونَ**» من «**الْجِبَالَ بُيُوتًا**» قيل: أعطاهم قوة حتى

(١) وعينوا: وعينوها، أ، ض.
(٢) صخرة: حجر، أ.
(٣) تفضيلاً: تفضلا، أ، د.
(٤) إيذائها: إيذائه، أ، ش.
(٥) لا: ـ، أ.
(٦) بعقر: بمساءة، أ.

نحتوا البيوت في الحجر، وقيل: يتخذون القصور للشتاء[١] وبيوت الجبال للصيف[٢] **«فَاذْكُرُوا»** أي: اشكروا **«آلاءَ اللَّهِ»** أي: نعمه لئلا تزول عنكم **«وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ»** أي: لا تضطربوا بالفساد في الأرض، معناه لا تفسدوا بالكفر والظلم **«قَالَ الْمَلأُ»** قيل: الجماعة، عن أبي علي. وقيل: الأشراف، عنأبي مسلم. **«الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا»** طلبوا التكبر بغير حق وتعظموا وأنفوا من الإيمان لصالح (عليه السلام) **«مِنْ قَوْمِهِ»** أي: من قوم صالح **«لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا»** يعني للأتباع **«لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ»** لصالح **«أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ»** أي: مصدقون له فيما أدى من الرسالة أنه صادق في جميع ذلك **«قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ»** من رسالته **«كَافِرُونَ»** أي: جاحدون، فلم تنجع فيهم نصيحته **«فَعَقَرُوا النَّاقَةَ»** قيل: نحروها، وقيل: ضربوا قوائمها، وقيل: جرحوها[٣] **«وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ»** قيل: جاوزوا الحد في الفساد، وقيل: العتو: الغلو في الباطل، عن مجاهد. **«وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا»** من العذاب، قالوه استعجالاً له وإنكارًا **«إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ»** قيل الصيحة، عن مجاهد والسدي. وقيل: الزلزلة أهلكوا بها، عن أبي مسلم. وذلك بعد أن أمهلهم ثلاثة أيام[٤]، وقيل: صاعقة أخذتهم، وقيل: الرجفة: العذاب، عن الأصم. **«فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ»** فلذلك وُحِّدَ، وقيل: المراد به الدور، ووُحِّدَ لأنه أراد الجنس، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، **«جَاثِمِينَ»** قيل: ساقطين على ركبهم، وهي كناية عن سقوطهم على وجوههم، وقيل: صرعى[٥] خامدين، وقيل: صاروا كالرماد الجاثم؛ لأن الصاعقة أحرقتهم **«فَتَوَلَّى عَنْهُمْ»** صالح **«وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ»** فخالفتم أمري.

---

(١) للشتاء: الشتاء، أ.
(٢) للصيف: الصيف، أ.
(٣) جرحوها: خرجوها، أ.
(٤) أيام: ـ، د.
(٥) صرعى: صرعا، أ، د.

ويقال: كيف ناداهم مع كونهم موتى جاثمين؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: ذكر ذلك اعتبارًا للسامع كما قال النبي ﷺ لأهل القليب.

وقيل: كان ذلك للمؤمنين من قومه.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، لما عقروا الناقة تولى عنهم وقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام(١) لقد أبلغتكم رسالة ربي. فلم يقبلوا، ثم أخذتهم الرجفة.

ومتى قيل: كيف ذكر مرة الصيحة وهي الصوت، ومرة الرجفة وهي الزلزلة، ومرة الطاغية [وهي]: مجاوزتهم الحد في المعصية؟

قلنا: لأن(٢) معنى جميع ذلك العذاب، وقيل: أجمع ذلك عليهم، وقيل: الطاغية: السيول، فزلزلوا، وصيح بهم، وأجرى عليهم السيل، وقيل: الطاغية: مجاوزتهم الحد في المعصية، فلا مطعن فيه للملحد.

الأحكام

تدل الآية على حسن دعاء صالح قومه ونصيحته لهم وبدايته بالأهم، وهو التوحيد.

وتدل أنه أتاهم بالمعجزة؛ لأنه طريق معرفة النبوة.

وتدل على أن ذلك العقر فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق، وكذلك جميع ما في الآيات من الإضافات إليهم، والأمر والنهي، والوعد والوعيد يدل على ذلك.

وتدل على تقريعه وذمه إياهم، ولو كان ذلك خلقه لما صح ذلك، ويدل عليه قوله: «**لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**»، وذمهم على تركهم النصيحة.

(١) أيام: +، د.

(٢) لأن: له، أ.

وتدل على تذكيرهم النعمة ليؤمنوا ولو كان خلقًا له لما كان لذلك معنى.

وتدل الآية أن المعارف مكتسبة؛ لذلك اختلفت أحوال المستكبرين والمستضعفين.

القصة

وكان من قصة صالح مع ثمود ما ذكره أصحاب التواريخ، أن ثمود سكنت الأرض بعد عاد، وطال عمرهم، واتخذوا الأبنية من المدر والحجر، وكانوا في سعة، فعصوا الله تعالى، وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحًا، وكان من أوسطهم نسبًا، وأفضلهم موضعًا وأخلاقًا، وكان شابًا، فدعاهم حتى شَمِطَ، فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون[1]، ثم سألوه آية، فقال: ما تريدون؟ اخرُجْ معنا في عيدنا ونخرج أصنامنا ونسألهم وتدعو إلهك، فإن استجيب لنا اتبعتنا، وإن استجيب لك اتبعناك، فخرج معهم، فسألوا ناقة تخرج من صخرة ملساء، فأخذ مواثيقهم إن فعل ذلك آمنوا، فصلى ركعتين، ودعا بدعاء، فتمخض الحجر تمخضًا، ثم تحركت، فانصدعت عن ناقة عظيمة كأحسن ما يكون، ثم نتجت سقبا مثلها في العظم، وأراد بعضهم أن يؤمن بها، فنهاهم[2] الجماعة، فقال صالح: لها شرب يوم، ولمواشيكم شرب يوم، فلبث ما شاء الله تشرب في يومها[3] جميع مياههم، ثم يحلبونها[4] فتملأ أوانيهم، فكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها، فهَمُّوا بقتلها، واتفق على ذلك نفر، فقام بذلك رجل يسمى: قدار بن سالف لم يكن من سالف، ولكن ولد على فراشه، ورجل آخر يسمى: مصدع، واتبعهما[5] سبعة آخرون[6]، وأوحى الله ـ تعالى ـ إلى صالح أنهم سيعقرون[7] الناقة، وأنه مهلكهم، فكان صالح لا يبيت[8] معهم في قريتهم، ولكن

(١) مستضعفون: مستضعفين، أ.

(٢) فنهاهم: نهاهم، أ.

(٣) يومها: يومه، أ.

(٤) يحلبونها: يحلبونه، أ.

(٥) واتبعهما: اتبعتهم، أ.

(٦) آخرون: أخرى، أ.

(٧) سيعقرون: سيعقروا، أ، د، ض.

(٨) يبيت: يبت، أ.

يبيت في مسجد صالح، فلما أصبح أتاهم يعظهم خوفًا منهم على نفسه، وعمد جماعة لقتل صالح في ذلك الغار، فسقط عليهم الغار، وهم قوم آخرون، فرضختهم[١] الملائكة بالحجارة بعد ذلك عقروا الناقة وأكلوها، وأخذ بعضهم مبتدرًا[٢] إلى صالح قائلاً[٣] بأن فلانًا قتلها[٤] وذهب السَّقْبُ يرعى[٥] في الجبل فلم يدركوه[٦]، وقيل: لحقوه وقتلوه، عن ابن إسحاق. فقال صالح لهم: «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، في اليوم الأول تصفر وجوهكم، وفي اليوم الثاني تحمر، وفي الثالث تسود، ثم يأتيكم العذاب»، وكانوا يهزؤون منه، ويقولون: متى ذلك؟ وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، والثلاثة: الخميس، والجمعة، والسبت. فلما أصبح يوم الخميس ووجوههم[٧] مصفرة الألوان أيقنوا بالعذاب، وخرج صالح هاربًا، وطلبوه ليقتلوه وجعلوا[٨] يخبرون بما يجدون من ألوانهم[٩] فلما أمسوا صاحوا: مضى يوم من الأجل، فأصبحوا في اليوم الثاني، ووجوههم محمرة، فصاحوا وبكوا، فلما أمسوا قالوا: مضى يومان من الأجل، وخصكم العذاب، فلما أصبحوا في اليوم الثالث، ووجوههم مسودة صاحوا: قد حضركم العذاب، فلما كان ليلة الأحد خرج صالح ومن أسلم معه إلى الشام، فلما كان يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء، فتصدعت قلوبهم وهلكوا، فلم يبق منهم أحد إلا امرأة مقعدة، أطلقها الله لتخبر بما عاينت من العذاب، فلما أخبرت ماتت.

وقيل: كانت الصيحة صيحة جبريل.

وعن جابر لما مر النبي ﷺ بـ(الحجر) في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخل

(١) فرضختهم: فرظخهم، أ.
(٢) مبتدراً: يعتذر، أ.
(٣) قائلا: +، د.
(٤) بأن فلان قتلها: ما قتله، أ.
(٥) يرعى: يرعو، أ.
(٦) يدركوه: يدركوا، أ.
(٧) ووجوههم: ووجدوهم، أ.
(٨) وجعلوا: بياض في أ.
(٩) بما يجدون من ألوانهم: بياض في أ.

أحد[1] منكم القرية، ولا تشربوا من مائها، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا [أن تكونوا][2] باكين، [فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم][3] أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ثم قال: لا تسألوا، فقوم صالح سألوا رسولهم فبعث الله لهم ناقة فعقروها فأهلكهم الله، فلم يبق أحد إلا رجل يقال له: أبو رغال[4]، وكان في الحرم، فلما [خرج] أصابه ما أصاب قومه وأراهم قبره، وقال: دفن ودفن معه غصن من ذهب، فابتدروا فأخرجوه، ثم أسرع في السير حتى جاوز الوادي.

وقيل: توفي صالح في مكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة.

وقال النبي ﷺ لعلي: «إن أشقى الأولين عاقر الناقة، وأشقى الآخرين من خضب هذا ـ وأشار إلى لحيته ـ من هذا ـ وأشار إلى رأسه ﷺ ـ».

قوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وحفص عن عاصم «**إنكم لتأتون الفاحشة**» بكسر الألف، ومذهب نافع أن يكتفي بالاستفهام الأول عن[5] الثاني في كل القرآن[6].

---

(١) أحد: أحدكم، أ. وما أثبتناه من تفسير البغوي: ١/٢٤٨.

(٢) أن تكونوا: زيادة من تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٣، وفتح القدير: ٢/٣٢٢، وتفسير البغوي: ١/٢٤٨.

(٣) فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم: زيادة من تفسير ابن كثير: ٢/٣٠٣، وفتح القدير: ٢/٣٢٢.

(٤) أبو رغال: أبو أرغال، أ.

(٥) عن: من، أ.

(٦) حجة القراءات ٢٨٧.

وقرأ ابن كثير ويعقوب «**أنكم**» بهمزة غير ممدودة للتخفيف، وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بهمزو الكسائي «**أئنكم**» بهمزتين على الأصل.

۞ اللغة

لوط: قيل: اسم أعجمي غير مشتق؛ لأن[1] العجمي لا يشتق من العربي، وإنما هو اسم علم، عن الزجاج.

وقال الفراء: وإن شئت[2] جعلته مشتقًّا من لطت الحوض ألوطه: إذا أصلحته، واللوط: الاسم، وإن نسب من قولهم: له في قلبي لوط من حب، وهو أَلْوَط بِقَلْبِي أي: ألصق، ومنه الحديث: «الولد ألوط» أي: ألصق بالكبد، وخطأه الزجاج في ذلك.

والفحش معروف، والفاحشة: السيئة العظيمة القبيحة، ومثله الفحشاء على ثلاث مراتب: كفر، وفسق، وصغيرة، قال الله ـ تعالى ذكره ـ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧]، وكل شيء جاوز حده فهو فاحش، وأفحش فلان: قال الفحش.

والسبق: وجود الشيء قبل غيره، يقال: سبقه إلى كذا.

والشهوة: عرض في القلب لا يقدر [عليه] غير الله ـ تعالى ـ يصير به الشيء[3] مشتهيًا، وحَدُّه: مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة، يقال: شهيت أشتهي شهوة.

والإسراف: مجاوزة الحد إلى الباطل.

والأهل: المختص بالشيء اختصاص القرابة، ومنه: أهل البلد.

والغابر الباقي، والغابر: الماضي، يقال: غبر الشيء مضى، وغبر بقي، قال الشاعر:

---

(١) لأن: لا، أ، ض.

(٢) شئت: سبب، أ، د.

(٣) الشيء: الحق، أ، ض.

مِـــنْ أُمِّـــهِ فـــي الـــزَّمَـــنِ الـــغَـــابِـــرِ[1]

والإمطار: أثر المطر، مطرت السماء تمطر مطرًا، وأمطرها الله إمطارًا.

و(كيف) سؤال عن الحال.

الإعراب

يقال: لم صرف (لوط) ولم يصرف (يعقوب)؟

قلنا: لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف ساكن الوسط، فيشبه قولنا: زيدٌ، وليس كذلك «يعقوب»؛ لأنه أعجمي مَعْرِفَةٌ، لم يخرج إلى الخفة.

ويقال: إذا كان «بل» للإضراب عن الأول دون[2] الثاني فلم ذكر في قوله: «**بل أنتم قوم مسرفون**»، وقيل: اجتمع فيهم الصفتان: إتيان الرجال والنساء؟

قلنا: لأنه إضراب عن الأول إلى جميع المعائب من عبادة الأوثان، والإتيان للذكران، وترك ما قام به البرهان، وقطع السبيل، وإتيان المنكر في النادي. وقيل: تقديره: بل لإسرافكم لا تفلحون.

ويقال: ما وجه النصب في قوله: «**وما كان جواب قومه**» ؟

قلنا: لأنه وقع على الاسم بعد الأمر فوقع الإيجاب، وذلك أن ما قبلها إذا كان إيجابًا كان ما بعدها نفيًا، وإذا كان ما قبلها نفيًا كان ما بعدها إيجابًا.

ويقال: الاستثناء في قوله: «**إلا امرأته**» متصل أو منقطع؟

قلنا: متصل؛ لأنه يجوز أن يدخل في الأهل على التغليب في الجملة دون التفصيل.

ومتى قيل: لم قال: «**من الغابرين**» ولم يقل: من الغابرات؟

قلنا: للتغليب؛ لأنه أراد أنها تغلب مع الرجال فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل من الغابرين.

---

(١) عجز البيت للأعشى، وصدره: عَصَّن بما أَبْقَى المُوَاسي له. انظره في اللسان (غير).

(٢) دون: إلى، أ، ض.

ويقال: [بم] ينتصب (لوطًا)؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: وأرسلنا[1] لوطًا.

والآخر: واذكر لوطًا، عن الأخفش. ولا يجوز في نصب (عاد) و(ثمود) إلا: (وأرسلنا) لدخول (إلى) في الكلام.

و(مطر) مصدر، ذكره للتأكيد كقولهم: ضربته ضربًا. ونصب «**شهوة**» على الحال، أي: في حال الشهوة.

المعنى

ثم عطف على ما تقدم بقصة لوط، فقال سبحانه: «**وَلُوطًا**» أي: وأرسلنا لوطًا، وهو لوط بن هارون بن آزر، ابن أخي[2] إبراهيم (عليه السلام) «**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ**» وهم أهل سدوم، وذلك أن لوطًا شخص مع عمه مهاجرًا من أرض بابل، فنزل إبراهيم صلوات الله عليه فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطًا الأردن، فأرسله الله إلى المؤتفكات، وهي سبع مدائن: سدوم، وعامورا، وداروما، وصوا، وصغر، وهي على يوم وليلة من فلسطين، وفي كل قرية منها مائة ألف مقاتل، وكانت سدوم أعظمها، وبها كان ينزل لوط (عليه السلام) «**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**» يعني إتيان الرجال في أدبارهم «**مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**» قيل: ما نَزَا ذكر على ذكر حتى كان قوم [لوط][3]، عن عمرو بن دينار. وقيل: كان السبب في ذلك أنه كان في أرضهم ثمار وزروع كثيرة، وقيل: لم يكن في الأرض مثلها، فأصاب الناس قحط، فقصدهم الناس للميرة، فقال بعضهم لبعض: بأي شيء نمنعهم، فقال: اجعلوا سببكم من وجدتموه في بلادكم غريبًا نكحتموه، وغرمتموه أربعة دراهم، وقيل: إن إبليس جاءهم في هيئة جميلة، ومكنهم من نفسه، فجروا على ذلك، وقيل: عرض إبليس وصور لهم ذلك وزينه،

---

(١) وأرسلنا: فأرسلنا، أ.

(٢) أخي: أخ، أ.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من تفسير الطبري: ٥/ ٥٤٠.

عن أبي إسحاق. وهذا يحمله على أنه عرض إنسان ذكر أنه إبليس، وقيل: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء، عن الحسن.

ثم بين الفاحشة التي يفعلونها، فقال سبحانه: «**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**» في أدبارهم «**شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**» قيل: دون فرج النساء «**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**» مجاوزون[(١)] الحد في معاصي الله تعالى، وقيل: مشركون[(٢)]، وقيل: مجاوزون الحلال إلى الحرام «**وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**» عند ذلك «**إِلاَّ أَنْ قَالُوا**» يعني قال بعضهم لبعض «**أَخْرِجُوهُمْ**» يعني لوطًا وأهل بيته «**مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**» قيل: يتنزهون عن إتيان الرجال في الأدبار، عابوهم بما يتمدح[(٣)] به، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقيل: يتطهرون: يتنزهون، عن الأصم. وقيل: يتطهرون[(٤)] يأتون النساء في الأطهار، عن أبي مسلم. «**فَأَنْجَيْنَاهُ**» خلصناه من العذاب «**وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ**» فإنها «**كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**» من الباقين في العذاب، فأخرج جبريل لوطًا ومن آمن معه، وخلف امرأته، فإنها كانت على دين قومها من الكفر، وقيل: الغابرين في عذاب الله، عن الحسن وقتادة وجماعة. وقيل: من الغابرين أي: [عن] النجاة، عن الزجاج. وقيل: الغابرين عن لوط، عن الأصم. وقيل: غبرت في من تخلد وهم الكافرون، عن أبي مسلم. وقيل: من الغابرين يعني من الباقين والمعمرين فيهم دهرًا طويلاً حتى هلكت فيمن هلك «**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا**» يعني أرسلنا عليهم الحجارة كالمطر يتلو بعضها بعضًا، فخلف مقيمهم ومسافرهم، فخسف بهم وأمطر الحجارة، فجمع ذلك عليهم، عن الأصم. وقيل: خسف بأهل المدائن، وأمطر الحجارة على المسافرين منهم، وسئل مجاهد: هل بقي من قوم لوط أحد؟ قال: لا، إلا رجل تأخر كان بمكة، فلما خرج من الحرم أصابه الحجر بعد أربعين يومًا فذلك قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣]، «**فَانْظُرْ**» تدبر «**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**» إجرامهم وعاقبة فعلهم.

(١) مجاوزون: يجاوزون، أ، د.
(٢) مشركون: يشركون، أ.
(٣) يتمدح: تمدح، أ.
(٤) يتطهرون: يتطرون، أ، د.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ**» أن ذلك الفعل كبير عظيم، فلذلك سماه فاحشة، ووصفهم بالسرف.

ويدل قوله: «**فانظر**» على التحذير من فعلهم كي لا ينالهم ما نال أولئك من عذاب الله.

وتدل على أن تلك الفواحش فعلهم، فصح مذهب أبي [علي وأبي هاشم] في المخلوق.

ولا خلاف في تحريم ذلك في شريعتنا، وعظم الأمر فيمن[1] عمل ذلك، فقال أبو حنيفة: فيه التعزير ولاحدَّ. وقال أبو يوسف ومحمد: فيه حد الزنا، وقالب عضهم: القتل.

وروي أن خالد بن الوليد كتب في ذلك إلى أبي بكر، فشاورالصحابة ثم أمر بحرقه، فلو كان فيه حدّ معلوم لما خفي عليهم، والحرق ليس بحدّ.

وروي أن عبد الملك بن مروان سأل قاضي حمص عن ذلك فقال: يرمى بالحجارة كما رجم قوم لوط، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الأعراف: ٨٤]، ففعله عبد الملك وحسنه.

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه»[2].

۞ القصة

وجملة قصتهم فيما نقله أهل التواريخ أن الله ـ تعالى ـ بعث لوطًا إلى هذه المدائن، فعصوه وفعلوا الفواحش على ما قص الله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وكانوا لا يسترون الفواحش بعضهم عن بعض، فبعث الله ـ تعالى ـ جبريل مع جماعة من الملائكة

(١) فيمن: فيه من، أ.

(٢) أبو داود رقم ٤٤٦٢، والترمذي رقم ١٤٥٦، وابن ماجه رقم ٢٥٦١.

لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بإسحاق، فلما أتاهم جبريل ومن معه على صورة أضياف، وقام بأمرهم وقدم الطعام فامتنعوا، وأوجس منهم خيفة، فأظهروا أمرهم، وبشروه بإسحاق، وبهلاك قوم لوط، ثم خرجوا حتى أتوا لوطًا ونزلوا عليه، وهم على أحسن صورة، ودلت امرأته قومه عليهم، فجاؤوه للطلب، ودار بينهم ما قص الله ـ تعالى ـ حتى طمست أعينهم، وخرج[1] جبريل بلوط ومن آمن معه، وأهلكهم عند الصبح، ورفع تلك المدن حتى قرب [من السماء] ثم قَلَبَهَا، وأهلكت امرأته مع من هلك، ورُمِيَ[2] بالحجارة من كان غائبًا من المدن حتى لم يبق منهم أحد.

قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

اللغة

الإيفاء: إتمام الشيء إلى حد الحق، ومنه: العهد، قال أبو الهيثم: وَفَى المثل والشيء: تَمَّ، وأوفيته: أتممته، وكل واف: تمام، وَفَى ريش الطائر: بلغ تمام الكمال، ووفى سعره: إذا أتم.

(١) وخرج: أخرج، أ، د.

(٢) ورمي: رميت، أ، ش.

والبخس: النقصان، بخس يبخس بخسًا فهو باخس. والصراط: الطريق، قال الشاعر:

أَكُــرُّ عــلــىَ الــحَــرُورِيِّــيــن مُــهْــرِي   وأَحْــمِــلُــهُــمْ عــلَــى وَضَــحِ الــصِّــرَاطِ[1]

والصد: المنع، صده عن الأمر: منعه وصرفه عنه، والصد: الإعراضَ، صدّ يَصُدُّ، وصددته عن الأمر: إذا عدلته عنه، وصد يَصِدُّ بكسر الصاد: إذ[2] صح، وصده يصده صدًّا، وأصده إِصْدَادًا، والصد واقع وغير واقع. والبغية: الطلب، بَغَاهُ يبغيه بغيةً.

والعِوج بالكسر في الدين وفيما لا يُرى، وبالفتح في العُودِ وفيما يُرى، فرقوا بذلك بينهما. والإيعاد: الإخبار بموقع الشر، وهو التهدد. والطائفة: الجماعة من الناس. والقطعة: [من] كل شيء: طائفة، وأصله من[3] الطوف صفة أقيم مقام الموصوف، وأخذت من أنها لا تجتمع على الطوف[4] وأصل الصبر[5] : الحبس، ومنه: اقتلوا القاتل، واصبروا الصابر، فالصبر: حبس النفس عن المكروه. والحكم: المنع من الخروج عن حدّ[6] الحكمة، وأصله المنع، ومنه قول الشاعر:

أَبَنِي حَنيفَةَ أحكموا سُفَهَاءكم[7]

۞ الإعراب

(مدين) لا ينصرف؛ لأنه اسم القبيلة معرفة، وجائز أن يكون أعجميًا، عن الزجاج. وقيل: أصله «مديان بن إبراهيم» وهؤلاء ولده، عن أبي إسحاق.

---

(١) الصحاح (صراط)، لسان العرب (صراط)، تاج العروس (صراط)، والبيت ينسب إلى القعقاع بن عطية الباهلي.
(٢) إذ: إذا، د.
(٣) كل شيء طائفة، وأصله من: ـ ، أ.
(٤) صفة أقيم مقام... الطوف: ـ ، أ.
(٥) وأصل الصبر: وأصله والصبر، أ.
(٦) حدّ: ـ ، أ، ض.
(٧) صدر البيت لجرير، وتمامه:

إنّــي أخَــافُ عَــلَــيْــكُــمُ أنْ أَغْــضَــبَــا

انظره في أساس البلاغة (حكم) والصحاح (حكم).

والباء في قوله: «**بكل صراط**» قيل: بمعنى (على)، وقد يجوز تعاقب الحروف الثلاثة ههنا (الباء) و(على) و(في)، تقول: لا تقعدوا بكل صراط، وعلى كل صراط، وفي كل صراط؛ لأنه اجتمع فيه معاني هذه الحروف الثلاثة؛ لأن الباء للإلصاق وهو قد لاصق المكان و(على) للاستعلاء[١]، وهو قد علا المكان، و(في) للمحل، وهو قد حل المكان. وقيل: الباء ههنا للإلصاق.

ويقال: لم جاز «**وإن كان طائفة**» وطائفة مؤنث؟

قلنا: لأنه يرجع إلى الرجال وإن كان اللفظ[٢] مؤنثًا، فإنه غلب فيه المعنى ليدل على معنى التذكير، وقيل: إنه يذكّر المعنى، وإن كان اللفظ مؤنثا[٣]، ويؤنث المعنى، وإن كان اللفظ مذكرًا، كقول الشاعر:

سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ[٤]

يريد الصيحة.

۞ المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ قصة شعيب معطوفًا على القصص المتقدمة «**وَإِلَى مَدْيَنَ**» قيل: وأرسلنا إلى مدين فحذف لدلالة الكلام عليه، ومدين قيل: اسم قبيلة، وقيل: اسم موضع، وقيل: اسم جد شعيب وهو مدين بن إبراهيم. واختلفوا: فقيل[٥]: هم أصحاب الأيكة، وقيل: أرسل شعيب مرة إلى أصحاب الأيكة ومرة إلى مدين وهما متغايران[٦]، وكان يقال: إن شعيبًا خطيب الأنبياء لحسن مرافقته لقومه ودعائه إلى الله تعالى، وكان قومه أهل كفر وظلم و«**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ**

(١) للاستعلاء: الاستعلاء، ض.
(٢) اللفظ: اللفظين، أ.
(٣) مؤنثا: مؤنثة، أ، ض.
(٤) عجز البيت لرويشد الطائي، وصدره: يا أيها الراكب المُزْجِي مَطِيَّتَهُ. انظره في لسان العرب (صوت).
(٥) فقيل: قيل، أ.
(٦) متغايران: غير أن، أ.

جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ» أي: حجة وبرهان وهو المعجزة التي أظهرها الله عليه، وقال الفراء: هو[1] ممن بعث ولم يكن له آية إلا[2] النبوة وهذا غلط؛ لأن النبي يتميز عن غيره بالمعجزة، فلا يجوز أن يبعث نبي إلا ومعه معجزة، ولأنه لا بد أن يدعو إلى شيء من الشرع ويجب قبوله فلا بد من دليل يعلم صدقه، وما ذلك إلا المعجزة.

واختلفوا، فقيل: لا يجوز أن يبعث إلا ومعه شرع، عن أبي هاشم.

وقيل: يجوز أن يدعو إلى ما في العقل، عن أبي علي والإخشيدية.

«**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**» أي: أتموا ما تكيلون على الناس وما تزنون عليهم بالميزان «**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**» أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وقيل: البخس الظلم، عن قتادة والسدي. «**وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**» قيل: لا تفسدوا بالعصيان من سفك الدماء واستحلال الحرام بعد أن أصلحها الله ببيان الدين وإرسال شعيب، عن ابن عباس. وقيل: لاتفسدوها بعد أن أصلحها الله بالمحاسن بألاّ تؤمنوا فيهلك من هلك الحرث والنسل، وقيل: لا تفسدوا ببخس الكيل والميزان بعد أن كانت مستقيمة[3] في بلادكم، عن أبي علي. «**ذَلِكُمْ**» يعني ما أمرتكم به «**خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**» مصدقين لي[4] فيما أقول «**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ**» أي: بكل طريق توعدون الناس، وقيل: كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبًا للإيمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد. وقيل: كانوا يقطعون الطريق، فنهاهم عنه، عن أبي هريرة وعبد الرحمن بن زيد. وقيل: كانوا عشارين، عن السدي وأبي روق[5]. وقيل: بكل طريق من طريق الدين، فيطلبون له العوج بإيراد الشُّبَه[6]، وكانوا يقولون لشعيب: إنه كذاب لا يفتنكم عن الدين وتوعدونه «**وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ**

(١) هو: هم، أ.
(٢) إلا: إلى، أ.
(٣) مستقيمة: مستقيم، د.
(٤) لي: ـ، أ.
(٥) وأبي روق: وأبي علي، د.
(٦) الشبه: الشبهة، د.

اللَّهِ مَنْ آمَنَ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا» أي[1] : تمنعون عن دين الله من أراد أن يؤمن من الناس، وقيل: تعرضون عن دين الله، كأنه قيل: توعدون من آمن به تمنعونه من الإيمان وتعرضون بأنفسكم عن الإيمان «**وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا**» قيل: تبغون السبيل عوجًا عن الحق، عن قتادة. وقيل: تطلبون أن تعوجوا الطريق بالصد عنه، وقيل: تطلبون لدين الله العوج بتغييره عن وجهه، وقيل: «**تبغونها عوجًا**» أي: جورًا، عن الأصم. وقيل: تخبرون بأنها عوج، عن أبي علي. «**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ**» قيل: كثر عددكم، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: كثر كم بالغنى بعد الفقر، عن الأصم. وقيل: بالقدرة بعد الضعف، وذكر الأوجه الثلاثة الزجاج؛ لأن الضعيف والفقير بمنزلة في قلة الغنى، وقيل: أغناهم حتى كثروا بالعبيد والخدم «**وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**» يعني الأواخر[2] من قوم عاد وثمود ولوط «**وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ**» جماعة «**مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**» صدقوني في رسالتي وما أديت إليهم فقبلوا مني «**وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا**» أي: جماعة لم يصدقوا «**فَاصْبِرُوا**» قيل: خطاب للمؤمنين لينتظروا[3] حتى يجازي الله كل طائفة بما تستحقه، وقيل: خطاب للطائفتين فهو وعد للمؤمنين بالنصرة ووعيد للكافر بالعقوبة، عن أبي علي. «**حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا**» يعني: بين شعيب وأتباعه، وبين أعدائه من الكفار «**وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**» الفاصلين؛ لأنه لا يجوز عليه الجور والمحاباة والميل بل يحكم بالحق.

الأحكام

تدل الآية على أن شعيبًا دعاهم إلى التوحيد والشرائع على ما جرت به عادة الرسل.

وتدل على خطر البَخْسِ في المكيال والموازين.

وتدل على عظيم أمر من صد عن الدين والطاعة.

---

(١) وتبغونها عوجا أي: ـ ، أ.
(٢) الأواخر: أواخر، د؛ أوجر، أ.
(٣) لينتظروا: ينتظروا، أ.

ويدل قوله: «**فانتظروا**» على وجوب النظر والاعتبار.

وتدل على أن الواجب على أهل الدين عند استكثار العصاة والبغاة[1] الصبر، وأنه ـ تعالى ـ يفصل بينهم ويجازي كل أحد منهم، وهذا الفصل أبعد غاياته الآخرة؛ لأنه ربما يكون في الدنيا، فيعذب الكفرة وينجي المؤمنين، وربما يكون في الآخرة.

وتدل على أنه لم يكن في شريعته جهاد لذلك قال: «**فاصبروا**»، ولم يأمرهم بالجهاد.

قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ (٨٩)﴾

اللغة

العود[2]: الرجوع، وهو مصير الشيء إلى حال كان عليه مثل عاد يعود، ومنه: أعاد الله الخلق، ومنه العادة[3]؛ لأن[4] صاحبها لا يزال معاودًا لها، ومنه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ [الأنعام:٢٨]، ثم تستعمل في فعل الشيء مرة ثانية فهو الأصل، وفي فِعْلِ مثله؛ لأنه لا يكون، كأنه هو فجرت عليه الصفة، فالعود قد يكون رجوعًا وابتداء بمعنى صار، قال الشاعر:

تِلْكَ المكَارِمُ لا قُعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا[5]

---

(١) العصاة والبغاة: البغاة والعصاة، د.

(٢) العود: ـ ، أ.

(٣) العادة: العيادة، أ.

(٤) لأن: لا، أ.

(٥) العين (قعب)، وأساس البلاغة (قعب)، وتاج العروس (قعب).

أي: صارا كذلك.

وقال الآخر:

وإنْ كَانَتِ الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيّ لَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنوبُ

والملة: الديانة التي يجمع على العمل بها فرقة عظيمة، والأصل فيه يكون للأمر من قولهم: طريق مُمَلٌّ ومَلِيلٌ: إذا تكرر سلوكه حتى صار معلمًا، ومنه: المَلَلُ[1]، وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر، ومنه: المليلة الحُمَّى[2] في العظام.

والافتراء: افتعال من الفرية وهو الكذب، وأصله: فري الأديم، أَفْرَيْتُ الأديم أفريه فريًا قطعته، والافتراء: القطع على خبر مخبره بخلاف خبره. والفتح: الحكم، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما الفتح حتى تزوجت امرأة من الحجاز، فجرى بيني وبينها أمر فقالت: [انطلق] أفاتحك[3] إلى القاضي أحاكمك إليه، ذكره الأصم. والحاكم: الفاتح، والفتاح؛ لأنه يفتح عليه من أبواب العلم ما قد انغلق على غيره.

النظم[4]

يقال: بم يتصل قوله: «وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا» بما قبله وما بعده؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: أن الملة إنما نتعبد بها على حسب ما في معلومه من مصالح العباد فاقتضى ذكر ذلك.

وثانيها: أنه عالم بما يكون منا من عود أو ترك.

وثالثها: لسنا نعلم ما سبق في علمه فيما تعبدنا به من شريعة ولغة يتعبدنا ببعض ما أنتم عليه عن الأصم.

(١) الملل: الملك، أ، د.
(٢) الحمّى: لحما، أ.
(٣) أفاتحك: فاحتكم، أ، د.
(٤) النظم: والنظم، أ.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما دار بين شعيب (عليه السلام) وقومه، فقال سبحانه: «**قَالَ الْمَلأُ**» قيل: الجماعة، عن أبي علي. وقيل: الأشراف، عن أبي مسلم. «**الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**» امتنعوا من اتباع الحق أنفة من المتبوع وتكبرًا «**مِنْ قَوْمِهِ**» أي: قوم شعيب «**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا**» أي: نخرجكم عن ديارنا «**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**» أي: تدعون دينكم وتصيرون إلى ديننا.

ومتى قيل: كيف قال: تعودون في ملتنا ولم يكونوا فيها؟

فجوابنا: أن فيه أقوالا:

أحدها: أنهم[1] الذين اتبعوا شعيبًا في دينه، فجرى الكلام على التغليب بذكر الجماعة، وإلا فشعيب (عليه السلام) لم يكن[2] على ملتهم قط، فالخطاب لهم ودخل هو فيهم للتغليب.

وثانيها: معناه لتدخلوا في ديننا وتصيروا إليه؛ لأن العود يذكر ويراد به الابتداء بمعنى صار.

وثالثها: أن رؤساءهم قالوا هذا القول على[3] وجه التلبيس على العوام، يوهمون أنه كان منهم، وأنهم محقون في اعتقادهم.

ورابعها: أن شعيبًا وقومه في بدو أمرهم كانوا يخفون أمرهم حتى[4] ظهروا، فتوهموا أنهم كانوا على دين قومهم، فقالوا: «**لتعودن في ملتنا**» على ذلك التوهم.

وخامسها: أن المراد بالملة الشريعة، فيجوز أن يكون شعيب على شريعتهم؛ أي: نسخ تلك[5] الشريعةَ شريعتهُ فقالوا: لتعودن في ملتنا وشريعتنا المنسوخة.

---

(١) أنهم: إن، أ.
(٢) لم يكن: ـ ، أ.
(٣) كتب في أ فوق كلمة: (على)، كلمة: (قول).
(٤) على: بما، أ.
(٥) تلك: ذلك، أ.

ومتى قيل: ما معنى (أو) ههنا؟

فجوابنا أنهم قالوا: لنخرجنك إن أقمت على دينك، وإن عدت إلى ملتنا تركناك، فكأنه للتخيير أو الإباحة.

وقيل: معناه إن شئت اخرج وإن شئت اقعد، فأجابهم شعيب فـ« **قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**» الألف للاستفهام، والمراد الإنكار؛ أي: لا نعود، ونحن كارهون[1]، وقيل: معناه مكرهين، يعني إن عدنا فيها عدنا مكرهين، ولا نكون مع الإكراه داخلين فيها.

وقيل: المراد به الكراهة أي: كيف يعود المؤمن إلى دين الكفر مع كراهته لذلك[2] وعلمه ببطلانه.

«**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ**» يعني إن عدنا فيها طائعين فقد افترينا أي: كذبنا في قولنا أن تلك الملة كفر، وتقديره: إن عدنا مكرهين لم نكن فيها، وإن عدنا طائعين فقد افترينا، وقيل: قد افترينا إن عدنا؛ لأنا إذا عدنا فقد استحللنا ما حرمنا، عن أبي علي. «**بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا**» أي: خلصنا بلطفه وبيانه وأدلته منها؛ لأن من أخبره بما ينجو به فقد نَجَّاه، وقيل: بعد أن علمنا الله بقبحها، وقيل: بمفارقتها، فكل ذلك متقارب «**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**».

واختلفوا في قوله: «**نَعُودَ فِيهَا**» الكناية إلى ماذا ترجع؟

قيل: إلى الملة[3] عن أكثر المفسرين.

وقيل: إلى القرية، وقد تقدم ذكره في قوله: «**لَنُخْرِجَنَّكَ [يَا شُعَيْبُ] وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا**»، عن أبي مسلم.

ومن قال الكناية ترجع إلى الملة اختلفوا في معنى الآية على أقوال:

---

(١) كارهون: كارهين، أ.

(٢) لذلك: كذلك أ، د.

(٣) الملة: المسلة، أ.

أولها: أن المراد بالملة الشريعة، وفي شريعتهم ما يجوز التعبد به، فكأنه قال ليس لنا أن ندخل فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بها وينقلنا، وينسخ ما لنا فيه من الشريعة، عن أبي علي، واختاره القاضي، قال الأصم: إلا أن يشاء الله، فيتعبدنا[1] بما يجوز، ويحسن من ملتهم من البر.

وثانيها: ما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن تكرهونا عليه، فندخل مكرهين في ذلك بمشيئة الله؛ لأنه يبيحه عند الإكراه، ويمنع منه عند الطوع والاختيار، عن أبي مسلم.

وثالثها: لا يحسن أن ندخل فيها إلا أن يشاء الله؛ لأنه إذا شاء صار طاعة وعبادة، فيعظم الوثن إذا كان بأمره كتعظيم[2] الحجر الأسود، وليس بالوجه؛ لأن تعظيم غير[3] الله على وجه العبادة لا يجوز، وهم عبدوها، ونحن لا نعبد الحجر، ولكن نعبد الله باستلامه.

ورابعها: أنه على الإياس من عودهم والتعبد لذلك؛ لأنه لا يشاء الكفر، فيعلقه بما لا يكون كقولهم: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى يلج الجمل في سمّ الخياط، وهو قول جعفر بن حرب، واختاره القاضي.

فأما من يقول: الكناية تعود إلى القرية:

فمعنى الآية: قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعدما علمنا أنها كفر، وسنخرج من قريتكم التي أخرجتمونا منها، فلا نعود فيها إلا أن يشاء الله أن ندخلها، فينصرنا عليكم، وينجز وعده، ونظهر عليكم، فندخلها حينئذ، عن أبي مسلم.

وقيل: إلا أن يشاء الله أن ندخلها حربًا أو صلحًا.

«**وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**» يعني علم الأشياء كلها، فعلم ما أنتم عليه وما نحن عليه وما فيه الصلاح «**عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**» في أمورنا وأموركم «**رَبَّنَا افْتَحْ**» قيل: احكم

---

(١) فيتعبدنا: فتعبدنا، د.

(٢) كتعظيم: لتعظيم، أ.

(٣) غير: ـ، أ.

واقض، عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي. وقيل: افصل، عن المؤرج «**بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا**» هؤلاء الكفرة «**بِالْحَقِّ**» وقيل: [هذا] منه انقطاع إلى الله ـ تعالى ـ وإن كان سؤالاً بما يفعله لا محالة، وقيل: [قاله] تعريفًا للحق وإظهاره؛ لأن المبطل لا يستدعي الحكم على نفسه، وقيل: استعجالاً[1] للنصر «**وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**» أي: الحاكمين والفاصلين.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**لنخرجنك**»، «**أو لتعودنّ**» وجوابه على أن ذلك فعلهم وأنهم قادرون عليها، فيبطل مذهب الجبر في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: «**قد افترينا**» على أن الذي طلبوه من شعيب أَمْرٌ عُرِفَ بطلانه، لولا ذلك لما كان افتراء.

وقوله: «**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**» يدل على أنه متى شاءه كان لهم العود، ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يعود في الكفر، فيبطل قولهم في الإرادة.

ويدل قوله: «**عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**» أنهم لقوا الأذى بين قومهم، فانقطعوا إليه تعالى، وتوكلوا عليه في دفع شر أولئك الكفرة الفجرة، ولو كان الله ـ تعالى ـ خلق ذلك الشر وأذى المؤمنين ما كان للانقطاع إليه والتوكل عليه معنًى منه ومن جهته، جميع ذلك يدل على بطلان مذهبهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

---

(١) استعجالا: استجعالاً، أ، د.

❁ اللغة

الخَسْرُ: إذهاب رأس المال، يقال: خسر خسرانًا. والإصباح: الدخول في الصباح، كما أن الإمساء الدخول في المساء. والمغاني: المنازل، وغَنِيَ بالمكان يَغْنَي غناءً: إذا قام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره، وأصل الباب: الغِنَى، ويقال للشيء تغنى كأن لم يَغْنَ بالأمس إن كان لم يكن قيمًا[1] بمكان، ويقال: غنيت: جَمُلَتْ[2].

وسأل نافع [بن] الأزرق ابن عباس عن قوله: «**كأن لم يغنوا فيها**»؟ قال: كأن لم يعمروا، قال مهلهل:

غَـنِـيَـت دارُنـا تِـهـامَـةَ فـي الـدَّهـ ـرِ وَفـيـهـا بَـنُـو مَـعَـدٍّ حُـلُـولا[3]

وقال لبيد:

وَغَـنَـيْـتُ سَـبْـتًا قَـبـلَ مُـجـرى داحِـسٍ لَـو كـانَ لِـلـنَّـفـسِ الـلَّـجـوجِ خُـلُـودُ[4]

والأسى: الحزن الشديد، أسى يأسى أسًا: إذا حزن، وقال امرئ القيس:

يقـولـون لاَ تـهـلِـكْ أسىً[5] وَتَـجَـمَّـلِ[6]

❁ الإعراب

يقال: ما اللام في قوله: «**لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا**» وفي قوله: «**لَخَاسِرُونَ**»؟

قلنا: أما الأولى فلام القسم، والثانية لام الابتداء؛ لأن الأولى دخلت على الفعل، والثانية على الاسم.

---

(١) قيّمًا: مقيمًا، أ.

(٢) جملت: غمرت، أ.

(٣) اللسان (تمنا)، والمحكم (غني).

(٤) الصحاح (جرى)، واللسان (جرا).

(٥) أسى: ـ ، أ.

(٦) تمام البيت: وُقُوفًا بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُم يقولون لا تَهْلَك أسًى وتَجَمَّلِ، معلقة امرئ القيس.

ويقال: أين جواب (لئن)؟

قلنا: قد سدّ مسد جواب القسم، وهو قوله: «**إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ**».

ويقال: ما معنى الفاء في قوله: «**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**» ؟

قلنا: العطف[1] «**قَالَ الْمَلأُ**» قيل: الجماعة إلا أن فيها معنى الجواب كأنه قيل: كان جواب ما ارتكبوه من عظيم الفساد أخذ الرجفة لهم بالعذاب.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ تمام قصة شعيب (عليه السلام)، فقال سبحانه: «**وَقَالَ الْمَلأُ**» قيل: الجماعة، عن أبي علي. وقيل: الأشراف، عن أبي مسلم. «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» جحدوا نبوته وما أتى به، وقيل: كفروا بآيات الله وجحدوا التوحيد «**مِنْ قَوْمِهِ**» أي: من قوم شعيب «**لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا**» في دينه وتركتم دينكم «**إِنَّكُمْ إِذًا**» حينئذ «**لَخَاسِرُونَ**» وقيل: مغبونون، عن ابن عباس. وقيل: هالكون، وقيل: عَجَزةٌ، عن الضحاك. وقيل: في[2] خطأ، عن الأصم. وقيل: خسرتم في تجارتكم إن اتبعتم شعيبًا في أمره بإيفاء الكيل، عن أبي مسلم. وقيل: خسرتم بما يلحق كم من جهتنا من الأذى في النفس والمال، وقيل: خسرتم في الآخرة إذا تركتم دينكم ودين آبائكم «**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**» يعني أخذت قوم شعيب الرجفة، قيل: الزلزلة، عن الكلبي وأبي مسلم. وقيل: أهلكوا بالنار، عن ابن عباس. وقيل: تزلزلت أرضهم وسقطت ديارهم، عن أبي علي. وقيل: زلزلوا زلزالاً وأحاطتبهم النار، فهلكوا عن آخرهم، وقيل: جاءهم حر شديد فأخذ بأنفاسهم، فدخل[3] عليهم البيوت ثم جاءت سحابة فيها[4] ريح طيبة[5]، فخرجوا إلى البرية حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، فألهبها الله نارًا،

---

(١) العطف: الضعف، أ.
(٢) في: ـ أ.
(٣) فدخل: فدخلت، أ.
(٤) فيها: فيه، أ.
(٥) طيبة: طيب، د.

وزلزلت الأرض فاحترقوا وصاروا رمادًا، وهو عذاب يوم الظلة «**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ**» قيل: منازلهم، عن أبي العالية. وقيل: مدينتهم «**جَاثِمِينَ**» ميتين ملقين[١] على وجوههم «**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**» أي: كأن لم يقيموا بها قط؛ لأن المهلك يصير كأن لم يكن «**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا**» أعاده تأكيدًا وتغليظا[٢] لتكذيبهم «**كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ**» لأنفسهم في الدنيا والآخرة لا المؤمنين كما زعموا «**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ**» أي: أعرض عنهم إعراض آيسٍ وقال: «**لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ**» قيل: قاله قبل نزول العذاب بهم، وتقديره: تولى عنهم وقال لهم ثم أخذتهم الرجفة، عن أبي علي. وقيل: قاله لم نبقي معه من المؤمنين، وقيل: قال هم عزيًا لنفسه، وقيل: قال هل هم بعد الهلاك كما قال النبي ﷺ لأهل القليب عبرة وعظة عن الأصم «**وَنَصَحْتُ لَكُمْ**» أي أخلصت لكم النصح «**فَكَيْفَ آسَى**» أي: كيف أحزن، استفهام، والمراد الإنكار، أي: لا أحزن، عن أبي علي. «**عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ**» بالله، وقيل: تقديره: لا وجه للحزن عليكم إذا متم كفارًا، وقيل: غَمَّهُ هلاكُهم؛ لِمَا كان بينهم من الرحم، وكان يرجو إيمانهم، وقيل: قال ذلك على وجه وقع الحزن على نفسه، وقيل: كيف أحزن مع بذل الجهد في النصح وألاّ يُصِيبَهُمْ ذلك.

الأحكام

تدل على أن قوم شعيب أهلكوا بعذاب الاستئصال لما[٣] لم يقبلوا نصيحة نبيهم، فتدل على وجوب قبول النصيحة في الدين، وقيل: كان قومه قومين: قوما[٤] أهلكوا بالرجفة، وقوما أصحاب ظلة، وقيل: بل هما واحد.

وتدل على أن العذاب نزل جزاءً لتكذيبهم.

وتدل على أن ذلك التكذيب فعلهم، والنصح فعل النبي؛ ليصح الكلام، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) ملقين: ملقى، أ.

(٢) وتغليظا: تغليظ، أ، د.

(٣) لما: لم، أ.

(٤) قوما: قوم، أ.

وتدل على أنه لا يجوز الحزن على هلاك الكفرة والظلمة، بل يجب أن نحمد الله ونشكره كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

وتدل على أن الظلم فعلهم، والعذاب جزاء فعلهم، وذلك إنما يبطل مذهب المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

اللغة

أصل القرية الجمع، ومنه: المقراة: الحوض، وقريت[1] الماء في الحوض: جمعته[2]، أقريه، والقرية: مجتمع الناس في المنازل القارية، وقيل: القرية دون المدينة، وقيل: قد تسمى[3] المدينة قرية. والنبيء بالهمز من الإنباء، وهو الإخبار، فكأنه أخبر عن الله ـ تعالى ـ فيما أوحى إليه، وغيرالهمز من النبوة والنباوة، وهو الارتفاع، وقيل: من النَبِيّ الذي هو الطريق. والبأس هو: الشدة والضر: ضد النفع. والتبديل: وضع أحد الشيئين مكان الآخر، ومنه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ [إبراهيم:٤٨]. والعفو: أصله الشرك، ومنه: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وكل من استحق عقوبة فقد عُفِيَ عنه، وعفوت الشَّعْرَ: تركته حتى يكبر، وعفو المال: ما فضل عن النفقة، كأنه ترك فلم ينفق، والعفو: المكان الذي لم يوطأ، كأنه ترك استطراقه. والبغتة: الفجأة، وهو الأخذ على غِرَّةٍ، بغته يبغته بغتًا وبغتةً، قال:

---

(١) وقريت: وقرية، أ.
(٢) جمعته: جمعه، أ.
(٣) تسمى: يسمى، أ.

وأعظم[١] شيء حين يَفْجَؤُك البَغْتُ[٢]

الإعراب

أصل: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ يتضرعون أدغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء؛ لأن في الضاد استطالة، وإنما يدغم الناقص في الزائد، ولا يدغم الزائد في الناقص؛ لما في ذلك من الإخلال به.

﴿بَدَّلْنَا﴾. و ﴿ءَابَآءَنَا﴾ نصب بـ« **مس**» واسم الفاعل «**السراء والضراء**».

المعنى

لما تقدم قصص بعض الأنبياء وتكذيب فرقتهم وما نزل بهم، ذكر بعده جملة في نظرائهم تسلية للنبي ﷺ[٣] وعظة له، فقال سبحانه: «**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ**» قيل: من القرى التي أهلكناها بالعذاب[٤]، عن الأصم. وقيل: سائر القرى، عن أبي علي. وهوالوجه؛ للعموم[٥] «**مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا**» يعني أهل تلك القرية أخذنا، وفيه حذف؛ أي: وكذبوه فأخذناهم «**بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**» قيل: البأساء ما نالهم من الشدة في أنفسهم، والضراء ما نالهم في أموالهم، وقيل: البأساء الجوع، والضراء من الأمراض والشدائد، عن أبي الحسن[٦]] وقيل[٧]: البأساء والضراء مزيد التكليف والمشقة، ذكره القاضي، وقيل: الجوع والفقر، عن السدي. ومعناه: أخذناهم مرة بالبأساء ومرة بالضراء لطفًا لهم «**لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**» قيل: يعاملهم معاملة المختبر، وقيل: ليتضرعوا يعني[٨] يدعونه ويلجؤون إليه، ويتوبون «**ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ**» يعني رفعنا

---

(١) وأعظم: فأعظم، ض.
(٢) يفجؤك البغت: يفجأك التعب، أ؛ قاله يزيد بن حنبة، وصدره: ولَكِنَّهُمْ بانوا ولَمْ أَدْرِ بَغْتَةً.
(٣) صلى الله عليه وسلم: ـ ،أ.
(٤) أهلكناها بالعذاب: نظيراتهم، أ.
(٥) للعموم: لعموم، د.
(٦) الحسن: -، د.
(٧) وقيل البأساء الجوع. . . الحسن: بياض في أ .
(٨) يعني: -، د.

السيئة، ووضعنا الحسنة مكانها، وقيل: السيئة: الشدة، والحسنة: الرخاء، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد. قال أبو علي: وهو في هذا الموضع توسع ومجاز، وقيل: سميت سيئة؛ لأنها تسوء صاحبها «**حَتَّى عَفَوْا**» قيل: كثروا، عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد. وقيل: سمنوا، عن الحسن. وقيل: عفوا أي: أعرضوا عن الشكر، يقال: عفوت عنه أي: أعرضت عنه، عن أبي مسلم. وأصله: الترك فكأنه قيل: تركوا حتى كثروا وسمنوا وتركوا أمر الله، والمراد بالآية: أنه ـ تعالى ـ لرحمته لا يدع وجهًا فيه لطف إلا ويفعله بهم ليستدرجهم إلى الإيمان، وقيل: سروا، عن قتادة. وقيل: أشروا وبطروا، عن مقاتل. «**وَقَالُوا**» من جهلهم وغفلتهم «**قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ**» يعني أن هذا عادة الدهر مرة يسرًا ومرة عسرًا، وأصاب آباءنا كما أصابنا، فكونوا على ما أنتم كما كان آباؤكم، فأتاهم «**بَغْتَةً**» أي فجأة مصلحة وعبرة لمن بعدهم «**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**» أي: لم يعلموا أن العذاب نازل بهم، ولم يرو أنه لذلك ومقدِّمة، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم في دينهم؛ لأنه يأخذ مرة بالنعم، ومرة بالمحن كل ذلك لمصلحتهم.

وتدل أن التكليف يتغير بعد الإرسال لذلك[1] قال: «**أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**».

وقوله: «**لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**» يدل أنه أراد من جميعهم التضرع، خلاف قول المجبرة.

وتدل أن[2] التضرع فعلهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل علي أن العذاب نزل بهم بغتة عبرة لبعض المكلفين.

(١) لذلك: فذلك، أ.
(٢) أن: ـ أ، ض.

وتدل على أنه يبتلي عباده بالنعم ليشكروا، وتلطف لهم بالبأساء والضراء.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «**أَوْ أَمِنَ**[1] **أهل القرى**» ساكنة الواو، وكذلك في (الصافات) و(الواقعة) (أو آباؤنا) ساكنة الواو.

وقرأ ابن كثير في رواية القراءتين والبزي ونافع في رواية ورش ههنا ساكنة، وفي (الواقعة) و(الصافات) بفتح الواو.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وابن كثيرفي بعض الروايات بفتح الواو في الجميع.

فأما من سكن فهو واو (أو) التي هي للتخيير.

وأما من يفتح فلأنها[2] واو العطف جعلت عليها ألف الاستفهام.

اللغة

البركة: الخيرات النامية[3]، وأصله الثبوت النامية. والبيات[4]: اسم من بَيَّتَ

---

(١) أمن: ومن، أ.

(٢) فلأنها: لأنها، أ.

(٣) النامية: الثابتة، أ؛ الثابتان، د. وما أثبتناه من (تفسير البيان) للطوسي: ٤/ ٤٧٧.

(٤) والبيات: الثبات، أ.

يبيت تبييتًا، يقال: بيّت فلان رأيه إذا دبر فيه ليلاً، وبات يفعل كذا إذا فعل ليلاً، كما يقال: ظلت بالنهار[1]، وسمي البيت بيتًا؛ لأنه يُباتُ فيه، والبيات والتبييت أن يأتي العدو ليلاً.

الأمن: الثقة بالسلامة من الخوف، ونقيضه: الخوف، وهما يرجعان إلى الاعتقاد، أمن يأمن، ومنه: الأمان والمؤمن.

والنوم مصدر نام ينام، ورجل نُوَمَةٌ: كثير النوم. واختلفوا فقيل: عرض على حده[2]، وقيل: بل هو سهو في القلب مع فتور في الأعضاء.

والضحى: صدر النهار في وقت انبساط الشمس، وأصله الظهور، يقال: ضحا الشمس تضحو[3] ضحوًا، ومنه: الأضحية؛ لأنها تذبح يوم العيد عند الضحى.

والمكر: أصله الخداع والاحتيال، ثم يستعمل في الجزاء كقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ [النمل:٥٠]، وقيل: المكر في صفات الله أخذه بالعذاب من حيث لا يشعرون.

قال الأزهري: المكر من الخلق جبن[4] وخداع، ومن الله مجازاة الماكر[5]، ويجوز أن يكون استدراجهم أبلاهم من حيث مكروا، وأصل المكر: الالتفاف، ومنه: ساق ممكورة أي ملتفة[6] حسنة، والممكورة شجر ملتف، يقال: مكر يمكر مكرًا إذا التفت تدبيره على مكروه لصاحبه.

۞ الإعراب

(أو) معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب بوجوبه، أوينتفي الثاني بانتفائه على

(١) ظلت بالنهار: طلب، د.
(٢) حده: خده، أ.
(٣) تضحو: يضحو، أ.
(٤) جبن: جبنًا، أ، د.
(٥) الماكر: للمالك، أ.
(٦) ملتفة: لميعة، أ، د.

طريقه لو كان، الألف في قوله: «**أفأمنوا**»؛ بعد الواو في قوله: «**أو أمنوا**» لأن فيها معنى (بَعْدَ) كأنه قيل: بعد هذا كله أمنوا مكر الله، ثم صارت الفاء في «**فلا يأمن**» كأنه جواب لمن قال: قد أمنوا.

ويقال: لم رفع «**القوم**» بعد (إلا)؟

قلنا: لأن الفعل[١] رافع له، فارتفع لأنه فاعل.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أن من هلك من الذين تقدم ذكرهم أُتُوا في هلاكهم من جهتهم، فقال سبحانه: «**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى**» يعني ما تقدم ذكرها، نحو: قوم عاد، وثمود، وقوم لوط وغيرها «**آمَنُوا**» صدقوا الله ورسوله ووحَّدُوا الله وعبدوه وأطاعوا الرسول وقبلوا عنه[٢] ما أمرهم به[٣] «**وَاتَّقَوْا**» المعاصي «**لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ**» بالمطر ومن الأرض بالنبات والثمار «**وَلَكِنْ كَذَّبُوا**» الرسل «**فَأَخَذْنَاهُمْ**» يعني عجلنا لهم العقوبة «**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» يعملون من الكفر والمعاصي «**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**» خطاب لهذه الأمة الذين كذبوا؛ يعني أفأمن أهل القرى الذين كذبوا الرسول، والمراد: أي شيء أمنهم مع كفرهم «**أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا**» عذابنا «**بَيَاتًا**» ليلاً «**وَهُمْ نَائِمُونَ**» غافلون عن ذلك ناموا على أمن «**أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا**» عذابنا «**ضُحىً**» عند ارتفاع النهار «**وَهُمْ يَلْعَبُونَ**» ساهون لاهون، وإنما خص هذين الوقتين قيل: أراد ألاّ يأمنوا الليل والنهار، عن الحسن. وقيل: أراد ألاّ يأمنوا في وقت هو أطيب عيشهم أن يأتيهم العذاب، وقيل: إن ذلك وقت اشتغالهم بملاذ الدنيا من اللعب واللهو، وقيل: أراد وقت اشتغالهم بكفرهم؛ لأنه كاللعب «**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**» قيل: عذابه عن عطاء؛ لأن الماكر يوقع صاحبه في هلكة وقد أخذهم من حيث لا يشعرون، عن أبي علي. وقيل: استدراجهم بالصحة والسلامة، وطول العمر، وتظاهر النعمة، وقيل: المكر[٤] التدبير، فمن

---

(١) الفعل: الواقع، أ، ض.
(٢) عنه: عنهم، أ.
(٣) به: ـ أ، د.
(٤) المكر: المسكن، أ.

الله أمره وإرادته، عن أبي مسلم. «**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ**» قيل: عذابه وأخذه من حيث لا يشعرون على ما بينا من الاختلاف «**إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**» فيه وجوه:

قيل: لا يأمن عقاب الله للعصاة إلا الخاسرون.

وقيل: لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون.

وقيل: لا يأمن عذابه جهلاً بحكمه إلا القوم الخاسرون، والخاسر من خسر في الدنيا دينه وفي الآخرة ووجب له العذاب، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: أليس الأنبياء أمنوا عذابه؟

قلنا: بلى؛ ولكن لأداء ما وجب عليهم وعلى ما ذكرنا من معاني الآية لا يلزم ذلك.

ومتى قيل: كيف يأمن القوم الخاسرون؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: لأنهم بالكفر أخرجوا أنفسهم من طريقة الخوف، وإنما يخاف[1] العذاب مَنْ اعتقد أن له صانعًا يثيبه على طاعته ويعاقبه على سيئاته، عن أبي علي.

وقيل: لأنهم أمنوا عذاب الله كما يقال لمن ينهمك في المعاصي: هو لا يخاف ربه؛ لأنه كأنه[2] قيل: عمله عمل من لا[3] يخاف.

وقيل: لأن الأمن من عذابه معصية فمن أمن فقد خسر.

الأحكام

تدل الآية على اختلاف مصالح المكلف لأجل اختلاف حاله؛ لأنه بين أنهم لو أمنوا لكان الصلاح فيما يفعل بهم خلاف الصلاح وهم كفار.

---

(١) يخاف: كان، أ، د.
(٢) كأنه: كأن، أ.
(٣) لا: ـ ، أ.

وتدل على أن[1] الإيمان قد يقتضي الإسباغ، ونعم الدنيا وهي بركاتها حتى يكون طلعًا[2] على الإيمان وترغيبًا فيه وتحذيرًا من تركه.

ومتى قيل: هذه البركات هل هي ثواب أم لا؟

قلنا: لا؛ لأن الثواب ما يكون مع التعظيم، ولكن من باب التفضل والمصلحة.

وتدل على أن التكذيب يوجب العقوبة وأنه قد تعجل بعضها.

وتدل على أن الإيمان والكفر فعل العبد؛ ليصح الوعد والوعيد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أنهم قادرون على الإيمان لولاه لما صح أن يقال: لو فعلوه، كما لا يقال للعاجز: لو فعل كذا كان كذا، فيبطل قولهم في هاتين المسألتين للاستطاعة.

وتدل على أن أحدًا لا يؤخذ إلا بذنبه، وأن العقوبة جزاء الأعمال، فيبطل قولهم في هاتين المسألتين.

وتدل على وجوب التدبر في أحوال الأمم كي يحذر ما فعلوا، فلا يستحق العذاب.

وتدل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يأمن التدبير ويعمل بين الخوف والرجاء، فهذه عادة المؤمن.

قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢)﴾

---

(١) أن: ـ، أ.

(٢) طلعا: طلقًا، د.

۞ القراءة

قرأ يعقوب «**أولم نهد**» بالنون، وكذلك في (طه) و(السجدة) على التفخيم، وهو قراءة أبي عبد الرحمن السلمي[١] والحسن ومجاهد وقتادة. وقرأ الباقون بالياء فيها.

۞ اللغة

الهداية: الدلالة المؤدية إلى البغية. والإرث: ما صار للثاني بعد الأول وهو عام في المال وغيره، ومنه: «العلماء ورثة الأنبياء»[٢]. والإصابة: إيقاع الشيء بالغرض المنصوب، ونقيضه: الخطأ. والطبع: الخَتْم. والقصص: إتباع الحديث بالحديث، وأصله الاتباع، ومنه: قص أثره، وقوله: ﴿لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ [القصص:١١]، ومنه: القصاص. والنبأ: الخبر عن أمر عظيم البيان؛ ولذلك أخذ منه صفة نبي. والعهد: العقد المؤكد، وهو من الله الأمر المؤكد بالوعد والوعيد.

۞ الإعراب

يقال: ما فاعل (يهد) بالياء؟

قلنا: فيه قولان:

قيل: مضمر على تقدير: أولم[٣] يهد لهم فيوافق[٤] قراءة النون، عن الزجاج.

وقيل: مستثنى لأن قوله: «**لو نشاء**» في موضعه.

ويقال: أي كاف في قوله: «**كذلك يطبع**»؟

قلنا: كاف التشبيه، تقديره: دلالة أنهم لا يؤمنوا كدلالة الطبع على قلوب الكافرين الذين هم في مثل صفتهم.

---

(١) السلمي: والسلمي، أ.
(٢) أبو داود رقم ٣٦٤١، والترمذي رقم ٢٦٨٢، وابن ماجه رقم ٢٢٣، وابن حبان رقم ٨٨.
(٣) أولم: أو لهم، أ، د.
(٤) فيوافق: فيرافق، أ، ض.

يقال: ما معنى (من) في قوله: «**من عهد**»؟

قلنا: لاستغراق الجنس، وقيل: إنه يدخل على ابتداء الجنس إلى انتهائه.

ويقال: بما يرتفع قوله: «**يطبع**»؟

قلنا: على الاستئناف، عن الزجاج والفراء وأبي علي. ولا يجوز أن يتصل بقوله: «**أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم**»؛ لأنه لو كان كذلك لكان وجه الكلام: ولطبعنا، ويدل عليه قوله: «**وهم لا يسمعون**» وليس ذلك بنسق على «**أصبناهم**».

ويقال: ما معنى (إن) في قوله: «**وإن وجدنا**» واللام في قوله: «**لفاسقين**»؟

قلنا: (إن) للتأكيد وهي المخففة من الثقيلة، كقوله: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٣٢]، و(إن) تكون على أربعة أوجه: للشرط، والنفي، والإثبات، وتكون زائدة. واللام في قوله[1] «**لفاسقين**» لام الابتداء التي تكسر لها (إن).

وقوله: «**يرثون**» قيل: أراد به الحال، وهذه اللفظة مشتركة بين الحال والاستقبال.

ويقال: ما معنى اللام في «**لهم**» وفي: «**للذين يرثون**» وغيره من الآيات؟

قلنا: لام التعدية كما تدخل في كثير من الأفعال تعدى بها إلى المفعول كقوله: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣] أي: عابرون الرؤيا.

المعنى

لما تقدم الموعظة بقصة الأمم عاد الخطاب إلى وعظ المخاطبين وهم الأنبياء المكلفون، فقال سبحانه: «**أَوَلَمْ يَهْدِ**» لهم استفهام والمراد التقرير؛ أي: قد هداهم وبيّن لهم ودلّهم وبالنون نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد. وقيل: أولم يبين للخلق ما نزل بالسلف حتى لا يعملوا[2] مثل عملهم، وقيل: أولم يهدهم الله، وقيل: ألم نهدهم ما بلونا من أنباء القرى، وقيل: أولم نهد أنا لو نشاء أهلكناكم

(١) قوله: قولنا، أ.

(٢) يعملوا: يعملون، أ.

«**لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ**» بعدهم بأن ملّكَهُم الأرض بعد أولئك الذين أهلكهم «**أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**» يعني أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا أولئك الماضين.

ومتى قيل: أليس المؤاخذة بالذنب واجبة، فلم علقه بالمشيئة؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: أنه أراد تعجيل العذاب وقد يكون ذلك مصلحة، وقد لا يكون.

الثاني: أن العقاب مجوّز في العقل وليس بواجب، وإنما يقطع عليه بالسمع.

ومتى قيل: إذا كان العقاب مجوزًا فلِمَ يقع به التخويف؟

قلنا: ليس يجب أن يكون المكلف قاطعًا، وإنما يجب أن يكون مجوزًا؛ ولذلك يخاف أحدنا مع تجويز التوبة.

ثم استأنف الكلام وقال: «**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**» إن لم نهلكهم، عن أبي علي. وقيل: إن المذموم[1] كالممنوع من الإيمان بأنه[2] لا يفلح، وقيل: إنه سمة في القلب من نكتة سوداء أن صاحبها لا يفلح، عن أبي علي. وقيل: هو ألاّ يَقبل توبتهم ويلزمهم ما هم فيه وهو توبتهم عند المعاينة، عن الأصم. وقيل: الطبع الخذلان، عن أبي مسلم. وتقديره: أن الكافر يخذلهم فيرى الآيات واختار ما اعتاد وألف، فصار ذلك زينًا[3] في قلبه حتى يعشق[4] تلك الضلالة ولا يبصر مثواه ولا يسمع غيره، فأضيف إليه لهذا الوجه «**تِلْكَ الْقُرَى**» يعني التي أهلكنا وتقدم ذكرها «**نَقُصُّ عَلَيْكَ**» أي: نتلو عليك «**مِنْ أَنْبَائِهَا**» من أخبارها لتعتبروا بأحوالهم ولا تغتروا كاغترارهم «**وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ**» إنما أضاف الرسل إليهم؛ لأنه أرسلهم إليهم، ولأنهم ينتفعون برسالته ويهتدون بها، ولأنه بعث بمصالحهم «**بِالْبَيِّنَاتِ**» بالحجج المزيلة للإشكال القاطع للعذر «**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا**» فيه تسلية للنبي[5] ﷺ[6] وعظة للخلق يعني أن أولئك مع

(١) المذموم: المراد به، أ.
(٢) بأنه: في أنه، د.
(٣) زيناً: في أنه، د.
(٤) يعشق: يفشوا، د.
(٥) للنبي: لنبي، أ.
(٦) صلى الله عليه وسلم: ـ ، أ.

كثرة الرسل والبينات لم يؤمنوا حتى أهلكوا فلا يهمنك بيان هؤلاء إن كفروا فوبالهم يعود عليهم.

ومعنى قوله: «**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ**» فيه وجوه:

أولها: قيل: تقديره: فما كانوا ـ لو أحييناهم بعد إهلاكهم ورددناهم إلى دار التكليف ـ ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، ونظيره: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ [الأنعام: ٢٨]، عن مجاهد.

وثانيها: قيل: عتوهم في كفرهم يحملهم على ألاّ يتركوه فما كانوا ليؤمنوا بعد أن جاءتهم الرسل بعد أن كفروا، عن الحسن وأبي علي والأصم.

وثالثها: لم يكونوا ليؤمنوا مستقبلاً بما كذبوا سالفًا، عن أبي مسلم.

ورابعها: ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم بل كذبوا بما كذب به أولئك، إشارة إلى أن كل نبي أنذر قومه وكل أمة فيها جماعة كذبوا رسلهم، كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، عن يمان بن وثاب.

وخامسها: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا قبلها.

«**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**» قيل: هو السمة والعلامة التي تحصل في قلوب[١] الكفار علامة لكفرهم على ما تقدم، عن أبي علي. وقيل: هوالخذلان وهو الران[٢] الذي يلزم[٣] قلبه لسوء خياره والإقامة على الكفر إلفًا وعادة، عن أبي مسلم. وقيل: لما بلغوا الحد الذي من يبلغه مات عليه واستوجب العقاب فكنى عنه بالطبع، عن الحسن. وقيل: لا تقبل توبتهم، ويلزم ما في قلوبهم من الكفر حتى يردوا القيامة، ويدخلوا[٤] النار؛ لأنهم تابوا في حال المعاينة، عن الأصم. «**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**» أي: أكثر من تقدم ذكرهم وبعهد الله وهو أمره وما أوصاهم به الأنبياء ألايعبدوا إلا إياه ولا يشركوا به شيئًا، عن الحسن، وأبي علي. ويقال لمن لا يفي بالعهد: لا

---

(١) قلوب: قاب، أ.

(٢) الران: الرمز، أ؛ الدين، د.

(٣) يلزم: يلوم، أ.

(٤) ويدخلوا: يدخلون، أ.

عهد له، ولمن لا يفي باليمين: لا يمين له ولا قول له، وقيل: المراد به مخالفة الأفعال لا الاعتقاد؛ لأنه بترك الأفعال يكون فاسقًا، وبترك الاعتقاد يكون كافرًا، وههنا وصفهم بالفسق، وقيل: الفسق اسم يقع على الكفر وغيره «**وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ**» أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فسقة، وقيل: أدركنا أكثرهم فسقة خارجين[1] عن طاعة الله، و(إن) بمعنى (ما) إنما يكون إذا لم يكن[2] جوابها باللام، وقيل: تقديره: قد وجدنا أكثرهم فاسقين.

۞ الأحكام

تدل الآية على التحذير من أفعال أولئك الأمم؛ كي لا ينالهم مثل ما نال أولئك.

وتدل على معجزة الرسول من حيث أخبرهم عن الغيب مع ما علم من حاله أنه كان لا يقرأ كتابًا ولا يكتب خطًّا.

وتدل أن أخبار أولئك لطف لمن جاء بعدهم.

وتدل على أن الإيمان والكفر فعلهم؛ لذلك[3] استحقوا الثواب والعقاب.

وتدل على أن العذاب نزل بهم جزاءً على أعمالهم، فيبطل قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

---

(١) خارجين: خارجي، أ.

(٢) إذا لم يكن: إذا كان، أ، ض.

(٣) لذلك: كذلك، أ، د.

القراءة

قرأ بشير ونافع «**حقيق عليّ**» بتشديد الياء من «**عليّ**» [1] بمعنى واجب عليّ. وقرأ الباقون «**علي**» بسكون الياء والتخفيف، واختلفوا فيه، فقيل: (**علي**) بمعنى الباء تقديره: أنا حقيق[2] بألاّ أقول على الله إلا[3] الحق.

قال الفراء: العرب تقول: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وروي أنه في قراءة أبي «**حقيق بأن لا أقول**»، وقيل: معنى «**حقيق على أن**» [لا أقول فالمعنى] حريص على ألاّ أقول، عن أبي عبيدة.

اللغة

البعث والرسالة من النظائر، وأصل البعث النقل، ومنه البعث بعد الموت وهو النقل إلى حال الحياة، فالبعث نقله بالإرسال عن حاله إلى حالة النبوة. وفرعون وزنه (فِعْلَوْن) ونظيره: بِرْذَوْن، فالواو زائدة؛ لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة، والنون زائدة يقال: تفرعن مشتق منه، و» **حقيق**» فعيل من الحق، ويكون بمعنى الفاعل، وبمعنى المفعول.

قال أبو مسلم: «**حقيق**» بمعنى حَاقّ: فعيل بمعنى فاعل.

والعصاة معروف، وأصله: الامتناع، يقال: عصى يعصي إذا امتنع، ويقال: اعْتَصَى[4] بالسيف إذا اتخذه عَصًا[5]، ويقال لمن استقر بعد تنقل: ألقى عصاه، قال الشاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا واَسْتَقَرَّ بِها النَّوَى   كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ[6]

---

(١) حجة القراءات ٢٨٩.

(٢) حقيق: خليق، د.

(٣) إلا: ـ، أ.

(٤) اعتصى: عصى، أ.

(٥) إذا اتخذه عصا: اخذه أحد العصا، أ.

(٦) البيت قائله معقر بن أوس البارقي الصحاح (عصا)، واللسان (عصا)، والعين (عصو).

وهو من بنات الواو، والمعصية من بنات الياء، يقال عصى يعصي، مثل رمى يرمي.

والإلقاء من اللقاء، وأصله الاتصال، وألقى العصا: أزال اتصالها، وزيدت ألف «ألقى» لتدل على هذا المعنى.

والثعبان: أعظم الحيات، وهو الذَّكَر منها، قال الفراء: وأخذ من ثَعَبْتُ الماء أَثْعَبُهُ ثَعْبًا[1] إذا فجرته، والمَثْعِب: موضع انفجار الماء، وسمي الثعبان لأنه يجري كالماء عند الانفجار.

والنزع: إزالة الشيء عن مكانه، ومثله القلع.

الإعراب

موضع (كيف) في قوله: «**كيف كان**» نصب؛ لأنه خبر (كان) وتقديره: انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين، والميم من (موسى) زائدة وزنه (مفعل)، ونظيره في الهمزة: أفعى (أفعل)، فالهمزة زائدة ههنا كالميم ثَمَّ، وموسى مفرد.

ويقال: ما معنى (من) في قوله: «**رسول من رب العالمين**» ؟

قلنا: معناه ابتداء الغاية؛ لأن المرسل هو المبتدي بالإرسال، وانتهاؤها المرسل إليه.

ويقال: لم نصب (الحق)؟

قلنا: لأنه مفعول للقول.

يقال: لم صارت الياء ألفًا في (ألقى)؟

قلنا: الياء لأنها موضع حركة قبلها فتحة؛ ولذلك رجعت [إلى] أصلها في «ألقيت».

(١) تعب: ـ ، د.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ قصة موسى عطفًا على ما تقدم من قصص الأنبياء تسلية للنبي ﷺ وعظة لقومه، فقال سبحانه: «**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ**» بحججنا «**إِلَى فِرْعَوْنَ**» وقيل: اسمه قابوس، ذكره[1] أهل الكتاب، وقيل: الوليد بن مصعب بن الريان عن وهب. وقيل: هو فرعون يوسف، وقيل: هو غيره، وقيل: عُمِّر أكثرمن أربعمائة سنة «**وَمَلَإِهِ**» قيل: أشراف قومه وذوو الأمر منهم لأن الرسول يخاطبهم دون غيرهم، عن الأصم. وقيل: جماعتهم، عن أبي علي. «**فَظَلَمُوا بِهَا**» أي: بالآيات، قيل: ظلموا أنفسهم بجحدها، عن الحسن وأبي علي. وقيل: ظلموها بوضعها غير موضعها فجعلوا إبدال الإيمان بها الكفر والجحود، وقيل: ظلموا جحدوا وكفروا، عن أبي مسلم. وقيل: ظلموا تلك النعم التي أتاهما لله، قال: استعانوا بها في معصية الله ـ تعالى ـ عن الأصم. وقيل: ظلموا الرسول بها بأن قالوا: إنه سحر وتمويه «**فَانْظُرْ**» تفكر أيها النبي، وقيل: أيها السامع «**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**» يعني ما آل إليه أمرهم في الهلاك «**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» قيل: لما دخل على فرعون مصر وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصرًا، واليوم الذي دخلها موسى رسولاً أربعمائة عام عن وهب. «**مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» مالكهم وخالقهم، كأنه قال: إني رسول ربك إليك يا فرعون «**حَقِيقٌ عَلَى**» قيل: في الكلام حذف كأن فرعون قال له: كذبْتَ، فقال موسى: «**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**» إني حقيق بألاّأقول على الله غير الحق «**قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ**» أي: بحجة معجزة «**مِنْ رَبِّكُمْ**» أعطانيها ربكم «**فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ**» أي: خلهم من اعتقالك، وكان اعتقلهم للاستخدام في الأعمال الشاقة، فقال فرعون «**إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ**» أي: بحجة «**فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» في قولك جئت بآية، وقيل: إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله، عن أبي علي. «**فَأَلْقَى عَصَاهُ**» عن يده «**فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ**» قيل: حية عظيمة ذكر فاغرة فاها، بين فكيها ثمانون ذراعًا، عن ابن عباس والسدي. وقيل: أربعون ذراعًا، واضعة أحد لحييها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، ثم قصدت فرعون فهرب منها، وهرب الناس،

---

(١) ذكره: ذكر، أ.

وحمل بعضهم على بعض حتى مات بعضهم زحمة، وقيل: مات في الازدحام خمسة وعشرون ألفًا، وقتل بعضهم بعضًا، وصاح فرعون خذها يا موسى أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذها، فعادت عصا كما كانت، وقيل: كان طولها ثمانين ذراعًا، وقيل: كان من الكبر بحيث أمكنه تلقف تلك الحبال والعصي، قوله: «**مُبِينٌ**» يعني بيّن ظاهر أنه حية تمشي، لا لبس فيه ولا تمويه، «**وَنَزَعَ يَدَهُ**» أي: أدخلها في جيبه ثم نزعها منه «**فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ**[1]» و(إذا) ظرف[2] المكان تقديره: هي بيضاء «**لِلنَّاظِرِينَ**» هناك، وقيل: كانت[3] بيضاء من غير سوء، وكان موسى أسمر، ثم أعاد يده[4] إلى كمه فعادت إلى لونها الأول، عن ابن عباس ومجاهد والسدي. وقيل: كان في يده من النور والشعاع ما لم يشاهد مثله في يد أحد، وقيل: كان منها شعاع يغلب نور الشمس.

۞ الأحكام

في الآية أحكام وفوائد:

منها: أنه لا بد للرسول من آية.

ومنها: أن الآية لا بد أن يظهرها عند من بعث إليه.

ومنها: أن الآية يجب أن تكون بحيث لا يقدر على مثلها[5] أحد وتنقض العادة، وتكون عقيب دعواه.

ومنها: أن الرسول لا يقول على الله إلا الحق، فيؤيد قولنا في العصمة.

ومنها: أن الآية تدل على الصدق لذلك قال: «**فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» في ادعاء الرسالة.

---

(١) بيضاء: -، د.

(٢) ظرف: الظرف، أ.

(٣) كانت: كان، أ.

(٤) ثم أعاد يده: عاد إليه، أ، د.

(٥) مثلها: مثله، أ، ض.

ومنها: أنه ناقض العادة بفعل لا يقدر العباد عليه؛ لأنه قلب العصا حية تسعى ويدًا سمراء صار لها من الشعاع كالشمس نقض، ثم ردها فعادت إلى لونها الأول، وهذا نقض العادة.

ومنها: أن الظلم والتكذيب فعلهم وليس بخلق لله تعالى، فيبطل مذهب الجبر.

[قصة العصا]

فأما قصة العصا فقيل: كان عصاه أعطاه ملك حين توجه إلى مدين.

وقيل: كان ذلك عصا آدم من آس الجنة تدور في أولاده حتى انتهت إلى شعيب مع أربعين عصا لآبائه، فلما استأجر موسى أمره بدخول بيت فيه العصا وأَخْذِ تلك العصا، فردها شعيب فقال: خذ أخرى فأخذ[1] فإذا هي، فرده، وقال: خذ أخرى، فأخذ فإذا هي، كل مرة تقع يده عليها دون غيرها، فتركها في يده، فلما خرج متوجهًا إلى مصر رأى نارًا، وأتى الشجرة، فناداه الله ـ تعالى ـ وأمره بإلقائها، فألقاها فصارت ثعبانًا عظيمًا. وقيل: صارت ثعبانًا أسود له أضراس تلتهب نارًا تمر بالصخرة فتقتلعها، فذهب موسى هاربًا على وجهه، فعارضه ملك وقال: مم تهرب؟ فقال: من الموت، قال: هل يملك أحد الموت غير الله تعالى؟ قال: لا، قال: ففيم الهرب، فرجع موسى وناداه ربه: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ [طه:٢١]، فأدخل يده بين لحييه فعاد عصا كما كان، فلما جاء فرعون ألقاها[2] على ما تقدم.

وقيل: كان الأنبياء يأخذون العصا تجنبًا من الخيلاء، وقيل: لكثرة منافعه، وقيل: أول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة، وإنما جمع بين الآيتين تأكيدًا ولطفًا وإظهارًا لأمر موسى(عليه السلام).

فأما منافع العصا فقد نطق القرآن بها في سورة (طه) ففيها معجزات جمة، وفوائد كثيرة:

(١) فأخذ: واحدًا، أ، ض.
(٢) ألقاها: فألقاها، أ، د.

ومنها: أنها صارت حية تسعى معجزة لموسى (عليه السلام).

ومنها: أنه ضرب على البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.

ومنها[1]: أنه ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم.

ومنها: لما طلب فرعون من موسى أنه ألقاها فصارت حية فاغرة فاها.

ومنها: لما خرج موسى وهارون من عند فرعون نزلا دار عجوز لها معهما قرابة، وأنفذ فرعون جماعة من الرصد، وأحاطوا بالدار فخرجت العصا إليهم فطرحت سبعة، وهزمت الناس.

ومنها: كان إذا دخل الليل ركزها، وكانت تضيء كالشمس.

ومنها: أنه كان إذا أعوزه الماء خلاها في البئر فكانت تطول على قدر البئر، ويظهر على رأسها شبه دلو، فيستقي بها.

ومنها: أنه كان إذا اشتهى فاكهة غرزها في الأرض، فتخرج الأغصان فتخرج تلك الفواكه، فإذا قلعها عادت عصا.

ومنها: أنه كان يضرب بها الجبل فيسهل، ويضرب الأرض ذات الشوك، فتصير مثل كثيب الرمل.

ومنها: أنه إذا عبر نهرًا ضربه بها فينفرج الماء له حتى يمر فيه.

ومنها: كان يشرب من إحدى شعبتيها اللبن، ومن الأخرى العسل.

ومنها: كان إذا أعيا في الطريق فتحمله إلى أي موضع شاء.

ومنها: أنه كان لا يخاف العدو، وإن كان ملء الأرض إذا كانت هي معه.

ومنها: أنه لما كان في البرية ركزها وعرض[2] شعبتيها [و] يلقي عليه كساء ويستظل بها.

---

(١) ومنها: ومنه، أ، د.

(٢) وعرض: ويعرض، أ، د؛ والتصحيح ما أثبتناه من الكشاف: ١/ ٧٥١.

ومنها: كان إذا نام تقاتل السباع عن غنمه، وتناضل عنها بالسنان التي في أسفلها.

ومنها: إذا طالت شجرة فيضربها يهتز بها الورق على غنمه.

ومنها: كان إذا سار يضعها على عنقه ويعلق عليها جهازه: قوسه، وكنانته، ومحلاته، ومقلاعه، وكساءه[1]، وطعامه.

ومنها: أنه لما كلم الله ـ تعالى ـ موسى (عليه السلام) غلب عليه الوله، فآنسه بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [طه: ١٧].

ومنها: أنه لما واعد فرعون يوم الزينة وجاءت السحرة بالحبال والعصي ألقى[2] موسى عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون.

قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝١١٠ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: «**أَرْجِهِي وأخاه**» بغير همز وكسر الهاء، ونافع والكسائي يتبعون كسرة الهاء ولا يتبعها أبو جعفر.

وقرأ حمزة «**أَرْجِهْ**» بغير همز وسكون الهاء.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو [أَرْجِئْهُ] بالهمز وضم الهاء، ثم ابن كثير يشبع الهاء على أصله، والباقون لا يشبع.

فأما من لم يهمز فهو لغة تميم وأسد، يقولون: أرجوتُ الأمر وأرجيته.

---

(١) وكساءه: كساه، أ.
(٢) ألقى: فألقى، أ، ض.

وأما من همز فقيل: إنها لغة قيس وغيره، ووزنه «أَرْجِئْهُ» وهو من أرجأت الأمر وأُرْجِئْتُ وأجرت.

فأما إسكان الهاء فعند البصريين لا وجه له، وأجازه الفراء، وأنشد أشعارًا أنكرها الزجاج.

وروي عن ابن عامر بالهمز وكسر الهاء، قال أبو علي القسوي: وهو غلط؛ لأنه ليس قبلها ياء ساكنة ولا كسرة(1).

وقرأ حمزة والكسائي «**بكل سَحَّار**» الألف بعد الحاء، وكذلك في سورة (يونس)(2)، وقرأ الباقون «**بكل ساحر**» الألف قبل الحاء في السورتين، واتفقوا في الشعراء ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ [الشعراء: ٣٧] الألف بعد الحاء لأنه مكتوب بالألف بعد الحاء، فأما (سحار) ففيه مبالغة، و(ساحر) صفة جارية على الفعل من قول: سحر يسحر فهو ساحر، وقيل: السحار: يَعْلَمُ ويُعَلِّم، والساحر الذي يَعْلَم ولا يُعَلِّم. وقيل: السحار الذي يدوم سحره، والساحر مَنْ سِحْرُهُ في وقت دون وقت، عن المؤرج.

اللغة

الملأ: الأشراف والكبراء، وقيل لهم ملأ؛ لأنهم مِلاء(3) بما يحتاج إليه منهم، عن الزجاج. وقيل: لأنه تملأ الصدر هيبتهم، وأصله: من الملء وهو جعل الإناء على ما يحتمله مما يلقى فيه كامتلاء المكيال.

والقوم: الجماعة الذين يقومون بأمرهم في المعاونة، وأصله من قام، ولهذا لا يجوز أن يقال: قَوْمُ اللهِ، كما يجوز أن يقول: عباد الله.

والسحر: لطف الحيلة في إظهار أعجوبة، وأصله خفاء الأمر، ومنه: السَّحَرُ آخر الليل لخفاء الشخص بِغُمَّةِ(4) ظلمته، والسحر الريبة لخفاء أمرها.

---

(1) حجة القراءات ٢٨٩، حجة القراءات ٢٨٠، حجة القراءات ٢٩١.

(2) حجة القراءات ١٩١.

(3) ملأء: مليون، أ.

(4) بغمة: بنعمة، أ.

والإرجاء: التأخير، يقال: أرجأت الأمر وأرجيت إرجاء والمرجئة، والمرجئة: الذين لا يقطعون في أصحاب الكبائر بعفو أو عقوبة.

وأتى: جاء، وآتى أعطى، وأتى به: جاء به، والإتيان: الانتقال إلى مطلوب.

۞ الإعراب

موضع (ما) من الإعراب في قوله: «**فماذا تأمرون**»؟ قيل: رفع بمعنى فما الذي تأمرون، وقيل: نصب بمعنى فأي شيء تأمرون، ويجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، وفي الجواب يبين الإعراب.

ويقال: لم انجزم «**يأتوك**»؟

قلنا: لأنه جواب الأمر، وعامل الإعراب فيه محذوف، وتقديره: فإنك إن ترسل يأتوك.

ويقال: (كل) للعموم فَلِمَ دخل على الواحد في قوله: «**بكل ساحر**»؟

قلنا: لأنه في معنى الجمع، كأنه قيل: بكل السحرة إذا أفردوا ساحرًا ساحرًا إلا أنه إذا قال: بكل ساحر، فكل واحد مطلوب، فلو قال: بكل السحرة، كان المطلوب هو الجمع.

والباء في قوله: «**بكل**» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى (مع)؛ أي: يأتون ومعهم كل ساحر.

وثانيها: بمعنى التعدية في أَتَى[1] وأتى به، كقولهم: ذهبْتُ وذَهَبْتُ به، وجئت وجئت به.

«**المدائن**» منهم من يهمزها ومنهم من لم يهمزها، فمن همزها يجعل المدينة من الفعل فعيلة، ويجعل فعلها مدن، فمن لم يهمز جعل المدينة مَفْعِلَة، وجعل فعلها من دان يدين، ولا تهمز الياء؛ لأنها أصلية.

---

(١) في أتى: في إلى، أ.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما قابل قوم موسى إياه، فقال سبحانه: «**قَالَ الْمَلأُ**» قيل: الجماعة، عن أبي علي. وقيل: الأشراف، عن أبي مسلم. من قومه أي «**مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ**» ومعناه من جماعته الذين قاموا بنصرته «**إِنَّ هَذَا**» يعني موسى ساحر مموه عليم[1] حاذق، وقيل: إنه يأخذ على الأعين حتى يخيل إليهم العصا حية واليد بيضاء لما رأوا أعظم آياته ولم يمكنهم أن يقابلوه بشيء نسبوه إلى السحر وأنكروا نبوته محافظة على ملكهم ومالهم عنادًا وكفرًا «**يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ**» قيل: هو من كلام الملأ بعضهم لبعض: ماذا تأمرون في أمر هذا؟ عن الأصم، وأبي مسلم. وقيل: هو من كلام الملأ لفرعون خاطبوه على خطاب الملوك، عن الزجاج. وقيل: هو من كلام فرعون بتقدير: قال فرعون يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون، كقولك[2] لجاريتك: قومي أيا قائمة، عن الفراء وأبي علي، وأنشد الفراء قول عنترة، وزعم أن فيه معنى الحكاية:

الشَّاتِمي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُما والنَّاذِرَيْنَ إذاَ لِقيتُهُمَا دَمِي[3]

لأن المعنى: قال إذا لقينا عنترة لنقتله، واستشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥١، ٥٢] تقديره: قال يوسف: ليعلم الملك.

«**يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ**» قيل: أرض مصر، وقيل: يعني أنه إنما قال: أرسل معي بني إسرائيل، ليجعل ذلك طريقًا إلى إخراجكم من أرضكم وإزالة ملككم بتقوية أعدائكم عليكم «**فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**» فما الحيلة التي تأمرون بها في دفعه «**قَالُوا**» يعني الملأ «**أَرْجِهْ وَأَخَاهُ**» قيل: أخره وهارون، عن ابن عباس والحسن، وعطاء والأصم

(١) عليم: عليه، أ.
(٢) كقولك: كقوله، أ.
(٣) لعنتره بن شداد، انظره في الأغاني ٩/ ٢٥٤.

وأبي علي. وقيل: احبسه، عن قتادة وأبي مسلم. والأول الوجه؛ لأنه علم أنه لا يقدر على حبسه بعدما رأى تلك الآيات «**وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ**» يعني ابعث في البلاد التي تملك «**حَاشِرِينَ**» أي: جماعة يجمعون لك السحرة، وكانت له مدائن وفيها السحرة «**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيم**» حاذق في سحره ليعارض موسى بالسحرة، وحكي عن عطاء أن رأس السحرة كانا أخوين، فلما بعث إليهما وحكى لهما شأن موسى خرجا إلى قبر أبيهما وناجياه فأجابهما، فقالا: دُعِينَا لأمر، وحكيا قصة موسى (عليه السلام)، فقال: اذهبا فإذا نام فأطلقا العصا، فإن قدرتما عليها فاذهبا بها فإن الساحر لا يعمل سحره وهو نائم، وإن عملت العصا وهو نائم فذلك أمر الله لا طاقة لكما به، ولا للملك، ولا لأهل الدنيا، فأتياه وهو نائم، فقصدا العصا في حديث طويل إن صح فهو محمول على أنه معجزة موسى (عليه السلام) وهارون (عليه السلام).

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم معجزة لموسى (عليه السلام).

وتدل على جهل فرعون وقومه حيث لم يعلموا أن العصا قد قلبها موسى حية تسعى لا يقدر عليها غير الله حتى نسبوه إلى السحر.

وتدل على أن عادة البشر[1] أن من رأى أمرًا عظيمًا أن يعارضه، فلذلك دعا فرعون بالسحرة فدل على أن العرب لو قدروا على مثل القرآن لعارضوه به، على أن الطريق في المعجزات المعارضة بإتيان مثله، ولذلك قال ـ تعالى ـ في القرآن: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ**﴾ [يونس:٣٨]، ولذلك لم يتكلف فرعون وقومه غير المعارضة وإيقاع الشك.

وتدل أنهم أنكروا أمره محافظة على الملك والمال؛ لذلك قالوا: «**يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ**» فتدل على أن من أقوى الدواعي إلى ترك الدين المحافظة على الرئاسة والمال والجاه كما هو عادة الناس في هذا الزمان.

---

(١) البشر: البشير، أ؛ النشر، د.

قال الأصم: وتدل على أن فرعون اعترف بالذل، وخاف سلب ملكه وكذلك قومه، فتعمدوا الكذب والدفع.

قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وحفص عن عاصم «**إن لنا لأجرًا**» بكسر الألف على الخبر[1].

وقرأ الباقون على الاستفهام، ثم اختلفوا، فقرأ أبو عمر وبهمزة ممدودة على أصله، وقرأ يعقوب بهمزة غيرممدودة، وقرأ الباقون بهمزتين.

اللغة

جاء يجيء وجاءه يجيئه وجاء إليه، وجاء به، فجاءه يعني قصده بمجيئه وجاء إليه، فمنه معنى الغاية لأجل (إلى)، وجاء له أي: به.

والأجر: الجزاء بالخير، فمنه: الأجرة في الإجارة، والأجر في المهر هو الجعل. والغلبة: إبطال المعارضة[2] بالقوة. والقريب[3] : الأدنى قربه تقريبًا. والإلقاء: طرح الشيء، ونقيضه: الإمساك، يقال: أَلْقِ إليّ كذا، وألقى إليه مسألة. والاسترهاب: طلب الرهبة التي[4] ترهب.

(١) حجة القراءات ٢٩٢.

(٢) المعارضة: المقاومة، د.

(٣) والقريب: التقريب، أ.

(٤) والتي: الذي، أ.

۞ الإعراب

يقال: لِمَ لَمْ تدخل الفاء في قوله: «**قالوا**» ليتصل[١] الثاني به؟

قلنا: لأن تقديره: فلما جاءوا. قال[٢] العلماء[٣]: يصلح دخول القليل هذا الوجه.

ويقال: ما موضع (نحن) من الإعراب في قوله: «**نحن الغالبين**»؟

قلنا: فيه وجهان:

[**الأول**]: الرفع على أنه تأكيد الضمير المتصل في «**كنا**».

الثاني: لا موضع له؛ لأنه فصل بين الخبر والاسم. وقيل: إنه صلة والمعنى: إن كنا لغالبين.

يقال[٤]: (نَعَمْ) اسم أو حرف، فلم جاء الوقف عليها؟

قلنا: هو حرف؛ لأنه في الإيجاب بمنزلة (لا) في النفي، ويجوز الوقف عليها لأنها جواب لكلام يستغني بدلالته عما يتصل بها.

ويقال: إذا كان أصل (قال) قَوَلَ، والفتحة أخف الحركات، فلم أعلت؟

قلنا: ليجري على أصله في (قلت) و(يقول) في الإعلال، ولأن الألف الساكنة أخف من الواو المتحركة وإن كانت بالفتحة.

ويقال: الواو في قوله: «**وإنكم**» أيُّ واو؟

قلنا: واو العطف على معنى الجملة، وتقديره: نعم إنكم ذاك وإنكم لمن المقربين، وكسرت ألف (إن)؛ لأنها في موضع استئناف بالوعد.

ويقال: ما موضع (أن) في قوله: «**وإما أن نكون**»؟

---

(١) ليتصل: ليصل، أ.

(٢) قال: قالوا، أ.

(٣) العلماء: العلم، د.

(٤) يقال: فقال، أ؛ وقال، د.

قلنا: موضعه نصب، وتقديره: اختر إما إلقاءنا[١] أو إلقاءك، وقيل: إما إبداءك[٢] ببداية أو إلقاءنا، وقال: نعم، ولم يقل: بلى؛ لأن هذا استفهام وليس بجحود. «**الغالبين**» و«**الملقين**» نصب بخبر (كان).

المعنى

بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما جرى بين موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وبين السحرة الذين[٣] دعاهم فرعون، فقال سبحانه: «**وَجَاءَ السَّحَرَةُ**» في الكلام حذف، يعني فأرسل فجاؤوا عن أبي علي. وقيل: تسامعوا فجاءوا، وروي أن فرعون بعث مكانه في مملكته فلم يترك ساحرًا إلا أتى به، قيل: وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا، اثنان من القبط، وسبعون من بني إسرائيل، عن مقاتل. وقيل: كانوا سبعين ورئيسهم من أهل نينوى، عن الكلبي. وقيل: كانوا ستمائة، حكاه الأصم. وقيل: كانوا اثني عشر ألفًا، عن كعب. وقيل: كانوا بضعا[٤] وثلاثين ألفًا، عن السدي. وقيل: سبعون ألفًا، عن عكرمة. وقيل: كانوا ألفًا، عن ابن المنكدر. ورئيس القوم قيل: اسمه شمعون، عن مقاتل. وقيل: ابن لوجيه، عن ابن جريج. «**قَالُوا**» لفرعون، قيل: سألوه عما يعمل، فقال: يجعل عصاه[٥] حية، فقالوا: ما على وجه الأرض أعلم بهذا الباب منا، وقد جئنا بسحر لا تطيقه الأرض إلا أن يكون أمرًا من السماء، فإنه لا طاقة لنا به «**إِنَّ لَنَالأَجْرًا**» (إن) للتأكيد يعني: أحقًا جعلت لنا جعلاً ومالاً «**إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**» على موسى، فـ» **قَالَ**» فرعون «**نَعَمْ**» نعم لكم ذلك الأجر «**وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**» يعني لكم المراتب الجليلة والمنازل العظيمة عندي، وقيل: أول من يدخل علي وآخر من يخرج، عن الكلبي. «**قَالُوا**» يعني السحرة «**يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**» يعني اختر إما أن تبتدئ بإلقاء عِصِاك أو نحن تبتدي بإلقاء عصينا[٦] وحبالنا،

---

(١) إلقاءنا: إلقاقا، د.
(٢) إبداءك: إبداؤك، ش.
(٣) الذين: التي، ش.
(٤) بضعا: بضع، أ.
(٥) عصاه: جيبه، أ، د.
(٦) عصينا: عصاتنا، أ.

خيروا موسى كالواثق بالفوز؛ لأنهم سمعوا حديث العصا[١] فظنوا أنه من قبل السحر «**قَالَ**» موسى «**أَلْقُوا**» يعني حبالكم وعصيكم.

ومتى قيل: كيف قال ألقوا وإلقاؤهم[٢] كفر؟

قلنا: أذن في إلقائه لإبطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد فيقول: هات وقل، وكقوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ [يونس:٣٨]، وقيل: تقديره: ألقوا إن كنتم محقين، فكأن الإذن بهذا الشرط عن أبي علي. وقيل: ألقوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل «**فَلَمَّا أَلْقَوْا**» يعني ألقت السحرة حبالهم وعصيهم كانوا صوروا صورًا تشبه الحيات العظيمة والأساود وجعلوها ملونة وجعلوا فيها الأحويه وحبسوها بالزئبق وعند ذلك لما ارتفع النهار وحميت تحركت وتركت بعضها بعضًا حتى ظنوا أنها أحياء «**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ**» يعني أوهموهم أمرًا يعرفون[٣] حقيقته وخفي عليهم لبعده وظنوها حيات، عن أبي علي. وأصل السحر خفاء الحيلة، وقيل: موهوا لهم الأمر فأروهم الشيء خلاف حقيقته، والسحر التمويه، عن أبي مسلم. وهذا يقرب من الأول «**وَاسْتَرْهَبُوهُمْ**» أي: أرادوا إرهابهم بذلك، وقيل: أرهبوهم، وأصل هذا السحر الطلب، فكأنهم[٤] طلبوا بما[٥] فعلوا إرهاب الناس، وإنما خافت لسوء اعتقادهم في تجويز قلب الأعيان، وهذا كمن يصدق حديث الجن، ولذا يخافهم، وقيل: بعثوا جماعة ينادون عند إلقاء ذلك: أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب «**وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**» أي: تمويه لم يكن من جنسه أعظم؛ لأنهم أتوا بجميع ما كان في وسعهم، وقيل: عظم عند الناس لاستعظامهم[٦] لذلك لا أنه عظيم في نفسه؛ لأنه تمويه، عن أبي علي.

---

(١) العصا: العصاة، أ؛ اللفظ، د.
(٢) وإلقاؤهم: إلقاءهكم، أ.
(٣) يعرفون: يعرفوا، ض.
(٤) فكأنهم: فلأنهم، د.
(٥) بما: لما، د.
(٦) لاستعظامهم: لاستعصامهم، ش.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن القوم أتوا بما في وسعهم من التمويه، وكان الزمان زمان سحر والغالب عليهم الاشتغال به، فأتى موسى (عليه السلام) من جنس ما هم فيه ما لم يقدر عليه أحد، ليعلموا أنه معجز، وليس بسحر، وهكذا ينبغي في المعجز أن يكون من جنس ما هو شائع في القوم ويتعذر عليهم مثله، وكان الطب هو الغالب في زمن عيسى، فجاء بإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص، وليس ذلك في وسع طبيب، وكان الغالب في زمان نبينا ﷺ الفصاحة والخطب والشعر، فجاء بالقرآن وتحداهم به.

وتدل على أنهم بالحيل جعلوا الحبال والعصي متحركة[1] حتى أوهم أنها أحياء، ولكن لما وقف[2] على أصل ما فعلوه وعلم وكان مثله مقدورًا لكل من يتعاطى صناعتهم علم أنه شعبذة، ولهذا تفارق المعجزة الشعبذة أنه يوقف على أصله ويمكن إتيان مثله ولا يخفى أمره، بخلاف المعجزة.

وتدل على أن من شاهدها كانوا عوامًا لا علم لهم بالتوحيد، وإلا كانوا يعرفون أن الحياة لا يقدر عليها غير الله تعالى.

وتدل أنهم لم يعلموا صحة أمر موسى، وإلا لما عارضوه بذلك.

وتدل أن المعارف مكتسبة.

وتدل على اعتراف فرعون بالذل والضعف؛ حيث يستعين[3] بهم ويمنيهم لدفع مكروه عنه.

وتدل على فقر السحرة حيث طلبوا، ولو كانوا يقدرون على تحويل الأشياء لما احتاجوا إلى من يعطهم، وكل ذلك دليل على أنهم كانوا مموهين.

وتدل على أن ذلك الإلقاء فِعْلُهُمْ وكذلك السحر، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) متحركة: متحركًا، أ.

(٢) وقف: وقفت، أ.

(٣) يستعين: استعان، د.

قوله تعالى:

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

۞ القراءة

حفص عن عاصم: «**تَلْقَف**» ساكنة اللام خفيفة(١). وقرأ الباقون بتشديد القاف مفتوحة اللام، وروي عن ابن كثير «**تلقف**» بتشديد التاء والقاف على هذا الخلاف في (طه) و(الشعراء).

فأما من خفف فهو من قولهم: لَقِفَ يَلْقَفُ لَقَفًا. والتشديد من قولهم: تَلَقَّفَ يَتَلَقَّفُ تَلَقُّفًا، والتقف يلتقف، ولقف يلقف إذ أخذ بسرعة، كلها لغات، وقيل: إذا أخذته وبلغته(٢).

۞ اللغة

الوحي: إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى(٣). والإفك: قلب الشيء من وجهه، ومنه قوله: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٠] أي: المنقلبات(٤)، والكذب إفك؛ لأنه قلب المعنى عن وجهه. والوقوع: ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقر، وأصله: السقوط، يقال: وقع الطائر: سقط بالأرض، وقع يقع وقْعًا ووقوعًا، وأوقعه إيقاعًا، والواقعة: النازلة في الشدائد والوقائع(٥) الحروب. الغلبة: الظفر بالبغية وإبطال المقاومة بفضل القوة، غلب يغلب عليه فهو غالب؛ أي: قاهر، ورجل مغلوب

(١) حجة القراءات ٢٩٢.
(٢) وبلغته: بلغته، أ.
(٣) يخفى: مخفي، أ.
(٤) المنقلبات: المتقلبات، أ.
(٥) والوقائع: ـ، د.

مقهور. والصاغر: الذليل، والصغير والصغار: الذلة، صَغِرَ الرجل يَصْغَر صَغَرًا وصِغْرًا وصَغَارًا: إذا ذلّ، وأصله من الصغر الذي هو صغر القدر.

الإعراب

يقال: ما معنى (أن) في قوله: «**أن ألق عصاك**»؟

قلنا: هي التي توصل بالفعل على معنى المصدر كأنه قال: أوحينا إليه بالإلقاء.

ويقال: ما معنى (ما) في قوله: «**وبطل ما**»؟

قلنا: بمعنى (الذي)، وقيل: بمعنى المصدر، يعني بطل عملهم، و(ما) بمعنى المصدر لا تعمل قيل: لأنه اسم، والاسم لا يعمل في الفعل.

ويقال: لم رفع اسم ما لم يسم فاعله؟

قلنا: لأنه صنع له كالفاعل فرفع كما صنع للفاعل فرفع.

واللام في «**هنالك**» دلالة بُعْد المكان، وهنا وهناك وهنالك للإشارة.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ كيف أبطل سحرهم وكيف أظهر موسى (عليه السلام)، فقال سبحانه: «**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى**» أي: ألقينا إليه من وجه لم يشعر به إلا موسى «**أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ**» وقيل: لَمَّا ألقت السحرة حبالهم وعصيهم ـ وكانت حمل ثلاثمائة بعير ـ فزع[1] الناس وظنوا أنها حيات، وتحركت، وخاف موسى على ما قص الله ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧]، ولم يخف من فعلهم؛ لأنه علم أن لا حقيقة لذلك وأن الحقيقة ما معه، وإنما جاز أن تقع شبهة للعوام، وقيل: خاف أن يقع في المغالبة تأخير فتتمكن الشبهة[2]، وقيل: خاف لأنه لم يعلم القدر الذي تعود إليه العصا إذا انقلبت حية فتبقى[3] الشبهة، وقيل: خاف أن يتفرق الناس قبل إلقائه العصا، وفي

(١) فزع: ففزع، أ.

(٢) الشبهة: الشبه، د.

(٣) فتبقى: تسعى، أ.

الجملة إنما خاف على الناس، فأوحى إليه الله في تلك الحال» «**وَأَلْقِ عَصَاكَ**» وألقاها «**فَإِذَا هِيَ**» يعني العصا بعد أن صارت حية «**تَلْقَفُ**» تبتلع تناولاً بفيها بسرعة حالاً بعد حال «**مَا يَأْفِكُونَ**» قيل: ما يكذبون، عن مجاهد. وقيل ما يكذبون أن حبالهم وعصيهم كعصا موسى، عن الأصم. وقيل: ما يقلبون ويزورون على الناس في الحبال والعصي «**فَوَقَعَ الْحَقُّ**» قيل: ظهر الحق وهو أمر موسى وصحة نبوته ومعجزته، عن الحسن ومجاهد. ووقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة وبطل تمويهاتهم، عن أبي علي. «**وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» من السحر والتمويه.

ومتى قيل: كيف ظهر ذلك حتى علمه الجماعة؟

قلنا: لما رأوا تلك الآيات الباهرة في العصا علم أنه أمر سماوي.

ومتى قيل: كم آية رأوا في العصا؟

قلنا: آيات جمة:

منها: قلب العصا حية.

ومنها: أكل الحبال والعصي مع كثرتها، وليس ذلك مما تأكلها الحيات.

ومنها: فناء حبالهم وعصيهم في بطنه مع سرعته وكثرته إما بالتفريق أو بالفناء عند من يجوزه، وكلاهما معجزة عظيمة.

ومنها: عودها كما كانت عصا من غير زيادة ولا نقصان، وعلموا أن شيئًا من ذلك ليس بسحر؛ لأن السحر تمويه وهذه أمور ناقضة للعادة لا يقدر عليها غير الله تعالى، وأنها ليست من فعل البشر، فاعترفوا[1] بالتوحيد والنبوة وكان إسلامهم حجة على فرعون فآمنوا، «**فَغُلِبُوا هُنَالِكَ**» أي: قهروا، يعني فرعون وملأه، عن أبي مسلم والأصم. وغلبهم موسى «**هُنَالِكَ**» يعني عند ذلك المجمع «**وَانْقَلَبُوا**[2]» **انصرفوا؛ يعني فرعون وقومه** «**صَاغِرِينَ**» أذلاء مقهورين يعني انصرفوا مقهورين عن

(١) فاعترفوا: فاعرفوا، أ.

(٢) وأقلبوا: فانقلبوا، د.

موقفهم الذي تواعدوا له «**وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**» يعني سجدوا لَمَّا عاينوا تلك الآيات، وإنما قال: «**وألقي**» وإن كان هم الفاعلين[1] قيل: ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله، وقيل: لما رأوا الآيات لم يتمالكوا حتى سجدوا، ومثل هذا يجوز في العربية، يقال: فلان معجب بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس هناك غيره، وقيل: لما أمرهم الله بالسجود ولطف لهم بتلك الآيات صار كأنه ألقاهم في السجود.

ومتى قيل: كان يجب عليهم المعرفة والإيمان، فلماذا بَدَؤُوا بالسجود؟

قلنا: عرفوا ثم آمنوا ثم سجدوا شكرًا لله - تعالى -، وخضوعًا له، فجمعوا بين الإظهار للحق والخضوع لله تعالى.

«**قَالُوا**» يعني السحرة «**آمَنَّا**» صدَّقنا «**بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**» خالقهم ومدبرهم «**رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**» يعني الذي يدعو إلى الإيمان به موسى وهارون، وقيل: ربهما الذي أرسلهما، وقيل: خصهما بالذكر تشريفًا وتعظيمًا لهما.

۞ الأحكام

تدل الآية أن القوم كانوا أعرف الناس بالسحر، فلما رأوا المعجزة علموا عرفوا أن ليس من جنس السحر، فآمنوا في الحال وإن كانوا غير عالمين لَبَقِيَتْ لهم شبهة.

وتدل على أنهم بتلك الآيات استدلوا على التوحيد والنبوة؛ لذلك اعترفوا بهما.

وتدل على أنه لا يجوز ظهور المعجزة على غير نبي؛ إذ لو جاز ذلك وجاز على الكفرة على ما زعمه الحشوية لكان لا يسرعون إلى الإيمان بموسى لمكان تلك المعجزات.

وتدل على أن الأنبياء لا يقدمون في أمر إلا بوحي، وأن تلك العصا كثيرًا ما تلقى فلا تصير حية حتى يأمره الله ـ تعالى ـ بإلقائها فيصيرها حية، عن الأصم.

وتدل أن ذلك الإيمان فِعْلُهُم؛ لذلك مدحوا به، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

(١) الفاعلين: الفاعلون، أ، د.

قوله تعالى:
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم في رواية حفص «**قال فرعون أمنتم**»[1] بهمزة واحدة على لفظ الخبر، وكذلك في (طه) و(الشعراء). وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي «**ءأمنتم**» بهمزتين في جميعها. وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بهمزة واحدة ممدودة في جميعها على الاستفهام.

وظاهر القراءة «**ما تنقم**» بكسر القاف، وعن الحسن بفتحها، وهما لغتان، نَقِمَ يَنْقَمُ، مثل «سمع يسمع»، نَقَمَ يَنْقِمُ مثل «ضرب يضرب» إلا أن الكسر في الماضي أفصح، والنقمة: الأخذ بالعقوبة، ونقيضه: النعمة.

اللغة

التقطيع: تكثير القطع، ونظيره: التفصيل والتفريق، ونقيضه: التوصيل، يقال: قَطَّع يُقَطِّع تقطيعًا، وأصل الباب: القطع، ثم يتشعب منه قطع وأقطع واستقطع وانقطع وتقطع واقتطع وغيرهما من الأبواب. والصلب: الشد على الخشبة وغيرها، وأصله من صلابة الشد، يقال: صلب صلابة، وصلبه تصليبة. والانقلاب: الرجوع إلى الشيء، أخذ من القلب، انقلب ينقلب. والإفراغ[2]: صب ما في الإناء حتى يخلو، وهو الفراغ، نقيضه: الشغل، وأفرغ علينا صبرًا شبه بحال إفراغ[3] الإناء كما يقال: صب

(١) حجة القراءات ٢٩١.
(٢) والإفراغ: الانفراغ، أ.
(٣) إفراغ: تفريغ، ض.

عليه صبًا. والصبر: حبس النفس على المكروه، وصبر يصبر صبرًا، ولا يجوز أن يقال لله ـ تعالى ـ صابر، ولا أنه صَبَرَ، فأما الصبور فقد قال شيخنا أبو علي: لا يطلق عليه، وقد ورد[١] الخبر بذكره، فإن[٢] صح فمعناه أنه حليم لا يعاجل بالعقوبة.

الإعراب

أصل (إنا) (إننا)، فإذا قيل: (إننا)، فقد ورد على أصل، فإذا قيل: (إنا)، فعلى حذف النون لكثرة النونات. «**ربنا أفرغ**» نصب «**ربنا**» لأنها[٣] منادى[٤] مضاف.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ ما كان من فرعون عند ظهور المعجزة وعند إيمان السحرة، فقال سبحانه: «**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ**» أي: أقررتم بالصدق «**قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**» قيل: لم يعرف فرعون التوحيد فلذلك قال هذا، وقيل: عرف ولكن عاند وموّه «**إِنَّ هَذَا**» يعني إيمانهم به «**لَمَكْرٌ**» خداع «**مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ**» يعني أنكم تواطأتم[٥] مع موسى «**في المدينة**» يعني مصر على هذا لتستولوا على العباد والبلاد وتخرجوا منها أهلها وتتغلبوا عليها، وقيل: لِتُخْرِجوا من المملكة أهل المملكة ويصير الملك لكم، عن الأصم. فأوهم أن الإيمان لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ ليذهبوا بمالكهم[٦] «**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**» قيل: سوف تعلمون ما أفعل بكم، وقيل: سوف تعلمون أن ما فعلتم[٧] يضركم ولا[٨] ينفعكم، ثم أوعدهم فقال «**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ**» قيل: اليد اليمين مع الرجل اليسرى، عن الحسن، وقيل غيره، وكذلك اليد اليسرى مع الرجل

---

(١) ورد: وردت، أ.
(٢) فإن: قال، ض.
(٣) لأنها: لأنه، ض، ش.
(٤) منادى: بدا، أ.
(٥) تواطأتم: توطأتم، د.
(٦) بمالكهم: مالكم، أ.
(٧) ما فعلتم: ما أفعله، أ.
(٨) ولا: لا، أ.

اليمنى «**ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ**» على جذوع النخل، على شاطئ نهر مصر «**أَجْمَعِينَ**» فلا أدع واحدًا إلا صلبته، وقيل: أول من قطع الرجل وصلب فرعون، عن ابن عباس وسعيد بن جبير. «**قَالُوا**» يعني السحرة لفرعون مجيبين عن وعيده «**إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**» يعني إلى جزائه وحكمه صائرون، فجعلوا هذا جوابًا له.

ومتى قيل: كيف يكون هذا جوابًا؟

قلنا: فيه محذوف، واختلفوا فقيل: تقديره: إنا نصبر على ذلك ليوفى الله أجورنا، فإن مصيرنا إليه.

وقيل: إنا نعلم أن التمكين من الظلم لا يحسن إلا بشرط الانتصاف فنرجع إليه ينتصف لنا منك.

وقيل: لا بد لنا من موت أو قتل، فالذي توعدنا له نحن صائرون إليه.

وقيل: تقديره إنا آمنا رجاء لدار الآخرة، وذلك إلى الله، ونحن نصير إليه وما توعده في الحياة الدنيا، فاقض ما أنت قاضٍ[1] .

«**وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا**» قيل: ما تطعن علينا وتعيبنا، عن الضحاك وغيره. وقيل: ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه، عن عطاء. «**إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا**» يعني: لا موجب لغضبك ولا عيب لنا، إلا أنا لما رأينا الحجج اتبعنا الحق وآمنا بالله، وانسلخنا من الباطل «**لَمَّا جَاءَتْنَا**» يعني الآيات نصبر.

واختلفوا فيما صبروا؟

فقيل: على تخلية الله ـ تعالى ـ بينهم وبين فرعون.

وقيل: أرادوا الصبر على شدة ما ينالهم من فرعون حتى لا يعودوا كفارًا، عن الأصم؛ لأنه كان يلتمس منهم الرجوع إلى الكفر.

«**وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**» أي: الطف لنا حتى نثبت على الإيمان إلى أن تقبض أرواحنا، وقيل: إن فرعون فعل ذلك بهم، وقيل: أصبحوا كفارًا سحرة وأمسوا شهداء بررة، وقيل: لم يصل إليهم وعصمهم الله عنه، حكى كلا الوجهين الأصم.

---

(١) قاض: قاضي، أ.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن السحرة استدلوا على التوحيد والنبوات فصدقوا وآمنوا.

وتدل على صدقهم في الإيمان حتى قابلوا فرعون بما أجابوه به، قال أبو علي: فأجاب الله دعاءهم وتوفوا مسلمين وصاروا إلى الجنة.

وتدل على أن بالإسلام ينال الثواب؛ لذلك قال: «**وتوفنا مسلمين**».

وتدل على أن الواجب عند وعيد الظلمة الصبر؛ لذلك قال: «**أفرغ علينا صبرًا**».

وتدل على أن الواجب عند ذلك الانقطاع إلى الله تعالى؛ ليدفع عنه الظلم أو يوفيه الجزاء.

وتدل على أن الإيمان فعلهم، وأن ما أوعدهم فرعون فعله ليصح الكلام، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير (**سَنَقْتُلُ**)(١) بفتح النون والتخفيف، وقرأ الباقون بضم النون والتشديد على التكثير(٢).

قراءة العامة «**وَيَذَرَكَ**» بالياء وفتح الراء على الحكاية وعطفًا على قوله: «**ليفسدوا في الأرض**»، وعن الحسن برفع الراء على الاستئناف أي: هو يذرك ولا يعبدك، وعن

---

(١) سنقتل: نقتل، أ.

(٢) حجة القراءات ٢٩٤.

أنس بالنون والنصب خبرًا عن أنفسهم أنهم يدعون عبادته إن ترك موسى حيًّا فيصرفهم عنها.

وقراءة العامة «**وآلهتك**» جمع إله، وعن ابن مسعود وابن عباس وبكر بن عبد الله المزني والشعبي، والضحاك «**وإلَهَتَكَ**» بكسر الهمزة أي: عبادتك فلا نعبدك كما تعبد، قالوا: وكان فرعون يُعبد ولا يَعبد شيئًا، وقيل: بل يعبد أصنامًا وأمر بعبادتها، ولذلك قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤].

قراءة العامة: «**يُورِثُهَا**» بسكون الواو خفيفة[١] ، وعن الحسن «**يورثها**» بتشديد الراء، وهما لغتان، وَرَّثَ يُوَرِّث، وأَوْرَثَ يُورِثُ.

۞ اللغة

الاستحياء: استفعال من الحياة وهو طلب الحياة كالاستسقاء[٢] .

والاستعانة: طلب المعونة، استعان به، واستعانه، والمعونة: النصرة.

۞ الإعراب

«**ويذرك**» قيل: في نصبه وجهان:

الأول: الصرف[٣] .

والثاني: العطف.

فأما الرفع على قراءة الحسن فقيل: هو عطف على (**أَتَذَرُ**)[٤] ويجوز أن يكون على الاستئناف على وهو (**يذرك**).

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما كان من قوم فرعون في أمر موسى (عليه السلام) وقومه، وما

(١) خفيفة: وخفيفة، أ.
(٢) كالأستسقاء: كاستسقاء، ض.
(٣) الصرف: الحذف، د.
(٤) أتذر: يذرك، أ.

أوعدوهم به، وما وعظ به موسى (عليه السلام)، فقال سبحانه: «**وَقَالَ الْمَلأُ**» قيل: الأشراف، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: الجماعة عن أبي علي. «**مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ**» من أتباعه وأشياعه «**أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ**» يعني تتركهم أحياء «**لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ**» قيل: فسادهم دعاء الناس إلى مخالفة فرعون وانتقاض ملكه وأمره، وقيل: يفسد عليك خدمك وعبيدك وأشياعك، وقيل: هو عبادة الله، وهكذا حال الجهال[1] يسمون الحق بدعة، والبدعة سنة، والضلالة هدى، والهدى ضلالة، فالتمسوا منه قتلهم أو منعهم عن ذلك بالحبس «**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**» قيل: يدع عبادتك وعبادة آلهتك، قيل: كان فرعون يعبد الأصنام، عن الحسن، فعلى هذا كان يُعبد ويَعبد، وقيل: كان يعبد ما[2] يستحسن من البقور على هذا أخرج السامري عجلاً جسدًا له خوار، وقال[3]: هذا إلهكم وإله موسى، عن ابن عباس والسدي. وقيل: كانت له أصنام يعبدها قومه تقربًا إليه، عن الزجاج والأصم. قال الأصم: وكان جبارًا ينصب ذلك ليعبد تقربًا إليه، وإنما أضافوها إليه لأنه نصبها فهو أمر بعبادتها، وقيل: كان صنع أصنامًا صغارًا وأمر بعبادتها ثم قال: أنا ربكم الأعلى، يعني ربكم ورب هذه الأصنام، عن ابن عباس. وقيل: كان يعبد الأصنام أولاً ثم رأى نفسه أحسن حالاً منها فادعى الربوبية، حكاه شيخنا أبو حامد.

فأما على قراءة من قرأ «**إِلَهَتَكَ**» بكسر الهمزة فقيل: عبادتك، فأجابهم فرعون وقال «**سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي**» يعني بني إسرائيل ومن آمن بموسى ويستحيي «**نِسَاءَهُمْ**» للمهنة والخدمة من غير أن يكون لهم منعة، ولم يقل سأقتل موسى؛ لأنه لم يطمع فيه؛ لما رأى من قوة أمره وعلو شأنه، فعدل إلى صغار بني إسرائيل، فقتل أبناءهم واستحيى نساءهم وأذن في ذلك، وقيل: أراد قطع نسلهم وأنباءهم، عن أبي مسلم. وقيل: أراد الإنهاء بأن ذلك يتم له فيهم منذ ذلك الوقت كما تم من قبل دنوهم[4] بقاء ملكه ووهن أمر موسى، وقيل: إن فرعون قتل أبناء بني إسرائيل مرتين

(١) الجهال: الجهاد، أ.
(٢) ما: ـ، د.
(٣) وقال: يقال، أ.
(٤) دنوهم: وتوهم، د.

قبل ولادة موسى من ابتداء تلك السنة، فما زال يقتل حتى جاءهم موسى بالرسالة، وبعده بعد غلبة موسى على السحرة أمرهم بإعادة القتل «**وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**» يعني غالبون عليهم بالقدرة والملك، قاهرون لهم، فلما بلغهم وعيد فرعون «**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**» آمرًا بالاستعانة بالله والصبر حتى يأتيه الفرج، وقيل: سكن[1] بنو إسرائيل لمَّا أعاد فرعون القتل إلى موسى فقال: «**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ**» أي: اطلبوا المعونة من جهته على دفع شرهم «**وَاصْبِرُوا**» على ما ينالكم في[2] الدين من أذى فرعون وقومه إلى أن يصلح الله أمركم، وقيل: استعينوا به على طاعته واصبروا في أوامره[3] «**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ**» ملكًا وخلقًا «**يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**» قيل: فيه تسلية للنبي ﷺ فإنها لا تبقى على أحد وتنتقل من قوم إلى قوم، وقيل: فيه إطماع بأنه يورثهم أرض فرعون وقومه، عن الأصم. «**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**» قيل: عاقبة الخير لمن اتقى معاصي الله وهو النصرة والظفر، وقيل: السعادة والشهادة، وقيل: الجنة. وعن ابن عباس: لما آمن[4] السحرة اتبع موسى من بني إسرائيل ستمائة ألف.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن قوم فرعون عجزوا عن معارضة موسى في الآيات فعدلوا[5] إلى إغراء فرعون بموسى وأوهموه أن تركه فساد في الأرض، وأنه عند ذلك أوعده، وذلك من أدل الدليل على نبوة موسى؛ لأن[6] قتل صاحب المعجزة[7] لا يقدح في معجزته؛ لهذا قال مشايخنا: إن العرب لما عدلوا عن معارضة القرآن التي في إيرادها إبطال أمر النبي ﷺ إلى القتال الذي لا يفيد ذلك دل على عجزهم، وهكذا حال كل ضال مبتدع إذا أعيته الحجة عدل إلى التهديد والوعيد.

---

(١) سكن: سكت، أ.

(٢) في: من، أ.

(٣) أوامره: أموره، د.

(٤) آمن: آمنوا، أ.

(٥) فعدلوا: عدلوا، أ.

(٦) لأن: لا، أ.

(٧) المعجزة: المعجز، د.

وتدل على أن فرعون أوهم أنه يُفْنِي رجالهم وأنه يبقى ملكه، وتوهم أن أمر موسى لا يبقى.

وتدل على أن عند الخوف من الظَّلَمة يجب الفزع إلى الله - تعالى - والاستعانة به والصبر، ولا مفزع إلا في هذين، وهو الانقطاع إلى الله بطلب المعونة في الدفع واللطف له في الصبر.

وتدل على أن التملك ينتقل في الناس.

وتدل على أن العاقبة المحمودة تنال بالتقى، وهي اتقاء الكبائر والمعاصي.

قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

القراءة

قراءة العامة «**يطّيروا**» بالياء وتشديد الطاء على أصله: يتطيروا، فأدغم التاء في الطاء، وعن بعضهم بالياء وتخفيف الطاء على الفعل الماضي.

وقراءة العامة: «**ألا إنما طائرهم**» بالألف، وعن الحسن «**طَيْرُهُمْ**» بغير ألف وهما بمعنى، يقال: أي طير جرى لك اليوم، وقيل: الطير جمع طائر كتاجر وتجر، وراكب وركب.

اللغة

الأذى: ما يتأذى به الإنسان من ضرر في نفسه أو ماله، آذاه يؤذيه إيذاءً وأذى وأذية، وتأذّى به تأذيًا، ونظيره: آلمه يؤلمه إيلامًا، وتألم به تألمًا.

(عسى) قال سيبويه: «لعل وعسى» طمع وإشفاق، وقال غيره: يقال منه: عسيت وعسوت وعسى الليل: أظلم، والشيءُ: صَلُبَ.

والآل[1] خاصة الرجل الذين[2] يؤول أمرهم[3] إليه، وقيل: الآل أهل البيت، قال علي بن عيسى: يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد؛ لأن في «أهل» معنى القرب في نسب أو مكان، وليس كذلك الآل.

والسنة: العام، ويقال: لسنة الجدب السنة، خصوها بالذكر؛ لأنها نادرة فأفردت بالذكر لسنة القوم إذا أجدبوا، ويقال لسنة الجدب عام سنة وسنة سنينًا، قال الشاعر:

عَـمْـرُو الـعُـلا هَـشَـمَ الـثَّـرِيـدَ لِـضَـيْـفِـهِ ورجـالُ مَـكَّـةَ مُـسْـنِـتُـونَ عِـجَـافُ[4]

أي: مجدبون.

والتطير والطيرة من الشيء: التشاؤم به، واشتقاقه من الطير كالغراب ونحوه، وطائر الإنسان: عمله أخذ من ذلك، وكان العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشِّمال، وتتبرك بالسانح[5] وهو الذي يأتي من جهة اليمين، ثم كثر ذلك، فسمي نصيب الإنسان طائره، ومنه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: ١٣] أي: حظه مما كتب له، ويقال: طيرت المال بين القوم فطار لفلان كذا، أي: قدر، فصار حظه كذا.

۞ الإعراب

يقال: ما معنى (قد)؟

قلنا: الإخبار عن متوقع ومن ههنا صارت تقرب الماضي من الحال؛ لأنه إذا توقع كون أمر فقيل[6] قد كان، دل على قربه في الحال.

---

(١) والآل: والأول، أ.
(٢) الذين: الذي، أ.
(٣) أمرهم: أمره، د.
(٤) لابن الزبعري. انظره في الصحاح (سنت)، واللسان (سنت).
(٥) بالسانح: السياع، د.
(٦) فقيل: فقل، أ.

ويقال: ما موقع[1] (الهاء) من الإعراب في قوله[2] «**هذه**» ؟

قلنا: نصب لأنها ظرف للقول. والكناية في قوله: «**أوذينا**» محله الرفع؛ لأنه اسم ما لم يسم فاعله.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ جواب بني إسرائيل مما جرى بينهم وبين موسى وما أنزل بهم من النصر، فقال سبحانه: «**قَالُوا**» يعني بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى «**أُوذِينَا**» لَحِقَنَا الضرر من جهة فرعون بقتل الأبناء واستخدام النساء «**مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا**» بالرسالة «**وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا**» قيل: بالوعيد، وقيل: بإعادة القتل وأخذ المال والاستخدام، وقيل: بأخذ الجزية، عن الحسن. وقيل: هذا إنما قالوه استبطاءً لما وعدهم من النجاة من فرعون وملئه فقالوا: كنا في أذى منه قبل مجيئك، ولم يزل ذلك بمجيئك، فجدد موسى لهم الوعد عن الله ـ تعالى ـ ليثقوا به فـ» **قَالَ**» لقومه «**عَسَى رَبُّكُمْ**» قيل: (عسى) من الله واجبة، عن الحسن. وقال أبو علي: عسى[3] هذا يقين[4]. وقيل[5]: هو تطميع[6] يعني كونوا على رجاء وطمع في ذلك «**أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ**» قوم فرعون، ففعل ذلك حتى غرق فرعون وقومه وهم ينظرون إليهم «**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ**» أي: يُمَلِّككم الأرض من بعدهم، قيل: لم يُبِنْ وقت الفتح عليهم ببيت المقدس مع يوشع بن نون بعد موسى، وقيل: مع موسى، وفتح لهم مصر وغيرها من الديار زمن داود وسليمان فملكوها على ما وعدهم الله ـ تعالى ـ «**فَيَنْظُرَ**» قيل: يرى، وقيل: يعلم يعني يظهر المعلوم لا أنه يستفيد علمًا، وقيل: ينظر أولياؤنا ما[7] يكون منكم «**كَيْفَ**

---

(١) موقع: موضع، د.
(٢) في قوله: له قوله، د.
(٣) عسى: ـ ، أ.
(٤) يقين: ـ ، أ.
(٥) قيل: ـ ، أ.
(٦) تطميع: يطمع، أ.
(٧) أولياؤنا ما: أولياء وما، د.

تَعْمَلُونَ» أي: كيف تشكرون الله على نعمه، وتعملون بطاعته، وقيل: يبتليكم بالنعمة لِيَظْهَرَ شكركم، كما ابتلاكم بالمحنة ليظهر صبركم.

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما فعله بقوم فرعون، فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ أَخَذْنَا**» أي: حقًّا أنا أخذنا «**آلَ فِرْعَوْنَ**» خاصته وقومه وأتباعه «**بِالسِّنِينَ**» قيل: بالجدوبة، عن الحسن وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: بالجدب والقحط عامًا بعد عام عن الفراء. وقيل: بالجوع، عن مجاهد وقتادة. «**وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**» قال كعب: كان يأتي زمان لا تثمر النخلة إلا ثمرة أو ثمرتين، فابتلاهم الله بهلاك الأنفس والمواشي، ونقص الأموال «**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**» أي: عظة لهم ليتذكروا ويتفكروا فيه، قيل: تذكير لهم أن فرعون لو كان إلهًا لما استسلم لذلك الذل والصغر فيعلموا أن إلههم واحد فلم يذكروا «**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ**» يعني قوم فرعون «**الْحَسَنَةُ**» قيل: الخصب والسعة والسلامة وكثرة النعم والثمرات «**قَالُوا لَنَا هَذِهِ**» يعني إنما نستحقه ونحن أهله، وقيل: ذلك لنا على حسب ما جرت به عادة بلادنا، عن أبي علي. وقيل: لنا هذه بما نحن عليه من طاعة فرعون، عن الأصم. «**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**» قيل: جدب وضيق رزق ومرض وبلاء، قال أبو علي: الحسنة والسيئة ههنا مجاز وتوسع؛ لأن الحسنة ما حسن من الفعل، والسيئة ما قبح، إلا أنه يستعمل في اللغة في النعمة والشدة مجازًا، وقيل: إنه من المشترك فيهما لظهوره في الناس[1] «**يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى**[2]» قيل: يتشاءموا به عن الحسن ومجاهد وابن زيد. قالوا: ما رأينا شرًا ولا أصابنا بلاء حتى رأيناكم، فهذا إنما لقينا من شؤمكم، وقيل: بلغ ملك فرعون أربعمائة سنة، ثلاثمائة وعشرين لا يرى مكروهًا.

ثم نزه موسى من قولهم فقال سبحانه: «**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ**» قيل: أنصباؤهم[3] وحظهم من الخصب والجدب والنعمة والنقمة، وقيل: عصيانهم[4] عن ابن عباس. وقيل: ما قضى وقدر لهم، عن ابن عباس أيضًا. وقيل: ما أصابهم من

(١) لظهوره في الناس: لظهور النافي، ض.
(٢) بموسى: ـ ، أ.
(٣) أنصباؤهم: أنصباهم، أ.
(٤) عصيانهم: عصابتهم، د.

الجدب، عن أبي علي. وقيل: هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم، وقيل: طائره مشؤمهم فهو ما ينزل بهم من العذاب يوم القيامة عقوبة لهم على تركهم دين موسى، عن الأصم. «**عند الله**» محفوظ عليهم، عن الحسن. وقيل: هو فعله «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» أن ذلك عند الله عقوبة لهم، عن أبي علي. وقيل: لا يعلمون أن الشؤم والبلاء عليهم يوم القيامة بكفرهم، عن الأصم. وقيل: «**لا يعلمون**» لا يتفكرون ليعلموا، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على قولنا في اللطف؛ لأنه ـ تعالى ـ بَيَّنَ أنه أهلك قوم فرعون لينظر كيف يعلمون.

وتدل على أن الشدة والنعمة قد يكونان لطفًا وصلاحًا في الدين، لذلك قال: «**لعلهم يذكرون**».

وتدل على أنه أراد من الجميع أن يذكروا خلاف قول المجبرة؛ لأن معناه كي يذَّكروا[١].

وتدل على أن العمل والتذكر حادث[٢] من جهتهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على أن ما نسبوه إلى موسى إنما أنزله عليهم عقوبة بكفرهم.

وتدل على المنع من التطيّر[٣] بالمؤمنين كما فعل قوم فرعون؛ لأن البركة مع المؤمنين، والسوء مع الكفار والفسقة.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾

---

(١) يذكروا: يذكرون، أ.

(٢) حادث: حادثة، أ.

(٣) التطير: التطيير، أ؛ التطي، د.

۞ القراءة

قرأ العامة «**القُمَّل**» بضم القاف وتشديد الميم، وعن الحسن بفتح القاف وسكون الميم.

قال الفراء: لم نسمع لها واحدة، وقال الأحمر: واحدتها[١] قملة.

۞ اللغة

الطوفان: سيل الماء الذي يغشى كل شيء، وأصله من الطوف، يقال: طاف يطوف طوفًا وطوافًا، وقيل: هو مصدر لا يجمع كالرُّجْحان والنقصان عن الكوفيين، وقيل: هو جمع، واحِدُهُ طوفانة[٢] عن الأخفش ونحاة البصرة.

والضفادع واحدها ضِفْدَع، وهو: حيوان معروف يعيش في الماء.

۞ الإعراب

«**مهما**» قيل أصله (ما) الجزاء دخل عليها[٣] (ما) للتأكيد[٤] ، فحولت الألف الأولى[٥] هاء للتخفيف ولإزالة التكرير ولئلا يشبه الجحد، كذا قال الخليل.

وقيل: هي: (مه) بمعنى اكفف، دخلت على (ما) التي للجزاء، عن الكسائي.

وقيل: معناه (ما) والثانية زائدة، عن ابن زيد،وجزمت «**تأتنا**» لأن «**مهما**» من حروف المجازاة.

ويقال: لم حذف للجزم حروف المد واللين حتى حذف من «**تأتنا**» وأصله: تأتينا؟

قلنا: لأن من شأن الجازم أن يحذف ما يصادف من الحركة، فإذا لم يصادف

---

(١) واحدتها: واحدها، د.

(٢) طوفانة: طوفاه، أ.

(٣) عليها: عليه، د.

(٤) للتأكيد: التأكيد، أ.

(٥) الأولى: الأول، ض.

حركة عمل في نفس الحرف، لئلا يتعطل من[1] العمل مع أن حروف المد واللين حجاب[2] لحركات الإعراب.

«آيات مفصلات» في موضع نصب إلا أن التاء زائدة، تقول: آية مفصلة، ونصبها على الحال؛ لأن المعنى: أرسلنا عليهم هذه الأشياء في هذا الحال.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما قابلوا به تلك الآيات وما فعل ـ تعالى ـ بهم، فقال سبحانه: «**وَقَالُوا**» يعني قوم فرعون لموسى(عليه السلام) «**مَهْمَا**» قيل: معناه كلما «**تَأْتِنَا**» ومتى تأتنا، وقيل: معناه ما تأتنا، عن ابن زيد. «**مِنْ آيَةٍ**» حجة «**لِتَسْحَرَنَا**» يعني تموه علينا حتى تنقلنا عن دين فرعون، وقيل: توهم أنك صادق، عن أبي علي. «**فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**» أي: بمصدقين، فأشاروا إلى الإصرار على الكفر وقلة النظر في الآيات، وكل من اعتقد شيئًا لا عن نظر جهلاً أو تقليدًا فلا ينظر في الآيات والأدلة فيه، وهكذا عادة المخالفين[3] لنا ينفرون الناس عن النظر في الأدلة وعن استماع كلامنا، وهذه الآيات التي أشار إليها: العصا، واليد البيضاء، والسنون، ونقص الثمرات، فلم يعاجلهم الله ـ تعالى ـ بالعقوبة، بل زاد في الآيات لطفًا لهم؛ لأن بعضهم قد يؤمن عندهم، وتأكيدًا لأمر موسى(عليه السلام)، وقيل: لما زادوا في الكفر بعد إيمان السحرة ورؤية المعجزات دعا عليهم موسى فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم هذه الأشياء، فقال سبحانه: «**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ**» قيل: هو الغرق أرسل الله عليهم ماء السماء، عن ابن عباس. وقيل: كان ذلك أمرًا من الله ـ تعالى ـ طاف بهم، عن ابن عباس أيضًا، ومنه: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القلم:١٩]، وقيل: هو الموت الذريع عن مجاهد وعطاء، ويروى مرفوعًا. وقيل: الطوفان الطاعون أرسل[4] الله ذلك على منكري[5] آل

(١) من: مع، ض.
(٢) حجاب: مجاز، د.
(٣) المخالفين: المخلصين، د.
(٤) أرسل: إرسال، أ.
(٥) منكري: إنكار، أ.

فرعون فمات في ليلة ما الله أعلم بعددهم، قيل: هو الماء طفا فوق حروثهم، عن أبي قلابة. وقيل: السيل الشديد عن الأخفش. وقيل: كثرة المطر حتى أفسد زرعهم، وهدم بيوتهم، ودخل دورهم، ولم يصب[(١)] بني إسرائيل شيءٌ من ذلك، عن أبي علي. وقيل: أتاهم المطر من السبت إلى السبت لا ينقطع ولا يرون شمسًا، فتضرعوا إلى موسى ووعدوه الإيمان إن كشف عنهم ذلك، فدعا الله فكشف عنهم، وهبت الرياح، وجفت الأرض وأعشبت وأخرجت شيئًا كثيرًا، فقالوا: كان ذلك خيرًا لنا، فكفروا، فأرسل الله عليهم ما ذكر وهو الجراد، قيل: أمر الله ـ تعالى ـ موسى أن يشير بعصاه نحو المشرق والمغرب، ففعل، فانبث[(٢)] الجراد من الأفق، وجاء مثل الغمام، فأكل جميع تلك الزروع حتى أكل الأبواب وجذوع النخل وسائر الأبواب من الحديد، وحال بينهم وبين السماء، ولا يدخل بيوت بني إسرائيل، فعجبوا، وقالوا لموسى: اكشف عنا نؤمن بربك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا الله فكشف عنهم، وقيل: أشار بالعصا نحو المشرق والمغرب فرجعت من حيث جاءت بعد أن أقامت عليهم سبعة أيام، فرأوا وقد بقيت لهم بقية تكفيهم سنتهم، فنقضوا العهد ولم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم القمل، قيل: هو الدَّبَى صغار الجراد التي لا أجنحة لها، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وروى معمر عن قتادة أنها أولاد الجراد، وقيل: هو السوس التي تخرج من الحنطة، عن ابن عباس وسعيد بن جبير. وقيل: هو البراغيث، عن ابن زيد. وقيل: كبار القردان، عن أبي عبيد والأخفش.

قال أبو العالية: أرسل الله ـ تعالى ـ القراد على دوابهم فأهلكها حتى لم يقدروا على الميرة، وقيل: دواب سود صغار، عن الحسن وسعيد بن جبير. وقيل: القمل، عن عطاء، واستشهد بقراءة الحسن.

وقيل: أمر الله ـ تعالى ـ موسى بأن يأتي كثيب رمل، فأتاه، فضربه بعصاه، فانشالت القمل، فأتت باقي ما في زرعهم وأشجارهم، ودخلت[(٣)] ماءهم وطعامهم،

---

(١) يصب: يصبه، د.

(٢) فانبث: فأتت، د؛ فأنبثوا، أ.

(٣) ودخلت: وتدخل، أ.

وعن سعيد بن جبير: هوالسوس؛ فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فإذا لم يبق منه[1] إلا ثلاثة أقفزة.

وقيل: أخذت أشفارهم وشعورهم فكان أشد عليهم من الجراد، ولم يصب بني إسرائيل شيء[2]، فسألوا موسى أن يكشف عنهم ذلك ليؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل، فدعا الله ـ تعالى ـ فكشف، وقيل: أشار بعصاه فرجعوا، فنكثوا العهد وكفروا، وكانوا مع هذه المعجزات ينظرون إلى مال فرعون وفقر موسى، فيميلون إليه فعل الجهال الذين يغترون بالدنيا ويكون ذلك مبلغ علمهم، ويعملون ظاهر الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون.

وقيل: بقيت ذلك عليهم من السبت إلى السبت، فقالوا: حقًّا علمنا أنه ساحر حيث يجعل الرمل حيوانًا لا نؤمن به، وغرهم فرعون، فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت المدينة حتى ملأت الدور والفرش، ودخلت طعامهم وشرابهم حتى كانوا يجلسون عليها وتأذوا بها، وربما تدخل في فم المتكلم، وقيل: كان الواحد ينام فإذا انتبه تراكمت الضفادع فوقه، وقيل: أشار موسى بعصاه إلى البحر فأقبلت الضفادع، فشكوا إلى فرعون، فسأل موسى أن يكشف[3] عنهم لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا الله تعالى، فكشف عنهم بعدما قام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، وقيل: ضرب بعصاه الأرض، فعادوا إلى البحار.

وقيل: إنه ـ تعالى ـ قال لموسى أنظره ما استنظرك حتى يأتيك أمري، فنكثوا عهدهم ولم يؤمنوا، فأرسل الله ـ تعالى ـ عليهم الدم، فصارت مياههم وطعامهم دمًا عبيطًا، فكان الإسرائيلي يغترف فيكون ماء، ويغترف القبطي فيكون دمًا، حتى كانت الإسرائيلية تمج في فم القبطية فيصير دمًا في فيها، وبقيت كذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم، فأتوا موسى فعاهدوه لئن كشفت عنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فلما كشف ذلك عنهم قاموا إلى الطغيان، فأغرقهم الله.

---

(١) منه: فيه، ض.
(٢) شيء: شيئًا، أ.
(٣) يكشف: تكشف، د.

«**آيَاتٍ**» أي: حجج الله وبينات على صحة التوحيد ونبوة موسى، وأن ما يدعو إليه فرعون باطل «**مُفَصَّلاتٍ**» قيل: مبينات ظاهرات، عن مجاهد. وقيل: يتبع بعضها بعضًا بعد انقضاء الأول، وقيل: كان بين كل آية ثمانية أيام، عن الأصم، ولذلك قال: «**مُفَصَّلاتٍ**»، وقيل: كانت تمكث من السبت إلى السبت ثم ترفع شهرًا، عن ابن[١] جريج. وقيل: بقي موسى فيهم بعد أن غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات «**فَاسْتَكْبَرُوا**» أي: تكبروا عن قبول الحق والإيمان أنفة «**وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**» عاصين كافرين.

۞ الأحكام

تدل الآية على عناد القوم وإصرارهم على الكفر وجهلهم؛ حيث عاهدوا في كل آية أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا، أو حيث قالوا: أي آية تأتي بها على صدقك وإثبات إلهك فنحن لا نؤمن بها، وليس هذا عادةَ مَنْ غرضُهُ الحقُّ.

وتدل على أن التكبر والإجرام وترك الحق فِعْلُهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ أنزل هذه الآيات معجزة لموسى ولطفًا لقومه؛ لأن المعجزات الكثيرة إنما يجب إظهارها لطفًا لأنا بالأول نعلم الرسالة، وإذا لم يكن لطفًا لا يظهرها، ولهذا لم يظهر[٢] على النبي ﷺ كثيرًا مما اقترحوه.

ومتى قيل: أوليس لم يؤمن عنده أحد؟

قلنا: في الآية أن قوم فرعون لم يصلحوا عنده، وليس فيها أن غيرهم لم يصلح.

وقيل: يجوز أن يكون بعضهم أقرب إلى الصلاح، فلم يصلح في الحال.

وتدل على ذم من يرى الآيات ولا يتفكر فيها، فتدل على وجوب التدبر في الآيات.

---

(١) ابن: أبي، أ.

(٢) لطفا لأنا بالأول... يظهر: ـ، د.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**الرِّجْز**» بكسر الراء، وعن سعيد بن جبير ومجاهد بضم الراء، وهما لغتان كالعُضو والعِضو وهو القذر[1] ، ومنه: ﴿جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] أي: آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

اللغة

الرِّجْز والرُّجْز[2] لغتان، والرِّجْز: العذاب، والرُّجْز: الشيء[3]، وقيل: أصله الميل، وسمي العذاب رجزًا؛ لأنه عقوبة الميل. والعهد: العقد المؤكد، ونظيره: الوصية. والنكث: نقض العهد الذي يلزم الوفاء به، وأصله: النقص[4] وهو شعب الشيء[5] من حبل أو غيره. واليم: البحر. والغفلة: حال يعتري النفس ينافي اليقظة، غفل يغفل غفلة وغفولاً. والإغراق: الهلاك بالماء. والانتقام منهم: مجازاتهم على ما نقم منهم.

---

(١) القذر: الأرب، أ؛ الأذن، د.

(٢) الرجز والرُّجز: الرجز والرجس.

(٣) الشيء: البين، أ.

(٤) النقص: النكاية، أ.

(٥) الشيء: أيسر، أ.

❁ الإعراب

(لما) للماضي و(إذا) للمستقبل، ومحل (موسى) رفع؛ لأنه[1] نداء مفرد، واللام في قوله: «**لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ**» لام القسم.

ويقال: ما عامل الإعراب في قوله: «**إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**»؟

قلنا: «**يَنْكُثُونَ**» لأنه بمنزلة قوله: خرجت فإذا زيد وإذا جواب.

❁ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما آل أمرهم إليه، منبهًا على ضعف فرعون وأن مثله لا يكون إلهًا، فقال سبحانه: «**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ**» أي: على قوم فرعون «**الرِّجْزُ**» قيل: العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وابن زيد. وهو ما نزل من الطوفان وغيره، وقيل: هو الطاعون أصابهم فمات في القبط سبعون ألف إنسان، عن سعيد بن جبير، وهوالعذاب السادس، وقيل: هو السخط، عن الأصم. وقيل: الرجز: الدم؛ لأنه نغص عليهم عيشهم، عن عكرمة. «**قَالُوا**» يعني فرعون وقومه «**يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ**» قيل: بما تقدم إليك أن تدعوه به فإنه يجيبك كما أجابك في آياتك، وقيل: بما عهد عندك على معنى القسم، وقيل: بما عهد عندك أنا لو آمنا لرفع عنا العذاب، وقيل: بما وعدك، وقيل: من النبوة، عن أبي مسلم. وقيل: بماأوصاك،عنأبي العالية «**لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ**» أي: العذاب «**لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ**» أي: نصدقك في أنك نبي، وأن مرسلك الله «**وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ**» يعني نطلقهم من الاستخدام «**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ**» أي: العذاب «**إِلَى أَجَلٍ**» وقت «**هُمْ بَالِغُوهُ**» قيل: هوالغرق،وقيل: هو الأجل المقدر، عن الحسن. «**إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**» ينقضون العهد «**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**» يعني انتصرنا منهم بسلب بعضهم وإنزال العذاب بهم «**فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**» أي: أهلكناهم بالغرق في البحر، وإنما جعل مقدمات الغرق عقوبة لهم فأما ما يحصل بعد الموت فيستحيل أن يكون عقوبة، وهم لا يشعرون به ولا ينالون «**بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» يعني فعلنا بهم جزاءً لتكذيبهم بحججنا وجحودهم لها، وخص التكذيب؛ لأنه ـ تعالى ـ

---

(١) لأنه: لا، أ.

إنما ينزل عذاب الاستئصال بالمكذب دون غيره، وقيل: إنه ـ تعالى ـ أثبت التكذيب والغفلة ولم ينف غيرهما[1] «**وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**» عن الآيات، وقيل: الوعيد للتعرض للغفلة حتى صاروا لا يتعظون بها، وقيل: الوعيد على الإعراض عن الآيات حتى صاروا كالغافلين عنها، وقيل: صاروا عن النقمة غافلين، عن الأصم.

الأحكام

تدل الآية أنه ـ تعالى ـ أهلكهم بعد أن أزاح العلة بالآيات.

وتدل على [أن] ما أصابهم كان عقوبة وجزاء على فعلهم.

وتدل على قبح الإعراض عن آيات الله.

وتدل على وجوب النظر.

وتدل على أنهم كانوا قادرين على الإيمان؛ لذلك قالوا: «**لنؤمنن لك**».

وتدل على [أن] التكذيب والإيمان فعلهم؛ فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

وتدل على أن النكث فعلهم والإعراض؛ فلذلك عاقبهم عليها.

قوله تعالى:
﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «**يعرُشون**» بضم الراء[2]، وفي (النحل) مثله، وهي قراءة ابن عباس. وقرأ الباقون بكسر الراء، وهما لغتان فصيح تاني عرُش، ويعرِش.

---

(١) غيرهما: غيره، أ.

(٢) حجة القراءات ٢٩٤.

۞ اللغة

الاستضعاف: طلب الضعف بالاستطالة والقهر، ويقال: استضعفته: وجدته ضعيفًا.

والتعريش: أصله الرفع، ومنه سمي السرير عرشًا، وسمي البناء عرشًا، ومنه: عريش الكوفة.

۞ الإعراب

نصب «**مشارق الأرض ومغاربها**»؛ لأنه مفعول (أورثنا)، كقولك: ورثته المال. وقيل: إنه نصب على الظرف، تقديره: أورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - ما أنعم به على بني إسرائيل وأنزل بقوم فرعون من العقاب، فقال سبحانه: «**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ**» أي: أعطيناهم ومكناهم بعد إهلاك قوم فرعون، فكأنه ورثوه منهم «**الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ**» يعني بني إسرائيل الضعفاء في أيديهم: يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، ويستعبدونهم «**مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا**» يعني جهات المشرق والمغرب، قيل: هي أرض الشام ومصر، عن الحسن. وقيل: أرض الشام، عن قتادة. وقيل: أرض مصر، عن أبي علي. «**الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**» قيل: بإخراج الزروع والثمار، وكثرة المياه، وضروب المنافع، وقيل: بالخصب «**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قيل: هو إنجاز الوعد وإهلاك عدوهم، واستخلافهم، فذلك تمام كلمته عليهم، وقيل: كلمته قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥]، وقيل: «**تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ**» أي: نعمه على بني إسرائيل نجاتهم وغرق فرعون، وهذا كما يقال: جاء ما قاله فلان، يعني ما أخبر به، وقيل: نعمة ربك الحسنى، يعني يجزون الحسنى يوم القيامة، وهو الوعد بالحسنة، عن الحسن. وإنما تسمى حسنى؛ لأن فيها ما يحسن «**بِمَا صَبَرُوا**» على دينهم وأذى قوم فرعون «**وَدَمَّرْنَا**» أي: أهلكنا وجزينا «**مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ**» وقيل: ما اتخذوا من المصانع للمياه، عن أبي مسلم. ونظيره: ﴿وَتَتَّخِذُونَ

مَصَانِعَ﴾ [الشعراء:١٢٩]، وقيل: ما كان يعمل في مغالبة بني إسرائيل، وفيما يستعين بها على ظلمهم، عن أبي علي. وقيل: ما يفعلون من الكفر والظلم، عن الأصم. وقيل: ما كان يصنعه من الآلات والرسوم «**وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**» قيل: يبنون من الأبنية والقصور، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: هوتعريش الكرم، عن الحسن. وقيل: تعريش الشجر والأبنية، عن أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية على الحث على الصبر في الطاعة؛ لأنه بَيَّنَ أنه أعطى بني إسرائيل ذلك بصبرهم، كما أهلك قوم فرعون بتكذيبهم، ومعلوم أن ذلك الصبر إما أن يكون على المقام على الدين مع ما ينالهم من الأذى أو على الأذى الذي ينالهم من أعدائهم.

وتدل على المنع من الركون إلى الدنيا ونعيمها والتزهيد فيها؛ حيث لا تبقى على حالة واحدة.

وتدل على أن العقوبة جزاء على الأعمال.

وتدل على أن الصبر فعل بني إسرائيل، والتكذيب والتعريش فعل قوم فرعون؛ فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**يعكِفون**» بكسر الكاف[1] ، والباقون بضم الكاف، وهما لغتان، عَكَفَ يَعْكِفُ ويعكُف عَكْفًا وعكوفًا، واعتكف اعتكافًا، وعكف على الشيء

---

(١) حجة القراءات ٢٩٤.

واضب عليه، والعكوف: لزوم الأمر والإقبال عليه، ومنه: الاعتكاف، ويقال: ما عكفك عن كذا؛ أي: ما حبسك، والاعتكاف: لزوم المسجد للعبادة فيه إذا أتى بشرائطه.

۞ اللغة

المجاوزة: الإخراج عن الحد، جاز يجوز جوازًا. والبحر: أصله السعة، ومنه: تبحر فلان في العلم، والبحر: مستقر الماء الذي هو أعظم من النهر. والتَّبَار[1]: الهلاك، ومنه التِّبْر: الذهب، وفيه قولان: أحدهما: لأن معدنه مهلك[2]، والثاني: قال الزجاج: يقال لكل إناء مكسر متبر، وكسارته: تبر. وبغى وطلب من النظائر غير أن (بغى) يتعدى إلى مفعولين؛ لأن فيه معنى أعطاه الخير الذي طلبه، وليس في الطلب معنى المطلوب به.

۞ الإعراب

قوله: «**إلهًا**» في نصبه وجهان:

أحدهما: الحال كأنه قيل: أطلب لكم غير الله معبودًا، ونصب «**غير**» في هذا الوجه على المفعول به.

والثاني: أن يكون المفعول به و«**غير**» الحال المتقدمة التي لو تأخرت كان صفة.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل، وما سألوا موسى عنه من المحال، وما أجيبوا به، فقال سبحانه: «**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ**» أي: قطعنا بهم البحر، أي: جعلنا لهم طريقًا[3] فيها يابسة حتى عبروا، ثم أغرق فرعون وقومه فيه، قيل: عبر بهم

---

(١) والتبار: والتبان، أ.
(٢) مهلك: مهلكا، أ.
(٣) طريقا: طرقا، أ.

موسى يوم عاشوراء بعد مهلكة فرعون، فصام ذلك اليوم شكرًا، عن الكلبي. «**فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ**» أي: يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها، والأصنام الأوثان، وكانوا يعبدونها، وقيل: كانت تماثيل البقر، وكان أول بادٍ[1] العجل، عن ابن جريج. وقيل: كانوا بالرقة، عن قتادة. واختلفوا، فقيل: كان هؤلاء القوم من لخم، وقيل: كانوا من الكنعانيين، وقيل: كانوا من القبط يعبدون أصنامًا تقربًا إلى فرعون بعبادة ما نصبلهم، فأرادوا أن ينصب لهم إلهًا يتقربون إلى الله، عن الأصم. «**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا**» قيل: كانوا جهلة غير محققين في الدين، وكانوا بعض بني إسرائيل؛ لأن فيهم من كانوا محققين، ولذلك ناقضوا من وجوه:

أحدها: قولهم: اجعل لنا إلهًا، والمجعول لا يكون إلهًا.

والثاني: أنهم لم يعلموا أن الأصنام ليست بآلهة.

وقيل: أرادوا مثالاً يعبدونه تقربًا إلى الله، عن الأصم.

وقيل: أرادوا أن يكون معبودهم مشبهًا هذا، عن أبي علي.

وقيل: جوزوا عبادة غير الله جهلاً، فسألوا ذلك، وهذا القول كُفرٌ منهم.

«**قَالَ**» موسى لهم «**إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**» ربكم وعظمته وصفاته، عن أبي علي. ولو علمتموه على ما يستحقه من الصفات حق معرفته لما قلتم هذا القول، وقيل: تجهلون أنه لا يجوز عبادة غير الله تعالى، وقيل: تجهلون ما ينزل بكم بهذا القول «**إِنَّ هَؤُلَاءِ**» يعني القوم الذين عبدوا الأصنام «**مُتَبَّرٌ**» مهلك مدمر «**مَا هُمْ فِيهِ**» يعني عبادتهم الأصنام، وقيل: العابد والمعبود مهلك «**وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» قيل: قوله (كان) صلة، والمعنى: وباطل ما يعملون أي: عملهم لا يعود عليهم بنفع ولا يدفع عنهم ضرًّا فصار كأن لم يكن، وقيل: بطل عملهم حيث لم ينتفعوا به ويهلكهم، عن الأصم. و» **قَالَ**» موسى لقومه «**أَغَيْرَ اللَّهِ**» استفهام والمراد الإنكار، يعني لا أبغي «**أَبْغِيكُمْ**» ألتمس وأطلب لكم، فحذف حرف الصفه» **إِلَهًا**» معبودًا تعبدونه سوى

(١) باد: بيان، أ.

الله «**وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**» قيل: عالمي زمانهم، عن الحسن وأبي علي. وقيل: خصكم بفضائل لم يعطها أحدًا بأن أرسل إليك مرجلين منكم، وأغرق فرعون وقومه، ونجاكم منهم، وأورثكم أرضهم، فبيّن أن الله ليس بِشَيْءٍ يُطْلَبُ ويُجْعَلُ، ولكن الإله[1] من اختص بصفات، ويكون هو المنعم الذي يستحق العبادة دون غيره.

۞ الأحكام

تدل الآية على جهل القوم بأمر الله ـ تعالى ـ وصفاته.

وتدل على أن موسى رد عليهم، وبيّن أن الإله من يستحق العبادة لِمَا اختص به من النعم.

وتدل على بطلان قول أصحاب المعارف لذلك قال: «**تجهلون**».

وتدل على أن ذلك العبادة فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

۞ القراءة

قرأ ابن عامر «**وإذ أنجاكم**»[2] من غير ياء ولا نون على لفظ الماضي، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون «**أنجيناكم**» بالياء والنون على لفظ الحكاية.

وقرأ نافع «**يَقْتُلون**» بالتخفيف على التقليل من القتل[3]، وقرأ الباقون: «**يُقَتِّلون**» بالتشديد من التقتيل على تكثير القتل.

---

(١) الإله: الآية، أ.

(٢) حجة القراءات ٢٩٤.

(٣) حجة القراءات ٢٩٤.

۞ اللغة

النجاة: الخلاص مما تخاف، وأصله من النجوة، وهو الارتفاع، ومنه: «النجا النجا»، أي: الارتفاع في السير، ومنه: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢] أي: نلقيك على نجوة من الأرض. ويسومونكم من السوم، وهو مجاوزة الحد، ومنه: السوم في البيع؛ لأنه تجاوز الحد في السعر إلى الزيادة. والسائمة التي[١] تجاوز[٢] البيوت للرعي، يقال: سام فرسه. والبلاء: المحنة، ثم يستعمل في النعمة والخير، فيكون مرة ابتلاء بالنعم، ومرة بالمحن، وقيل: يسومونكم: يطلبونكم به من سوم البيع فهو أن يطلب السلعة بالثمن.

۞ الإعراب

«أنجاهم» الهمزة للتعدية[٣] كقولهم: أذهبت وذهبت به، وإذا قيل: «نجيناكم» بالتشديد [يكون] للتعدية والتكثير[٤].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - النعم التي بها فضلهم على العالمين، فقال سبحانه: «**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ**» خلصناكم «**مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**» أي: يحملونكم على سوء العذاب إذلالاً، وقيل: يطلبونكم فيه، وقيل: يلقونكم الأعمال الشاقة، عن أبي علي. «**يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ**» أي: يكثرون قتل أبنائكم «**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**» أي: يَسْتَبْقُون نساءكم للمهنة والخدمة «**وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ**» يعني: فيما فعل بكم من النجاة نعمة عظيمة عليهم لربكم، وقيل: ابتلاء عظيم، وقيل: في تخليته إياهم وقوم فرعون محنة عظيمة.

---

(١) التي: أن، أ، ض.
(٢) تجاوز: تجاوزوا، أ.
(٣) للتعدية: المتعدية، أ.
(٤) والتكثير: والتكثر، أ، د. والصواب ما أثبتناه؛ لأن نجيناكم يحتمل التعدية ويحتمل التكثير. انظر: تفسير البيان للطوسي: ٤/ ٥٣١.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن النجاة من الضرر والخوف من أعظم النعم[1] ، فكل عاقل يعلم أن تخليص الغير من ضرر عظيم بمنزلة[2] الإنعام عليه.

وتدل على أن هلاك الأعداء نعمة من الله يجب مقابلتها بالشكر. وتدل على أن المحن في الأولاد والأهالي بمنزلة المحن في النفس، وتجري مجراه، لهذا قال مشايخنا: إن ما فعله يزيد وأصحابه بالحسين (عليه السلام) وشيعته كان كأنه فعل برسول الله ﷺ؛ ولذلك عظمت عقوبتهم، ولأنه كان هو الإمام، والخروج عليه وقتله يكون أعظم، فهذه أحد الوجوه التي لأجلها عظمت عقوبتهم إلى ما سوى ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب **(وعدنا)** بغير ألف[3] ؛ لأن الله ـ تعالى ـ وعده. وقرأ الباقون **(واعدنا)** بالألف على المفاعلة؛ لأن الوعد كان بين الله ـ تعالى ـ وموسى، فإذا قرئ (وعدنا) فالمصدر[4] وَعْدٌ وعِدَةٌ، وإذا قرئ (واعدنا) فمصدره مواعدة.

۞ اللغة

الوعد يكون بالخير والشر، والوعيد لا يكون إلا بالشر، والمواعدة: الميعاد،

---

(١) النعم: النقم، أ.

(٢) بمنزلة: منزلة، أ.

(٣) حجة القراءات ٢٩٤.

(٤) فالمصدر: المصدر، أ.

والوعد لا يجمع. والميقات مفعال من الوقت كالميعاد من الوعد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، والميعاد: المكان الموقت له، والوقت: الزمان، والموقوت: الشيء المحدود، والميقات: مصير الوقت، والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما ورد ليعمل فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت للشيء قدره مقدر أو لم يقدره؛ ولهذا يقال: مواقيت الحج.

۞ الإعراب

«**ثلاثين**» منصوب بـ «**واعدنا**»، والهاء في (**أتممناها**) يحتمل الليلة، ويحتمل العدة.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ تمام نعمه على بني إسرائيل بالكتاب وغيره، فقال سبحانه: «**وَوَاعَدْنَا**» قيل: وعد موسى بني إسرائيل ـ وهم بمصر ـ أنه إذا هلك فرعون أتاهم بآيات، فلما غرق فرعون سأل موسى ربه موعده ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين يومًا وينفرد بالعبادة، فلما صام أَمَرَهُ أن يقوم عشرًا أخر، وقيل: أمره أن ينفرد للصلاة ثلاثين يومًا ثم ينزل عليه التوراة في العشر «**مُوسَى ثَلاثِينَ**» ينفرد فيها للعبادة في المكان الذي وقت له، ثم أتم العشر، وقيل: أمره بأن يصوم ثلاثين ليلة، وقيل: وعده بقضاء ثلاثين يصوم فيها، ويترقب فيها المناجاة، ثم أتم بعشر.

واختلفوا في هذه الأربعين.

قيل: ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ومرزوق.

وقيل: ذو الحجة وعشر من المحرم، عن بعضهم، حكاه الشيخ أبو حامد، وإنما قال: «**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**» لأنه أراد شهرًا وعشرة أيام، وقيل: لأنه أمره بالصوم ثلاثين يومًا ليخاطبه بالتوراة، فلما كان الحادي والثلاثون[1] استاك ليقطع الخُلُوفَ، فجاءه

(١) والثلاثون: الثلاثين، أ.

الملك وأمره أن يصوم عشرًا أخر، ولا يقطع خُلُوفه. «**فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» قيل: تم الوقت المضروب له في ذلك المكان له[1]، يعني ليلة، وإنما ذكر أربعين ليلة إزالة للتوهم أن ذلك العشر من الثلاثين، كأنه كان عشرين، ثم أتم العشر فصار ثلاثين، فأزال هذا الإيهام.

ومتى قيل: لِمَ لَمْ يذكر المدة مرة واحدة؟

قلنا: لمصلحة هو أعلم بها، وإذا علمنا أنه ـ تعالى ـ حكيم لا يقول ولا يفعل إلا لمصلحة لكفى[2]، وإن لم نعلم وجه المصلحة في كل فعل وقول؛ لأن ذلك مما يتعذر.

وقيل: أمرهم بثلاثين وليوطنوا أنفسهم عليه، ثم أمرهم بالعشر ابتلاء ومحنة.

وقيل: في المدة الأولى تفرد بالذهاب، وفي الثانية حضره المشيعون، ولما لم يحضره في الثلاثين زاد عشرًا ليحضروا، عن أبي مسلم.

وقيل: المدة الأولى للعبادة، والثانية لنزول التوراة.

وقيل: يجوز أن يكون أتى الطور متوقعًا أمر الله ـ تعالى ـ منتظرًا إلحاق قومه، فلما أعلمه الله بخبرهم مع السامري رجع إلى قومه، ثم عاد للميقات في عشر أخر، عن أبي مسلم.

وقيل: أمره بالثلاثين للعبادة، ثم أمره بالعشر لتوقع نزول الكتاب، وفيها نزلت التوراة، وكلمه الله ـ تعالى ـ فأخبر أن الثلاثين لأمر آخر، وإن كان الجميع ميقاتًا، عن الأصم.

«**وَقَالَ مُوسَى**» وقت خروجه إلى الميقات «**لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**» قيل: كن[3] خليفتي في قومي، قيل: كانت الرئاسة لموسى عليه على أمته؛ فلذلك قال:

(١) المكان له: ـ، أ.
(٢) لكفى: يكفي، أ.
(٣) كن: في، أ.

اخلفني، عن علي بن عيسى. وقيل: كان الشرط أن يجتمع رأيهما فلما خرج جعله خليفة في ما [أوكل] إليه، وقيل: استخلفه في أمور من خاصته لا تتصلب النبوة، فكان موسى يختص بالقيام به، وقيل: كانا شريكين في النبوة والأمر، وإنما قال: اخلفني أخرج أنا وتقيم أنت، لا أنه كان يحتاج إلى إذنه في التصرف، وقيل: إن موسى استخلف هارون وخرج في هذه الخرجة، وأخرج مع نفسه السبعين الذين[1] اختارهم ليشهدوا له، فلما سمعوا كلام الله لموسى شهدوا له، عن أبي علي. وقيل: بل خرج بنفسه[2] في هذه المرة[3] ثم خرج بعد ذلك لما عبدوا العجل للتوبة، وأخرجهم مع نفسه «**وَأَصْلِحْ**» يعني أصلح فيما بينهم، وأصلح فسادهم عند غيبتي، وإنما قال ذلك لكثرة ما رأى من خلافهم وفسادهم، وقيل: أصلحهم أي: احملهم على الطاعة «**وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**» أي: لا تسلك طريقة العاصين، ولا تكن عونًا للظالمين، قيل: لا توافقهم ولا تجبهم إلى فساد، عن الأصم.

ومتى قيل: لم قال هذا، وهو يعلم أنه لا يفعله؟

قلنا: المراد بذلك إصلاح قومه، وإن كان هو المخاطب، ويجوز أن يقال مثل هذا مع العلم بأنه لا يفعله، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥].

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ذكر الثلاثين لا يدل على أن ما فوقه[4] بخلافه، فالواجب تعليق الحكم بالثلاثين والتوقف فيما وراءه، لولا ذلك لكان العشر كالنقض[5] والبداء، فدل على بطلان قول من يقول: إن تعليق الحكم بصفة يدل على أن ما عداه بخلافه.

وتدل على أن الشرائع مصالح، وأنها تختلف بالأزمنة والأمكنة، فكأنه علم أن

---

(١) الذين: الذي، أ.
(٢) بنفسه: بتسعة، أ.
(٣) المرة: المدة، أ.
(٤) فوقه: قومه، أ.
(٥) كالنقض: كالنقص، د.

الصلاح أن يعتكف ثلاثين ليلة عند الميقات على العبادة لكي يكلمه الله، وينزل عليه التوراة، ثم بعد ذلك تعبده بعشر أخر متوقعًا وعده.

وتدل على أنه استخلف هارون عند خروجه لما[1] رأى أنهم أشد طاعة له وأكثر قبولاً منه، ومخاطبات موسى(عليه السلام) وجوابه له لقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه:٩٣] وقول هارون: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ [طه:٩٤] ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف:١٥]، كل ذلك كالدال على أن موسى كان يختص بنوع من الولاية، وإن اشتركا في النبوة، والظاهر أنه استخلفه إلى أن يرجع؛ لأنه المعقول من الاستخلاف عند الغيبة.

وتدل على أنه يجوز أن ينهاه عن شيء يعلم أنه لا يفعله، ويأمره بما يعلم أنه سيفعله؛ عظة له واعتبارًا لغيره، وتأكيدًا ومصلحة للجميع.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**دكاء**» بالمد والهمزة. وقرأ[2] الباقون بالتنوين غير مهموزة[3] ولا ممدودة[4] ، فمن[5] قصره فمعناه: جعله مدكوكًا، والدك والدق[6]

---

(١) لما: لم، أ.

(٢) قرأ: ـ ، د.

(٣) مهموزة: مهموز، أ، د.

(٤) حجة القراءات ٢٩٥.

(٥) فمن: من، د.

(٦) والدق: ـ ، د.

بمعنى، والكاف والقاف يتعاقبان[1] كقولهم: كلام رقيق وركيك، ويجوز أن يكون معناه: دكه الله دكا.

ومن مده فهو من قولهم: ناقة دكاء لا سنام لها، ومعناه: جعلنا أرضًا دكا؛ أي: مستوية لا شيء فيها. والجبل مذكر، فلذلك صرفناه إلى الأرض، وقيل: معناه جعله مثل دكاء فحذف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهل القرية.

قال الأخفش: من مد قال في الجمع: دكَّاوات ودُكٌّ، مثل حمراوات وحُمْرٌ، ومن قال: أرض دك قال في الجمع: دكوك.

اللغة

التجلي: أصله الظهور، تجلى الشيء: ظهار وانكشف، ومنه: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل:٢]، ومنه: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشمس:٣] أي: الشمس؛ لأنها تنير إذا انبسط النهار، وقيل: إذا جَلَّى الظلمة عن الدنيا، ويقال للسيد: هو ابن جَلاَ؛ لأنه لم يخف أمره لشهرته، وفي خطبة الحجاج:

أنا ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثنايا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوني[2]

قال سيبويه: «جلا» فعل ماضٍ[3] فكأنه بمعنى أي الذي جلاَ، أي: أوضح وكشف، والشعر للفلاح بن حربله:

أنا الفلاحُ بنُ حبابِ بنِ جَلا أَبُو جَبَابِير أفود

الجبابير: الدواهي، ورجل أَجْلى[4]: إذا ذهب شعر رأسه، أي: نصفه، والتجلي: الظهور بالرؤية والدلالة، وجَلَّى[5] ببصره تَجْلِيَةً[6] أي رمى ببصره. والدك:

(١) يتعاقبان: بمعنى فقال، أ؛ تعاقبان، د.
(٢) العين(حلو)، وتاج العروس (طلع).
(٣) ماض: ماضي، أ، ض.
(٤) أجلى: أجلا، أ، ض.
(٥) وجلى: وجلا، أ.
(٦) تجلية: الجملا، أ، ض.

السحق، دكه يدكه دكًا، ومنه: الدكة، قال الأزهري: دككته: دققته، واندك السنام[1]: لصق بالظهر، ودَكَّ[2] الرجل أي دكه المرض. والفُوَاق: رجوع الشيء إلى الضرع بعد الحلب، ومنه: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص:١٥]، وأفاق السكران يفيق: إذا رجع عقله إليه من ذلك، وقيل: الفواق ما بين حلبتي الناقة، وهو مشتق من الرجوع، وهو يرجع إلى ما قدمنا من رجوع اللبن إلى الضرع بعد حلبتين، وأفاق من مرضه وغيبته أي: رجعت الصحة إليه، وقول الأشتر لعلي يوم صفين: (أنظرني فواق ناقة)، حين رفعت المصاحف أي: قدر ما بين الحلبتين. وخرّ: سقط، وخر عند النوم وخَرْخَرَ.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ حديث الميقات الذي تقدم الوعد به، فقال سبحانه: «**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا**» أي: الموضع الذي وقَّتْنا له، عن الأصم. وقيل: الوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه، وقيل: إن موسى تطهر وأتى الميقات وكلمه الله وناداه، وقيل: إنه كلمه في هذه المرة من السحاب، وكان السحاب محل الكلام لأنه عرض، لا بد له من محل، وفي ابتداء النبوة من الشجرة، فكانت الشجرة محلاًّ للكلام، عن أبي علي. وقيل: كلمه بحضرة السبعين، فسألوه أن يسأل الرؤية، عن أبي علي. «**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**» أي: أرني نفسك أنظر إليك فأراك.

اختلف العلماء في سؤاله الرؤية، فقيل: سأل ذلك عن قومه لاستخراج الجواب لهم لما قالوا: أرنا الله جهرة، وقوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، ولذلك قال موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، وهذا قول أبي علي وأبي هاشم، واختيار القاضي وأبي مسلم، وهو الوجه.

ومتى قيل: هلا أجابهم موسى؟

قلنا: علم أنهم لا يقتنعون بجوابه.

---

(١) السنام: للسنام، أ.

(٢) ودك: دلك، أ.

وقيل: سأل ليكفوا عن سؤاله، فقد كانوا ألهجوا به، ويجوز أن يكون أجابهم فلم يقتنعوا، وهذا لا يستبعد[1] من قوم يعبدون عجلاً، ويقولون لنبيهم: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، ويقولون: اذهب أنت وربك فقاتلا[2] إنا ههنا قاعدون، إلى أمثال ذلك.

ومتى قيل: أليس أضاف السؤال إلى نفسه؟

قلنا: لأنه لو أضاف إليهم[3] وورد الجواب بنفي الرؤية كانوا لا يقنعون به، فأضاف قَطْعًا للنزاع، وإن كان دلالة الحال وسؤالهم يدل أنه سأل ذلك عنهم لا عن نفسه، والذي يدل عليه أنهم عوقبوا دون موسى.

الثاني: قيل: لم يسأل الرؤية بالعين ولكن سأل علم الضرورة، فبيَّن ـ تعالى ـ أن ذلك لا يكون مع بقاء التكليف، عن أبي القاسم، إلا أن فيه ضعفا؛ لأن السؤال يبقى لعلم موسى أنه لا يجوز كونها أملا[4].

الثالث: أنه سأل الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه، عن الحسن والربيع والسدي. وذلك لأن معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الرؤية فكان كالمتوقف فيه، ويصح معرفته بالسمع، فسأل وبَيَّنَ له ذلك، وهذا ضعيف؛ لأن الجهل بمسألة الرؤية مع أنها من أصول الدين[5] لا يجوز على الأنبياء، ولأنه تنفى عنه، ولأنه جهل بالله تعالى، فلا يجوز عليه، ولا شبهة أنه ﷺ كان يعرف[6] أنه ـ تعالى ـ لا يُرى.

الرابع: أنه سأل الله أن يظهر من قدرته ما يعلم من استحالة الرؤية عليه، ويستدلون به على ذلك، فكأنه يسأله ليظهر من أدلته ما يعلم أنه لا يُرى، فأجابه الله ـ تعالى ـ وقال: «**لَنْ تَرَانِي**» و(لن) للتأبيد، قال تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣]، ولأنه تمدح بنفي الرؤية فيعم الدارين كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

---

(١) لا يستبعد: لا يستبدع، أ، ك.
(٢) فقاتلا: فقاتل، أ، ك.
(٣) إليهم: إليه، أ.
(٤) أملا: ضعف، أ، ك.
(٥) الدين: ـ، د.
(٦) الأنبياء ولأنه تنفى عنه... يعرف: ـ، د.

[البقرة:٢٥٥]؛ ولأن التمدح إذا وقع بنفي صفة عن ذات فلا بد أن يكون إثباته نقصًا، ولو لم يكن إثباته نقصًا لما كان نفيه مدحًا، وصفات النقص لا تجوز على الله تعالى.

ومتى قيل: لو لم تجز الرؤية لِمَ[١] سأل؟

فجوابنا أن هذا يتوجه عليهم؛ لأن عندهم لا تجوز في الدنيا ومع ذلك سأل، وقد بينا أنه إنما سأل ذلك من جهة قومه.

«**وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**» قيل[٢] : هو أعظم جبل بمدين «**فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ**» أي: سكن «**فَسَوْفَ تَرَانِي**» يعني إن[٣] بقى الجبل ساكنًا فحينئذ تراني «**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ**» قيل: ظهر أمر ربه لأهل الجبال كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهل القرية، عن قطرب والكلبي. ومعناه: ظهر بآياته التي أحدثها في الجبل لأهل الجبل، وهذا كما يقال: الحمد الله الذي تجلى لنا بقدرته وكلماته تتجدد[٤] ، فكأن الله ـ تعالى ـ يتجلى للعباد بها، فلما أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهلها، وقيل: معناه جلى ربه آية للجبل فجعل فعلاً متعديًا كالتخلص والتوعد عن المبرد. وتقديره: جَلَّىَ ربه أمره للجبل، وجَلاَ وتجلَّى بمعنًى، كقولهم: حدَث وتحدَّث، بمعنًى أبرز للجبل في ملكوته ما تدكدك به؛ إذ في حكمه[٥] أن الدنيا لا تقوم لكل ما برز من الملكوت الذي في السماوات، كما قيل: إنه أبرز قدر الخنصر من العرش، وقيل: ظهر وحي ربه للجبل، عن الحسن. وقيل: ظهر نور ربه، عن ابن عباس والضحاك وسهل بن سعد. «**جَعَلَهُ دَكًّا**» قيل: مستويًا بالأرض، وقيل: ترابًا، عن ابن عباس. وقيل: سأخفي الأرض، عن الحسن وسفيان وأبي بكر الهذلي. وقيل: تقطع بأربع قطع، قطعة ذهبت نحو المشرق، وقطعة ذهبت نحو المغرب، وقطعة سقطت في البحر، وقطعة صارت رملاً. ويقال: رمل الهبير[٦] في البادية من ذلك،

---

(١) لم: لما، أ.
(٢) قيل: ـ ، د.
(٣) إن: أنى، أ.
(٤) وكلماته تتجدد: وكلما أنه يتجدد، أ، د.
(٥) حكمه: كلمه، أ.
(٦) الهبير: بياض، أ، رمل الهير، د.

وقيل: خرت الأصنام لوجهها، وخمدت نار المجوس «**وَخَرَّ مُوسَىٰ**» أي: سقط «**صَعِقًا**» أي: مغشيًا عليه، عن ابن عباس والحسن وابن زيد والأصم وأبي علي. ولم يمت، دليله قوله: «**فَلَمَّا أَفَاقَ**» ولا يقال للميت: أفاق، بل يقال: حيي، وقيل: صعقًا ميتًا، عن قتادة. وقيل: خر مغشيًا عليه يوم الخميس يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر، عن الكلبي. وإنما غشي عليه استعظامًا لما رأى من الآيات، وقيل: مبالغة في الزجر واستعظامًا لِمَا سألوا موسى، فقيل امتحانًا وابتلاءً «**فَلَمَّا أَفَاقَ**» من صعقته ورجع إليه عقله «**قَالَ**» موسى «**سُبْحَانَكَ**» أي: تنزيهك عن أن تجوز عليك الرؤية، وقيل: تنزيهًا لك أن تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية «**تُبْتُ إِلَيْكَ**» قيل: تاب من التقدم في المسألة قبل الإذن فيها، عن الأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: بل[1] من صغيرة[2] يذكرها، وقيل: هو على جهة التسبيح والتهليل ونحوه من الألفاظ التي تذكر عند ظهور جلائل الآيات، وعند الأمراض والمحن «**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**» المصدقين، قيل: أول مؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك، عن ابن عباس والحسن. وقيل: أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية، عن أبي علي. وقيل: أو لم نآمن بكم نبني إسرائيل، عن مجاهد والسدي وأبي مسلم.

الأحكام

تدل الآية على حدوث[3] الكلام؛ لأن ظاهره أنه كلمه حين جاء الميقات ولأن قوله[4]: «**لن تراني**» جواب عن سؤال، فإذا كان السؤال محدثًا كذلك الجواب، فدل ذلك على حدوث القرآن.

ويدل قوله: «**لن تراني**» على نفي الرؤية؛ لأنه نفى ذلك على التأبيد، ولأنه تمدح به، فيبطل قول من يُجَوِّزُ عليه ـ تعالى ـ الرؤية.

وتدل على عظم الخطأ في سؤال الرؤية حيث خر موسى صعقًا لدكوك الجبل فأخذتهم الصاعقة.

(١) بل: ـ، د.
(٢) صغيرة: صغير، أ.
(٣) حدوث: حذف، د.
(٤) ولأن قوله: ولا قوله، أ.

ومتى قيل: كيف علق الرؤية وهي مستحيلة باستقرار الجبل، وهو جائز؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: أنه لما صار دكًا استحال سكونه، فعلق المحال بالمحال.

الثاني: نبه بأن من يقدر على ذلك لا تجوز عليه الرؤية.

قوله تعالى:

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير ونافع «**برسالاتي**» [١] على الجمع، وذلك أنه ـ تعالى ـ أوحى إليه مرة بعد مرة، فكانت رسالات من هذه الجملة، وقيل: «**برسالاتي**» بُشْرَاهُ يعني وما جلبه من الرسالة، وهو أن[٢] يأخذه خالصًا له.

اللغة

الاصطفاء والاجتباء والاختيار نظائر، والاصطفاء: الاستخلاص[٣]، واللوح: صحيفة من خشب مهيأة للكتابة، ثم يقال: لوح فضة تشبيهًا، وكذلك[٤] لوح حجر[٥]، وأصل اللوح: اللمع، من قولهم: لاح الأمر يلوح لوحًا: إذا لمع وتلألأ. والتلويح[٦] التغيير لَوَّحَهُ السفر: إذا غيره تغييرًا[٧] يتبين أثره؛ لأن حاله تلوح بما نزل

---

(١) حجة القراءات ٢٩٥.

(٢) وهو أن: يعني أنه، أ.

(٣) والاجتباء... والاصطفاء: +، د.

(٤) وكذلك: لذلك، د.

(٥) لوح حجر: واللوح حجرة، د.

(٦) والتلويح: والتلوح، أ.

(٧) تغييراً: تغيرًا، د.

به، فسمي اللوح لوحًا؛ لأن المعاني تلوح بالكتابة فيه والموعظة، والعظة: التذكير بما يزجر عن القبيح ويصرفُ[1] مع الخوف. وعظه يعظه وعظا، وهو عَظَةَ وَعَظَهُ واتَّعَظَ، قيل: الوعظ. والقوة: القدرة. والفسق: الخروج عن الطاعة.

الإعراب

جزم «**يأخذوا**» لأنه جزاء. «**موسى**» محله رفع لأنه نداء مفرد.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما أوحى به إلى موسى (عليه السلام) عند الميقات، وروي عن النبي ﷺ أن الله أعطاه الألواح فنظر فيها، فقال: يا رب لقد كرمتني بكرامة لم تكرمها أحدًا قبلي، فقال تعالى: «**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ**»: اخترتك واختصصتك «**عَلَى النَّاسِ**» أي: من بين الناس «**بِرِسَالاتِي**» تنبيه لموسى بنعمته عليه «**وَبِكَلامِي**» يعني كَلَّمَهُ بلا واسطة، وقيل: كلمه[2] موسى على الطور، وكلمه[3] محمد عند سدرة المنتهى، وسأل موسى ربه أن يشرح صدره، وشرح صدر محمد بغير سؤال فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]، «**فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ**» أعطيتك من الكتاب «**وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**» أي: اشكر الله على نعمه «**وَكَتَبْنَا لَهُ**» يعني لموسى التوراة صحائف كتبت فيها التوراة، وقيل: كانت من بَرْد، عن الربيع بن أنس وأبي العالية. وقيل: كانت من زمردة خضراء، عن مجاهد. وقيل: من زبر جدة خضراء وياقوتة حمراء، وقيل: من ياقوتة، عن سعيد بن جبير. وقيل: من صخرة صماء، عن وهب. وقيل: كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن. وقيل: كانت الألواح عشرة على طول موسى، عن وهب. وقيل: كتبت الألواح بأقلام من ذهب، عن عكرمة. وقيل: كان موسى يسمع صرير القلم، عن وهب. «**مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**» قيل: التوراة، عن أبي علي، وهو الصحيح، وقيل: ما دلّه على عظمتنا، وقيل: من كل شيء يحتاج إليه «**مَوْعِظَةً**» قيل: موعظة

(١) ويصرف: وينصرفوا، أ، د.
(٢) وكلمه: كلم، د.
(٣) وكلمه: وكلم، د.

لقومه لما فيه من أخبار الأمم وعقوباتهم، عن أبي علي. وقل: هو الأمر والنهي، عن أبي مسلم. «**وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ**» أي: بيانًا وفصلاً بين الحلال والحرام والشرائع، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: لِمَا كان فيها التوحيد والشرائع، وقيل: لما احتاجوا إليه في الدين، عن الأصم. وقيل: مواعظ تدعوهم إلى الطاعة وتزجرهم عن المعصية، وقيل: أصول الدين وفروعه من الوعد والوعيد، وأخبار من تقدم، وأنباء من تأخر، وقيل: نزلت التوراة وهي سبعون وِقْرِ بعير «**فَخُذْهَا**» يا موسى «**بِقُوَّةٍ**» قيل: بجد واجتهاد تبليغًا وعلمًا وعملاً، وقيل: بجد ومواظبة، عن مقاتل. وقيل: بطاعة، عن الضحاك. «**وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا**» قيل: بالناسخ دون المنسوخ، عن أبي علي. وقيل: بالمأمور دون المنهي، عن الأصم. يعني العمل بالمأمور أحسن من العمل بالمنهي، وقيل: أحسن ما أمروا وهو الفرائض، عن ابن عباس. وقيل: يأخذوا بها وأحسن صدر، وقيل: معناه يأخذوا بحسنها، وكلها حسن، كقوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]، عن قطرب. وليس المراد إضافته، ولكن أراد خذها ودع ما سواها، كقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، وقيل: فيها فرائض ونوافل، فالأحسن الجمع بينهما، وأحسن المحاسن الفرائض والنوافل، وأدونها المباحات. وقيل: بأحسن الرسالات من تحليل وتحريم، والإيثار لمكارم الأخلاق، وقيل: أحسن الأشياء، عن أبي مسلم. وقيل: هو أن يتجه للكلمة[١] معانٍ[٢] فأصدقها هو[٣] الأحسن والأولى بالحق «**سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**» قيل: سأريكم جهنم، عن الحسن ومجاهد وأبي علي. أي[٤]: فليكن منكم على ذكر لتحذروا منها، وقيل: سأريكم جهنم إن خالفتم أمري، وقيل: منازل الجبابرة والقياصرة والأكاسرة الذين كفروا لتعتبروا بها وما صاروا إليه من النكال، وقيل: هو تهديد كقولهم: سأريك غدًا ما يصير إليه حالك وعاقبة أمرك إذا خالفت أمري، وتقديره: سأريكم محلهم وعاقبتهم،

---

(١) يتجه للكلمة: أريحة للتكلمه، د.
(٢) معان: معاني، أ.
(٣) هو: إلى، أ.
(٤) أي: ـ ، أ.

عن أبي مسلم. وقيل: دار فرعون وقومه بمصر، عن عطية العوفي. وقيل: مصارع الفاسقين، عن السدي. وقيل: ديار عاد وثمود، عن الكلبي. وقيل: ما يصير قرارهم، ويحتمل عذاب الدنيا والآخرة، عن الأصم. وقيل: سير الأولين، عن ابن زيد.

۞ الأحكام

تدل الآية على حدوث كلامه؛ لأن قوله: «**اصطفيتك**» أي: خصصتك به، ولو كان قديمًا لكان موسى وغيره سواء، ولما صح الاختصاص.

ويدل قوله: «**وكتبنا**» أنه أعطاه التوراة مكتوبة في الألواح عند الميقات؛ لتكون محروسة، وليبلغه الحاضرون إلى الباقين ليقع لهم العمل ضرورة.

وتدل على أن في التوراة الشرائع وجميع ما يحتاج إليه.

ويدل قوله: «**بقوة**» أن العبد قادر على الفعل قبل الفعل، وأنه يفعل بقدرة.

وتدل على أن فيه أحسن، وقد بينا ما قيل فيه.

ويدل قوله: «**دار الفاسقين**» أن الفاسق ليس بمؤمن؛ لأن جهنم ليس بدار للمؤمنين.

وتدل على تمييز الفاسق من المؤمن، فيدل على صحة قولنا في المنزلة بين المنزلتين.

وتدل على أن دار الفاسقين جهنم، فيبطل ما تقوله المرجئة.

قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «**يَرَوْا**» بفتح الياء والراء على أن الفعل لهم، وعن مالك بن دينار بضم الياء على معنى أنه يفعل بهم في ريهم الله الآيات.

وقرأ حمزة والكسائي «**الرَّشَد**» بفتح الشين والراء[1] وهي قراءة مجاهد وحميد والأعمش، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين، وفرق أبو عمرو بينهما فقال: الرُّشْد بضم الراء وسكون الشين: الصلاح في قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦] أي: صلاحًا بدفعها إليه، والرَّشَد بفتحها: الاستقامة في الدين، قال تعالى: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]، وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد مثل الحُزْن والْحَزَن، والسُّقْم والسَّقَم.

وقرأ أبو عبد الرحمن «**سبيل الرشاد**» بالألف، وهو مصدر كالصلاح والعفاف، وقيل: الرُّشْد بالضم الاسم، وبالفتحتين المصدر.

۞ اللغة

الصرف: مصدر صرفته عن الشيء صرفًا، وهو نقله إلا خلاف جهته. والرشد والرشادة: الهدى والاستقامة، وهو سلوك طريق الحق، رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا، وَرشِدَ يَرْشَدُ رَشَدًا وأرشده إرشادًا، ونقيضه: الغي، غوى يغوى غيًّا وغواية، وأغواه إغواءً. والحبوط: بطلان العمل حتى يصير كأن لم يكن، وأصله: الفساد، من قولهم: حبط، وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد ذلك[2]، يقال: حَبِطَتْ الإبل تَحْبَط حَبطًا، وحبط عمله، وأحبطه صاحبه.

۞ الإعراب

موضع «**الذين يتكبرون**» من الإعراب نصب لوقوع الفعل عليه، وتقديره: سأصرف المتكبرين.

---

(١) حجة القراءات ٢٩٥.

(٢) ذلك: الدلالا، أ، ض.

«**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا**» جزم على الجزاء والجواب.

۞ النظم

ويقال: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟ وبأي موضع تتصل؟

قلنا: قيل: فيه وجوه:

أحدها: أنه تقدم ذكر معجزة موسى وما قابلها السحرة من السحر، وما رام فرعون من إبطالها حتى ظهر الحق، وبطل ما صنعوا، فبين في هذه الآية أنه يصرف ويمنع المبطل عن إبطال آياته ومعجزات أنبيائه فيفصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون.

وثانيها: لما تقدم ذكر معجزات موسى، وبَيَّنَ أنه لا يظهر معجزاته على من ليس بنبي تنبيهًا على صدق موسى ومحمد ـ صلى الله عليهما ـ لمكان المعجزة.

وثالثها: لما تقدم إهلاك فرعون بين أنه يمنع المتكبرين مثل(١) فرعون وغيره من ملوك الأزمن عن رسله وحججه أن يصلوا إليه بمكروه وقتل حتى يؤدوا الرسالة، عن الأصم.

ورابعها: أنه خطاب لموسى (عليه السلام)، وقيل: بل جميعه من قوله: «**سَأَصْرِفُ...**» إلى آخر الآيات خطاب لنبينا محمد ﷺ معترض بين قصة موسى أنه يصرف عن آياته المتكبرين كما صرف فرعون عن موسى.

۞ المعنى

«**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ**» قيل: سأمنع الجبابرة أن يصلوا إلى قهر أنبيائي وإبطال آياتي، وذلك المنع إما بهلاكهم وتعذيبهم، أو بنصرة الأولياء عليهم، عن الأصم. وقيل: سأمنعهم عن آياتي التي أنزلتها لطفًا للمؤمنين دون المعجزات التي تثبت بها النبوة؛ لأن الألطاف إنما تفعل بمن يعلم أنه يصلح عنده، فمن لا لطف له لا يفعل

---

(١) مثل: كفر، أ، ض.

ذلك به، ولهذا لم ينزل على النبي ﷺ ما اقترحوا من الآيات؛ لأنهم لا يؤمنون عنده، فتصرف[1] هذه الآيات عمن ليس بلطف له، وصرفه ألاّ يفعل ذلك، فهذا الوجه اختاره القاضي؛ لأن ما يتصل به يليق به وهو قوله: «**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ...**» الآية، وقيل: سأصرف سأمنع المعجزات عن الكذابين والمتكبرين وأخص بها الأنبياء، فلا يظهرها إلا عليهم، خلاف قول الحشو: إن الله ـ تعالى ـ جعل النيل في أمر فرعون، فكان يجري بجريه ويقف بوقوفه، وأنه كان يطول رجلاه مرتبته إذا علا شرفًا وتطول يداه إذا هبط، فبين ـ تعالى ـ أن ذلك باطل، وأنه يمنع مثل ذلك من أعدائه ويمنحه لأنبيائه، وقيل: سأصرفهم بالإهلاك عن الطعن في آياتي ومنع موسى من[2] تبليغها، فالمؤمن من الإيمان بها فهو نظير قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:٦٧]، عن أبي مسلم؛ لأنه علم من حالهم أنهم لا يؤمنون وإن رأوا كل آية؛ ولذلك عقبه بقوله: «**وَإِنْ يَرَوْاكُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا**»، وقيل: سأصرف عن نيل آياتي، وقيل: ما فيها من العز والكرامة والرفعة في الدنيا والآخرة غير الأنبياء والمؤمنين؛ لأنهم لم يؤمنوا بها، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف يصرفهم عنها؟

قلنا: بوجوه:

أحدها: بألا يفعلها.

وثانيها: بأن يظهر الآيات على وجه يعلمه من يؤمن به دون من لا يؤمن، كما روي أنه ﷺ كان يقرأ القرآن فأرادوا أن يلغوا فيه، فصرفهم[3] عن ذلك بالنوم والحجاب حتى لا يسمعوا.

وثالثها: بأن يهلكهم.

ورابعها: بأن يمنعهم من إبطاله والقدح فيه.

---

(١) فتصرف: فتصير، أ، ش.

(٢) من: في، أ.

(٣) فصرفهم: يصرفهم، أ، د.

«**لَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ**» يعني يتعظمون بما ليس لهم، فلا يقبلون الحق أنفة أن يكونوا تبعًا، والتكبر في الخلق عيب؛ لأنه ليس يحق منهم تكبر «**فِي الأَرْضِ**» وقيل: لا يقبلون الحق أنفة، وقيل: تكبرهم على المؤمنين بالاستخفاف لهم، عن أبي علي. وقيل: التكبر القهر وألا يرى أحدًا مثله، عن الأصم. «**بِغَيْرِ الْحَقِّ**» يعني يتعاطون التكبر بغير حق لهم «**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا**» فبين أنه إنما صرفهم عن آياته لأنهم لا يؤمنون بها «**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ**» أي: كل حجة، «**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ**» يعني طريق الحق والهدى والاستقامة واضحًا ظاهرًا «**لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**» لأنفسهم ويعدلون عنه «**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ**» طريق الضلال والهلاك «**يَتَّخِذُوهُ**» طريقًا لأنفسهم ويميلون إليه، «**ذَلِكَ**» يعني الصرف عن الآيات، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: اتخاذهم للغي سبيلاً «**بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» بحججنا ومعجزات الأنبياء «**وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**» قيل: غافلين عن الآيات، لاهين لا يتفكرون فيها، ولا يتعظون بها، وقيل: غافلين عما ينزل بهم من مخالفة الرسل، عن الأصم. وقيل: تركوا فصاروا كالغافلين عنها، عن أبي علي.

ثم بَيَّنَ وعيد المكذبين، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ**» يريد يوم القيامة وهو الكرة الثانية، سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا «**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**» يعني بطلت فلم تعقب نفعًا، والمراد جزاء أعمالهم؛ لأن التحابط إنما يصح في المنتظرين ما يقضى، وهذا كقوله: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة:٦]، وقيل: بَيَّنَ الأعمال عن الإخشيدية. وقيل: بين المعصية والثواب، والطاعة والعقاب «**هَلْ يُجْزَوْنَ**» في الآخرة «**إِلاَّ**» على «**مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» في الدنيا من الأعمال.

الأحكام

تدل الآية على أن في الآيات ما يختص بها قوم دون قوم، فلذلك صرف المتكبر عنها، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه.

وتدل على أن تلك الآيات مفسدة؛ فلذلك صرفها عنهم، فيبطل في الوجهين قول أصحاب اللطف.

وتدل على أن هذا الصرف كالعقوبة لهم على تكذيبهم، وذلك يصحح قول أبي علي: إن المراد بهما يستحق على الإيمان بالآيات، وقول أبي مسلم: إن المراد به

الإهلاك، وعلى الأقوال الأخر يقولون: إنه وإن لم تكن عقوبة فيقع ذلك عند التكذيب؛ فلذلك أضاف إليه، وأن قوله: «**وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**» أن المعارف مكتسبة ولا تعلق للمجبرة بالآية؛ لأنهم إن أولوا الآية أنه يصرف عن الدلائل فعندهم ذلك غير جائز، فلا بد أن يقولوا لمنعهم من الإيمان بها والتفكر فيها، وهذا خلاف الظاهر؛ لأن الظاهر الصرف عن الآيات فلا تعلق لهم بالظاهر، فإن أضمروا فليس إضمارهم أولى من إضمارنا، ثم هو ـ تعالى ـ أمرهم بالإيمان والتفكر، وَوَعَدَ عليه وأوعد على تركه، فيستحيل أن يمنعهم عنه، وبعد فإذا كان عندهم هو الخالق لجميع ذلك فكيف يصح ذلك على مذهبهم؟، وبعد، فإنه ـ تعالى ـ قال: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ﴾ [الإسراء: ٩٤] وهذا لا يصح مع المنع، ولأن عندهم يصرف غير المتكبر عن الإيمان فلا يكون لهذا الشرط فائدة، وبعد، فإذا كان خالق الرشد والغي الله فأي معنى في قوله: «**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**» وإنما يصح ذلك إذا كان العبد فاعلاً مختارًا، ويدل: «**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**» أن العبد فاعل ويصرفه فعله، وليس بخلق لله تعالى.

وآخر الآية يدل على أن أحدًا لا يؤاخذ إلا بعمله، ولا يجازى إلا على فعله، وذلك أيضًا يبطل قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾

القراءة

قرأ يعقوب «**حَلْيِهِمْ**» بفتح الحاء وسكون اللام وبكسر الياء وتخفيفها على الواحد، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء واللام وتشديد الياء، وقرأ الباقون بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء، وهما لغتان، الضم والكسر[1] .

(١) حجة القراءات ٢٩٦.

وقرأ العامة «**له خُوَار**» بالخاء معجمة من فوق وترك الهمزة، وعن علي: (له جؤار) بالجيم والهمز، وهو صواب أيضًا، وهو محمول على أنه فسره به.

اللغة

الاتخاذ: افتعال من الأخذ، وأصله إئتخذ[١] إلا أن الهمزة[٢] قلبت في افتعل وأدغم، والاتخاذ: اجتباء الشيء لأمر من الأمور.

والحُلِيّ: ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة، واحده: حَلْي، نحو لحية ولِحىً[٣]، ويقال[٤]: حلي[٥] بعيني يَحْلَى حَلْوًا وحلْوَنًا[٦] بمعنى يحلو حلاوة، وتحلّى بكذا: تحسّن به.

والعجل والعِجَّوْل[٧]: ولد البقرة القريبة العهد بالولادة[٨]، وأخذ من تعجيل أمره لصغره. والخَوْرُ: صوت الثور، خار يخور خورًا.

الإعراب

موضع «**حليهم**» نصب، وتقديره: اتخذوا حُلِيَّهُم عجلاً. و«**جسدًا**» بدل من الحلي.

المعنى

عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل وما أحدثوا عند خروج موسى إلى الميقات، فقال سبحانه: «**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى**» يعني السامري ومن أعانه، وجرى على طريقه،

(١) ائتخذ: اتتخذ، أ، ض.
(٢) الهمزة: التاء، أ، ض.
(٣) لحية ولحى: بدي وبدى، أ.
(٤) ويقال: يقال، أ.
(٥) حلي: ـ ، أ.
(٦) حلوا وحلونا: حلاً وحلالاً، أ.
(٧) والعجول: العجاول، أ.
(٨) بالولادة: بالولا، أ، ض.

وقيل: أراد جميعهم؛ لأن منهم من صاغ، ومنهم من عبد، ومنهم من رضي، والقليل منهم أنكروا ذلك، فجرى الكلام على الغالب «**مِنْ بَعْدِهِ**» أي: من بعد خروج موسى إلى الميقات، عن أبي علي. «**مِنْ حُلِيِّهِمْ**» من زينتهم من الذهب والفضة، وكان استعارها بنو[1] إسرائيل من القبط ليوم عيدهم، وخرج موسى من مصر، ومعهم ذلك الحلي، فلما غرق فرعون وقومه بقيت تلك الحلي في أيديهم، وقيل: أمر باستعارة ذلك منهم فكان مباحًا لهم، فخرجوا به؛ لأنه مال الكفار «**عِجْلاً جَسَدًا**» قيل: اتخذ السامري منها عجلاً جسدًا وأدخله بيتًا وقال: هذا إلهكم وإله موسى، وقيل: كان السامري من أشرافهم، فأمرهم بإخراج الحلي إليه، وقال: كانت عواري القبط، فدفعوها إليه[2] يلقيها في موضع، عن الأصم. والعجل ولد البقر، وقيل: كان مصنوعًا من ذهب مزينًا بالجواهر،عن الأصم. وقيل: جسدًا أي: جسدًا [مجوفًا] لا روح فيه، من أدم، أظنه عن السدي[3] وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: لحمًا ودمًا، عن وهب. «**لَهُ خُوَارٌ**» له صوت [ومعنى] اتخذوا اتخذوا عجلاً للعبادة.

واختلفوا ما الذي دعاه إلى اتخاذه:

فقيل: كان من قرية يعبدون البقر، وكان حبه في قلبه، وكان ينافق موسى، فلما غاب دعا الناس إلى ذلك.

وقيل: لما رأى شغف بني إسرائيل أن يعبدوا شيئًا يرونه احتال في إيجاد ذلك، عن الأصم.

واختلفوا في صوته:

وقيل: أخذ السامري قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحمًا ودمًا.

وقيل: لم يصر لحمًا ودمًا، ولكن احتال بإدخال الريح فيه حتى يسمع له صوت كالخوار، كما يحتال بمثله اليوم، عن أبي علي والأصم، وهو الوجه.

---

(١) بنو: لبني، أ.

(٢) إليه: ذلك، أ.

(٣) عن الدم أظنه السدي؛ أ ؛ عن آدم، د.

وقيل: كان السامري صائغًا فصاغ ذلك، وإنما أضاف الصوت إليه؛ لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه.

«**أَلَمْ يَرَوْا**» قيل: ألم يعلموا، أو قيل: ألم يروا بأبصارهم «**أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً**» دلّ ـ تعالى ـ على فساد ما ذهبوا إليه بأن من لا يتكلم لا بخير[1] ولا شر، ولا يهدي إلى طريق فهو جماد، لا ينفع ولا يضر، فكيف يكونا لهًا؟؛ ولأن دلالة الحدث قائمة فيه «**اتَّخَذُوهُ**» قيل: اتخذوه إلهًا وعبدوه «**وَكَانُوا ظَالِمِينَ**» قيل: ظلموا أنفسهم بأن تجنبوا حظها بعبادة العجل، ولم يتفكروا فيه، فاستوجبوا النار، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: ظالمين: كافرين.

۞ الأحكام

تدل الآية على حجة الحجاج في الدين، فإنه ـ تعالى ـ دلهم في بطلان اتخاذ العجل إلهًا بأنه لا يكلم ولا يهدي، وإنما ذكر الكلام؛ لأن الخوار تنفذ فيه الحيلة، ولا تنفذ في الكلام.

وتدل على أن إزالة الشبهة في الدين واجب، كما أزالها تعالى.

وتدل على أن القوم كانوا جهالاً غير عارفين حقيقة الأشياء؛ لذلك عبدوا العجل.

وتدل على أن تلك الحلي كانت ملكًا لبني إسرائيل؛ لذلك قال: «**حليهم**» فإن ثبت أنهم استعاروه، فتدل على زوال ملكهم وانتقال الملك إلى بني إسرائيل كما تملك أموال أهل الحرب.

وتدل على أن الاتخاذ فعلهم، فتصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

---

(١) بخير: خير، أ.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي «**لئن لم ترحمنا**» بالتاء «**ربَّنا**» [(١)] بالنصب «**وتغفر**» بالتاء على الدعاء، كأنه قيل: لئن لم ترحمنا أنت يا ربنا. والباقون بياء في «**يرحمنا**» و(**يغفر لنا**) و«**ربُّنا**» رفع على الخبر، يعني إن لم يرحمنا ربنا نكن[(٢)] من الخاسرين.

۞ اللغة

سقط في أيديهم أي: وقع البلاء في أيديهم، أي: وجدوه وُجْدَانَ مَنْ هو في يده، يقال ذلك للنادم عندما يجده مما كان جنى عليه، ويقال: سقط في يده وأُسْقِطَ، لغتان، فهو مسقوط في يده، وسُقِطَ بغير ألف أفصح، يقال: سَقَطَ يَسْقُطُ سقوطًا، وسقط يسقط.

۞ الإعراب

موضع (**أنهم قد ضلوا**) نصب، تقديره: رأوا ضلالهم.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما كان من ندم القوم، فقال سبحانه: «**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**» قيل: تقدير الآية: لما رأوا أنهم قد ضلوا سقط في أيديهم، وقالوا: لئن لم يرحمنا، وقيل: سقط في أيديهم لما رأوا أنهم قد ضلوا، ومعنى الكلام: أنهم ندموا على عبادة العجل وتحيروا «**وَرَأَوْا**» علموا «**أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا**» عن الدين بعبادة العجل حين رجع موسى، وبَيَّنَ لهم ضلالتهم «**قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا**» بقبول توبتنا «**وَيَغْفِرْ لَنَا**» ما قدمنا من عبادة العجل «**لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» باستحقاق العقاب.

ومتى قيل: هل عمهم الضلال بعبادة العجل؟

قيل: كلهم عبدوا إلا هارون؛ ولذلك قال موسى: ﴿ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾ ،ولم يذكر غيره، عن الحسن.

---

(١) حجة القراءات ٢٩٦.

(٢) نكن: نكون، أ.

وقيل: إنما عبد بعضهم، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ في تلافي ما يفوت، كما فعل أولئك.

وتدل على أنه لا طريق للتلافي إلا التوبة.

وتدل على أنهم عرفوا الله - تعالى -، وندموا على ذنبهم، وقوله: «**لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا**» كلام عارف بربه، نادم على فعله، وقيل: إنهم اتخذوه بعد ثلاثين يومًا من وقت خروجه، ظنوا أن موسى مات واتخذوا على ذلك؛ لأن موسى أخبرهم بالثلاثين، ولم يخبرهم بالعشرة، وإنما تعبده ـ تعالى ـ بعد ذلك.

وتدل على أنهم عبدوا وهم لا يعرفون أنه ضلال، فيدل على بطلان قول أصحاب المعارف، وأنه لا محجوج إلا عارف، عن أبي علي.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم «**ابن أُمِّ**» بكسر الميم، وفي (طه) مثله «**ابن أم**» على تقدير (ابن أمي) فحذف ياء الإضافة؛ لأن مبني النداء على الحذف، وبقي الكسر على الميم ليدل على الإضافة كقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت:٥٦]، وقد روى ابن السميقع «**يابن أمي**» بإثبات الياء على الأصل[1].

---

(١) حجة القراءات ٢٩٦.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بفتح الميم في السورتين، وفيه قولان:

أحدهما: أنه جعلا اسمًا واحدًا، وبني لكثرة اصطحاب هذين الحرفين، فصار بمنزلة اسم واحد نحو: حَضْرَمَوْتَ، وخمسةَ عَشَرَ.

يـا ابْـنَـةَ عَـمَّـا لاَ تَـلُـومـي واهْـجَـعِـي[1]

وثانيها: أنه على حذف الألف المبتدلة من ياء الإضافة، وأصله: يابن أما، كما قال الشاعر:

وقال آخر:

حُـمِّـلْـتَ أَمْـرًا عَـظِـيـمًا فَـاصْـطَـبَـرْتَ لَـهُ   وَسِـرْتَ فِـيـهِ بِـحُـكْـمِ الـلـهِ يَـا عُـمَـرَا[2]

والقراءة الظاهرة: «**تُشْمِت**» بضم التاء وكسر الميم. «**الأعداء**» نصب على أنه مفعول، وعن مجاهد ومالك بن دينار و(**لا تَشمَت**) بفتح التاء والميم، و«**الأعداءُ**» رفع على أن الفعل مضاف إليهم.

اللغة

الغضب والسخط من النظائر، ونقيضه: الرضا، غضب يغضب غضبًا، وأغضبه إغضابًا. والأسف: الغضب، يقال: أسِفَهُ وأَسِفَ يَأْسَفُ أسفًا: إذا غضب، ومنه حديث النبي ﷺ حين سئل عن موت الفجأة فقال: «راحة للمؤمن وأسفًا للكافر»، والأسف: الحزن والتلهف أيضًا، أسفت أأسف أسفًا، وهو أسيف، ومنه حديث عائشة «أن أبا بكر رجل أسيف» يعني سريع الحزن والبكاء، وهو الأسوف أيضًا، ويقال: خلفه بما يكره، وخلفه بما يحب، وإذا عمل خلفه ذلك العمل، يقال: خلف خلفًا وأخلف إخلافًا.

(١) صدر البيت لأبي النجم، وتمامه: لا تُسْمِعيني منكِ لَوْمًا واسمعي
انظره في اللسان (عم)، والصحاح(عمم)

(٢) لجرير، انظره ديوان جرير، دار صادر، بيروت.

والعجلة والسرعة من النظائر، والعجلة: تقدم الشيء قبل وقته، يقال: عجلته: إذا سبقته، وأعجلته: جئته، عن الزجاج.

والشماتة: إظهار السرور بمكروه يحل بالعدو، وشمت شماتة.

الإعراب

«**غضبان أسفًا**» قيل: نصبه على الحال، وقيل: على التفسير.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما جرى بين موسى وقومه عند رجوعه من الميقات، فقال سبحانه: «**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى**» يعني من الميقات الذي وعد الله تعالى، وكلمه، وأعطاه التوارة «**إِلَى قَوْمِهِ**» يعني إلى بني إسرائيل «**غَضْبَانَ أَسِفًا**» قيل: حزينًا، عن ابن عباس والحسن والسدي. وقيل: أسفًا أي: شديد الغضب، عن أبي الدرداء. وقيل: الغضب والأسف واحد، وكررها للتأكيد واختلاف اللفظين، عن أبي مسلم. قال الشاعر:

تــنــأ عَــنِّــي وتَــبْــعُــدِ

وقيل: غضبان على قومه حين عبدوا العجل، أسفًا حزينًا متلهفًا على ما قاله من مناجات ربه «**قَالَ**» موسى لقومه «**بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي**» أي: عملتم خلفي «**أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**» قيل: سبقتم أمر الله فعبدتم ما لم يأمركم به، عن أبي مسلم. وقيل: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين ليلة عن الحسن. وذلك أنهم قدروا أنه قد مات لَمَّا لم يأتِ على رأس ثلاثين ليلة، وقيل: استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته، فلما لم تنالوه عدلتم إلى عبادة غيره، عن أبي علي. «**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ**» أي: وضعه وضع معظم ولم يُلْقِهِ إلقاءَ مستخفٍّ؛ لأن الاستخفاف بكلام الله كفر، وما ترويه الحشوية أنه ألقاه حتى انكسر بعضه وذهب بعض التوراة غير[1] صحيح، وقد بينا ما قيل في الألواح «**وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ**» يعني هارون، وكان أخاه لأبيه وأمه، عن الحسن. «**يَجُرُّهُ**

---

(١) غير: فغير، أ، ض.

إِلَيْهِ» قيل: جره إلى نفسه ليناجيه، ويستبرئ حال القوم، ولهذا أظهر هارون براءة نفسه بقوله: «**إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي**» ولما أظهر براءته دعا له ولنفسه، وقيل: قبض على رأسه ولحيته على وجه التسلي، كما يفعله الواحد عندما يناله الغم الشديد والمصيبة العظيمة، وكره هارون أن يظن الجهال الاستخفاف، فأظهر براءته، فدعا له موسى إزالة للتهمة، وقيل: هو كقبض الواحد منا على لحيته وعضه على يده وشفته عند غضب شديد من مكروه لحقه؛ فلذلك دعا له إظهارًا لتعظيمه، وأنه يجري مجرى نفسه، وقيل: هذا أمر ينقلب حمله بالعادة وشاهد الحال، فإذا لم تكن العادة في ذلك الزمان على ما هي الآن عليه لم يكن استخفافًا، عن أبي بكر أحمد بن علي. وقيل: ظن من هارون ترك التشدد في أمر يمكنه، فأنكر عليه مع كونه صغيرًا حتى أظهر براءة نفسه، فاستغفر لنفسه وله، فهذا لا يصح؛ لأن ترك الإنكار مع التمكن يعظم، ولا يظن بهارون ذلك، وقيل: الذي أنكره عليه ما بينه في (طه) ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، عن أبي مسلم. ولا شبهة أن موسى لم يقصد الاستخفاف بهارون؛ لأن الاستخفاف بالنبي كفر، وهارون كان أكبر سِنًّا منه، وهارون نبي الله، و«**قَالَ**» هارون يـ «**ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ**» يعني عبدة العجل «**اسْتَضْعَفُونِي**» جعلوني ضعيفًا «**وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**» أي: هموا بقتلي لما منعتهم عن عبادة العجل «**فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ**» أي: لا تسرهم بي بأن تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم «**وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ**» قيل: لا تجمع في الغضب بيني وبينهم، قيل: لا تجعلني في زمرتهم، وقيل: سأله هل فارق ما عهد إليه؟، فقال: لا تجعلني مع الذين فارقوا، عن الأصم. وإنما أراد ليعلم القوم براءته، وإلا فموسى كان يعلم براءة هارون «**الظَّالِمِينَ**» يعني عبدة العجل ظلموا أنفسهم حيث استوجبوا النار، وقيل: ظلموا نبي الله ـ تعالى ـ لما لم يتبعوه وعصوه «**قَالَ**» موسى «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي**» قيل: لما تبين لموسى أنه لم يكن من هارون تقصير في النهي وبسط عذره في ألاَّ يتبعه الذين عبدوا العجل دعا له ولنفسه فقال: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي**» قيل: هذا طلب المغفرة عن صغيرة وقعت منهم، وقيل: هذا على وجه الانقطاع إلى الله، وسؤال المغفرة، وقيل: إنما استغفر لما أظهر المؤاخذة على هارون، وهو بريء عما يوجب العقاب، وبريء

من التقصير، فكأنه قيل: اغفر لي ما أتيت إلى أخي، وقيل: إنه بَيَّنَ لبني إسرائيل أن لم يَجُرَّ أخاه[1] إليه لعصيان وجد منه، وإنما يفعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره، عن أبي علي. «**وَأَدْخِلْنَا**» يعني نفسه وأخاه «**فِي رَحْمَتِكَ**» أي نعمتك وجنتك «**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**».

۞ الأحكام

تدل الآية أن موسى رجع وقد أخبره الله ـ تعالى ـ بصنع قومه؛ لذلك غضب عليهم، وقد بَيَّنَ ذلك في موضع آخر، فقال: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه:٥٨].

وتدل على إنكار شديد من موسى (عليه السلام)، وقد بينا أن ما فعله بهارون والألواح لم يكن عن استخفاف.

وتدل على أن الأمر بالمعروف قد سقط في حال الخوف على النفس، وفي الحال الذي يعلم أنه لا ينفع لذلك قال هارون: «**استضعفوني**».

قال أبو علي: تدل على جواز الصغيرة على الأنبياء، خلاف قول الرافضة؛ لذلك طلب المغفرة.

وتدل على [أن] الغضب والأسف في الدين على المبتدع محمود.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ۝١٥٢ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ۝١٥٤﴾

۞ القراءة

قرأ العامة «**سكت**» بالتاء، وعن معاوية بن قرة «**سكن**» بالنون وهما بمعنى.

---

(١) أخاه: نفسه، أ، ض.

۞ اللغة

النَّيْل[١] : اللحوق، وأصله من مد[٢] اليد إلى الشيء الذي يبلغه، يقال[٣] : ناله كذا، وناوله مناولة، وتناول تناولاً، ونالني من فلان معروف ينالني، أي وصل نوالاً ونيلاً، والنول والنوال العطاء. والمفتري: الكاذب، وجمعه المفترون، وهو من الفعل مفتعل، والافتراء والفري بمعنى، وأصله: القطع، ويقال: فريت وافتريت بمعنى واحد، وكذلك الكذب، قال جميل:

فَإِنْ جَاءَكِ الوَاشُونَ عَنِّي بِكِذْبَةٍ ... فَرَوْهَا ولَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ

والسكوت: السكون، والسكوت: الإمساك عن الكلام، وأصله الكف عن الشيء، يقال: سكت سكوتًا وسكاتًا وسكن بمعنى.

قال الأزهري: ولما سكت أي: سكن، وأصاب فلانًا سُكَاتٌ[٤] : إذا أصابه داء يمنعه من الكلام.

قال ابن عرفة: سكت: انقطع غضبه، يقال: جرى الوادي مليا، ثم سكت؛ أي: انقطع، ويقال: إن السكوت: الإمساك عن الكلام، ثم يقال: سكت الغضب توسعًا ومجازًا؛ لأنه كان بمنزلة الناطق يظهر أمره، فسكوته عن معرفته بمنزلة السكوت عن الكلام، عن أبي علي.

وقال أبو مسلم: السكوت والسكون بمعنى واحد، وسواء قولك: سَكَتَ وسَكَنَ، وحدُّ السكوت تسكين آلة الكلام، وكذلك لا يوصف الله بالسكوت.

۞ الإعراب

اختلفوا في دخول اللام في قولهم: «**لربهم يرهبون**» وهو متعدٍّ، ولا يقال: يرهبون لربهم.

(١) النيل: النول، أ، د.
(٢) مد: ـ ، أ.
(٣) يقال: فقال، أ.
(٤) سكات: ساكت، أ، ض.

وقال الكسائي: إذا تقدم[1] المفعول ضعف عمل الفعل فيه، فصار بمنزلة ما يتعدى في دخول اللام عليه.

وقيل: إذا كان بمعنى من أجله جاز دخول اللام تقدم أو تأخر، وتقديره: رهبتهم لأجل ربهم.

قال عيسى بن عمر: سمعت الفرزدق يقول: بِعْت[2] له مائة، وهي لغة صحيحة، قال تعالى: «لكم ردف» [النمل: ٧٢].

وقيل: أراد من ربهم، فاللام بمعنى (مع)، عن قطرب.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى بني إسرائيل وما أوعدهم ـ تعالى ـ جزاء[3] ما فعلوا، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ**» يعني اتخذوه إلهًا وعبدوه، فحذف لدلالة الكلام[4] عليه «**سَيَنَالُهُمْ**» أي: سيلحقهم إن لم يتوبوا «**غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ**» قيل: الغضب هو إرادة العقوبة، وقيل: اللعن والحكم بالعقاب، وقيل: عقوبة الآخرة «**وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» أي: هوان، قيل: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم، عن أبي العالية. وقيل: هو الجزية، عن ابن عباس. وقيل: هو ما أصاب أولادهم في زمن النبي ﷺ من القتل والجلاء في قريظة والنضير، عن عطية العوفي.

ومتى قيل: كيف فعل ذلك بهم والعجل عبده أسلافهم؟

قلنا: لتوليهم مَنْ عَبَدَ العجل، وَرِضَاهُمْ به.

وقيل: هو ما ضرب عليهم من الذلة، عن أبي مسلم.

وعن مالك: ما من مبتدع إلا وتجد فيه ذلة، ثم قرأ الآية.

---

(١) تقدم: تعدى، أ، د.
(٢) بعت: بهت، أ، د.
(٣) جزاء: حكى، د.
(٤) الكلام: اللام، أ.

«**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**» أي: كما فعلنا بهم جزاء على فعلهم نجزي كل مفتر وكاذب، وإنما سموا مفترين؛ لأنهم عبدوا عجلاً وقالوا: إنه إله، وكانوا كاذبين، وقيل: أراد من عبد العجل، وقيل: هو عام في كل مفتر ومبتدع ضال «**وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ**» يعني المعاصي؛ لأن عاقبتها تسيء صاحبها، «**ثُمَّ تَابُوا**» أي: رجعوا إلى الله نادمين «**مِنْ بَعْدِهَا**» أي: من بعد السيئات «**وَآمَنُوا**» صدقوا الله ورسوله، وإنما ذكر الإيمان بعد التوبة وإن كانت التوبة إيمانًا، قيل: تابوا من المعصية، وآمنوا بتلك التوبة، وقيل: استأنفوا عمل الإيمان، وقيل: ثم آمنوا بأن الله قابل التوبة «**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا**» من بعد التوبة، وقيل: من بعد السيئات والأول الوجه «**لَغَفُورٌ**» يغفر الذنب «**رَحِيمٌ**» يرحمهم وينعم عليهم «**وَلَمَّا سَكَتَ**» أي: سكن «**عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**» قيل: زال غضبه لتوبتهم عن كفرهم وعبادة العجل، وقيل: زالت فورة غضبه، ولم يَزُلِ الغضب؛ لأن توبتهم لم تخلص، وقيل: زال غضبه لاعتذار هارون ومعرفته بصدقه، عن أبي مسلم. «**أَخَذَ الأَلْوَاحَ**» التي كان فيها التوراة «**وَفِي نُسْخَتِهَا**» يعني ما نسخ فيها وكتب، عن أبي مسلم. وقيل: في نسختها التي نسخ منها بنو إسرائيل، عن الأصم. «**هُدًى**» دلالة وتبيانًا لما يحتاج إليه في أمور الدين «**وَرَحْمَةٌ**» يعني نعمة ومنفعة «**لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**» أي: يخشون ربهم، فلا يعصونه، ويعملون بما فيها، وقيل: معناه أُنْزِلَتْ لأجل من يرهب ربه فهو ينتفع به، وإن كان منزلاً للكل، وقيل: وهدى ورحمة لمن هو راهب من ربه، فيعمل به وينتفع، وقيل: اللام لام العاقبة يعني أن الهدى والرحمة إنما تنال في العاقبة مَنْ يرهب ربه، فلا يعصيه.

۞ الأحكام

تدل الآية على وعيد المُصِرِّ وغفران التائب.

وتدل على أن الجاهل لا يعذر باستحقاق العقاب، كما لم يعذر مَنْ عبد العجل جهلاً.

وتدل على أن العقوبة تنال كل مفتر على الله، فيدخل فيه كل مبتدع.

وتدل على أن التوراة هدى وهو بيان الأحكام، وخص من ترهب بأنه ينتفع به.

وتدل على أن اتخاذ العجل وعمل السيئات والتوبة والإيمان والرهبة فِعْلُ العبد؛ لذلك تعلق الوعد والوعيد بها، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾

اللغة

الرجفة: الاضطراب، يقال: رجفت الأرض رجفًا، والبحر رَجَّافٌ لاضطرابه، وأرجف الناس في الشيء: خاضوا فيه، واضطربوا، ومنه: الأراجيف.

والسفه: الجهل، وأصله الخفة، والسفيه: الجاهل.

والفتنة: الامتحان والاختبار، وأصله من فَتَنْتُ الذهب بالنار: امتحنته، فأخلصته، والاختيار: أخذ أحد[1] الشيئين على الآخر.

الإعراب

نصب «**قومه**» بنزع حرف الصفة، تقديره: من قومه، وقيل: لما حذف (مِنْ) وصل الفعل إليه فنصبه، قال الشاعر:

وَمِنَّا الَّذي اَخْتَار الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وَجُودًا إذا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[2]

أراد منا الذي اختار من الرجال، فلما حذف (مِنْ) نصب، وإنما حذف (من) لدلالة الفعل عليها، مع الإيجاز من غير إخلال.

وقال آخر:

(١) أحد: أخذ، أ.

(٢) للفرزدق، انظره في المحكم (خير)، واللسان(خير).

فقلت له اخترها قلوصًا سمينة ونأبا عليها مثل نابك في الحيا[(١)]

قال الفراء: هو مثل قولهم: نصحتك ونصحت لك؛ لذلك يجوز: اخترتكم رجلاً، واخترت منكم رجلاً.

ورفع «**قبل**»؛ لأنه غاية لم يُضَفْ[(٢)] إلى شيء، ونصب **(إياي)** على **(لو شئت لأهلكتهم وإياي)**.

۞ المعنى

ثَمَّ بَيَّنَ ـ تعالى ـ اختيار موسى من قومه عند الخروج إلى الميقات وما جرى ثم، فقال سبحانه: «**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ**» أي: من قومه.

واختلفوا في سبب الاختيار ووقته:

قيل: إنه اختارهم حين خرج إلى الميقات؛ ليكلمه الله بحضرتهم، ويعطيه التوراة، فيكونوا له شهداء عند بني إسرائيل لما لم يثقوا بخبره أنه تعالى[(٣)] يكلمه، فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه ـ تعالى ـ سألوا الرؤية فأصابتهم الصاعقة وما أصابهم، ثم اختارهم الله، وابتدأ بحديث الميقات، ثم اعترض حديث العجل، فلما تم عاد إلى بقية القصة، وهذا الميقات هو الميعاد الأول الذي تقدم ذكره، عن أبي مسلم.

وقيل: إنه اختارهم بعد ذلك للميقات الثاني بعد عبادة العجل؛ ليتوبوا من عبادته، فأخذتهم الرجفة، عن ابن عباس والحسن وابن إسحاق والسدي. وإن ما تأولوا ظَنًّا أن هذا الاختيار بعد رجوع موسى، وليس كذلك، وإنما عاد الكلام إلى بقية القصة.

وقال وهب: قالت بنو إسرائيل لموسى: إن طائفة تزعم أن الله لم يكلمك، ولو

---

(١) قائله هو: الراعي النميري. انظر ديوان الراعي النميري، بيروت.

(٢) يضف: يضفه، أ، ض.

(٣) تعالى: تعال، أ، ض.

كلمك ما قمت لكلامه[1] ؛ ألا ترى أن طائفة منا سألوه النظر إليه فماتوا؟ فما عليك أن تكلمه بحضرة طائفة منا، فأوحى الله إليه أن اختر منهم سبعين، فاختار وخرج هو وهارون واستخلف يوشع «**سَبْعِينَ رَجُلاً**» قيل: كانوا شيوخًا، وقيل: اختار من كل سبط ستة، فكانوا اثنين وسبعين، قال: أمرت بسبعين، وأخر رجلين فقعدا[2] يوشع بن نون [وكالب]، وقال صاحبه، ثم أمرهم بالصوم والتطهر ليخرج بهم إلى الميقات، وسألوا ما سألوا، وأخذتهم الرجفة، قيل: إنما أخذتهم لأنهم لما أتوا الميقات سألوا الرؤية لما سمعوا كلام الله ـ تعالى ـ، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، عن أبي إسحاق وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: هؤلاء غير الذين أخذتهم الصاعقة، وذلك أنهم خرجوا إلى الميقات ليتوبوا فدعوا ربهم، وقالوا: أعطنا ما لم تعط أحدًا قبلنا، ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره ذلك فأخذتهم الرجفة عن ابن عباس. وقيل: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل، عن ابن عباس. وقيل: إنهم اتهموا موسى بقتل هارون حتى أحياه الله، وكلمهم بأنه مات، ولم يقتل، فأخذتهم الرجفة عن علي ـ عليه السلام ـ. وقيل: لأنهم لم يُذَيِّلُوا قومهم حين عبدوا العجل ولم يأمروا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر، عن قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب. «**الرَّجْفَةُ**» قيل: الموت، عن السدي وابن إسحاق وأبي علي وأبي مسلم. قيل: لم يكن موتًا، ولكن اضطربوا، فأخذتهم الرعدة عند تلك الهيئة، ثم دعا الله ـ تعالى ـ موسى فكشف ذلك، عن وهب، والأول هو الصحيح «**قَالَ**» موسى «**[رَبِّ] لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ**» أي: من قبل الميقات، فكان لا يتوجه لبني إسرائيل كلام، فالآن ماذا أقول لهم إذا رجعت إليهم، فأحياهم الله «**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ**» قيل: هو استفهام والمراد النفي؛ أي: لا تهلكنا بفعل السفهاء، وقيل: معناه الدعاء لا تهلكنا بقول السفهاء، وهو استعطاف، وقد علم موسى أن الله أعدل من أن يؤاخذ أحدًا بذنب غيره، عن المبرد. فأما ذلك الفعل فقيل: عبادة العجل، فظن موسى أنهم أهلكوا لأجل ذلك، وكانوا غير السبعين، وقيل: كان السبعون عبدوه، ولم يعلم موسى، عن السدي. وقيل: الفعل

(١) لكلامه: بكلامه، د.

(٢) فقعدا: فقصد، أ.

سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين، منهم السدي وأبو علي وأبو مسلم وابن إسحاق. «**إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**» امتحانك وشدة تعبدك؛ لأنه لَمَّا نالهم الرجفة كلفوا الصبر، وفتنتك: بليتك، عن سعيد بن جبير وأبي العالية والربيع. وقيل: عذابك، عن ابن إسحاق. «**تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ**» قيل: تهدي بهذا الامتحان إلى الجنة والثواب من تشاء بأن يؤمن بها ويصبر عليها، وتعاقب من تشاء بألاَّ يصبر عليها. وقيل: تهلك من تشاء، وقيل: أراد بها من يشاء، عن ابن عباس[١] . وتقديره: تهلك من تشاء وتنجي من تشاء، وقيل: لما كانت المحنة كالسبب في هداية من اهتدى، وضلال من ضل جاز أن تضاف إليه «**أَنْتَ وَلِيُّنَا**» قيل: ناصرنا، وقيل: مالكنا والمتولي لأمورنا «**فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**».

۞ الأحكام

الآية تدل على أن ذلك الاختيار كان عن وحي؛ ولذلك أخر رجلين على ما روي في الخبر.

وتدل على أن سؤال الرؤية لم يكن من موسى ولا من السبعين؛ لذلك قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أضافه إلى غيرهم، وقد روي عن بعضهم في قوله: «**وَإِيَّايَ**» الإهلاك بقتل القبطي، وهذا جهل عظيم؛ لأن ذلك القتل إما أنه[٢] وقع مباحًا أو صغيراً[٣]، فلا يجوز أن يقع الهلاك لأجله، وإنما قال ذلك انقطاعًا إليه ـ تعالى ـ، واستعطافًا لمسألة الرؤية.

ويدل قوله: «**أنت ولينا**» على وجوب الانقطاع إليه ـ تعالى ـ عند الشدائد.

وتدل على أن غيره قد يغفر حتى يصح قوله: «**خير الغافرين**»، فأما عند الإطلاق فيوصف[٤] به القديم سبحانه.

---

(١) في رواية الطبري عن ابن عباس: إن هو إلا عذابك تصيب من تشاء وتصرفه عمن تشاء.

(٢) أنه: أن، أ.

(٣) صغيرًا: صغيرة، د.

(٤) فيوصف: يوصف، أ.

واختلفوا في الغفران ما هو؟ فمنهم من قال: إنه من غيره ـ تعالى ـ يفيد ما يجري مجرى العفو، كالإبراء عن الديون والحقوق وغيرها.

وتدل على أن تلك الرجفة كانت امتحانًا، ومنهم من قال: كانت عقوبة.

قوله تعالى:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾

القراءة

قراءة العامة «**هدنا**» بضم الهاء، وعن أبي وجرة السعدي كان من القراء يكسرها، وهما لغتان، هاد يهود ويَهِيدُ: إذا رجع وتاب.

وقرأ العامة «**أصيب به من أشاء**» بالشين من المشيئة، وعن الحسن البصري «**من أساء**» بالسين وفتح الألف الأخيرة من الإساءة.

اللغة

أصل هاد: رجع، هاد يهود، فهو هائد، وقيل: منه سمي اليهود؛ لأنهم قالوا: «هدنا إليك». وقيل: النسبة إلى يهود[1] إلا أن العرب غيرته في النسبة، وقد صار في الشرع اسم ذم لقوم كفار.

الإعراب

نصب «**حسنة**» بـ «اكتب لنا»[2] والكناية في (سأكتبها) يعود إلى الرحمة.

---

(١) يهود: ياهودا، أ. وفي تفسير البيان للطوسي: ٥٥٨/٤: لأنه نسب إلى يهوذا، لكن العرب غيرته في النسب.

(٢) لنا: ـ، أ.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما دعا به موسى (عليه السلام) وما أجيب به، فقال تعالى: «**وَاكْتُبْ لَنَا**» قيل: أوجب، وقيل: إن الكتابة إخباره به، عن أبي علي. «**فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ**» قيل: الثناء الجميل بعدنا في الدنيا والرفعة في الآخرة، وقيل: نِعَمُ الدنيا والآخرة، وقيل: الأعمال الصالحة في الدنيا وفِّقْنَا لها[1]، وأعنا عليها، والمغفرة والجنة في الآخرة، عن الأصم.

ومتى قيل: إذا تكفل الله ـ تعالى ـ بنعم الدنيا والآخرة فما معنى السؤال؟

فجوابنا: فيه وجهان:

أولها: الانقطاع إليه في كل خير.

وثانيها: أن يزيد سعة الرزق وزيادة التفضل في الجنة، ويجوز أن يكون ذلك مشروطًا بالدعاء، ومصلحة عنده.

«**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**» قيل: تبنا إليك، عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم وقتادة ومجاهد. وقيل: تقربنا بالتوبة من الهوادة، عن أبي مسلم. وقيل: رجعنا إليك نادمين على ما أتيناه من الذنب، وقيل: ذللنا لك وخضعنا[2] لك[3]، حكاه القاضي. «**قَالَ**» ـ تعالى ـ مجيبًا لموسى (عليه السلام): «**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ**».

ومتى قيل: إذا كان العذاب بفعل الاستحقاق، فما معنى تعلقه بالمشيئة؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن المراد بيان القدرة، أي: قادر على تعذيب من أشاء، وغفران من أشاء، ومبالغة في كونه قادرًا، ولكن لا يعذب إلا العصاة، عن أبي مسلم.

والثاني: أن وقوعه بمشيئة له دون المغفرة.

---

(١) لها: ـ، أ، ض.

(٢) وخضعنا: في خضعنا، أ.

(٣) لك: -، د.

والثالث: أنه لا يشاء ذلك إلا على معصية، فأيها ذكر دل على الآخر. قوله[1]: «**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**» أي: نعمتي عمت كل شيء، قيل: المراد أني أقدر أن أنعم على كل من يصح الإنعام عليه، وقيل: إنها خاصة في المؤمنين، عن ابن عباس. وقيل: هي نعم البر والفاجر في الدنيا، وفي الآخرة للبر خاصة عن الحسن وقتادة. وقيل: هي التوبة وسعت كل ذنب، عن ابن زيد. «**فَسَأَكْتُبُهَا**» أي: أوجبها يعني الرحمة «**لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**» قيل: يتقون الشرك، أي: يجتنبونه، وقيل: الكبائر، وقيل: جميع خصال التقوى «**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**» قيل: يعطون زكاة أموالهم، عن أبي علي وأبي مسلم وأكثر المفسرين. وقيل: يطيعون الله ورسوله، عن ابن عباس والحسن والأصم. كأنه مذهبوا إلى ما يزكي النفس، ويطهرها من الأعمال «**وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا**» بأدلتنا «**يُؤْمِنُونَ**» يصدقون، وإنما جمع بين هذه الآيات؛ لأن التقوى جامع من المنع عن المعاصي، والزكاة من أشق الفرائض في المال والإيمان بالآيات؛ لأن أشق ما يلزم المكلف معرفة الله ورسوله ومعرفة الديانات، وحل الشبه.

الأحكام

تدل الآية على حسن سؤال نعيم الدنيا كما يحسن سؤال الآخرة.

وتدل على أن الواجب على الداعي أن يتقرب[2] بدعاء التوبة والإخلاص؛ لذلك قالوا: «**إنا هدنا إليك**».

وتدل على أنه ـ تعالى ـ ينعم على البَرِّ والفاجر، ويخص بالثواب المؤمن؛ فلذلك فصل، ومن تأمل هذا السؤال والجواب عرف عظيم محل هذا البيان؛ لأنه ﷺ سأل نعيم الدنيا والدين عقيب الرجفة، فكان من الجواب أن العذاب خاصة يصاب به من يستحقه، فأما النعيم فما كان من باب الدنيا يسع كل شيء يصح عليه التنعم، وما كان من باب الآخرة يكتب له صفات ذكرها.

---

(١) قوله: قولو، أ.

(٢) يتقرب: يقرب، أ، ض.

وتدل على أن الرحمة لا تنال بمجرد الإيمان الذي هو التصديق حتى ينضم إليه الطاعات، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أن التقوى والإيمان وإيتاء الزكاة فعل العبد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

القراءة

قرأ ابن عامروحده: «**ويضع عنهم آصارهم**»[1] بفتح الألف والصاد والألف بعدها على الجمع، والباقون: «**إصرهم**» بكسر الألف وسكون الصاد على الواحد.

اللغة

الإصر: العهد، والإصرة: القرابة، تقول العرب: ما يَأْصِرُني على فلان آصِرَةٌ أي: ما تعطفني عليه قرابة، والإصر: الثقل، أصرت الشيء: كسرته. والأغلال: الجمع بجميع اليد إلى العنق، وهو استعارة في هذا الموضع، فالمراد به التكاليف الشديدة التي كانت على بني إسرائيل بالأغلال.

والتعزير والعَزْرُ واحد، وهو: المنع، ومنه: تعزير الجاني، قال الشاعر:

أَلاَ بَكَرَتْ مَيٌّ بِغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ وَالْمَوْدُودُ يَنْفَعُهُ الْعَزْرُ

(١) حجة القراءات ٢٩٨.

والتعزير: الضرب دون الحد، قال أبو حنيفة: أشد الضرب هو التعزير، و ينقص من أربعين واحدة.

النزول

قيل: لما نزلت الآية المتقدمة قالت اليهود والنصارى: هذه صفتنا، وإنا نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله، فنزعها الله من أيديهم، وجعلها لهذه الأمة، وأنزل: «**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**»، عن ابن عباس وقتادة وابن جريج.

المعنى

لما تقدم أنه يكتب رحمته لمن يتقي بَيَّنَ ـ تعالى ـ أنهم «**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ**» أي: يؤمنون به، ويعتقدون نبوته، ويطيعونه، ويعملون بشرائعه[1]، وعنى بالنبي محمدًا ﷺ.

واختلفوا في المخاطب به، قيل: هو خطاب لبني إسرائيل في زمن موسى(عليه السلام) نسقًا على ما تقدم بأنه يبعث في آخر الزمان نبي، عن أبي علي وأبي مسلم. ليعتقدوا إمامته، فَبَيَّنَ أن الفلاح يُدْرَكُ باعتقاد إمامته ونبوته قبل بعثت هو بعد بعثته.

وقيل: إنه خطاب لمن كان في عصره، عن الأصم.

«**الأمي**» قيل[2]: الذي لا يكتب ولا يقرأ، وقيل: إنه منسوب إلى الأمة يعني أنه على حمله الأمر[3] قبل استفادة الكتابة، وقيل: منسوب إلى الأم يعني أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة، وقيل: إنه منسوب إلى أم القرى، وهي مكة، كأنه قيل: النبي المكي.

ثم وصفه الله تعالى، فقال: «**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**» يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبًا في الكتابين، واختلفوا، وقيل: معناه مكتوب

---

(١) بشرائعه: شرائعه، أ.
(٢) قيل: ـ ، د.
(٣) الأمر: الأمرة، أ.

في التوراة، وسأكتبها في الإنجيل، عن أبي مسلم؛ لأنه يجعل هذا خطابًا لبني إسرائيل قبل نزول الإنجيل، وقيل: معناه أنه مكتوب فيه، والخطاب للذين في عصره، عن الأصم، وعلى قول أبي علي وإنكان أول الكلام خطابًا لمن كان في عصر موسى، فيجوز أن يكون ما بعده من صفة النبي ﷺ كلامًا مستأنفًا.

ومتى قيل: كيف جحدوا ذلك مع أنه مكتوب؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان مكتوبًا بصفته دون اسمه وعينه.

والثاني: أن علماءهم عاندوا، ولبسوا على أتباعهم.

«**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**» قيل: المعروف هو الإيمان بالله، ووحدانيته، وصفاته، وعدله، والشرائع وما هو الحق؛ لأن جميع ذلك يعرف صحته، إما بالعقل أو بالشرع، والمنكر هو الكفر والمعاصي؛ لأن العقل والشرع ينكره، وهذا هو الوجه، وقيل: المعروف الشريعة، والمنكر البدعة، وقيل: المعروف: خلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأصنام، وقطع الأرحام عن عطاء. وما ذكرناه أولاً[1] يعم هذين الوجهين «**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ**» قيل: الحلال التي كانت تحرمها أهل الجاهلية، وقيل: اللذيذات[2]، قال الكلبي: بعث عيسى (عليه السلام) بتحليل بعضها، وبعث محمد بتحليل جميعها «**وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**» كالدم والميسر ونحوها، وقيل: المعاصي «**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ**» قيل: عهدهم بأن يعملوا بما في التوراة، عن ابن عباس والحسن والضحاك والسدي. وقيل: التشديد الذي كان عليهم في الدين، عن قتادة وابن زيد. والإصر: الثقل، فكأنه شبه التكليف بالثقل «**وَالأَغْلالَ**» يعني وضع عنهم الأغلال «**الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**» يعني ما أمروا به من الأثقال والشدائد كقتل النفس وتحريم السبت وتحريم العروق[3] وقطع الأعضاء

(١) أولا: أولى، أ.

(٢) اللذيذات: اللذايذات، أ.

(٣) العروق: المعروق، د.

الخاطئة، فكانت لازمة لهم كالأغلال في أعناقهم «**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ**» أي: صدقوه في نبوته وشرائعه «**وَعَزَّرُوهُ**» قيل: عظموه، عن أبي علي. يعني لتعظيمه في قلوبهم يمنعونهم من أراد كيده، ويبذلون مهجتهم في نصرته، وقيل: أعانوه، وسئل ابن عباس عن ذلك فقال: الضرب بين يديه بالسيف، وقيل: التعزير: الطاعة، عن الأصم. وقيل: عزروه ومنعوه عن أعدائه، بالنصرة «**وَنَصَرُوهُ**» أعانوه على أعدائه وقاموا بنصرة دينه «**وَاتَّبَعُوا النُّورَ**» يعني القرآن؛ لأنه يهتدي به الخلق في دينهم، كما يُهْتَدَى بالنور في أمور الدنيا «**الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ**» يعني أنزله الله معه، قيل: على عهده وزمانه، وقيل: عليه، و(مع) بمعنى (على)، وكل واحد منهما يقوم مقام الآخر «**أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» الظافرون بالبغية، الناجون من العقاب، الفائزون بالثواب.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن صفته (عليه السلام) في التوراة والإنجيل، وأنه ـ تعالى ـ أخذ العهد عليهم به، وأن صفته ما ذكر في الآية.

وتدل على أن الفلاح ينال بجميع ما تقدم، فيبطل قول المرجئة.

وتدل على أنه كان أميًا، والفائدة فيه أنه أبعد من التهمة إذ كانت دلالة القرآن ممن يتعاطى ذلك.

وتدل على أن شريعته أسهل الشرائع، وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم الماضية، وذلك نعمة عظيمة على هذه الأمة.

وتدل على وجوب تعظيم الرسول ونصرته بالجهاد، ونصرته بنصرة دينه وكل أمر يؤدي إلى توهين أمرهم إلى ما يتصل بذلك؛ لأن جميع ذلك من باب النصرة، وهذا لا يختص بعصره[1] فجميع[2] ذلك لازم إلى انقضاء التكليف، وفعْلُ الجهاد بالبيان وإيراد الحجة، ووضع الكتب فيه، وحل شبهة المخالفين لَيَزِيدُ في كثير من الأوقات على الجهاد بالسيف؛ ولهذا قلنا: منازل العلماء في ذلك أعظم المنازل.

(١) بعصره: بقصده، أ.
(٢) فجميع: في جميع، أ، ش.

وتدل على أن القرآن منزل. وتدل على حدوثه.

وتدل على أن الإيمان والنصرة والتعظيم واتباع القرآن فِعْلُ العبد، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

اللغة

الكلمات: جمع كلمة، والكلمة والكلام[١] واحد، وقد يقال للقصيدة كلمة، والكلام هو: الحروف المنظومة والأصوات المقطعة، ومنهم من قال: حروف مفيدة، فيشترط الفائدة، والصحيح الأول.

والاهتداء: سلوك[٢] الطريق[٣] المؤدي إلى البغية، والهدى غير الاهتداء؛ لأن[٤] الهدى بيان الطريق، والاهتداء: سلوك[٥] الطريق.

الإعراب

«**جميعًا**» قيل: نصب على الحال، والعامل في الحال معنى في رسول.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟ وكيف نظم الكلام؟

---

(١) وذلك إذا قصد بالكلمة الكلام كما في قوله تعالى: «كلا إنها كلمة هو قائلها»، إشارة إلى قوله تعالى: «ربِ ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت».

(٢) سلوك: بسكون، د.

(٣) الطريق: طريق، أ.

(٤) لأن: لأنه، أ.

(٥) سلوك: سكون، د.

قلنا: فيه وجهان:

قيل: في الآية الأولى بيان ما فرض الله على لسان موسى (عليه السلام) في كتابه من الإيمان بمحمد والبشارة[1] به، ولزوم الحجة على أهل الكتابين، وهذه الآية خطاب للنبي ﷺ لدعاء الناس جميعًا إلى ما عرفوا وجوبه واتباعه في الكتابين، عن أبي مسلم.

وقيل: بل الآيتان[2]: ما تقدم وهذه الآية خطاب لمن كان في عصره ﷺ، عن الأصم.

ففي القول الأول هو منقطع عما تقدم من وجه متصل من وجه، وفي القول الثاني متصل بهما.

المعنى

«**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ**» خطاب لجميع المكلفين ليعلم أنه مبعوث إلى الكافة؛ لأن الرسول قد يكون إلى بعضهم كأنبياء بني إسرائيل، وقد يكون مبعوثًا إلى الكافة حسب ما يرى تعالى من المصلحة «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**» ذكر جميعًا للتأكيد، وإنما يعلم أنه مبعوث إلى قوم أو إلى الكافة بقوله، فوجب عليه البيان ليعرف ويتبع.

ومتى قيل: إذا كان مبعوثًا إلى الكافة؛ فكيف يلزمهم الإيمان به ولم تبلغهم الدعوة؟

فجوابنا أن بلوغ الدعوة شرط في وجوب الإيمان، فأما بعد ظهور أمره وانتشار دعوته فهل يجوز أن يكون مكلف لم[3] تبلغه الدعوة[4]؟ قيل[5]: لا، وقيل: نعم، والأقرب أنه لا موضع إلا وقد بلغهم الدعوة.

---

(١) والبشارة: والبشرة، أ، د.
(٢) الآيتان: الآيتين، أ.
(٣) لم: ما، أ.
(٤) الدعوة: للدعوة، أ، ض.
(٥) قيل: فقيل، أ.

«**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» وإنما ذكر ملك السماوات والأرض لأن المختص به هو المختص بالنعمة، ومعرفة الصلاح، وإظهار المعجزات، والتعبد بالشرائع، وهو الله «**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**» يعني هو المستحق للعبادةفقط، فلمَّا تفرد بالإلهية لزم الإيمان برسله وقبول ما أتوا به من الشرائع «**يُحْيِي وَيُمِيتُ**» ذكر الإحياء والإماتة عند التعبد تنبيهًا على الجزاء وأنه القادر عليه، ولولا الجزاء لما حسن التعبد «**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**» يعني محمدًا ﷺ، [«**النَّبِيِّ الأُمِّيِّ**»] قد تقدم معناه «**الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**» يعني لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو أولاً، وعليه زيادة تكليف وهو أداء الرسالة، وبيان الشرائع، والقيام بالدعوة «**وَكَلِمَاتِهِ**» أي: يؤمن بكلماته أي: الكتب المتقدمة، عن أبي مسلم. وقيل: الوحي والقرآن وسائر الكتب عن أبي علي. وقيل: آياته عن قتادة، وقيل: عيسى ابن مريم أنه عَبْدٌ رَسُولٌ،عن مجاهد والسدي. «[**وَاتَّبِعُوهُ] لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**» قيل: اقبلوا ذلك على الرجاء والطمع، وقيل: لكي تهتدوا، وقيل: لتسلكوا طريق الجنة، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه مبعوث إلى الكافة.

وتدل على أنه إنما يستحق الإيمان به وبرسله وبعبادته؛ لأن له ملك السماوات خلقًا وملكًا.

وتدل بأنه المختص بأنه يحيي ويميت، والحياة والموت عرضان، لا يقدر عليهما غير الله تعالى.

وتدل على أن الإيمان بالرسول واجب، لا ينفع الإيمان بالله إلا مع الإيمان بالرسول، فيدخل فيه التمسك بالشرائع، والتورع عن المحارم.

وتدل على أن الإيمان في الاهتداء فعل العبد، خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: «**لعلكم تهتدون**» أراد من الجميع الاهتداء، خلاف قولهم.

قوله تعالى:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٠﴾

القراءة

روى أبان عن عاصم «**قطعناهم**» بالتخفيف، والباقون بالتشديد على المبالغة، يقال: قَطَعَ يَقْطَعُ، وقَطَّع يُقَطِّع، وأَقْطَعَ يُقْطِعُ، وانقطع ينقطع، وتقطع يتقطع، واستقطع يستقطع، وقاطع يقاطع.

اللغة

الأمة: الجماعة التي تؤم، وأصله القصد[١]، أمّ يؤم[٢]: إذا قصده[٣]، ومنه: التيمم، قال الشاعر:

تَـيَـمَّـمْـتُ دَارًا ويَـمَّـمْـنَ دَارَا

فأمّة كل نبي؛ لأنها تقصد[٤] شرعه.

والسبط: الجماعة، والأسباط أولاد الأولاد، عن أبي مسلم. وقيل: السبط مأخوذ من السبوط، كأنهم يجرون الأمر بسهولة لا تفاقهم في الكلمة.

وقيل: مأخوذ من السبط: ضرب من الشجر، فجعل الأب الذي يجمعهم

(١) القصد: القسط، أ.
(٢) يؤم: يأم، أ.
(٣) قصده: قسط، د.
(٤) تقصد: تقسط، د.

كالشجرة التي تتفرع عنها الأغصان الكثيرة. قال أبو علي: لأنهم كانوا بني اثني عشر رجلاً من ولد يعقوب.

ويقال: بجس الماء وانبجس: انفتح، وهذه سحائب بجس، وانبجس العرق بالدم تفجر، وقال بعضهم: انبجست وانفجرت بمعنى.

قال أبو عمرو بن العلاء: بينهما فرق، «انبجست» خرجت بِقلَّة، «وانفجرت» خرجت بكثرة، وهو اختيار أبي علي، وعلي بن عيسى.

والظلة: السترة التي تقي الشمس.

الإعراب

قال أبو مسلم: «**أسباطا**» تمييز[1] لاثنتي عشرة[2] لذلك نصب. «**أممًا**» نعت للأسباط.

يقال: لم مُيِّز العدد بالجمع[3]، فقيل: (أسباطًا) ولم يقل (سبطًا)؟

فجوابنا: فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بدل، وليس بتمييز، بمعنى قطعناهم أسباطًا، عن الزجاج.

والثاني: على أن كل قسم أسباط؛ لأن الواحد يقال له سبط، فيجوز على هذا: عندي عشرون دراهم، على أن كل قسم منها دراهم، قال كُثيّر:

عَلِيٌّ والثلاثَةُ مِنْ بَنيهِ ... هُمُ الأسباطُ ليس بِهِمْ خَفاءُ

فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وَسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ[4]

الثالث: على إقامة الصفة مقام[5] الموصوف بتقدير: اثنتي عشرة فرقة، فحذف[6] الثاني قطعناهم قطعًا اثنتي عشرة، فحذف على هذا التقدير.

---

(١) تمييز: يعنى، أ.
(٢) لاثنتي عشرة: لاثنا عشر، د.
(٣) بالجمع: بالجميع، أ.
(٤) انظره في اللسان (كربل)، وتاج العروس (كربل).
(٥) مقام: بمقام، د، ض.
(٦) فحذف: حذف، د.

الرابع[1]: أن السبط لما وقع على الأمة أنث، قال الشاعر:

وإن كـلابًـا هـذه عـشـر أبـطـن وأنـت بـريء مـن غـنـائـمـه الـعـشـر[2]

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصة موسى وبني إسرائيل، فقال سبحانه: «**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى**» وقيل: إنه خطاب لموسى أنه يكون من أمته قوم صفتهم كذا، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ أي: من قوم موسى أمة صفتهم كذا «**أُمَّةٌ**» جماعة «**يَهْدُونَ بِالْحَقِّ**» يرشدون إلى الحق، وقيل: معناه: يهتدون يستقيمون عليه، ويعملون به «**وَبِهِ يَعْدِلُونَ**» أي: بالحق يعملون، ولا يعدلون عنه.

واختلفوا في هذه الآية على عدة أقوال:

الأول: أنهم قوم على دين موسى ثبتوا على دينه إلى الآن، وأباه أبو علي وأنكره، وذكر أنهم لو كانوا كذلك لكفروا.

الثاني: هم قوم من أمة موسى فيما مضى كان صفتهم كذلك، عن الأصم وأبي علي،وقال: وهذا قَبْل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى.

وقال أبو علي: هم قوم قد كانوا متمسكين بالحق في وقت ضلا تهم وقتل أنبيائهم.

الثالث: هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما، عن أبي علي وأبي مسلم.

وقيل: هم فرقة وراء الصين، عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وابن جريج.

لما قتلت بنو إسرائيل الأنبياء، وكانوا اثنتي عشرة سبطًا، تبرأ سِبْطٌ منهم، وسألوا

---

(١) الرابع: الثالث، أ.

(٢) الطبري ٦/٨٩.

الله أن يفرق بينهم، ففتح الله لهم نفقًا في الأرض، فساروا سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك جميعًا مسلمون مستقبلون قبلتنا.

وروي أن النبي ﷺ رآهم ليلة المعراج، ودعاهم فآمنوا، وأقرأهم سورًا من القرآن، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت، ففعلوا.

وروي أن ذا القرنين رآهم فسألهم من هم؟ فقالوا: نحن الذين قال الله تعالى: «**ومن قوم موسى أمة...**» الآية، فقال: لو أمرتُ بالمقام لسرني المقام بين أظهركم.

«**وَقَطَّعْنَاهُمُ**» يعني بني إسرائيل، وفصلناهم «**اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا**» أي: فرقًا وجماعة، قيل: كانوا أولاد يعقوب من اثني عشر ابنًا، فتوالدوا وكثروا حتى صار كل سبط أممًا، فأمرهم الله ـ تعالى ـ ألاّ يمتزجوا؛ ليكون كل سبط على حدة لئلا يتباغضوا ولا يختلفوا، ويتميز مشربهم ومطعمهم فيستقيم أمرهم، وقيل: إنما فرقوا أسباطًا لاختلاف دينهم، وإنما أضاف التفريق إلى الله ـ تعالى ـ لأنهم افترقوا بأمره، وقيل: فرق النبي بأمره، والكناية في قوله: «**وقطعناهم**» يعود إلى من كان من بني إسرائيل مع موسى وهارون في التيه، ولا ترجع إلى الأمة التي تقدم ذكرهم «**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ**» أي: طلبوا منه السقيا، فقلنا «**اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**» قيل: كان للحجر أربعة أوجه، لكل وجه ثلاثة أعين، وكان يظهر على كل موضع من الحجر فيه ضربة مثل[1] ثدي المرأة، فيعرق أولاً ثم يسيل «**فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ**» جرت؛ أي: فضرب، فانبجست أي: انفجرت بالماء، يعني خرج الماء من ذلك الحجر «**اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**» أي: كل سبط مشربهم لا يدخل سبط على غيره ولا يشرب من عينه «**مِنْهُ**» من الحجر «**اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**» قيل: اتفاقًا بينهم، وقيل: بأمر الله، ذكر الوجهين الأصم «**وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ**» أي: جعلنا لهم ظلة، أي: سترة من الغمام تقيهم من الشمس وذلك في التيه «**وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**» قيل: المن شيء حلو، والسلوى: طير يشبه السماني، عن أبي علي. وقيل: السلوى العسل، وقد بينا ذلك في سورة (البقرة) «**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**» قيل: من حلال ما أعطيناكم، وقيل: من ألذ ما أعطيناكم «**وَمَا ظَلَمُونَا**» أي: ما بخسوا حق

---

(١) مثل: من أ، د. وما أثبتناه من تفسير القرطبي: ١/ ٤٥٦، وتفسير البغوي: ١/ ٩٩.

الله بعصيانهم «**وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**» أي: بخسوا حظهم، حيث أوجبوا لها العقاب الدائم، وقيل: تركوا الأفضل وصاروا إلى الأدون كالبقل والبصل وغيره، عن أبي مسلم.

الأحكام

تدل الآية على أن الهدى هو البيان والدلالة، وأنه قد يكون من غير الله لذلك أضافه إليهم.

وتدل على معجزة عظيمة لموسى ونعمة على بني إسرائيل، وهو الحجر الذي كان معهم، إذا احتاجوا إلى الماء ضربه بالعصا فتجري منها اثنتا عشرة عينًا، ثم يحمله في محلاته.

وتدل على نعمة عظيمة ومعجزة أخرى، وهي المن والسلوى.

وتدل على أن الظلم فعلهم ليس بخلق لله ـ تعالى ـ على ما تقوله المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب «**يُغفر**» بالياء مضمومة «**خطيئاتكم**» بالألف والياء على الجمع مرفوعة على ما لم يسم فاعله.

وقرأ ابن عامر كذلك غير أنه خالفهم في قوله: «**خطيئتكم**» فقرأها بغير ألف على واحدة[1].

(١) حجة القراءات ٢٩٨.

وقرأ أبو عمرو «**نغفر**» بالنون مضافًا إلى الله ـ تعالى ـ «**خطاياكم**» بفتح الطاء والياء من دون دخول التاء[1].

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي «**نغفر**» بالنون «**خطيئاتكم**» بالألف وكسر التاء على الجمع.

۞ اللغة

السكون ضد الحركة، ومنه: المسكن؛ لأن الغالب عليه السكون فيه، وذهب أبو علي إلى أن السكون ضد الحركة، وأما أبو هاشم فيأبى ذلك، ويقول: قد يكونان ضدين، وقد يكونان مثلين؛ بأن يكونا في جهة واحدة.

والقرية: مجمع الناس، أخذ من قريت الماء في الحوض: إذا جمعته.

والحطّة: إنزال الشيء من علو، حططت الرحل وغيره، وحط الأوزار وضعها بالغفران.

والتبديل: تغيير الشيء برفعه إلى بدل.

والرجز والرجس واحد، والرجز العذاب وأصله الميل، ومنه: الرجز عبادة الوثن؛ لأنه يميل عن الحق.

۞ الإعراب

«**حطةٌ**» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: مسألتنا حطة أو مطلوبنا حطة، وإن نصب جاز بمعنى: حطّ عنا ذنوبنا، إلا أن الرفع على الخبر، والنصب على الدعاء، وكلاهما فيه معنى الطلب.

ونصب «**سجدًا**» على الحال من ادخلوا[2] الباب، و(**ما**) بمعنى المصدر، وتقديره: بظلمهم، عن أبي مسلم.

---

(١) حجة القراءات ٢٩٩.

(٢) دخول التاء: التاء، د، ض.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ ما أمر بني إسرائيل بعدما أنعم عليهم بتلك النعم وما خالفوا فيه، فقال سبحانه: «**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ**» أي: لبني إسرائيل، فقيل: القائل موسى، دعاهم إلى دخول بيت المقدس، وقيل: دعاهم يوشع بعد وفاة موسى لغزو بيت المقدس، عن أبي علي وأبي مسلم وجماعة. وأمروا أن يدخلوها بالتواضع كما تدخل الحرم «**اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ**» قيل: هي بيت المقدس، عن أبي علي. وكان الحسن لا يسميها ويقول: هي بأرض الشام «**وَكُلُوا مِنْهَا**» أي: من نعيمها «**حَيْثُ شِئْتُمْ**» أين شئتم «**وَقُولُوا حِطَّةٌ**» أي: قولوا حطة عنا ذنوبنا، وقيل: أمروا بكلمة إذا قالوها[1] حط عنهم أوزارهم «**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**» قيل: ساجدين، وقيل: خاضعين، وكان ذلك شرطًا في قبول فعلهم كما أن تسليم النفس للقتل كان شرطًا في قبول توبتهم «**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ**» أي: ما تقدم من المعاصي «**سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**» أي: نزيد ثواب المحسنين «**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**» أي: غيروا، قال الحسن: قيل لهم: قولوا حطة، فقالوا: حنطة، وقيل: قالوا: حنطة في شعيرة[2] «**الَّذِينَ ظَلَمُوا**» أنفسهم بالعصيان «**قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ**» أي: على الذين بدلوا «**رِجْزًا**» عذابًا «**مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**» أي: بظلمهم وعصيانهم.

۞ الأحكام

تدل الآية أنهم أمروا بدخول الباب على طريقة التواضع مع التوبة والاستغفار قائلين: حط عنا ذنوبنا.

وتدل على أنهم [لو فعلوا ذلك] لنالوا[3] الغفران والزيادة في الإحسان.

وتدل على أنهم بدلوا ذلك حتى استوجبوا العقاب، وأنهم عذبوا.

---

(١) قالوها: قالوا، أ، ض.

(٢) شعيرة: سفرة، أ.

(٣) لنالوا: قالوا، أ، ض.

وتدل على أن الدخول والتبديل فعلهم، لذلك عاقبهم عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

القراءة

قرأ حفص عن عاصم «**معذرة**» بالنصب أي نفعل ذلك معذرة أو نعتذر معذرة[١]. وقرأ الباقون بالرفع؛ أي: هذه معذرة، أو قولنا معذرة، فهي خبر ابتداء محذوف.

والقراءة الظاهرة: «**يَعْدُون**» بفتح الياء وضم الدال أي: يتجاوزون، وعن أبيّ: نهيتكم[٢] «**يُعِدّون**» بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من الإعداد أي: يهيئون الآلة لأخذها.

وقراءة العامة «**في السبت**» على الواحد، و«**يوم سبتهم**». وقرأ أبو السميقع «**في الأسبات**» على الجمع، وعن عمر بن عبد العزيز (**أسباتهم**) على الجمع.

وقراءة العامة «**لا يَسبِتُون**» بفتح الياء وكسر الباء، عن الحسن. «**يُسْبِتُونَ**» بضم الياء يدخلون في السبت كما يقال: أجمعنا؛ دخلنا في الجمعة، وأشهرنا أي: دخلنا في الشهر.

اللغة

السبت من الأيام، وجمعه: أَسْبُتٌ وسبوت، وأصله القطع، ومنه: السبت: حلق الرأس، وسمي سبتًا؛ لأنه ـ تعالى ـ قطع بعض خلق الأرض فيه، وقيل: لأنه أمر بني

(١) حجة القراءات ٣٠٠.

(٢) أبي نهيتكم: وأبي نهك، د.

إسرائيل بقطع العمل فيه، والسبات: النوم، وفي قوله: ﴿سُبَاتًا﴾ [النبأ:٩] أي: قطعًا لأعمالكم، يقال: سبت فلان: إذا قطع عن الأعمال التي يعنى بها، وأسبت: دخل في السبت، يسبت إسباتًا بكسر الهمزة، وسبت يسبت: إذا أقام عملاً يوم السبت، فالسبت فعلهم على هذا، وسَبَتَ يَسْبِتُ سبتًا: إذا عظم السبت على وزن ضرب يضرب ضربًا، ويقال: عدا: إذا جاوز الحد في الظلم، يعدو[1] عدوًا وعدوانًا.

والحيتان جمع حوت، وهو: حيوان يعيش في الماء.

والشرع: أصله الظهور، ومنه: الشرعة والشريعة، وهو الظاهر المستقيم من المذاهب، يقال: شرع الله كذا، أي جعله مذهبًا ظاهرًا، وسميت المَشْرَعَة والشريعة لكونهما في مكان ظاهر من البحر. والشراع: شراع السفينة لظهورها، والإبل الشُّرُوع: التي شرعت عنقها: إذا رفعته، أشبه[2] شراع السفينة لظهورها، والحيتان الشُّرَّع: الرافعة رؤوسها، ويقال: بل الخافضة.

والموعظة: الزجر عن القبيح بالتنبيه على ما فيه من سوء العاقبة.

ويقال: عذرت فلانًا فيما صنع أعذره، والاسم المعذرة والعذر والعذرة والعذراء.

ويقال: المُعَذِّر بالتشديد: الذي لا عذر له، وهو يريك أنه معذور، وهو المقصر، ومنه: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة:٩٠] والمُعْذِر بالتخفيف الذي له عذر، والمعْتَذِر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له، ومعنى: (من يعذرني): أي: من يقوم بعذري، ويقال: أعذر: إذا بالغ، وعذر: إذا قصر، والفرق بين المعذرة والتوبة أن المعذرة: إظهار أن الجناية لا يستحق عليها اللائمة، والتوبة: استدراك الخطيئة بالندم والإقلاع.

۞ الإعراب

«**شرّعًا**» نصب على الحال، و«**معذرة**» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف على ما بَيَّنَّا، ونصب «**يوم**» ومعناه: ولا تأتيهم يوم لا يسبتون.

(١) يعدو: تعدو، أ.
(٢) أشبه: شبه، أ.

المعنى

ثم ابتدأ بخبر من أخبار بني إسرائيل وما جنوا وما فعل بهم، توبيخًا لهم، وتسلية للنبي ﷺ ومعجزة له حيث يخبرهم عن سرائر أخبارهم، فقال سبحانه: «**وَاسْأَلْهُمْ**» أي: استخبرهم يا محمد هؤلاء اليهود، وقيل: هو سؤال توبيخ على ما كان منهم من الخطيئة؛ لأن[1] هؤلاء سلكوا سبيل أسلافهم، وقيل: سؤال تقرير عليهم غوامض أخبارهم لأنه يعلم من جهلهم «**عَنِ**» تعريف[2] «**الْقَرْيَةِ**» قيل: آيلة، عن ابن عباس، وقيل: مدين عنه أيضًا. وقيل: الطبرية، عن الزهري. «**الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**» أي: بقرب البحر وعلى شاطئ البحر «**إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**» أي: يتجاوزون أمر الله في السبت، وقيل: يظلمون في السبت، وكانوا نُهُوا عن صيد الحوت يوم السبت، وحرم عليهم صيدها في السبت، فاصطادوا يوم السبت، عن الحسن. وقيل: احتالوا بحبس الصيد يوم السبت وأخذه[3] يوم الأحد، وقيل: استحلوا الصيد «**إِذْ تَأْتِيهِمْ**» يعني الحيتان «**يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا**» قيل: شوارع ظاهرة على الماء كثيرة، عن ابن عباس. وقيل: متتابعة، عن الضحاك. وقيل: تشرع على أبوابهم كأنها الكناس البيض، فتعدوا وأخذوها يوم السبت، عن الحسن. وقيل: شارعة إلى المشارع، وقيل: «**شرعًا**» أي: من كل مكان، وقيل: رافعة رؤوسها «**وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ**» أي لا يفعلون السبت ولا يهيئون له، وعلى قراءة الحسن: لا يدخلون في السبت «**لا تَأْتِيهِمْ**» يعني الحيتان، لا تأتي تلك القرية كما تأتي في يوم السبت «**كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ**» أي: نختبرهم، ومعناه: نعاملهم معاملة المختبر «**بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» أي: بفسقهم استحقوا شديد المحنة عليهم في ظهور السمك بحيث يمكنهم أخذه، وهو محرم عليهم «**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ**» جماعة من بني إسرائيل للواعظين والناهين عن الصيد، وقيل: هو قول المؤمنين بعضهم لبعض، عن أبي مسلم. «**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ**» ولم يكن هذا نهيًا عن الوعظ، وإنما هو للإياس عن القبول، عن أبي علي. معناه: ما ينفع الوعظم

---

(١) لأن: أن، أ.

(٢) تعريف: ـ، د.

(٣) وأخذه: أخذوا، أ.

من لا يقبل، والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم «**أَوْ مُعَذِّبُهُمْ**» في الآخرة «**عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا**» يعني: الواعظون قالوا في جواب ما قيل لهم: «**مَعْذِرَةً**» أي نفعل ذلك معذرة إلى الله تعالى، وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر «**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**» أي: لعلهم يتقون هذا العصيان مخافة من الله تعالى، وقيل: كانوا فرقتين عاصية، وناهية، والقول دائر بين الناهية، وقيل: كانوا ثلاث فرق: عاصية، وناهية، وساكتة، وهم الذين قالوا: «**لِمَ تَعِظُونَ**» فالناهية ناجية، والعاصية هالكة.

واختلفوا في الذين قالوا: «**لِمَ تَعِظُونَ**»، فعن ابن عباس ثلاث روايات، روي أنهم ممن نجا، وهو قول أبي علي. وروي أنهم ممن هلكوا، وروي عنه التوقف.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان.

قال الحسن: وأي نهي أشد من التخويف بالعذاب، وهو اختيار الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنهم تعبدوا بتحريم الصيد يوم السبت، وأنه شدد التكليف عليهم بظهورها يومئذ، وأنهم خالفوا أمر الله، وهذا القدر يقتضيه الظاهر.

ومتى قيل: فظهور الحيتان يوم السبت دون غيره من الأيام، هل كانت معجزة؟

قلنا: اختلفوا فيه، فقيل: كانت معجزة لنبي ذلك الزمان؛ لأنه لا يتفق السمك أن يأتي في الأنهار كثيرًا في يوم واحد، ولا يظهر في سائر الأيام، فإذا كان كذلك، فلا بد أن الله ـ تعالى ـ قوى دواعي الحيتان يوم السبت، فظهروا، وصرفهم في سائر الأيام، فلم يظهروا، فكانت معجزة.

وقيل: كانت جرت عادتهم بترك الصيد يوم السبت فعلموا ذلك اليوم على عادتهم، كما تعتاد الدواب كثيرًا من الأسباب.

وتدل على أن استحلال ما حرم الله كفر، فلذلك استحقوا عذاب الدنيا والآخرة.

وتدل أنهم خالفوا الأمر سواء اصطادوا يوم السبت أو احتالوا يوم السبت، وأخذوا يوم الأحد.

وتدل على أن يوم السبت كان مخصوصًا بذلك، وروي أنه عرض عليهم الجمعة، فقالوا: نريد يوم السبت، فجعل لهم يوم السبت عيدًا، وحرم عليهم الأعمال فخالفوا، فأهلكهم الله تعالى.

وتدل على أنه كان ابتلاء إلا أن مصلحتهم في ذلك أن يكون ابتلاء عقيب الفسق ككثير من الشرائع في شريعتنا، ولا يقال: إنه كان عقوبة؛ لأن التكليف يؤدي إلى ثواب عظيم، فيستحيل أن يكون عقوبة.

وتدل على أن الاعتداء كان فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

القراءة

في قوله: «بئيس» إحدى عشرة قراءة، خمس[1] في السبع، وست[2] خارج السبع.

أما التي[3] في السبع[4]:

فأولها: «بِيسَ» بكسر الياء غير مهموز على وزن (فَعِلَ) نحو: وَقِرَ، وهي قراءة أبي جعفرونافع.

الثاني: «بِيْسٍ» بكسر الباء وتسكين الياء من غير همز، نحو: لِيلِ، وهي قراءة خارجة عن نافع.

---

(١) خمس: خمسة، أ، ض.

(٢) وست: ستة، أ.

(٣) التي: الذي، أ، ض.

(٤) حجة القراءات ٣٠٠.

الثالث: «**بِئْس**» بكسر الباء والهمز، نحو: بِئْر، وهي قراءة ابن عامر.

الرابع: «**بَيْأَس**» بفتح الباء والهمزة على وزن (فَيْعَل) نحو: صَيْقَل، أبو بكر عن عاصم.

الخامس: «**بَئِيس**» على وزن (فعيل) بفتح الباء وكسر الهمزة، نحو: قليل، ابن كثير، وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ لأن فعيل أشبه بالصفات والنعوت، وهو الأشهر والأعرف، قال ذو الأصبع العدواني:

حَــنَــقًــا عَــلَــيَّ وَمَــا يَــ ـرَى لِـي فِـيـهُـم أَثَـرًا بَـئِـيـسَـا

فأما التي هي خارج السبع:

فالأول: عن الحسن (**بِيسَ**) بكسر الباء وفتح السين على معنى: بيس العذاب.

والثاني: عن مجاهد (**بايس**) على وزن (فاعل).

الثالث: عن أُبَي (بَيَس) بفتح الباء والياء من غير همز على وزن (فعل) نحو: جمل.

الرابع: عن نصر بن عاصم بفتح الباء وكسر الياء مشددًا من غير همز، على وزن (فَعِّل) نحو: جيد.

الخامس: عن بعض أهل مكة (بيس) بكسر الباء غير الهمزة نحو: ليل، على وزن (فِعْل).

السادس: عن بعضهم (بَيِس) على وزن (فعل) مثل: حَذِر، بفتح الباء وكسر الياء.

۞ اللغة

النسيان ضد الحفظ، يقال: نسي نسيانًا، والنسيان: الترك أيضًا، وقيل: إنه مجاز، يعني أنه كالمنسي، والبئيس: الشديد، يقال: رجل بئيس شديد، وعذاب بئيس

شديد، وقد بَؤُسَ يَبْؤُس بأسًا: إذا اشتد، وبَئِسَ يَبْأَسُ بُؤْسًا وَبِيسا: إذا افتقر، فهو بائس، سمي بذلك لشدة الفقر.

والعتو: الخروج إلى أفحش الذنوب، وقيل: العاتي: المبالغ في ركوب المعاصي، يقال: عتا يعتو عتوًا، وتعتى فلان، إذا لم يطع، والليل العاتي: الشديد الظلمة، وأمور عاتية: شديدة، ويقال لكل أمر شديد عظيم: عات، ومنه: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

والخاسئ: المطرود المبعد عن الخير، من قولهم: خسأت الكلب: إذا باعدته زجرًا وتحقرًا.

المعنى

ثم ذكر تمام[١] قصة أصحاب السبت، فقال سبحانه: «**فَلَمَّا نَسُوا**» قيل: تعرضوا لنسيانه، وقيل: تركوه ترك الناسي له، فأما نفس النسيان فليس فعلهم، فلا يذمون عليه «**مَا ذُكِّرُوا بِهِ**» يعني ما وعظوا به وذكر لهم من وعد الله ووعيده «**أَنْجَيْنَا**» خلصنا «**الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ**» يعني الذين نهوا عن المعصية وهو صيد يوم السبت «**وَأَخَذْنَا**» بالعقوبة «**الَّذِينَ ظَلَمُوا**» باعتدائهم في السبت «**بِعَذَابٍ بَئِيسٍ**» شديد، عن ابن عباس والحسن ومجاهد، وقتادة وابن زيد. «**فَلَمَّا عَتَوْا**» أي: أفرطوا في التعدي والإصرار عليه، وأمنوا العذاب، قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية «**قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً**» أي: جعلناهم قردة، وإنما[٢] ذكر (كن)؛ ليدل أنه لا يمتنع عليه شيء، أنّ[٣] جَعْلَهُمْ قردةً أسرعُ من قوله: كن، من غير نَصَبٍ ولا تعب[٤]، ولأن العبد لا يقدر على تغيير الصور، فلا بد من أن يكون معناه ما ذكرنا و(كن) تنبيه، وهذا قول شيخنا

(١) تمام: ـ، د، تما، أ.
(٢) وإنما: فإنما، د.
(٣) أن: وأن، أ، ـ ، د.
(٤) تعب: نعت، أ.

أبي علي، وأبي هاشم. وقيل: إنه جعلهم قردة، وقال هذا القول لما في سماعه من المصلحة، يحكى ذلك عن أبي الهذيل، وليس بالوجه.

ومتى قيل: خلق القردة ليس بعقوبة، فكيف عاقبهم به؟

فجوابنا: تغيير الصور الحسنة إلى القبيحة مع قصد الإهانة واحتباس الكلام مما يعم ويضر، فيكون عقوبة.

ومتى قيل: فيجب أن يعقلوا ذلك.

قلنا: لا بد، وإنما غير ظواهرهم، فأما بواطنهم فعلى[1] ما كانت.

«**خَاسِئِينَ**» أي: قردة صاغرين أذلاء، عن الأصم. قال قتادة: صاروا قردة لها أذناب تعاوي بعدما كانوا رجالاً ونساء، وقيل: الخاسئ الذي لا يتكلم، عن أبي روق. وقيل: مطرودين مبعدين، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: مكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس، ثم هلكوا ولم يتوالدوا، عن ابن عباس. ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام، وقيل: عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا، عن مقاتل. وقيل: توالدوا، عن الحسن، وليس بالوجه؛ لأن القردة الآن ليست من ولد آدم كالكلب، وروى ابن مسعود قال: إن الله ـ تعالى ـ لم يمسخ شيئًا فجعل له نسلاً وعقبًا. وقيل: صارت الشباب قردة، والشيوخ خنازير، عن قتادة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ عذب الكافرين، وخلص[2] المؤمنين، فيدل أن ذلك جزاء لأفعالهم.

وتدل على أن المسخ كان عقوبة لهم.

وتدل على أن العتو والفسق فعلهم حتى استحقوا العقاب عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

(١) فعلى: على، أ، ض.
(٢) وخلص: أخلص، أ.

وتدل على أنه[1] أخذهم بعذاب بئيس، فلما لم يرجعوا أهلكهم، فلو كان ذلك خلقًا له لم يكن لذلك معنى.

ومتى قالوا: قوله: «**نسوا**» يدل على أنه يأخذهم بالنسيان، وهو فعله.

فجوابنا قد بينا معناه، وأنه إما أن يكون المراد به الترك أو التعرض للنسيان؛ لأن الأخذ بما هو فعل الله ـ تعالى ـ قبيح، فلا يجوز عليه.

القصة

قيل: كانت هذه القصة زمن داود (عليه السلام)، وعن ابن عباس: أمروا بالجمعة، فتركوا وأحبوا السبت فَابْتُلُوا به، ونُهُوا عن الصيد يوم السبت فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت، فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون، ثم أتاهم الشيطان، وقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتخذوا الحياض والشبكات يوم الجمعة حتى تدخلها الحيتان، ثم خُذُوها[2] يوم الأحد. وعن الحسن: أخذوا يوم السبت.

وعن ابن زيد: كانت يوم السبت تأتيهم وفي غيره لا تأتيهم، فأخذ رجل حوتًا، وربط على ذنبه خيطًا وشده إلى الساحل، ثم أخذه يوم الأحد، وشواه، فلاموه على ذلك، فلما لم يأته العذاب أخذوا وأكلوا وباعوا، وكانوا نحوًا من اثني عشر ألفًا، فصار الناس ثلاث فرق: نهى بعضهم، وعصى بعضهم، وأمسك بعضهم، فنهوا فلم ينتهوا، فقالوا: لا نساكنهم، واعتزلوا، وقسموا القرية، ولعنهم داود، فأصبحوا يومًا ولم يخرج من العاصين أحد، فعلوا الجدر، ونظروا فإذا هم قردة، ففتحوا الباب ودخلوها، وكانت القردة تعرفهم، فجعلت تبكي، فإذا قيل: ألم ننهكم، فتومئ برأسها نعم.

وقيل: هلكوا بعد ثلاثة أيام، وقيل: بعد سبعة أيام، وقيل: سلط الله عليهم سيلاً، فهلكوا به.

---

(١) أنه: أن، أ.

(٢) خذوها: أخذوها، أ، د، ض.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

اللغة

الأذان: الإعلام، وأذن تَأَذَّن[1] بمعنى حدّث وتحدث، وتأذن: أعلم، والأذان للصلاة، سمي بذلك؛ لأنه إعلام، وآذَنَ إيذانًا: أعلم، ومنه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ[2]﴾ [الأعراف: ٤٤].

والسَّوْم قيل: مأخوذ من السوم الذي هو المرعى، ومنه: إبل سائمة، فكأنه قصر بها على المرعى لتسمن، ثم استعير، فجعل القصر على الهوان سومًا، عن أبي مسلم. وقيل: يسومونكم، يحملونكم على ذلك ويطالبونكم به، ومنه: السوم في البيع: هو أن يطلب سلعته بثمن.

الإعراب

اللام في قوله: «**ليبعثن**» لام القسم «**أممًا**» نصب بـ(**قطعناهم**).

«**وبلوناهم**» عطف على (**قطعناهم**) تقديره: قطعناهم أممًا وبلوناهم، فمنهم الصالح، ومنهم دون ذلك.

النظم

ويقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قيل: إنه يتصل بقصة بني إسرائيل يعني أعلمكم الله فيما أنزل إليكم قديمًا أنه يبعث محمدًا ﷺ، فتكون له الغلبة على اليهود إلى يوم القيامة، عن أبي مسلم.

---

(١) تأذن: يأذن، أ، ض.

(٢) فأذن مؤذن: فأذن يؤذن، أ، د، ض؛ وهو تصحيف لأنه استدل بالآية، وهي: «فأذن مؤذن»، كما أثبتناه.

وقيل: بل هو ابتداء كلام للنبي ﷺ وإعلام الناس بذلك، عن أبي علي.

۞ المعنى

﴿إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلم، عن الحسن والأصم وأبي علي وأبي مسلم والزجاج. وقيل: تألى، عن الزجاج، فمعناه: أقسم قسمًا يسمع بالأذان، وقيل: قال ربك، عن ابن عباس. وقيل: أمر، عن مجاهد. وقيل: حتم، عن عطاء. وقيل: أخبر، عن أبي عبيدة. وقيل: وعد، عن قطرب. «**لَيَبْعَثَنَّ**» قيل: البعث هو الإطلاق بالأمر والمعونة لأمة محمد، وقيل: بالتخلية وإن وقع على وجه المعصية كقوله: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ [مريم:٨٣]، «**عَلَيْهِمْ**» قيل: على اليهود، عن الحسن وقتادة وأبي علي. وقيل: على أهل الكتاب، عن سعيد بن جبير. «**مَنْ يَسُومُهُمْ**» قيل: يحملهم عليه، قيل: هم العرب، وقيل: أمة محمد ﷺ «**سُوءَ الْعَذَابِ**» قيل: بالذلة وأخذ الجزية أو القتل، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد ب «مَنْ[(١)]» هو، وعنى بقوله: «**يسومونهم سوء العذاب**» من كان في عصره من اليهود كقريظة والنضير وخيبر، يذلهم إلى يوم القيامة «**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ**» قيل: أراد تقريبه؛ لأنه آتٍ لا محالة فهو سريع، وقيل: إنه سريع لمن استحق يعجله في الدنيا؛ لأنه يتأخر عن وقته، عن أبي علي. «**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**» يغفر الذنوب بالتوبة، ويرحم المؤمنين فيدخلهم الجنة «**وَقَطَّعْنَاهُمْ**» يعني بني إسرائيل، قيل: فرقناهم على ما علمنا أنه أصلح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق، وقيل: فرقناهم فَتَشَتَّتَ أمرهم وذهب عزهم عقوبة لهم، وقيل: خالف بين دواعيهم حتى تفرقوا وتشردوا وذهب منعهم، وقيل: فرقهم الله حتى أمرهم بالخروج من أرض العرب، فـ «**مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ**» قيل: منهم صالح ومنهم منتقص من معاصيه، و«**دون ذلك**» يعني في الصلاح، وقيل: «**مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ**» المؤمنون بمحمد وعيسى ـ عليهما السلام ـ «**وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ**» الكافرون، عن عطاء ومجاهد. وقيل: الصالحون الذين هم وراء الصين، و«**دون ذلك**» ما بَيَّنَّا عن الكلبي، وليس بشيء «**وَبَلَوْنَاهُمْ**» اختبرناهم أي: عاملناهم معاملة المختبر؛ ليظهر المعلوم منه

---

(١) من: فمن، أ، د.

«**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**» قيل: بالنعم والنقم، والخصب والشدة، والعافية والبلايا «**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**» لكي يرجعوا عن معصية الله والباطل إلى طاعة الله ودين الحق.

ومتى قيل: كيف يصح قوله: «**يرجعون**» إلى الحق، ولم يكونوا فيه؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا مارين على وجوههم في جهة الباطل، فدعوا إلى الرجوع إلى جهة الحق.

الثاني: أنهم ولدوا على الفطرة، وهو دين الحق الذي لزمهم أن يرجعوا إليه.

الأحكام

تدل الآية على أنه يستمر باليهود الذين ثبتوا على الكفر بنبينا محمد ﷺ الذلة والصغار والقهر إلى يوم القيامة، وقال أبو علي: فيدل على أنه لا يكون لهم دولة ولا عز، وعلى اتصال ذلهم.

وتدل على أن أتباع الدجال ليس هم اليهود على ما جاء عن بعضهم؛ لأنه ـ تعالى ـ حكم بأنه لا يكون لهم منعة إلى يوم القيامة، ولأن الدجال يدعي الربوبية على ما روي، وليس ذلك طريقة اليهود، فإذا اعترفوا به خرجوا من اليهودية، فإن صح الخبر فالمراد به أنهم كانوا يهودًا ثم انتقلوا.

وتدل على أنه ابتلاهم بالحسنات الداعية إلى الشكر، والسيئات[1] الداعية إلى الصبر[2]، فلم يشكروا، ففرقهم وأزال عزهم.

وتدل على قولنا في اللطف أنه يفعل بكل مكلف ما هو الأصلح.

وتدل على أنه أراد من الجميع الرجوع إلى الحق.

وتدل على أن الرجوع فعلهم لذلك فعل بهم حتى يرجعوا، فيبطل قولهم في المخلوق والإرادة.

---

(١) والسيئات: والسيئة، أ، ض.

(٢) الصبر: الضر، أ، ض.

قوله تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم «**يُمْسِكُون**» مخففة من يمسك[1] ، وهو قراءة عمر بن الخطاب وأبي العالية، وقرأ الباقون بالتشديد، وهو اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم؛ لأنه يقال: مَسَّكْتُ بالشيء، ولا يقال: أمسكته بالشيء، وإنما يقال: أمسكته. وعن الأعمش: والذين استمسكوا بالكتاب، وعن أبي بن كعب: تمسكوا بالقراءة.

والقراءة الظاهرة: «**ودرسوا ما فيه**» يعني قرؤوا. وقرأ السلمي: «**ادّارسوا**» أي: تدارسوا، مثل: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف:٣٨]، يعني قرأ بعضهم بعضًا.

والقراءة الظاهرة: «**يعقلون**» بالياء، وعن الحسن بالتاء على الخطاب، وقد بَيَّنَّا في غير موضع أنه لا يجوز القراءة إلا بالظاهر والمستفيض، وأن هذه القراءة الشاذة لا تخلو من وجوه:

إما أن يكونوا قرؤوا، أو كان قراءة قبح، أو كان مذهبهم بأن قراءة القرآن بسائر اللغات جائز.

وإما أن أراد القرآن هو المنقول المستفيض دون ما سواه، فلا شبهة فيه.

اللغة

الخلْف بسكون اللام: من يجيء بعد، والخلَف بفتحها: ما أخذ لك بدلاً مما أُخِذَ منك.

---

(١) حجة القراءات ٣٠١.

قال الفراء: يقال: خَلْفُ سوء، وخَلَفُ صدق.

وقال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح: الصالح، وبالسكون: الطالح. قال لبيد:

وَبَقِيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[1]

وقيل: الأغلب على الخلْف بالسكون أن يستعمل في الذم، وقيل: هو مأخوذ من خَلْف اللبن: إذا طال مكثه في السقاء حتى تغير وفسد، ومنه: خَلْفُ فَمِ الصائم: إذا تغير.

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح، قال علي بن عيسى: وقد يوضع أحدهما مكان الآخر. قالحسان:

لَنَا القَدَمُ الأولى إليك وخَلْفُنا لأَوَّلِنَا في طَاعَةِ الله تَابِعُ[2]

والعرض: ما يعرض، ويقل لبثه، عرض هذا الأمر يعرض فهو عارض، ومنه سمي العرض القائم بالأجسام عرضًا؛ لأنه يعرض في الوجود، ولا يجب له من اللبث[3] والبقاء ما للأجسام، وسموا السحاب عرضًا.

والأدنى: تذكير الدنيا، فعرض الدنيا أراد عرض هذه الدار الدنيا، فلما ترك الاسم المؤنث ذكر البعث لتذكير اللفظ.

والدَّرْسُ: تكرير الشيء، درس الكتاب: إذا كرر تلاوته، ومنه: درس المنزل: إذا تكرر عليه مرور الأيام والأمطار والرياح حتى امّحى أثره.

والأجر: ما يستحق على العمل، والأجرة: المرة، والأجر: اسم الخير.

الإعراب

يقال: ما خبر **«الذين»** ؟

---

(١) صدر البيت: ذَهَبَ الذين يُعَاش في أكنافهم.
انظره في العين (خلف)، والصحاح (خلف)، واللسان (خلف).

(٢) انظره في اللسان (خلف)، وتاج العروس (خلف).

(٣) اللبث: الكتب، أ، ض.

قلنا: فيه قولان:

أولهما: «**إنا لا نضيع أجر المصلحين**» ويكون فيه معنى التعليل، كأنه قيل: إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم[1] .

وثانيهما: أن يكون مجرورا عطفا على قوله: «الذين ينفقون»، ويكون قوله: «إنا لا نضيع» زيادة [مذكورة لتأكيد ما قبله[2] .

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «**والذين يمسكون بالكتاب**» في أمة محمد ﷺ، عن عطاء.

وقيل: نزل في اليهود، عن مجاهد[3] .

۞ المعنى

لما تقدم ذكر أسلاف بني إسرائيل، وما كان منهم من الأفعال القبيحة عقبه بذكر الأخلاف، وما أحدثوا من الأفعال الذميمة، فقال سبحانه: «**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**» أي: حدث وجاء بعدهم بدلاً منهم «**مِنْ بَعْدِهِمْ**» أي: بعد مَنْ تقدم ذكرهم «**خَلْفٌ**» أي: بدل سوء، تقديره: جاء قوم سوء بعد قوم صالحين، وقيل: قوم سوء بعد قوم سوء، وقيل: الخلَف: من كان في زمن موسى، والخلْف من كان في زمن محمد ﷺ ولم يؤمنوا به، والضمير في قوله: «**بعدهم**» قيل: يرجع إلى بني إسرائيل، وقيل: إلى اليهود المتفرقين في البلاد «**وَرِثُوا الْكِتَابَ**» يعني التوراة، يعني علموا الكتاب، ولكن لم يعملوا بما فيه «**يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى**» أي: متاع الدنيا ونعيمها، وقيل: كانوا يرتشون في تغير حكم التوراة ويغيرون صفة النبي ﷺ لعوامهم، وقيل: يطلبون بعلمهم الدنيا، عن الأصم. وقيل: هو الرشوة من قضائهم على الحكم، عن سعيد بن جبير. وقيل: يتوثبون على الدنيا بالأجرة التي لا تحل، فيأخذون من كل وجه، في

(١) منهم: زيادة من تفسير البيان: ٥/ ٢٣.

(٢) نقلا من الزاري: مفاتيح الغيب، ج٨/ ٣٨.

(٣) مجاهد: الزيادة من الطبري ٦/ ١٠٨.

نفقون في المعاصي، ولا يبالون، وإن كان في الكتاب خلافه، وقيل: كان رؤساؤهم إذا هابوا أحدًا بعثوا بمال إلى علمائهم، فيفتون لهم خلاف ما في التوراة بما يَهْوُونَ، ويقولون المصلحة فيه، «**وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا**» قيل: يقولون: إن الله ـ تعالى ـ يغفر لنا الذنوب؛ لأنهم عملوا مع اعتقاد التحريم، وكانوا يقولون يغفر لنا ذلك كما تزعمه المرجئة، وقيل: كانوا يقولون: إنا اتبعنا المصلحة ليغفر الله لنا ذلك «**وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ**» قيل: معناه أنهم أهل إصرار على الذنوب، عن مجاهد وقتادة والسدي وسعيد بن جبير وأبي علي وأبي مسلم. يعني إن عرض لهم ذنب آخر عملوه، وقيل: إنه لا يشبعهم شيء، عن الحسن. وقيل: معناه إن أتى الآخرين عرض كما أتى الأولين أخذوه، عن السدي. وقيل: إن يأتي يهود يثرب عرض مثله يأخذوه، كما أخذته أسلافهم «**أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ**» يعني العهد المأخوذ على بني إسرائيل بإقامة التوراة «**أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ**» يعني قرؤوا مرة بعد مرة، وقيل: «**درسوا**» يتصل بقوله: «**ورثوا الكتاب**» يعني ورثوه ودرسوا ما فيه، ثم اختلفوا، وأخذوا عرض هذا الأدنى، وقيل: إنه يتصل بأخذ الميثاق يعني أخذوا ميثاقهم في الكتاب، وهم قرؤوا ذلك، وقيل: درسوا أن الله لا يغفر للمُصِرِّ على الكبائر، عن أبي مسلم. «**وَالدَّارُ الآخِرَةُ**» بمعنى الجنة «**خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**» الكبائر، وأتى بخصال التقوى، وقيل: يتقون الشرك والحرام «**أَفَلا تَعْقِلُونَ**» استفهام، والمراد التقرير، أي: اعلموا أنه كذلك.

ولما توعد المعرض عن الكتاب وَعَدَ المستمسك، وقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ**» أي: يتمسكون بالكتاب، والتمسك هو العمل بما فيه، وقيل: هو الصبر على حلالها، واجتناب حرامها «**بِالْكِتَابِ**» قيل: القرآن، والمتمسك به هم أمة محمد ﷺ، عن عطاء. وهو اختيار القاضي. وقيل: الكتاب التوراة، والمتمسك به اليهود والنصارى الذين لا يحرفونه، ولا يكتمونه، عن مجاهد وابن زيد. «**وَأَقَامُوا الصَّلاةَ**» وإنما خص الصلاة بالذكر، وإن دخل في المستمسك في الكتاب لجلالة قدرها[1] وتفخيم شأنها «**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**» نجازيه على أعماله حتى لا يضيع شيء.

---

(١) قدرها: فوقها، أ.

الأحكام

تدل الآية على وعيد المعرض عن الكتاب، ووعد من تمسك به تنبيهًا لنا وتحذيرًا عن سلوك طريقتهم.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ لا يضيع أجر عمل، فيدل على صحة قولنا في الموازنة، وبطلان من يقول بالتحابط.

وتدل على أن[1] الاستغفار باللسان، وتمني المغفرة لا ينفع حتى يكون معها التوبة والعمل، وقد روي عن أبي العالية قال: يأتي على الناس زمان تَحْرُنُ صدورهم من القرآن لا يجدون لها حلاوة، إن قصروا فيما أمروا به قالوا: إن الله غفور رحيم، وإن جاؤوا بما نهوا عنه قالوا: سيغفر[2] لنا إنا لا نشرك بالله، أمرهم كله طمع، ليس معه خوف، لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم المداهن.

وتدل على أن أخذ عرض الدنيا من أولئك والتمسك بالكتاب وإقام الصلاة والصلاح من هؤلاء فِعْلُهُم، ليس بخلق لله تعالى، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

اللغة

النتق: أصله: القلع، وكل شيء قلعته ورميت به: نتقته، ومنه قيل للمرأة الكثيرة الولد: ناتق؛ لأنها ترمي بالأولاد رميًا[3] ، هذا قول أبي عبيدة، ومنه يقال: نتق ما في الجراب إذا نثر ما فيه باقتلاع له من موضعه، وقيل: أصل النتق: الرفع، يقال:

---

(١) أن: ـ ، أ.

(٢) سيغفر: أستغفر، أ.

(٣) رمياً: رهقًا، د.

الناتق: الرافع، وامرأة ناتق ومنتاق: كثيرة الولد، سميت بذلك لرفع الأولاد، نَتَقَت المرأة تَنْتُقُ نتوقًا فهي ناتق ومنتاق: إذا كثر ولدها؛ لأنها ترفعهم، ثم تضعهم، وهذا قول ابن الأعرابي، ومنه: نتقني الستر: حركني ورفعني، وقيل: أصلال نتق: الجذب، يقال: نتقت الغَرْب من البئر: جذبته، وهو قول أبي مسلم. وقيل: أخذ ذلك من نتق السقاء، وهو نقضه حتى يقتلع الزُّبْدة منه، ومنه قوله: «**نتقنا الجبل**» فإنه قُلِعَ من أصله.

قال القتيبي: والظلة: كل ما أظلك، يعني سترك.

والظن قيل: هو الاعتقاد إذا كان لأحد[1] النقيض[2] مر به، وقيل: بل هو جنس برأسه. والقوة والقدرة من النظائر.

الإعراب

«**خذوا**» أمر، وفيه حذف، فكأنه قيل: وقلنا: خذوا ما آتيناكم بقوة.

المعنى

عاد الكلام إلى بني إسرائيل زمن موسى(عليه السلام)، فقال سبحانه: «**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ**» قيل: قلعناه عن مكانه، وأصله، عن الحسن. وقيل: زعزعناه باستخراجه من أصله، عن أبي عبيدة. وقيل: رفعناه،وقيل: علقناه، عن الفراء. «**فَوْقَهُمْ**» أي: فوق بني إسرائيل، قيل: رفع الجبل على عسكرهم فرسخًا في فرسخ، عن الفراء. وقيل: لما أبوا أن يقبلوا حكم التوراة لما فيها من المشقة وعظهم موسى فلم يقبلوا، فرفع الله الجبل، وقيل لهم: إن قبلتم وإلا وقع عليكم، عن الخسن. قال الحسن: فسجد كل رجل على الحاجب الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفًا، فلا نرى اليوم يهوديًا إلا يسجد على حاجبه الأيسر، ولما كتب الله الألواح لموسى لم يبق شيء إلا

(١) لأحد: لأجل، أ، ض.

(٢) النقيض: النقطتين، د.

اهتز؛ فلذلك لا نرى يهوديًا يقرأ التوراة إلا ويهتز، ويحرك رأسه. وروي نحوه عن ابن عباس. «**كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**» قيل: كان رفعه تخويفًا، عن أبي علي. وقيل: كان نعمة تدعوهم إلى الطاعة فخافوا ذلك، فجعل ظله يقيهم الحر والبرد، عن أبي مسلم. «**وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ**» قيل: علموا أنه واقع بهم إن لم يفعلوا ما أمروا به، عن الحسن. وقيل: قوى في نفوسهم أنه واقع لمخالفتهم «**خُذُوا**» قيل: هذا ابتداء كلام وليس لرفع الجبل، عن أبي مسلم، قال: وذلك نعمة عطف بها على سائر نعمه، وقيل: فيه حذف، تقديره: وقيللهم: خذوا «**مَا آتَيْنَاكُمْ**» أعطيناكم التوراة وأحكامها «**بِقُوَّةٍ**» قيل: بجد واجتهاد، فقالوا: نأخذها بقوة، ثم نكثوا العهد، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد. «**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ**» من الأحكام «**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» أي: افعلوا ذلك متعرضين للتقوى، وقيل: لكي تتقوا مخالفة أمر الله وعذابه.

۞ الأحكام

ظاهر الآية يدل على أنه رفع الجبل فوقهم، وخَوَّفَهُمْ سقوطه عليهم إن لم يقبلوا ما أمروا به.

ومتى قيل: كيف يجوز والحال هذه بقاء التكليف، والحال حال الإلجاء؟

قلنا: ليس فيه إلجاء، وهو بمنزلة عرض القتل على المرتد، ولأنهم ظنوا وقوعه، والأولى أن يقال: إنه رفعه فوقهم نعمة وظلة، كما قال أبو مسلم، ثم خوفهم بوقوعه، فلا يكون إلجاء كما يخوف بسائرالعقوبات.

ويدل قوله: «**بقوة**» على أن فيهم قوة الأخذ، فدل على أن الاستطاعة قبل الفعل، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الأخذ والترك فِعْلُهُم، فيبطل قولهم في المخلوق.

ويدل قوله: «**لعلكم تتقون**» أنه أراد من الجميع التقوى، فيبطل قولهم في الإرادة والمخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب: «**من ظهورهم ذرياتهم**» [1] بالألف وكسر التاء على الجمع، وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: «**ذريتهم**» بغير ألف وفتح التاء على الواحد.

وقرأ أبو عمرو: «**شهدنا أن يقولوا**» بالياء على الخبر عنهم، وقرأ الباقون بالتاء فيهما على الخطاب.

اللغة

الذرية جمعها ذريات، وذرية قيل «فُعْلِيَّة» نحو قمرية، وأصله من الذَّرّ، شبه به لصغرهم، وقيل: لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر، وقيل: هو من «ذرأ الله الخلق» أي: خلقهم. والتفصيل: تبيين[2] الحق من الباطل، فَصَلْتُ الأمر فصلاً، والفَيْصَلُ[3] : الحاكم، لأنه يفصل بين الخصمين أي: يبين الحق بينهما.

الإعراب

العامل في قوله: «**وإذ**» قيل محذوف، وتقديره: واذكر، عن أبي علي. وكسرنا

(١) حجة القراءات ٣٠١.

(٢) تبيين: تبين، أ.

(٣) والفيصل: الفصيل، د.

«**ذرياتهم**»؛ لأنه مفعول (أخذ)، فيكسر في الجمع، وينصب في الواحد. «**أو تقولوا**» محله نصب عطفًا على «**تقولوا**» فنصبه بـ(أن). «**وكذلك**» الكاف كاف التشبيه، و(ذلك) يقتضي بيانًا بعد بيان.

۞ النظم

ويقال: كيف اتصال الآية بما قبلها؟ وكيف تقديرها؟

قلنا: قيل: إنها تتصل بدلائل التوحيد المذكورة قبل قصص الأنبياء، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ »، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ﴾ ، كأنه ذكر التوحيد ودل عليه، ثم اختص خبر الأنبياء، ثم عاد إلى بيان أدلة التوحيد وذم الشرك.

وقيل: يتصل بما قبله من أخذ الميثاق على بني إسرائيل بأن يعملوا بالتوراة، ثم عقبه بأخذ الميثاق على جميع بني آدم.

وقد قدروا نظم الآية على وجوه أقربها أن تقديرها: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم وقد أريتكم[1] في ذريتكم وأنتم بمنزلتهم في الإخراج من صلب الآباء؟ فقالوا: بلى، شهدنا [قيل:] فلا تقولوا: كنا غافلين عن هذا، أو تقولوا على تقليد الآباء.

۞ المعنى

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية، وفي هذا الإخراج والإشهاد، وروى بعضهم فيها حديثًا لا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا هو من الظاهر نقلاً حتى تعلقت بها أهل التناسخ وجماعة من الملحدة، ونحن نبين ذلك، ونميز بين الصحيح والفاسد.

فقال جماعة من المفسرين: إن الله ـ تعالى ـ أخرج الذرية، وهم الأولاد من أصلاب آبائهم، وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفة، فأخرجت إلى رحم الأمهات وجعلها علقة، ثم مضغة حتى أنشأها بشرًا سويًا حيًا مكلفًا، فجعل خلقه إياهم لذلك إخراجًا

---

(١) وقد أريتكم: وقد أرأيتكم، أ، ض.

من أصلابهم؛ لأن أصلهم خرج منها، ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته، وعجائب خلقته، وغرائب صنعته من أعضاء سوية، وحواس مدركة، وجوارح ظاهرة وباطنة، وأعصاب، وعروق، وغير ذلك مما يعلمه من تفكر فيه، فلما ركب ذلك فيهم[1] وكلها تدل عليه وعلى صفاته ووحدانيته، فبالإشهاد بالأدلة صار كأنه أشهدهم بقوله، وقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»، وهم بما ظهر عليهم من آثار الصنعة، صار كأنهم قالوا: بلى، وإن لم يكن هناك قول باللسان فبالبيان، ولذلك نظائر، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، ومعلوم أنه لم يكن ثَمَّ قول، ولكن لما انصرف كما بينا كان ذلك بمنزلة قولها: أطعنا، وقال الشاعر:

امْتَلأ الحَوْضُ وقَالَ قَطْنِي مَهْلاً[2] رويدًا قد مَلأْتَ بَطْني[3]

أي: امتلأ الحوض وظهر من امتلائه ألا يسع فيه شيئا، وكأنه قال: قطني.

وقال آخر:

فقالت[4] له العَيْنَانِ سَمْعًا وطَاعَةً وحَدَّرَتا كالدُّرِ لَمَّا يُثَقَّبِ[5]

يعني: أراد البكاء فبكت، فصار كأنهما قالتا: أطعنا.

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وقال بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وأينع ثمارك، فإن لم تجبك حوارًا أجابتك اعتبارًا.

وعلى هذا أكثر كلام العرب وأشعارهم، سألت الأطلال والديار فقالت كذا

(١) فيهم: فيه، أ، ض.
(٢) مهلاً: سيلاً، أ.
(٣) لسان العرب (قطن)، وتهذيب اللغة (قط).
(٤) فقالت: قالت، أ، ض.
(٥) المحكم (قول)، واللسان (قول)، وتاج العروس (قول).

وكذا، وذلك مما لا يحصى كثرةً[1] ، فعلى هذا هو عام في جميع بني آدم، وهذا قول الأصم وأبي مسلم وأبي بكر أحمد بن علي.

وقال جماعة: إنه أخرج ذرية بني آدم من آبائهم على ما قدمنا وأشهدهم على أنفسهم على لسان أنبياء الله «**ألست بربكم قالوا بلى**»، وإن قررهم على ذلك استمروا على الطاعة، ولئلا يقولوا: كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا على تقليد الآباء، فنبه أنه لا يعاقب من له عذر كرمًا منه ورحمة، وهذا يكون في قوم خاص؛ لأنه لا يدخل جميع بني آدم فيها؛ لأن المؤمنين لا يدخلون فيه، وقد قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ فلا يدخل فيه من ليس له أب مشرك، فلا بد أن يكون خاصًا في قوم، وهذا قول شيخنا أبي علي، واختيار قاضي القضاة. وكل واحد من هذين الوجهين يصح.

فأما القول الثالث فما يرويه أصحاب الحديث عن أسلافهم من الآثار موقوفة ومرفوعة ويجعلون ذلك تأويلاً للآية، وهو أنه ـ تعالى ـ لما خلق آدم مسح ظهر آدم بيمينه فأخرج منه ذرية وقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعملهم يعملون، ثم مسح ظهره وأخرج ذرية وقال: خلقت هؤلاء للنار وبعملهم يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله. وفي بعض الروايات: قال عمر: فلم نبعث؟ فقال: «يابن الخطاب، كل ميسر لما خلق له»[2] .

ورووا في حديث أبي هريرة: «أنه مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم عرضهم على آدم، وقال: هؤلاء ذريتك، وأنه رأى نورًا ساطعًا، فقال: من هذا؟ فقال: هو داود، فوهب له من عمره أربعين سنة، فكتب ثم جحد فجحدت ذريته».

وفي بعض الروايات أخذ مثل الذر فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى طائعين طائعين.

ورووا أنه لا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه.

---

(١) كثرة: كثيرة، أ، د

(٢) البخاري ٤٦٦٦، ومسلم رقم ٢٦٤٧، والترمذي ٣١١١.

وفي بعض الأخبار: أنه أخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضاء، وقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء وقال: ادخلوا النار، ولا أبالي، وذلك قوله: ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠]، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١].

واختلفوا في أي موضع كان، قيل: بعرفة، وقيل: بالهند، وقيل: في السماء، وقيل: بين مكة والطائف.

وفي بعض الأخبار: قبض قبضتين وقال: ألست بربكم، ثم أعادهم في صلب آدم. وتأولوا الآية على ذلك.

وقد ذكر مشايخنا رحمهم الله أن ذلك فاسد، وأن ظاهر الآية يخالف ذلك، وذكروا في الرواية ما نذكره، قالوا: فمما يدل على فساده وجوه:

منها: أنه لو كان هناك حال كما ذكروا لذكرناه؛ لأن مثل ذلك الأمر العظيم لا ينساه العاقل خصوصًا إذا كان إشهادًا عليه ليعمل به، ولا يغفل عنه.

ومنها: ما ذكره شيخنا أبو علي أن ظهر آدم لا يسع هذا الجمع العظيم، وهذا من شنيع الكلام.

ومنها: أنه ـ تعالى ـ ذكر أنه خلقنا من نطفة، وكل ولد من أب ومن نطفته، فلو خلقهم ابتداء لا من شيء لم يصح ذلك.

ومنها: أن الجزء الواحد لا يجوز أن يكون حيًا عاقلاً؛ لأن تلك البنية لا تحتمل الحياة، فلا بد من أن يكون مؤلفًا من أجزاء، وحينئذ لا يصح أن يكون الجميع في ظهر آدم.

ومنها: أنه يفتح باب التناسخ، والقول بالرجعة؛ لأن لهم أن يقولوا: إذا جاز الإعادة ثَمَّ لِمَ ينكر التناسخ؟

ومنها: أنه لا بد أن تكون فيه فائدة، وفائدته أن نذكره لنجري على تلك الطريقة، فإذا لم نذكره بطلت فائدته.

ومنها: أن الاعتراف لا يصح إلا وقد تقدم حال لهم عرفوا ذلك، فكيف يصح في ابتداء الخلق؟!

ومنها: أنه ـ تعالى ـ لا يجوز أن يخلق خلقًا للنار من غير عصيان سبق منهم؛ لأن ذلك يقبح.

ومنها: أن قوله: «كل ميسر لما خلق له» تفسيره عندهم أن الكافر خلق للكفر، ويسر له الكفر، بأن خلق فيه ومنع من الإيمان، وهذا مما يقبح دينًا في الحكمة، فلا يجوز على القديم سبحانه.

ومنها: أن حديث داود لا شبهة أن في الأنبياء من هو أفضل من داود فلم خصه بالهبة وكيف يجوز على آدم الإنكار والجحود؟، وكيف يوهب العمر مع أن الآجال لاتتقدم ولا تتأخر؟، فكل هذا مما لا يقبله العقل.

قال مشايخنا – رحمهم الله –: والآية ظاهرها بخلاف قولهم من وجوه:

منها: أنه قال: «**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**» ولم يقل: من آدم، وقال: «**مِنْ ظُهُورِهِمْ**» ولم يقل: من ظهره، وقال: «**ذُرِّيَاتِهِم**» ولم يقل: ذريته.

ومنها: أنه قال: «**أَنْ تَقُولُوا**» يعني إنما فعل ذلك لكيلا لا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، وأي: غفلة أعظم من أن جميع العقلاء [لا] يذكرون شيئًا من ذلك.

ومنها: أنه قال: «**إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ**» ولم يكن لهم يومئذ أب مشرك، وكل ذلك يبين فساد ما قالوا.

ولم يصحح أحد من مشايخنا هذه الرواية ولا قَبِلَهَا، بل ردها غير أبي بكر أحمد بن علي، فإنه جوز ذلك من غير قطع على صحته،غير أنه قال: ليس ذلك بتأويل للآية، وذكر أن فائدة ذلك أن يجروا على الأعراق الكريمة في شكر النعمة، والإقرار بالربوبية كما قال: إنهم ولدوا على الفطرة، قال: وأخرجهم كالذر، ثم ألهمهم حتى قالوا: بلى.

فإذا ثبت ما قلنا رجعنا إلى تفسير الآية، قوله: «**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ**» الأخذ ما بينا

إخراج النطفة وخلقه ولدًا سويًا «**مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**» أولادهم «**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**» قيل: بما ركب في عقولهم، وقيل: على لسان بعض الأنبياء «**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**» خالقكم ومالككم «**قَالُوا بَلَى**» قيل: بما ظهر فيهم من دلائله، وقيل: نطقوا به، عن أبي علي. «**شَهِدْنَا**» قيل: هو خبر من الله ـ تعالى ـ عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، عن السدي. وقيل: هو خبر من بني آدم أنهم قالوا: بلى شهدنا أنك خالقنا وربنا، وهو قول أكثر المفسرين وأبي علي وأبي مسلم. قال الأصم: شهدنا أي: شاهدنا الأبناء صغارًا وتتقلب الأحوال بهم حتى صاروا آباءً، فعلمنا أن ذلك ليس إلا فعلك «**أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**» أي: إنما جعلنا هذا الذي تقدم ذكره لئلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أي: غير عالمين بذلك، قيل: عن الآيات الدالة على التوحيد، وقيل: عما شاهدنا من الآباء والأبناء، عن الأصم. وقيل: عما أخذ الله الميثاق على لسان الأنبياء، عن أبي علي. وقيل: عما لزمنا معرفته من التوحيد، عن أبي مسلم. «**أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ**» فكلناعلى طريقتهم احتجاجًا بالتقليد وتعويلاً عليه، فقد قطعنا العذر بما بينا من الآيات «**أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**» أتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وأسسوا من الباطل، عن أبي علي. وقيل: هو استفهام والمراد الإنكار أي: أنت حليم لا تأخذ الأبناء بفعل الآباء، وقد سلكنا طريقتهم فالحجة عليهم بما شرعوا لنا من الباطل، «**وَكَذَلِكَ**» أي: كما بينا تلك الآيات لهم كذلك نبين لكم، وقيل: كما بينا الآيات المتقدمة في السورة نبين هذه الآيات، عن أبي مسلم. وقيل: هكذا فصل الله الآيات في ما خلق ودبر، عن الأصم. وقيل: كما بين الكم بين الكل العباد، عن أبي علي. «**نُفَصِّلُ**» نبين «**الآيَاتِ**» الأدلة والحجج «**وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**» أي: ليرجعوا إلى الحق، وقيل: هو شك المخاطب، وقيل: إنه يعامله معاملة الشاك من الاختيار، وإنما أطلق الرجوع لأن ما كانوا عليه من الباطل مذكور، فإطلاق الرجوع يقتضي ما هم عليه.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ذرية بني آدم مخلوقة من النطفة الخارجة من ظهور الآباء،

ويستوي في ذلك الرجل والمرأة، خلاف ما قاله بعضهم أن الأنثى من ماء المرأة، والذكر من ماء الرجل، والأقرب أنه مخلوق من مائهما، وأيهما غلب نزع الشبه إليه، على ما روي في الخبر.

وتدل على أنه يفعل بالمكلف ما هو أصلح له؛ فلذلك أشهده على نفسه استصلاحًا.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ يذكرهم في القيامة أحوال الدنيا.

وتدل على فساد التقليد في الدين.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ أزال العذر، وأزاح العلة، وبعدها لا يُعْذَرُ أحدٌ[١] .

وتدل على أنه أراد من الجميع الرجوع إلى الحق، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الشرك فعلهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾

۞ القراءة

اتفقوا على إثبات الياء في قوله: «**المهتدي**» اتباعًا للمصحف، ويجوز حذفها على القياس طلبًا للخفة، قال علي بن عيسى: وإنما أثبتت الياء فيه؛ لأن الألف واللام

(١) أحد: . أخر، أ.

لما عاقبت التنوين رجع إلى الأصل في إثبات الياء كما يرجع في الإضافة إذا قلت: جواريك ومهتديك.

اللغة

التلاوة والقراءة من النظائر، غير أن التلاوة كون الثاني في أثر الأول؛ لأنها من التلو، والقراءة كون الثاني مع الأول؛ لأنها من الجمع، يقال: قَرَيْتُ الماء في الحوض.

والنبأ: الخبر عن الأمر العظيم، يقال: لهذا الأمر نبأ، ومنه: سمي النبي نبيًا وجمعه: الأنبياء.

ويقال: سلخت جلد الشاة سلخًا إذا نزعتها منه، وأخرجتها من الجلد، ومنه: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس:٣٧] أي: نخرج منه إخراجًا حتى لا يبقى من ضوئها شيء، وانسلخ جلد الحية ينسلخ[١] منه، وسلخت المرأة درعها: نزعته، وسَلَخْتُ الشهر: صِرْتُ[٢] في آخر أيامه، وانسلخ الشهر، ومنه الحديث «فيما شرط على بائع التمر ليس له مسلاخ» قال القتيبي: هو الذي ينتثر بُسْرُها.

والغاوي: الخائب، وأصل الغواية الخيبة، قال الشاعر:

وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدِمْ على الغَيِّ لائما[٣]

فالغاوي: الخائب من رحمة الله.

والإخلاد: أصله اللزوم على الدوام، والخلد: البقاء، يقال: خلد بقي، وأخلد أقام، ومنه: جنة الخلد، ورجل يخلد: إذا أبطأ عنه الشيب، وأخلد إلى الأرض: لصق بها، وقال مالك بن نويرة:

---

(١) ينسلخ: تنسلخ، أ، ض.

(٢) صرت: ضرب، أ، ض.

(٣) للمرقش، وتمامه:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أمْرَهُ ... ومن يَغْوِ لا يَعْدِمْ على الغي لائما

انظره في الصحاح (غوي)، والعين (عير)، ولسان العرب (غوي).

بِـأَبْـنَـاءِ حَـيٍّ مِـنْ[1] قَـبـائِـلِ مَـالِـكٍ　　وعَـمْـرِو بـن يَـرْبُـوعٍ أقـامـوا فَـأَخْـلَـدُوا[2]

وأخلد إلى كذا: سكن إليه، والخَلد: البال.

واللهث: أن يلغ الكلب لسانه من العطش، واللهاث: حر العطش، قال ابن دريد: لهث: أعيا، وقيل: هو النَّفَس الشديد الذي يلحق من شدة[3] الإعياء، لَهَثَ يَلْهَث لهثًا، فهو لاهث ولهثان ولهاث، وفي حديث سعيد بن جبير «في المرأة اللهثى إن ما تفطر في شهر رمضان» فقال: رجل لَهْثَان[4] وامرأة لَهْثَى، وبه لهاث شديد أي عطش. والخاسر: الذي ذهب رأس ماله.

۞ الإعراب

نصب «**نبأ**» لأنه مفعول (**اتل**). و« **الذي آتيناه**» في محل الكسر مضاف الياء، والهاء في قوله: «**آتيناه**» في محل النصب بـ(**آياتنا**)، والآيات المفعول الثاني، ونصب «**مثلاً**»؛ لأنه تفسير للمضمر في «**ساء**» كالإضمار في (**بئس**) إذا قلت: بئس رجلاً زيد، وتقديره: ساء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، إلا أنه حذف المثل، وأقام القوم مقامه فرفعه.

۞ النزول

اختلفوا في قوله: «**آتيناه آياتنا**» من هو؟ وفي من نزلت؟

فقيل: هو بلعام بن باعور، عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ومقاتل وابن إسحاق والسدي.

ثم اختلفوا، فروي عن ابن عباس أن كان من بني إسرائيل، وروي عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين.

---

(١) من: -، أ.

(٢) نسب لفارس ذي الخمار، ونسب كذلك لمالك بن نويرة.

(٣) شدة: الشدة، د.

(٤) لهثان: لهثانة، د.

وروي عن مقاتل أنه كان من بلقا، أعرض عن الآيات، واختار الدنيا على الآخرة.

وقيل: نزلت الآية في أمية بن أبي الصلت عن عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبي روق. وكان قرأ الكتب، وعلم أن الله يرسل رسولاً، فرجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر ومات على كفره، وأتى ابنه النبي ﷺ وأنشده شعره، فقال ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه».

وقيل: نزلت في أبيّ[1] الذي سَمّى[2] ﷺ الفاسق، وكان يتزهد في الجاهلية، فلما جاء الإسلام خرج إلى الشام، وأمر المنافقين باتخاذ مسجد ضرارًا، وأتى قيصر واستنجده على النبي ﷺ، فمات ثَمَّ طريدًا وحيدًا، عن سعيد بن المسيب.

وقيل: نزلت في قريش، آتاهم الله الآيات فلم يقبلوها، عن عبادة بن الصامت.

وقيل: نزلت في منافقي أهل الكتاب، كانوا يعرفون النبي ﷺ، فجحدوه، عن الحسن والأصم.

وقيل: المراد به فرعون كأنه لما اقتص أنباء بني إسرائيل عاد إلى قصة فرعون، وضرب له المثل، عن أبي مسلم.

وقيل: نزلت في عالِمٍ ارتد ومال إلى الدنيا، حكاه الشيخ أبو حامد، وأشار إليه شيخنا أبو علي.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: على قول أبي مسلم تصل قصة فرعون بقصة بني إسرائيل.

وقيل: لما نهى عن تقليد الآباء في الدين بيّن في هذه الآية حال علماء السوء الذين يختارون الدنيا على الآخرة نهيًا عن تقليدهم واتباعهم كما نهى عن تقليد الآباء.

---

(١) أبيّ: ابن، أ، ض.

(٢) سمى: سما، أ.

وقيل: لما تقدم ذكر أخذ الميثاق بيّن حال من آتاه الله الآيات، فانسلخ منها ولم يتبعها.

۞ المعنى

«**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ**» أي: اقرأ يا محمد على قومك «**نَبَأَ**» خبر «**الَّذِي آتَيْنَاهُ**» أعطيناه «**آيَاتِنَا**» قيل: اسم الله الأعظم، عن ابن عباس والسدي. قال ابن زيد: وكان لا يسأل شيئًا إلا أعطي. وقيل: الآيات المعجزات الدالة على نبوة الأنبياء فلم يقبلها وغوى عنها، عن أبي مسلم، وعنده الكناية عن فرعون، فكأنه قال: اتل عليهم نبأ فرعون؛ إذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى، فلم يقبلها، وقيل أوتي كتابا من كتب الله يعني علمه، عن ابن عباس، وقيل: الآيات الإيمان والهدى والدين، عن الحسن. وقيل: العلم لطف له حتى تعلّم وفهم المعاني، وصار عالمًا بها، فارتد وأعرض، فقص خبره تحذيرًا عن مثل حاله، وقيل: النبوة، عن مجاهد، قال: هو نبي يقال له: بلعم، رشاه قومه، فكفر، وهذا لا يجوز؛ لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر، ولأن ذلك ينفر الخلق عن الأنبياء والقبول منهم ويحقرهم في النفوس، ولأنهم حجج الله على خلقه، واصطفاهم، فالأقرب أنه لا يصح، عن مجاهد. «**فَانْسَلَخَ مِنْهَا**» قيل: نزع العلم عنه، عن ابن عباس. وقيل: خرج منها كما تخرج الحية من جلدها بعد أن لابسها، وقيل: لم يقبلها وأعرض عنها «**فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ**» قيل: تبعه الشيطان لذلك الضلال حتى انحبط به وتمسك بحبله، وقيل: أتبعه الشيطان يعني كفار الإنس، كانوا معه على الكفر، عن أبي علي. وقيل: صار رئيس الضلال حتى يُتَعَّلمَ منه الضلالة، وقيل: أتبعه: لحقه الشيطان، وأدركه حتى أضله «**فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**» أي: صار من الغاوين، وقيل: الهالكين، وقيل: من الخائبين عن رحمة الله، عن أبي علي. وقيل: كان من المتمردين الضالين، عن الأصم وأبي مسلم. «**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا**» قيل: لو شئنا لرفعناه بالعلم والآيات بأن نحول بينه وبين الكفر، عن مجاهد وعطاء. فبين قدرته على ذلك ولكن خلى(١) بينه وبين ما اختاره، وقيل: لو شئنا لعلمه(٢) وعمله وإيمانه لرفعناه إلى الثواب

(١) خلى: ــ، د.

(٢) لعلمه: بعلمه، د.

باخترامه قبل ارتداده، لكنا عرضناه لمزيد الثواب فتولى وأعرض وارتد، وقيل[١] : لو شئنا لرفعناه بتلك الآيات بأن يقبلها، لكنه لم يقبل ولم يعمل بها «**وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ**» قيل: ركن إلى الدنيا، عن سعيد بن جبير والسدي. وقيل: رضي بالدنيا، عن مقاتل. وقيل: لزم الدنيا، عن أبي عبيدة. وقيل: سكن إلى لذاتها «**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**» يعني انقاد لما دعاه إليه هواه أي: عمل بما هوى واشتهى، قال الكلبي: اتبع سَفْساف الأمور، وترك معاليها، وقيل: في اختيار الدنيا، وقيل: كان هواه مع القوم، عن ابن زيد. «**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**» في حال لهثه والتشبيه وقع بالكلب واللهث، ثم اختلفوا في وجه التشبيه، فقيل: معناه هو مُطْلِقُ لسانه في أذى المسلمين، سواء ناصبوه العداوة أو سكتوا عنه، كالكلب يلهث في جميع أحواله ضُرِبَ أو ترك، عن أبي علي. وقيل: هو ضال وعَظْتَهُ أو لم تعظه، عن معمر. وقيل: إن عرض عليه الحكمة لم يقبل وإن ترك لم يهتد، كالكلب يلهث ربض أم طرد، عن ابن عباس. وقيل: المنافق يرجع إلى الحق دُعِيَ أم لم يُدَعَ، كالكلب يلهث طُرد أم تُرِك، عن الحسن. وقيل: الكلب يلهث في جميع أحواله في حال الشبع والري، والجوع والعطش، والسراء والضراء كذلك هذا الكافر ضال، وعظته أو تركته، في السراء أو الضراء. وقيل: إشارة إلى أنه لطف لهم؛ لأن اللطف إما أن يكون نعمة أو بلية، ولا ينفعهم ذلك، كما أن الكلب لا يقلع عن لهثه بحال. وقيل: هو عالم السوء يطلق لسانه في الضلال لابتغاء مال أو جاه لا يبالي ما قال، لا يردعه عنه شيء، كالكلب لا يردعه عن اللهث وخصّ[٢] اللسان بالذكر؛ لأن الأذى والخوض في الباطل يكثر به «**ذَلِكَ**» يعني ما تقدم ذكره «**مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» تحذيرًا عن مثل حالهم «**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ**» أي: قص عليهم هذا الحديث على بني إسرائيل، وقيل: على قومك «**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**» قيل: تفكروا أن هذا من سرائر أخبارهم لا يعلم إلا بخبر من السماء، وقيل: ليحذروا عن هذه الحالة الخسيسة، وهو التشبيه بالكلب «**سَاءَ مَثَلاً**» أي: بئس الصفة المضروب فيها المثل، وهو قبح حال المضروب فيه المثل؛ لأن المثل حسرة «**وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**»؛ لأن غاية فعلهم عائد عليهم والعقاب لازم لهم «**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ**

---

(١) لرفعناه إلى الثواب. . . . وقبل: -، د.

(٢) وخصّ: رحص؛ محض، د.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قيل: من يهد الله إلى طريق الجنة ثوابًا فهو المهتدي، ومن يضلله عن ذلك إلى النار فهو الضال الخاسر لنفسه، عن أبي علي. وقيل: من يحكم الله بهدايته فهو المهتدي حقيقة، ومن يحكم بضلاله فهو الضال الخاسر، وقيل: من يهتدي بهدي الله فهو المهتدي حقيقة، **﴿ومن يضلل﴾** أي: ضل عن دين الله بأن لم يهتد بهداه، يقال: أضل بعيره: إذا ضل عنه، **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** لأنفسهم بإهلاكها بالعقاب، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدلُّ الآية على ذم علماء السوء حيث علموا، وتركوا العمل، ومالوا إلى الدنيا.

وتدلُّ على خستهم حتى شبهوا بالكلب.

وتدلُّ على أن في المكلفين من لا لطف له خلاف أصحاب اللطف.

وتدلُّ على وجوب النظر والتفكر.

وتدلُّ على أن كل مذنب يضر بنفسه ولا يؤخذ به غيره.

وتدلُّ على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم من وجوه: منها: قوله: **﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** دلّ أن الإتباع فعل الشيطان، وقوله: **﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾** دل أن الغواية فعلهم ليصح ذمهم، وقوله: **﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾** يدل عليه، وكذلك قوله: **﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾** وكذلك قوله: **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** وكذلك قوله: **﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾** وكذلك قوله: **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾**، وكل ذلك يصحح قولنا في المخلوق، ويبطل قولهم.

۞ القصة

قد رووا في هذه الآية أشياء لا يجوز ذلك على أنبياء الله ـ تعالى ـ ،ولا في حكمة الله، ونحن نذكرها، ونميز بين الصحيح والفاسد:

أولها: أنهم قالوا: إن الآية نزلت في قصة بلعام[1] بن باعور، وقد بينا اختلاف

(١) بلعام: بلعم، أ، ض.

المفسرين فيه، ويجوز أن يكون كما قالوه، وذكروا أن قصة بلعام كان زمن موسى، وهذا أيضًا جائز.

وقيل: كان زمن يوشع بن نون، فإنه لما انقضت أيام التيه بعث الله يوشع، فدعا إلى قتال الجبارين، وكان قصة بلعم. والله أعلم.

قالوا: وكان بلعم يعلم اسم الله الأعظم، وكان إذا دعا أجيب، فلما دعي إلى قتال الجبارين كفر بلعم، وأتى الجبارين، وقال: لا ترهبوا فإني أدعو عليهم فيهلكون، عن السدي. وقد كان يلهث لهث الكلب، عن السدي، وهذا أيضًا لا مانع منه.

وقيل: لما قصد موسى الجبارين جاؤوا إليه ليدعو الله فأبى، فأعطوه مالاً فذكر الله ودعا، وهذا أيضًا غير بعيد.

قالوا في الروايتين: فدعا بلعم على موسى فوقع موسى في التيه ومنع من الوصول إلى الجبارين، فقال موسى: يا رب لأي شيء أوقعتنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم، فقال: اللهم اسلب عنه الإيمان، فسلب إيمانه. وهذا باطل لأنه ـ تعالى ـ أمر موسى بالقتال ودخول مدينة الجبارين، فلا[1] يمنعه منه ولا يسمع عليه دعاء كافر، ولأن من دعا على بني إسرائيل كفر، ولا يجوز أن يقع التيه بسببه، وقد ذكر الله في سبب التيه غير ذلك على ما قصه في كتابه، وبعد فلا يجوز على نبي الله أن يسأل الله سلب إيمان أحد؛ لأن الرضا بالكفر كفر، فكيف يجوز على نبي دعاء ذلك؟

ورووا في بعض الروايات أنه لما كفر قال: لا أجاب ولكن أحتال، ثم أرسل نساء الكنعانيين إلى بني إسرائيل فكثر فيهم الزنا فوقعت فيهم، وهلك في ساعة سبعون ألفًا، وكان ذلك سببًا للتيه، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ سبب التيه، ولم يذكر ما قالوا، وليس في ظاهر هذه الآية إلا أنه آتاه الآيات فانسلخ منها، فإذا لم يدل عليها الظاهر، ولا روي من وجه صحيح، فلا وجه لقبوله.

---

(١) فلا: ولا، د.

ورووا في بعض الأخبار أنه لما توجه ليدعو على موسى ركب أتانًا فلم يمشِ، وقال: ويحك يا بلعم، أتدعو على نبي الله والمؤمنين، وهذا إن صح فهو معجزة لموسى (عليه السلام)؛ لأنه لا يجوز إظهار المعجزة على الكذابين، وإنما ذكرنا طرفًا من هذا الحديث، وإلا فرواياتهم طويلة نبهنا[1] على جملتها.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والأعمش ويحيى بن وثاب «**يَلْحَدُون**» بفتح الياء والحاء هاهنا[2]، وفي (النحل) ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ [النحل:١٠٣]، وفي (حم) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [فصلت:٤٠]، ووافقه الكسائي في (النحل).

والباقون جميع ذلك بضم الياء وكسر الحاء وهما لغتان صحيحتان، لحد يَلْحَدُ لحدًا ولحودًا، نحو فتح يفتح، وألحد إلحادًا، وهو الميل عن الحق، ومنه: لحد القبر.

فأما الكسائي فكان يفرق بين الإلحاد واللحود، ويقول: التي في (النحل) بمعنى الركون.

وقال الأحمر: لحدت: جُرْتُ وَمِلْتُ، وألحدت: جادلت وماريت، ومنه: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل:١٠٣].

---

(١) نبهنا: تنبيهًا، أ.

(٢) حجة القراءات ٣٠٣.

اللغة

الذرأ [و] الإنشاء والإحداث والخلق نظائر، ويقال: ذرأ الله الخلق أي: خلقهم. والأسماء جمع اسم، والاسم ما دل على معنى غير مقرون بزمان، ثم ينقسم، فمنه ما يفيد صفة في المسمى كقولنا[1] : قادر عالم، ومنه ما هو لقب محض. والحسنى تأنيث الحسن كالصغرى والكبرى. والإلحاد: العدول عن القصد، وأصله الميل، ومنه: لحد القبر، يقال: ألحدت الميت ولحدته[2] ، واللحد والمُلحَد والمَلْحِد بضم الميم وفتحها واحد، وهو الشق في ناحية القبر. والعدل: النصف، ومن النَّصَفَة أن تعمل[3] ما تدعو إليه، لا [أن تكون] كمن يأمر بالبر وينسى نفسه.

الإعراب

(لقد) تأكيد للكلام، واللام في قوله: «**لجهنم**» لام العاقبة، وتقديره: ذرأنا كثيرًا من الجن والإنس للثواب والرحمة، فعصوا أمر الله، فكان عاقبتهم الدخول في جهنم، ومن خالف في ذلك لا يخلو، إما أن ينكر لام العاقبة، أو يقول: اللام في الآية ليست لام العاقبة، فأما لام العاقبة في اللغة فظاهر، ذكرها جماعةٌ من أهل اللغة كالأخفش وقطرب والزجاج والمبرد، وحكوا ذلك عن العرب، وقالوا: لما كان عاقبة أمرهم العذاب صار كأنهم خلقوا للعذاب، وقد قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]، وإنما التقطوه قالوا: قرة عين لي ولك عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وقال الشاعر:

أَمْوَالُنَا لِذَوِي المِيراثِ نَجْمَعُهَا ... ودُورُنا لِخَرَابِ الدَّهْر نَبْنِيهَا[4]

وقال آخر:

---

(١) كقولنا: لقولنا، أ، د.

(٢) ولحدته: لحدت، أ.

(٣) تعمل: يعمل، أ، ض.

(٤) لسان العرب (لوم)، والبيت ينسب للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وَلِلْمَوْتِ[1] تَغْذُو الوالداتُ سِخَالَهَا ... كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ[2] تُبْنَى المَسَاكِنُ[3]

وأنشد أبو علي لشاعر جاهلي:

أأمَّ سِمَاكٍ فَلاَ تَجْزَعِي ... فلِلموت مَا تَلِدُ الوالِدَةْ

فأقسمُ لو قَتَلُوا مالكًا ... لكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةْ[4]

وأنشد أبو مسلم:

يا أم وجرة[5] بعضَ الوجدِ واعترفي ... فَكُلُّ والدةٍ للموتِ مَا تلدُ

وأنشد علي بن عيسى:

لِدُوا لِلْمَوتِ وابْنُوا لِلخَرَابِ ... فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلى التُّرَابِ[6]

قال علي بن عيسى: هي لام إضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على شبه العلة.

۞ النزول

قيل: دعا رجل في صلاته الله الرحمن، فقال بعض المشركين: يزعم محمد أنه يعبد ربًا واحدًا فما بال هذا يعبد ربين اثنين. فأنزل الله تعالى: «**ولِلَّه الأَسْمَاءَ الحُسْنَى**. . .» الآية، عن مقاتل.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ الله ـ تعالى ـ حال الكفار، وضرب لهم الأمثال بَيَّنَ ما يؤول إليه أمرهم،

---

(١) وللموت: للموت، أ.
(٢) الدور: الدهر، أ.
(٣) لسان العرب (لوم)، والبيت قائله سابق البربري.
(٤) اللسان (لوم).
(٥) وجرة: ـ، د.
(٦) الأغاني ٤/ ٧٤، والبيت قائله أبي العتاهية، وفي رواية: فكلكم يصير إلى تباب.

فقال سبحانه: «**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا**» أي: خلقنا «**لِجَهَنَّمَ**» أي: خلقناهم على أن عاقبتهم المصير إلى جهنم، قيل: هم يأجوج ومأجوج، وقيل: كان من علم الله أنه لا يؤمن ويصير إلى النار، عن أبي علي. ولا يجوز أن يحمل على أنه خلق هم للنار؛ لأن ذلك يقبح، يتعالى الله عنه، ولأنه لم يسبق منهم عمل يستوجب ذلك، ولأنه إذا خلقهم للنار وخلق فيهم[1] الكفر فما معنى الأمر والنهي والبعثة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، «**كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**» أي: لا يعلمون بها الحق، وأعين لا يبصرون بها الرشد من دلائل توحيده وعجائب صنعته، وآذان لا يسمعون بها الوعظ والدعاء إليه؛ لأنهم يعرضون في جميع ذلك إعراض من لا يدري، فلا يجوز حمله على أنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون؛ لأن ذلك يزيل التكليف عنهم، ولأنه علم من حالهم أنهم يسمعون ويفقهون ويبصرون، ولكن لما خالفوا الحق صاروا كأنهم صم عمي لا يفقهون، وجرى ذلك مجرى قول الشاعر وهو مسكين الدارمي:

أَعْمَى إِذا ما جَارتِي خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ

وقال آخر:

أَصَمُّ عَمَّا شَاءَهُ سَمِيعُ[2]

وقال آخر:

وأَصَمُّ عما كان بينهما ... سَمْعِي ومَا بالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ[3]

وقال آخر:

وعوراء الكَلامِ صممْت عَنْهَا ... وَلَوْ أَنِّي أَشَاء بِهِ سميعُ[4]

---

(١) فيهم: منهم، أ.

(٢) اللسان (صمم)، وتهذيب اللغة (صم).

(٣) البيت قائله عبد الله بن مرة العجلي.

(٤) البيت في تفسير القرطبي: ١/٢٥٨: وعوراء الكلام صممت عنه ولو أني أشاء بها سميع، أنظر: حماسة البحتري، ص ١٧٢.

وقد جاوزوا هذا، فقال شاعرهم:

لَـقَـدْ أَسْـمَـعْـتَ لَـوْ نَـاديْـتَ حَـيًّـا ... ولـكــنْ لا حــيــاةَ لِـمَــنْ تُــنــادِي[1]

وقد نطق القرآن بمثل ذلك في قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الروم:٥٢] فشبههم من حيث لا يتفكرون فيما يرون بأبصارهم من الحجج ويسمعون بآذانهم من الأمثال والعبر، ولا يعلمون الحق صاروا كأنهم لا يفقهون، ولا يبصرون، ولا يسمعون «**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ**» قيل: في أنه لا يهتدي، وقيل: في أن بهمتها المأكل والمشرب والفساد، وقيل: أحلوا أنفسهم محل الأنعام حيث لا يشكرون ولا يعملون، وقيل: لأنها لا تهتدي إلى منافع نفسها وهؤلاء لا يهتدون إلى منافع أنفسهم، عن أبي علي. «**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**» (بل): إضراب[2] عن الأول ورجوع، يعني هم أضل، يعني هم كالأنعام وهم أضل منهم يعني الكفار، وقيل: لأنها لا تتمكن من المعرفة والنظر ولم تكلف بخلاف الكفار، وقيل: لأن جهلهم وإعراضهم لا يورث عقابًا بخلاف الكفار، عن أبي علي. وقيل: لأنهم لم يعطوا آلة الهدى ولا يقدروا على اختلاق نفع الآخرة بخلاف هؤلاء، وقيل: لأنهم يعملون ما خلقوا له، وهؤلاء لا يعملون ما خلقوا له وهو العبادة، وقيل: لأنها تَقَرُّ أبدًا إلى صاحبها ومدبرها والكافر يهرب ويعرض عنه، وقيل: لأنها لا تعصي الله بخلاف الكافر، وقيل: لأنها تضل إذا لم يكن لها مرشد وهؤلاء يضلون ومعهم مرشد يدعوهم إلى الحق، عن الأصم. «**أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**» عن الآيات.

«**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**» يعني الأسماء التي تفيد المدح وذلك على أضرب:

منها: صفة ذاتٍ أو ما يرجع إليها كالعالم، وقادر، وحي، وإله، وقديم، وسميع، وبصير.

ومنها: صفة فعل، كخالق، ورازق، ومبدع، ومحيي، ومميت.

---

(١) البيت قائله بشار بن برد.

(٢) إضراب: أضرار، أ،د.

ومنها: ما يفيد نفيًا كقولنا: غني وواحد، ونحو ذلك، وكل ذلك يفيد صفة حسنة، ولا يجوز عليه اللقب؛ لأنه بمنزلة الإشارة للحاضر، ولا اسم يفيد معنى قبيحًا كظالم وكاذب؛ لأن الاسم تبع للمعنى، وهو ـ تعالى ـ لا يفعل الظلم فلا يسمى ظالمًا، ولا في خبره كذب فلا يسمى كاذبًا.

﴿**ادْعُوهُ بِهَا**﴾ يعني ادعوه بالأسماء الحسنة تعظيمًا له «**وَذَرُوا**» دعوا «**الَّذِينَ يُلْحِدُونَ**» فلا تقتدوا بهم «**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**» أي يميلون، وقيل: يكذبون، عن ابن عباس. وقيل: يشركون، عن قتادة. وقيل: يعاندون[1] ، عن قتادة. وقيل: يميلون عن الحق، عن زيد بنأسلم. «**فِي أَسْمَائِهِ**» قيل: يسمون الأوثان باسم الله، ويشتقون لها من أسمائه ـ تعالى ـ فيقولون: اللات من اسم الله، والعزى من العزيز، عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: هي تسميتهم الأوثان آلهة، وتسميتهما لله أبا المسيح، وقيل: الإلحاد في أسمائه أن يسمى غيره بأسمائه بما لا يليق به، وهذا هو الوجه؛ لأنه يعم جميع الأسماء وجميع ما تقدم «**سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» قيل: في الآخرة بالعذاب، وقيل: في الدنيا والآخرة «**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ**» أي: جماعة وعصبة «**يَهْدُونَ بِالْحَقِّ**» قيل: يهدون إلى الرشد، وقيل: تهتدي به «**وَبِهِ يَعْدِلُونَ**» أي: بالحق يميلون.

وعن ابن جريج عن النبي ﷺ قال: «هي لأمتي، بالحق يأخذون، وبالحق يعطون، وقد أعطى القوم مثلها: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ **[الأعراف: ١٥٩]**».

وعن الربيع بن أنس عن النبي ﷺ: «إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم».

وقيل: هم المهاجرون والأنصار، عن عطاء.

وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب.

وقيل: هم العلماء والأتقياء في كل عصر.

---

(١) يعاندون: يظاهون، أ.

[ومتى] قيل: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟

قيل: لما تقدم ذكر الكفار عقبه بذكر المؤمنين ومن خالف أولئك، عن أبي مسلم.

وقيل: إنه يتصل بقوله: «**ذرأنا**» أي: خلقنا، كأنه قيل: خلقنا قومًا صفتهم كذا وقومًا صفتهم كذا، عن الأصم.

۞ الأحكام

تدلُّ أول الآيات على أن في المكلفين من ذهب عن العلم بما يجب أن يعلمه، فلذلك شبهه بالأنعام، وذلك يدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدلُّ على أن في الجنسين من عُلِمَ أنه لا يؤمن البتة، ومنهم من يؤمن ويستحق الجنة لذلك قال: «**كثيرًا**».

وتدلُّ على أن الجن مكلفون.

وتدلُّ على أنه ليس في الملائكة معذب، فلذلك خص الجنسين بالمصير إلى جهنم.

وتدلُّ على أنهم لَمَّا لم ينتفعوا بهذه الحواس صارت كالمعدومة، وإنما خص هذه الثلاث؛ لأن المكلف بالنظر يصل إلى العلم لَمَّا ومحله القلب، وإنما يرى الأدلة بالأبصار، ويسمع بالآذان، فطريق الحجج هذان.

ويدلُّ قوله: «**ولله الأسماء الحسنى**» أن الاسم غير المسمى خلاف قول بعضهم؛ لأنه أثبت لنفسه أسامي وهو واحد، وأضافه إلى نفسه.

وتدلُّ على أنه تَعَبَّدَنا بأن ندعوه بأسمائه الحسنى، وهو ما يفيد التعظيم.

وتدلُّ على أنه ليس في أسمائه ما يفيد ذمًّا، ولو كان خالقًا للكفر والظلم والكذب لكان يشتق له منها الأسماء فلا تكون جميع الأسماء حسنًا.

وتدلُّ على وجوب الانقطاع إليه والمسألة في المهمات مع تقديم أسمائه ولهذا يستحب أن تكون المسألة عقيب الثناء والتمجيد.

وتدلُّ على وجوب معرفته ومعرفة صفاته؛ ليميز بين ما يحسن أن يدعوه، وبين ما لا يحسن.

وتدلُّ آخر[1] الآيات أن جميع الناس لا يُجْمِعُون في وقت على الضلالة[2]، وعلى إثبات المُتَمَسِّكِينَ[3] بالحق في كل زمان، ولا يقال: إنه قال: ممن خلقنا؛ لأن المراد قدرنا وكتبنا، فيصح حمله على كل زمان، أو يراد من خلقنا وقد ورد الخبر ما يحقق ما ذكرنا.

وتدل على عظيم موقع الوعظ والدعاء إلى الله تعالى؛ لذلك مدحهم بذلك.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

اللغة

الاستدراج: أن تتدرج إلى الشيء قليلاً قليلاً في خفية تشبيهًا بمن يَرْقَى درجة درجة حتى ينتهي إلى العلو، وقيل: أصله من الدرج الذي يطوى فيكون لأنه يطوى منزلة بعد منزلة كما تطوى الدروج[4]. وقيل: من الدرجة فيكون لأنه ينحط درجة بعد درجة حتى ينتهي إلى حال الهلاك، ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض.

والإملاء: الإمهال، ونقيضه: الإعجال، وأصل الإملاء الاستمرار على العمل من غير لبث، من أمليت الكتاب إذا أبرزت[5] عليه شيئًا بعد شيء، ومنه: أقام مليًا، والمُلاَ مقصور: فلاة[6] ذات حَرٍّ وسَرَابٍ لاستطالة المكث فيها، والمَلاَ والملاوة بالفتح والضم والكسر: القطعة من الدهر.

(١) أخر: ـ، د.
(٢) على الضلالة: ـ، د.
(٣) المتمسكين: متمسكين، أ.
(٤) الدروج: الدرج، د.
(٥) أبرزت: برزت، د.
(٦) فلاة: بلا، د.

والكيد: أصله الاحتيال والاجتهاد، ومنه سميت الحرب كيدًا لاحتيال الناس فيها، كاده يكيده كيدًا ومكيدة، وكَيْدُهُ لهم أخذه بالعقوبة من حيث لا يشعرون.

والمتين: القوي، وأصله المتن، وهو اللحم الغليظ عن جانب الصلب، وهما متنان.

۞ الإعراب

محل (**آياتنا**) نصب بـ (**كذبوا**)، و(**سنستدرجهم**) هو سنستفعل، وهذا السين يذكر للإرادة[1] . و(**لهم**) محله نصب بـ (**أملي**). (**كيدي**) نصب بـ (**إِنَّ**) وخبره [**متين**].

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قيل: يتصل بما قبله بِذِكْر[2] من آمن بمحمد وعمل بشريعته، ثم ذِكْرِ من كذبه، عن أبي مسلم.

وقيل: إنه يتصل بقوله: «**فمثله كمثل الكلب**»؛ لأنه [قال] ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا، ثم بيّن ههنا وعيد أولئك، عن الأصم.

۞ النزول

قيل: نزلت في المستهزئين، فقتلهم الله جميعًا في ليلة واحدة، وكانوا خمسة، وسنذكر أسماءهم عند ذكر قصتهم من بعد.

۞ المعنى

«**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**» يعني بالمعجزات التي أظهرها الله على نبيه محمد ﷺ، وبالقرآن الذي هو أدلة الله في دينه «**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**» قيل: سنأخذهم من أي طريق سلكوا، فلا يفوت منهم أحد، وهو نظير قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر:١٤]، عن أبي مسلم. وقيل: يأخذهم درجة درجة حتى ينتهي إلى حال العقوبة،

---

(١) للإرادة: الإرادة، أ، ض.

(٢) بذكر: فذكر، أ.

وذلك بإملائه إياهم حتى يهلكهم، وقيل: يأخذهم بالعقوبة، ويجوز أن يكون عقوبة الدنيا، ويجوز أن يكون عقوبة الآخرة، عن أبي علي. وقيل: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة، عن الضحاك. وقيل: سنطوي عمرهم في اغترار منهم، عن الخليل. وقيل: سنستدرجهم إلى الحق بألطاف ليؤمنوا، فإذا لم يؤمنوا فعذابه شديد لهم، وقيل: سنستدرجهم بأن نمهلهم ونحلم عنهم ولا نعاجلهم بالعقوبة مع القدرة تأكيدًا للحجة، ولذلك قال: «**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**»، «**وَأُمْلِي لَهُمْ**» أي: أمهلهم ولا أعاجلهم بالعقاب «**إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**» عذابي شديد، وقيل: تدبيري نافذ قوي فيهم[1] وإن أمهلتهم[2] ، وسمي العذاب كيدًا؛ لأنه أخذ من حيث لا يشعرون تشبيهًا بمن يكيد غيره و[3] لا يشعر هو به.

الأحكام

تدل الآية أنه ـ تعالى ـ يأخذ بالعذاب مَنْ كَفَرَ من حيث لا يشعرون.

ومتى قيل: هلا كان المراد: سنستدرجهم إلى الكفر؟

قلنا: لأن ذلك مستقبل، وقد تقدم التكذيب فهو عقوبة عليه؛ لأن الاستدراج إلى الكفر قبيح، فلا يفعله القديم سبحانه.

وتدل على أن التكذيب فعلهم؛ فيصح قولنا في المخلوق.

وتدل على أنه يأخذ بعد الإمهال أخذًا شديدًا، وكل ذلك تحذير عن مخالفة أمره.

قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

---

(١) فيهم: كلمة غير واضحة، وهي هكذا: (تانهم) بغير نقاط في أ، د، ض.

(٢) أمهلتهم: أمهلهم، د.

(٣) و: فمتى، أ.

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو «**وَيَذَرُهُم**» بالياء ورفع الراء رجع الكناية على اسم الله ـ تعالى ـ وقد تقدم ذكره[١] .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء والجزم عطفًا على موضع الفاء من[٢] فلا هادي له». وقرأ الباقون بالنون والرفع على أنه كلام مستأنف.

۞ اللغة

النظر والتفكر: طلب المعنى بالقلب، وله بكونه ناظرًا أو متفكرًا حالة يجدها العاقل من نفسه، وموجبها التفكر وهو النظر المؤكد للعلم.

والجِنَّة: الجنون، وأصله الستر، ومنه: الجنون؛ لأنه يستر العقل، ومنه: الجَنَّة لسترها بالشجرة، والجَنان، والجنين، والجَنَنُ والجُنَّة.

والملكوت: أعظم الملك كالرهبوت والرحموت.

والطاغي والباغي من النظائر، وهو: تجاوز الحد في العصيان.

۞ الإعراب

«أولم» في الموضعين استفهام والمراد التقرير؛ أي: تفكروا وانظروا.

۞ النزول

قيل: وقف رسول الله ﷺ على الصفا يدعو قريشًا فَخْذًا فخذًا يقول[٣] : يا بني فلان، ثم يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا المجنون بات يصوت حتى الصباح، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، عن الحسن وقتادة.

---

(١) حجة القراءات ٣٠٣.

(٢) حجة القراءات ٣٠٤.

(٣) يقول: فيقول، أ.

المعنى

لما تقدم ذكر المكذبين بيّن في هذه الآية وجوب النظر والتفكر في الآيات ليعلموا الحق فلا يكذبوا به، فقال سبحانه: «**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا**» أي: هلا تدبروا في حال النبي ﷺ ليعلموا «**مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ**» يعني ما برسول الله ﷺ جنون «**إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**» أي: ما هو إلا مُخَوِّفٌ ظاهرُ مظْهِر[1] لذلك «**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا**» أي: هلا نظروا «**فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» أي: ملكه وآياته ليعلموا أن مَنْ قَدَرَ على ذلك من عجائب صنعه قدر على البعث «**وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**» أي: هلا تدبروا فيما خلق الله ليصلوا إلى المعرفة به وبوحدانيته وأنه لا يظهر المعجز إلا على صادق فيعلم أن رسول الله صادق، وقيل: ما خلق الله من شيء يعني: معجزاته، فكما أن الملكوت يدل على توحيده فالمعجزة تدل على نبوة نبيه «**وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ**» أي: هلا تذكروا لعل أجلهم قريب، وهم لا يعلمون، وفيه إشارةإليأشياء:

أحدها: وجوب التفكر في حال التفكر في حال نفسه، وأن الموت يأتيه.

وثانيها: أن الأنفاس محصورة يجوز قطعها عند كل طرفة عين فتعظم حسرته على ما فرط.

وثالثها: كتمان الأجل؛ ليكون في جميع أوقاته على حذر.

«**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ**» أي: بعد القرآن «**يُؤْمِنُونَ**» يصدقون، قيل: معناه لا حديث بيّن بعد القرآن، فإذا لم يؤمنوا به فبأي حديث يؤمنون، وقيل: إذا لم يؤمنوا به مع ظهور أمره وكونه معجزة فبأي شيء يؤمنون «**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ**» قيل: من يحكم الله بضلاله بعد هذا البيان، فلا أحد يحكم بهدايته، وقيل: من وجده ضَالاً بعد هذه الأدلة لم يهده أحد، عن أبي مسلم. وقيل: ومن يضلله عن طريق الجنة لا يهديه إليه أحد، عن أبي علي. «**وَيَذَرُهُمْ**» يتركهم «**فِي طُغْيَانِهِمْ**» كفرهم وعصيانهم «**يَعْمَهُونَ**» قيل: يتحيرون، والعمه في القلب: كالعمى في العين.

---

(١) ظاهر مظهر: طاهر مطهر، أ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب النظر في الأدلة، وأنها طريق المعرفة.

وتدل على أنه لا شيء ينظر فيه إلا ويعرف الله تعالى، فلذلك الخلق وما خلق الله.

وتدل على أن الآجال مكتوبة على الخلق لطفًا لهم؛ ليكونوا على وَجَلٍ وحذر.

وتدل على حدث القرآن من حيث وصفه بأنه حديث، والحديث والمُحْدَث سواء.

وتدل على أن الطغيان فعلهم وليس بخلق له، فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

۞ اللغة

أيان: معناه (متى)، وهو سؤال عن الزمان على جهة الظرف للفعل، كما أن (أين) سؤال عن المكان، قال الراجز:

أَيَّانَ تَقْضِي حَاجَتِي أَيَّانَا ... أَمَا تَرى لِنُجْحِهَا إِبَّانَا[1]

والإرساء: ثبوت الشيء الثقيل، والمرسى مُسْتَقَرُّهُ، يقال: رست السفينة رُسُوًّا: إذا ثبتت في مستقرها، وأرساها غيرها: أثبتها، ومنه: الجبال الراسيات. والبغتة والفجأة من النظائر، قال الشاعر:

---

(١) لسان العرب (أبن).

وَأَنْكَأُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ البَغْتُ[1]

والحفي: المستقصي في السؤال، وأصله الإلحاح في الأمر، أحفى[2] فلان فلانًا: إذا ألح في الطلب منه، وأحفى السؤال إذا ألح فيه، قال الأعشى:

فَإِنْ تَسْأَلِي[3] عَنِّي فَيَا رُبَّ سَائِلٍ حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشَى به حَيْثُ أَصْعَدَا[4]

ومنه: أحفى شاربه: إذا استقصى، وحفوت الرجل عن الشيء: منعته عن استقصاء، والحفي: العالم بالشيء؛ لأنه ألح في طلب علمه، والحفي: اللطيف لإلحاحه في ذلك، والحفي: المشي من غير نعل ولا خف، حَفِيَ يَحْفَى حَفَاءً وحفوة، وهو حافٍ، قال ابن الأعرابي: يقال فلان حفي بخبر فلان: إذا كان معنيًّا بالسؤال عنه ملحًّا حتى يعلمه. وجلا الشيء: أظهره، ومنه يقال: وقفت على جَلِيَّةِ الخبر؛ أي: حقيقته.

الإعراب

«**مرساها**» رفع؛ لأنه خبر ابتداء، يعني ثباتها.

«**حفي**» رفع؛ لأنه خبر (كأن).

النزول

قيل: جاء قوم من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: قالت قريش لمحمد ﷺ: متى الساعة؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، عن الحسن وقتادة.

---

(١) صدر البيت: ولكنهم بانوا ولَمْ أدْرِ بَغْتَةً.
انظره في اللسان (بغت)، وفي أ يفجأوك البعث.

(٢) أحفى: أحفا، أ، ض.

(٣) في روح المعاني: ٩/ ١٣٣: تسألوا.

(٤) الصحاح (حفا)، أساس البلاغة (حفا)، والعين (حفي).

وقيل: سألوه عن وقت الساعة، فلم يجابوا مصلحةً ولطفًا؛ ليكون المكلف في كل حال على حذر، فيكون أدعى إلى الطاعة، وأبعد عن المعصية.

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد بالساعة سألوه عن وقته، فورد الجواب على مقتضى الحكمة، فقال سبحانه: «**يَسْأَلونَكَ**» يا محمد، اختلفوا مَنْ السائل، قيل: اليهود، عن ابن عباس. وقيل: قريش،عن الحسن وقتادة. وقيل: المكذبون بالساعة، عن أبي مسلم. وقيل: يجوز أن يكون السؤال من[1] المسلمين عن وقت الساعة، حكاه الشيخ. «**عَنِ السَّاعَةِ**» قيل: القيامة عن أكثر المفسرين. وقيل: هو وقت فناء الخلق عن أبي علي والأصم. قال أبو علي: والساعة الصيحة التي إذا كانت لم يبق أحد إلا مات، قال القاضي: الساعة وقت فناء الخلق، وساعة الصيحة. «**أَيَّانَ**» متى «**مُرْسَاهَا**» قيل: منتهاها، عن ابن عباس. وقيل: قيامها، عن قتادة والسدي. وقيل: ثبوتها أو إيقاعها عن أبي مسلم. «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّمَا عِلْمُهَا**» يعني علم الساعة ووقتها «**عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ**» يعني إن وقت الساعة لا يعلمها إلا الله «**لا يجليها**» أي: لا يظهرها ولا يكشفها إلا هو، وقيل: لا يأتي بها إلا هو، عن مجاهد. وقيل: لا يرسيها لوقتها إلا هو عن السدي. «**ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» قيل: ثقلت وعظمت[2] على أهل السموات والأرض علمها لخفائها، عن السدي وغيره. وقيل: عظم وضعها على أهل السموات والأرض من انتثار النجوم، وتكوير الشمس، وتسيير الجبال، عن الحسن وابن جريج. وقيل: ثقلت إذا جاءت على أهل السموات والأرض لعظمها وشدتها وما فيها من المحاسبة والمجازاة، عن أبي علي وأبي مسلم وجماعة. وقيل: ثقلت في السموات والأرض نفسها، عن قتادة. أي: أنها لا تطيقها لعظمها من انفطار السموات والأرض، وانتثار النجوم، وتسيير الجبال، وتفجير البحور، وهو تشبيه أي: لو كانت حية[3] ثقل عليها تلك الأحوال «**لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً**» قيل: غفلة، عن قتادة.

---

(١) من: عن، أ.
(٢) وعظمت: شدت، أ.
(٣) كانت حية: كانا أحياء، أ.

وقيل: فجأة وهم في أعمال الدنيا، فتقطعهم عنها «**يَسْأَلُونَكَ**» يا محمد «**كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**» قيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفيبها، قيل: عالم بها، عن الضحاك وابن زيد ومجاهد ومعمر. وقيل: تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بهم، عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي؛ أي: لطيف بِبِرِّك إياه ممن قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧] أي: بارًا، وقيل: كأنك مَعْنِيٌّ بالسؤال عنها، أي: تكثر المسألة حتى علمتها، عن مجاهد وأبي علي. «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ**» قيل: أعيد ذكر ذلك؛ لأنه موصول بقوله: «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**» ذلك، وقيل: الأول علم وقتها، والآخر علم كنهها عن أبي علي «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**» قيل: لا يعلمون أنه العالم دون غيره، وقيل: لا يعلمون أن الصلاح في كتمانه عن أبي علي. قيل: لايعلمون إتيان الساعة عليهم، وأنه يعيد الخلق، عن الأصم وأبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية أن قدر زمان الدنيا لا يُعْرَفُ خلاف ما قاله بعضهم من وجهين:

أحدهما: أنه قال: «**علمها عند الله**».

والثاني: قوله: «**لا تأتيكم إلا بغتة**».

وتدل على بطلان قول الرافضة أن الرسول والأئمة يعلمون جميع ما يكون إلى يوم القيامة.

قال الشيخ أبو علي: ويدل على بطلان قولهم بالنص؛ أنه ﷺ نص على إمام بعد إمام بأعيانهم، ولو[1] كان الزمان لا يخلو من حجة لوجب أن يعلموا آخر الأئمة، وأن الساعة تقع عنده، فيكون العلم بالأئمة علما بالساعة، والآية تُكَذِّبُهم.

وتدل على أن المعارف مكتسبة، حيث أثبت كون جماعة لا يعلمون الحق.

وتدل على أن السؤال فعلهم، ليس بخلق الله.

---

(١) ولو: لو، أ، ض.

قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾

اللغة

أصل الملك: القدرة على التصرف من غير مانع، ومنه: مالك العبد والدار هو من له أن يتصرف فيهما وليس لأحد منعه، ومنه: المَلِك؛ لأن الناس يملكون أمرهم معه، ومنه: مَلَكْتُ العجين شدته أمُلكه بضم اللام وأملكته، أملِكه بكسر اللام: إذا أتممت[1] عجنه، وعجين مملوك ومملك، ومنه قول الشاعر[2] :

مَلَكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرتْ فَتْقَها يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا ما[3] وراءها

والغيب: ما غاب عن الحواس، وقيل: ما غاب عن الحواس ولا دليل عليه.

النظم

ولما تقدم السؤال عن الساعة وهو العلم بالغيب أمره ـ تعالى ـ أن يجيب بأنه لا يعلم الغيب، وأن علم الغيب يختص به المالك للضر والنفع «**قُلْ لا أَمْلِكُ**» عن الأصم وأبي مسلم.

وقيل: إنه جواب عن سؤالهم، كأنه قال إنما لا أملك أن أسوق إلى نفسي نفعًا أو أدفع عنها ضرًّا فكيف أعلم الغيب، وتم الكلام عند قوله: «**إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**» ثم ابتدأ وقال: «**وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**» أي: الجنون، جوابًا عن قولهم: به جِنَّة، عن مقاتل.

النزول

قيل: إن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك عن الرخص والغلاء حتى

---

(١) أتممت: أنعمت، د.

(٢) الشاعر هو قيس بن الخطيم، وقيل هو لبيد بن ربيعة، كما هو في الإتقان ١/ ٣٥٥.

(٣) في تفسير القرطبي ١/ ١٨٨، وزاد المسير ٨/ ١٠٣، والتحرير والتنوير١/ ١١٣٩، ١١٧٩، والإتقان ١/ ٣٥٥، وروح المعاني ٢٧/ ٩٥، واللسان (نهر)، والصحاح (نهر)، (من).

نشتري في وقت الرخص ونبيع في وقت الغلاء فنربح، وإذا كنا بأرض تريد أن تجدب فنرتحل إلى الخصب؟، عن ابن عباس.

وحكى الأصم عن بعضهم أن نبي الله ﷺ انصرف من غزوة بني المصطلق وكان في الطريق، فهبت ريح شديدة، فقال ﷺ: «مات رجل بالمدينة يقال له رفاعة»، وكان موته غيظًا للمنافقين، ثم قال: «انظروا أين ناقتي» فقال عبد الله بن أبيّ وناس من المنافقين: يخبرنا بموت رجل بالمدينة، ولا يدري أين ناقته وكانت بين يديه الساعة؟ فقال النبي ﷺ: «إن ناسًا من المنافقين يزعمون كذا، وموت رفاعة حق، وناقتي في الشعب تعلق زمامها بشجرة» فوجدوها كما قال.

۞ المعنى

«**قُلْ**» يا محمد «**لا أَمْلِكُ**» أي: لا أقدر «**لِنَفْسِي**» على نفع أجتلبه أو ضرر أدفعه «**إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**» أن يملكني فأملكه بتمليكه إياي «**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**» قيل: معناه لا أملك إلا ما ملكت، ولا أعلم إلا ما علمت، وما أقول هذا عن آفة ولا علة، وقيل: لو علمت الغيب لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة، ولاشتريت ما أربح، ولاشتريت من الرخص للغلاء، عن الفراء وأبي علي. وقيل: لاستكثرت من العمل الصالح على حسب علمي به، عن الحسن وابن جريج. وقيل: لاستكثرت من تصديقكم إياي وإيمانكم، عن الأصم. وقيل: لو علمت الغيب لاستكثرت من معرفته حتى لا يخفى عليّ شيء، وقيل: لو علمت الغيب لاستكثرت من خير الدين والدنيا، فكنت أجيب عن[1] كل ما أُسْأَل، وأنفق المال على الطاعات، وأستميل القلوب بها، فيقوى الداعي إلى اتباعي، وقيل: لو علمت متى أموت لاستكثرت الخير لذلك الوقت «**وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**» قيل: جنون، عن الحسن ومقاتل، كما زعمه المشركون، ونظيره قوله: ﴿بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ:٤٦]، وقيل: الفقر لاستكثاري من الخير، عن أبي علي. وقيل: ما مسني تكذيب يسوؤني؛ لأني كنت

---

(١) عن: من، أ.

عالمًا بكل شيء، وأجيب عن كل ما أُسْأَل فيصدقونني[1] ولا يكذبونني[2]، عن الأصم. وقيل: ما مسني آفة وعلة، لذلك أقول: لا أملك ذلك ولكن أقول عن حقيقة، وقيل: ما مسني سوء من جهة الأعداء؛ لأني كنت أعلمه فأتحرز منه «**إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ**» مخوف بالعذاب «**وَبَشِيرٌ**» مبشر بالثواب «**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» يصدقون، وخصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون به كقولهم: من اتبع الذكر وكان ينذر غيرهم عن أبي علي وأبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن أحدًا لا يملك شيئًا؛ لأنه[3] هو المحيي، وهو المقدر، ومعطي الآلات، ومعلم الأشياء إما ضرورة أو استدلالاً بأدلة نصبها.

وتدل على فساد مذهب الجبر؛ لأن الأفعال كلها لو كانت محاولة له لما صح الاستثناء في قوله: «**إلا ما شاء الله**»؛ لأن أحدًا لا يملك شيئًا عندهم.

وتدل على أنه ﷺ لا يعلم الغيب، فكذلك الأئمة، خلاف قول الإمامية.

وتدل على بطلان مذهب الجبر في الاستطاعة؛ لأنه قال: «**ولو كنت أعلم الغيب**» ولم يقدر لما أمكنه الاستكثار، ولو قدر لكان يستكثر علم أو لم يعلم، فلم يكن لقوله: «**ولو كنت أعلم الغيب**» فائدة.

قوله تعالى:

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

---

(١) فيصدقونني: فيصدقوني، أ، د.

(٢) يكذبونني: يكذبوني، أ.

(٣) لأنه: الآية لأنه، أ، ض.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم «**شِرْكًا**» بكسر الشين منونًا غير ممدود، وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير. وقرأ الباقون «**شُركاء**» بضم الشين وفتح الراء وبالمد والهمز[(١)] .

والأول بمعنى الشركة، قال أبو عبيد: أي: حظًا ونصيبًا من غيره، قال الأزهري: فالشرك يكون بمعنى الشريك.

فأما الثاني فالشركاء جمع شريك، وقال بعضهم: في قراءة نافع تقديران: قيل: ذا شرك عن الزجاج، وقيل: كان له شركاء.

قراءة العامة «**فمرّت به**» بالتشديد من المرور، وعن ابن عباس: (**فاستمرت به**)، ويجوز أن يكون فسر (مرت) بـ(استمرت).

وعن بعضهم «**فَمَرَتْ**» خفيفة من الريبة وهو الشك، أي: شكت، أحملت أم لا؟.

وقراءة العامة «**أيشركون**» بالياء على الكناية عمن تقدم ذكرهم، وعن السلمي بالتاء على الخطاب.

۞ اللغة

الخلق: أصله التقدير، وهو إحداث على قدر من غير زيادة ولا نقصان، ولا يطلق ذلك في غير أفعال الله لذلك، وقيل: إنه المخْتَرَع، وقيل: المفعول لا بآلة.

والنفس: ذات الشيء، والنفس: نفس الإنسان وهو هذا الشخص المبني الفاعل.

والزوج: المرأة زوج بعلها، وزوجته، والزوج من الثياب وغيره الصنف.

والسكون إلى الشيء: الاستقرار إليه والألفة معه، وأصل الباب السكون خلاف الحركة، ومنه: السكن أهل الدار لسكونهم فيه، ومنه الحديث: «حتى إن الرمانة

---

(١) حجة القراءات ٣٠٤.

لتشبع السكن»، والسكن كل ماسكن إليه، ومنه: السكين؛ لأنه يسكن حركة المذبوح. والسَّكِينَةُ: الوقار؛ لما فيه من السكون، والاستكانة: الخضوع مأخوذة[1] من السكون، ومنه: ﴿صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣] أي: يسكنون بدعائك سكون راحة، ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦]؛ لأن الناس يسكنون فيه، يقال: سكن يسكن سكونًا، والسكون معنى في الجسم، والحركة معنى، قال أبو علي: هما ضدان، واعتبر الهيئة، وقال أبو هاشم: السكون قد يكون مثلاً للحركة، وقد يكون ضدًا له، وقد تصير الحركة سكونًا، والاعتبار فيه بالجهة والحركة كون عقبت ضده، والسكون كون عقبت مثله أو كون نفي من محل واحد وقتين.

والغشاء: الغطاء، وغشيت الشيء غطيته، والغاشية منه، وسميت القيامة غاشية؛ لأنها تغشى كل شيء بأهوالها، وغاشية السرج منه.

مر يمر: إذا مضى، ومر: استمر، وأمرّ صار مُرًّا، وأمررت الحبل: فَتَلْتُهُ، والأَمَرَّان[2] الهرم والمرض، وأمر الشيء: أحكم صنعته، ومنه قوله: ﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦] أي: أشد، يقال: مر الشيء، وأمر، واستمر.

۞ الإعراب

الألف في قوله: «**أيشركون**» ألف إنكار في سؤال احتجاج، وأصله الاستفهام، وفيه معنى الطلب لإظهار الفضيحة.

«**حملاً**» نصب على المصدر. «**خفيفًا**» نعت له «**صالحًا**» نصب لأنه نعت لمحذوف؛ أي: ائتنا ولدًا صالحًا. اللام في «**لَنَكُونَنَّ**» لام[3] القسم، والنون للتأكيد.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في مشركي العرب، عن الأصم وأبي مسلم.

(١) مأخوذة: مفعلة، أ.
(٢) والأمران: الأمرار، أ.
(٣) لام: واو، أ.

وقيل: في اليهود والنصارى الذين جعلوا لله شركاء، عن الحسن.

❁ النظم

يقال: كيف تتصل الآية - وفيه ذكر آدم - بما قبلها؟

قلنا: قيل: لما تقدم ذكر الله - تعالى - والدعاء إلى عبادته في قوله: «**إلا ما شاء الله**» وقوله: «**علمها عند ربي**» عقبه بذكر ما يدل على وحدانيته وذم ما أُشْرِكَ في خلقه.

وقيل: لما تقدم قوله: «**إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وبشير**» عقبه ببيان صفة من يدعو إليه، وذكر دلالته.

ويقال: كيف تقدير الآية ونظمها والكنايات فيها؟ والضميران إلى من يرجع؟

قلنا: اختلف المفسرون في ذلك، فقال أبو علي: الكنايات كلها عن آدم وحواء التي في قوله: «**جعلا**» و«**يشركون**» فإنهما يرجعان إلى غير آدم وحواء، وتقدير الآية: «**هو**» يعني الله - تعالى - «**خلقكم من نفس واحدة**» وهو آدم (عليه السلام) «**وجعل منها زوجها**» أي: خلق زوجها وهي حواء منها أي: من نفس آدم «**ليسكن إليها فلما تغشاها**» وطئها «**حملت**» يعني حواء «**حملاً خفيفًا فمرت به**» كذلك «**فلما أثقلت**» الحمل «**دَعَوَا**» يعني «**اللَّهَ رَبَّهُما لئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا**» أي: ولدًا بشرًا سويًا «**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**» لذلك «**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا**» يعني غلامًا وجارية؛ لأن حواء كانت تلد في كل بطن اثنين غلامًا وجارية، وقيل: إنها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد «**جَعَلا**» يعني هذين[1] الولدين الموصوفين بقوله: «**صالحًا**»، «**لَهُ شُرَكَاءَ**» فالمشرك مضاف إلى ولد آدم وحواء، لا إليهما[2]، والكناية عنهما يعني الولدين، وجعلا شركاء أضافا الخلق والنعم إلى غير الله من وثن أو صنم ونحوه، فتعالى الله عما يشركون.

وقال بعضهم مثل ذلك إلا أنهم قالوا: قوله: «**جعلا**» يرجع إلى نسلهما

---

(١) هذين: هذه، أ.

(٢) إليهما: إليها، أ.

وعقبهما، وإنما ثنى ذكرهما؛ لأنهما جنسان: ذكر وأنثى؛ ولذلك قال: «**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**» على الجمع.

وقال الأصم: لم يرد بالآية آدم وحواء وليست الكنايات كناية عنهما، وإنما المراد بذلك مشركو العرب الذين جعلوا لله في أولادهم شركاء، فخاطب كل نفس منهم، فقال سبحانه: «**خَلَقَكُمْ**» يعني خلق كل نفس منكم «**مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» وخلق من تلك النفس زوجها يعني من ذلك الجنس والشكل؛ ليكون آلَفَ وأَسْكَنَ إليها، فلما تَغَشَّى النفس التي خلقها الله زَوْجُها أي وطئها حملت حملاً خفيفًا لا يشق عليها، «**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا**» ذكرًا سويًا «**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**» وكانت عادتهم أن يئدوا البنات، فالضمير في جميع ذلك يرجع إلى الأب والأم «**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا**» يعني الأب والأم «**لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا**» فكانوا يسمون عبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار، وعبد اللات «**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**» ترجع الكناية إلى جميعهم، كما ترجع في قوله: «**خلقكم**».

وقال أبو مسلم: «**خَلَقَكُمْ**» خطاب عام لجميع الخلق أنه خلقهم «**مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» وهو آدم «**وَجَعَلَ**» من ذلك النفس «**زَوْجَهَا**» وهي حواء إلى ههنا حديث آدم وحواء، ثم انقضى الكلام عنهما، ثم خص بالذكر المشركين من أولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له الشركاء فيما آتاهم.

قال: ويجوز أن يذكر العموم ثم يخص بعض المذكور بالذكر، ومثله كثير في الكلام، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:٢٢] فعم جميع الخلق في أول الآية، ثم خص في آخرها بعضهم، كذلك ههنا عم في أول الآية ذكر جميع الخلق ثم خص المشركين بالذكر بعده. وروي قريبًا، منه عن الحسن.

قال أبو مسلم: ويجوز فيه وجها آخر، وهو أن يكون «**خَلَقَكُمْ**» خطابًا للمشركين، وقوله: «**مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» لأنه كل واحد من بني آدم مخلوق من نفس، وزوجها كذلك؛ لأنه من جنسها، وذكر قريبًا من قول الأصم.

وقال بعضهم: المراد بالنفس الجنس؛ أي: خلقكم من جنس واحد وخلق من ذلك الجنس زوجًا له ليسكن إليها.

كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١] أي: ليسلم بعضكم على بعض، فلما تغشى الزوج زوجته وحملت دعوا الله، فلما آتاهما[١] صالحًا جعلا له شركاء، يبين ذلك قوله: «**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**».

وقال بعضهم: الكناية عن آدم وحواء إلى قوله: «**جَعَلا**» ثم بعده كناية عن أولادهما، فحذف الأولاد وأقامهما مقام الأولاد، ويجوز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كقوله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية، وكقوله لليهود: ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٥١] و﴿قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا﴾ [البقرة: ٧٢] يعني أسلافهم[٢] عن بعض أهل المعاني.

وقيل: المراد به اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فَهَوَّدُوهم ونصروهم، عن الحسن.

وقيل: قوله: «**جَعَلا**» أي أَجَعَلاَ بمعنى لم يجعلا، فأنتم ثَمَّ جعلتم، وحذف ألف الاستفهام كثير، قال الشاعر:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِي

أي: أَبِسَبْعٍ.

وقيل: على قراءة من قرأ «**شِرْكًا**» في السؤال أي: نفيًا لاستثناء آخر غير ذلك.

فأما ما يرويه[٣] الحشو أن الآية إلى آخرها في آدم وحواء وأنها لما حملت جاءها إبليس فعند ذلك قال لها: إن شئت أن يعيش ولدك فسميه عبد الحارث، والحارث اسم إبليس، فسماه بذلك فعاش ولدها، وقيل: بل سمي عبد الله، وقال إبليس: أتظنان أنه يترك عبده عندكما[٤]؟ سمياه[٥] عبد الحارث.

(١) آتاهما: آتاهم، أ.
(٢) أسلافهم: اسلامهم، أ.
(٣) يرويه: يرونه، أ.
(٤) عندكما: عنه كما، أ.
(٥) سمياه: سميناه، أ.

وقيل: قال لحواء ذلك فذكرت لآدم، فأبى وقال: أَطَعتِهِ مرة فأخرجك من الجنة، وسماه صالحًا فقبله، فلما كان ثالثًا قال آدم: إن غلبتموني فسموه[1] عبد الحارث، في قصة طويلة، واختلاف الروايات ما ذكرناه جملته، وهذا فاسد؛ لأن فيه إضافة الشرك إلى نبي الله وطاعة الشيطان.

ومتى قيل: أيهما سميا لا قصدا أو ما علمنا؟

قلنا: فالتلقيب ليس بشرك، والله - تعالى - جعل ذلك شركًا، ثم ليس في ظاهر الآية من روايتهم وحديث إبليس شيء.

المعنى

«**هُوَ**» يعني الله «**الَّذِي خَلَقَكُمْ**» أي: جميع الخلق «**مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**» قيل: من آدم، وقيل: من أب، وقيل: من جنس واحد «**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**» قيل: حواء من آدم، عن الحسن وأبي

علي. وقيل: زوجك لنفس من جنسها، عن أبي بكر أحمد بن علي والزجاج. «**لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**» يستأنس[2] بها ويأوي إليها ويألفها؛ لأن الشكل إلى الشكل آلف «**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**» أي: جامعها «**حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا**» وهو ماء الرجل في رحمها يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة، وفي جميعها هو خفيف أي استمرت بذلك الحمل الخفيف، قال الزجاج: معناه استمرت به قامت وقعدت ولم يثقلها، قيل: مرت بالحمل إلى أن صار إلى حال الثقل، عن الحسن ومجاهد وقتادة. وقيل: سكن فيه لخفته حملت أم لا، عن ابن عباس. وقيل: استبان حملها، عن قتادة. وقيل: مارت به، والمور التردد، يعني تردد هذا[3] الماء في رحم الحاملة، عن أبي مسلم. «**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ**» أي: كبر الحمل في بطنها وتحرك وصار ذا ثقل، كما يقال: أثمر: إذا صار ذا ثمر «**دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا**» قيل: آدم وحواء، وقيل: الأبوين من ولد آدم، وقيل: إن آدم وحواء كانوا مستوحشين فلذلك دعوا، وقيل: خافا أن يكون في بطنها داء «**لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا**» أي:

---

(١) فسموه: فسموهم، أ.

(٢) يستأنس: استأنس، أ.

(٣) هذا: هاذا، أ.

أعطيتنا ولدًا صالحًا، عن أبي مسلم. وقيل: سألا ذَكَرًا سويًا يعني إن جعلت حملها ذكرًا سويًا، عن الأصم. وقيل: أعطيتنا غلامًا ذكرًا، عن الحسن. وقيل: بشرًا سويًا، عن ابن عباس. وقيل: أشفقا أن يكون بهيمة، قال القاضي: لأن في حال الولادة لا يكون صالحًا إلا بمعنى سليم صحيح الخلقة، وقيل: صالحًا في الدين فآتاهما الله ـ تعالى ـ كذلك، وكان في نسلهما من أشرك بالله، عن أبي علي. «**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**» لنعمك في هذا الولد «**فَلَمَّا آتَاهُمَا**» أعطاهما «**صَالِحًا**» ولدًا سويًا بشرًا حيًا «**جَعَلا**» قيل: النفس وزوجته في ولد آدم لا آدم وحواء عن الحسن وقتادة والأصم وأبي مسلم. وقيل: إلى الولد الصالح؛ لأنها كانت تلد غلامًا وجارية، «**صالحًا**» يعني معافى في بدنه، عن أبي علي، وقيل: معناها جعلا يعني: اجعل آدم وحواء الشريك كما تجعلون أنتم فلماذا تشركون والله هو الخالق «**فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**» فمرة ثنى الخطاب؛ لأنه يرجع إلى اثنين ومرة جمع؛ خطابًا للمشركين للتصرف في الكلام، ومعناه: تنزيهًا لله ـ تعالى ـ وعلوًا له عما يصفه المشركون به «**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ**» أي: تشركون في العبادة فتعبدون ما لا يخلق «**شَيْئًا**» قيل: الأوثان لا تخلق شيئًا ولا تقدر عليه، وقيل: الشمس فسموا عبد شمس، وهذا إنكار وتقريع وبيان بأن المستحق للعبادة من يقدر على الخلق والإنشاء ولا يكون مخلوقًا «**وَهُمْ يُخْلَقُونَ**» يعني العابد لغير الله والمعبود «**وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا**» يعني هذه الأوثان لا تقدر[1] على معونتهم على عدوهم، ولا نفع توصله إليهم[2] ولا دفع ضرر عنهم[3] «**وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**» قيل: لا يدفعون عن أنفسهم مكروهًا إن أريد بهم ذلك، نحو كَسْرٍ ونحوه، عن الحسن وأبي علي. وقيل: لا يدفع[4] أمر الله عن نفسه في إفنائه، عن أبي مسلم. والمراد به الأوثان، وقيل: عابد الوثن مع حاجته إلى النصرة لا يجدونها من قِبَلِ من عبدوه، ولا من قبل أنفسهم.

---

(١) يقدر: يقدرون، أ.

(٢) إليهم: إليه، أ.

(٣) عنهم: عنه، أ.

(٤) يدفع: يدفعون، أ.

الأحكام

تدل الآية على أن الولد من النعم التي يجب عليها[1] الشكر، لذلك قال: «**لنكونن من الشاكرين**».

وتدل على أن النعمة يعظم الذنب بعدها؛ فلذلك وبخهما بقوله: «**فلما آتاهم صالحًا**».

وتدل على أن الحمل يكون من ماء الرجل لذلك قال: «**فَلَمَا تَغْشَاهَا حَمَلت**».

وتدل على وجوب الانقطاع إلى الله عند الشدائد؛ لذلك قال: «**دَعْوا الله**».

وتدل على حسن الدعاء في أمور الدنيا؛ لذلك قال: «**لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحًا**».

وتدل على وجوب الشكر.

وتدل على صحة الحجاج في الدين؛ لأن قوله: «**أيشركون ما لا يخلق**» حجاج.

وتدل على أن المستحق للعبادة هو الذي يخلق وينعم ويقدر على النفع والضر وهو الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

القراءة

قرأ نافع: «**لا يَتْبَعُوكم**» ساكنة التاء مفتوحة الباء من تَبِعْتَ[2] فلانًا تَتْبَعُهُ: إذا تلوته، وقرأ الآخرون مشددة التاء مكسورة الباء من: اتَّبَعه[3].

---

(١) عليها: عليه، أ.

(٢) تبعت: يتبع، أ.

(٣) حجة القراءات ٣٠٥.

أثبت الياء في قوله: «**كيدوني**» أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، والباقون بحذفها، وأثبت يعقوب الياء في «**تنظرون**» وحذفها الآخرون، فالإثبات على الأصل والحذف للتخفيف، مع دلالة الكلام عليه.

قرأ أبو جعفر «**يَبْطُشون**» بضم الطاء، وكذلك في (القصص) و(الدخان). وقرأ الباقون كله بالكسر.

۞ اللغة

الدعاء: طلب الفعل بصيغة مخصوصة، ثم تختلف صيغته فيكون بصيغة الأمر والنهي والإخبار، كقوله: غفر الله له.

والصمت: السكوت، أصمت الرجل فهو مُصْمِت: إذا اعْتَقَلَ لسانه، وصمت وأصمت: سكت، ورماه الله بِصُمَاتَةٍ أي: سكاتة[1].

والبطش: الأخذ، ويد باطشة، ومنه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

۞ الإعراب

«**عباد أمثالكم**» تقديره: هم عباد. واللام في قوله: «**فليستجيبوا**» لام الأمر على معنى التعجيز، وإنما كان للتعجيز؛ لأنه طلب الفعل إن أمكن.

ويقال: لم قال: «**صامتون**» ولم يقل: (صَمَتُّم) كما قال: **(دعوتم)**؟

قلنا: لأنه أراد الماضي والحال؛ لأن المقابلة دلت على معنى الماضي، واللفظ يدل على معنى الحال، قال الشاعر:

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الفَقْرَ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً بِأَهْلِ فتات مِنْ نمير بن عَامِرِ

۞ المعنى

«**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ**» قيل: هو تمام الحجاج مع أهل الشرك، وقيل: إنه عطف على قوله: «**لاَ يَسْتَطِيعُون نَصْرُكُم**» أي: لا ينصرونكم وإن دعوتموه لا يتبعونكم، عن

(١) سكاتة: سكتة، أ.

أبي مسلم. واختلفوا في المدعو، فقيل: إن تدعوا المشركين الذين صبؤوا[1] بالكفر، عن الحسن. وقيل: إن تدعوا الأصنام التي عبدوها، عن أبي علي وجماعة. «**إِلَى الْهُدَى**» إلى الدين الحق، وقيل: إلى المنافع والرشد، عن أبي علي. «**لا يَتَّبِعُوكُمْ**» يعني: لا يجيبوكم إلى ما تدعونهم[2] إليه من الهدى لِمَا ألفوا من الكفر، لأنها جماد ليس بأحياء ولا عقلاء، والمانع من اتباع الحق أمور كثيرة جملتها الهوى والشبهة وتقليد رؤساء الضلالة «**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ**» يعني سواء عليكم الدعاء والسكوت في أنهم لا يجيبون «**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**» يعني الذين تسمونهم آلهة من الأصنام «**عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**» ثم لا تنتفعون بها، ثم احتج عليهم وقال: إن الذين تدعون من دون الله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون، عن الأصم. وقيل: المراد به الأوثان يعني أنها عباد سميت، مملوكة لله ـ تعالى ـ ،عن أبي علي وأبي مسلم. يعني ثم تعبدون من هم مثلكم مملوك، وقيل: لأنهم توهموا أنها تضر وتنفع، وقيل: ليس تخرج من أن تكون مخلوقة لله، وقيل: مخلوقة أمثالكم، عن الحسن، يعني أشباهكم فَلِمَ تعبدوهم، وقيل: إنه استفهام أي: عباد أمثالكم يعني أنتم خير من هؤلاء الأصنام؛ إذ لا عقل لها، ولا تسمع، ولا تبصر، فلأي وجه تعبدونهم «**فَادْعُوهُمْ**» في طلب المنافع وكشف المضار «**فَلْيَسْتَجِيبُوا**» أي: فليستجيبوا دعاءكم «**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**» أنها آلهة، وذلك تقريع وتوبيخ وإشارة إلى أنهم لا يسمعون ولا يجيبون داعيًا، فكيف بلغوا بهم[3] منزلة الربوبية، وهم دون المخلوقين «**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**» يعني ليس لهم هذه الحواس، ولكم هذه الحواس، فأنتم أفضل منهم، فلم عبدتموهم؟، عن أبي علي. وقيل: إنهم عبدوا جسمًا صفته ما ذكر، ولا شبهة في الإياس من نفعه وضره فبطلانه ظاهر وعبادته سخف، وقيل: إنه بيّن أن عبادة جسم يقدر على النفع والضر، ويسمع ويبصر قبيح، فكيف من هذه صفته؟.

---

(١) صبؤوا: صبوا، أ.

(٢) تدعونهم: تدعوهم، أ.

(٣) بهم: أنهم، أ.

ثم زاد في تهجين حالهم وكمال الحجة عليهم، فقال سبحانه: «**قُلِ**» يا محمد «**ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ**» يعني الأوثان لينصروهم «**ثُمَّ كِيدُونِ**» بأجمعكم أي: امكروا بي «**فَلا تُنْظِرُونِ**» أي: لا تؤخروني لتعلموا أن كيدكم لا يضرني، ومكركم لا يلحقني؛ لأنه ـ تعالى ـ يدفعه عني، وقيل: دلهم ـ لضعفهم وضعف معبودهم ـ على فساد عبادتهم عن أبي علي. وقيل: خوفوه بآلهتهم فأجابهم بذلك، عن الحسن.

۞ الأحكام

تدل الآية على جواز الحجاج في الدين.

وتدل على أن من لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر لا يُعْبَدُ.

ومتى قيل: وجب أن يكون للمعبود هذه الحواس؟

فجوابنا أنها وردت في الأجسام، فأما القدير سبحانه فليس بجسم فيدرك لا بحاسة، وقيل: إنه نبه بذلك على أنه لا يسمع ولا يبصر، فذكر الجوارح تنبيهًا. وقيل: نبه على تفضيل العابد على المعبود.

وتدل على أن الدعاء والضلال فعلهم؛ لذلك وبخهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

۞ القراءة

قرأ يعقوب وأبو بكر عن عاصم «**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ**» بالإظهار، والباقون بالإدغام، وروي عن أبي عمرو بياء واحدة مشددة، وقد اجتمعت ثلاث ياءات ولم يجز مثل ذلك في تصغير عطا؛ لأن الياء الأخيرة بمنزلة المنفصلة إذ هي للإضافة[١]، وليس كذلك عُطَيّ؛ لأنها أصلية، فلا يجوز إلا الحذف.

---

(١) للإضافة: بالإضافة، أ.

اللغة

الولي: القريب، وأصله الاتصال، والولي: الناصر؛ لأنه يتولاه بأن يصل نصرته، وكل من ولي أمرًا فهو وليه وأولى له، وقيل: كلمة تهديد، عن ثعلب. وقيل: معناه قاربه ما يهلكه، عن الأصمعي. قال ثعلب: والأحسن في ذلك ما قاله الأصمعي.

المعنى

لما أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ أن يحاجهم فيه ويقول: ادعوا شركاءكم وكيدون، بيّن أن ناصره وحافظه الله تعالى، فقال سبحانه: «**إِنَّ وَلِيِّيَ**» وناصري وحافظي، وقيل: من يلي أمري ويدفع شركم عني «**الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ**» يعني يؤيدني بنصره كما أنزل الكتاب عليّ، وقيل: يؤيدني لأنه أنزل الكتاب إليّ، فلا بد أن ينصرني حتى أبلغه «**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**» أي: يتولى كل عبد صالح بالنصرة، وقيل: يتولى الصالحين إذا دعوه «**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ**» من دون الله إلهًا، وهي الأصنام «**لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ**» أي: لا يقدرون على نصركم كما يقدر الله على نصري «**وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**» قيل: الأوثان لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا، وقيل: الكفار لا ينصرون أنفسهم، ولا معبودهم.

ومتى قيل: لم كرر ذلك؟

قلنا: ليس بتكرير؛ لأن ما تقدم تقريع وتوبيخ، وههنا فرق بين مَنْ(١) يجوز أن يُعبد ومن لا يجوز، كأنه قال: أعبد من ينصرني، ولا(٢) ناصر لكم ممن(٣) تعبدونه؛ فلا تعبدوه(٤) «**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى**» قيل: إن تدعوا الأوثان إلى الرشد والمنافع، عن الفراء وأبي علي. وإنما أخبر عن الأوثان بجمع من(٥) يعقل وهو الهاء والميم؛ لأنهم جعلوها تنفع وتضر كمن يعقل، وقيل: لأنهم صوروها صورة من(٦) يعقل،

---

(١) من: أن، أ.
(٢) ولا: فلا، أ.
(٣) ممن: من، أ.
(٤) تعبدوه: تعبدوا، أ.
(٥) من: ما، أ.
(٦) من: ما، أ.

فعبر عنه بعبارتهم، وقيل: أراد به الكفار؛ أي: إن تدع يا محمد المشركين إلى الدين، عن الحسن. «**لا يَسْمَعُوا**» قيل: لا يقبلوا، ومنه: سمع الله لمن حمده، وقيل: لأنها جماد، وقيل: لا يسمعون بسببها؛ لأنهم لو تركوها صاروا كأن لم يسمعوها.

«**وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**» فيه قولان:

الأول: أن الكناية ترجع إلى الأوثان.

والثاني: أنها ترجع إلى عبدة الأوثان.

فمن قال بالأول اختلفوا، وقيل: ينظرون إليك أي: يقابلونك[1] كالناظر، ولا يبصرونك، قال الشاعر:

إِذَا نَظَرْتَ بِلَادَ بَنِي تَمِيمٍ   بِعَيْنٍ أو بِلادَ بَنِي صَبَاحِ

أي: يقابل.

وقيل: يتوهم أنهم يرونك من حيث لهم أعين فاتخذوهم لا يبصرون، عن أبي علي. كأنهم ينظرون إليك، كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]؛ لأن حقيقة النظر لا تجوز على الأوثان.

وأما من قال: الكناية ترجع إلى عباد الأوثان، اختلفوا، فقيل: ينظرون إليك، وكأنهم لا يبصرونك كراهة للنظر إليك وبغضًا منهم؛ لذلك[2] صاروا كالعُمْيِ، عن الأصم.

وقيل: بِحَيْرَتهم يقابلونك كالناظر ولا يبصرونك.

وقيل: هو عطف على قوله: «**يسألونك عن الساعة كأنك**»، قيل: يقولون وينظرون إليك، ولا يبصرون، أي لا يتأملون حقائق ما ينظرون إليه من آيات الله ومعجزات رسول الله ﷺ، عن أبي مسلم.

---

(١) يقابلونك: يقاتلونك، أ.

(٢) لذلك: لك، أ.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ ينصر الصالحين، فيبطل قول المجبرة: إنه ينصر الكفار على الأنبياء، والبغاة على أئمة الحق.

وتدل على أن ما[1] لا ينفع ولا يضر تقبح عبادته، ولا يستحق أن يُعْبَدَ.

وتدل على أن النظر غير الرؤية، وأنه لا يقتضي الرؤية؛ لذلك أثبتهم ناظرين غير رائين، عن أبي علي. ومثله قولهم: نظرت إلى الهلال فلم أَرَهُ، ويقسمون النظر إلى وجوه، ولا تنقسم الرؤية، فيبطل قول من يقول: إن قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] يقتضي الرؤية.

قوله تعالى:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «**خذ العفو وأمر بالعُرْف**» بضم العين في (العرف) وبسكون الراء. وقرأ عيسى بنعمر «**العُرُف**» بضم العين والراء مثل الحمل، وهما لغتان.

۞ اللغة

العفو: أصله الترك، ومنه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨] أي تُرِكَ، والعفو عن الذنب ترك الأخذ به، والعفو من المال حَلاَلُهُ وطَيِّبُهُ، وقيل: العفو الفضل؛ لأنه ترك فلم ينفق، والعفو ما يترك من طيب نفس، وعفا المنزل ترك حتى درس، ومنه قول لبيد:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا[2]

---

(١) ما: من، أ.

(٢) اللسان (خرج)، الصحاح (قوم)، العين (خرج).

ومنه: «أعفوا اللحى» أي: اتركوها تطول، والعَفْو والعَفَاء: المكان الذي لم يُوطَأْ، كأنه ترك، وعفا الشيء: كثر، ومنه: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف:٩٥]، وكأنه ترك حتى كبر، والعَفَاء: ما ليس لأحد فيه ملك، كأنه ترك فلم يملك.

والأمر: قول القائل لمن دونه: افعل إذا أراد المأمورَ به، وهو حقيقة في القول وهو في الفعل مجاز، ولذلك يتصرف في القول دون الفعل، ويَطَّرد في القول، لا يقال: أَمَرَ بمعنى (فعل)، وقد ترد صيغته ويراد به غير الأمر كالتهديد، والإباحة، والإرشاد.

والعرف ضد النُّكْر، والعرف والمعروف والعارفة: كل خصلة حميدة تعرف صوابَها العقولُ، وتطمئن إليها النفوس، قال الشاعر:

لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ[1]

والنزغ: الإزعاج بالإغواء، وقيل: الولوع بالإغواء، وأصله: الإزعاج بالحركة إلى الشر، وهذه نزغة من الشيطان للخصلة الداعية إليه، وقيل: النزغ: الإغواء، وهو الوسوسة، وقيل: هو ما يعرض في الإنسان عند وسوسته.

والاستعاذة: طلب البراءة من البلية، تقول: أعوذ بالله من كذا.

۞ الإعراب

يقال: ما موضع «**ينزغنك**» من الإعراب؟

قلنا: جزم بـ(إن) التي للجزاء إلا أنه لا يبين فيه الإعراب؛ لأنه مبني[2] مع نون التوكيد على الفتح، إذا كانت مشددة لا بد من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين، فأجرى الفعل في تصاريفه على ما لزمته العلة منه.

ويقال: لم وصل (ما) بـ (إن) ههنا في الخط، ولم يوصل قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام:١٣٤]؟

---

(١) لأبي نواس، وصدره: من يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يعدَم جَوَازِيَهُ.
انظره في أساس البلاغة (جزي).

(٢) مبني: مثنى، أ.

قلنا: لأنها ههنا حرف تدغم فيه النون، وهناك اسم ينفصل كما ينفصل غيره من الأسماء، فلا يجوز فيه الإدغام؛ لئلا يجتمع ساكنان.

۞ النزول

قيل: لما نزل قوله تعالى: «**خُذِ الْعَفْوَ**. . .» الآية قال ﷺ: «كيف يا رب والغضب» فنزل: «**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**. . .» الآية.

وروي أنه لما نزلت الآية قال النبي ﷺ لجبريل(عليه السلام): «ما هذا؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

۞ النظم

يقال: كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم أمره ـ تعالى ـ بدعائهم إلى الحق بَيَّنَ في هذه الآية أن يقبل إيمان من يؤمن، ويعرض عمن لا يؤمن، وأن يأمرهم بالمعروف الذي أمر به، عن أبي مسلم.

وقيل: تقدم ذكر المؤمن والكافر، فبيّن في هذه الآية كيف يعامل من تقدم ذكره.

وقيل: لما أمره بالدعاء إلى الله وتبليغ رسالته عَلَّمَهُ خصال الخير في الدين والدنيا؛ ليكونوا أقرب إلى القبول منه.

وقيل: لما بعثه وأمره بالدعاء إليه علمه كيفية الإبلاغ والتعليم والأخلاق الشريفة؛ ليتم الغرض بالبعثة لقبول الناس عنه وسكونهم إليه.

۞ المعنى

«**خُذِ الْعَفْوَ**» قيل: الفضل من أخلاق الناس واجعله عادتك، عن الحسن وابن الزبير وأبي علي. وقد يكون فيما سهل من القضاء وترك الاستقصاء، وفي قبول المعاذير والمعاشرة مع الناس كما يحسن ويسهل، وقيل: خذ من أخلاق الناس وأعمالهم بالعفو من غير تحسس، عن مجاهد. وقيل: هو العفو من المال أي: ما

فضل وأتوك به عفوًا فخذه، ولا تسألهم ما وراء ذلك، عن ابن عباس والسدي والضحاك والأصم، قالوا: وهذا قبل نزول فرض الزكاة، ثم نسخ بالزكاة وفرض أخذها طوعًا أو كرهًا، وقيل: بل هو الزكاة، وقيل: اعمل في دينك ودنياك بما يسهل عليك ولا تشق بجمع خير الدين والدنيا، أما الدين فتأخذ بالسهل دون ما يشق كصوم الوصال والخصاء ونحوه، وأما الدنيا فلا تشدد فيها ولا تحرص، فما أتاك سهلاً فخذه، وما لم يأتك سهلاً فدعه. وقيل: ما أتاك عفوًا من إيمان قومك فاقبله «**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**» الذي أمرك الله به «**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**» إلى الوقت الذي وعدك الله بالنصر عليهم وهلاكهم، عن أبي مسلم. وقيل: خذ الطريق السهل بَيْنَ الغلو والتقصير، وأْمُر الناس بذلك؛ لأنه معروف، وأعرض عن الجاهلين ودَارِهِمْ ليقبلوا، «**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**» قيل: بالمعروف، عن قتادة وعروة. وقيل: بكل خصلة حميدة، وقيل: لا إله إلا الله، عن عطاء. «**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**» قيل: أراد الكف عن قتالهم، ثم نسختها آية السيف. وقيل: إذا دعوتهم وأقمت الحجة عليهم وأحسنت دعوتهم فلم يجيبوك، فأعرض عنهم صيانة لنفسك، عن أبي علي. وقيل: اهجرهم هجر استخفاف لا هجرترك، وقيل: لاتكافئهم لسفاهتهم، عن الأصم. وقيل: اهجرهم هجرًا جميلاً بمداراة، عن أبي مسلم. والمراد بالجاهلين الكافرون[1] يجهلون الدين «**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**» أي: يعرض لك ويصيبك منه وسوسة على[2] خلاف ما أمرت به، وقيل: يغضبك الشيطان غضبًا يصدك عن الإعراض عن هؤلاء الجاهلين، وقيل: إذا أمرتهم بالمعروف فأساؤوا الرد فعرض لك من الشيطان عارض يضيق صدرك «**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**» أي: اسْتَجِرْ بالله من نزغه إنه هو السميع العليم، سميع لقولهم واستعاذتك، عليم بما في ضمير كل أحد لا يخفى عليه شيء، عن أبي مسلم. وقيل: سميع دعاء من دعاه، عليم به وبما يستحقه وبمصالحه، عن أبي علي. وقيل: سميع لقول من استجار به، عليم بالسبيل الذي منع به أولياءه من الشيطان، عن الأصم.

وقيل: في الآية وجه آخر: «**خُذِ الْعَفْوَ**» يعني محاسن الأخلاق في الدين والدنيا

---

(١) الكافرون: الكافرين، أ.
(٢) على: في، أ.

وهو الإسلام «**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**» أي: بما أخذته من الإسلام «**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**» فلا تتبع أهواءهم ولكن جادلهم ودعهم «**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ**» وسوسة بخلاف ما أمرت به «**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**» فـ «**إِنَّهُ سَمِيعٌ**» لقولك «**عَلِيمٌ**» بمصالحك، ينصرك على أعدائك ويظهر دينك.

۞ الأحكام

في الآية تعليم من الله لعباده من مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتدبير المصالح دينًا ودنيا ما يغني عن كل وعظ مع قلة هذه الأحرف عن الكتب المصنفة في مكارم الأخلاق؛ لأن الآية تشتمل على[1] جميع ذلك في خاص نفسه، وفي معاملة الناس، وقوله: «**خذ العفو**» فبدأ بنفسه في الأخذ بالتساهل وذلك بين الغلو والتقصير؛ كي يسلم من هم يعود إليه أو وجه يعود إلى غيره، فأمر بالتساهل ليزول هذان، ويأخذ بالأسهل في معاملته للناس وأولاده وأقربائه ومع أعدائه في قبول المعاذير، وكذلك يدخل فيه ترك التشدد في الدين، فلا تغلو ولا تقصر؛ لأن الحق بين الغلو والتقصير، وكذلك الرضا بما أوتي توكلاً على ربه ورِضًا بما ابتلي به، فيذهب الجزع ويكون شاكرًا صابرًا، فهذه جملة يطول تفصيلها.

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ من يَتَعَدَّى[2] نَفْسَهُ إلى غيره[3] من الأخلاق الشريفة من الأمر بالمعروف، فيدخل فيه كل معروف في دين أو دنيا عقلاً وشرعًا، ويدخل فيه النصيحة للناس، والدعاء إلى الدين، والهداية إلى منافع الدنيا، ولَمَّا كان الناصح[4] لغيره كالمعرض لعداوتهم تلت بما يحتاج إليه في ذلك فقال: «**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهلينَ**» بأن تسلك معهم طريقة السلامة فتقل العداوات والخصومات، فبذلك تتكامل للمرء منافع الدين والدنيا.

---

(١) على: في، أ.
(٢) من يتعدى: ما يتعدى، ض؛ من، أ.
(٣) غيره: غير، أ.
(٤) الناصح: المناصح، أ.

وتدل على وجوب التعليم؛ لأنه ما لم يُعَلَّم لا يمكنه الفرق بين المعروف والمنكر حتى يأمره بالعرف.

وتدل على وجوب الاستعاذة[١] بالله دفعًا لشر الشيطان، وإنما خص الشيطان بالذكر، وإن كان الواجب الانقطاع إليه في دفع شكر كل أحد لوجهين:

أحدهما: أن مغالبته ومقاتلته تتعذر، ولا[٢] طريق لدفعه إلا بالاستعاذة.

والثاني: أنه يوسوس من طريق يشتبه ويوافقه هوى النفس فوجب الاستعاذة به بدفعه.

وتدل على أن[٣] الاستعاذة به عند دعاء المبتدع وإغواء الإنس، وهوى النفس؛ لأن ضرر جميع ذلك أعظم.

وتدل على أن القبائح ليست[٤] من خلق الله لا الكفر والضلال ولا الدعاء إليه والوسوسة به؛ إذ لو كان الجميع من خلقه لم يكن للاستعاذة من الشيطان معنى، بل كان يمتنع[٥] الاستعاذة منه، ولأن خلق الشر أعظم من الدعاء إليه.

وتدل على أن النبي ﷺ مأمور بالاستعاذة.

ومتى قيل: كيف يوسوسه مع علمه بعدم التأثير؟

قلنا: قيل: لجهله بذلك، وقيل: ظنًّا منه بأنه تنقضي الاستعاذة فتؤثر الوسوسة، وقيل: تؤثر وسوسته في أعمال خاصة في الدنيا، وقيل: لعله يعتقد جواز ذلك عليه.

وتدل على أن الاستعاذة لطف؛ لأن دفع شر الشيطان عند الاستعاذة مصلحة، ولأن التعوذ عبادة وانقطاع إليه، وتذكير لتجدد نعمه عليه.

وقيل: الإنسان يغلب الشيطان عند الاستعاذة، والشيطان يغلب الإنسان عند الغضب، وعند الهوى.

---

(١) الاستعاذة: الاستعانة، ض.
(٢) ولا: فلا، ض.
(٣) أن: ـ ، ض.
(٤) ليست: ليس، أ.
(٥) يمتنع: يجب، أ.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «**طَيْفٌ**» [1] بغير ألف، وهو قراءة النخعي والأسود بن يزيد، وقرأ الباقون «**طائف**» بالألف، فالطيف: مصدر طاف يطيف طيفًا.

وقال الزجاج: طفت عليه أطوف، وطاف الخيال يطيف، والطائف بمنزلة الخاطر والعارض، واختلفوا فقيل: الطيف والطائف واحد، كالميت والمائت، وقيل: بينهما فرق نذكره في فصل اللغة.

وقرأ أبو جعفر ونافع: «**يمدونهم**» بضم الياء وكسر الميم، وقرأ الباقون: «**يمدونهم**» بفتح الياء وضم الميم، وهما لغتان، مَدَّ يَمُدُّ وأمد يُمِدُّ، وقيل: مد: جذب، يعني بخروجهم إلى الضلال، وأمد من الإمداد، أي: يكونون[2] في قبيح، فيمدونهم بقبيح آخر، فلا يرجى فلاحهم، ويقال: مددت الشيء مَدًّا، ورجل مديد: طويل القامة، وعن الجحدري: «**يمادونهم**».

وقراءة العامة: «**يُقصِرون**» بضم الياء وكسر الصاد، وعن عيسى بن عمر «**يَقصُرون**» بفتح الياء وضم الصاد، وهما لغتان، قصر وأقصر.

اللغة

المس: مس الشيء بيدك، يقال: مسسته أَمَسُّهُ، وقيل: مسِسْتُ أَمَسُّه، والمسَوُس: الذي به مسوس[3] ، والمسوس من المياه: ما نالته الأيدي.

---

(١) حجة القراءات ٣٠٥.

(٢) يكونون: يكونوا، أ.

(٣) مسوس: يلامس، أ.

الطيف أصله الواو، ويقال: طاف يطوف طوفًا وطوافًا، وطاف يطيف طيفًا، قال الشاعر:

أَنَّـى أَلَـمَّ بِـكَ الـخَـيَـالُ يَـطِـيـفُ[1]

وأصل طيف، وقيل[2]: طيّف[3] بالتشديد، فخفف، نحو: كَيْد ومَيْت وهَيْن ولَيْن.

وقد اختلفوا في الطائف والطيف:

قال ابن فارس وابن عرفة: الطيف والطائف: ما أطاف بالإنسان من الجن والخيال، معناهما واحد.

وقال أبو عمرو وأبو عبيد: الطائف ما طاف بهم نوسوسة الشيطان، والطيف: الجنون.

والغي: الضلال الذي يورث الخيبة، والغي: نقيض الرشد، وأصله: الخيبة، ومنه:

وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدِمْ عَلَى الغَيِّ لائِمَا[4]

أي: من يخب.

القصر: الكف عن الشيء، يقال: قصر من الشيء: إذا كف، والإقصار: النزوع عن الشيء مع القدرة عليه. قال ابن عرفة: يقال: قصر من الشيء: إذا نقص منه، ومنه: ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء:١٠١]، وأقصر عنه: تركه عن قُدْرَةٍ، وقصر عنه: ضعف عنه، والقصور عن الشيء: العجز عنه في الإقصار، قال الشاعر:

لَـوْلاَ عَـلاَئِـقُ مِـنْ نِـعَـمٍ عَـلِـقْـتُ بِـهـا ... لأَقْـصَـرَ الـقَـلْـبُ مِـنِّـي أَيَّ إِقْـصَـارِ[5]

---

(١) تمام البيت: وقطافُهُ لك ذِكْرَةٌ وشُغُوف. انظره في الصحاح (طيف).

(٢) وقيل: قيل، ض.

(٣) طيف: طيفه، ض.

(٤) صدر البيت: فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَه. انظره في الصحاح (غوي)، والعين (عيو).

(٥) انظره في العين (قصر).

۞ الإعراب

يقال: ما الفرق بين (إذا) الأولى وبين (إذا) الثانية؟

قلنا: الأولى بمنزلة الجزاء في أن لها جوابا(١) كجوابه، والثانية فيها معنى المفاجأة، كقولك: خرجت فإذا زيد.

۞ المعنى

لما أمر بالاستعاذة بالله من الشيطان بيّن طريقة المؤمن في ذلك وطريقة غيره، وعلَّم المؤمن الانقطاع إليه، كما علم الرسول، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا**» قيل: معناه: المتقون، وقيل: اتقوا الكفر والكبائر «**إِذَا مَسَّهُمْ**» : أصابهم.

ومتى قيل: لم فصل بين النبي ﷺ وبين المؤمن، فقال: «**وإما ينزغنك**» وفي المؤمنين: «**إذا مسهم**» ؟

قلنا: لأن النزغ(٢) أول الوسوسة، والمس آخره؛ لأنه لا يتمكن من النبي ﷺ بأكثر من ذلك، ويتمكن من غيره، والمس لا يتم إلا بعد التمكن.

طيف و«**طَائِفٌ**» قيل: نزغ، عن ابن عباس. وقيل: وسوسة، عن أبي عمرو بن العلاء والأصم وأبي علي. وقيل: غضب، عن مجاهد. وقيل: الطائف الشيطان يعني إذا طاف بهم الشيطان، وقيل: الوله والذنب «**تَذَكَّرُوا**» أي: تفكروا في الوعد والوعيد، وفيما قاله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] و﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [النساء:١٢٠]، وغير ذلك من الآيات، فتركوا ذلك. وقيل: ذكروا الله، فتركوا الذنب لأجله تعظيمًا له، وشكرًا لأنعمه. وقيل: ابتهلوا واستجاروا وتضرعوا ليدفع عنهم شر الشيطان، عن أبي مسلم. وقيل: يهم(٣) بالذنب فيذكر(٤)

---

(١) جوابا: جواب، أ.
(٢) النزغ: الشرع، أ.
(٣) يهم: يهموا، ض.
(٤) فيذكر: فيذكروا، ض.

الله فيتركه[١] ، عن مجاهد. وقيل: إذا زلوا تابوا، عن السدي. وقيل: تذكروا بها معصية فتركوها، عن مقاتل. «**فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**» يبصرون مواقع نعم الله، وما عليه من الخطيئة والعصيان، وما له من الثواب في تركه «**وَإِخْوَانُهُمْ**» قيل: إخوان الشياطين في الضلال يمدهم الشيطان، عن الحسن وقتادة والسدي وأبي علي والزجاج. وقيل: إخوان المشركين والشياطين، عن مجاهد. وإنماجعلهم إخوانًا لهم لوجهين:

أحدهما: لقبولهم عنهم، واجتماعهم على الضلالة، وتعاونهم عليه، كما قال المؤمنون إخوان[٢] لاجتماعهم على الحق، ومعاونتهم فيه.

والثاني: لقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين أو أن الشيطان أولى بهم كالأخ بأخيه، فَبَيَّنَ ـ تعالى ـ أن الشيطان يطمع في الكفرة والفسقة لقبولهم عنه بالوسوسة، فلا بد أن يكون في ضلال.

«**ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ**» أي: لا يكفون، وقيل: لا يكفون عن إغوائهم، عن أبي علي. وقيل: لا يكفون إجابتهم، عن الأصم. وقيل: لايكفون عن السيئات ولا الشياطين يكفون عن إغوائهم.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ عند وسوسة الشيطان، وتذكر[٣] وعده ووعيده ليكف عن المعاصي.

وتدل على أن تلك[٤] طريقة المؤمنين، فلا يقبلون من الشيطان.

وتدل على أن طريقة الفسقة القبول منهم لا جرم يمدونهم، ويطولون[٥] إغواءهم.

---

(١) فيتركه: فيتركوه، ض.
(٢) إخوان: إخوانا، أ.
(٣) وتذكر: ويذكر، أ.
(٤) تلك: ذلك، أ.
(٥) ويطولون: يضلون، ض.

وتدل على أن طمع الشياطين في الفسقة يقوى، ويضعف في المؤمنين لما قدمنا من استعاذتهم بالله.

وتدل على أن المعاصي ليست بخلق الله، وإلا لم يكن للتعوذ به معنى، إذ لو كانت الوسوسة إلى الضلال والضلال منه، فما معنى الاستعاذة من الشيطان؟

قوله تعالى:
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)﴾

اللغة

الاجتباء: افتعال من الجباية، ونظيره: الاصطفاء، وهو استخلاص الشيء للنفس، قال علي بن عيسى: أصله الاستخراج، يقال: جبى يجبي: إذا استخرج، وجباية الخراج: استخراجها. وقيل: أصله الجمع من جبيت الماء في الحوض: جمعته، يقال: جبيت واجتبيت: جمعت، والجابي: الذي يجمع الأموال، والذي يجمع الماء في الحوض جابي الحوض جابية لجمعها الماء، عن أبي مسلم. والجِبَا مقصورًا: ما حول البئر، ومنه الحديث: «فقعده رسول الله ﷺ على جباها فسقينا واستقينا». والجِبَاء بالمد والكسر: ما جمعت فيه من الماء، ويقال: جبيت الخراج وجبوته، وهو حسن الجِبْوَة والجِبية.

والبصائر: جمع بصيرة، وهو: ما يبصر به. والبصائر: طرائق الدم، وأصله: ظهور الشيء وبيانه، يقال: بَصُرَ بالشيء يَبْصُرُ: إذا علمه على وزن: كرم يكرم، وأبصر يُبْصِرُ: إذا نظرت بالعين، فأدركته.

الإعراب

الأصل في «**لولا**» امتناع الثاني من أجل الأول، كقولك: لولا زيد لأتيتك، كأنه

يقول: لِمَ لا[١] أتيتني؟ فجوابه: لأجل زيد. «**تأتهم**» مجزوم بـ(لم)، وعلامة الجزم حذف الياء.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قيل: الضمير فيها يرجع إلى السائلين عن الساعة، ويتصل به وهم المشركون، تقديره: يسألونك عن الساعة وعن الآيات، فإذا لم تأتهم قالوا لولا اجتبيتها، عن أبي مسلم.

وقيل: يتصل بما قبله وهو قوله: «**وإخوانهم**» يعني يبقون في الضلالة، وإذا لم تأتهم بآية يسألون عنها قالوا كذا، فهذا[٢] صفتهم.

المعنى

«**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ**» يا محمد يعني هؤلاء المشركين «**بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا**» قيل: معجزة طلبوها، واقترحوها تعنتًا، نحو إحياء ميت يسمعون كلامه قالوا: لولا اجتبيت: أخبرت بسؤال[٣] ربك إياها، وإنما لم تأتهم لما فيه من المفسدة، عن أبي علي والأصم وأبي مسلم. وقيل: طلبوا آية من الوحي، فإذا جاءت كذبوا بها، وإذا أبطأت طلبوا بمجيئها. وقيل: الآية الشريعة، إذا عرفوا بشريعةٍ عليها أهل الكتاب قالوا للنبي: هلا استدعيت هذا الفرض؟، وهلا جمعت هذه؟، وهلا جمعت هذه الشريعة مع شرائعك؟، «**قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا**» قيل: هلا اخترتها بسؤال ربك أن يأتيك[٤] بها؟، عن ابن عباس وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: هلا افتعلتها من قِبَلِ نفسك وذاتك عن قتادة ومجاهد وابن زيد والفراء. تقول العرب: اجتبيت الكلام، واختلقته: إذا افتعلته

---

(١) لا: هلا، أ.
(٢) فهذه: فهذا، أ، د، ض.
(٣) بسؤال: لسؤال، أ.
(٤) يأتيك: يأتك، أ.

من قبل نفسك. وقيل: هلا اخترتها فجئت بها من السماء؟، عن الضحاك. وقيل: معناه إن كنت صادقًا فأتنا بالآية التي طلبناها منك، فأمر الله ـ تعالى ـ نبيه بجواب شافٍ، وقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ**» قيل: يعني ليس الأمر في الآيات إليّ، فأنبئكم بها، وإنما هو إلى الله تعالى. وقيل: القرآن وحيه، فأتبع وَحْيُهُ متى نزل، وليس إنزاله إليّ. وقيل: أتبع الشرائع بما يأمرني به الله؛ لأنه العالم بالمصالح ولا أشرع شيئًا من تلقاء نفسي، عن أبي مسلم. وقيل: أنا لا أعرف المصالح، فلا أسأل إلا ما يوحى إليّ فيه؛ لأنه ـ تعالى ـ العالم بالمصالح، «**هَذَا**» قيل القرآن، وقيل: الوحي، وقيل: ما يثبت لكم من دلائل التوحيد والعدل والنبوات والشرائع، وهو معجز، فالناظر فيه يعرف الحق، كما أن المدرك بالبصر يتحقق كون المدرك، فطلبُ غيره عبثٌ، وقيل: هذا طريق «**مِنْ رَبِّكُمْ**»، عن الزجاج. «**وَهُدًى**» أي: دلالة تهدي إلى الرشد «**وَرَحْمَةٌ**» يعني في الدين والدنيا «**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**» خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون به، وإلا فهو هُدًى ورحمةٌ لجميع الخلق.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه ـ تعالى ـ بَيَّنَ الآيات بحسب المصلحة، لا بحسب اقتراحهم؛ لأن ذلك قد يكون فسادًا.

ويدل قوله: «**هذا بصائر**» أن المعارف مكتسبة.

وتدل أن جميع ما يقوله الرسول، ويفعله من الشرع من وَحْيِهِ؛ لذلك أطلق: «**أتبع ما يوحى إليّ**».

ومتى قيل: هل تدل على أنه لا يجتهد ولا يقيس؟

قلنا: لا؛ لأن القياس والاجتهاد إذا كان متعبدًا به فاتباعه اتباع الوحي، كالعامي يقبل من المفتي، والعالم يجتهد، ويتبع الوحي، كذلك هذا، والذي يدل عليه أن النبي ﷺ لا يفعل شيئًا ولا يشرع شيئًا من تلقاء نفسه حتى يؤمر به.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

اللغة

القرآن: أصله الجمع، ومنه قرأتُ النجوم: اجتمعت، ومنه: القرء: الحيض لاجتماع الدم في الرحم. والقرء: الطهر لاجتماع الدم في البدن. والقراءة: التلاوة، وأصله من الاتباع.

والإنصات: الإمساك عن الكلام، أَنْصَتَ يُنْصِتُ إنصاتًا.

الإعراب

رفع «**القرآن**» لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وإنما يرفع لأن الفعل مسند إليه، فرفع بسببه، و(لعل) كلمة رجاء وطمع، وقد تكون بمعنى لام (كي).

النزول

قيل: نزلت الآية في الصلاة، وكانوا يتكلمون فيها، ويسلم بعضهم على بعض، فَنُهُوا عن ذلك، وأمروا بالاستماع، عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة والزهري ومجاهد والضحاك والسدي والحسن وقتادة وعبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح.

وروى أبو هريرة أنه انزلت في فتى من الأنصار، كلما قرأ رسول الله ﷺ شيئًا قرأ هو معه، فنزلت الآية.

وقيل: نزلت الآية في الخطبة، عن سعيد بن جبير وجماعة.

وقيل: نزلت في رفع الأصوات خلف رسول الله ﷺ في الصلاة، وحين يسمعون ذكر الجنة والنار، عن أبي هريرة والكلبي.

وقيل: كان المشركون يأتون رسول الله ﷺ إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت الآية جوابًا لهم، عن سعيد بن المسيب.

وسئل أحمد بن حنبل عن ذلك، فقال: أجمعت الأمة أنه أنزلت في الصلاة.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما تقدم أن القرآن بصائر وهدى ورحمة أَمَرَنَا باستماعه والتدبر فيه، لنصل إلى الحق، ذكره شيخنا أبو حامد.

وقيل: إنه تمام ما أمر الله به نبيه أن يقول للمشركين السائلين عن الساعة المستدعين للآيات، وتقديره: قل لهم: أمر الساعة كذا، وقيل لهم في اختيار الآيات كذا، وقل لهم: إن القرآن معجز، فإذا قرئ فاستمعوا فتدبروا[١] لتعلموا، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

«**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ**» قيل: في الصلاة، عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة والزهري وقتادة والسدي وابن زيد وأبي علي. وقيل: في الخطبة أمرنا بالإنصات يوم الجمعة والاستماع إلى الإمام، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم. وقيل: في الخطبة والصلاة، عن الحسن وجماعة. وقيل: أينما قرئ، عن الحسن وأبي مسلم. وقيل: في ابتداء التبليغ ليفهموا ويتعلموا، عن أبي علي، وعن عمر بن عبد العزيز كل وعظ «**فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا**» أي: اسكتوا واستمعوا، فالإنصات قبل السكوت لاستماعه، وقيل: الاستماع: الإصغاء إليه، وقيل: الإنصات: ألا يجهر به، والاستماع: العمل به، يقال: سمع الله دعاك: أي أجاب، عن الزجاج. «**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**» قيل: لترحموا، عن أبي علي. وقيل: اعملوا ذلك طمعًا في الرحمة، عن أبي بكرأحمد بن علي. وقيل: ترحموا[٢] بطاعتكم له وتفهُّمِ كلامه، عن الأصم.

---

(١) فتدبروا: وتدبروا، ض.

(٢) ترحموا: لترحموا، أ.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الاستماع إذا قرئ القرآن، وهذا عام، فلا معنى لدعوى التخصيص، فأما الإنصات فقد بينا الاختلاف فيه، والصحيح أن المراد به في الصلاة؛ لأن حمله على حال التبليغ ـ على ما قاله أبو علي ـ تخصيص بغير دليل، ولأن الاستماع ثَمَّ لا يختص القرآن، وحُمْلُهُ على الخُطَبِ لا يصح؛ لأن السكوت فيها لا يختص القرآن، ولا يصحُّ حمله على العموم؛ لأنه لا خلاف أن الإنصات غير واجب خارج الصلاة عند قراءة القرآن، إلا أنه مندوب إليه، فحينئذ يكون تركًا للظاهر.

وتدل على وجوب الإنصات؛ لأنه أَمْرُهُ، فيدل على الوجوب؛ لأنه علّق الرحمة به.

وتدل على أن المأموم لا يقرأ خلف الإمام، وقد اختلف العلماء فيه، وقيل: لا يقرأ القرآن البتة فيما خافت الإمام أو جهر، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. وقال الشافعي: يقرأ في عموم الأحوال، وقال[1] مالك: لا يقرأ فيما يُسمع، ويقرأ فيما لا يسمع، وهو مذهب الهادي (عليه السلام)، قال أحمد بن يحيى الهادي(عليه السلام): إن قرأ فيما يسمع أو لم يقرأ فيما لا يسمع لا تصحّ صلاته، وعند أبي حنيفة والشافعي تصحّ صلاته.

قوله تعالى:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ٢٠٦﴾

القراءة

قرأ العامة «وَخِيفَةً» : «فِعْلَة» من الخوف، وعن بعضهم (خُفْيَة) على وزن (فُعْلَة) من الإخفاء.

---

(١) وقال: فقال، أ.

۞ اللغة

الآصال جمع، واحدها: أصيل، يجمع على أُصُلٍ، ثم يجمع على آَصَالٍ، فهو جمع الجمع، عن الزجاج. وقيل: الآصال جمع أصيل، كيمِينٍ وأَيْمانٍ. وقيل: الآصال: ما بين العصر والمغرب، والأصيل تصغيره أصيلال[1] ، قال الشاعر:

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَالاً أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوابًا ومَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ[2]

وقيل: هو مأخوذ من الأصل الذي ينتهي إليه النهار[3] وينشأ عنه الليل، فهو أصل لهما على هذا المعنى. والاستكبار: طلب كبر القدر بالامتناع من الحق، وهو «استفعال» من الكبر، والأصل في الاستفعال الطلب. والتسبيح لله: هو التنزيه له عما لا يجوز عليه. والتضرع: التذلل والضعف، يقال: الحمى أضرعتني أي: ذللتني وضعفتني.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بقراءة القرآن والاستماع، بَيَّنَ كيفية القراءة وكيفية الدعاء، فقال سبحانه: «**وَاذْكُرْ رَبَّكَ**» قال أبو مسلم: هذا يتصل بقوله: «**إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ**» أي: قل لهم هذا، وقل: اذكر الله، قيل: «**واذكر**» خطاب للنبي[4] ﷺ، والمراد عام، وقيل: أراد واذكر أيها الإنسان ربك «**فِي نَفْسِكَ**» قيل: تفكر في الآية وأدلتها لتحصل المعرفة به وبصفاته، وقيل: اذكره بالطاعة، وقيل: هو الذكر الذي هو ضد النسيان، وقيل: أمرنا بالذكر الذي هو القول، وقيل: أراد به الدعاء، عن أبي علي. وإنما خص الذكر في النفس؛ لأنه أبعد من الرياء، وقيل: هو أمر بالصلاة، وقيل: بالقراءة في الصلاة، عن ابن عباس والأصم، وهو الأولى لقوله: «**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**»، «**تَضَرُّعًا**» قيل: تخشعًا وتذللاً وهو لوجهين:

---

(١) أصيلالاً: أصلال، أ، د، ض.

(٢) الصحاح (أصل).

(٣) النهار: البهاء، أ.

(٤) للنبي: النبي، أ.

أحدهما: يتضرع لتقصير وقع في واجباته.

والثاني: إقدام على معاصيه فيتضرع؛ ليغفر له ذلك.

«**وَخِيفَةً**» خوفًا من عقابه، وقيل: المراد به القراءة في الصلاة تضرعًا جهرًا، وخيفة سرًّا «**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**» يعني ما بين الإخفاء والجهر، ولا يبلغ الحد المكروه منهما «**بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**» أي: بالغدوات والعشيات، عن قتادة وابن زيد. والغدو والبكرة هو أول النهار، وقيل: المراد به دوام الذكر، وقيل: المراد به الصلوات المكتوبات «**وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**» عن عِبَرِ القرآن ومواعظه، وقيل: لا تدعوه غافلاً؛ لأن دعاء الغافل لا يقبل، وقيل: لا تغفل عن تلاوة الكتاب وتفهمه، عن الأصم.

ثم ذكر ما يكون باعثًا على الذكر ولطفًا فيه، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**» يعني الملائكة، عن الأصم وأبي مسلم. قيل: هم مع جلالتهم يذكرون الله ويعبدونه، وقيل: هم مع عصمتهم بهذه المنزلة فأنت مع ذنوبك أيها السامع أولى أن تجتهد، وقوله: «**عند ربك**» ذكر ذلك تشريفًا لهم بإضافتهم إليه، ولم يرد المكان، وسواء قولك: هو مقرب، أو قلت: عنده، وقيل: لأنهم رسل الله إلى الإنس، عن أبي علي. وقيل: لأنهم في مَوْضِعِ الحكم فيه لله ـ تعالى ـ، عن أبي علي. «**لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**» أي: لا يتكبرون عن عبادة الله والتضرع اتقاءً «**وَيُسَبِّحُونَهُ**» ينزهونه عما لا يليق به، وقيل: يقولون: سبحان الله «**وَلَهُ يَسْجُدُونَ**» قيل: يخضعون، وقيل: يصلون كأنه قيل: يسجدون في الصلاة، عن الحسن. [و] السجدة لا خلاف أن في آخر سورة الأعراف سجدة. وعن إبراهيم: آخر الأعراف إن شاء ركع، وإن شاء سجد.

وقال أبو حنيفة: كلما وضع السجود في آخر السورة أو قريبًا منها فهو بالخيار، إن شاء سجد، وإن شاء ركع، وإن سجد ورفع رأسه قام وقرأ القرآن، ثم ركع.

واختلفوا، قال أبو حنيفة: سجدة التلاوة واجبة، يشترط فيها من الطهارة والقبلة وستر العورة وغيرها ما يشترط في الصلاة.

وقال الشافعي: سنة مؤكدة.

وقال أبو حنيفة: يكبر ويسجد، ويكبر ويرفع رأسه، ولا سلام فيه.

وقال الشافعي: فيه سلام.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب ذكر الله في النفس، والمراد به القلب، هذا هو الأقرب، وهو التفكر والمعرفة، وذلك واجب في عموم الأحوال.

وتدل على أنه يجب ذكره على وجه التضرع والتذلل للمعبود.

وتدل على أن الدعاء يجب أن يكون بين الجهر والإخفاء، وقد روي أنه نهى قومًا رفعوا أصواتهم بالدعاء وقال: «إنكم تدعون سميعًا بصيرًا».

وتدل على مزية الغدو والآصال؛ وذلك لأنهما وقت سكون ودَعَةٍ، وتعبد واجتهاد، وما بينهما الغالب الانقطاع إلى أمر المعاش.

وتدل على أن الذكر يجب أن يكون دون الجهر؛ لأنه أبعد من الرياء.

وتدل على أنه يجب أن يكون متيقظًا عند الذكر؛ لكي يعرف ما يدعو، وشرائط الدعاء.

وتدل الآية الأخيرة على عظيم منزلة الملائكة والحث على سلوك طريقتهم في العبادة، وأن صفتهم ما ذكر، وذكر الأصم أنه يدل على أن الملائكة أفضل من ابن آدم؛ لأنه نبه على عظيم منزلتهم.

قال القاضي: وتدل على كونهم مكلفين، خلاف ما قاله بعضهم.

وتدل على أنهم سجدوا لله، وآدم كان قِبْلَةَ السجود؛ لأنه وصفهم بأنهم يسجدون له.

وتدل على أن الذكر فِعْلُهُمْ؛ لذلك أمرنا به، ومدحهم عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

سُورَةُ الأنفَالِ

وهي مدنية بالإجماع، [وآياتها] خمس وسبعون آية في الكوفي، وستّ في الحجازي والبصري، وسبع في الشامي، وعن أبي عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع[1] وشاهد له يوم القيامة أنه بريء من النفاق، وحملة العرش يصلون عليه أيام حياته».

وقيل: لما قص في سورة الأعراف قصص الأنبياء، وختم بذكر نبينا ﷺ افتتح سورة الأنفال بذكره، وذكر في السورة ما جرى بينه وبين قومه.

وقيل: لما ختم الأعراف بذكر المؤمنين والملائكة افتتح الأنفال بذكر المؤمنين، وأن الملائكة أنصارهم مع جلالتهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١)﴾

اللغة

قيل: النَّفْلُ: العطية، عن أبي مسلم، يقال: نَفَلْتُكَ: أعطيتك، والنافلة: عطية

---

(١) فأنا شفيع: فاشفيع، ض.

الطوع من حيث لا يجب، ومنه: نوافل الصلاة[1]، والنوفل: الرجل الكثير[2] العطاء، وبه سمي نوفل بن الحارث، والأنفال: الغنائم؛ لأنها عطية، واحدها: نَفَلٌ، نحو: ثقل وأثقال، وقيل: أصله الزيادة على الأصل، وسميت الغنيمة نفلاً؛ لأنه مما زاد الله هذه الأمة في الحلال؛ لأنها كانت محرمة على من كان قبلهم، ونوافل الصلاة زيادة على الفرض، ومنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] أي: زيادة على ما سأله، وقال علي بن عيسى: النفل: الزيادة من الخير على الواجب، والنافلة: الطاعة التي ليست بواجبة، قال لبيد:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ ... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَالْعَجَلْ[3]

والأوجه أن أصله العطية.

الإعراب

يقال: لِمَ أَنَّثَ «**ذات بينكم**»؟

قلنا: فيه أقوال:

قيل: المراد به ذات البين، كقولك: نفس الشيء.

وقيل: أصلحوا الحال ذات بينكم.

وقيل: إنهم يضعون اسم المذكر على المؤنث، واسم المؤنث على المذكر، نحو: الدار والحائط، أَنَّثُوا الدار، وذَكَّرُوا الحائط.

النزول

قيل: نزلت في أهل بدر، فإن النبي ﷺ قال: «من أتى مكان كذا فله كذا، ومن قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا» فتسارع الشبان، وبقي الشيوخ تحت

---

(١) الصحاح (نفل)

(٢) الكثير: الكبير؛ أ، د، ض.

(٣) والعجل: وعجل، ض؛ انظره في لسان العرب (نفل).

الرايات، فلما فتح الله عليهم جاؤوا يطلبون ما جعل لهم، فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا؛ لأنا كنا رِدْءًا لكم، وجرى بين أبي أنيس أخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام، فنزلت الآية. وقسم رسول الله ﷺ بينهم بالسوية، عن ابن عباس.

قال الأصم: روي أن أبا بكر وعمر وسعد بن عبادة قالوا: الناس كثير، والقسمة قليلة، وما[1] تمنعنا من القتال، إلا أنا كرهنا أن نفارقك، فيطمع العدو فيك، فنزلت الآية.

وعن عبادة بن الصامت: فينام عشر أصحاب بدر نزلت الآية حين اختلفنا يوم بدر، وساءت أخلاقنا[2]، فنزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسوله، فقسمه بيننا عن بواء، يعني على السواء.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: فيّ نزلت الآية؛ لأنه قُتل أخي عمير، فقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، فأمرني رسول الله ﷺ برده فرددته، وفيّ ما لا يعلم إلا الله؛ لأنه قتل أخي، وأخذ سلبي، فنزلت الآية، فأعطاني رسول الله السيف.

وقال الأصم: سألوا عنها؛ لأنها كانت حرامًا على مَنْ قبلهم، فنزلت الآية. قال الطحاوي: الغنائم لم تكن أخذت قبل يوم بدر.

۞ المعنى

«**يَسْأَلُونَكَ**» السائل جماعة من الصحابة، والمسؤول رسول الله ﷺ، سألوه عن ذلك، واختلفوا، فقيل: سألوه عن ذلك مسترشدين بحثًا عن حكمه[3]، وقيل: إنه لم تكن أحلت[4] قبلهم، عن الأصم. وقيل: إنجاز الموعد[5]، فبين أنه لم يجب إنجاز الوعد لمكان الاستثناء «**عن الأنفال**»، قيل: الغنائم، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك

(١) ما: لما؛ أ، د، ض.
(٢) ساءت أخلاقنا: ثبات اختلافنا؛ أ، د، ض.
(٣) سألوه عن ذلك مسترشدين بحثا عن حكمه، أ، ض.
(٤) أحالت: أخذت، د.
(٥) إنجاز الموعد: إنجازًا لموعده، د.

وقتادة وعكرمة وعطاء وأبي[1] علي، قال أبو مسلم: الغنائم والفيء. وقيل: هو ما نَدَّ[2] عن المشركين إلى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع، فهو إلى النبي ﷺ يضعه حيث يشاء، عن ابن عباس بخلاف وعطاء.

وقيل: الأنفال الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس، عن مجاهد؛ لأنهم سألوه عن الخمس، فنزلت الآية. وقيل: التنفيل للسرايا التي تتقدم أمام[3] الجيش الأعظم، عن الحسن. وقيل: هو ما فضل عن المال ولم يقسم، عن ابن عباس.

واختلفوا أن السؤال عمّا ذا وقع؟، فقيل: عن حكم الأنفال وعلمها، وقيل: عن قسمتها، وقيل: عن أعطيتها[4] أي: يسألونك عن الأنفال أن تعطيهم، «**قُلْ**» يا محمد ﴿**ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ**﴾ أضافها إلى الله تعالى؛ لأن جميع الأشياء له: مِلْكًا ومُلْكًا وخلقًا وتدبيرًا، وقيل: هو استفتاح الكلام «**وَالرَّسُولِ**» قيل: هي إضافة تَوْلِيةٍ، ووَضْعٍ، يعني أمرها إليه، يضعها كيف يشاء، عن أبي علي، قال: يضعها كما أمر الله ـ تعالى، عن أبي مسلم. وقيل: هي ملك له.

ثم اختلفوا، فقيل: كانت الغنائم له[5]، ثم نسخ، عن أبي علي. وقيل: أراد الصَّفِيَّ ونحوه من الغنيمة «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي: اتقوا عذابه باتقاء معاصيه والإقدام على طاعته «**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**» أمر بالألفة والجماعة، ونهى عن الفرقة والمخالفة؛ أي: أصلحوا الحال ذات بينكم[6] فلا يكون بينكم خلاف «**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» فيما أمركم به ونهاكم عنه «**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**» أي: مصدقين لله والرسول فيما أمركم به.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الأنفال للرسول، واختلفوا فقيل: هي الغنائم ونسختها آية

(١) وأبي: وأبو؛ أ، د، ض.
(٢) ند: شذ؛ أ، د، ض.
(٣) أمام: أما، ض.
(٤) أعطيتها: عطيتها، د.
(٥) كانت الغنائم له: كانت له الغنائم له، ض.
(٦) أمر بالألفة والجماعة. . . . بينكم: ـ، أ، ض.

الغنيمة، عن ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة وعامر وأبي علي؛ ولذلك[١] قسم بالسوية، وأفرز[٢] الخمس. وقيل: ليست منسوخة[٣] بل حكمه ثابت، عن ابن زيد. قال سعيد بن المسيب: لا نفل بعد رسول الله، ومن أين نسخه على حمله[٤] ما صار لرسول الله من غير قتال. قال أبو عبيد: خص للرسول ثلاثة أموال: الفيء نحو فدك[٥]، والثاني الصفي، والثالث خمس الخمس.

وتدل على وجوب الإصلاح والألفة والنهي عن الخلاف.

وتدل على أن الإيمان يتكامل بذلك، فيبطل قول من يقول: إن العمل ليس من الإيمان فإنه يزيد[٦] ولا ينقص، وتدل على أن التقوى والإيمان والإصلاح فِعْلُ العبد؛ حتى يصح الأمر به، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

۞ فصل

جميع ما يصيب المسلمون من أموال الكفار ثلاثة:

أولها: الغنائم، وهي ما أوجِفَ[٧] عليها بخيل أو ركاب[٨] وأصيب بقتال، فأربعة أخماسه للجيش، والخمس للأصناف المذكورة في آية الخمس، وسنبين ذلك في آية الغنيمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾.

وثانيها: الفيء وهو[٩] ما صار لهم من غير قتال كالجزية ونحوها، وبين ذلك عند قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) ولذلك، د.
(٢) وافرز: ولا إفراز، ض. وما أثبتناه من د، وشطب في د على: «لا».
(٣) ليست منسوخة: ليس بمنسوخة، د.
(٤) حمله: ـ، أ، ض.
(٥) نحو فدك: يجوز، وذلك، ض.
(٦) فإنه يزيد: وأنه لا يزيد، د.
(٧) ما أوجف: ما أوقف، د.
(٨) أو ركاب: ركاب، د.
(٩) وهو: وهي، ض.

وثالثها: النفل، فعندنا يجوز تحريضًا على القتال، وعن سعيد بن المسيب: لا نفل بعد رسول الله، وقال أصحابنا: يجوز التنفيل قبل إحراز الغنيمة وأما بعده فلا يجوز، وهو إجماع أهل العراق والحجاز، وعند أهل الشام يجوز بعد إحراز الغنيمة أيضًا، وعندنا يجوز التنفيل في سائر الأموال. وقال المكحول: لا يجوز في الذهب والفضة، والتنفيل أن يقول الإمام أو الأمير: مَنْ قتل قتيلاً فله سلبه أو فله كذا.

فإن لم ينفل[1]، قال أصحابنا: السلب غنيمة للجيش كلهم، وهو مذهب الهادي عليه السلام، وقال الشافعي: السلب للقاتل، ثم السلب لا يخمس عند أبي حنيفة، وهو مذهب الهادي[2]، وقال الشافعي: لا يستحق، فإن نفل الإمام رجلاً في دار الحرب فأخذ جارية لم يجز له وطؤها في دار الحرب حتى يحرزها بدار الإسلام عند أبي حنيفة. وقال محمد: له ذلك، وكذلك البيع.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

اللغة

الوَجَلُ: الخوف، وَجِلَ يَوْجَلُ وجلاً، وقيل: هو الحذر الشديد، ونقيضه الأمن، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وإنِّي لأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ[3]

والتوكل على الله: الثقة به في كل ما يُحتاج إليه؛ لأنه[4] محسن فيه، وهو

---

(١) ينفل: ينفذ، أ، ض.

(٢) وهو مذهب الهادي: ليس بمذهب الهادي، ض.

(٣) قائله معن بن أوس. انظره في العين (وجل)، وتهذيب اللغة (كبر)، وجمهرة اللغة (جلو)، ولسان العرب (عنف).

(٤) لأنه: بأنه، د.

«تَفَعُّلٌ» من: وكلت الأمر إليه: إذا جعلت إليه القيام به، ومنه: الوكيل، وهو القائم بالأمر لغيره. والصلاة في الأصل: الدعاء، وفي الشرع: اسم لأفعال مخصوصة.

والدرجة: المنزلة والمِرْقاة[١] ، أخذ من الدَّرَج التي يرقى فيها[٢] تشبيهًا بها.

الإعراب

«**حقا**» نصب على المصدر وتقديره: حقوا حقًّا كقولك: صَدَقُوا صدقًا، وضربوا ضربًا. وقيل: أحق ذلك حقًّا.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قال أبو مسلم: لماذكر المؤمنين بَيَّنَ شرائط الإيمان وقال: إن كنتم مؤمنين فاصبروا على شرائط الإيمان[٣] وأحكامه، وهو العمل بطاعته والرضا بحكمه[٤] في الأنفال وغيره، والصبر على أمره ولزوم الجماعة والألفة، ثم زاد في نعتهم وصفاتهم الحسنة فقال: «**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**» ثم بين ما أُعِدَّ لهم.

وقيل: لما ذكر[٥] المؤمن بَيَّنَ أنه يجمع بين[٦] الإقرار والمعرفة وأعمال الجوارح، دون من يقتصر على الدعوى، ذكره شيخنا أبو حامد. وقيل: لما حث على التقوى وصلاح ذات البين، وبين أنه يتكامل الإيمان أراد أن[٧] يبين شرائط الإيمان، وصفات المؤمنين فقال تعالى: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**» ذكره قاضي القضاة ـ رحمه الله ـ.

المعنى

«**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**» (إنما) حرفان جمعا، ومعناه النفي والإثبات، كأنه قيل: لا يكون

---

(١) المرقاة: المرتبة، د.
(٢) التي يرقى فيها: الذي يكتب فيه، أ.
(٣) وقال إن كنتم مؤمنين. . . الإيمان: ـ ، أ، ض.
(٤) بحكمه: بحكمته، د.
(٥) ذكر: ذكروا، ض.
(٦) بين: ـ ، أ، ض.
(٧) أراد أن: إن أراد أن، ض.

مؤمنًا إلا أن تكون صفته كذا و«**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ**» قيل: ذكر توحيده وصفاته ووعده ووعيده «**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**» يعني خافت، قيل: هو مَنْ يهم بمعصية فيذكر الله فيفزع، عن السدي. وقيل: أشفقوا أَلاَّ يقوموا بحق الله عليهم، عن الأصم.

ومتى قيل: لم جاز وصفهم ههنا بالوجل وبالطمأنينة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ٢٨]؟

فجوابنا: فيه وجوه:

منها: أنه تطمئن قلوبهم عند ذكر الله ونعمه، وتوجل لخوف عقابه بارتكاب معاصيه، عن علي بنعيسى.

ومنها: أن قلوبهم تطمئن بمعرفته ومعرفة توحيده وعدله، ووعده ووعيده، فعند ذلك توجل لأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، فتخاف التقصير في الواجبات والإقدام على المعاصي في المستقبل، وأن تتغير[(١)] حاله. وقيل: إنه يخاف تقصيرًا كان منه. وقيل: هو لا يأمن في الدنيا، ولا يخلو من الهم، وإنما يأمن من العقاب في الآخرة.

«**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ**» قرئت «**آيَاتُهُ**» حججه، قيل: القرآن «**زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**» قيل: تصديقًا إلى تصديقهم، عن ابن عباس. وقيل: اعتقادًا[(٢)] لصحة ما نزل في الحال إلى اعتقاد صحة ما نزل من قبل. وقيل: يقينًا إلى يقينهم، عن الضحاك. «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» أي: يفوضون أمرهم إليه، ويتقون برحمته، فلا يرجون غيره، ولا يخافون سواه «**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ**» أي: يؤدونها بشرائطها في أوقاتها «**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**» أي: أعطيناهم من النعم «**يُنْفِقُونَ**» قيل: ينفقون على نفسه وعياله، عن أبي مسلم. وقيل: أراد أنهم ينفقون الحلال، عن أبي علي. وقيل: ينفقون في سبيل الخير كالصدقة والمساجد والجهاد ونحوه، عن أبي علي. وقيل: هوالزكاة المفروضة. وقيل: النفقات الواجبة عليه «**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**» قيل: هم المؤمنون في الحقيقة مَنْ أخلص الإيمان فوق من كان له ظاهر[(٣)] من غير حقيقة، وقيل: المؤمن من يأتي بخصال

---

(١) تتغير: تغير، د.

(٢) اعتقادا: اعتقاد؛ أ، د، ض.

(٣) ظاهر: ظاهره؛ أ، د، ض.

الإيمان من القول والمعرفة والعمل «**حَقًّا**» قيل: يتصل بقوله: «**هُمُ الْمُؤْمِنُونَ**»، وقيل: يتصل بقولهم: «**لَهُمْ دَرَجَاتٌ**» تأكيد له، وتم[1] الكلام عند قوله: «**المؤمنون حقا**[2]» قيل[3]: معناه صدقًا، وقيل: برئوا[4] من الكفر، عن ابن عباس. وقيل: حقًّا لا شك في إيمانهم عن مقاتل. وقيل: استحقوا الإيمان، عن قتادة. «**لَهُمْ دَرَجَاتٌ**» قيل: مراتب بعضها أعلى من بعض على قدر أعمالهم في شرف المنزلة، عن الأصم. وقيل: أعمال رفيعة، وقيل: درجات الجنة فرفعوها بأعمالهم، عن عطاء وغيره. «**عِنْدَ رَبِّهِمْ**» أي: في حكمه «**وَمَغْفِرَةٌ**» لذنوبهم «**وَرِزْقٌ**» أي: عطاء «**كَرِيمٌ**» حسن، وقيل: كريم أي خالص المنفعة، لا يشوبه شيء بضر[5]. وقيل: رفيع، عن الأصم. وقيل: رفيع القدر عظيم في قلوب الناس، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على أشياء:

منها: أن الإيمان اسم شُرِعَ لثلاث خصال: القول، والاعتقاد، والعمل، خلاف ما تقوله المرجئة؛ لأن[6] الوجل زيادة التصديق من فعل القلب والتدبر والتفكر[7] كذلك، والصلاة والإنفاق من أعمال الجوارح، والتوكل يشتمل على فعل القلب والجوارح، ثم بين في آخره أن مَنْ جمع هذه الخصال[8] فهو المؤمن حقًّا.

واختلفوا في الإيمان على أقوال كثيرة، جملتها ترجع إلى أقوال أربعة:

أحدها: أنه التصديق فقط.

---

(١) وتم: وثم، ض.
(٢) حقا: وحقا، د.
(٣) قيل: ـ ، أ، ض.
(٤) برئوا: توبوا، د.
(٥) بضر: يضره، د.
(٦) لأن: أن، د.
(٧) والتدبر والتفكر: والتدبير والتفكير، ض.
(٨) الخصال: ـ ، أ، ض.

وثانيها: الإقرار فقط.

وثالثها: الإقرار والتصديق.

ورابعها: كلاهما مع الفرائض واجتناب الكبائر.

ثم يتشعب من كل فريق مذاهب: منها تدل على أن[١] الإيمان يزيد وينقص، لا هذه الطاعات تزيد وتنقص، وقد نص على ذلك في[٢] قوله: «**زادتهم إيمانًا**».

ومنها: أن الواجب عند تلاوة القرآن التدبر والتفكر[٣] فيما أمر ونهى، ووعد وأوعد؛ لتتجدد الرغبة والرهبة، وذلك حث على الطاعة وزجر عن المعاصي.

ومنها: وجوب التوكل عليه، والتوكل على ضربين: منها في الدنيا. ومنها في الدين.

أما في الدنيا فلا بد من خصال:

منها: أن يطلب مصالح دنياه من الوجه الذي أبيح له ولا يطلب محرمًا.

ومنها: إذا حرم الرزق الحلال لا يعدل[٤] إلى محرّم.

ومنها: ألايظهر الجزع عند[٥] الضيق بل يسلك فيه طريق الصبر، واعتقاد[٦] أن ما هو فيه مصلحة له.

ومنها: أن[٧] لا يسأل النعم إلا من ربه.

ومنها: إذا لحقه مشقة ألا يظهر الجزع، ولكن يسكن إلى أن ذلك مصلحة له.

ومنها: أن ما يُرْزقُ من النعم بعدها من جهته ـ تعالى ـ إما بنفسه، وإما بواسطة.

---

(١) أن: ـ ، أ، ض.
(٢) في: ـ ، أ،ض.
(٣) التدبر والتفكر: التدبير والتكفير، ض.
(٤) لا يعدل: لا تعلل، ض.
(٥) عند: عن، ض.
(٦) واعتقاد: واعتقاده، د.
(٧) أن :ـ ، أ، ض.

ومنها: ألا يحبسه[١] عن حقوقه خشية الفقر.

ومنها: ألا يسرف في النفقة ولا يقتر، فعند اجتماع هذه الخصال يصير متوكلاً.

فأما الذي يزعمه بعضهم أن التوكل إهمال النفس وترك العمل ـ فليس بشيء، وقد أمر الله ـ تعالى ـ بالإنفاق وبالعمل، وثبت عن الصحابة ـ وهم سادات الإسلام ـ التجارة والزراعة والأعمال، وكذلك التابعون[٢] ، وبهذا أجرى الله ـ تعالى ـ العادة، وقد وردت السنة أنه أمر الأعرابي بأن[٣] يعقل ناقته ثم يتوكل.

فأما الدين فخصال:

منها: أن يقوم بالواجبات ويجتنب المحارم؛ لأنه يصل بذلك إلى الجنة والرحمة.

ومنها: أن يسأله التوفيق والعصمة.

ومنها: أن يرى جميع نعمة الدين إذ[٤] حصل بهدايته وآلته وتمكينه ولطفه.

ومنها: ألا ينوي بطاعته جملة[٥] بل يطيع، ويجتنب المعاصي، ويرجو رحمة ربه، ويخاف عذابه، فعند ذلك يكون متوكلاً.

ولو أن رجلاً ترك الصلاة والصوم متوكلاً، فإن العلماء لا يعدونه متوكلاً، بل يعدونه عاصيًا.

وتدل على وجوب الصلاة. وتدل على وجوب الإنفاق، وتدخل فيه كل نفقة واجبة كالزكوات ونفقة الزوجات وغير ذلك. وتدل على أن الرزق منه ما يكون حلالاً؛ لذلك مدحه بإنفاقه؛ لأن نفقة الحرام مذمومة[٦] .

ومتى قيل: عندكم بهذه الخصال لا يكون مؤمنًا، فقد يكون معها فاسقًا إذا ترك خصالا[٧] أخر.

---

(١) يحبسه: يجيبه، ض.
(٢) التابعون: التابعين؛ أ، د، ض.
(٣) بأن: أن، د.
(٤) إذ: إذا، د.
(٥) جملة: حمله، د.
(٦) مذمومة: مذموم؛ أ، د، ض.
(٧) خصالا: خصال، د.

فجوابنا: جميع ذلك دخل تحت قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإنما أعاد ذكر الصلاة والإنفاق تعظيمًا لشأنهما، وتفخيمًا لأمرهما، عن القاضي.

وقيل: إن الرجل[1] إنما يكون ممدوحًا إذا ترك الكبائر، فمن هذا الوجه يتناول العبادات أجمع، وذكر شيخنا أبو حامد أن المذكور تنبيهًا على غير المذكور؛ لأنه لا فاصل في الآية.

وتدل على أن المؤمن هو المستحق للثواب؛ لأن قوله: «**حَقًّا**» من يستحق الثواب على الحقيقة.

وتدل على أن[2] تارك الصلاة والزكاة لا يكون مؤمنا[3]، خلاف قول المرجئة.

ومتى قيل: هل يجوز أن نقول: أنا مؤمن، أو هو مؤمن حقًّا؟

فجوابنا: يجوز أن نصف به من حيث الظاهر غيرنا، فأما من حيث الحقيقة فلا تصلوا على أحد، إلا أن يرد خبر الله ـ تعالى ـ وخبر رسوله، فأما إذا أخبر عن نفسه فمنهم من قال: يجوز أن يقطع ويقول: أنا مؤمن حقًّا، ومنهم من قال: لا يجوز إلا أن يقول: إن شاء الله؛ لأنه قد لا يحبط عمله، لأنه[4] قد أدى ما كلف بان أهم أمره فعلم[5]، فجاز إطلاقه.

قوله تعالى:

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

---

(١) الرجل: الوجل، د.
(٢) أن: ـ، أ، ض.
(٣) مؤمنا: مؤمن؛ أ، د، ض.
(٤) لأنه: بأنه، د.
(٥) فعلم: وعلم، د.

۞ اللغة

المجادلة: المنازعة والخصومة التي ننتقل[1] بها عن مذهب إلى مذهب، سميت بذلك لشدتها[2]، وأصله الجَدْل: شدة الفَتْل، ومنه: الأجدل، الصَّقْرُ[3] لشدته، وجدلت الزمام: شددت فتله، وزمام جديل، وجَدَلَ الحب في السنبلة: قوي أصله[4]، وقيل[5]: أصله من[6] الجَدَالة وهي الأرض[7]، يقال: طعنه فَجَدَّله أي رماه بالأرض، فكأن المتخاصمين[8] يريد كل[9] واحد منهما[10] أن يرمي خصمه إلى الأرض.

والسَّوْق: الحث على السير، ساقه يسوقه سوقًا، ومنه: السائق؛ لأن القدم تسوقه، والسُّوقُ لأنه يساق فيه البيع حالاً بعد حال.

التبيين التفعيل من البينونة[11]، وهو الانفصال مما اتصل به بأن ينبو به، وأبنته[12] إبانة التبين كالبين بظهور المعنى للنفس بتميزه من غيره.

والوعد: الخبر السار بما يتضمن من الخير، ونقيضه الوعيد الخبر عما[13] يفعل به من الضرر. قال الشاعر:

لا يُخْلِفُ الوَعْدَ والوَعِيدَ   وَلاَ يبيت مِنْ ثَأْرِهِ عَلَى فَوْتِ

والشوكة: السلاح التام، وشوكة الإنسان: شدته، ورجل شاكي[14] السلاح

---

(١) ننتقل: نقل؛ أ، د، ض.
(٢) لشدتها: لشدته؛ أ، د، ض.
(٣) الصقر: العصر، د.
(٤) أصله: ـ ، أ، ض.
(٥) وقيل: قيل، أ، ض.
(٦) من: ـ ، أ، ض.
(٧) وهي الأرض: وهي أرض، أ، ض.
(٨) المتخاصمين: المتخاصمان، د، ض.
(٩) كل: كان؛ أ، د، ض
(١٠) منهما: منهم؛ أ، د، ض.
(١١) البينونة: النبو به، د.
(١٢) وأبنته: وأبينه، أ، ض.
(١٣) عما: كما، د.
(١٤) شاكي: شاك؛ أ، د، ض.

وشائك السلاح وشاكي السلاح وشاك من[١] السلاح: من الشكة[٢]، وهو السلاح، وأصله الشوك، وهو النبت الذي له حد يغرز، وشجرة شَوِكَةٌ وشائكة ومُشِيكة، وشاكني الشوك، ومنه: شَوَّكَ البعير: إذا طالت أنيابه، وبُرْدَةٌ شَوْكاء: خشنة المس.

ودابر الأمر: آخره، ودابر[٣] الرجل: عقبه، في الحديث: «لا يقبل الله - تعالى - صلاة رجل أتى دبارا» أي: بعد فوت الوقت. قال ابن الأعرابي: دبار: جمع دبْر ودبُر، وهو آخر أوقات الشيء، وأصل الباب: الدبر بخلاف القُبل، ويقال: تدابر القوم إذا أدبر كل واحد من صاحبه؛ لأن الناظر يريد ابرهك ما أن المقبل يرى قبله، والدبار: الهلاك؛ لأنه يقطع أصلهم[٤] وآخرهم، والتدبير أن يتدبر[٥] الإنسان الأمر حتى كأنه ينظر إلى عاقبته، والتدبير: عتق العبد عن دبر.

الحق: وقوع الشيء في موقعه الذي له، فمن[٦] اعتقد شيئًا لحجة فهو حق، إلا أنه وقع موقعه[٧] الذي هو له، عن علي بن عيسى.

۞ الإعراب

الكاف في قوله: «**كما**» كاف التشبيه، والعامل يحتمل وجوهًا:

الأول: معنى الفعل الذي دل عليه: «**قُلْ الأَنْفَال لِلَه**» تقديره: نزع الأنفال من أيديهم بالحق، كما أخرجك بالحق[٨] .

الثاني: أنى[٩] يجادلونك في الحق، كما أن هذا إخراجك بالحق[١٠] لأن في هذا المعنى، وإن قدَّم[١١] ذكر الإخراج.

---

(١) من: - أ، ض.
(٢) الشكة: المشكة، ض.
(٣) ودابر: وأدابر، ض.
(٤) أصلهم: أصله، ض.
(٥) يتدبر: يدبر، أ، ض.
(٦) فمن: ممن، د.
(٧) موقعه: موقع، ض.
(٨) كما أخرجك بالحق: - ، أ، ض.
(٩) أنى: - أ، ض.
(١٠) بالحق: - ، أ، ض.
(١١) قدم: قد، د.

الثالث: أن يعمل فيه معنى الحق، يعني هذا الذكر حق كما أخرجك بالحق.

ومتى قيل[1] : ما عامل الإعراب في قوله: «**أَنَّهَا لَكُمْ**» ؟

قلنا: (يعدكم) على النصب عن إحدى، تقديره: يعدكم إحدى، ويعدكم أنها لكم[2] ، ونظيره: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [الزخرف:٦٦]، عن الزجاج.

«**ويريد الله**» عطف على «**تودون**»، وكلاهما عطف على «**وإذ يعدكم**»، عن أبي مسلم. وإنما أنث «**ذات الشوكة**»؛ لأنهم تمنوا إحدى العيرين، إما عير أبي سفيان، وإما عير أخرى فتمنوا[3] الذي لا شوكة فيها، فلذلك أنث فقال: «**ذَاتِ الشَّوْكَةِ**» «**ليحق الحق**». وقيل: لكي يحق الحق[4] ، وقيل: اللام بمعنى (أن) كقوله: «**يريدون ليطفؤا**» [الصف:٨]، أي: يطفئوا، وكذلك في موضع آخر أن تطفئوا، عن أبي مسلم.

۞ النزول

قيل: نزلت الآيات في غزوة بدر، عن جماعة من المفسرين، وذلك أن النبي ﷺ استنفر أصحابه للعير، فلما ذهب أبو سفيان بالعير نزل جبريل بقوله: «**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ[5] إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ[6]**».

۞ النظم

اختلفوا في اتصال الآية بما قبلها والجالب للكاف والمشبه به، فقيل فيه تقديم وتأخير، وتقديره: ليحق الحق وإن كرهوه كما أخرجك من بيتك مع كراهتهم، قال: ونزل قوله: «**ليحق الحق[7]**» قبل قوله: «**كَمَا أَخْرَجَكَ**»، عن الحسن.

---

(١) قيل: يقال، د.

(٢) قلنا يعدكم على. . . لكم ـ، د.

(٣) إحدى العيرين. . . فتمنوا: ـ أ، ض.

(٤) الحق: ـ، د.

(٥) الله: ـ، أ، د، ض.

(٦) إحدى الطائفتين: ـ ، أ، ض.

(٧) الحق: ـ ، أ، ض.

وقيل: لما ذكر الخصال المحمودة التي بها تنال[1] الدرجات أتبعه بذكر الجهاد والحث عليه وتضمين النصرة والعاقبة المحمودة. عن[2] قاضي القضاة؛ كأنه قيل: ومن تلك[3] الخصال الجهاد، فجاهد[4] فإن الله ينصرك كما أخرجك من بيتك.

وقيل: اتقوا الله وأصلحوا؛ فإن ذلك خير كما أخرج محمدًا خيرًا لكم مع كراهة فيهم، عن عكرمة.

وقيل: كما أخرجك وهم كارهون كذلك يكرهون القتال، ويجادلون فيه، عن مجاهد.

وقيل: قل الأنفال لله والرسول بالحق؛ لأنه أصلح لهم، كما أخرجك وإن كرهوه؛ لأنه أصلح لهم.

وقيل: فعلهم في الأنفال مجادلة فيجادلون في الحق كارهين[5] كما كرهوا إخراجك، وجادلوك يوم بدر فقالوا: أخرجنا للعير ولم يعلمنا قتالاً[6] لنستعد له.

وقيل: هم المؤمنون حقًّا كما أخرجك بالحق.

وقيل: كانت قسمتك للغنائم حقًّا وإن كرهوه، كذلك خروجك للقتال، وإن كرهوه حق.

وقيل: الكاف بمعنى (على)، يعني: امْضِ على الذي أخرجك من بيتك، قيل: الكاف صفة[7] لفعل مضمر، تقديره: افعل في الغنائم كما فعلت في الخروج، وإن كرهه بعضهم.

وقيل: الكاف[8] بمعنى (إذ) معناه[9]: اذكر إذ أخرجك، وليس بالوجه.

---

(١) تنال: بيان، أ، ض.
(٢) عن: قال، أ، ض.
(٣) تلك: يملك، أ، ض.
(٤) فجاهد: مجاهد، ض.
(٥) كارهين: متكارهين؛ أ، د، ض.
(٦) قتالا: ـ، أ، ض.
(٧) صفة: وصفة، د.
(٨) الكاف: ـ، أ، ض.
(٩) معناه: منعناه، ض.

۞ المعنى

«**كَمَا أَخْرَجَكَ**» يا محمد «**رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ**» يعني من المدينة إلى بدر، عن الحسن وابن جريج وجماعة. «**بِالْحَقِّ**» أي: أمر بالحق لتخرج، وقيل: ما أخرجك إلا لينصرك، فكما[1] أخرجك كذلك ينصرك وعدًا حقًّا، وقيل: بالحق؛ لأن الخروج للجهاد[2] «**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» طائفة منهم» **لَكَارِهُونَ**» قيل: كراهة الطباع لما فيه من المشقة، وهي أمدح؛ لأنهم خرجوا مع المشقة المكروهة، وقيل: كرهوا قبل أن يعلموا أنه ـ تعالى ـ أمرهم به وأن رسوله قطع العزم، فلما علموا خرجوا، وقيل: كرهوا لأنه ﷺ لم يعلمهم بالقتال حتى لا يبلغ العير خبرهم ووعدهم إحدى الطائفتين، فخرجوا غير متأهبين، وقيل: لم يعلموا أنه ـ تعالى ـ ينصركم ويمددكم بالملائكة، وقيل: كرهوا لأنهم لقوا الآباء والأبناء والأقارب، وليس بشيء؛ لأنه[3] عام[4] وهذا خاص في بعضهم، ولأن أكثر أهل بدر كان من الأنصار، وبأن[5] المسلم لا يكره قتال الكفار وإن كان قريبا[6] «**يُجَادِلُونَكَ**» قيل: يخاصمونك، قيل: قوم من المؤمنين قالوا: لو يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد له، وإنما أخرجنا للعير، عن ابن عباس وأبي إسحاق وأبي علي. وإنما جادلوا طلبًا[7] للرخصة لا ردًّا لأمر الله، وقيل: قوم من المشركين، عن ابن زيد. جادلوا «**فِي الْحَقِّ**» «**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ**» حين يدعون إلى الإسلام، والأول الوجه؛ لأن سياق الكلام حكاية عن المؤمنين. واختلفوا في المجادلة كما اختلفوا في المجادِل، قيل: طلبوا الرخصة في التأخر ليأخذوا الأهبة، وقيل: قالوا: لم يعلمنا بلقاء العدو لنستعد للقتال، وليس معنا عدة ولا شوكة، وقيل: في الأمر والإلزام طلب الرخصة مع العلم به كقولهم في الحج:

(١) فكما: كما، د.
(٢) للجهاد: الجهاد، أ، ض.
(٣) بشيء لأنه: -، د.
(٤) عام: عم؛ أ، د، ض.
(٥) وبأن: لئن، د.
(٦) قريبا: قريب، د.
(٧) طلبا: طلبوا، د.

ألعامنا هذا أم للأبد؟ وعلى هذا المجادل هم المؤمنون، وقيل: هم الكفار جادلوا في الدين «**فِي الْحَقِّ**» قيل: في الجهاد، وقيل: في الدين على ما تقدم «**بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ**» ظهر أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به ولا تأمر إلا بما[١] أمرك الله به، وقيل: وعدهم بالظفر بإحدى الطائفتين[٢] فبعد ما بين لهم الظفر جادلوا، وقالوا: خرجنا للعير لا للنفير والقتال «**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**» إليها من شدة السير والقتال عليهم كأنما يساقون إلى الموت عَيَانًا، وقيل: كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى القتال، وهم ينظرون[٣] ، وقيل: كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام، عن ابن زيد «**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ**» قيل: يحتمل أن يتصل بقوله: «**كما أخرجك**» فيكون الخروج والوعد حالاً واحدًا، ويحتمل أن يكون كل واحد منهما في حال أخرى، عن أبي مسلم. «**إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ**» أي[٤] يعدكم الظفر بأحد الفريقين: أحدهما: العير، وصاحبها[٥] أبو سفيان بن حرب، والثاني: النفير، وفيهم: شيبة وعتبة[٦] ، وأبو جهل، والملأمنقريش «**أَنَّهَا لَكُمْ**» أي: غنيمة لكم «**وَتَوَدُّونَ**» وتحبون «**أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**» أي: غير ذات السلاح وهو العير، عن الزجاج. وإنما ودوا ذلك لكثرة المال وخفة المؤنة، عن القاضي، وقيل: «**غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ**[٧]» أي غير ذات الشدة والبأس من العدة والعدد[٨] «**وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**» قيل: يكون ما أخبر[٩] به من إظهار الحق وإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من وعده، وقيل: يحق الحق بأمره إياكم أن تجاهدوا عدوكم[١٠] ، وقيل: يحق الحق الذي

---

(١) بما: ما؛ أ، د، ض.

(٢) الطائفتين: الحسنيين، د.

(٣) من شدة السير. . . ينظرون: ـ ، أ، ض.

(٤) أي: أن؛ أ، د، ض.

(٥) وصاحبها: وصاحبهما، ض.

(٦) شيبة وعتبة: عتبة وشيبة، د.

(٧) الشوكة: ـ، د.

(٨) العدد: العدو، أ، ض.

(٩) ما أخبر: ـ، د.

(١٠) عدوكم: عن عدوكم، ض.

يجب له على عباده[1] ألاَّيشركوا به شيئاً؛ فجعل ظفرهم حجة تبين الحق من الباطل ليعبدوا الله حق عبادته[2] ، ويظهر دينه، عن الأصم. وقيل: ليعلي الإسلام، وقيل: ليحق وعده بالنصر «**بِكَلِمَاتِهِ**» بأمره إياكم بقتالهم؛ لأنه كان فيه هلاكهم، عن أبي علي. «**وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**» أي: يستأصلهم، فلا[3] يبقى منهم أحد؛ «**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**» قيل: ليظهر الإسلام، ويبطل الكفر، وقيل: يحق وعده بالنصر لهم، فيظهر بعد أن كان مغلوبًا، ويبطل الباطل بالخذلان والقهر، فيذهب بعد أن كان ظاهرًا، وقيل: الحق القرآن[4] ، والباطل الشيطان، وقيل: إبطال الباطل بقتل أئمة الكفر، ورؤساء الضلالة.

ومتى قيل: لِمَ كرّر: «**يحق الحق**» ؟

قلنا: قيل: تأكيدًا؛ لأنه أبلغ في التفهم، عن أبي مسلم، وقيل: أحدهما في إظهار النصر، والآخر في إظهار الدين. «**وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**» يعني كرهوا ظفر المسلمين، وإيقاعهم بالمشركين.

۞ الأحكام

تدل الآية أن خروجهم كان بأمر الله؛ لذلك أضافه إليه فوصفه بكونه حقًا، وتدل على أن بعض المؤمنين كرهوا ذلك، وأن تلك الكراهة[5] لم تكن مذمومة؛ إذ لو كانت كذلك لما كانوا مؤمنين.

وتدل على جدال أجري بينهم لطلب رخصة لا لرد أمر؛ ولذلك ذكر أنهم عرفوا ذلك حقًا يعني الأمر به، والوعد بالنصر[6] .

---

(١) عباده: عبادته، ض.

(٢) حق عبادته: حقه؛ أ، د، ض.

(٣) فلا: ولا، د.

(٤) القرآن: والقرآن، ض.

(٥) الكراهة: ـ ، أ، ض.

(٦) بالنصر: للنصر، ض.

وتدل على معجزة للرسول[1] من حيث وعدهم إحدى الطائفتين، إما العير وإما[2] النفير، فَوُجِدَ كما أخبر.

وتدل على أن كراهة إبطال الباطل مذموم؛ لذلك ذم المشركين به، فلا يجوز عليه تعالى.

وتدل على أن الجدال والكراهة فِعْلُهُم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والإرادة.

القصة

المروي عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق بن بشار، والسدي وغيره ممن أهل النقل: أن كرز بن جابر أغار على سرح المدينة، وذهب به حتى بلغ الصفراء، وتبعه رسول الله ﷺ، ففاته كرز، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم إن أبا سفيان قدم الشام في عير لقريش، ومعهم مال عظيم، وهي اللطيمة، وفيها أربعون رَاكِبًا من كبار[3] قريش، وبلغ ذلك إلى النبي ﷺ، فجمع أصحابه وأخبرهم به وبقلة العدد وكثرة المال، وأمرهم بالخروج، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والعير، ولم يعلموا الرسول[4] ، فبعث ضم ضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليستنفر قريشًا، فلما أتى مكة، وأخبرهم بذلك غضبوا، وخرجوا، وقالوا: من لم يخرج تهدم داره، وفاتت العير لأنهم سلكوا طريقًا آخر، ونزل جبريل وقال: إن الله ـ تعالى ـ وعدكم إحدى الطائفتين، وأمره بالخروج للجهاد، واستشار النبي ﷺ أصحابه، فقال جماعة من المهاجرين وأحسنوا منهم أبو بكروعمر، فقال ﷺ: «أشيروا عليّ، يريد[5] الأنصار»؛ لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: إنا براء من دمائك حتى تصل

(١) للرسول: الرسول، د.
(٢) وإما: أو، أ، ض.
(٣) كبار: ـ ، أ، ض.
(٤) الرسول: أن الرسول، ض.
(٥) يريد: أريد، د.

إلى ديارنا[1] ، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا، فكان يخاف أنهم لا يرون نصرته خارج المدينة، فقام سعد بن معاذ قال: لعلك تريدنا[2] ، قال: نعم، فقال سعد[3] : إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق، فامض[4] بنا، ولو اعترضت بنا[5] البحر لخضنا[6] معك، وما يتخلف منا رجل، ففرح بذلك رسول الله ﷺ، وقالت الأنصار مثل ذلك، وقال مقداد: امضِ[7] لما أمرك الله، فلسنا نقول لك كما قالت بنو[8] إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، فسار رسول الله ﷺ بهم، وقال: «فكأني أنظر إلى مصارع القوم»، وخرج إلى بدر، وهو بئر، وقدمت قريش، وكان القتال.

قوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر، ونافع، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم «**مُرْدَفِين**» بفتح الدال، وقرأ الباقون بكسرها، فمن كسرها فهم متابعون[9] بعضهم في إثر بعض، ومن فتح فعلى

---

(١) إلى ديارنا: في دارنا، ض.
(٢) لعلك تريدنا: تريد تأتينا البحر لخضناه معك، ض.
(٣) قال نعم فقال سعد: زيادة من (تفسير البيان) للطوسي: ٥/ ٨١.
(٤) فامض: وامض؛ د، ض.
(٥) بنا: بك، ض.
(٦) لخضنا: لحقنا، د.
(٧) امضِ: امضي؛ د، ض.
(٨) بنو: بني؛ د، ض.
(٩) متابعون: متابعين؛ د، ض.

المفعول؛ أي: أردف الله المسلمين بهم وأمدهم، وقيل: بالكسر: أردف كل ملك راجلاً، من قولهم: أردفه؛ أي: جعله له ردفا[١] ، أو بالنصب يحملون على أرداف الدواب.

قراءة العامة: «أني» بفتح الهمزة، والعامل فيه «فاستجاب»، وقرأ عيسى بن عمر «إني» بكسر الألف تقديره: وقال: إني ممدكم.

اللغة

الاستغاثة: طلب الإغاثة، وهي سد الخلة عند شدة الحاجة.

والاستجابة والإجابة بمعنى، وهي موافقة العطية للمسألة.

والترادف: التتابع، والرديف الذي يردفه، وكل شيء تبع شيئًا فهو ردفه، وإرداف النجوم تواليها. ويقال: كان نزل بهم أمر، فردف لهم آخر، والرِّدْفان: الليل والنهار، وهذا أمْرٌ[٢] ليس له رِدْفٌ أي تبعة، وقيل: أردف وردف بمعنى: إذا كان بعده، قال الشاعر:

إذا الجَوْزاءُ أَردَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآل فاطمةَ الظُّنُونا[٣]

وقيل: ردفه صار له ردفًا، وأردفه[٤] جعله ردفًا، ويجوز تشديد الدال من مردفين، ثم فيه ثلاثة أوجه: فتح الراء على نقل حركة الأصل وهو مرتدفين، وكسر الراء[٥] لالتقاء الساكنين، وضم الراء لاتباع، والدال مكسورة على كل حال.

والاطمئنان: خلاف الانزعاج، والطمأنينة: السكون[٦] والدعة، واطمئنان القلب: الثقة ببلوغ المحبوب.

---

(١) ردفا: ردفه، د، ض.
(٢) أمر: من؛ د، ض.
(٣) أساس البلاغة (ردف)، وتهذيب اللغة (ردف) ولسان العرب (ردف)
(٤) وأردفه: ـ ، أ، ض.
(٥) الراء: الدال، د، ض.
(٦) السكون: السكوت، د.

۞ الإعراب

العامل في قوله: (إذْ) قيل: ما قبله، وتقديره: ليبطل الباطل إذ تستغيثون. وقيل: محذوف تقديره: اذكروا إذ[١] ، والأول لحسن الاتصال، والثاني للاستئناف، وتذكير النعمة، والهاء[٢] في قوله: «**جعله**» يعود إلى الإمداد؛ لأنه معتمد الكلام، وقيل: على الإرداف، عن الفراء. وقيل: على[٣] الخبر بالمدد؛ لأن تقديم ذلك إليهم بشارة في الحقيقة.

۞ النزول

عن عمر لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى كثرة عدد المشركين وقلة عددهم، فاستقبل[٤] القبلة وقال[٥] : «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض[٦]» فأنزل الله تعالى: «**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**» الآية.

وعن ابن عباس: لما اصطف القوم للقتال قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، واستغاث المسلمون، فنزلت الآية، ونزلت الملائكة.

۞ المعنى

لما ذكر ـ تعالى ـ خروجهم إلى بدر بإذنه عقبه بذكر ما أتاهم من النصر والإمداد، فقال سبحانه: «**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**» أي: تستجيرون بربكم من عدوكم وتسألونه النصر عليهم «**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**» أي: أجاب دعاءكم «**أَنِّي مُمِدُّكُمْ**» أي: مرسل إليكم مددًا لكم[٧] «**بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ**» قيل: نزل جبريل في خمسمائة من الملائكة ووقف[٨] في

---

(١) إذ: إذا، د، ض.
(٢) والهاء: والفاء، د.
(٣) على: عن، د.
(٤) فاستقبل: استقبل؛ د، ض.
(٥) وقال: فقال؛ د، ض.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ٨٢٨، وتفسير الطبري: ٦/١٨٨، ١٩٢، ٢٠٢، وتفسير ابن كثير: ٢/٣٨٣، وفتح القدير: ٢/٢٤٥، وتفسير البغوي: ١/٣٣٢.
(٧) لكم: ـ، د.
(٨) ووقف: فوقف، د.

الميمنة، ونزل ميكائيل في خمسمائة ووقف في الميسرة، وقيل: كانوا على صورة الرجال، عليهم ثياب بيض، وعمامة صفراء أرخوا[١] ما بين أكتافهم «**مُرْدِفِينَ**» قيل: مع كل ملك ملك، قال أبو علي: هم ألفان؛ لأن مع[٢] كل واحد منهم ردفًا له، وقيل: متتابعين فكانوا ألفًا بعضهم في إثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وأبي مسلم. وقيل: مردفين ممددين الأرداف[٣] إمداد المسلمين، عن مجاهد. «**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ**» قيل: ما جعل[٤] الإمداد، وقيل: الخبر بالمدد، عن أبي علي. «**إِلاَّ بُشْرَى**» لكم أي: بشارة للمؤمنين، وإنما جعله بشرى بأمره الملائكة أن تبشر به، وقيل: أراد به بشارة المؤمنين «**وَلِتَطْمَئِنّ**» تثق وتسكن «**بِهِ**» قلوبهم، واختلفوا، فقيل: إن الملائكة جاءت يوم بدر، ولم يحاربوا في موضع آخر، وإنما كانوا يشجعون، وقيل: لم يحاربوا يوم بدر أيضًا، ولكن شجعوا، وكثروا[٥] سواد المسلمين وبشروا بالنصر، عن أبي علي، قال: ولو قاتل الملائكة لكفى ملك واحد كما كفى قوم لوط، وقيل: فيه إعزاز ونصرة؛ فلذلك بعث الألف، وقال مجاهد: إنما أمدهم بألف يقاتلون، فأما الثلاثة آلاف[٦] والخمسة آلاف[٧] ، فكانوا يبشرون، وظاهر[٨] الأخبار في إجماع المفسرين أنهم قاتلوا يوم بدر، وعن ابن مسعود أنه سأله أبو جهل: أين كان الضرب ولا يرى الشخص؟، قال: من قِبَلِ الملائكة، قال: هم غلبونا، لا أنتم. وعن ابن عباس: أنهم قاتلوا يوم بدر وَقَتَلوا «**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**» يعني أنه، وإن أمدهم بالملائكة فالنصر منه، لا منهم، وقيل: تلك النصرة بالملائكة عنه «**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**» قادر على النصرة وعلى ما يشاء، لا يُغلب، حكيم عالم بمحل[٩]

---

(١) أرخو: رخوا؛ د، ض.
(٢) مع: ـ أ، ض.
(٣) الأرداف: للرداف، د.
(٤) ما جعل: ـ ، أ، ض.
(٥) وكثروا: وكثر؛ د، ض.
(٦) آلاف: الآلاف، د.
(٧) آلاف: ـ، د.
(٨) وظاهر: بظاهر، د.
(٩) بمحل: المحل، د.

النصرة، فينصر المؤمنين دون الكافرين، فمن الحكمة وضع الشيء موضعه، عن أبي مسلم. وقيل: حكيم في جميع تدابيره، عن[1] أبي علي.

۞ الأحكام

تدل الآية أنه ـ تعالى ـ أمدهم بالملائكة، وقد مضت قصته في آل عمران.

وتدل على أن الملك يجوز أن يتشبه بالآدمي، ولا يخرج من كونه مَلَكًا بأن تغير أطرافهم دون الأجزاء التي صاروا بها أحياء[2]، والذي يُنْكِر: أن يقدر أحد على تغيير الصور يقول: إن الله هو الذي يقدر على ذلك، ومن زعم أن أحدًا يقدر[3] على التصوير[غير الله] فإنه يكفر.

وتدل على معجزة عظيمة للنبي ﷺ من وجوه:

منها: الإمداد.

ومنها: تغيير الصور[4].

ومنها: القتال.

وتدل على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ والاستغاثة به عند هجوم النوازل؛ لأنه بين أنه لمكان استغاثتهم[5] أجاب، وروي أن النبي ﷺ كان يدعو والمؤمنون يؤمِّنون، فوعدهم الله النصر.

ومتى قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين آية آل عمران، وفيه نزل خمسة آلاف، وثلاثة آلاف؟

قلنا: قيل: نزلت الآلاف للقتال، والثلاثة والخمسة للبشارة، عن مجاهد. وقيل:

---

(١) عن: وعن، ض.
(٢) أحياء: لحما، د.
(٣) يقدر: لا يقدر، د.
(٤) الصور: الصورة، د.
(٥) لمكان استغاثتهم: لم كان استغاثته، د.

كانوا خمسة آلاف يوم بدر، نزل ثلاثة آلاف، ثم أنزل ألفًا، ثم أردف ألفًا، فجمعهم وقال: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وقيل: بل كانوا سبعة آلاف، حكاه الأصم.

قوله تعالى:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

القراءة

في «يغشيكم» ثلاث قراءات: **وأولها**: قراءة أبي جعفر ونافع: «**يُغْشِيكُم**» بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين. «**النعاس**» بالنصب.

والثاني: «**يغشاكم النعاس**» بالألف وفتح الياء والشين وسكون الغين بالرفع، قراءة أبي عمرو، وابن كثير، ومجاهد.

الثالث: «**يُغَشِّيكُم**» بالياء وضمها وفتح الغين وكسر الشين وتشديدها «**النعاس**» بالنصب، قراءة ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، ونحوه يروى عن الحسن، وعكرمة، وعروة بن الزبير[1].

فالأول: من أغشى يُغْشي، والفعل مضاف إلى الله ـ تعالى ـ لموافقة[2] قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وكقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، والثالث من غَشَّى يُغَشِّى، وجعلوا الفعل لله تعالى؛ موافقة لقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

(١) حجة القراءات ١٧٦.

(٢) لموافقة: لموافق؛ د، ض.

قراءة العامة «أَمَنَةً» بفتح الميم، وقرأ أبو حيوة وابن محيصن بسكون الميم على المصدر، يقال: أَمِنْتُ أَمْنًا وأَمَنَةً، وأَمَنًا[١] وأمانًا كلها بمعنى.

قراءة العامة: «يُطَهِّرَكم» بالتشديد من طهّره يُطَهِّرُه تطهيرًا، وعن سعيد بن المسيب[٢]: ساكنة الطاء، من «أطهره الله».

قراءة العامة: «رِجْزَ» بكسر الراء، وعن ابن محيصن بضم الراء وهما لغتان، وعن أبي العالية (رجس) بالسين، والعرب تعاقب بين السين والزاي[٣] فيقولون: سراط، وزراط[٤].

اللغة

الغشيان: لباس[٥] الشيء بما يبطل به وأصله السير، ومنه غشى الرجل المرأة[٦]، ومنه: غاشية، وأصله السير. والنعاس: ابتداء النوم، وقيل: الاستقبال وهو السِّنَة، نَعَسَ يَنْعَسُ نعاسًا فهو ناعس، قال الفراء: سمعت نعسًا. والأَمَنَةُ والطمأنينة الأمن، ونقيضه: الخوف. والربط: الشد، ربطت الشيء أربطه ربطًا، والرباط: ما شد به[٧]، ورجل رابط[٨] الجأش: شديد القلب. والرعب: الخوف، رعبته أَرْعَبُهُ[٩] رعبًا فأنا راعب له، وهو مرعوب، وهو انزعاج النفس لتوقع مكروه، وأصله القطع من قولهم: رعبت السنام رعبًا: إذا قطعته مستطيلاً، فكأن الرعب يقطع حال السرور بضده[١٠]. والبنان: جمع بنانة، وهو أطراف اليدين والرجلين. قال الشاعر:

---

(١) وأمنا: ـ، د.
(٢) المسيب: مسيب، ض.
(٣) والزاي: والراء؛ د، ض.
(٤) زراط: رراط؛ د، ض.
(٥) لباس: للناس، د.
(٦) المرأة: الامرأة؛ د، ض.
(٧) والرباط ما شد به: والرباط الشديد، د.
(٨) رابط: رباط، د.
(٩) أرعبه: أرعبته؛ د، ض.
(١٠) بضده: قصده، ض.

كـم يـد مـن خـصـلـة مـبـاركـة لـحـسـنـهـا[١] بـالـبـنـان حـاسـمـهـا[٢]

وقال آخر:

وَأَطْـرَافُ الْـبَـنَـانِ عَـنَـمْ[٣]

وأصله من اللزوم، يقال: أَبَنَّ بالمكان لزمه، فسمي البنان؛ لأنه يلزم ما انقبض[٤] عليه. والشقاق: العصيان، وأصله الانفصال من قولهم[٥] أشق اشتقاقًا، وشقه شقًّا، ومنه: المشاقة، كأنه صار في شق عدوه، ومنه: اشتقاق الكلام؛ لأنه انفصال الكلمة عما تحتمله في الأصل.

الإعراب

مَنْ نَصَبَ (النعاسَ) فلأنه جعله مفعولاً، ومن رفعه أسند الفعل إليه. «**أمنة**» نصب لأنه مفعول، والعامل «**يغشى**» لقولك: فعلت ذلك[٦] حَذَرَ الشر، عن الزجاج[٧]، وقوله: «**يشاقق**» يجوز فيه الإظهار والإدغام، وورد القرآن بهما؛ لأنه في موضع جزم، فإما أن يأتي بالأصل للحاجة إلى حركة الأول، وإما أن يحرك لالتقاء الساكنين بالكسر، ويجوز الفتح، والأول أجود مع[٨] الألف واللام لتأكيد[٩] سببه. قوله: «**ذلكم**» لا موضع له من الإعراب؛ لأنه حرف خطاب، والعامل في ذلك، قيل: الابتداء بتقدير[١٠]: إلا من ذلكم، كقول الشاعر:

---

(١) لحسنها: بحسنها، ض.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) قاله المرقش، وتمامه:
الـنَّـشْـرُ مِـسْـكٌ والـوجـوهُ دنـا نـيـرٌ وأطـرافُ الأكُـفِّ عَـنَـمْ
(٤) ما انقبض: من قبض، د، ض.
(٥) من قولهم: ـ ، أ، ض.
(٦) فعلت ذلك: ـ، د.
(٧) عن الزجاج: عن الزجاج والزجاج، ض.
(٨) مع: من؛ د، ض.
(٩) لتأكيد: بتأكيد، د.
(١٠) بتقدير: لتقدير، ض.

وقـائـلـةٍ خَـوْلاَنُ فَـأنـكِـحْ فَـتَـاَتـهُـمْ   وأُكْرُومَةُ الحَّييْنِ خِلْوٌ[١] كما هيا[٢]

أي هذه خولان[٣] وقيل: نصب بـ(ذاقوا) كما تقول: زيدًا فاضربه، وقوله: «**وأن الكافرين**» موضعه يحتمل الرفع والنصب، فالرفع بالعطف على «**ذلكم**» تقديره: ذلكم وأن الكافرين، وقيل: تقديره بأن، فلما حذف الباء نصب.

النزول

نزلت يوم بدر لما وعدهم الله النصر ذكرهم أسباب النصر وما أنعم عليهم، وأظهر من دينهم وقهر المشركين وبطلان الشرك، فنزلت الآية في ذلك.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أسباب النصر وهي[٤] خمسة أشياء:

النعاس وهو غاية الأمن؛ لأن الخوف يسهر.

والثاني: إنزال المطر للطهارة، وتلبيد الرمل والشرب.

والثالث: نزول الملائكة.

والرابع: الرعب الذي ألقاه في قلوب الأعداء.

والخامس: الربط على قلوب المؤمنين، فقال سبحانه: «**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**» أي: يلبسكم النوم أيها المؤمنون، وقيل: لما أسهرهم الخوف ألقى الله ـ تعالى ـ عليهم النوم، فأمنوا، واستراحوا.

ومتى قيل: كيف وصفهم بالأمن مع ما وصفهم من شدة الخوف؟

---

(١) انظره في المحكم (خلو)، واللسان (خلا).

(٢) خلو: حلو؛ د، ض.

(٣) أي هذه خولان: ـ، ض.

(٤) وهي: وهو؛ د، ض.

فجوابنا: كان ذلك قبل الأمن والبشارة، وقيل: إنه ـ تعالى ـ بشرهم بنصرة رسوله وإظهار دينه، وهزيمة الكفار، ومع هذا كل واحد كان يخاف القتل والجراح.

«**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**» وذلك أن المسلمين نزلوا على كثيب رمل ببدر تسوخ فيه الأقدام، وسبقهم الكفار إلى الماء، وأصبح المسلمون مُحْدِثِينَ ومُجْنِبِين[1] وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، فأرسل الله عليهم المطر فشربوا، وتطهروا، ولبد الأرض، وزالت وسوسة الشيطان «**لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ**» من الجنابة والحدث «**وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ**» قيل: وسوسته وخطاياه، والرجز: الخطأ، عن الأصم. وقيل: أذاه لوسوسته: أنه قد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مُجْنِبِينَ، عن ابن عباس. وقيل: هوقوله: ليس لكم بهؤلاء طاقة، عن ابن زيد. وقيل: هو الاحتلام[2] ذلك يكون لوسوسة الشيطان، عن أبي علي. وقيل: وسوس إليهم بأنكم على هذا الرمل لا تمكنون من المقاتلة[3]، ومع فقد الماء كيف تفعلون؟ «**وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ**» أي: يشد عليها ويقويها بالأمن وزوال الخوف، ذلك بالألطاف والبشارات والنصر الموعود «**وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**» قيل: لتلبيده الرمل الذي لا تثبت عليه القدم، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبي علي وجماعة. قال القاضي: وهو أشبه بالظاهر، وقيل: بالصبر، وقوة القلب الذي أفرغه عليهم حتى ثبتوا لعدوهم[4]، عن أبي عبيدة وأبي مسلم. وقوله: «**بِهِ**» يرجع إلى الماء المنزل، وقيل: إلى ما تقدم من البشارة والنصر [على حسب] اختلافهم في التثبيت «**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ**» أي: يلقي إليهم أني معكم بالمعونة والنصرة، أي: يفعل ذلك بكم، وليس يعني بذلك القرب في المقام؛ لأنه من صفات الجسم، يتعالى الله عن ذلك. ويقال: فلان مع فلان؛ أي: ينصره ويعضده، وقوله: «**مَعَكُمْ**» يحتمل مع الملائكة إذ أرسلهم رِدْءًا للمسلمين، ويحتمل مع المسلمين كأنه قيل: أوحى إلى الملائكة أني مع المؤمنين

---

(١) ومجنبين: ومجدبين، ض.
(٢) الاحتلام: الأحلام، د.
(٣) المقاتلة: المحادثة؛ د، ض.
(٤) وقيل بالصبر وقوة... لعدوهم: ـ، د.

فانصروهم وثبتوهم «**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: بقتالهم معهم يوم بدر، عن الحسن. وقيل: بحضورهم معهم في الحرب مددًا وعونًا، وقيل: بإعلامهم لهم أن لابأس[1] عليهم من عدوهم، وإلقائهم ذلك إليهم عن أبي علي. وقيل: كانوا في صور الرجال يقولون: إن الله معكم؛ لأنكم أهل دينه، وأنصار رسوله، وهم أعداء الله، وحزب الشيطان، وقيل: قال جبريل ـ عليه السلام ـ: قل لهم: إن الله وملائكته معكم، فأخبرهم بذلك فأمنوا، وقيل: بإلقاء الرعب في قلوب المشركين[2]، وإلقاء الأمن في قلوبهم فثَبَتوا[3] ، قيل: وآزروهم وعاونوهم[4] ، عن أبي إسحاق والمبرد. «**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**» يعني الخوف، أخبر به الملائكة ليخبروا به المؤمنين، وعن النبي ﷺ: «نصرت بالرعب» ثم علمهم كيفية القتل والضرب، فقال سبحانه: «**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**» قيل[5] : هو أمر الملائكة يتصل بقوله «**فثبتوا**»، وقيل: بل أمر المؤمنين «**فَوْقَالأَعْنَاقِ**» قيل: فاضربوا الأعناق، عن عطية والضحاك وأبي علي، كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، قال الأصمعي: وسورة محمد نزلت بعد بدر، وقيل: الأعناق فما فوقها عن ابن عباس، وقيل: فوق بمعنى على[6] أي: فاضربوا على الأعناق، وقيل: فاضربوا الرؤوس فوق الأعناق، عن عكرمة وأبي مسلم. «**وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**» أي: أطراف اليدين والرجلين، عن ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج. وقيل: أراد ضرب الأصابع، عن أبي علي[7] ، ضرب الأيدي، عن أبي مسلم. وقيل: كل مفصل، عن عطية. وقيل: فاضربوا فوق الأعناق يعني الصناديد، وكل بنان يعني السفلة، عن نمار بن زياد، وليس بشيء؛ لأنه خلاف الظاهر، ولا يحتمله اللفظ.

---

(١) أن لا بأس: أن لباس، ض.
(٢) بإلقاء الرعب في قلوب المشركين: وإلقاء الرعب في قلوب المؤمنين المشركين، ض.
(٣) فثبتوا: ثبتوا، أ، ض.
(٤) وعاونوهم: ودعاونوهم، ض.
(٥) قيل: وقيل، د.
(٦) على: ـ، ض.
(٧) عن أبي علي: عن ابن أبي علي، ض.

ومتى قيل: فما معنى هذا الأمر؟

قلنا: قيل: لما أمر الملائكة بالقتال، ولم تَعْلَم كيفية الضرب علَّمهم ضرب الرؤوس والأيدي. وقيل: خص هذين العضوين؛ لأنه يبطل تصرفهم، عن أبي علي. وقدر ويجماعة أن الملائكة قاتلتهم وقتلت يومئذ[1] منهم، عن ابن عباس وسهل بن حنيف وأكثر أهل العلم. وقيل: أراد حاصروهم واقتلوهم، ولا ترحموهم، عن الأصم، وليس بالوجه لم خالفته للظاهر «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» يعني هؤلاء الكفار إنما فُعِلَ بهم ذلك؛ لأنهم خالفوا الله فيما أمرهم به، وخالفوا رسوله فيما شرع لهم، وقيل: شاقوا أولياء الله كقوله: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٥٧] أي: أولياءه «**وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ**» بأن يعصيه ويخالف أمره «**فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**» في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالتخليد في النار «**ذَلِكُمْ**» يعني هذا العذاب الذي عجله لكم أيها المشركون بالقتل والخزي والذم والخذلان؛ جزاء لكم في فعلكم «**فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ**» في القيامة «**عَذَابَ النَّارِ**».

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ أنعم على رسوله وعلى المؤمنين بضروب من النعم كما عدها عليهم. ويدل قوله: «**ذلكم**» أن هذا القتل كالمستحق على كفرهم، واختلف مشايخنا، فقيل: كان نصر المؤمنين ثوابًا لهم، عن أبي علي. وقيل: كانت فضلاً وثوابًا، عن القاضي. وقيل: بل كان مصلحة ولُطفًا، فأما ما فعل بالكفار[2] من الرعب والخذلان فالأكثر على أنه عقوبة، ويحتمل أنه كان لطفًا واستصلاحًا. وتدل على أن مخالفة الرسول مخالفة لله تعالى، وتدل على أن العقوبة تستحق على العمل لذلك قال: «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**». وتدل على أن المشاقة فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق وجزاء الأعمال.

---

(١) يومئذ: ـ ، د.

(٢) بالكفار: الكفار، د.

فصل

قيل: لما نزلوا ببدر، وكانت الليلة[١] التي صبيحتها[٢] يوم بدر القتال، وكان المؤمنون مرعوبين[٣]؛ لقلة عددهم وعدتهم، وكثرة عدد العدو وشوكتهم، وكانوا على[٤] كثيب رمل، لا تثبت عليه الأقدام، فأنزل الله تعالى البشارة بإمداد الملائكة، وأنزل المطر، وألقى عليهم النوم فأمنوا، وألقى في قلوب الكفار الرعب، فلما أصبحوا نزلت الملائكة، وكان الفتح.

وعن أبي رافع مولى العباس قال: دخل أهل بيت العباس الإسلام، وأسلمت أم الفضل، والعباس يهاب قومه ويكتم إيمانه، وذهب إلى بدر موافقة لهم، وتخلف أبو لهب عن بدر، وبعث[٥] مكانه[٦] العاص بن هشام، وجاء الخبر عن مصارع القوم، فسررنا بذلك، وجاء أبو لهب يجر ذيله حتى جلس، وقيل: هذا أبو سفيان بن حرب[٧] قد أقبل، وقال أبو لهب: هلم يا بن أخي، أخبرني كيف كان الأمر؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلا أن[٨] لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا، لقينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض، لا يفوتهم شيء، قال أبو رافع: فقلت: تلكم[٩] الملائكة، فضرب أبو لهب بيده وجهي وضربته أم الفضل، وقام ذليلاً، فما عاش إلا سبع ليال حتى مات، وأسر أبو البشر العباس، وكان رجلاً جسيمًا، وقال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته، صفته كذا، فقال ﷺ: «أعانك عليه ملك كريم».

---

(١) الليلة: ـ ، د.
(٢) صبيحتها: صبحتها، د.
(٣) مرعوبين: مرعوبون؛ د، ض.
(٤) على: عن، ض.
(٥) وبعث: وبعاث، د.
(٦) مكانه: مكان، ض.
(٧) حرب: الحارث، ض؛ الحرب، د.
(٨) إلا أن: إلان، ض.
(٩) تلكم: ذلكم، د.

وعن سهل بن حنيف: لقد رأيت يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

القراءة

القراءة الظاهرة: «دُبُرَهُ» بضم الباء، وقرأ الحسن ساكنة الباء.

اللغة

اللقاء: الاجتماع على وجه المقاربة، واللقاء: الرؤية، واللَّقَاةُ واللَّقْيَةُ: المَّرة[(١)] الواحدة. والزحف[(٢)]: الدنو قليلاً قليلاً، والتزاحف: التداني، زحف يزحف زحفًا[(٣)]، وأزحفت القوم: إذا دنوت[(٤)] لقتالهم، والزحف: مصدر لا يثنى، ولا يجمع، كقولهم: رجل عدل. والزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي.

والتولية: جعل الشيء يلي غيره، وهو يتعدى إلى[(٥)] مفعولين، ولَّى دبره[(٦)]: إذا جعله يليه، ومنه: ولاَّهُ البلد: من ولاية الإمارة، وأولاه نعمة: جعلها تليه.

والتحرف: الزوال على جهة الاستواء، يقال: انحرف مال انحرافًا، وتَحَرَّفَ

(١) المرة: المرأة؛ د، ض.
(٢) والزحف: الزحزف، ض.
(٣) زحفًا: زحفوا، ض.
(٤) دنوت: دوت، ض.
(٥) إلى: على؛ د، ض.
(٦) ولى دبره: ولَّى دابره، ض.

تحرفًا، وحرفه تحريفًا، ومنه: احترف احترافًا؛ لأنه يقصد جهة طلب الرزق. والمُحارَفُ: المحروم عن الرزق، وقيل: أخذ من الحراف: حديدة تعالج بها الجراحة، أي قد رزقه كما تقدر الجراحة بها، قال الشاعر:

إذا الطبيب بمحرافيه عالجها[1]

وقيل: حُورِفَ كسبه: ميل به عنه كتحريف الكلام، وفلان يحرف لعياله: أي يكتسب، وهو حَرِيفُهُ: أي يعامله، كأنه مال إليه عن غيره.

والحوز الجميع، والحوزة: الناحية، والتحيز: طلب حيز يتمكن فيه، تحيز[2] تحيزًا، وانحاز انحيازًا، والحيز: الجهة التي فيها الجوهر. وقيل: من ضم إلى نفسه شيئًا فقد حازه حوزا[3] ،والحيز: ما انضم إلى الدار من مرافقها، والجمع: أحياز، وانحاز القوم: تركوا أمر كبيرهم[4] إلى أحدهم.

والفئة: الجماعة، وأصله من فاء يفيء، وهو الرجوع.

۞ الإعراب

قيل: (يا) نداء، و(أي) تنبيه، وهما إشارة، كأنه ينبه ليقبلوا على أمر الله ونهيه بالتدبير والعمل بموجبه..

«**يومئذ**» يجوز إعرابه وبناؤه، فأما الإعراب فلأنه[5] متمكن أضيف، على تقدير الإضافة الحقيقية كقولك: هذا يوم ذاك، وأما البناء فلأنه أضيف إلى جملة[6] إضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء المركبة.

«**متحرفًا**» نصب على الحال.

---

(١) للقطامي، وتمامه:

إذا الطبيبُ بِمِحْرَافَيْهِ عَالَجَها ... زَادَتْ على النَّقْرِ أو تحريكها ضَجَما

انظره في المحكم (حرف) واللسان (حرف)

(٢) تحيز: تحيزًا، ض.

(٣) حوزا: حوزوا؛ د، ض.

(٤) كبيرهم: كرهم، د.

(٥) فلأنه: فلا؛ د، ض.

(٦) جملة: مثنى؛ د، ض.

۞ النزول

قال الأصم: أجمع المفسرون أنها نزلت في يوم بدر؛ لأنه لم يكن لهم فئة، وقيل: فيه وفي غيره.

۞ المعنى

لما أمد الله ـ تعالى ـ بالملائكة، ووعد النصر نهى عن الفرار، فقال: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: خطاب لأهل بدر[1] ولم يكن بها إلا مؤمن، وقيل: بل هو عام؛ «**إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا**» قيل: مجتمعين[2] متراصين[3] بعضكم إلى بعض «**فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**» أي: لا تولوهم ظهوركم هَرَبًا[4] منهزمين «**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**» ظهره حتى يرى العدو ظهره هربًا «**إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ**» أي يعدل من جهة إلى جهة، وهو ثابت على القتال، وقيل: متقطعًا مستطردًا لقتال عدوه ويطلب عَوْدَةً[5] أو فرصة أو يرى أن عدوله إلى موضع آخر أصلح «**أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ**[6]» قيل: مائلاً إلى جماعة، عن الأصم، وقيل: منضمًا صائرًا إلى جماعة المؤمنين لينصروه، ويرجع معهم إلى القتال، واختلفوا في هذه الفئة، فقيل: الجماعة المنتصبة للقتال، وقيل: الإمام وجماعة من المسلمين، عن عمر بن الخطاب وجماعة [من] المفسرين «**فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**» أي احتمل غضبه واستحقه وبالاً على فعله، عن أبي علي وأبي مسلم. وباء: رجع «**وَمَأْوَاهُ**» مسكنه «**جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**» : المرجع لمن يصير إليها.

۞ الأحكام

تدل الآية على وعيد أهل الصلاة؛ لأن الخطاب لهم خلاف ما يقوله قوم من المرجئة أنه لا وعيد إلا في الكفار.

---

(١) بدر: ـ ، د.
(٢) مجتمعين: مجمعين، د.
(٣) متراصين: متراجعين؛ د، ض.
(٤) هربا: هرابا؛ د، ض.
(٥) عودة: عدده، د.
(٦) فئة: حجة، د.

وتدل على أن الفاسق[1] يقطع أنه من أهل النار؛ لأنه قطع في المتحرف، فيبطل قول من يتوقف في الجميع.

وتدل على وجوب الثبات عند القتال والنهي عن الهزيمة، وأنها يستحق عليها الوعيد، واختلف الفقهاء في ذلك على أقوال:

الأول: أنه مخصوص بيوم بدر خاصة، عن الحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. وروي عن أبي سعيد الخدري نحوه.

قال إسماعيل بن إسحاق: أقام النبي ﷺ بمكة لم يؤمر بالقتال[2]، وكان من فر عنه فر إلى غير فئة، فأما اليوم فمن فر فر إلى فئة، وعن بعضهم أن كل قتال فيهم الرسول لا يحل الانحراف[3] إلا أن يتحرف من[4] ضيق إلى سعة، ومن سعة إلى ضيق، فإذا لم يكن فيهم الرسول حل الانهزام إن كان الكفار ثلاثة أمثال المسلمين، وذكر أبو سعيد الخدري قال: لو انحازوا لانحازوا إلى المسلمين، ولم يكن يومئذ مسلم غيرهم.

قال الشيخ أبو بكر الرازي: هذا غلط؛ لأنهم كانوا يظنون أنهم كانوا يلاقون كيدًا، وخرج مع قوم من أصحابه وهم يظنون أنهم يلاقون العير، وقيل لعمر: إن أبا عبيدة بن مسعود الثقف يقتل وفر أصحابه، قال: أنا فئة كل مسلم، ولو انحاز إليّ لكنت له فئة.

وعن إبراهيم: هرب رجل من القادسية[5] وأتى عمر، فقال: هلكت فررت من[6] الزحف، فقال عمر: أنا فئتك، فهذا كله على أنه خاص في[7] يوم بدر، على اختلاف مذاهبهم.

---

(١) الفاسق: الفساق، ض.
(٢) بالقتال: بقتال، د.
(٣) الانحراف: الاحتراف، د.
(٤) من: في؛ د، ض.
(٥) القادسية: الفارسية، د.
(٦) من؛ ـ ، ض.
(٧) في: ـ ، أ، ض.

الثاني: هو عام، عن ابن عباس، وهو قول أبي علي، وأبي مسلم، وعليه أكثر الفقهاء، والآية وإن نزلت في يوم بدر فلا يجوز قصرها عليه كسائر الأوامر والنواهي في السورة.

واختلفوا، فقيل: الفئة الفرقة المقاتلة، وقيل: الإمام وجماعة المسلمين وهو الصحيح(١)؛ لأنه إذا كثر المشركون، وخاف المؤمن(٢) الهلاك وسع له التولي(٣) إلى الإمام والمسلمين.

وعن ابن عمر: كنا في جيش فانهزمنا، فلما أتينا النبي ﷺ قلنا: نحن الفَرَّارون، فقال: «بل أنتم العكارون، أنا فئة المسلمين»(٤).

وروي أن خالد بن الوليد ومن كان معه انهزموا في مؤتة.

واختلفوا، فقيل: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفًا وأكثر حرم الفرار(٥)، والانهزام أصلاً.

وقيل: إذا كان العدو ثلاثة أمثال المسلمين حل الفرار، وإلا لم يحل.

وقيل: هو على ما يغلب على رأيه واجتهاده، فإن ظن المقاومة لم يحل الفرار، وإن ظن الهلاك حل، وهذا هو الصحيح؛ لأنه(٦) ـ تعالى ـ لم يفصل عددًا من عدد، فإن كان الحال حال رجاء وطمع لم يحل الفرار، والواجب أن ألا ينحرف(٧) ويقاتل، وإن كان الحال يخالف ذلك جاز الانحراف، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] وعلى هذا الآية، ثابتة، وحكمها ثابت، على التفصيل الذي ذكرنا.

---

(١) الصحيح: الصح، د.

(٢) المؤمن: من، ض.

(٣) التولي: التوالي، د.

(٤) أبو داود رقم ٢٦٤٧، والترمذي رقم ١٧١٦، وأحمد رقم ٥٣٨٤، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٧٨٦١.

(٥) الفرار: الانفرار، ض.

(٦) لأنه: لا، ض.

(٧) ينحرف: يتحرف؛ د، ض.

الثالث: الآية منسوخة بقوله: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ [الأنفال:٦٦] عن عطاء بن أبي رباح. وإذا أمكن الجمع بين الآيتين من غير نسخ لم يصح حمله[١] على النسخ.

قوله تعالى:

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو «**مُوَهِّن**» بفتح الواو وتشديد الهاء من وَهَّنَ يُوَهِّن، وتنوين النون «**كيد**» بالنصب.

وقرأ أبو بكرعن عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، «**مُوْهِنٌ**» بسكون الواو والتخفيف والتنوين «**كيد**» بالنصب من واهن يوهن[٢].

وقرأ حفص عن عامر بالتخفيف غير منون «كيد» بالخفض على الإضافة، وهو قراءة الحسن والأعمش، فالتشديد للمبالغة، والتخفيف لطلب الخفة.

اللغة

البلاء: الاختبار، بلوته: اختبرته، ويبتلي: يختبر، والبلاء النعمة والنصرة من ذلك، والبلاء: المحنة والشدة منه أيضًا؛ لأن النعمة لإظهار الشكر، والمحنة لإظهار الصبر، والابتلاء لظهور الخير والشر.

والوهن: الضعف، وهن[٣] الشيء يهن وهنًا، وأوهنته أنا، ووهنته: ضعفته، وَهَنَ وأَوْهَنَ لغتان صحيحتان، والتوهين: إيقاع الوهن في الشيء.

(١) حمله: حملته، ض.
(٢) حجة القراءات ٣٠٩.
(٣) يوهن: وهو، ض.

والكيد: المكيدة في المكر[١] ، كاده يكيده كيدًا وكايده مكايدة، والكيد: المعاجلة، والكيد: الحرب.

الإعراب

من نصب (كيد) فلأنه مفعول، وتقديره: سَيُوهِنُ كيدهم، ومن خفض فعلى الإضافة. وموضعه[٢] نصب، الواو في قوله: «**وَلِيُبْلِيَ**» واو عطف عطف به[٣] على قوله: «**وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ**» و(أَنَّ) نصب؛ لأنه مفعول على تقدير: واعلموا أن الله.

«**ذلكم**» في محل الرفع بإضمار الأمر أي الأمر ذلكم، ولا يجوز رفعه لما عاد عليه من الهاء؛ لأن خبر الابتداء لا يجوز أن يأتي بعد الواو[٤] ، لا يقال: زيد ومنطلق[٥]، وزيد واضربه.

النزول

في نزول الآية ثلاثة أقوال[٦] :

الأول: أنها نزلت في يوم بدر عن أكثر المفسرين، قيل: لما أتى رسول الله ﷺ بدر[٧] قال: «ههنا مصارع القوم» فلما طلعوا قال: «هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكيدون رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني» فأتاه جبريل وقال: خذ قبضة من تراب، فارمهم بها، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه».

وقيل: لما تراءت المجموعتان[٨] قال لعلي: «ائتني كفًا من بطحاء» فأتاه بكف من تراب، فرمى بها. وروي أنه قال ذلك لأبي بكر، حكاهاالأصم. فلم يبق مشرك إلا

(١) المكر: المكد؛ د، ض.
(٢) وموضعه: موعظة، ض.
(٣) عطف به: ـ ، أ، ض.
(٤) الواو: الفاء؛ د، ض.
(٥) ومنطلق: فمنطلق، ض.
(٦) أقوال: أقاويل، د.
(٧) بدر: ببدر، د.
(٨) أو تراءت المجموعتان: تراءى الجمعان؛ د، ض.

ودخل في عينيه[(١)] ومنخريه منها شيء، وكانت تلك الرمية سبب الهزيمة، ففي ذلك نزلت الآية.

وقيل: كانت ثلاث حصيات رمى بواحدة[(٢)] في الميمنة، وواحدة[(٣)] في الميسرة، وواحدة[(٤)] وراء ظهورهم. وقال[(٥)] : «شاهت الوجوه»، فانهزموا، وفيه نزلت الآية، عن قتادة وابن زيد. وروي أنه ما أصاب[(٦)] من تلك الرمية أحد إلا قُتِلَ.

الثاني: نزلت في[(٧)] يوم خيبر، وروي أنه أخذ قوسًا وهو على باب خيبر[(٨)] فرمى سهمًا فأقبل السهم حتى قتل ابن أبي الحقيق[(٩)] ، وهو على فراشه، فأنزل الله تعالى: «**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**»، عن جماعة.

الثالث: أنها نزلت في يوم أحد، روى الزهري عن سعيد بن المسيب أنها نزلت في قتل ابن خلف، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل فَفَتّه قال: يا محمد من يُحْيي هذا وهو رميم؟ فقال ﷺ: «يحييه الله، ثم يميتك[(١٠)] ، ثم يدخلك النار» فأسر يوم بدر، فلما افتدي قال لرسول الله ﷺ: إن[(١١)] عندي فرسًا أعلفها كل يوم فرقًا من ذرة كي أقتلك عليها، فقال ﷺ: «بل إنما أنا أقتلك إن شاء الله» فلما كان يوم أحد قيل: أتى يركض ذلك الفرس حتى دنا من رسول الله، واعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه، فقال ﷺ لهم: «اسْتَأْخِرُوْا» فرماه بحربة فكسر ضلعًا من أضلاعه،

---

(١) عينيه: عينه، د.
(٢) بواحدة: بواحد، د.
(٣) وواحدة: وواحد، د.
(٤) وواحدة: وأخرهم، د.
(٥) وقال: وقيل، ض.
(٦) ما أصاب: لما أصاب، ض.
(٧) في: ـ، أ، ض.
(٨) وروي أنه أخذ... خيبر: ـ، د.
(٩) الحقيق: الحقين، ض.
(١٠) يميتك: يمتك، د.
(١١) إن: ـ، د.

فحمله الناس يقولون: لا بأس عليك، وهو يقول: لو كان ما بي بالناس كلهم لقتلهم، ألم يقل: إني أقتلك إن شاء الله، فمات ببعض الطريق، ففي ذلك نزلت الآية.

ومتى قيل: كيف يصح الجمع بين هذه الروايات؟

قلنا: ظاهر الكلام أنها نزلت[(١)] يوم بدر، وإن صح الجميع، فيحمل على أن[(٢)] الرمي كان منه فيها، ونزلت الآية مرة بعد مرة.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما أمرهم بالقتال في الآية المتقدمة ووعدهم بالنصر ذكَّرَهم في هذه الآية أن ما كان من فتح المسلمين وقهر الكفار كان[(٣)] منه وبنصرته تذكيرًا للنعمة، عن أبي مسلم.

وقيل: لما أمروا بالقتال كان بعضهم يقول: أنا قتلت فلانًا، وقتلت فلانًا، فنزلت الآية، عن[(٤)] مجاهد، تنبيهًا لهم كيلا يعجبوا بفعلهم.

۞ المعنى

«**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**» خطاب للمؤمنين، يعني أيها المؤمنون لم تقتلوا المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله قتلهم حيث سبب في قتلهم بنصركم[(٥)] وخذلانهم، وقوى قلوبكم، وألقى في قلوبهم الرعب، وأمدكم بالملائكة، وقيل: كانت الرياح تحمل السهام، وتوقع في مقاتل الكفار، وذلك فعل الله تعالى، وقيل: فلم يميتوهم، ولكن الله أماتهم؛ لأن الموت لا يقدر عليه غير الله ـ تعالى ـ وأنتم

(١) نزلت: ـ ، ض.
(٢) أن: ـ ، ض.
(٣) كان: ـ ، ض.
(٤) عن: على، ض.
(٥) بنصركم: بنصرتكم، د.

جرحتموهم[1] ، عن الحسين[2] بن الفضل. «**وَمَا رَمَيْتَ**» أيها النبي[3] «**إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**» قيل: ما بلغ رميك حيث بلغ بك، ولكن الله بلغ، وملأ عيون الكفار، وقيل: رميت ولم يُعْتَدَّ[4] برميك مع رمي الله ـ تعالى ـ كما يقال: تكلمت، وما تكلمت، وقيل: ولكن الله وفقك وسدد رميك، عن الأخفش. وقال: ما أصبت إذ رميت ولكن الله أصاب، عن أبي مسلم، قال أبو مسلم: والرمي لا يطلق إلا عند الإصابة، وذلك ظاهر في أشعارهم، واختلفوا في الرمية، فقيل: قبضة من تراب رماها وقال: «شاهت الوجوه» فقسمها الله ـ تعالى ـ على أبصارهم حتى شغلهم بأنفسهم، عن ابن عباس والسدي وأكثر المفسرين، وقيل: سهم رماه على ما تقدم، وقيل: حربة رمى بها أبيّ بن خلف يوم أحد «**وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا**» أي: لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والفتح، ثمَ بالأجر[5] والمثوبة، وقيل: ليختبرهم بذلك؛ أي: يعاملهم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منهم «**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**» لأقوالهم «**عَلِيمٌ**» بضمائرهم وأفعالهم «**ذَلِكُمْ**[6]» أي: فَعَلَ ما فعل من الألطاف والنصر وغيره مما وعد[7] ، وقيل: وذلك الأسر والقتل[8] ، وقيل: من الرمي والبلاء الحسن «**وَأَنَّ اللَّهَ**» تعالى[9] **مُوهِنُ**» قيل: لتعلموا أنه موهن، وقيل: فعل ذلك لأنه يوهن أي يضعفه، وموهن مضعف «**كَيْدِ الْكَافِرِينَ**» أي: بأسهم وخيلهم بنصركم وخذلانهم.

❁ الأحكام

تدل الآية أن فعل العبد يضاف إليه ـ تعالى ـ إذا كان بنصرته ومعونته وتمكينه

---

(١) جرحتموهم: جرجرتموهم، د.
(٢) الحسين: الحسن، د.
(٣) النبي: الناس، ض.
(٤) يعتد: يعد؛ د، ض.
(٥) بالأجر: بالآخرة، د.
(٦) ذلكم: ذلك، ض، د.
(٧) وعد: عد؛ (د، ض).
(٨) وذلك الأسر والقتل: ذلكم القتل والأسر، د.
(٩) تعالى: ـ ، د.

وهدايته، إذ[١] المعلوم أنهم قتلوا وأنه رمى؛ ولذلك قال: «**إذ رميت**»؛ ولهذا يضاف إلى السيد ما يأتيه غلامه، فيدل على أن[٢] الإضافة بالمعونة والأمر صارت أقوى، ولذلك[٣] قال: «**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ**» فقلبت وجه[٤] الإضافة إليه تعالى.

وتدل على أن العبد يفعل لأنه قال: إذ رميت؛ ولذلك أضاف الكيد إليهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

وتدل على أن قتل الكفار نعمة على المؤمنين.

ويدل قوله تعالى: «**مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**» على وعد المؤمنين بالنصر وخذلان الكافرين، وكفاية شرهم، وتفريق كلمتهم، وذلك خبر عن حالهم في المستقبل، فوجد المخبر على وفق الخبر، فصار معجزًا للنبي ﷺ.

وتدل على خذلان الكفار إلى يوم القيامة؛ لأنه لم يخص وقتًا دون وقت.

قوله تعالى:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: «**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**» بفتح الألف في (أن). وقرأ الباقون بكسرها[٥] ، أما الفتح فقيل: على تقدير: ولأن الله[٦]

---

(١) إذ: إذا، د، ض.
(٢) أن: ـ ، ض.
(٣) ولذلك: فلذلك، د.
(٤) فقلبت وجه: فعلت وجرى، د.
(٥) حجة القراءات ٣١٠.
(٦) الله: ـ ، ض.

مع المؤمنين، وقيل: هو معطوف على قوله: «**وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**»، وأما الكسر فعلى الابتداء[1] واختاره أبو عبيدة، وأبو حاتم بقراءة عبد الله: (والله مع المؤمنين).

۞ اللغة

الاستفتاح: طلب الفتح، وهو النصر الذي تفتح به[2] بلاد العدو، والفتح ضد الإغلاق، ونقول: استفتحت، أي استنصرت وفواتح القرآن: أوائل السور، وباب فُتُحٌ: مفتوح.

والانتهاء: ترك الفعل لأجل النهي عنه، نهيته عن كذا فانتهى، وأمرته فأتمر، كقولهم: كسرته فانكسر، وقيل: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي نُهيتم فهل أنتم مطيعون لما نُهيتم عنه. والعود مصدر: عاد يعود عودًا وعودة[3].

السماع: إدراك المسموع، والسامع: المدرك، والسمع الذي صفته أن يدرك إذا وجد المدرَك.

۞ الإعراب

النون حذف في قوله: (ولا تكونوا) للجزم، وتحذف في النصب، وتثبت في الرفع، وإنما سقطت في الجزم لتدل على أن الفعل على معنى يكون عليه الاسم كما أن ثبوتها في الرفع علامة على أن الفعل وقع موقع الاسم، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ﴾ فيه حذف أي: لا تكونوا كَهم[4] في قولهم هذا المنكر، والتشبيه ثلاثة أوجه: أعلى، وأدنى، وأوسط، والأعلى[5] حذف أداة التشبيه، وحذف وجه التشبيه كما يقال: فلان أسد، وفلان حمار، قال الشاعر:

---

(١) الابتداء: الاستثناء، د.

(٢) تفتح به: به تفتح، د.

(٣) وعودة: أو عودة، د.

(٤) لا تكونوا كهم: لا تكون تفهم، د.

(٥) والأعلى: وعلى، ض.

بَــدَتْ قَــمَــرًا وَمَــاَلــتْ خُــوطَ بَــانٍ وَفَــاحَــتْ عَــنْــبَــرًا وَرَنَــتْ غَــزَالاَ[1]

وقال آخر:

وأَسْبلَتْ لُؤلؤًا مِنْ نَرجِسٍ وسَقَتْ[2] وَرْدًا وعَضَّتْ عَلى العُنَّابِ بِالبَرُدِ[3]

والأوسط أن يأتي بأداة التشبيه مجردة، ونبه على المعنى، ولا يصرح كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩].

والأدنى: أن تأتي[4] معه وتفيده، كقولك: الجسم كالعرض في الحدوث.

النزول

اختلفوا أنه خطاب لمن، على قولين:

الأول: أنه خطاب[5] للمشركين، ثم اختلفوا، قيل: إن المشركين قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] يعني محمدًا وأصحابه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ، ففتح يوم بدر، وفيه نزلت الآية، عن مجاهد وعكرمة.

وقيل: إن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينا كان أفجر وأقطع للرحم وأفسد للجمع، وأتانا بما لا نعرف فأحنه[6] الغداة. فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ ، وضربه عوف ومعاذ ابنا عفراء، وأجهز عليه ابن مسعود، وحكى الأصم قريبًا منه.

وقيل: قال: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه، عن الحسن ومجاهد والسدي والضحاك.

---

(١) لأبي الطيب المتنبي، أنظر ديوان أبي الطيب المتنبي، قِرَى الضيف ١/ ٢٩٠.

(٢) وسقت: فسقت، د.

(٣) قاله الوأواء الدمشقي، انظره في قري الضيف ١/ ٣٣٧.

(٤) تأتي: يأتي، د.

(٥) لمن على قولين الأول أنه خطاب: ـ أ، ض.

(٦) فأحنه: فأخذه، د، ض.

وقيل: لما خرجوا من مكة أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى[(١)] الجندين وأهدى[(٢)] الفئتين[(٣)]، وأَكْرَمَ الحزبين، وأفضل الدينين[(٤)]، فنزلت الآية.

وقيل: استفتحوا[(٥)] العذاب بقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، ففعل بهم يوم بدر.

الثاني: أنه خطاب للمسلمين حيث سألوا الله النصر والفتح، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، عن أبي بن كعب وعطاء وأبي علي.

وعن خباب بن الأرتقال: شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلنا: ألا تستنصر لنا، فاحمر وجهه، وقال: «إن كان الرجل قبلكم يحفر له في الأرض ثم يقطع بالمنشار ويمشط بأمشاط الحديد، ما يصرفه عن دينه، وليظهرن الله هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخشى إلا الله، ولكنكم تستعجلون».

المعنى

لما تقدم الأمر بالقرآن والوعد بالنصر بَيَّنَهہنا إنجاز الوعد، فقال سبحانه: «**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا**» أي: تستنصروا الله، وتسألوه[(٦)] النصر، خطاب للمؤمنين، عن عطاء وأبي علي. وقيل: خطابالكفار عن الحسن ومجاهد والسدي. «**فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**» يعني النصر لأهل الحق، وقيل: النصر بالنبيﷺ «**وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» فيه قولان:

والأول: أنه خطاب للكفار إن ينتهوا[(٧)]؛ أي: يمتنعوا عن الكفر وقتال

---

(١) أعلى: على؛ د، ض.
(٢) وأهدى: وهدى، ض.
(٣) الفئتين: القبيلين، ض. انظر: تفسير الطبري ٢٠٦/٦٠ - ٢٠٧.
(٤) الدينين: الرتبتين، ض.
(٥) استفتحوا: الاستفحوا، ض.
(٦) تسألوه: تسألونه؛ د، ض.
(٧) إن ينتهوا: أي: إن انتهوا، د.

الرسول والمؤمنين «**فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» «**وَإِنْ تَعُودُوا**» لمحاربته «**نَعُدْ**» لنصرته والانتقام منكم بالقتل والأسر «**وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا**[١]» يعني جمعكم لا في الدنيا ولا في الآخرة، عن الحسن والأصم وجماعة.

الثاني: أنه خطاب للمؤمنين، أي: إن[٢] تنتهوا عما كان منكم في الأسر والغنيمة ومخالفة الرسول فهو خير لكم، وإن تعودوا لمخالفته نعد لترك نصرتكم، ولن يغني[٣] حينئذ جمعكم متى لم ينصركم الله، ذكر[٤] الأصم إن تسألوا البرهان على أولاكم[٥] بالحق، فقد جاءكم يوم بدر، فإن[٦] تنتهوا عن الكفر فهو خير لكم، وإن تعودوا فيه نعد في العقوبة «**وَلَوْ كَثُرَتْ**» يعني كثرة الجموع لا تغني «**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**» بالنصر والمعونة، فاطلب النصر منه بالإيمان والطاعة لا بالمعصية.

ثم أمر بالطاعة التي هي سبب لنصره، فقال سبحانه: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**» قيل: لا تعرضوا عن القرآن وأنتم تسمعون مواعظه وأوامره ونواهيه، عن ابن عباس. وقيل: عن الرسول وأنتم تسمعون دعاءه لكم وأمره ونهيه إياكم، وقيل: لا تتولوا عن الرسول والحرب، وأنتم تسمعون نداه إياكم إلى محاربة أعدائكم[٧]، وقيل: تسمعون الحجة، عن الحسن. وقيل: لا تعرضوا عن أمره، وأنتم تسمعون حججه، عن الأصم. «**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**»، وقيل: «**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا**» سماع عالم به قابل له[٨]، وليسوا كذلك، عن ابن إسحاق وأبي علي. وقيل: «**قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**» أي لا ينتفعون بسماعه أي: لا يتعظون[٩]، فكأنهم لم يسمعوا في الحقيقة، وقيل: «**قَالُوا**

(١) شيئًا: ـ، د.
(٢) إن: ـ، د.
(٣) ولن يغني: ولم يغن؛ د، ض.
(٤) ذكر: فذكر؛ د، ض.
(٥) أولاكم: أولادكم، د.
(٦) فإن: وإن، د.
(٧) محاربة أعدائكم: محاربته عدوكم، ض.
(٨) قابل له: له وأنتم، ض.
(٩) لا يتعظون: ولا يقطعون، د.

سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ» أي لا يقبلون، فنفى[1] القبول لا[2] السماع، والسماع بمعنى القبول، كقوله: سمع الله لمن حمده.

واختلفوا في المعني بقوله: «**كالذين**» قالوا: قيل: المنافقين، عن ابن إسحاق وأبي علي. وقيل: يعني به أهل الكتاب، عن الحسن. وقيل: هو من صفة المسلمين وأهل الكتاب، عن الأصم.

الأحكام

تدل الآية أنه لا نصرة إلا من جهته تعالى، وأن كثرة الجموع لا تغني مع فقد نصرته، وقد وجد الأمر كذلك في أيام أبي بكر وعمر، وكثرة الجموع للكفار، وقلة عدد المسلمين، ونصرتهم عليهم، فكان ذلك من معجزاته ﷺ.

وتدل أن نصره مع المؤمنين[3] .

وتدل على أنه لولا نصرته لغلبهم الكفار يوم بدر وغيره من الأيام، عن[4] أبي علي.

وتدل على وجوب الانقياد[5] له[6] ، وقبح التولي[7] عن أمره.

وتدل على وجوب إظهار الحق وإنطاقه خلاف ما عليه المنافقون.

وتدل الآية على وجوب قبول مواعظه وأوامره.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) فنفى: فبقي، د، ض.
(٢) لا: إلى ، ض.
(٣) وتدل أن نصره مع المؤمنين: وتدل على أن نصرته مع المؤمنين، د.
(٤) عن: وعن، ض.
(٥) الانقياد: الانفاذ، د.
(٦) له: -، د.
(٧) التولي: الوالي، د.

۞ اللغة

الشر: نقيض الخير، والشر: الضرر القبيح، والخير: هو النفع الحسن، وقيل: الشر: الضر الشديد، والخير: النفع[١] الكثير، وليس بالوجه؛ لأنه قد يكون ضررًا، ولا يكون شرًا بأن يعقبه[٢] خير، وأصل الشر: الإظهار من قوله:

إِذا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ   أَشارَت كُلَيبٍ بِالأَكُفِّ الأَصابِعُ[٣]

أي: أظهرت. وأشررت الشيء: أظهرته، وشَرَرْتُ الثوب: إذا بسطته في الشمس[٤]، وشرر النار: ما يَطَّايَرُ منها لظهور انتشاره.

والدابة: ما دَبَّتْ على وجه الأرض إلا أنه غلب على الخيل، دب يَدِبُّ دبيبًا، قال الأخفش: كل محتاج إلى غذاء فهو دابة.

والصمم: آفة في الأذن تمنع السماع، صم يَصَمُّ صممًا فهو أصم، وتَصَامَّ عن الشيء: تغافل.

والبَكَمُ: الخَرَسُ الذي يولد به صاحبه، وذلك لأنه قد يكون لآفة عارضة، وقد يكون لازمة. والإعراض خلاف الإقبال، وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشيء. والاستماع إيجاب السماع بإيجاده، والتعريض[٥] له، قال الله تعالى[٦] بكلا الوجهين.

۞ الإعراب

نصب «**شر**»[٧]؛ لأنه اسم (إن)، وخبرها[٨] «**الصم البكم**»، وإنما قال: «**الذين**»

(١) النفع: والنفع، ض.
(٢) يعقبه: يعقب؛ د، ض.
(٣) قاله الفرزدق، انظر ديوان الفرزدق.
(٤) الشمس: السمر؛ د، ض.
(٥) والتعريض: والتعويض، د.
(٦) قال الله تعالى: ـ، د.
(٧) نصب شر: «شر» نصب، د.
(٨) وخبرها: وخبره، د.

ولم يقل التي، وقد ذكَّر الدابة؛ لأن المَعْنِيَّ به الرجالُ، والرجال من الدواب[1]؛ لأن كل ما يدب فهو دابة.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في بني عبد الدار بنقصي، قالوا: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعًا بِأُحُدٍ، وكانوا أصحاب اللواء غير رجلين مصعب بن عمير، وآخر معه، عن ابن عباس وابن زيد. وقيل: لم يسلم منهم إلا رجل واحد.

وقيل: نزلت في جماعة من مَرَدَةِ المشركين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أشياء، فإن أنبأ عنها كذبوه وقالوا: لونشاء لقلنا مثل هذا، حكاه الأصم.

۞ المعنى

لما نهى عن التشبه[2] بالكفار بين حالهم فقال: «**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**» يعني شر الخلق، وشبه الكفار بالدواب ذمًا لهم؛ لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون، ولا يتدبرون، ولا يعقلون، وهذه طريقة مذمومة في العقلاء غير مذمومة في الدواب، ولأن معرفة الدين واجب، فإذا لم يعرفوا استحقوا العقاب والدواب لا تستحق عذابًا[3] «**عِنْدَ اللَّهِ**» أي: في حكمه «**الصُّمُّ الْبُكْمُ**» قيل: التصامم عن سماع الحق فلا يقبله، ولا يقوله، ولا يبصر، كالأصم والأبكم والأعمى، وقيل: الأصم: الآذان عمي القلوب، عن ابن زيد، كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] «**الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**» قيل: لا يعلمون أمر الله ونهيه، وقيل: لا يعلمون ما لهم في اتباع الرسول من الثواب، وما عليهم في مخالفته من العقاب «**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ**» أي: لو علم أنهم يصلحون بما يورده عليهم من حجة وآية لأسمعهم إياها، ولكن لا يصلحون، «**لأسمعهم**» قيل: الحجج والمواعظ سماعَ تَفَهُّم وتعليم، عن

(١) الدواب: الدوام، ض.

(٢) التشبه: الشبه، د.

(٣) عذابًا: ـ، د.

ابن جريج وابن زيد. وقيل: لأدخله[1] آذانهم وهو الوحي والقرآن، عن أبي مسلم. وقيل: لأسمعهم كلام الموتى الذي نطلبوا إحياءهم[2] نحو قصي بن كلاب وغيره ليشهدوا نبوته، عن أبي علي. وقيل: لأسمعهم جواب كل[3] ما يسألون[4] عنه، عن الزجاج. وقيل: لو علم أنهم سألوا[5] تلك المعجزات تعريفًا لأسمعهم جواب ما سألوا عنه[6]، ولكن علم أنهم يسألون[7] ذلك تعنتًا؛ ولذلك لم يجبهم[8] «**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ**» قيل: القرآن، وقيل: ما سألوا «**لَتَوَلَّوْا**» عنه، أي: أعرضوا عنه، قيل: عن القرآن، وقيل: عما سألوا، وقيل: عن النبي ﷺ «**وَهُمْ مُعْرِضُونَ**» أي إعراض إنكار ورَدٍّ[9].

۞ الأحكام

تدل الآية على تشبيه من لا ينتفع بالسماع والكلام بالصم والبكم[10]، وأنهم شر الدواب، ووجه التشبيه أن الكافر لا يهتدي[11] في أمر دينه كالدابة.

وتدل على أنهم سألوه شيئًا لم يجابوا إليه؛ لما علم أنهم لا يؤمنون، والمروي أنهم سألوه أن يحيي لهم قصي بن كلاب ليتعرفوا[12] منه بنبوة محمد.

وتدل على صحة الحجاج؛ لأنه احتج عليهم، وبَيَّنَ ما لأجله لم يفعل ما سألوه.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ يلطف لمن كان له لطف، وإنما لا يلطف إذا كان المعلوم أنه لا ينتفع، عن أبي علي.

---

(١) لأدخله: لوأدخله؛ د، ض.
(٢) إحياءهم: إخبارهم، ض.
(٣) كل: ـ ، ض.
(٤) يسألون: يسألوا؛ د، ض.
(٥) سألوا: سمعوا، د.
(٦) جواب ما سألوا عنه: ـ، د.
(٧) يسألون: يسألوا؛ د، ض.
(٨) يجبهم: يجيبهم، د.
(٩) إنكار ورد: إنكار أو رد، ض.
(١٠) بالصم والبكم: بالصم البكم، د.
(١١) لا يهتدي: لا يهدي، ض.
(١٢) ليتعرفوا: ليعترفوا، د.

وتدل على أن التولي[١] والإعراض فعلهم.

قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾

القراءة

قراءة العامة: «**بين المرء وقلبه**» بفتح الميم وسكون[٢] الراء[٣] مخففة مهموزة، وعن الحسن بتشديد الراء من غير همز، وعن الزهري بضم الميم والهمز، وكلها لغات.

اللغة

الاستجابة والإجابة بمعنى، وقيل: الاستجابة: طلب الإجابة فيما دعا إليه، قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى[٤] فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ[٥] ذَاكَ مُجِيبُ[٦]

أي: لم يجبه.

والفتنة: أصلها الاختبار والامتحان[٧]، ثم تستعمل في العذاب والهرج والكفر. والخاصة: ما كان لك من شيء دون غيرك، ونقيضه العامة.

(١) التولي: التوالي.
(٢) سكون: كسر؛ د، ض.
(٣) الراء: الباء، د.
(٤) الندى: البدا؛ د، ض.
(٥) عند: عن، ض.
(٦) قاله كعب الغنوي، انظره في الصحاح (جوب)، والمحكم (جوب)، وتاج العروس (جوب).
(٧) والامتحان: ـ ، د.

الإعراب

اختلفوا في وجه قوله: «**لا تصيبن**» من الإعراب على قولين:

الأول: أن قوله: «**لا تصيبن**» ليس بجواب، ولكنه نهي بعد أمر، ولو كان جوابًا ما دخلت النون، وفيه معنى إذا، ومثله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل:١٨]، ومثله في النهي: لا أَرَيَنَّكَ ههنا.

الثاني: قيل: إنه على مخرج جواب القسم، قال بعض الكوفيين: أمرهم ثم نهاهم وفيه طرف من الجزاء وإن كان نهيًا.

النزول

قيل: نزلت هذه الآية في أصحاب النبي ﷺ خاصة[١]، عن ابن عباس.

وقيل: أمر الله المؤمنين ألاّيقروا المنكر بَيْنَ[٢] أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير، وقال الزبير: لقد قرأنا[٣] هذه الآية زمانًا وما أرانا مِنْ أَهْلِها[٤] فإذا نحن المعنيون بها، فخالفنا حتى أصابتنا خاصة.

وقال السدي ومقاتل: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل، فاقتتلوا.

وقيل: نزلت في قتل عثمان، وإنما تكون الفتنة على قاتل عثمان ومن قاتل عليًا[٥] وحاربه.

المعنى

ثم أمر ـ تعالى ـ بإجابة دعائه وحذر من[٦] مخالفة أمره، فقال سبحانه: «**يا أَيُّهَا**

---

(١) خاصة: -، د.

(٢) المنكر بين: أن الكفر والمتكبرين، ض.

(٣) قرأنا: قرأت؛ د، ض.

(٤) ما أرانا من أهلها: وما درينا مَنْ أهلُها، د.

(٥) عليا: علينا، ض.

(٦) من: عن، د.

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ» قيل: أجيبوا، عن أبي عبيدة والزجاج. وإجابته طاعته في ما[1] أمر ونهى، وقيل: داوموا[2] على ما أنتم عليه من الإجابة لله «**وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**» واللام بمعنى إلى[3] .

واختلفوا في قوله: «**يحييكم**» قيل: الإيمان يحييهم[4] بعد موتهم أي كفرهم، عن السدي. وتقديره: إذا دعاكم إلى الإيمان والطاعات التي هي حياة النفس، وقيل: إلى الحق، عن مجاهد. وقيل[5] : هو القرآن في الحياة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة، عن مجاهد.

وقيل: هو الجهاد؛ أي: دعاكم إلى إحياء أمركم[6] وإعزاز دينكم لجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم، عن محمد بن إسحاق والفراء وأبي علي. وقيل: هو العلم والعمل، أي: يحييكم بالعلم[7] والعمل فيهما تهدون وتنالون الدرجات، وقيل: هو الشهادة، عن القتبي، وقرأ: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقيل: إلى الجنة وما يورثكم[8] فيها من الحياة الدائمة ونعيم الأبد، عن أبي مسلم.

«**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**» قيل: يفرق بين المرء والانتفاع بقلبه بالموت أو إذهاب[9] اللب أو غيره من الآفات[10] فلا يمكنه استدراك ما فات، عن أبي علي وأبي مسلم. وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع، وقيل: يحول بين المرء وبين ما يتمناه ويريد[11] بقلبه، فالأجل حال دون الأمل، والتقدير منع التدبير، وقيل:

---

(١) ما: فيمن، ض.
(٢) داوموا: دوموا؛ د، ض.
(٣) إلى: التي، د.
(٤) يحييهم: ـ، د.
(٥) وقيل: قيل، د.
(٦) أمركم: لبركم، ض.
(٧) بالعلم: العلم، ض.
(٨) يورثكم: يؤثركم، ض.
(٩) إذهاب: بالإذهاب، ض.
(١٠) الآفات: الأوقات، ض.
(١١) ويريد: فيريد، د.

أراد أنه أقرب إليه من حبل الوريد لا يخفى عليه منه شيء، وفيه تحذير شديد، عن قتادة. وقيل: أراد تبديل قلبه من حال إلى حال؛ لأنه مقلب القلوب، فكأنهم دعوا إلى الجهاد مع ضعف الحال، فخافوا كأنهم يساقون إلى الموت، وأعلمهم الله أنه يبدل خوفهم أمنًا بأن[1] يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه وبين الخوف الذي لحقهم في قلوبهم، عن الأصم. ولا يجوز حمله على المنع من الإيمان[2]؛ لأن الظاهر بخلافه، ولأنه ـ تعالى ـ دعا إلى الإيمان، ووعد[3] عليه، وأوعد[4] على تركه، فلا بد أن يكون المجيب هو العبد لاستحالة أن يكون الداعي والمجيب واحدًا، واعلموا أنكم «**إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**» أي: تجمعون إلى الجزاء إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فمن أجل هذا يجب المبادرة إلى الطاعة والتوبة.

«**وَاتَّقُوا فِتْنَةً**» قيل: عذابًا، عن ابن عباس وأبي مسلم. وقيل: اختبارًا وبليَّه تصيبكم[5]، عن الحسن. وقيل: ضلالة، عن ابن زيد. وقيل: هرجا[6]، وقيل: قحطًا.

«**لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**» فيه قولان:

الأول: أن معناه أنها تعم ولا تصيب الظالم خاصة، ثم اختلف هؤلاء في معنى الآية، فقيل: هو العذاب، أي: لا يصيب ذلك الظالم خاصة يعني لا تفعلوا المعاصي، ومروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فإنكم إن لم تفعلوا عمكم العذاب، عن ابن عباس. وقيل: هوعذاب الاستئصال يصيب الظالم عقوبة وغير المكلف[7] محنة وإتمامًا لأجله. وقيل: هو القحط إذا وقع بسبب الظلمة وانسداد الطرق تعم الخلق تلك المحنة، وقيل: هو الهرج إذا وقع دخل ضره[8] على كل أحد.

---

(١) بأن: بين بأن، ض.
(٢) الإيمان: الأمان، ض.
(٣) ووعد: وأوعد، ض.
(٤) وأوعد: ووعد، ض.
(٥) وبلية تصيبكم: ويليه نصيبكم؛ د، ض.
(٦) هرجا: هجرًا، د.
(٧) المكلف: الملك، ض.
(٨) ضره: ضرره، د.

الثاني: أن المراد بذلك أن ذلك يخص الظالم، ثم اختلفوا، فقيل: (لا) زائدة؛ لأن الغرض منع الناس عن الظلم، فلا يكون كذلك إلا على هذا الوجه، وتقديره: واتقوا عذابًا يصيب الظلمة خاصة، وروي الزبير أنه كان قرأ: **(لتصيبن الذين ظلموا)** وهو محمول على أنه فسره، وقيل: فيه حذف (إلا)، تقديره: لا تصيبن إلا الذين ظلموا خاصة دون المؤمنين.

وقال أبو مسلم: تقديره: احذروا أني خصال ظالم منكم بعذاب، أي: لا تظلموا فيأتيكم عذاب لا ينجو منه إلا من زال عنه اسم الظالم، وهو[1] الكفر والمعاصي، وقيل: تقديره: لا يصيبن ذلك العذاب الظالم خاصة كقولك: انزل عن[2] الدابة لا تطرحك[3] ، معناه: إنْ تنزل لا تطرحنك[4] ، وكذلك[5] إن تركت الظلم لا تصيبنك الفتنة، عن الفراء.

«**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**» يعني عقابه شديد لمن عصى وظلم، وقيل: شديد العقاب لمن يستحقه، عن أبي علي[6] . وفيه[7] تحذير عن مخالفة أمره.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الإجابة لله والرسول فيما دعا إليه.

وتدل على وجوب المسارعة قبل حلول المنع به.

وتدل على التحذير من العقاب الذي يصيب الظلمة.

وتدل على وعيد أهل الصلاة لأنه إن كانوا ظلمة دخلوا[8] في الآية.

---

(١) وهو: له، ض.
(٢) عن: على، ض.
(٣) لا تطرحك: لا تطرحنك، د.
(٤) معناه إن تنزل لا تطرحنك: ـ ، ض.
(٥) وكذلك: فكذلك، د.
(٦) عن أبي علي: ـ ، ض.
(٧) وفيه: وقيل، ض.
(٨) دخلوا: فيدخلوا، ض.

وتدل على أن الظلم فعلهم؛ ولذلك[1] سموا ظالمين.

قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

اللغة

الضعف خلاف القوة، وليس بضد للقوة؛ لأن ضدها العجز. والاستضعاف: طلب الضعف.

والتخطف: الاستلاب، والأخذ بسرعة تَخَطَّفَ تَخَطُّفًا، وخَطِفَ خطفًا[2]، واختطف اختطافًا، وبَرْقٌ خاطف لنور الأبصار، والشيطان يخطف السمع ليسترقه، ويقال له: الخطاف، وجمل خطيفٌ سريع المرور، وتلك السرعة[3] الخطفاء.

والمأوى: المسكن[4] الذي يأوي إليه، وآواه: جعل له مأوى يسكن فيه ويرجع إليه، آواه يُؤْويه إيواءً، والمأوى: مكان كل شيء، وآوى الإنسان إلى منزله يأوي أَوْيًا.

والأيد: القوة، وأَيَّدَه: قَوَّاه، وآد[5] الرجل يَئِيدُ أَيْدًا[6]: إذا اشتد وقوي، ومنه: أيده الله، والمؤيد: الأمرالعظيم، سمي به لقوته، قال طرفة:

ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد[7]

---

(١) ولذلك: فكذلك، د.
(٢) خطفا: ـ ، ض.
(٣) السرعة: السريعة، د.
(٤) المسكن: السكن، د.
(٥) وآد: وإذا، د.
(٦) يئيد أيداً: يبيد أبدًا، ض.
(٧) تمام البيت:

تقولُ وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُها ... أَلَسْتَ ترى أنْ قد أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ

انظره في العين (تر) والصحاح (ايد) واللسان (أيد)، وتاج العروس (أود).

۞ الإعراب

«**لعلكم**» قيل: لكي تشكروا، عن أبي مسلم. ومعناه: الإرادة، يعني: رزقكم ليريد منكم الشكر، قال أبو علي: لا يجوز عليه الشكر[١] ؛ لأنه عالم لم يزل.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية[٢] في أصحاب النبي ﷺ بعد قتال أهل بدر، عن مقاتل.

وقال قتادة: كان هذا الحي من العرب أكثر الناس ذلاً، وأشقاهم عيشًا، وأجوعهم بطنًا، وأعراهم جلدًا، وأبينهم ضلالاً، من عاش عاش شقيًا، ومن مات صار إلى النار حتى جاء الله بالإسلام، فمكن[٣] لهم البلاد، ووسع لهم في الرزق، وهداهم من الضلالة، وجعلهم ملوكًا، جميع ذلك أعطاهم بالإسلام فاشكروا نعمه فإن[٤] ربكم يحب الشكر، وضمن لأهل الشكر[٥] المزيد.

۞ المعنى

ثم ذكرهم الله نعمه فإن ربكم يحب الشكر[٦] على[٧] نصرهم[٨] وغير ذلك مما[٩] أوجب الشكر، فقال سبحانه: «**وَاذْكُرُوا**» خطاب للمؤمنين «**إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ**» في العدد، وكانوا كذلك قبل الهجرة في بُدُوِّ الإسلام، وقيل: ما كانوا عليه في البادية، وقيل: ما كان عليه العرب قبل الإسلام، وقيل: أراد يوم بدر «**مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ**» قيل: ضعفاء بأرض مكة، وقيل: بأرض العرب «**تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**» قيل:

---

(١) الشكر: الشك؛أ، د، ض.
(٢) الآية: ـ ، د.
(٣) فمكن: ممكن، د.
(٤) فإن:+، د.
(٥) وضمن لأهل الشكر: ـ ، أ، ض.
(٦) فإن ربكم يحب الشكر:−، د.
(٧) على: من؛ أ، د، ض.
(٨) نصرهم: نصره، د.
(٩) مما: ما؛ أ، د، ض.

يقتلونكم[١] ، عن أبي علي. وقيل: يأخذونكم بسرعة من الضعف، وقيل: مطرودون في البلدان، عن الأصم. «**النَّاسُ**» قيل: كفار قريش، عن قتادة وعكرمة. وقيل: فارس والروم، عن وهب. «**فَآوَاكُمْ**» قيل: جعل لكم مأوى حَرِيزًا تسكنون فيه وترجعون إليه، وقيل: آواكم إلى المدينة، عن السدي. «**وَأَيَّدَكُمْ**» قواكم[٢] بِنَصْرِهِ» قيل: نصره[٣] يوم بدر حتى قتل الصناديد، وظهر الإسلام، وقيل: قواكم بالأنصار، وهم الأوس والخزرج[٤] بالمدينة «**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**» قيل: الغنائم، فأحلها[٥] لكم، ولم يحلها لأحد قبلكم، وقيل: نعم الأمصار[٦] ، وما آتاهم من كنوز فارس والروم، وقيل: هو عام في جميع ما أعطاهم «**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**» أي: لكي تشكروا، فيجازيكم جزاء الشاكرين.

الأحكام

تدل الآية على قلة عدد المسلمين في بُدُوِّ الإسلام وضعفهم وكثرة[٧] عدد الكفار، واستظهارهم[٨] بنصره، وتقويته إياهم حتى ظهر دينهم، وفتحوا البلاد، وذلك نعمة عظيمة، ومعجزة للنبي ﷺ.

وروي أن المسلمين ببدر كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر[٩] ليس فيهم إلا فرس واحد، والكفار بين سبعمائة[١٠] إلى ألف، كثيرو العدة، ثم آل[١١] أمرهم إلى ما آل.

---

(١) مستضعفون في. . . . يقتلونكم :ـ، د.
(٢) قواكم: ـ ، أ، ض.
(٣) نصره: بنصره، د.
(٤) الأوس والخزرج: أوس الخزرج، ض.
(٥) فأحلها: ليحلها؛ أ، د، ض.
(٦) الأمصار: الأنصار، ض.
(٧) وكثرة: وقلة، ض.
(٨) واستظهارهم: ثم استظهارهم، د.
(٩) بضعة عشر: بضع عشرة؛ أ، د، ض.
(١٠) سبعمائة: تسعمائة، د.
(١١) ثم آل: ثم أتاك، ض.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ أنعم عليهم بالنصر، وفتح البلاد.

وتدل أنه أراد من عباده الشكر.

قوله تعالى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾

القراءة

ظاهر القراءة «**أماناتكم**» على الجمع، وعن مجاهد «**أمانتكم**» على واحد.

اللغة

الخيانة خلاف الأمانة، وأصله: النقص، وأصله: الخَوْنُ، والتخون: التَّنَقُّص[1]، يخونني فلان حقي: إذا انتقصك، وسمي الخِوَان؛ لأنه يتخون ما عليه؛ أي: ينتقص. وقيل: هو أعجمي معرب.

والأمانة: مأخوذة من الأمن لمنع الحق.

والمال معروف، وجمعه: أموال، قيل: سمي به لأنه يميل بصاحبه، وتمول: اتخذ مالاً، ومال بمال: إذا كثر ماله.

الإعراب

يقال: ما موضع «**تخونوا**» من الإعراب؟

قلنا: فيه وجهان:

الأول: قال الأخفش: الجزم على النهي، على تقدير: ولا تخونوا، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: النصب على الظرف، أي أنكم إذا خنتم الرسول فقد خنتم أماناتكم في معنى قول السدي، قال الشاعر:

---

(١) التنقص: التنقض، د.

لاَ تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُـقٍ وَتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ   عَـارٌ عَـلَـيْـكَ إِذَا فَـعَـلْـتَ عَـظِـيـمُ[1]

وقيل[2] نصب على النهي بالواو، العرب تنصب النهي بالواو، كما تنصبه بالفاء.

النزول

عن عطاء بن أبي رباح[3] قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل إلى النبي ﷺ وقال: إن أبا سفيان في مكان كذا فاخرجوا إليه[4] واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إليه أن محمدًا يريدكم، فخذوا حذركم، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية.

وقال السدي: كان يسمعون أسرار النبي، ويفشونها[5] حتى يبلغ المشركين، ففيه نزلت الآية.

قال[6] الزهري والكلبي: نزلت في أبي لبابة بن[7] عبد المنذر بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان فيهم ماله وولده، فقالوا له: ما ترى؟ فأشار إلى حلقه، وقال: إنه الذبح، قال أبو لبابة[8]: فما زالت قدماي[9] حتى عرفت[10] أني خنت الله ورسوله، فنزلت الآية، فربط نفسه في سارية سبعة أيام لا يذوق شيئًا حتى قبل توبته، وقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيه الذنب وأنخلع عن مالي، فقال ﷺ: «يجزيك الثلث أن تتصدق به».

---

(١) روي لأبي الأسود الدؤلي، انظره في اللسان (عظظ)، وتاج العروس (عظظ).

(٢) وقيل: وقرئ؛ أ، د، ض.

(٣) عن عطاء بن أبي رباح، ض.

(٤) فاخرجوا إليه: ـ ، أ، ض.

(٥) ويفشونها: ويفشونه؛ أ، د، ض.

(٦) قال: وقال، د.

(٧) لبابة بن: لبانة عن، ض.

(٨) لبابة: لبانة، والصحيح ما أثبتناه من تاريخ الطبري: ٢/ ٩٩، سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٤٣، أسد الغابة: ١/ ٢٠٤، الإصابة: ٧/ ١٢٠، الطبقات الكبرى: ١/ ٣٠، ٢/ ٢١.

(٩) قدماي: قدماك؛ أ، د، ض.

(١٠) حتى عرفت: ـ ، ض.

وقال المغيرة بن شعبة: نزلت في قتل عثمان بن عفان.

وقيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مكة لما هَمَّ النبي ﷺ بالخروج إليها، حكاه الأصم.

المعنى

ثم أمرهم[1] عقيب ما عده عليهم من نعمه بامتثال أوامره وترك الخيانة فيها، فقال سبحانه: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» ظاهرا» **لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**» ولا تنقضوا حظ أنفسكم من الغنيمة العاجلة والمثوبة الآجلة بمعصية الله ورسوله، وقيل: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سننه وشرائعه، عن ابن عباس. قال الحسن: من ترك شيئًا من الدين وضيعه فقد خان الله،وهو اختيار قاضي القضاة، وقيل: لا تخونوه بأن توافقوه في العلانية، وتخالفوه في السر، كما صنع المنافقون، عن الحسن والسدي وأبي مسلم. وقيل: لا تخونوا الله ورسوله في ما لا لله الذي جعله لعباده، وهو الغنائم وسائر أموال بيت المال؛ لأن المستحق لصرف هو قسمته هو الرسول بأمر الله، وقيل: هو الغنائم، عن أبي علي. وقيل: لا تدعوا النصيحة في دين الله، فتكونوا خائنين لله ولرسوله، وقيل: لا تخونوا الله والرسول بإفشاء أسراره،كفعل[2] «**وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**» قيل: إذا خانوا الله فقد خانوا أماناتهم؛ لأن ضررها يعود عليهم بفوت الثواب ولزوم العقاب، عن السدي وأبي مسلم. وقيل: لا تخونوا أمانتكم، يعني: أمانات بعضكم بعض، وقيل: لا تخونوا ما أسألكم[3] وما ائتمناكم عليه[4] من أموال[5] بيت المال بأن تمنعوها عن مستحقيها[6]، وقيل: دين الله أمانته فأدوا إليه ما ائتمنكم عليه، عن قتادة وابن زيد. وقيل: الأموال أمانة في أيديكم، فلا تنفقوها في

---

(١) أمرهم: أمره، ض.

(٢) كفعل: فعل؛ أ، ض، د.

(٣) أمانتكم يعني أمانات. . . أسألكم: ـ ، ض.

(٤) وما ائتمناكم عليه: وما ائتمناكم من إيمانكم، ض.

(٥) من أموال: ـ ، أ، ض.

(٦) مستحقيها: مستحقها، د.

المعاصي، فتكونوا قد خنتم، عن قتادة وابن زيد. «**أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**» قيل: وأنتم تعلمون[١] أنها أمانة من غير شبهة[٢] ، وقيل: وأنتم تعلمون ما في الخيانة من العقاب خلاف الجهال بتلك الحال. «**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**» قيل: اختبار وامتحان شديد[٣] في التكليف، عن أبي علي. وهو عام، وإنما خص المال والولد لأنهما الداعيان إلى الخيانة والحرص الشديد في تميز المال، وعاقبة من ظهرت خيانته لأجلها العقاب، ومن حسن ولم يخن الثواب، وقيل: سماها فتنة؛ لأن العبد يحب البقاء لأجلها، ويترك الجهاد في سبيل الله. قال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة لأنه ـ تعالى ـ يقول: «**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**»، فمن استعاذ بالله فليستعذ[٤] من مضلات الفتن، وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتن[٥] ، فقال: إذن يقل مالك وولدك، قل: إني أعوذ بك من مضلات الفتن، وقيل: كان لأبي لبابة[٦] في[٧] قريظة مال وولد، فأراد أن يتقرب إليهم بإعلامهم ذلك مخافة ماله وولده.

ومتى قيل: إذا أمر بالعلم بذلك فما طرائق هذا العلم؟

فجوابنا: التفكر[٨] في أحوالهما وزوالهما، وقلة الانتفاع بهما، وكثرة الضرر أن تعصي بسببهما[٩] .

«**وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**» أي: ثواب عظيم يستحق بطاعته.

---

(١) قيل وأنتم تعلمون: ـ ، د.
(٢) شبهة: سهلة، ض.
(٣) شديد: تشديد، د.
(٤) استعاذ بالله فليستعذ: استعاذ فليستعذ بالله، د.
(٥) الفتن: اليقين، ض.
(٦) لبابة: لبانة، ض، د.
(٧) في: من، ض.
(٨) التفكر: التكفير، ض.
(٩) بسببهما: بسببها، د.

۞ الأحكام

تدل الآية أن كل من عصى الله فقد خانه.

وتدل على أن الخيانة في الأمانات من الكبائر.

وتدل على أن الخيانة مع العلم أعظم في الوزر؛ لذلك قال: «**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**».

وتدل على أن المال والولد فتنة وامتحان[1] ، فربما صار نعمة بأن ينفقها في الطاعات ويستعين بها في مصالح[2] دنياه وآخرته وما أبيح له، وربما[3] تكون سبب العقوبة إذا أنفقها في معاصي الله أو عصى الله بسببها، أو أقدم على محرم، أو أخل بواجب، وكذلك الولد، فربما[4] يستغني به في الطاعة فيكون نعمة، وربما يميل به عن أمر الله، فيكون سبب عقوبة، فهذا مما[5] يتغير بحال المكلف.

وتدل على أن[6] الثواب معد عنده للمكلف[7] متى أطاعه، فهو ترغيب في الطاعة، وترهيب عن المعاصي، وتدل على أن الخيانة فعل العبد، وليس بخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

۞ اللغة

التقوى والاتقاء: هو الامتناع من البلاء بما عجز عنه، وأصله من الوقاية، وهو ما

---

(١) وامتحان: وأنه امتحان، ض.

(٢) مصالح: المصالح، ض.

(٣) وربما: ربما، د.

(٤) فربما: وربما، د.

(٥) مما: ما، ض.

(٦) أن: ـ ، (ض).

(٧) للمكلف: لكل مكلف، د.

يقي من الشيء، وَقَيتُ الشيء أَقِيهِ وَقْيًا، **واتقى الشيء؛ أي: توقاه**[(١)]، وقد اتقيته أنا، والتقوى فَعْلَى منه[(٢)] وأصله: وَقْوَى، قلبت[(٣)] الواو تاء[(٤)] لأنه من وقيت أي: منعت، وقيل: التقوى في الدين، والاتقاء عام، عن علي بن عيسى. وتقاة: أصله وقاة، كقولهم: تجاه[(٥)]، ووجاه[(٦)]. وتراث أصله: وُرَاث.

والفرقان مصدر[(٧)] كالرجحان والنقصان، تقول: فرقت بين الشيء وغيره أَفْرُقُ فرقًا وفرقانًا وفروقًا.

والتكفير أصله: التغطية، ومنه قول الشاعر يصف الشمس إذا غربت:

حـتـى إذا ألـقـت يـدًا فـي كـافـر[(٨)]

ومعناه: ههنا التطهر، كأنه غطى على[(٩)] سيئاته، وقيل: إذا أزيل ذلك الشيء[(١٠)] المغطي فقد وقع التكفير، والمُكَفِّرُ: المغطي، والمُكَفَّرُ: ما قد أزيل غطاؤه، عن أبي مسلم.

الإعراب

«**يجعل**» جزم؛ لأنه جواب الشرط.

ومتى قيل: لم جاز الشرط في خبره ـ تعالى ـ مع أنه يقتضي السبب؟

فجوابنا: لأنه يعامل العباد معاملة المختبر للظاهر[(١١)] والعدل.

---

(١) توقاه: توقه؛ أ، د، ض.
(٢) منه: ـ ، أ، ض.
(٣) قلبت: فكتب، د.
(٤) تاء: ياء، د.
(٥) تجاه: نجاة؛ أ، د، ض.
(٦) ووجاه: وجاه، د.
(٧) مصدر: مصدره، د.
(٨) البيت للبيد، وتمامه:
حَـتـىَّ إذا أَلْـقَـتْ يَـدًا فـي كَـافِـرٍ وأَجَـنَّ عَـوْرَاتِ الـثُّـغُـورِ ظَـلاَمُـهـا
انظره في الصحاح (كفر).
(٩) على: عن، د.
(١٠) الشيء: ـ ، د.
(١١) للظاهر: الظاهر، د.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: قيل: إنه يتصل بأول[١] السورة والأمر بالجهاد، تقديره: إن تتقوا مخالفة الله فيما يأمركم من جهاد عدوكم «**يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**» أي: برهانًا يفرق بين الحق والباطل، عن الأصم. وقيل: لما أمر بطاعته وترك الخيانة فيها بَيَّنَ ما أعد لِمَنْ يمتثل[٢] أمره في الدنيا والآخرة.

۞ المعنى

«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ**» قيل: إن تتقوا معاصيه والخيانة في أوامره ونواهيه، وقيل: تتقوا عقابه بطاعته «**يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**» قيل: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، عن ابن زيد وابن إسحاق. وقيل: مخرجًا في الدنيا والآخرة، عن مجاهد ومقاتل. وقيل: نجاة منك لغم، عن السدي وعكرمة[٣]. وقيل: فتحًا ونصرًا، عن الفراء والكسائي، نحو قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل: بيانًا، عن الضحاك. وقيل: نصرًا وعزًا وثوابًا لكم، وعلى أعدائكم خذلانًا وعقابًا وذلاً، كل[٤] ذلك يفرق بينكم وبين الكفار في الدنيا والآخرة، عن أبي علي، وهو اختيار القاضي. وقيل: يميز بينكم وبين الكفار؛ يعني: يعزكم ويذلهم، ويمدحكم ويذمهم، ويثيبكم ويعاقبهم عن أبي مسلم. «**وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**» قيل: يكفر الصغائر باجتناب الكبائر، وتغفر الكبائر بالتوبة، «**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**» أي: يعطي النعم[٥] العظيمة، وقيل: معناه أنك[٦] تملك النعم العظيمة، فينبغي أنَ تطلب عن أبي علي. وقيل: إذا ابتدأكم[٧] بالفضل العظيم فهو كريم لا يمنعكم ما استحققتم من الثواب بطاعتكم،

(١) بأول: بأوالي، د.
(٢) يمتثل: امتثل، د.
(٣) وعكرمة: وعجرمة، ض.
(٤) كل: لكل، د.
(٥) النعم: النعمة، د.
(٦) أنك: أن، ض.
(٧) ابتدأكم: أعداءكم، ض.

وقيل: تفضل بنعم الدنيا، ودعا إلى نعم الآخرة، وقيل: ابتدأ بالنعم وأوجب الزيادة بالشكر وهو نهاية الفضل، وقيل: لأنه ضَمِنَ الثواب الدائم على عمل لا ينفعه، وقيل: يعطي على القليل الكثير.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن بالتقوى يستحق ما أعد لهم من الثواب، خلاف قول المرجئة أن الفاسق يستحقه.

وتدل على الفرق بين التكفير والغفران، فتدل على ما نقوله: إن السيئات ـ وهي الصغائر ـ تصير مكفرة باجتناب الكبائر، والكبائر يغفرها بالتوبة، وقد قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١] ولو كان الجميع بابًا واحدًا لما فَرَّقَ بينهما.

وتدل على أن[1] التقوى فعلهم؛ ليصح فائدة الكلام، وكذلك السيئة.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

۞ القراءة

قراءة العامة: «**لِيُثْبِتُوك**» عن النخعي، «**ليبيتوك**» بالياء من البيات وهو الهجوم بالليل للإيقاع به.

۞ اللغة

المكر: الاحتيال والخداع، وقيل: الحيلة اللطيفة، والمكر: التدبير[2]، والمكر: القتل إلى جهة الشيء في خفية.

---

(١) أن: ـ ، أ، ض.

(٢) المكر والتدبير: ـ ، أ، ض.

قال الأزهري: المكر من الناس: حِيَلٌ وخداع، ومن الله جزاء.

وثبت الشيء ثباتًا، وثبت في الحروب إذا لم يزِلَّ ولم يصرع، وأثبته السقم: لم يكد يفارقه، وأصبح المريض ميتًا أي: لا حراك به، ويقال للراوي: إنه الثبت[1]، والإثبات: الثبات، وأثبته: حبسته، يقال: رماه فأثبته أي: حبسه مكانه.

۞ الإعراب

العامل في قوله: «**وإذ يمكر**» قيل: محذوف، تقديره: واذكر إذ يمكر، وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦] تقديره: واذكروا إذ نصركم وأنتم قليلون، واذكروا إذا مكروا فنجاكم؛ لأن نجاته من مكرهم نعمة عليه.

۞ النظم

يقال: بم تتصل الآية؟

قلنا: قيل: تتصل بقوله: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ كأنه قال: اذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر فيه الكفار، عن الأصم وأبي مسلم وجماعة من المفسرين، وهوالصحيح؛ لأن هذه السورة مدنية، وهذه القصة جرت بمكة ولكنه ـ تعالى ـ ذكَّرهم ذلك بالمدينة، كما ذكرهم في براءة[2] حديث الغار بقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقيل: يتصل بما قبله، يعني إن تتقوا يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي وأصحابه نجاة من مكرهم فاذكروا ذلك.

۞ النزول

عن ابن عباس، وقتادة، وجميع المفسرين، أنها نزلت في قصة دار الندوة، وذلك أن نفرًا من قريش أمروا فيها بأمر النبي ﷺ فأشار بعضهم بالقتل، وبعضهم

(١) الثبت: ليثبت، د.
(٢) براءة: البراءة، د.

بالإخراج، أشار أبو جهل بالقتل، وأوحى الله إلى نبيه، فخرج إلى الغار، وسنذكر القصة.

المعنى

«**وَإِذْ يَمْكُرُ**» يحتال في إبطال أمركم[1] «**بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**[2]» قيل[3] : **يدبر في هلاكك** «**بِكَ**» يا محمد «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» مشركو قريش اجتمعوا في دار الندوة، وهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري بن هشام، وزمعة[4] الأسود، وحكيم بن حزام، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف وغيرهم «**لِيُثْبِتُوكَ**» قيل: ليقتلوك، فيثبتوك[5] في الوثاق، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، ليثبتوك[6] وثاقًا، وقيل: ليثبتوك في الحبس، ويسجنوك في بيت، عن عطاء وعبد الله بن كثير والسدي. وقيل: ليثخنوك بالجراحة والضرب كما يقال: أثبته في الحرب: إذا جرحه، عن أبان بن تغلب وأبي حاتم وأبي علي. قال الشاعر:

فقلتُ ويحك ماذا في صَحيفَتِكُم قالوا الخَليفَةُ أَمسى مُثبَتًا وَجِعا[7]

أي: جريحًا.

«**أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ**» قيل: من مكة إلى طرف من أطراف الأرض، كمن يستحق النفي، وقيل: من وطنك، عن أبي مسلم. وقيل: يخرجوك على بعير يطرد حتى تهلك أي يكفيك بعض العرب في رأي أبي البختري، عن الفراء، «**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ**» قيل: يدبرون في أمرك، ويدبر الله في أمرهم، عن أبي مسلم. وقيل: يقولون ويقول الله، عن الحسن. وقيل: يصنعون ويصنع الله، عن الضحاك. وقيل:

(١) يحتال في إبطال أمركم: ـ ،أ، ض.
(٢) بك الذين كفروا: ـ ، د.
(٣) قيل: وقيل، د.
(٤) وزمعة: ربيعة بن الأسود، د.
(٥) فيثبتوك: يثبتوك، ض.
(٦) ليثبتوك: يشدوك، د.
(٧) ليزيد بن معاوية، انظره في الأغاني ١٧/ ٢١٠

احتالوا[١] في أمرك من حيث لا تشعر[٢]، فأحل بهم ما أراد من عذابهم[٣] من حيث لا يشعرون، عن أبي علي. وقيل: مكروا فجازاهم على مكرهم، فسمي جزاء المكر مكرًا لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقيل: يدبرون، والله ينقض تدبيرهم، عن أبي مسلم. «**وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**» قيل: لأن مكره خير وصواب، وهو إنزال المكروه بمن يستحق، ومكر العباد قد يكون في الباطل عن الأصم وأبي علي. وقيل: والله خير المدبرين والفاعلين عن أبي مسلم. وقيل: خير مَنْ ينزل المضار بمن لا ينتظر، وقيل: خير من يجازي على المكر، وقيل: خير بمعنى أقوى وأشد، وقيل: تقديره: خير لو قُدِّرَ في مكرهم خيرٌ.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظيم نعمه على رسول الله ﷺ، وعلى المسلمين في دفع مكر الكفار عنه.

وتدل على معجزة عظيمة.

۞ القصة

ذكر ابن عباس ومجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين ونقلة الأخبار أن قريشًا لما أسلمت الأنصار وفشا الإسلام خافوا أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ، ويظهر دينه، فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب، وكانوا يجتمعون[٤] فيها[٥] تبركًا ويمنًا، وتشاوروا[٦] في أمره، واجتمع معهم شيخ[٧] من أهل نجد دخل في

(١) احتالوا: يحالوا، ض.
(٢) تشعر: يشعرون، ض.
(٣) عذابهم: عذابه، ض.
(٤) يجتمعون: يجمعون، ض.
(٥) فيها: فيه؛ د، ض.
(٦) وتشاوروا: وشاورا، د.
(٧) شيخ: شيخا؛ د، ض.

المشاورة، فقال أبو البختري: احبسوه في بيت، وشدوا وثاقه نتربص به ريب المنون حتى يهلك كما هلك الشعراء زهير والنابغة، فقال الشيخ النجدي[1] : بئس الرأي، لعل من حولكم يخرجونه، فقالوا: صدق الشيخ، فقال هشام بنعروة بنعامر بنلؤي: احملوه[2] على بعير وأخرجوه[3] من بين أظهركم فلا يضركم[4] ما صنع، فقال الشيخ النجدي: بئس الرأي، لعله يفسد غيركم كما أفسدكم، ألم تروا[5] حلاوة منطقه، وأخذه بالقلوب، والله لئن فعلتم ذلك ليأتينكم ويخرجنكم من بلادكم، قالوا: صدق، فقال أبو جهل: أرى أن يجتمع[6] عليه من كل بطن من قريش رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية، فقال الشيخ النجدي: صدق الفتى، وهو أجودكم رأيًا. ونزل جبريل وأخبر به النبي ﷺ وأذن له في الخروج إلى المدينة، فلما جن الليل اجتمعوا[7]، وأمر النبي عليًا ـ عليه السلام ـ[8] فنام على فراشه، وأخذ قبضة من تراب فوضعها[9] على رؤوسهم وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس:٩] فناموا، ومضى هو وأبو بكر إلى الغار وخلف عليًا على الودائع التي عنده للناس، فلما أصبحوا قالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فأرسلوا في طلبه، فمروا بالغار وإذا على بابه نسج العنكبوت، فمكث ثلاثًا، ثم خرج إلى المدينة.

ومتى قيل: أليس يروون أن ذلك الشيخ إبليس تصور[10] بصورة شيخ، وأنهم لما أجمعوا اعترضهم وقال: شيخ من أهل نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضر

---

(١) النجدي: ـ ، ض.
(٢) احملوه: احملوا، ض.
(٣) وأخرجوه: فأخرجوه، د.
(٤) يضركم: يضربكم، د.
(٥) تروا: ترو؛ د، ض.
(٦) يجتمع: ليجتمع، د.
(٧) اجتمعوا: اجتمع، د.
(٨) عليه السلام: عليهما السلام، ض.
(٩) فوضعها: فبضعة؛ د، ض.
(١٠) تصور: ـ ، ض.

معكم، ولن[١] تفقدوا[٢] مني نصحًا ورأيًا، فقالوا: ادخل، فدخل، وكانت القصة؟

قلنا: هذا على وجهين: إن قال: إن إبليس غيَّر صورة نفسه، فهو كفر؛ لأن المصور هو الله ـ تعالى ـ فقط، وإبليس وغيره لا يقدرون[٣] على ذلك، ولو قدر عليه لاشتد علينا معرفة النبوءات نحو أن يكون هو قلب العصا حيّة، وإذا جاز أن يقدر هو جاز أن يقدر غيره، فلا يعلم أن شيئًا من المعجزات فِعْلُ الله تعالى، ولا نثق بأهل ولا ولد؛ لجواز أن إبليس غير صورهم أو تصور بصورهم، وفي[٤] هذا هدم الدين، بل هدم[٥] المشاهدات والضروريات.

فإن قالوا: إن الله[٦] ـ تعالى ـ غَيَّرَ صورته، وإذا كان ذلك في زمان الأنبياء يجوز نقض العادة عندكم أيضًا؟

فجوابنا أن هذا فاسد؛ لأنه ـ تعالى ـ إنما يفعل ذلك تقوية للأنبياء، لا توهينًا لأمرهم، ولا بد أن يفعله على وجه يعلم به النبي، ويتعلق بدعواه.

ومتى قيل: فقد تظاهرت الرواية بهذا، فما تأويله؟

فجوابنا: إن ثبتت الرواية فذلك كان شيخًا كافرًا من أهل نجد دخل مع القوم مدبرًا، ورجعوا إلى رأيه، وسمي إبليس تشبيهًا به في الإضلال والكفر، كما يقال: شياطين الجن والإنس، ويقال لمن يضل غيره: هو إبليس، ونعوذ بالله من أن نقول ما لا نعلم، ونسأله العصمة من قول أهل الحشو.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) ولن: وأن؛ د، ض.
(٢) تفقدوا: تعقدوا، ض.
(٣) لا يقدرون: لا يقدر، د.
(٤) في: ـ، ض.
(٥) بل هدم: بإهدام، د.
(٦) إن الله: إنه، ض.

۞ اللغة

التلاوة: القراءة. والأساطير جمع، واحدها: قيل: أسطورة، عن الزجاج. وقيل: سَطْر جمع القليل، وقيل: هو جمع الجمع، يقال سطر للواحد، ثم يجمع أسطار وأسطور، ثم يجمعان أساطر وأساطير، وقيل: الياء زيدت للمد، كما قيل: دراهيم، وأصله من قولك: سطرت الكتاب: كتبته سطرًا سطرًا، وسطر فلان جاء بالأسطر[١].

والمطر معروف، قال أبو عبيدة: أمطر علينا: ما كان في عذاب. وأما في الرحمة فيقال: أمطروني الرحمة.

والسماء معروف، السماء: السقف، وكل ما علاك فيقال: إنه سماء، وإنما ذكرالسماء تأكيدًا وبيانًا، وقيل: لأن الحجر، قد يكون من علو دون السماء.

۞ الإعراب

(هو) في قوله: «**إن كان هذا هو**» عماد وتوكيد وصلة في الكلام. و(الحق) نصب؛ لأنه خبر (كان)، ويجوز فيه الرفع، ولكن لم يقره[٢] الفراء، إن جعلته[٣] اسمًا رفعت (الحق) بـ(هو).

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في النضر بن الحارث، وكان من بني عبد الدار، وكان يختلف تاجرًا إلى فارس والحيرة، فسمع أهل الحيرة وأخبار العجم من أهل الكتاب التوراة والإنجيل، ورآهم يصلون، فلما رجع إلى مكة وجد محمدًا يقرأ القرآن، ويصلي، فقال النضر: سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا.

وقيل: إن النضر بن الحارث وأبا جهل بن هشام، والعاص بن وائل قالوا ذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «فأتوا بسورة من مثله»، فلم يقدروا عليه، فاستقبل أبو جهل

(١) بالأسطر: بالأباطيل، د.
(٢) لم يقره: لم يقل، ض.
(٣) جعلته: جعلت، د.

البيت، فقال: إن كان ما يقوله محمد حقًا فافعل بي كذا، وروي أن النضر بن الحارث قال ذلك.

وقيل: إن أبا جهل قال ذلك يوم بدر، فقتل هو والنضر يوم بدر.

وقيل: أسر هو وعقبة بن أبي معيط والمطعم بن عدي فقتلوا صبرًا، عن سعيد بن جبير.

وقيل: كفار قريش قالوا ذلك تمردًا.

۞ النظم

يقال: بم تتصل الآية؟

قلنا: قيل: تتصل بما قبلها، والضمير في (عليهم) يرجع إلى الذين مكروا، كأنه قيل: هؤلاء الذين يمكرون بك إذا تتلى عليهم آيات الله، وادعوا[1] أنهم لو شاؤوا لقالوا مثل ذلك، عن أبي مسلم، وقيل: إنه يتصل بما ذكر قبل الآية، وعدِّ النعم، واذكروا إذ أنتم قليل، واذكروا إذا يمكرون، واذكروا إذا يتلى، عن الأصم.

فأما قوله: «**اللهم**» فإنه يتصل بالآية الأولى، كأنه قيل: قالوا كذا، وقالوا كذا.

۞ المعنى

«**وَإِذَا تُتْلَى**» تقرأ «**عَلَيْهِمْ**» على هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم، وقيل: على النضر بن الحارث وأبي جهل «**آيَاتُنَا**» حججنا وهو القرآن لم يؤمنوا بأنه كلام الله ونسبوه إلى البشر و«**قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا**» ما يقرأ، وقيل: قد سمعنا أخبار الأمم الماضية وأسمارهم، وقيل: أحاديث الأولين وأباطيلهم، عن الأصم. وقيل: أساجيع الحيرة، عن السدي. «**وَإِذْ قَالُوا**» أي: اذكروا إذا قال هؤلاء الكفار تمردًا وعنادًا، قيل: هو عام، وقيل: هو خاص، ثم اختلفوا، وقيل: النضر بن الحارث، عن سعيد بن جبير ومجاهد. وقيل: هو أبي جهل[2] «**إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ**» يعني ما جاء

---

(١) وادعوا: ادعوا، د.

(٢) وهو أبي جهل: هو وأبو جهل، د.

به محمد ﷺ من القرآن «**فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ**» كما أمطرتها على قوم لوط، وقيل: قالوه عنادًا، وقيل: قالوه لأنهم اعتقدوا فيه أنه ليس بحق؛ لذلك[1] قالوا، عن[2] أبي علي. «**أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» موجع، كما عذبت الأمم.

۞ الأحكام

تدل الآية على إعجاز القرآن؛ لأنهم مع سماعهم التحدي[3] به وشدة حرصهم على بطلان أمر النبي وادعائهم أنهم[4] يقدرون على معارضته لم يأتوا بمثله، فذاك أنه من عند الله، وأنهم يكذبون[5] في دعواهم، وقد يمكن إظهار القدرة والدواعي متوفرة والأمر متعذر، فيدل على[6] كذب قائله، ومن وجه آخر، وهو أن سؤالهم العذاب وقولهم: إنه أساطير الأولين، من أدل الدليل على إعجازه؛ إذ لو قدروا على مثله لأتوا به مع أن فيه إبطال أمره[7]، وفيما عدلوا إليه ليس فيه إبطال أمره.

وتدل على أنهم كانوا يسمعون ويقولون، بخلاف قول المجبرة: إنهم[8] صم بكم عمي.

وتدل على أن ذلك القول فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) لذلك: بذلك، د.
(٢) عن: وعن، د.
(٣) التحدي: والتحدي، د.
(٤) أنهم: فلا؛ أ، ض.
(٥) يكذبون: كذبهم، ض.
(٦) على: ـ، أ، ض.
(٧) أمره: أمر؛ أ، د، ض.
(٨) إنهم: إنكم؛ أ، د، ض.

۞ اللغة

الاستغفار: طلب المغفرة.

والتعذيب: تجديد الآلام حالا بعد حال، وأصله الاستمرار في العذاب[١] منه لاستمرار اللذة.

والصد: المنع، صده[٢] عن كذا: منعه.

۞ الإعراب

اللام في قوله: «**لِيُعَذِّبُهُمْ**» لام الجحود، وأصله لام الإضافة، وإنما تدخل في النفي، ولا تدخل في الإيجاب؛ لتعلق الخبر بحرف النهي.

و(ما) في قوله: «**وَمَا لَهُمْ**» مخرجها مخرج الاستفهام، ومعناه إيجاب العذاب لهم.

و(أن) في قوله: «**وَمَا لَهُمْ أَلاَ يُعَذِّبُهُمْ**» قيل: معناه الجحد، أي[٣] ما لهم في الامتناع من العذاب، وقيل: هي صلة[٤] ؛ لأن المعنى إيجاب العذاب، والأول الوجه؛ لأنه بمعنى: لِمَ لا يعذبهم؟

۞ النزول

قيل: نزلت هذه الآية والنبي ﷺ بمكة، ولما يخرج[٥] من بينهم وبقي هناك[٦] مؤمنون، فأنزل الله ـ تعالى ـ الآية الأولى، ثم خرج أولئك، فأنزل الله تعالى الآية[٧] «**وَمَا لَهُمْ أَلاَ يُعَذِّبُهُمْ اللَّه**»، وأذن في فتح مكة عن أبي مالك والضحاك.

وقيل: لما قالوا: ائتنا بعذاب، ندموا فقالوا: غفرانك، فنزلت الآية، عن محمد بن قيس، ويزيد بن رومان.

---

(١) العذاب: فالعذاب، د.
(٢) صده: صد؛ د، ض.
(٣) الجحد أي: الجحدان؛ د، ض.
(٤) هي صلة: هو أصله، ض.
(٥) يخرج: خرج، ض.
(٦) هناك: هنالك، ض.
(٧) تعالى الآية: ـ ، (ض).

وقيل: قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله ذلك عليهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ﴾ ،عن الحسن وأبي علي.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها، ومن قول مَنْ هي؟

قلنا: قيل: الآية الأولى حكاية قول المشركين يتصل بما قبلها من الآية، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، ولا يعذب أمة ونبيها معها، وذلك مِنْ قولهم ورسول الله بين أظهرهم، والآية على هذا مكية.

۞ المعنى

«**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**» يعني، وفيهم بقية من المؤمنين يستغفرون الله[١] بعد خروج النبي عن ابن عباس وعطية وأبي مالك والضحاك، وهو قول أبي علي؛ لأن عذاب الاستئصال يعم، ولو عذب لعذب هؤلاء المؤمنين المستغفرين ولذلك كان يخرج أنبياءه من بين قومهم ثم يعذبهم كلوط وغيره، قال: فلما خرج أولئك البقية[٢] عذبوا، قيل: ما كان الله ليعذبهم بعذاب الاستئصال، وأنت فيهم، أو وهم[٣] يقولون: غفرانك مع كفرهم، ثم[٤] يعذبهم على شركهم في الآخرة، عن ابن عباس وأبي موسى ويزيد بن رومان. وقيل: إن استغفروا لم يعذبوا، كأنه استدعاء إلى الاستغفار، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد. قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي، والاستغفار، ذهب واحد، وبقي الاستغفار، وقيل: لا يعذبهم حتى يخرجك من بينهم، ثم يعذبهم بالسيف، عن الأصم. وقيل: لا يعذبهم والمعلوم أن منهم من يستغفر، عن مجاهد. أي من أولادهم، وقيل: الآية منسوخة بالآية التي بعدها، عن الحسن وعكرمة، وليس بصحيح. «**وَمَا لَهُمْ**» أي: أي شيء لهم؟ وقيل:

---

(١) الله: ـ، ض.
(٢) البقية: النقية، د.
(٣) أو وهم: أو هم، د.
(٤) ثم: لم، د.

فما يمنعهم[١] «**أَلاَّ يُعَذِّبَهُمْ**»، قيل: عذاب الآخرة، والأول عذاب الدنيا عن أبي علي. وقيل: العذاب بالسيف بعد خروج النبي ﷺ والمؤمنين من بينهم، والأول عذاب الاستئصال، وقيل: الأول استدعاء الاستغفار فلما لم يفعلوا عذبوا، ثم بين استحقاقهم للعذاب بصدهم للناس «**عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» وهو الكعبة، وما هم عليه من الكفر والعصيان، وقيل: صدهم ما فعلوا عام الحديبية بالنبي ﷺ والمؤمنين[٢]، ومنعوهم عن العمرة، وقيل: كانوا يصدون المؤمنين عن الصلاة عند الكعبة، وعن الطواف، وقيل[٣] «**وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ**» قيل: أولياء الله، وقيل: أولياء المسجد[٤] الحرام، عن الحسن وأبي علي وأبي مسلم؛ لأنه - تعالى - لم يولهم أمره «**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**» قيل: الذين يتقون المعاصي، عن الأصم. وقيل: هم أصحاب محمد، وقيل: هم جميع المؤمنين، وقيل: ولاة البيت؛ لأن الله - تعالى - ولاهم أمره، كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة:١٧] «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**» أن أولياء الله، هم المتقون، فيقولون: نحن أولياء الله وهم كفار، وقيل: لا يعلمون أنه لا يلي أمر البيت إلا المتقون.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لا[٥] يعذب بعذاب الاستئصال ما دام الرسول فيهم أو يستغفرون، وأنه يعذبهم في الآخرة تنبيهًا أن عذاب الدنيا وإن زال سببه فعذاب الآخرة ثابت.

وتدل على أن الكفار لا يلون أمر البيت والمؤمنون هم القائمون بأمره.

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ لذلك قال: «**لا يعلمون**».

---

(١) فما يمنعهم: ما يمنعهم، د.

(٢) والمؤمنين: والمؤمنون، د.

(٣) كانوا يصدون... وقيل: -، ض.

(٤) المسجد: مسجد، د.

(٥) لا: -، ض.

وتدل على أن الصد فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٥﴾

القراءة

قرأ المفضل عن عاصم: «**صَلاتَهُم**» نصبًا «**إلا مكاءٌ وتصديةٌ**» بالرفع فيهما، جعل (المكاء) اسم (كان)، و(الصلاة) خبره. وقرأ الباقون «**صلاتُهم**» رفعًا، «**مكاءً وتصدية**» بالنصب فيهما، جعل (الصلاة) اسم (كان) و(مكاء وتصدية) خبره.

اللغة

المُكَاءُ: الصوت، وقيل: الصفير، والمَكَّاء: طائر بالحجاز له صفير، مكا الطائر يمكو؛ أي: يصفر، مُكاءً، ومنه قول عنترة:

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً ... تَمكُو فَرِيصَتُهُ كَشَدْقِ الأَعْلَمِ[1]

يصف طعنه؛ أي: يصفر بالرمح ويسمع لها صوت، ومكَتْ اسْتُهُ تمكو: صوتت، والأنسب المكوة والمكواة، وأصله: جمع الريح للصفير، وقيل لأبي سلمة بن عبد الرحمن: ما المكاء؟ فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرًا.

والتصدية: التصفيق[2]، يقال: صدى يصدي تصدية: إذا صفق بيديه، ومنه الصدى: صوت الخيل ونحوه، وقيل: التصدية أن يصيح الصائح فيجيبه[3] الصدى بمثل قوله، وذلك يكون في الشعاب وسفوح الجبال، عن أبي مسلم.

---

(١) انظره في الصحاح (مكا)، والعين (علم)، والمحكم (مكو)، واللسان (كمو)، وتاج العروس (حلل).

(٢) التصفيق: الصفيق، د.

(٣) فيجيبه: فيصيبه، ض.

واختلفوا، فالذي عليه مشايخنا أن ذلك فِعْلُ المتكلم، ولا يجوز أن يقال: إنه فعل الله تعالى؛ لأنه قد يكون كذبًا وقبيحًا، وأنه لا يقع بحسب فعل العبد كسائر أفعاله، وقيل: التصدية من الصد، وأصله التصدد، وقلبت إحدى الداليين ياء.

النزول

قيل: كانت قريش يطوفون[١] بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، ويخلطون عليه طوافه وصلاته[٢] عن مجاهد.

وقيل: كان إذا صلى ﷺ قام رجلان من المشركين عن يمينه، ورجلان[٣] عن يساره يصفران و[٤] يصفقان يخلطان[٥] عليه صلاته، وهما من بني عبد الدار، قتلوا ببدر، عن مقاتل.

النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: تتصل بما قبلها أي: كيف لا يعذبهم الله[٦]، ولو ترك عذابهم لتركه[٧] لاستغفارهم وصلاتهم، وما كانوا يصلون.

وقيل: تتصل بقوله: «**وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ**» يعني: يَدَّعُونَ أنهم ولاة البيت، وكيف يكون كذلك وعبادتهم[٨] المكاء[٩] والتصفيق والتعري؟ ذكره شيخنا أبو حامد.

---

(١) يطوفون: تطوف، د.
(٢) طوافه وصلاته: صلاته وطوافه، د.
(٣) من المشركين.. ورجلان: ـ، ض.
(٤) يصفران و: ـ، ض.
(٥) يخلطان: يخلطا، د.
(٦) لا يعذبهم الله: يعذبهم، د.
(٧) لتركه: ـ، د.
(٨) وعبادتهم: وعادتهم، ض.
(٩) المكاء: المكى؛ د، ض.

وقيل: تتصل بقوله: «**وهم**» يعني يصدون غيرهم عن البيت، ولا يصلون، يعني لا يصلون، ويمنعون المصلين، فكيف يدعون ولايته؟، عن أبي مسلم.

المعنى

«**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ**» قيل: دعاؤهم، وكانوا يقيمون المكاء والتصدية مقام[1] الدعاء والتسبيح، وقيل: أراد بالصلاة، أي يعملون كعمل الصلاة بما فيه هذا، وقيل: أراد أنه ليس له صلاة، ولأن من[2] كان صلاته المكاء والتصدية[3] فلا صلاة له، وقيل: إذا صلى الناس فهم يصفرون «**إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**» قيل: المكاء الصفير، والتصدية التصفيق، عن ابن عباس وابن عمر وعطية والحسن ومجاهد وقتادة والسدي، قال أبو علي: كان بعضهم مصديا[4] لبعض ليراه بذلك الفعل، وكان يصفر له مراءاة، ولا يذكرون الله كما يفعله المؤمنون، وقيل: المكاء الصوت، والتصدية أن يصيح الصائح فيجيبه الصدى، والمراد أن صلاتهم ودعاءهم غير راد عليهم نفعًا وثوابًا إلا كما يجيب الصدى الصائح؛ أي: لا يستجاب لهم، ولا يقبل دعاؤهم وصلاتهم، وحظهم رجوع ذلك الصوت إليهم كما يصدر، عن أبي مسلم. وقيل: التصدية: صدهم عن المسجد الحرام، وعن الصلاة ودين الله[5]، عن سعيد بن جبير وابن زيد وابن إسحاق. وقيل: المُكَاء: صفير على لحن طائر أبيض بالحجاز، يقال له: المَكَّاء، [فالمُكَاءُ] إدخالهم أصابعهم في أفواههم، فأنكر ذلك جميع أهل اللغة.

«**فَذُوقُوا الْعَذَابَ**» أي: عذاب السيف يوم بدر، عن الحسن والضحاك وابن جريج وابن إسحاق. وقيل: عذاب الآخرة، وفي الكلام حذف، أي[6]: يقال لهم إذا عذبوا ذوقوا «**بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**» أي جزاء على كفركم.

---

(١) مقام: مكان، د.
(٢) ولأن من: لأن ما، د.
(٣) والتصدية: وتصدية؛ د، ض.
(٤) مصديا: مصدي، د، ض.
(٥) الله: ـ ، ض.
(٦) أي: أن، ض.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن ما أتوا به من المكاء والتصدية ليس بعبادة؛ ولذلك عذبوا عليه.

وتدل على أن من أبدع من جهة نفسه شيئًا لا يكون عبادة.

وتدل على أن المكاء والتصدية فِعْلُهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق[1].

وتدل على أن العذاب يستحق على الأفعال، فيبطل قولهم في جزاء الأعمال، وفي أن العذاب يجوز الابتداء به.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

۞ اللغة

صدّ: أعرض، وصد: منع، لازم ومتعدٍّ[2].

والحسرة: الغم بما يكشف من فوت استدراك[3] مطلوب، والأصل: الكشف من قولهم: حسر عن ذراعيه[4]، حسر حسرًا، والحاسر: خلاف الدارع، وحسر حسرة فإذا ظهر به فوت نفع أو لحوق مضرة فيناله الغم فهو الحسرة.

والتمييز: الفرق[5] بين الشيئين، مازه[6] يميزه تميزًا وميزه تمييزًا، ويميز بعضهم عن بعض تمييزًا، وامتاز القوم امتيازًا.

---

(١) المخلوق: الخلق، ض.

(٢) متعد: متعدي؛ د، ض.

(٣) استدراك: استدلال، د.

(٤) ذراعيه: ذراعه، د.

(٥) الفرق: والفرق، ض.

(٦) مازه: يمازه، ض.

الخبيث: الرديء[1] من كل شيء، ونقيضه الطيب، وهو الجيد، ومنه: خَبَثُ الحديد والفضة، وخَبُثَ الإنسان[2] خبثًا، وتخبث تخبثًا، وتخابث تخابثًا، وخبثة تخبيثًا[3]، ويستعمل الطيب في المستلذ والحلال.

والركام والمتركم: هو السحاب المتراكب بعضه فوق[4] بعض، وركَمْتُ الشيء ألقيت بعضه فوق بعض. والرمل: الركام المتراكب، والركمة: الطين المجموع، ركمه يركمه ركمًا، وتراكم تراكمًا، وارتكم ارتكامًا، ومُرْتَكَمُ الطريق: جادَّتُه؛ لأنه يتراكم فيه الناس.

الإعراب

وحّد[5] قوله: «**ويجعله في جهنم**»؛ لأنه يرجع إلى الخبيث؛ ولذلك ذكره على لفظ التوحيد والتذكير، وجمع «**أولئك**»؛ لأنه رده إلى أول الخبر في قوله: «**والذين كفروا**».

النزول

قيل: نزلت الآية في أبي سفيان بن حرب، استأجر ألفين من الأحابيش من كنانة؛ ليقاتل بهم يوم أحد النبي ﷺ سوى ما استجاش من العرب، عن سعيد بن جبير ومجاهد. وفي ذلك يقول كعب بن مالك:

فجئنا إلى هَوجٍ من البحرِ وَسْطَهُ ... أحابيشُ منهمْ حَاسِرٌ ومقنّعُ
ثلاثةُ آلافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلَاثُ مِئينٍ إنْ كَثُرْنَا[6] وأَرْبعُ[7]

---

(1) الرديء: الردي؛ د، ض.
(2) الإنسان: ـ ، ض.
(3) وتخبث . . . تخبيثًا: زيادة من تفسير البيان للطوسي: ٥/ ١١٩.
(4) فوق: على، ض.
(5) وحدّ: ـ ، د.
(6) إن كثرنا: ـ ، ض.
(7) انظره في جمهرة اللغة (صني) وفي رواية: ثلاث مئين إن كثرت فأربع انظر: تفسير الطبري ٦٠/ ٢٤٢.

وقيل: نزلت في المُطْعِمِين[(١)] يوم بدر، عن الأصم وجماعة. وكانوا اثني عشر رجلاً من رؤساء قريش: أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب، كل واحد كان يطعم يومًا، وكان يطعم كل يوم عشر جُزُر[(٢)]، وكان النوبة يوم الهزيمة للعباس، وقيل: لجبير بن مطعم،عن الضحاك والكلبي ومقاتل.

وقيل: نزلت فيما[(٣)] أنفق أبو سفيان من مال العير يوم أحد عن الحكم بن عيينة وابن إسحاق، قال الحاكم: أنفق أبو سفيان يوم أحد على المشركين أربعين أوقية، الأوقية[(٤)] اثنان[(٥)] وأربعون مثقالاً.

وقال ابن إسحاق: لما أصابت قريش يوم القليب يوم بدر ما أصابت[(٦)] فرجعوا إلى مكة مشى جماعة ممن قُتِل آباؤهم وأبناؤهم إلى أبي سفيان، وما كانت له في تلك العير تجارة، وقالوا[(٧)] : أعينونا بهذا المال على محمد، فقد قتل خياركم وأَبَركم[(٨)]، فلعلنا ندرك ثأرًا، ففعلوا.

وقيل: نزلت في المنفقين[(٩)] في معصية الله.

---

(١) المطعمين: المطيعين، ض.

(٢) جزر: جرب؛ د، ض. كما هو في تفسير البغوي: ١/ ٣٥٥، وتفسير البيضاوي: ١/ ١٠٦، وتفسير ابن أبي السعو ٤/ ٢٠، وفي الكشاف: ٤٥٨٨، والتحرير والتنوير: ١/ ١٧٥٧: جزائر. وما في المخطوطات مقتبس من الجريب، والجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم، والجريب مقياس وهو أربعة أقفزة. [مختار الصحاح: ١/ ١١٩].

(٣) فيما: فيهما، ض.

(٤) الأوقية: كل أوقية، د.

(٥) اثنان: اثنين، د.

(٦) ما أصابت: ـ ، ض.

(٧) وقالوا: قال، ض.

(٨) وأبركم: ووتركم، د.

(٩) المنفقين: المتقين، ض.

المعنى

ثم حكى ـ تعالى ـ عن الكفار الذين تقدم ذكرهم إنفاقهم في الكفر، وما صار من ذلك عليهم، فقال سبحانه: **«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ»** قيل: في أُحُدٍ، وقيل: في بدر، وقيل: ما أنفقوا من أموالهم الخبيثة في معصية الله **«لِيَصُدُّوا»** ويمنعوا ويصرفوا الناس **«عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»** دين الله الذي جاء به محمد، وسمي سبيلاً؛ لأنه طريق ثوابه وجنته، **«فَسَيُنْفِقُونَهَا»** وإنما ذكر الإنفاق ثانيًا لأن الأول معناه من شأنهم أن ينفقوا للصد، والثاني بمعنى سيقع الإنفاق الذي يكون عليه الحسرة **«ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً»** وقيل: لأنه يجعل في جهنم كيًّا عليهم فتشتد حسرتهم، وقيل[1]: لأنه ستذهب[2] أموالهم ولا يظفرون بما يأملون من إطفاء نور الله **«ثُمَّ يُغْلَبُونَ»** يعني[3] يغلبهم المؤمنون، فوجد الخبر على ما أخبر، **«وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ»** أي: يجمعون إلى النار بعد تحسرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم، وإنما أعاد[4] قوله: **«والذين كفروا»**؛ لأن جماعة ممن أنفقوا أسلموا، فخص من مات على كفره بوعيد الآخرة، **«لِيَمِيزَ اللَّهُ»** قيل: يميز في الدنيا بالغلبة والنصر للمؤمنين والأسماء الحسنة والأحكام المخصوصة في الآخرة بالثواب والجنة، عن أبي مسلم، وقيل: بالحشر إلى جهنم، وقيل: بالعلامات التي أظهرها الله في القيامة كسواد الوجوه، وبياضها، وغير ذلك **«الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ»** قيل: المؤمن من الكافر؛ لأن المؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار، وقيل: العمل الطيب من العمل الخبيث، عن الكلبي. ويثيب على الأعمال الصالحة، ويعاقب على الأعمال السيئة، وقيل: الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله، عن ابن زيد. **«وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ»** قيل: الكفار يجمعهم جميعًا[5] في جهنم، عن أبي علي.

---

(١) حسرتهم: وقيل: ـ ، ض.
(٢) ستذهب: تذهب، ض.
(٣) يعني: بمعنى، د.
(٤) أعاد: أعد، ض.
(٥) جميعا: ـ ، ض.

وقيل: الكفار ونفقاتهم[(١)]، يجمع بين الكفار[(٢)] وما أنفقوا ويعاقبهم بها في جهنم، كما يجمع بين المؤمن وما أنفق فيأتي[(٣)] بها «**فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا**» أي يجمع بعضهم على بعض حتى يتراكموا[(٤)]، ثم يساقون إلى النار، فيركب بعضهم فوق بعض حتى يتراكموا ويضيق موضعهم «**فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ**» يعني: الكفار يدخلهم جهنم «**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**» خسروا أنفسهم بالكفر وأموالهم بالإنفاق بالمعصية، فاستحقوا عذاب الله.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الإنفاق في المعصية يورث الحسرة والعقوبة، وهو[(٥)] عام، فيحمل[(٦)] على الجميع، ولا معنى لتخصيصه.

وتدل على قبح الصد عن سبيل الله فيدخل فيه الكفار الذين يصدون عن سبيل الله، ويدخل فيه من صد عن التوحيد والعدل وعن الاستمرار على الطاعة وغيرها، وربما يكون كفرًا، وربما يكون فسقًا.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ يميز المطيع من العاصي، ويجازي كل واحد بعمله، فيبطل قول من لا يرى الجزاء.

وتدل على معجزة الرسول[(٧)] ؛ لأنه أخبر بإنفاقهم، وأنهم يُغلبون، فكان كما أخبر.

وتدل على أن أحوال الكفار تكون كذلك أبدًا؛ لأنه عم، ولم يخص.

وتدل على أن أحوال الكفار[(٨)] : [من] الكفر والإنفاق والصد فِعْلُهُم.

---

(١) الكفار ونفقاتهم: ـ ، ض.
(٢) الكفار: الكافر، د.
(٣) فيأتي: فيأت؛ د، ض.
(٤) يتراكموا: يكثروا، د.
(٥) وهو: وهي؛ في، د، ض.
(٦) فيحمل: فتحمل؛ د، ض.
(٧) الرسول: للرسول، د.
(٨) أحوال الكفار:ـ ، د.

قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب الحضرمي «**فإن الله بما تعملون بصير**» بالتاء، والباقون بالياء.

فأما الأول، قيل: على الخطاب للتصرف في الكلام، وقيل: يرجع إلى المخاطبين[(١)] بقوله[(٢)] «**إن ينتهوا**» تقديره: إن انتهوا فإن الله بهم عليم.

اللغة

الانتهاء: الإقلاع لِأَجْلِ النهي، يقال: نهاه عن كذا فانتهى.

والسُّنَّةُ: الطريقة والسيرة[(٣)]، قال الشاعر:

ولا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها   وَأَوَّلُ راضِي[(٤)] سِيَرةٍ مَنْ يَسِيرُها[(٥)]

والسنة: أن تفعل فعلاً دائمًا أو مدة طويلة، ومنه: سنن النبي ﷺ.

والسلوف: التقديم[(٦)]، سلف يسلف سلوفًا وأسلف إسلافًا.

---

(١) المخاطبين: ـ، ض.

(٢) بقوله: قوله، ض.

(٣) السيرة: ـ، ض.

(٤) راضي: واضي، د.

(٥) البيت ينسب لخالد بن زهير الهذلي، في ديوان الحماسة: ٢/ ١٨٣، والإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٥٤:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها   فأول راضي سيرة من يسيرها

وفي الخصائص: ٢/ ٢١٢: (فلا تغضبن) بدلاً من: (فلا تجزعن).

(٦) التقديم: التقدم، د.

والمولى على وجوه: المالك، والمملوك، والناصر، والحليف، وابن العم، وأصل[١] الوَلْي: هو جعل[٢] الشيء يلي غيره.

۞ الإعراب

(إن تولوا) شرط وجوابه: (فاعلموا) وإنما جاز الأمر في جواب الشرط؛ لأن فيه معنى الخبر فلم يخرج من أن يجمع الثاني بالأول[٣]، كأنه قيل: فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم، أو فينبغي أن تعلموا أن الله مولاكم.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في أبي سفيانوأصحابه. وقيل: هوعام.

۞ المعنى

لما تقدم الوعد والوعيد عقبه بالدعاء إلى التوبة والإيمان، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد «**لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا**» يتوبوا عما هم[٤] عليه من الشرك ويمتنعوا، وقيل: عن الشرك وقتال المؤمنين، عن الأصم. «**يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**» مضى منهم من الكفر وقتال النبي، وإفتان المؤمنين عن دينهم يغفر لهم ذلك في أحكام الدنيا، فلا يؤاخذون بقصاص[٥] وضمان، وفي الآخرة لا يعاقبونعليها، «**وَإِنْ يَعُودُوا**» قيل: إلى الكفر وقتال المسلمين «**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ**» يعني طريقته في نصرة الأنبياء، والإهلاك للكفار[٦] في الدنيا، وبالعذاب في الآخرة كما فعل يوم بدر، عن أبي مسلم. وقيل: بتعجيل عذاب الاستئصال، وما جرى مجراه من الأسر والقتل يوم بدر، عن الحسن ومجاهد والسدي. فيفعل بكم مثل ما فعل بالأمم «**وَقَاتِلُوهُمْ**»

(١) والأصل: وأصل؛ د، ض.
(٢) هو جعل: من جعل، د.
(٣) بالأول: الأول، د.
(٤) عما هم: يتوبوا أعماكم، ض.
(٥) بقصاص: لقصاص، د.
(٦) والإهلاك للكفار: فيما هلاك الكفار، د.

خطاب للمؤمنين وأَمْرٌ[(١)] بقتال الكفار، قيل: كفار مكة وما حولها، عن أبي علي. وقيل: هوعام «**حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**» قيل: شرك، عن ابن عباس والحسن. وقيل: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، عن ابن إسحاق والربيع. وقيل: [حتى] لا يكون بمكة وما حولها كفر، عن أبي علي. وقيل: بلاء، عن أبي العالية. وقيل: إلجاؤهم إلى الفجرة ومفارقة الأهل والولد، وقيل: معناه ليكن قصدكم ألايكون كُفْر. «**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**» قيل: ليجتمع[(٢)] أهل الحق وأهل الباطل على دين الحق وهو الإسلام، عن أبي مسلم. فيعتقدون الإسلام ويعملون[(٣)] به فيكون كل الدين لله، وقد يكون الدين التوحيد خالصًا لله ليس فيه شرك، ويخلع الأنداد، وقيل: حتى يقولوا: لا إله إلا الله، عن قتادة. وقيل: حتى تكون الطاعة والعبادة لله، والدين: الطاعة «**فَإِنِ انْتَهَوْا**» عن الكفر وقتال المسلمين «**فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» أي: عالم بأعمالهم وضمائرهم يجازيهم عليها «**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ**» قيل: إن أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى[(٤)] القتال فثقوا بالله ووعده بالنصر تسكينًا لنفوسهم، وقيل: إن تولوا فاعلموا أن الله ينصركم عليهم[(٥)] لتكونوا على بصيرة لأن الغلبة لكم[(٦)] «**مَوْلاكُمْ**» نصيركم ومعينكم «**نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**» قيل: المولى الناصر المليك، عن الأصم. والنصير أي نعم المعين على طاعته، فينصر المؤمن ويعزه[(٧)].

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ، والثقة به، والتوكل عليه.

وتدل على أن قتلهم وقتالهم لطف في ترك الكفر؛ لذلك أمر به.

---

(١) وأمر: أمر، د.
(٢) ليجتمع: الجميع، د.
(٣) ويعملون: ويعلمون.، ض.
(٤) إلى: عن؛ د، ض.
(٥) عليهم: عليه، د.
(٦) لأن الغلبة لكم: أن الغلبة لهم، د.
(٧) ويعزه: ويعز، د.

وتدل على أن الغفران لا يحصل إلا مع الانتهاء عن المعاصي، وهو[1] التوبة؛ لذلك قال: «**يغفر لهم ما قد سلف**»؛ لأن التوبة ندم على ما قد سلف.

وتدل على أن[2] قتال الكفار واجب ما دام في الدنيا كُفْرٌ.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ ينصر المؤمنين ما داموا في قتال الكفار، وفيه تنبيه على علو الإسلام وبقائه إلى أن تقوم الساعة.

ومتى قيل: قوله: «**يغفر لهم**» يوجب ألايؤخذ بشيء من ذلك، وعلى ما يقوله أبو هاشم يؤخذ به.

قلنا: المراد لا يؤخذ[3] بعقابه ولا بأحكامه في الدنيا، وعندنا لا موازنة بين التوبة والمعاصي، إنما الموازنة بين الثواب والعقاب في الطاعات والمعاصي[4].

قوله تعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

اللغة

الغنيمة: موهبة من الله ـ تعالى ـ يُمَلِّك[5] المسلم مال الكافر المحارب، يقال عنها[6] غنيمة ومغنم[7]، وهو ما أصيب من أموال أهل الحرب مما أوجف[8] عليه بالخيل والركاب.

---

(١) وهو: فهو، د.
(٢) أن: ـ، ض.
(٣) بشيء من ذلك... لا يؤخذ: ـ، ض.
(٤) إنما الموازنة بين... والمعاصي: ـ، د.
(٥) يملك: يملكها؛ د، ض.
(٦) عنها: عنهم؛ د، ض.
(٧) غنيمة ومغنم: وغنيمة ومغنم، د.
(٨) اوجف: أرجف، ض.

واليتيم، الذي مات أبوه، وهو صغير قبل البلوغ، وكل ولد يتيم من قبل أمه إلا الإنسان فإنه يتيم من قبل أبيه.

والمسكين: الذي تحل له الصدقة وكذلك الفقير، وأصله السكون كأن الحاجة أسكنته عما ينهض به الغني.

والسبيل: الطريق.

وابن السبيل: المسافر المنقطع به في سفره، وإنما قيل: الله؛ لأنه[١] أخرجه إلى هذا[٢] المستقر كما يخرجه أبوه إلى مستقره.

والفرقان: من الفرق مصدر، كالرهبان والعطشان.

۞ الإعراب

في نصب «**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**» قولان:

الأول: على أن لله خمسه، إلا أنه حذف حرف الجر.

الثاني: أنه عطف على (أن) الأولى ويحذف خبر الأول لدلالة الكلام عليه، بتقدير: واعلموا أن ما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا أن لله خمسه، وإنما يفتح (أن) بعد العلم[٣] لوقوع الفعل عليه، ويكسر بعد القول على الاستئناف والابتداء إلا أن يكون الجواب باللام، فحينئذ يفتح.

۞ النظم

يقال: كيف تقدير الآية واتصالها؟

قلنا: فيه وجوه ثلاثة:

الأول: أنها تتصل[٤]، يتصل بما قبلها كأنه قيل: قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم[٥]

---

(١) لأنه: لا أنه، ض.

(٢) هذا: أهل، ض.

(٣) بعد العلم: بعد أن يعلم، ض.

(٤) أنها تتصل: أنه يتصل؛ د، ض.

(٥) لهم: لكم، د.

ما قد سلف[١]، فإن لم ينتهوا قاتلوهم حتى لا تكون فتنة وكفر بقتلهم، وما غنمتم من مالهم فحكمه كذا.

الثاني: أنه رجع إلى ما في مفتتح السورة من ذكر الإنفاق ومسألة من سأل عنها والجواب عن سؤالهم بعد الجواب الذي مضى، كأنه قيل: يسألونك عن الغنائم فاعلموا أن أربعة أخماسه لهم، والخمس لله ورسوله ولسائر مَنْ عدهم في الآية، ذكر أبو مسلمالوجهين.

وذكر الأصم أن قوله: «**إن كنتم آمنتم**» يتصل بقوله: «**نعم المولى ونعم النصير**»، ثم قال: «**إن كنتم آمنتم بالله**»؛ لأن النصرة[٢] من شرطها الإيمان، وليس ذلك من شرط قسمة الغنيمة، وحمل ما أنزلنا على إنزال الملائكة للنصرة[٣].

المعنى

ثم بَيَّنَ - تعالى - حكم الغنيمة، فقال تعالى: «**وَاعْلَمُوا**» خطاب للمؤمنين «**أَنَّمَا غَنِمْتُمْ**» ما وصل إليكم من مال أهل الحرب بالمقاتلة «**مِنْ شَيْءٍ**» أي قَلَّ أو كثر حتى الخيط والمِخْيَط «**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**» الأكثر على أنه مفتاح كلام، وإن لله الدنيا والآخرة، عن الحسن بن محمد بن الحنفية وغيره، وعن أبي العالية سهم لله يصرف إلى نفقات أهل الكعبة، وهذا لا يصح لأنه ثبت[٤] عن الخلفاء الأربعة أنهم لم يقرروا ذلك بينهم[٥]، والآية تؤدي إلى أن يكون الخمس مقسومًا على ستة، وهو خلاف الإجماع، ولأنه ليس بأن يصرف إلى بيت الله أولى من أن يصرف إلى أولياء الله وغيره من القُرَب، ولأن جميع الأشياء لله، فلا معنى لإضافة هذا السهم إليه، ولأن الأشياء له قيل: إنها صارت غنيمة، وقيل: القسمة، ولأنه يؤدي إلى أن يكون المال مشتركًا بينه وبين غيره، ولأنه يؤدي إلى أن يكون سهم[٦] له[٧] بالقسمة، وهذا محال، ولأن خلافه سقط.

---

(١) ما قد سلف: ـ ، د.
(٢) لأن النصرة: ـ، ض.
(٣) للنصرة: ـ ، ض.
(٤) لأنه ثبت: لا يثبت، ض.
(٥) ذلك بينهم: لذلك بينهما؛ د، ض.
(٦) سهم: سهما؛ د، ض.
(٧) له: ـ ، د.

ومتى قيل: فما الفائدة في ذكره ـ تعالى ـ لنفسه[١] ؟

قلنا: استفتاح الكلام، والمراد أنه[٢] مصروف في الجهات التي يعتد بها.

«**وَلِلرَّسُولِ**»، قيل: كان[٣] للرسول سهم من الخمس، وقيل: سهم الله[٤] وسهم رسوله واحد، عن ابن عباس وإبراهيم وقتادة وعطاء، «**وَلِذِي الْقُرْبَى**» يعني قرابة النبي ﷺ، واختلفوا، فقيل: هم[٥] بنو هاشم، عن[٦] ابن عباس ومجاهد وعلي بن الحسين وعبد الله بن الحسن بن الحسن. وقيل: بنو هاشم وبنو المطلب عن جبير بن مطعم، وهو مذهب أبي[٧] علي وأبي مسلم، وإليه ذهب الشافعي. وقيل: هم آل عباس وآل جعفر وآل عقيل، وآل علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، هؤلاء حرم عليهم الصدقة فعوضوا من الخمس، عن أبي حنيفة وأصحابه. «**وَالْيَتَامَى**» من لا أب له وهو فقير «**وَالْمَسَاكِينِ**» الفقير الذي لا شيء له «**وَابْنِ السَّبِيلِ**» المسافر المنقطع عن ماله «**إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ**» يعني إن صدقتم الله فاعلموا[٨] أن ما فرض في الغنائم دينه وشريعته «**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**» قيل: الفرقان، وقيل النصر، عن أبي مسلم. وقيل: ما أنزل من الملائكة أي علمتهم أن ظفركم بعدوكم كان بالله، عن الأصم. وقيل: أنزل هذا الحكم فارضوا به إن كنتم مؤمنين، عن أبي علي. «**عَلَى عَبْدِنَا**» يعني محمدًا ﷺ «**يَوْمَ الْفُرْقَانِ**» يعني يوم بدر، فرق فيه بين الحق والباطل، فظهر الحق وبطل الشرك، وقيل: فرق بين المؤمن والكافر، فنصر المؤمنين وأعزهم، وأظهر دينهم، وأذل[٩] الكافرين، وأبطل دينهم، وقيل: كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من

(١) لنفسه: نفسه، د.
(٢) أنه: به، د.
(٣) كان: كانوا، ض.
(٤) سهم الله: سهم من الله، ض.
(٥) هم: ـ ، ض.
(٦) عن: ـ ، ض.
(٧) أبي: أبو، د.
(٨) فاعلموا؛ واعلموا؛ د، ض.
(٩) وأذل: وذلل؛ د، ض.

شهر رمضان سنة اثنين[١] من الهجرة، «يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» جمع[٢] المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة[٣] عشر[٤] رجلاً من المهاجرين والأنصار خير الناس بعد الأنبياء وقائدهم رسول الله ﷺ، ومددهم ملائكة الله، وناصرهم ومعينهم الله، والجمع الثاني جمع الكافرين، وهم بين تسعمائة[٥] إلى ألف صناديد قريش ورؤسائهم، وقائدهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وناصرهم الشيطان، فهزموهم بإذن الله، وقتل زيادة على سبعين، وأسر مثل ذلك «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مبالغة من قادر أي قادر على كل شيء، يصح أن يكون مقدورًا له فهو قادر عليه لنفسه لم يزل ولا يزال، ولا[٦] يجوز عليه العجز[٧]، وقيل: قادر على مثل ذلك من النصر أن ينزله على[٨] الزيادة، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

الآية تتضمن أحكامًا عقلية، وأحكامًا شرعية:

فأما الأحكام العقلية فمسائل:

منها: أنه ـ تعالى ـ قادر على كل شيء، فليس هذا على[٩] عمومه؛ لأن من الأشياء ما لا يكون مقدورًا، فلا يوصف بأنه تعالى[١٠] قادر عليه، فإذا هو قادر على كل شيء[١١] ما يصح أن يكون مقدورًا له فيقدر من الأجناس على ما لا[١٢] نهاية لها

---

(١) اثنين: اثني، د.
(٢) جمع: جميع، ض.
(٣) وبضعة: وبضع؛ د، ض.
(٤) عشر: عشرة، ض.
(٥) تسعمائة: سبعمائة، د.
(٦) ولا: لا، د.
(٧) العجز: ـ، د.
(٨) على: وعلى، ض.
(٩) فليس هذا على: فهذا ليس على هذا، ض.
(١٠) تعالى: ـ، د.
(١١) شيء: ـ ، ض.
(١٢) لا: ـ، د.

في كل وقت وهو قادر لذاته لا لعلة ولا لفاعل، وهو قادر لم يزل ولا يزال، ويقدر على أجناس لا يقدر عليها غيره كالجواهر وكثير من الأعراض.

ومنها: أن الكفر لا ينافي الملك، وليس العقل أن يتملك(١) عليهم بغير رضاهم، فمالهم بمنزلة قتلهم، إنما يحسن بالشرع.

ومنها: أن مَنْ يؤخذ ماله إن كان مكلفًا فقد يكون عقوبة له كقتله، و[إن] لم يكن مكلفًا فلا بد من عوض، والأخذ ابتلاء ومحنة.

ومنها: أن من أُخِذَ ماله وليس هو(٢) بمكلف، فإن مات قبل تكليف أو أسلم بعدما كلف وصل إليه العوض، وإن لم يسلم ينقص بقدر ذلك من عقابه.

ومنها: أن ذلك العوض على من(٣) يجب؟ فقال أصحابنا: على الله تعالى؛ لأنه أباح أخذ مالهم فالعوض يجب عليه كما يجب بذبح البهائم.

ومنها: أن أخذ مالهم لا بد أن يكون مصلحة في التكليف كاستخدام العبيد، وذبح البهائم، والآلام، فهو استصلاح وفيه عوض.

وأما الأحكام الشرعية: منها حكم الغنائم، ومنها حكم الخمس، ومنها حكم(٤) وجوب الرضا بحكمه، وأن الإيمان لا يتم إلا بذلك، وأن هذه القسمة من حكمه، ومنها يدل على أن(٥) هذه القسمة نزلت يوم بدر، وهو يوم الفرقان.

۞ أحكام الأموال

المأخوذ من مال الغير على وجهين: مأخوذ من مسلم، ومأخوذ من كافر.

فأما المأخوذ من المسلم: فسماه الله تعالى: صدقة وزكاة، وذلك يجب في السوائم، وأموال التجارة، والذهب والفضة، والغلة، ويختلف الواجب في ذلك.

---

(١) يتملك: يملك، د.
(٢) هو: ـ، ض.
(٣) من: ما، ض.
(٤) حكم: إلا، ض.
(٥) أن: ـ، ض.

والثاني: الخراج ويجري مجرى الفيء؛ لأن الأرض إذا كانت خراجية فاشتراها مسلم لا يسقط عنها[1] الخراج، ولا يجب العشر عند أبي حنيفة، وعند الشافعي يجب.

فأما المأخوذ من الكفار: فثلاثة أنواع: الفيء، والأنفال، والغنيمة، وقيل: الكل واحد، وقيل: الفيء والغنيمة واحد[2]، وهذه الآية نسخت آية سورة الحشر، عن قتادة، والصحيح عندنا أنها متغايرة وهو مذهب عطاء بن السائب وسفيان وأبي حنيفة والشافعي. والأنفال[3] ثابت، وهو أن يقول الإمام: من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا، وذلك يكون قبل إحراز الغنيمة، فأما بعده فليس له ذلك عند أبي حنيفة، وقال الهادي: له ذلك.

وأما الفيء ما صار للمسلمين من مال أهل الحرب من غير قتال، وهو المراد بقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر:٧] فأضافه إلى الرسول كما أضاف الغنائم إلى الغانمين[4]، فأربعة أخماسه للرسول، والخمس يصرف إلى أهل الخمس، ومن ذلك الخراج والجزية.

وقال أبو يوسف: الفيء عندنا هو الخراج، وهذا[5] صحيح؛ لأنه مما يصل إلى المسلمين من غير قتال فحكمه حكم الفيء، فكذلك ما صولح عليه أهل الحرب، وكذلك ما اكتسبه[6] المرتد في حال ردته، ثم قتل أو توفي، فأما ما اكتسبه قبل الردة فهو ميراث لورثته المسلمين، وعند الشافعي هو فيء.

وقال أبو يوسف ومحمد: ما اكتسبه في حال الردة ميراث أيضًا.

فأما المال الذي لا مالك له فيصرف إلى مصالح المسلمين فجرى مجرى الفيء، وموضع الفيء بيت مال المسلمين ومُصرفُه في مصالحهم[7] والمتصرف فيه الإمام.

---

(١) عنها: عنه؛ د، ض.
(٢) واحد: واحدة، ض.
(٣) والأنفال: فالأنفال، د.
(٤) الغانمين: القائمين، ض.
(٥) وهذا: وهل، ض.
(٦) ما اكتسبه: ما كسبه، ض.
(٧) ومصرفه في مصالحهم: ومصرفه ومصالحهم؛ د، ض.

فأما الغنائم فهو ما يؤخذ من أهل الحرب بقتال، فأربعة أخماسه للجيش؛ لأنه ـ تعالى ـ أضافها إليهم، والأمة أجمعت على ذلك، وأما خمسه فلأهل الخمس، والذي يتصرف فيه الإمام لا يخرج عن هذه الأقسام، وما عدا ذلك تحفظ على أربابها.

أحكام الغنائم

الغنائم[1] على ثلاثة أنواع: الأموال المنقولة، والعقارات، والرقاب.

فأما المنقولات: فلا خلاف أن أربعة أخماسه يقسم بين الجيش ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وللفارس[2] سهمان، وللراجل سهم. وقال مالك والشافعي: للفارس ثلاثة أسهم، ولا سهم لأكثر من فرس واحد عند[3] أبي حنيفة وأكثر الفقهاء.

وعن أبي يوسف: يسهم لثلاثة[4] أفراس، وروي ذلك عن القاسم ﷺ، وإن حضر[5] الوقعة النساء والصبيان وأهل الذمة وقاتلوا برضخ يسهم، ولا يسهم.

وقال الأوزاعي يسهم للنساء[6]، فأما التجار فيسهم لهم عند الأكثر، وللشافعي فيه أقوال، وقد قال أبو حنيفة: الملك في الغنائم لا يتأكد إلا بالإحراز بدار الإسلام أو يقسمه الإمام، وقال الشافعي: يتأكد بالأخذ، ويتفرع من ذلك مسائل:

أحدها: المدد إذا لحق بعد الوقعة عند أبي حنيفة يسهم لهم.

وثانيها: لا تقسم الغنيمة في دار الحرب عنده، وهو قول النفس الزكية، ومن مات قبل[7] الإحراز من الغانمين[8] لم يستحق شيئًا، ولا يكون لورثته سهم،

---

(١) الغنائم: ـ ، ض.

(٢) وللفارس: والفارس، د.

(٣) عند: ـ ، ض.

(٤) يسهم لثلاثة: لسهم وثلاثة، ض.

(٥) حضر: ـ ، ض.

(٦) للنساء: النساء، د.

(٧) قبل: في، ض.

(٨) الغانمين: العالمين، ض.

والشافعي خالف في جميع ذلك، وقد قالوا: الواحد والاثنان إذا دخلا[١] دار الحرب وأخذا[٢] المال، قالوا[٣] : وكان بإذن الإمام فهو غنيمة بالاتفاق، ولو كان بغير إذن[٤] الإمام فليس بغنيمة عند أبي حنيفة، ولا بخمس، وقال الشافعي: هو غنيمة ويخمس، وهو مذهب الهادي.

أما العقارات كالأراضي ونحوها[٥] إذا غلب عليه الإمام فقيل: الرأي فيه إلى الإمام إن شاء قسم بين الغانمين[٦] كما فعل رسول الله ﷺ بخيبر، وإن شاء أقرها في أيديهم[٧] ووضع عليهم الخراج كما فعل عمر بسواد العراق وبمصر باتفاق الصحابة، فتكون الأراضي[٨] ملكًا لهم والخراج حقا[٩] يتعلق برقبتها، وهذا قول أبي حنيفة. وقال الشافعي: يكون وقفًا من جهة الإمام، والخراج يجري مجرى الأجرة، ويجب على العشر في الخارج إذا كان في يد المسلم مع الخراج[١٠]. وفيهم من قال: بل الواجب أن يقسم إلا[١١] أن تطيب أنفس الغانمين[١٢] بخلاف ذلك، وقد جرى في ذلك منازعة أيام عمر، واحتج عليهم بكتاب الله، ووضع الخراج عليهم، ثم استخرجها عثمان وعلي، ولم ينقض أحد ما فعله، والكلام فيه يطول.

وأما[١٣] الرقاب فإن أسلموا قبل الأخذ فلا خلاف أنه يحرم أخذهم

---

(١) دخلا: دخل؛ د، ض.
(٢) وأخذا: وأخذ، د.
(٣) قالوا: قال؛ د، ض.
(٤) إذن: ـ ، ض.
(٥) ونحوها: ونحوه، د، ض.
(٦) الغانمين: العالمين، ض.
(٧) أيديهم: يدهم، د.
(٨) الأراضي: الأرض، ض.
(٩) حقا: حق؛ د، ض.
(١٠) في يد مسلم مع الخراج: في المسلم الخراج، ض.
(١١) إلا: إلى، ض.
(١٢) الغانمين: العالمين، ض.
(١٣) وأما: فأما، ض.

وغنمهم[١]، وإن لم يسلموا[٢] حتى أخذوا[٣] فالإمام مخير بين القتل والاسترقاق، فإن اختار القتل قتل المقاتلة، ولا يقتل مَنْ ليس من أهل القتال كالنساء والصبيان والرهبان، ولا الأعمى و[٤] المقعد إلا أن يكون رئيسًا أو ذا رأي يرجع إلى رأيه[٥] فحينئذ يقتل كما قتل رسول الله ﷺ دريد بن الصمة، وإن اختار الاسترقاق وقسم بين الغانمين فأخرج[٦] منها الخمس ـ جاز هذا إذا كان من غير عبدة الأوثان من العرب، فإن كان منهم فالقتل أو الإسلام لا يجوز غير ذلك، وأما عبدة الأوثان من العجم فيجوز استرقاقهم عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجوز.

فأما المن فلا يجوز عند أبي حنيفة لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، ولأن في رده[٧] إعانة المشركين وتكثيرًا لسوادهم، وما روي أنه مَنّ على ابن[٨] أبي عزة فنسخ ذلك بآية السيف. وقال الشافعي: يجوز المنّ.

فأما إذا لم يسترقهم ولكن أقرهم في ديارهم ووضع عليهم الجزية جاز، ويكونون[٩] أحرارًا كما فعله رسول الله ـ صلى الله عليه ـ بمجوس هجر، وفعله الصحابة برقاب العجم والشام.

فأما مفاداة الأسرى بالأسرى فعند أبي حنيفة لا يجوز، قال أبو يوسف ومحمد: يجوز.

وأما مفاداتهم بمال يؤخذ من أهل الحرب فلا يجوز عند أبي حنيفة وأبي يوسف،

---

(١) وغنمهم: ويغنمهم؛ د، ض.
(٢) يسلموا: يسلم؛ د، ض.
(٣) أخذوا: أخذ، د.
(٤) و: ـ، ض.
(٥) رأيه: رأيهم، د.
(٦) فأخرج: وأخرج، د.
(٧) رده: داره، د.
(٨) ابن: ـ، ض.
(٩) ويكونون: ويكونوا: د، ض.

وقال محمد: يجوز، واستشهد بحديث بدر، وقال الهادي: إن رأى الإمام فيه صلاحًا جاز بالمال وبالأسرى[1].

۞ أحكام الخمس

الكلام فيه من وجهين:

أحدهما: ما يجب فيه الخمس.

والثاني: مَصْرِفُ الخمس.

أما الأول: فلا خلاف بين أهل العلم أن الغنائم يجب فيها الخمس، فأما ما يستخرج من المعادن ففيه الخمس عند أبي حنيفة، وللشافعي[2] قولان: أحدهما: ربع العشر، وفي الآخر الخمس.

فأما الركاز: فهو كنوز أهل الجاهلية ففيه الخمس، وقال الشافعي: إن وجد في داره فلا خمس فيه، والخراج وما يؤخذ من الأراضي الصلحية والحربية لا يجب فيها الخمس عند أبي حنيفة، وقال الهادي: في جميع ذلك الخمس.

فأما السلب: لا خمس فيه عند أبي حنيفة والشافعي، وقال الهادي عليه السلام: فيه الخمس لظاهر الآية.

فأما الثاني: وهو مصرف[3] الخمس، فاختلفوا[4]، فقيل: جميعه لآل الرسول، روي ذلك عن علي بن الحسين، وعبدالله بن الحسن بن الحسن. قال الهادي عليه السلام: يجوز صرفه إلى غيرهم إلا أن آل الرسول أولى به من غيرهم، فيتيم آل الرسول أولى من اليتيم من غيرهم، وكذلك المسكين[5] وابن السبيل، وعلى هذا

(١) وبالأسرى: وبالأسر، د.
(٢) وللشافعي: والشافعي، ض.
(٣) مصرف: صرف، ض.
(٤) فاختلفوا: اختلفوا؛ د، ض.
(٥) المسكين: المسلمين، د.

يحمل قول علي بن الحسين[١] (عليه السلام)، وقيل: بل يقسم على سهام، وقيل: هو[٢] على ما يراه الإمام[٣] إن شاء قسمه فيهم وإن شاء وضعه في واحد، وإن شاء أخرجه عنهم، وهو قول مالك.

ثم اختلفوا على أربعة أقوال[٤]:

الأول: أنه يقسم على ستة أسهم، عن أبي العالية والربيع. وهذا[٥] هو مذهب الهادي، وظاهر الكتاب.

والثاني: على خمسة: وسهم الله والرسول واحد، عن ابن عباس وإبراهيم وقتادة وعطاء.

الثالث: قيل: يقسم على أربعة أسهم: لذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، عن الشافعي.

الرابع: أنه[٦] يقسم على ثلاثة، لأن قوله: «**لله**» استفتاح[٧] كلام، وما كان للنبي ﷺ سقط بموته[٨] وجعله الإمام[٩] في الكراع والسلاح، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وذكروا أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[١٠] قسما على ثلاثة بحضرة الصحابة من غير نكير[١١] وكذلك أمير المؤمنين - عليه السلام «ما أفاء الله عليه» فنعود إلى ذكره سهما سهما[١٢]».

---

(١) قول علي بن الحسين: قول أبي علي بن الحسين، ض.
(٢) هو: - ، ض.
(٣) الإمام: - ، ض.
(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ٤/ ٢٤٤
(٥) هذا: -، د.
(٦) أنه: -، د.
(٧) استفتاح: افتتاح، د.
(٨) بموته: بموتهم، ض.
(٩) الإمام: الأمة، د.
(١٠) رضى الله عنهما: - ، ض.
(١١) نكير: تكفير، ض.
(١٢) ذكره سهما سهما: ذكر سهم سهم، د، ض.

فأما سهم الله فقيل: هو استفتاح الكلام؛ لأن الأشياء كلها له، والمعنى أنه يصرف إلى ما يفند به، وعليه أكثر المفسرين، وقيل: الصرف إلى أبيات[1] الكعبة، عن أبي العالية، وقد بينا أنه ليس بشيء،وقيل: يصرف في أبواب القرب[2]، كإصلاح طريق المسلمين، وحفر آبارهم، وبناء مساجدهم، وهو مذهب الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فأما سهم الرسول فقد كان له سهم في حال حياته يصرفه في مؤنه وما فضل في الكراع والسلاح وغيره من المصالح، وكان لرسول الله ﷺ الفيء لقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر:٧] وسهم من الغنيمة؛ لأنه واحد من أهل العسكر، وسهم[3] من الخمس والصفي، وقد[4] كان الصفي له فقط، عن الشعبي، والأول الوجه لظاهر التلاوة، ولأن اللام[5] يدل على الملك، ولأن سهمه كسهم غيره، واختلفوا في سهمه بعد موته، فذكر الطحاوي في اختلاف الفقهاء أن طائفة قالت: إنه للإمام ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين، وطائفة قالت: يجعل في الخيل والكراع في سبيل الله، وطائفة تقول: يسقط بموته، ويجعل في الخمس، ويقسم على ثلاثة، فأما الأول فإليه ذهب الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والثاني قول الشافعي فإنه قال: يصرف إلى مصالح المسلمين، والثالث قول أبي حنيفة، وروي أن الخلفاء الأربعة جعلوا السهم في الكراع والسلاح، وهو اختيار أبي علي وأبي مسلم.

فأما سهم ذوي القربى فاختلفوا:

فأما أبو حنيفة وأصحابه فاختلف قولهم فيه، منهم من قال: سقط، ومنهم من قال: لم يسقط ولكن استحقاقه بالفقر، ويقسم الخمس على ثلاثة يدخل القربى في كل ذلك، وكان أبو بكر الرازي يقول: كان استحقاقه زمن النبي ﷺ بالنصرة، وبعده بالفقر.

---

(١) أبيات: بيات، ض.
(٢) القرب: الكفر، ض.
(٣) وسهم: ولا سهم، والله أعلم، د.
(٤) وقد: وقيل، د.
(٥) اللام: الأم، ض.

وقال الشافعي: يستحق بالاسم والنسب، ويشترك فيه الغني والفقير، وهو مذهب الهادي، والصحيح من مذهبه ومذهب مشايخ الزيدية أن استحقاقه بالنصرة أيام الرسول وبعده من كان[١] في نصرة الحق صرف إليه، ولو كان في نصرة الباطل لا يصرف، وهذا أوجه الأقوال لقوله ﷺ جوابًا لعثمان وجبير بن مطعم لما سألاه، وقالا: نحن وبنو المطلب كهاتين، فَلِم أَعطيتهم وحرمتنا؟ فقال: «لأنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام».

ثم اختلفوا في ذوي القربى:

فقيل: بنو هاشم، عن مجاهد وعلي بن الحسين وعبد الله بن الحسن.

وقيل: ولد العباس وولد الحارث بن عبد المطلب، وولد جعفر، وولد عقيل، وولد علي، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

وقيل: بنو هاشم وبنو المطلب، عن الشافعي.

وقيل: لكل قريش. وقيل: لما[٢] يراه النبي من قريش، حكى جميع ذلك الطحاوي.

وكيف يقسم؟ قال الشافعي: «للذكر مثل حظ الأنثيين» يقسم قسمة الميراث.

وقال الهادي: يقسم قسمة الغنيمة، فيقسم بينهم بالسوية، وقال أبو حنيفة: على ما يراه الإمام.

فأما سهم المساكين[٣]. فاختلفوا[٤]: فقال أبو حنيفة: المسكين أسوأ حالاً من الفقير، وهو قول جماعة أهل اللغة، وقال الشافعي: الفقير أسوأ حالاً، وهو قول الأنباري.

فأما سهمه وسهم اليتيم وابن السبيل فلا خلاف أنه ثابت، واتفقوا أن الفقر[٥] في اليتيم وابن السبيل شرط، فصار الفقر كالعمدة فيه.

---

(١) من كان: ما كان، ض.
(٢) لما: لم، ض.
(٣) على ما يراه الإمام فأما سهم المساكين: -، ض.
(٤) فاختلفوا: اختلفوا؛ د، ض.
(٥) الفقر: الفقير، د.

قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «**بالعِدْوة**» بكسر العين في الحرفين[١]، وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان.

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكرعن عاصم، والبزي عن ابن كثير، وبصير عن الكسائي ويعقوب «**ويحيا من حَيِيَ**» بإظهار الياءين[٢]. وقرأ أبو عمرو وابن كثير في رواية القراءتين، وابن فليح وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم والكسائي بياء مشددة على الإدغام، فأما الإدغام للزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى (ردوا)؛ لأنه في المصحف بياء واحدة[٣]، فأما الإظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه من «يحيا» فجرى على مشاكلته، فأما «حيا يحيا» فلا يجوز فيه الإدغام عند البصريين؛ لأن الثاني إذا سكن في الصحيح من المضاعف، نحو: لم يردد، كان الإظهار أجود والمعتل أحق كان السكون له ألزم[٤]، وقد أجاز بعض الكوفيين الإدغام في (يحيا).

اللغة

العدوة: جانب الوادي[٥]، والجميع عِدَاءٌ[٦] وللوادي عدوتان، وهما: شفيراه وجانباه، لأنه نهايته.

---

(١) حجة القراءات ٣١١.

(٢) حجة القراءات ٣١١.

(٣) واحدة: ـ، د.

(٤) ألزم: اللزوم، د.

(٥) جانب الوادي: الوادي جانبه؛ د، ض.

(٦) عداء: أعدا، ض.

«والقصوى» تأنيث «الأقصى» كالأكبر والكبرى، والأصغر والصغرى.

والدنيا تأنيث الأدنى، يعني أدنى إلى جهة مكة، والدنيا: النشأة الأولى، وهي من الواو، قولك: دنوت إلى الشيء أدنو دنوًّا: إذا قرب، وأدناه إدناءً، فقلبت الواو ياء تخفيفًا.

والقَصْيُ: البعد، وهو بالمكان الأقصى: الأبعد والناحية القصوى، وأقصيته: أبعدته، وقصوت من القوم أقصو: تباعدت.

والركب: جمع راكب، كشارب وشرب، ركب يركب ركوبًا، والراكب المطي، والركب والركبان واحد، وهو أن يكونوا[1] على جمال، وناقة رَكَّابَةُ[2]، تصلح للركوب، وأَرْكَبَ المُهْرُ: جاز أن يُرْكَبَ، وما له رَكُوبَةٌ أي ما يَرْكَبُهُ.

والسفل: خلاف العُلْوِ، سَفُلَ يَسْفُلُ سَفَالاً[3] وتَسَفَّلُ[4] تسفلاً، وهو الأسفل، والسفلي.

والمواعدة: مفاعلة من الوعد، وهو وعد كل واحد لصاحبه.

۞ الإعراب

العامل في قوله: «**إذ أنتم**» ما تقدم من الكلام، تقديره: اعلموا أن الله حكيم[5] في قسمة الغنائم، إن كنتم مؤمنين بالله وما أنزل يوم الفرقان إذ كنتم، وقيل فيه حذف، أي اذكر[6] إذ كنتم، عن أبي علي.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ نصره إياهم ببدر في مواقفهم، فقال سبحانه: «**إِذْ أَنْتُمْ**» أيها المؤمنون «**بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا**» أي[7] بشفير الوادي، الأقرب إلى المدينة «**وَهُمْ**» يعني

(١) أن يكونوا: أن يكون، د.
(٢) ركابة: ركبانة، د.
(٣) سفل يسفل سفالا: أسفل يسفل سفلا؛ د، ض.
(٤) تسفل: يسفل؛ د، ض.
(٥) حكيم: حليم، د.
(٦) أي اذكر: أي اذكر ما، د.
(٧) أي: ـ ، د.

المشركين، وهم أصحاب النفير «**بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**» أي: بالشفير الأقصى من المدينة «**وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**» يعني أبا سفيان وأصحابه في العير في موضع «**أَسْفَلَ مِنْكُمْ**» أي إلى ساحل البحر، في معنى قول الحسن وقتادة وابن إسحاق ومجاهد والسدي، وذلك أنهم نزلوا هكذا فالمسلمون على الوادي والمشركون بأسفله وأبو سفيان والعير على الساحل حتى قدم مكة، فذكر الله تعالى تقارب[١] الفئتين من غير ميعاد، وما كان فيه من قلة الماء ورمل تسوخ فيه الأقدام، ومع قلة العدد وآلة الحرب بحيث لا مطمع لهم في قتالهم[٢] من تلقائهم، وأعداؤهم على الماء في غير رمل مع كثرة العدد والعدة والعير أسفل منهم فيها أموالهم، مع هذا نصرهم عليهم؛ ليعلموا[٣] أن النصر من عند الله، وقيل: خرج المسلمون لطلب العير، وخرج[٤] المشركون لمنع العير، فالتقوا من غير ميعاد، وقيل: نزل ذلك المنزل بالوحي ولو تواعدوا لما نزلوا ذلك، فذكر أن ذلك كان[٥] أصلح لهم، عن أبي علي. «**وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**» وقيل: لو تواعدتم الحرب، ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم ولنقضتم الميعاد، عن ابن إسحاق. وقيل: لو تواعدتم من غير لطف الله لاختلفتم[٦] بالعوائق والقواطع «**وَلَكِنْ**» قيل: جمعكم على غير ميعاد «**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً**» قيل: ليمضي ما أراد من إعزاز دينه، ونصرة[٧] أوليائه، وهلاك المشركين، بَيَّنَ أن ذلك لم يكن بقوتهم، ولكن بلطف الله ونصره، وقيل: ليدبر[٨] «**أمرًا كان مفعولاً**»[٩] كائنًا واجبًا فعله، وهو نصرة النبي ﷺ كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب:١٥]، عن أبي مسلم. وقيل: ليتم أمرًا سبق وعده به، أو[١٠] ليتم أمرًا

---

(١) تقارب: مقاربة، د.
(٢) في قتالهم: ــ، د.
(٣) ليعلموا: ليعلم، ض.
(٤) وخرج: وكان، ض.
(٥) كان: كن؛ د، ض.
(٦) لاختلفتم: لأخلفتم، د.
(٧) ونصرة: ونصر، د.
(٨) ليدبر: ليذكر، د.
(٩) مفعولاً: ــ ، ض.
(١٠) أو: وقيل، د.

كان في علمه مفعولاً لا محالة من[1] إظهار الإسلام «**كَانَ مَفْعُولاً**» قيل: صار مفعولاً؛ لأنه لا يخلف وعده، وقيل: واجب فعله «**لِيَهْلِكَ**» يعني فعل ذلك ليهلك، فاللام لام التعليل ويرجع على اللام في قوله: «**ليقضي**» تقديره: ليقضي وليهلك، ومعناه: فعل ذلك معجزة لرسول الله[2] ونصرة لأوليائه «**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ**[3]» أي بعد إقامة الحجة «**وَيَحْيى مَنْ حَيَّ**» عن حجة أي: عن علم، وقيل: بينه بما رآه يوم بدر، وقيل: يحيامن حيّ بقول: لا إله إلا الله، وقيل: أراد بالهلاك الموت وبالحياة حياة النفس، وقيل: بالهلاك الضلال، وبالحياة حياة الدين توسعًا، وقيل: ليهلك الكافر فيدخل النار، وقد قامت[4] الحجة عليه، ويحيا المؤمن بحياة الدنيا والشهادة بعدم قيام الحجة، عن أبي مسلم. «**وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**» سميع لأقوالهم، عليم بما في ضمائرهم، يجازيهم بحسب ما يكون لهم منهم.

الأحكام

تدل الآية على تذكر[5] نعمه ونصره للمؤمنين؛ إذ كانوا في قلة، وموضع رمل، والكافرون على قرار صلب، مع كثرة العدد، وتدل أن ذلك الظفر كان بنصر الله، وتدل أنهم اجتمعوا على غير ميعاد، وتدل أنه[6] نصرهم لإمضاء موعود.

ومتى قيل: كيف يقضي قتال الكفار مع قبحه؟

فجوابنا: أراد نصر المؤمنين والمعونة لهم دون فعل الكفار.

وتدل على تمام حجة الله ووجوب النظر والتفكر، وأن الهالك هلك بعد إقامة الحجة عليه.

وتدل على أن ما فعله ـ تعالى ـ يوم بدر كان لطفًا للمسلمين.

(١) من: في، د.
(٢) لرسول الله: لرسوله، د.
(٣) بيِّنة: حجة، د.
(٤) قامت: مات، ض.
(٥) تذكر: تذكير، د.
(٦) أنه: أنهم، د.

قوله تعالى:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

اللغة

الرؤية: إدراك المرئي، ثم قد يكون ذلك بحاسة كالواحد منا، وبغير حاسة كالقدير سبحانه، يقال: رأى يرى رؤية، والرؤيا ما تراه في النوم، وجمعها: رُؤى، والرؤيا تتنوع أربعة أنواع:

[الأول]: تكون من الله، وتكون من الملك بأمره، ولهذين التأويل.

والثاني: تكون من وساوس الشيطان.

والثالث: من غلبة الأخلاط[1].

والرابع: بغية الكفر. وكلها أضغاث أحلام، لا تأويل لها.

والرؤيا ترجع إلى الاعتقاد.

والنوم مصدر نام ينام[2] نومًا، وأنامه إنامة، وقيل: النوم سهو في القلب، وفتور في الأعضاء، وقيل: إنه معنى برأسه مقدور للقدير تعالى.

والفشل: الضعف من فزع، فَشِل يَفْشَلُ فشلاً، فهو فَشِلٌ، نسبة إلى الفشل. والتنازع: الاختلاف، نازعه منازعة، وتنازع الأمر.

والسلامة: النجاة من الآفة، سلم سلامة، وأسلم إسلاما[3]، وأسلم: دخل في السلامة، ويسلم: طلب السلامة.

---

(١) الأخلاط: الاختلاط، د.

(٢) ينام: ينوم، د.

(٣) وأسلم إسلاما: ـ، د.

والصدر: موضع القلب، وهو أَجَلُّ موضع في البدن، ومنه صدر الدار، وصدر المجلس أجل الموضع.

والعين الحاسة المعرفة، وفيه اشتراك عين الإنسان وعين الركبة وعين الميزان وعين الماء، وأصل الجميع العين التي هي[1] الحاسة.

والالتقاء: الاجتماع بحيث يقع نصر أحدهما على الآخر.

۞ الإعراب

العامل في قوله: «**إذ يريكموهم**» قيل ما تقدم تقديره: أراكم[2] النصر إذ كنتم[3] بشفير الوادي إذ يريكهم، وقيل: محذوف تقديره: واذكروا إذ يريكموهم[4].

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أحد أسباب النصر وما فعله من اللطف، فقال سبحانه: «**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ**» أي: يري الله محمدًا[5] ﷺ هؤلاء المشركين «**فِي مَنَامِكَ**» قيل: نومك يا محمد، وقيل: في موضع نومك، أي في عينك التي تنام بها، عن الحسن. وليس من الرؤيا في النوم، وهذا بعيد؛ لأنه خلاف الظاهر «**قَلِيلاً**» لتخبر[6] أصحابك فيجترئوا[7] عليهم، وتقوى قلوبهم، وذلك أنه ﷺ رآهم في نومه قليلاً وأخبرهم برؤياه فقالوا: رؤيا النبي حق، فكان نعمة من الله قَوَّى قلوبهم ونصرهم على عدوهم «**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ**» لجبنتم من لقائهم «**وَلَتَنَازَعْتُمْ**» اختلفتم في محاربتهم، ولم تجتمع[8] كلمتكم على قتالهم، عن أبي علي والأصم، «**وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ**» قيل: سلمهم من الفشل والتنازع الذي علم أنه سيحدث لو أراكهم كثيرًا، عن أبي علي والأصم. وقيل:

---

(١) التي هي: الذي هو، د، ض.

(٢) أراكم: إياكم؛ د، ض.

(٣) إذ كنتم: ـ، ض.

(٤) يريكموهم: يريكهم؛ د، ض.

(٥) محمدًا: محمد، د.

(٦) لتخبر: تخبر، ض.

(٧) فيجترئوا: فيجتري، د.

(٨) تجتمع: تجمع؛ د، ض.

سلم أمرهم بأن أظهره مع ليعدوهم، عن ابن عباس. وقيل: سلمك[١] من كيد العدو «**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**» ولا يخفى عليه منه شيء «**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ**» وإنما أضاف الرؤيا إلى النبي ﷺ؛ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقًا، وإضافة رؤية العين إليهم يعني يُري المسلمين أن في الكفار قلة، قيل: لتصدق رؤياه، وقيل: ليجترئوا عليهم لأنهم لما التقوا ببدر قللهم في أعين المسلمين، قال ابن مسعود: قلُّوا في أعيننا حتى قلت[٢] لرجل بجنبي: تراهم سبعين رجلا[٣] فقال: أراهم مائة فأسرنا رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ فقال: ألف «**وَيُقَلِّلُكُمْ**» أيها المؤمنون في أعين الكفار، وإنما قللهم في أعين الكفار لئلا يستعدوا[٤] لهم، ولايجدُّوا في القتال، ولا يحذروا كل الحذر، وقيل: قللهم عند اللقاء؛ لتحرص كل فئة على قتال صاحبتها[٥]، فلما اختلطا قلَّل المشركين في أعين المسلمين، وكثرَّ المسلمين في أعين المشركين حتى جبنوا وانهزموا[٦] «**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا**» كان في علمه من قتل الصناديد، وإعزاز دين الإسلام.

وروى السدي أن أناسًا[٧] من المشركين قالوا: انصرفت العير فانصرفوا، فقال أبو جهل: الآن أدبر رأيكم لا ترجعوا حتى تستأصلوا محمدًا، ولا تقتلوهم بل خذوهم أخذًا إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فاربطوهم بالحبال، يقول ذلك من القدرة في نفسه حتى قتله الله[٨] ـ تعالى ـ وقتل أصحابه.

ومتى قيل: كيف قللهم في أعينهم؟

قلنا: بغبرة تحجب أو بُعْد[٩] موضع مع ضعف[١٠] الشعاع[١١] أو بعكس الشعاع

---

(١) سلمك: سلم، ض.
(٢) قلت: ـ، ض.
(٣) رجلا: زيادة من تفسير البيان: ٥/ ١٣١.
(٤) يستعدوا: تستعدوا؛ د، ض.
(٥) صاحبتها: صاحبه؛ د، ض.
(٦) وانهزموا: ويهزموا، ض.
(٧) أناسًا: ناسًا، د.
(٨) الله: ـ، د.
(٩) بعد: بعدة؛ د، ض.
(١٠) مع ضعف: ضعيف؛ د، ض.
(١١) الشعاع: شعاع، د.

عن بعضهم، أو حجاب يفعله، كل ذلك جائز، ويكون معجزة للنبي ﷺ «**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا**» قيل: ليمضي، وقيل: ليتم أمرًا، قيل: إعزاز الإسلام والمسلمين، وليس بتكرار؛[1] لأن الأول بمعنى جمعكم من غير ميعاد و«يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ **مَفْعُولاً**» من الالتقاء على تلك الصفة، والثاني أن يقلل كل فئة في عين صاحبها ليقضي الله أمرًا من إعزاز الدين بجهادكم، وقيل: أراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر، وبالثاني الاستمرار على النصرة، وقيل: هو تأكيد «**كَانَ مَفْعُولاً**» أي: سيكون ولكن بتحقيق كونه صار كأنه قد كان «**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**» قيل: معناه بالحقيقة[2] ما يفعله ـ تعالى ـ كما قال: سترجع إلى قولي، وقيل: جميع مصائر الأمور إلى ملكه ومشيئته ولا حول ولا قوة إلا به، يؤيد[3] صره المؤمنين ويذل الكافرين، عن أبي مسلم. كما يقال: مرجعي إلى فلان إذا عول عليه، وقيل: أمرهم راجع إليه يحكم بينهم يوم القيامة عن الأصم.

الأحكام

تدل الآية على أن رؤيا النبي ﷺ في قلة أعدائه لطف للمؤمنين في تقوية قلوبهم[4].

ومتى قيل: الرؤيا ظن وحسبان فكيف يفعله تعالى؟

قلنا: يخطر[5] ببال النائم ما يدعوه إلى الظن والاعتقاد فيدعوه إلى الطاعة.

ويدل قوله: «**لفشلتم**» أنه فعل ذلك لطفًا لهم؛ ليسلموا من الفشل والتنازع.

وتدل على نعمة عظيمة في تقليل كل فئة في عين صاحبها، فيؤدي إلى نصرة المؤمنين، ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ نصرهم بوجوه النصر، كل ذلك إعزازا[6] لدينه ونصرًا لأوليائه.

---

(١) ليس بتكرار: بتكرار؛ د.
(٢) بالحقيقة: الحقيقة، د.
(٣) يؤيد: أيد؛ د، ض.
(٤) قلوبهم: عدوهم، ض.
(٥) يخطر: يحضر، ض.
(٦) إعزازا: إعزاز؛ د، ض.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**فتفشلوا**» بفتح الشين، وعن الحسن بكسر الشين، وهما لغتان، يقال: فَشِل يَفْشَل فشلاً: إذا جبن، والفَشِلُ: الرجل الضعيف.

اللغة

الإيمان في اللغة: التصديق، وأصله من الأمن، وهو الثقة الموجبة للسكون والدعة، وفي الشرع: عبارة عن القول والمعرفة والعمل ولذلك صار اسم مدح.

والفئة: الجماعة المنقطعة من غيرها، وأصله من فَأَوْتُ رأسه بالسيف: إذا قطعته.

والبَطَرُ: تجاوز الحد في المدح، وأصل البطر الشق[1]، ومنه: البيطار؛ لأنه يشق اللحم بالمِبْضَع وهو المِبَطّ، وبطر الإنسان بطرًا وأبطره: كثرة النعم إبطارًا.

والرياء: إظهار الجميل مع إبطان القبيح، راءى مراءاة، والمرائي: الرجل السوء.

والنفاق: إبطان الكفر، وإظهار الإسلام، والرياء: إبطان العصيان، وإن لم يكن كفرًا.

والصد: المنع، صد: منع، وصد: أعرض.

الإعراب

يقال: ما موضع «**فتفشلوا**» من الإعراب؟ وما العامل فيه؟

(١) الشق:ـ ، ض.

قلنا: موضعه نصب، والعامل فيه الفاء التي هي بدل من (أن) على معنى جواب النهي كقولك: لا تأت زيدًا فَيُهِينَك؛ ولذلك عطف عليه بالنصب في قوله[1] وتذهب». وقوله: «**ويصدون**» محله نصب، وهو عطف على قوله: «**بطرًا ورئاء**» ومعناه: ويبطرون ويراؤون ويصدون؛ إذ[2] لا يعطف مستقبل على ماض، وقيل: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾ نصب على الحال.

النزول

قيل: نزلت الآية في أهل مكة، خرجوا يوم بدر، ولهم فخر وخيلاء، فقال ﷺ: «اللهم إن قريشا[3] أقبلت بفخرها وخيلائها لتحاد[4] رسولك» فلما رأى أبو سفيان أنه أحرز ما له أرسل إلى قريش ليرجعوا فأتاهم الرسول بالجحفة، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدرًا ـ وكان موسمًا للعرب ـ فننحر الجزور، ونُسْقي الخمور، وتعزف علينا القيان، ويسمع بِنَا[5] العرب، عن ابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وابن إسحاق وغيرهم. ثم وردوا[6] بدرًا فَسُقوا بكؤوس[7] المنايا، وناحت عليهم النوائح، ونهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم.

المعنى

ثم أمر الله ـ تعالى ـ بقتال الكفار، والثبات في الحرب، وترك الخيلاء، قال القاضي: وإنما أكد ذلك؛ لأنه ـ تعالى ـ لما وصف عظيم نعمه يوم بدر ونصره، وكان من الجائز أن يتكلوا[8] في الجهاد على مثل ذلك، فأنزل هذه الآية، وشدد في ترك الاتكال[9] على مثل ما شاهدوه؛ لأن المصالح تختلف، فقال الله تعالى: «**يَا أَيُّهَا**

---

(١) قوله: ـ، ض.
(٢) إذ: ـ، د.
(٣) قريشا: قريش؛ د، ض.
(٤) لتحاد: ليجاد، ض.
(٥) بنا: بها؛ د، ض.
(٦) وردوا: ورد، ض.
(٧) بكؤوس: الكؤوس، ض.
(٨) يتكلوا: ينكلوا؛ د، ض.
(٩) الاتكال: الانكال؛ د، ض.

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً» يعني لقيتم جماعة كافرة للقتال، وإنما أطلق اللقاء؛ لأن القتال معلوم، وأطلق الفئة لأن المؤمن لا يقاتل إلا الفئة الكافرة والباغية، فحذف للإيجاز من غير إخلال **«فَاثْبُتُوا»** يعني: اثبتوا وقِرُّوا لِلُقْيَاهُمْ[1] ولا تفروا **«وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا»** أي: ادعوا الله كثيرًا[2] بالإخلاص وانقطعوا إليه في طلب النصر، وقيل: اذكروا ثواب الله في الجهاد ليكون لطفًا[3] في الثبات، وقيل: اذكروا أي[4] عقاب الله للفارين ليمنعكم من الفرار، وقيل: الجميع مراد بالآية عن أبي علي. **«لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»** أي: لتنجحوا بالنصر[5] والظفر، وقيل: افعلوا ذلك رجاء الفلاح، وقيل: لتفلحوا **«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** فيما أمركم به **«وَلَا تَنَازَعُوا»** لا تختلفوا فيما أمركم من الجهاد ولكن كونوا مجتمعين عليه **«فَتَفْشَلُوا»** أي: اختلافكم يؤدي إلى الفشل وهو الجبن والضعف **«فَتَفْشَلُوا»** تجبنوا وتضعفوا **«وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»** قيل: هو مثل، ومعناه: نصركم، عن مجاهد. يقال: ذهبت[6] ريح فلان أي: كان أمره يجري على الاستقامة، فذهبت، وقيل: ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله تضرب وجوههم، عن قتادة وابن زيد. ومنه قوله ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»[7] وقيل: دولتكم، عن الأخفش وأبي عبيدة وأبي علي. يقال: ذهبت ريحه أي: دولته، وقيل: حزمكم[8] وجرأتكم، عن السدي وعطاء. وقيل: قوتكم، عن النضر بن شميل. وقيل: غلبتكم، عن يمان. وقيل: يذهب ظفركم ورعب عدوكم منكم، عن الأصم. وقيل: حدتكم ونشاطكم، عن أبي مسلم ومقاتل. **«وَاصْبِرُوا»** أي على قتال الأعداء، لما منع من الفشل حث على الصبر الذي يؤدي إلى الذكر[9]

---

(١) وقروا للقياهم: أو قروا لقتالهم، د.

(٢) كثيرًا: ـ، د.

(٣) لطفًا: ـ ، ض.

(٤) اذكروا أي: وقد ذكروا، ض.

(٥) بالنصر: بالنصرة، ض.

(٦) ذهبت: ذهب، ض.

(٧) البخاري رقم ٩٨٨، ومسلم رقم ٩٠٠.

(٨) حزمكم: جزمكم، ض؛ جركم، د.

(٩) الذكر: ذكر، د.

الجميل والثواب الجزيل إما بالأجر[١] والغنيمة أو الشهادة والجنة «**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**» يعني بالنصر والمعونة «**وَلَا تَكُونُوا**» أيها المؤمنون «**كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ**» أهل مكة «**بَطَرًا**[٢]» فخرًا وأشرًا «**وَرِئَاءَ النَّاسِ**» قيل: خرجوا بالمعازف والقيان، ووردوا بدرًا؛ ليروا أنهم لا يبالون بالمسلمين، خلاف ما في قلوبهم من الخوف والرعب، والرياء قد يكون في غير الدين، عن[٣] أكثر المفسرين. وقيل: كانوا يدينون بعبادة الأصنام فلما أظهروا التقرب إلى الناس كانوا مرائين، وقيل: هم المنافقون خرجوا بطرًا ورئاء يعيبون[٤] دين النبي ﷺ ويلبِّسون على ضعفة المسلمين، ويظهرون الرياء، عن أبي مسلم. فنهى الله - تعالى - عن مثل حال الفريقين حثًا[٥] على الجهاد والتقرب إلى الله - تعالى - بالطاعة والإخلاص «**وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**[٦]» أي: يمنعون الناس عن دين الله، وقيل: يعرضون عنه، وقيل: يعرضون[٧] ويمنعون «**وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**» أي: أحاط علمه بما يعملون من الصد والرياء، فيجازيهم[٨] بها، عن الأصم وأبي مسلم. وقيل: هو اقتداره عليهم وعلى إبطال كيدهم، وكلا الوجهين جوّزه أبو علي.



الأحكام

في الآية تعليم من[٩] الله - تعالى - لعباده كيفية الجهاد، وما يلزم فيه من الصبر والذكر والانقطاع إليه تعالى.

وتدل على وجوب الاجتماع، وترك التنازع المؤدي إلى الضعف والفشل.

---

(١) بالأجر: بالأجرة، ض.
(٢) بطرًا: بطرًا ورئاء، ض.
(٣) عن: ـ ، ض.
(٤) يعيبون: يعيرون، د.
(٥) حثًا: حتى، د.
(٦) الله: ـ، د.
(٧) وقيل يعرضون: ـ ، ض.
(٨) فيجازيهم: فحاربهم، ض.
(٩) من: ـ ، ض.

وتدل على أن الواجب على المجاهد أن يكون قصده التقرب والإخلاص دون الرياء.

وتدل على أنه عالم بجميع الأشياء؛ لأن المراد بالإحاطة ذلك، فتدل على أنه عالم بجميع المعلومات، فيوجب كونه عالمًا لذاته.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

القراءة

«**إني أرى**» و«**إني أخاف**» فتح الياء فيهما أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وابن عمرو، وأسكنهما الآخرون.

اللغة

الزينة: لباس الحلة، والتزين: التحسين بالزينة، والزين: نقيض الشين.

والغلبة: القهر، غلب فهو غالب.

والجَارُ: الدافع عن صاحبه، كما يدفع الجار عن جاره.

والنكوص: رجوع القهقرى خوفًا، نكص ينكص نكوصًا، والنكوص: الإحجام عن الشيء، يقال: نكص على عقبيه.

والعَقِبُ: أصله أن يجيء الشيء يعقب الشيء، ومنه: العقب: الأولاد[1] ومنه: العقب مؤخر القدم، ونكص على عقبيه رجع إلى[2] ورائه يمشي القهقرى، قال أبو عبيد: يقال عَقَبَ يَعْقُبُ عقوبًا وعَقْبًا: إذا جاء شيء بعد شيء، ومنه: العقاب جزاء الذنب؛ لأنه يأتي عقيبه.

---

(١) ومنه العقب الأولاد: ـ، ض.

(٢) إلى: من، ض.

۞ الإعراب

«وإذ» عطف على ما تقدم من تذكير النعم[١]، وإعلام المؤمنين بأن أعمال الكفار طاعة للشيطان[٢] واتباع لأمره، وتقديره: وإذ يمكرون[٣]، وإذ يريكموهم، وإذ زين، عن أبي مسلم. وقيل: تقديره: واذكر[٤] إذ زين، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَـرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٥]، تقديره: لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم إذ زين لهم الشيطان أعمالهم، عن علي بن عيسى.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في المشركين حين خرجوا إلى بدر، فذكر ابن عباس والسدي وابن إسحاق وغيرهم أنهم لما اجتمعوا على المسير[٦] ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناف من بني كنانة، فتمثلّ لهم إبليس في صورة سراقة[٧] فقال: (لا غالب لكم اليوم[٨] وإني جار لكم من بني كنانة) فلما تراءى الجمعان، ورأى الملائكة تنزل من السماء نكص على عقبيه وهرب، فقال له الحارث بن هشام: أين يا سراقة؟ قال: إني أرى ما لا ترون، وانهزم[٩] الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقة، وبلغ ذلك سراقة، فحلف أنه لم يحضر الوقعة.

۞ المعنى

ثم بيّن أن ما هم عليه طاعة للشيطان، وأنه لا أضل لهم منه حثًا[١٠] على

---

(١) النعم: النعيم؛ د، ض.
(٢) للشيطان: الشيطان؛ د، ض.
(٣) يمكرون: يمكروا؛ د، ض.
(٤) في (ض) اذكر، ض.
(٥) الناس: ـ، د.
(٦) المسير: المشركين، ض.
(٧) فتمثيل لهم... سراقة: ـ، ض.
(٨) اليوم: ـ، د.
(٩) وانهزم: فانهزم، د.
(١٠) حثًا: حتى، ض.

جهادهم، فقال سبحانه: «**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**» أي: حسّن إبليس للكفار قتالهم للمسلمين وتكذيبهم رسول الله ﷺ[١]، واختلفوا، فقال: زين بوسوسته من غير أن يتحول في صورة إنسان[٢]، وقوله الوسوسة؛ لأن الوسوسة قول خفي، عن الأصم والحسن وأبي مسلم، وإليه يميل قاضي القضاة، وقيل: ظهر[٣] في صورة سراقة بن مالك الكناني المدلجي في جماعة من جنده وقال لهم: هذه كنانة قد أتتكم نجدة، فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، قال: إني أرى ما لا ترون، عن ابن عباس والسدي وقتادة وابن إسحاق.

قال شيخنا أبو علي: جعله الله ـ تعالى ـ على صورة إنسان علمًا للنبي ﷺ فيما يخبر به عنه.

ومتى قيل: إذا غيّر صورته لبعض الكفار كانت مفسدة، فلمَ جوزه أبو علي؟

قلنا: غير صورته معجزة له، ووجه الإعجاز تغيّر الصورة، وما أخبر به من رؤية الملائكة وإخبارهم بذلك ونكوصه، ولم يغيّر صورته ليدعو الكفار إلى قتال النبي ﷺ والمسلمين؛ لأن ذلك كفر.

ومتى قيل: كيف كانت معجزة ولم يعلموا به؟

قلنا: إذا علموا من بعد أن[٤] سراقة لم يكن معهم علموا أن ذلك كان إبليس قادهم ثم خذلهم، وأن قوله صدق[٥]، فكانت معجزة ولطفًا في إسلامهم.

ومتى قيل: كيف يكون شيطانًا وهو على صورة الإنس؟

قلنا: غَيَّر ظاهره وأطرافه دون بنية حياته.

ومتى قيل: إذا ظهر لهم[٦] بصورة سراقة وأجار لهم من بني كنانة زاد في جرأة[٧] الكفار فتكون مفسدة؟

---

(١) صلى الله عليه وسلم: ـ، د.

(٢) أن يتحول في صورة الإنسان: أن يقول إنسان، ض.

(٣) ظهر: ظهره؛ د، ض.

(٤) أن: ـ ، ض.

(٥) صدق: صدقا؛ د، ض.

(٦) لهم: ـ ، ض.

(٧) جرأة: جرة، د.

قلنا: إذا علموا من بعد أن جميع ما فعله وقاله كان كذبًا، وأن ما أخبرهم به[1] من الهزيمة ونزول الملائكة كان صدقًا، وإن لم يكن سراقة فكان ذلك لطفًا، وفي الابتداء يجوز أن يكون المعلوم لا يختلف كقوله[2]، ويحتمل أن يكون المعلوم أنهم متى أمنوا العرب لم يتشددوا في الحذر استهانة بالمسلمين وتقليلاً، فيكون لطفًا، ويحتمل أنه[3] لكونه معهم وأنه[4] القائد لهم نزلت الملائكة، وأنه[5] أخبرهم بذلك فكانت معجزة ولطفًا.

ومتى قيل: أكانت رؤية الملائكة لطفًا له؟

قلنا: نعم، من وجهين[6]:

أحدهما: خوفه منهم من غير أن قصدوه فكيف في الآخرة إذا قصدوه.

والثاني: براءته منهم في الدنيا فكيف في الآخرة[7].

ومتى قيل: بماذا علموا أن سراقة لم يكن معهم، وأن ذلك كان الشيطان؟

قلنا: لأن أحدًا من بني بكر لم يحضر الوقعة، وكان هو رئيسهم، فلو حضر لحضر غيره، ولأن الحارث بن هشام عاتبه، فحلف أنه لم يحضر الوقعة، وكان إبليس لما رأى ما رأى وَلَّى هاربًا فخاض البحر، فقال الناس: جن سراقة، فكان يحلف[8] أنه لم يكن منه[9] شيء، وانتشر حديث إبليس في قريش، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما رئي إبليس يومًا هو فيه أصغر وأحقر من يوم عرفة إلا ما رئي يوم بدر»[10].

(١) به: ـ، ض.
(٢) كقوله: لقوله، د.
(٣) أنه: أن يكون، ض.
(٤) وأنه: وإنما، ض.
(٥) وأنه: وإنما، ض.
(٦) من وجهين: لوجهين، ض.
(٧) إذا قصدوه... الآخرة: ـ، د.
(٨) يحلف: يختلف، ض.
(٩) منه: من ذلك، د.
(١٠) شعب الإيمان رقم ٤٠٦٩، وكنز العمال رقم ١٢١٠٥.

وأما أن يقال غير صورة نفسه فمحال وذلك كفر؛ لأن المصور ومغير الصورة هو الله ـ تعالى ـ فقط.

«**وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ**» لكثرة عددكم وكمال عدتكم وقلة عدد المسلمين وعدتهم، ولأنكم أهل الحرم، فينصركم الله عليهم «**وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ**» قيل: مجير لكم من كنانة، عن أبي عليوجماعة. وقيل: [إني] جار لكم من محمد وأصحابه، حكاه الأصم ولم يرضه. وقيل: أوهم أن الله ألقى في قلوبهم أنه يجيرهم، عن الأصم. «**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ**» التقى الجمعان بحيث رأى بعضهم بعضًا للقتال، ورأى إبليس الملائكة تنزل من السماء علم أنه لا طاقة لهم بهم وصار وَعْدُه غرورًا «**نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ**» قيل: رجع إلى ورائه يمشي القهقرى، وقيل: ولى مدبرًا على قفاه هاربًا، عن الضحاك. وقيل: رجع من حيث جاء، عن أبي علي وقطرب وأبان بن تغلب، وقال أبي علي: «**وقال**[1] **إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ**» على جهة الخذلان لهم وإسلامهم للهلاك «**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ**» يعني نزول الملائكة بالنصر للمسلمين، عن أبي علي. وقيل: رأى جبريل معتجرًا ببردي مشي بين يدي رسول الله ﷺ في يده اللجام يقود فرسه، عن الحسن. وقيل: رأى جبريل معه الملائكة تنزل من السماء «**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**» قيل: لم يخف عذاب الآخرة، ولكن خاف أن يناله مكروه في ذلك اليوم[2]، عن أبي علي. وقيل: أخاف أن تكون الملائكة أُمرتب عقابي، عن الأصم[3]. وقيل: أخاف الله على الكفار، وليس ذلك بمودة؛ لأنهم يريدون هلاكهم فهو عدو ولد آدم، عن أبي مسلم. وقيل: كَذَبَ عدو الله أنه ما به مخافة، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردهم وأسلمهم، وذلك عادته مع من[4] أطاعه، وقيل: لما رأى الملائكة خاف أن يكون الوقت الذي أُنظر إليه أو[5] حضرت القيامة فيعذبه الله تعالى، وقيل: يعني أخاف [لأني] أعلم صدق الله ـ تعالى ـ في وعده لأوليائه «**وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**»

---

(١) وقال: ـ ، ض.
(٢) اليوم: ـ ، ض.
(٣) وقيل أخاف أن تكون. . . الأصم: ـ ، د.
(٤) من: ـ ، ض.
(٥) أو: إن، ض.

قيل: انقطع الحكاية عن إبليس عند قوله: «**أخاف الله**» ثم ابتدأ بأنه شديد العقاب لمن عصاه، وقيل: هذا أيضًا حكاية متعلقة بما قبله من كلام الشيطان فإني أخاف الله لأنه شديد العقاب

۞ الأحكام

تدل الآية على معجزة للرسول من وجوه:

منها: تغير صورة الشيطان وإخباره بنزول الملائكة، ونكوصه على عقبيه(١).

ومنها: إطلاعه(٢) رسوله على ذلك.

وتدل على أن الشيطان إذا عاين عذاب الله تبرأ من أتباعه(٣)، ففيه حث على مخالفته وترك طاعته؛ لأن ذلك عادته(٤) في جميع من أطاعه.

وتدل على أن الكفار لم يعاينوا الملائكة، وإنما عاينهم إبليس.

وتدل على أن ذلك التزيين(٥) فِعْلُ الشيطان، خلاف قول المجبرة أن جميع ذلك في الشيطان خَلْقُ الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

---

(١) وإخباره بنزول... عقبيه ـ، ض.
(٢) إطلاعه: اطاعة، د.
(٣) أتباعه: أشياعه، د.
(٤) عادته: عادة، ض.
(٥) التزيين: التزين، د؛ الزين، ض.

۞ القراءة

قرأ ابن عامروحده: «**ولو ترى إذ تتوفى**» بالتاء على التأنيث للفظ الملائكة والجمع. وقرأ الباقون بالياء للمعنى[١].

۞ اللغة

الغرور: إظهار النصح وإبطان الغش، غَرَّهُ يَغُرُّهُ غرورًا، واغتر به اغترارًا.
والتوفي والقبض من النظائر.
والحريق: تفريق[٢] الأجسام الكثيرة بالنار العظيمة، أحرق إحراقًا واحترق احتراقًا.
والتقديم: ترتيب الشيء أولاً[٣] قبل غيره[٤]، قدمه تقديمًا وأقدم على الأمر إقدامًا.
ظلَّام: فَعَّال[٥] من الظلم، وهو بمعنى ظالم، إلا أن فيه مبالغة ليست في ظالم.

۞ الإعراب

يقال: لم دخلت الواو في قوله: «**وإذ زين**» ولم تدخل في: «**إذ يقول المنافقون**»؟

قلنا: لأن الأول حال عطف على حالهم[٦] في خروجهم بطرًا ورياء حَالَهُم في تزيين الشيطان أعمالهم، وأما الثاني فالمنافقون ابتدؤوا القول عند ذلك الأمر.

ويقال: ما عامل الإعراب في (إذ)؟

قلنا: قيل: الابتداء، تقديره[٧]: ذلك إذ يقول، والآخر الفعل، تقديره[٨]:

---

(١) للمعنى: المعنى، ض.
(٢) تفريق: تفرق، ض.
(٣) أولاً: وإلا، ض.
(٤) غيره: غير، ض.
(٥) فعال: فعل، د.
(٦) عطف على حالهم: عطف على حال حالهم، ض.
(٧) تقديره: بتقدير، د.
(٨) تقديره: بتقدير، د.

اذكروا إذ يقول، وقيل: تقديره: والله بما يعملون محيط إذ يقول، وقيل: ويحي من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم إذ يقول.

ويقال: أين جواب (لو) في قوله: «**وَلَوْ تَرَى**» ؟

قلنا: محذوف بتقدير: لرأيت[1] منظرًا هائلاً أو أمرًا[2] عظيمًا أو عقابًا[3] شديدًا، وحذف[4] الجواب في مثله أبلغ وأفحم، والمرئي في قوله: «**ترى**» محذوف، وتقديره: لو رأيت الملائكة يضربون وجوه الكفار.

ويقال: ما موضع «**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَكُمْ**» من الإعراب؟

قلنا: يحتمل وجهين: الرفع بأنه خبر «**ذلك**»، والنصب بأنه متصل بمحذوف[5] على تقدير: ذلك جزاؤكم بما قدمت أيديكم.

ويقال: ما[6] عامل الإعراب في (أن) في قوله: «**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**[7]» ؟

قلنا: فيه وجهان: النصب بمعنى فإن[8] الله، والرفع بمعنى فذلك[9] أن الله، كما يقول: ذلك هدى.

النزول

قيل: نزلت الآية في قوم في قلوبهم شك، كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة، عن ابن عامرومجاهد.

وقيل: لما حضروا بدرا ورأوا قلة المسلمين ارتدوا، وقالوا: غر هؤلاء دينهم.

---

(١) لرأيت: أرأيت؛ د، ض.
(٢) أو أمرًا: وأمرًا، ض.
(٣) أو عقابًا: وعقابًا، ض.
(٤) وحذف: وحذوف، د.
(٥) بمحذوف: ـ ، د.
(٦) ما : ـ ، ض.
(٧) للعبيد: ـ ، ض.
(٨) فإن: وبأن، د.
(٩) فذلك: وذلك، د.

وقيل: منهم العاص بن سعيد، وعلي بن أمية بن[1] خلف، والنضر بن الحارث[2]، و[أبو] قيس بن الوليد بن المغيرة[3] وغيرهم[4].

وقيل: هم المشركون في قلوبهم الشك، عن الحسن. قال أبو علي: الشك في الإسلام كفر ونفاق.

وقيل: إن أبا جهل لما أشرف على رسول الله ﷺ ورأى قلة المسلمين قال: والله لا يعبد[5] الله بعد[6] اليوم[7] قسوة وعتوًّا، عن قتادة.

وأما[8] الآية الثانية قوله: «**ولو ترى**» قيل: نزلت في قتلى بدر، عن أكثر المفسرين.

وقيل: في سائر الكفار وليس في قتلى بدر، عن أبي مسلم.

وقيل: فيمن تقدم ذكرهم من المنافقين.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية الأولى بما قبلها؟

قلنا: اتصال الوقت بالوقت، كأنه قيل: لا[9] الوقت الذي زين الشيطان للكافرين أعمالهم هو الوقت الذي قال المنافقون فيه ما قالوا، عن أبي مسلم.

---

(١) بن: ثم، ض.

(٢) الحارث: حارث، د.

(٣) وقيس بن الوليد بن المغيرة: قيس بن الوليد بن زمعة؛ أ، د، ض. ولعل النسّاخ هنا خلطوا بين اسمين: بين قيس بن الوليد وبين الحارث بن زمعة. انظر: تفسير الطبري: ٤/ ٢٣٥، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٤١٩، وتفسير القرطبي: ١٠/ ١٦٠، وتفسير البغوي: ١/ ٣٦٧، والدر المنثور: ٤/ ٨٠، وزاد المسير: ٣/ ٣٦٨، والإتقان: ٢/ ٣٩٧، وتفسير البيان: ٥/ ١٣٦.

(٤) منهم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، والعاص بن منبه بن الحجاج.

(٥) يعبد: يغلبنكم؛ أ، ض.

(٦) بعد: قبل؛ أ، ض.

(٧) لا يعبد الله بعد اليوم: لا يغلبنك الله بعد اليوم، د.

(٨) وأما: فأما، د.

(٩) لا: لا لا؛ أ، د، ض.

وقيل: هو يتصل بقوله: «**محيط**» تقديره: أنه عالم لقولهم إذ[1] يقولون، يعني لما رأوا ضعف المسلمين وقلة عددهم فزعم هؤلاء الكفار والمنافقون أن هؤلاء يزعمون أن لهم دينًا يظهرون به علينا، فقد غرهم ذلك، فلما قالوا ذلك ـ وعِلْمُ الله محيط بقولهم ـ نَصَرَ المسلمين حتى ظهروا عليهم.

وقيل: يتصل بقوله: «**سميع عليم**» تقديره: سميع عليم[2] لقولهم إذ يقول المنافقون، فنصركم وهزمهم.

يقال: كيف يتصل بقوله: «**ومن يتوكل على الله**[3]»؟

قيل: لما رأوا قلة المسلمين وزعموا ما زعموا بَيَّنَ ـ تعالى ـ أن الأمر ليس بالكثرة، والقلة لا تضركم، إذا توكلتم على الله فهو ينصركم، وقيل: يتصل بقوله: «**فاثبتوا**» «**واذكروا**»[4] فإنكم إن[5] فعلتم ذلك توكلتم ومن يتوكل على الله فهو حسبه، عن أبي مسلم.

فأما قوله: «**ولو ترى**» يتصل بما قبله، وعند الغم فيما قالوا وفعلوا[6].

المعنى

«**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ**» يعني الذين يبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام قالوا عند خروجهم من المدينة «**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» قيل: شَكٌّ وكفر، وقيل: فصل بينهم؛ لأن المنافقين ممن[7] يضمر الكفر، ومن في قلبه مرض أي[8] شك، والشك كفر[9]، والجميع كفار، وإن اختلفت[10] صفتهم وكفرهم، وقيل: المنافق يظهر

---

(١) إذ: و، د.
(٢) عليم: ـ، د.
(٣) على الله: ـ، د.
(٤) واذكروا: فاذكروا، د.
(٥) إن: ـ ، ض.
(٦) وفعلوا: وفعلًا، د، ض.
(٧) ممن: من، د.
(٨) أي: ـ ، ض.
(٩) كفر: كبر، ض.
(١٠) اختلفت: اختلف، ض.

عداوة النبي ﷺ[١] والمرتاب من[٢] لا يظهر عداوته ولكن كفره لشكه، فهما مختلفان من هذا الوجه «**غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ**» يعنون المسلمين، يعني غرهم دينهم حتى تعرضوا مع هذا الضعف وقلة العدد لحرب الناس، ويزعمون أنهم يظهرون على قريش والعرب بأن دينهم يعلو[٣] ديننا، عن أبي علي وجماعة من المفسرين، وقد قالوا: انظروا إلى هؤلاء يقتلون أنفسهم يرجون أنهم يحيون بعد الموت، ويثابون على دينهم، حكاه الأصم «**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**» أي يثق به، ويرضى بحكمه، وينقطع إليه ويسلم لأمره «**فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**» أي قادر على نصرهم[٤] وعلى ما يشاء، حكيم يضع الشيء[٥] موضعه «**وَلَوْ تَرَى**» يا محمد «**إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ**» يعني يقبضون أرواحهم عند الموت «**يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**» قيل: يضربون[٦] عند الموت، عن أبي علي. وقيل: يضربون[٧] وجوههم يوم بدر، وقيل: هم هؤلاء المنافقون الذي زعموا أن هؤلاء غرهم دينهم، فلو رأيتهم والملائكة يضربون وجوههم عند الموت، وقيل: جميع الكفار، وقيل: قتلى بدر، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وجماعة من المفسرين. «**وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**» أشباههم ولكن الله ـ تعالى ـ كنى عن سعيد بن جبير، ومجاهد. وقيل: وجوههم: ما أقبل منهم، وأدبارهم: ما أدبر، وتقديره: يضربون أجسادهم، عن مُرة الهمداني. وقيل: ظهورهم، عن الحسن. وقيل: كان إذا أقبل المشرك على المسلم[٨] ضربوا وجهه، وإذا ولى ضربوا أدبارهم بالسيف، عن ابن عباس، وعن الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك، فقال: «ذلك ضرب[٩] الملائكة»، وعن مجاهد أن رجلاً قال:

(١) صلى الله عليه وسلم: ـ، ض.
(٢) من: ـ، ض.
(٣) يعلو: يعتاب، د.
(٤) نصرهم: نصرتهم، د.
(٥) الشيء: الضر، د.
(٦) يضربون: ستضربون، د.
(٧) بين: +، د.
(٨) المسلم: المسلمين، ض.
(٩) ذلك ضرب: ذاك من ضرب، د.

يا رسول الله، إني حملت على رجل لأضربه، فبدر رأسه، فقال ﷺ: «سبقك إليه الملك». «**وَذُوقُوا**» قيل: فيه حذف، أي وقيل لهم أو يقال لهم: ذوقوا، قيل: احتملوا «**عَذَابَ الْحَرِيقِ**» أي: عذاب النار في[1] الآخرة.

ومتى قيل لهم ذلك؟

اختلفوا، قيل: عند الموت يبشرونهم بعذاب النار، عن أبي علي.

وقيل: في القيامة، عن الحسن.

وقيل: قالوه يوم بدر، وكان مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات، اختلفوا في ذلك حسب اختلافهم أن ضرب وجوههم وأدبارهم متى يكون ذلك، أي ما فعل بهم من العقوبة إنما فعل «**ذَلِكَ**[2] **بِمَا قَدَّمَتْ**» أي: فعلت وكسبت «**أَيْدِيكُمْ**» أضاف إلى اليد تأكيدًا أنه فعله بنفسه كما يقال: يداك فعلت[3]، عن أبي علي.

وقيل: بل لأن أكثر الأفعال تكون باليد فذكر على التغليب «**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**» قيل: هو كلام الملائكة نسقًا على ما تقدم، عن أبي مسلم. وقيل: بل هو كلام الله ـ تعالى ـ ابتداء، وقد انقطعت[4] قبله الحكاية عن الملائكة، والمعنى أنه أخذهم بجريرتهم ولم يعاقبهم بغير ذنب ولا منعهم جزاء طاعة.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن المنافقين أظهروا النصرة ظاهرًا، ولما خلوا بكبرائهم عرفوهم ما يدينون به، وقد قال قوم: لم يكن قبل الفتح نفاق وليس بشيء، قول الله أصدق، وقد بَيَّنَ أن ذلك كان منهم يوم بدر.

---

(١) في: وفي، د.
(٢) ذلك :ـ، د.
(٣) فعلت: فعل؛ د، ض.
(٤) انقطعت: تنقطع، د؛ انقطع؛ أ، ض.

وتدل على أن الملائكة تقبض الأرواح، وزعم علي بن عيسى أنه إلجاء، وهذا باطل؛ لأن الحي هو هذا الشخص الذاهب الجائي، وفي كل جزء منه حياة، وهي عرض به يحيا، والروح هو النَّفَسُ المتردد في مخارق الإنسان، فالمَلَك يقبض الروح، فأما الموت والحياة فيتعاقبان، وهما ضدان لا يقدر عليهما إلا الله تعالى، ويدل قوله: «**ذلك بما قدمت أيديكم**» أن للعبد فعلاً، فيبطل قول المجبرة.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ منزه عن فعل الظلم، فلو[1] كان على ما تزعمه المجبرة لا ظلم إلا مِنْ خَلْقِهِ، وأنه يخلق الكفر، ثم يعذب عليه لما كان ظلم أعظم من هذا، وكذلك قولهم: إنه يعذب من غير ذنب وأنه يأخذ بذنب غيره، كل ذلك ظلم، نزه الله ـ تعالى ـ نفسه عن ذلك.

وتدل على أن ظلم العباد ليس من خلقه؛ إذ لو كان خلقه لما صح نفيه عن نفسه.

وتدل على أن الظلم مقدور له لولا ذلك لما صحّ التمدح بنفيه خلاف قول النظام.

وتدل على أن الظلم إن وقع منه لصح[2] وصفه بأنه ظلام، ولما صح أن ينزه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

وتدل على أن المعاين يعاين الملك، والملك يكلمه.

قوله تعالى:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

---

(١) فلو: لو، د.
(٢) لصح: يصح، ض.

اللغة

الدَّأْب والعادة والطريقة والسنة سواء، دَأَبَ يَدْأَبُ دَأْبًا ودُؤُوبًا، وهو دائب يفعل كذا، أي يجري فيه على عادة، قال الشاعر:

وَمَا زَال ذَاكَ الَّدأْبُ حتى تَخَاذَلَتْ[1] هَوَازِنُ وارْفَضَّتْ سُلَيْمٌ وعَامِرُ[2]

وقال آخر:

أَهَذَا دَأْبُهُ أَبَدًا وَدَأْبِي[3]

ودأب يدأب إذا اجتهد في علمه، وأدأبته أنا إدآبا[4]، قال الفراء: الدأب أصله من «دأبت»، إلا أن العرب حولت معناه إلى الشأن[5]، يقال: دأَب ودأْب بفتح الهمزة وسكونها، والدائبان[6] : الليل والنهار، و(ذلك): إشارة إلى غائب، والأصل ذاك، زيدت اللام علامة لبعد المشار إليه. والتغيير يصير الشيء خلاف ما كان عليه، غيّره تغييرًا، وتغير[7] تغيرًا، وهو أن يحصل فيه غيره.

الإعراب

العامل في قوله: «**كدأب آل فرعون**» الابتداء، تقدير: دأبهم كدأب آل فرعون[8]، وموضعه رفع؛ لأنه خبر الابتداء، كقولك: زيد خلفك، فـ(خلفك) رفع لأنه خبر الابتداء، و» **لم يك**» حذفت النون لكثرة الاستعمال من غير إخلال.

---

(١) تخاذلت: تجادلت؛ د، ض.

(٢) قاله خداس بن زهير. انظره في الأغاني ٢٢/ ٧٥.

(٣) نسب للمثقب العبدي لكن برواية:

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وضِينِي أهذا دينُهُ أبدًا وَدِينِي

انظره في الصحاح (وضن)، واللسان (وضن).

(٤) إدابا: آدابًا، د.

(٥) انظر: الصحاح (دأب).

(٦) الدائبان: الدابان؛ د، ض.

(٧) وتغير: أو تغير، د.

(٨) الابتداء تقدير... فرعون: ـ، د.

۞ النزول

قيل: نزلت في أهل مكة لما أخرجوا[١] النبي ﷺ إلى الخزرج ثم قتلوا يوم بدر.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ أن حال هؤلاء الكفار كحال[٢] مَنْ قبلهم[٣]، فقال[٤]: «**كَدَأْبِ**» الكاف كاف التشبيه، فقد[٥] شبه حال هؤلاء بحال آل فرعون، وقيل: التشبيه عائد إلى قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر:١٣] كعادة[٦] آل فرعون، والمعنى كعادة آل فرعون أي: قومه وأتباعه، عن الأخفش وأبي عبيدة والمؤرج[٧] والأصم وأبي علي وأبي مسلم. وقيل: كفعلهم[٨] وصفتهم، عن ابن عباس والضحاك. وقيل: كشأن آل فرعون وأمرهم، عن الزجاج. وقيل: كان آل فرعون كفروا كما كفرتم، عن الكسائي. وقيل: كعادة الله في آل فرعون وسائر الكفار أن يهلكهم إذا كذبوا، عن أبي علي وأبي مسلم. و«**آلِ فِرْعَوْنَ**» أتباعه فيما دعاإليه من الربوبية «**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» من قبل آل فرعون «**كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**» جحدوا بيناته[٩] «**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ**» أي عاقبهم «**بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ**» قادر[١٠] شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن عصاه، «**ذَلِكَ**» يعني ما فعلناه بالمشركين من العقوبة إنما فعلناه لكفرهم، ولأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم «**بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**» قيل: أراد به أهل مكة أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وبعث نبيًا يهديهم، فكفروا[١١] وتركوا شكرها، عن

---

(١) أخرجوا: خرجوا، ض.
(٢) كحال: بحال؛ د، ض؛ فقال: أ، د، ض.
(٣) من قبلهم: ـ ، ض.
(٤) فقال: فقد؛ د، ض.
(٥) فقد: فقال؛ د، ض.
(٦) كعادة: لعادة، د.
(٧) والمؤرج: والمعرج، د.
(٨) كفعلهم: لفعلهم، د.
(٩) جحدوا بيناته: حججه وبيناته، ض.
(١٠) قادر: ـ ، ض.
(١١) فكفروا: وكفروا، ض.

الكلبي. وقيل: نعمة، أي بعث محمدًا نعمة على قريش فكذبوه[1] وأخرجوه، فنقله[2] إلى الأنصار، عن السدي. وقيل: أنعم عليهم بالحياة والقدرة والحواس وسائر النعم ليشكروه ويعبدوه فكفروا وعبدوا غيره، فغير الله ـ تعالى ـ ذلك بالنقمة، عن أبي علي وأبي مسلم. وقيل: غيروا بالكفر فغير الله بإنزال العقاب «**وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**» لأقوالهم «**عَلِيمٌ**» بضمائرهم وبكل شيء، «**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ**» أي: كعادتهم وطريقتهم في التغيير والتكذيب، وقيل: في تعذيبهم بعذاب الاستئصال «**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» من كفار الأمم «**كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**» حججه وبيناته.

ومتى قيل: لم أعاد «**كدأب آل فرعون**» ؟

فجوابنا: أنه قيل تأكيدًا وتفصيلا[3] لتلك الجملة؛ لأنه أجمل في الأول وفصل ههنا، عن أبي مسلم. وليس[4] بتكرار.

وقيل: الأول في تكذيبهم والثاني في استئصالهم.

وقيل: الأول في أخذهم بالعذاب، والثاني في كيفية العذاب.

وقيل: الأول في أخذهم بعذاب السيف والثاني تعليل أنه لم يعذبهم حتى غيروا، كما لم يعذب آل فرعون إلا بعد التغيير.

وقيل: هما نوعان من العذاب: أحدهما ضرب الوجوه والأدبار عند الموت، والثاني العذاب بعد الموت عن أبي علي.

وقيل: الأول هو ضرب الوجوه والأدبار والبشارة بالعذاب، والثاني أنه إنما فعل ذلك بهم للتغيير، وهذا أقرب الوجوه إلى نظم الآية.

«**فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**» أي استأصلناهم بذنوبهم فأهلكنا عادًا بالريح وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق، وقوم شعيب بالظلة، وقارون بالخسف، وقوم داود

---

(١) فكذبوه: وكذبوه، د.

(٢) فنقله: فنقلوه، د.

(٣) تأكيدا وتفصيلا: تأكيد وتفصيل؛ د، ض.

(٤) وليس: فليس، د.

بالمسخ، كل ذلك جزاء على كفرهم، كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف يوم بدر جزاء على كفرهم «**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ**» أتباعه «**وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**» لأنفسهم بعصيان الله ـ تعالى ـ حتى استحقوا العقوبة(١).

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه عذب مَنْ عصاه وأن العقوبة مستحقة، خلاف ما تقوله المجبرة.

وتدل على أن من غيّر نعم الله بالكفر والعصيان غيّر الله نعمه عليه(٢) بالعقوبة له.

وتدل على أن التكذيب والتغيير فِعْلُهم وليس خلق الله، خلاف مذهب الجبر.

وتدل على أنهم ظلموا أنفسهم وأن الله لم يظلمهم، ولو كان الكفر خلقًا له، وخَلَقَهُمْ للنار، ومنعهم من الإيمان، ثم عاقبهم لم يكن في ذلك ذنب [لهم].

قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾

۞ القراءة

قراءة العامة «**فشرد**» بالدال غير معجمة، وعن ابن مسعود بالذال معجمة، فالأول بمعنى التطريد والتفريق(٣)، وبالذال معجمة التنكيل.

---

(١) العقوبة: العذاب، د.
(٢) عليه ـ، ض.
(٣) والتفريق: التفريد، ض.

قراءة العامة: «**مَن خلفهم**» بفتح الميم، وعن الأعمش «**مِن خلفهم**» بكسر الميم، تقديره: فشرد بهم من خلفهم مَنْ عَمِلَ عَمَلَهم.

۞ اللغة

الدابة: اسم لما يدب على الأرض إلا أنه في عرف اللغة صار اسمًا لنوع مخصوص وهو: الخيل والبراذين، وجاء في القرآن على الأصل.

والعهد: العقد المؤكد باليمين، والمعاهدة مفاعلة وهو المعاقدة عن الأمر بالأيمان المؤكدة.

والنقض مصدر نقضت البناء والحبل والعقد أنقضه نقضًا، والنِّقْض بكسر النون المنقوض، والنقض أيضًا البعير المهزول، وجمعه: أنقاض.

والثقف: الظفر والإدراك بسرعة من قولهم: ثقفت الشيء: تعلمته[1]، وثقفت القناة، ويسمى اللعب بالسيف ثقفًا ومثاقفة[2] لسرعة حركاته، ورجل ثَقِفٌ وثَقُفٌ وثقفت[3] فلانًا في الحرب: أدركته، قال الشاعر:

فَإِمّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي وَإِنْ[4] أَثْقَفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي[5]

والتشريد: التفريق على اضطراب[6]، شرد البعير شرودًا، وشرّدت البعير والدابة أُشَرِّد تشريدًا، ودابة شرود، والتشريد والتطريد والتفريق والتبديد[7] من النظائر[8]، الإلقاء والطرح، نَبَذَ يَنْبِذُ نَبْذًا وانتباذًا. والخيانة: خلاف الأمانة. والسواء[9]: العذاب، قال الشاعر:

---

(١) تعلمته: قومته؛ د، ض.
(٢) مثاقفة: مثاقفا؛ د، ض.
(٣) في (ض) وثقفت، ض.
(٤) وإن: فإن، د.
(٥) البيت لعمرو ذي الكلب، انظره في الصحاح (ثقف)، وجمهرة اللغة (ثقف)، واللسان (ثقف)، وتاج العروس (ثقف).
(٦) اضطراب: اضطرب؛ د، ض.
(٧) والتبديد: والتنبيذ، ض.
(٨) من النظائر: ـ ، ض.
(٩) والسواء: والسوء؛ د، ض.

حـتـى يـجـيـبـوك إلـى الـسـواء[١]

أي: العدل. وقيل: للوسط[٢] سواء[٣] لاعتداله إلى الجهات.

الإعراب

يقال: ما معنى الفاء في قوله: «**فهم لا يؤمنون**»؟

قلنا: عطف جملة[٤] على جملة، تقديره: كفروا مصرين على الكفر، فهم لا يؤمنون.

ويقال: أيقال: لم حسن[٥] عطف جملة من ابتداء وخبر على جملة من فعل وفاعل؟

قلنا: لما فيه من التأدية إلى معنى[٦] الحال؛ وذلك أن إصرارهم على الكفر أدى إلى الحال في أنهم لا يؤمنون.

ويقال: لم عطف المستقبل على الماضي في قوله: «**ثم ينقضون**»؟

قلنا: للبيان بأن منهم من نقض العهد مرة بعد مرة[٧] في مستقبل أوقاتهم بعد العهد إليهم، والنون في قوله: «**تخافن**» نون الثقيلة التي تدخل للتأكيد عن أبي مسلم.

ويقال: لم بُنِيَ المضارع مع[٨] نون التأكيد، فقيل:[٩] «**تَخَافَن**»؟

قلنا: لأن النون لما[١٠] أبطلت السكون اللازم[١١] للجزم الذي هو أمكن في[١٢] الفعل فكانت على إبطال غيره من الإعراب أقوى.

---

(١) تمام البيت:

واضـرب وجـوه الـغـدر لـلأعـداء حـتـى يـجـيـبـوك إلـى الـسـواء

(٢) للوسط: الوسط، ض.

(٣) سواء: ـ، ض.

(٤) جملة: ـ، ض.

(٥) حسن: أحسن، د.

(٦) إلى معنى: ـ، ض.

(٧) بعد مرة: ـ، ض.

(٨) مع: معنى؛ د، ض.

(٩) فقيل: ـ، د.

(١٠) لما: ـ، ض.

(١١) اللازم: ـ، د.

(١٢) في: ـ، د.

ويقال: لم ثبت الألف مع الجازم في «**تخافن**» ولم[1] تثبت[2] مع الجازم في[3] (ولا تخف القوم)[4]؟

قلنا: لأن[5] الحركة في هذا عارضة؛ لأن التقاء[6] الساكنين من كلمتين.

۞ النزول

قيل: الآية نزلت في قريظة نقضوا عهد النبي ﷺ وأعانوا أهل مكة[7] بالسلاح، فعاهد الثانية، فنقضوا وأعانوا المشركين يوم الخندق.

وعن مجاهد: وركب كعب بن[8] الأشرف إلى مكة على مخالفة رسول الله ﷺ.

وقيل: نزلت في قيادة[9] المشركين الذين لا يؤمنون، حكاه الأصم.

وقيل: هم مشركو العرب، وصفهم بالاستمرار على الكفر ونقض العهد.

وقيل: هم القوم الذين عاهدهم النبي ﷺ إلى مدة، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

ثم وصف الكفار بنقض العهد وسوء الفعال وحث على قتالهم، فقال سبحانه: «**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**» يعني شر الخلق وما يدب على الأرض من الحيوانات «**عِنْدَ اللَّهِ**» في حكمه، وقيل: في معلومه «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» استمروا على كفرهم فلا يؤمنون «**الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ**» قيل: معناه أخذت العهد منهم، وقيل: عاهدت معهم، وقيل: (مِنْ)

(١) ولم: أن، ض.
(٢) تثبت: يثبت؛ د، ض.
(٣) في: فلم، د.
(٤) القوم: ـ، ض.
(٥) لأن: ـ، ض.
(٦) التقاء: لالتقاء، ض.
(٧) وأعانوا أهل مكة: ـ، ض.
(٨) بت: في، ض.
(٩) قيادة: قادة، د.

صلة، والمعنى عاهدتهم «**ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ**» أي يبطلونه بالمخالفة «**فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ**» قيل: لا يتقون نقضه، وقيل: لا يتقون عذاب[1] الله «**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ**» أي ظفرت بهم وأدركتهم، وقيل: لقيتهم، عن الأصم. والأول الوجه وعليه الأكثر، «**فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ**» قيل: نكل بهم تنكيلاً تشرد غيرهم مِنْ ناقضي العهد خوفًا منك، عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وابن زيد. وقيل: افعل بهم ما يفرق به مَنْ خلفهم، عن الزجاج والأصم. وقيل: شرد بهم: سَمِّعْ بهم، لغة قريش، قال الشاعر:

أَطُوفُ بِالأَبَاطِحِ كُلَّ يَوْمٍ مَخَافَةَ أَنْ يُشَرِّدَ بِي[2] حَكِيمُ[3]

«**مَنْ خَلْفَهُمْ**» مَنْ وراءهم من الناس، وقيل: من يأتي خلفهم، وقيل[4]: أهل مكة واليمن «**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**» قيل: افعلوا ذلك رجاء منكم أن يذكروا عن أبي مسلم، قيل: وليذكروا[5] عن أبي علي. والمعنى يتذكر أي: يعتبر بها أمثالهم فنكثوا بنقض العهد[6] ليتذكروا ما فعل بناقضي العهد. «**وَإِمَّا تَخَافَنَّ**» يا محمد «**مِنْ قَوْمٍ**» بينك وبينهم عهد «**خِيَانَةً**» يعني نقض عهد[7] بما ظهر منهم من آثار الغدر «**فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ**» أي اطرّح العهد إليهم بأن تعلمهم أن العهد مرفوع ثم تناجزهم «**عَلَى سَوَاءٍ**» أي على استواء في العلم بذلك فيكون علمه وعلمهم في المنابذة سواء كيلا يوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب، وقيل: إن خفت الغدر ممن هو في[8] أمانك فلا تفعل مثل فعلهم ولكن أخبرهم بعزمك على نقض العهد حتى يظهر العلم بذلك على سواء، وقيل: إنهم جميعًا عندك على سواء في الخيانة[9]، حكاه الأصم. وقيل: على عدل،

(١) عذاب: عقاب، د.
(٢) يشرد بي: يشردني؛ د، ض.
(٣) انظره في جمهرة اللغة (درش)، ولسان العرب (شرد)، وتاج العروس (شرد).
(٤) وقيل: ـ ، ض.
(٥) وليذكروا: ليتذكروا، د.
(٦) يتذكر أي يعتبر. . . العهد: ـ، د.
(٧) خيانة يعني نقض عهد: ـ ، د.
(٨) في : ـ، د.
(٩) الخيانة: الحياة، ض.

وقيل: على مهل وذلك قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة: ٢] «**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**» أي يبغضهم، فهذا نفي على الإثبات كأنه قيل: حرموا محبة الله بما استوجبوا من بغضه لأجل خيانتهم.

الأحكام

تدل الآية على تحقير الكفار والاستخفاف بهم حيث سماهم دواب[١] وأنهم شر الدواب، وتدل على قبح الغدر ونقض العهد.

وتدل على وجوب التعنيف بالكفار والنكاية فيهم بالقتل على ضد[٢] ما أمر في[٣] المؤمنين بقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وتدل على جواز معاهدته الكفار، وأنه يجب الوفاء به إذا لم تكن للخيانة منهم أمارة.

وتدل على أنه متى ظهرت[٤] أمارة الغدر فله نقض العهد.

وتدل على أن الواجب إعلامهم بذلك، كما فعل بأهل مكة، حيث بعث ببراءة، فقرأها عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام الموسم.

وتدل على أن الخيانة ونقض العهد فعلهم؛ لذلك عاقبهم عليها، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أنه لا يحب الخائنين لأجل خيانتهم[٥]، فَبَيَّنَ أنه لا يريد الخيانة بخلاف مذهبهم، وقد سأل نفسه[٦] أبو علي بحديث الفتح وأنه ﷺ غزاهم من غير خيانة منهم، وأجاب بأن القوم نقضوا العهد بقتل خزاعة، وكانوا في عهد

(١) دواب: دابة، ض.
(٢) ضد: ضم، د.
(٣) في: حلف، د.
(٤) ظهرت: ظهر؛ د، ض.
(٥) خيانتهم: خيانته، د.
(٦) نفسه: ـ، د.

رسول الله ﷺ، والأخبار بذلك متظاهرة، وكانت خزاعة في عهده[1] ﷺ وبكر في حلف قريش فوقع بين بكر وخزاعة قتال، فأعانوا بكرا على[2] خزاعة وحاربوهم[3]، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، والأخبار بذلك متظاهرة. وأيضًا فلو لم يظهروا ولكن خاف منهم الخيانة فله نبذ العهد إليهم، فنبذ ﷺ ذلك عند تلاوة سورة براءة عليهم، قال أبو علي[4]: وفيه دلالة الإعجاز [فقد] أتى بحروف يسيرة في قوله: «**فإما تخافن**. . .» إلى آخرها، وتحته معان كثيرة مع جزالة[5] ألفاظها، ورونق نظمها، ومثله لا يكاد يوجد في كلام البشر.

قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم:[6] «**لا يَحْسَبَنَّ**» بالياء وفتح السين[7]، وفيه ثلاثة[8] تقديرات:

(١) عهده: بن، ض.
(٢) على: حلف، ض.
(٣) حاربوهم: حاربهم؛ د، ض.
(٤) قال أبو علي: ـ، ض.
(٥) جزالة: حسن، د.
(٦) عن عاصم: عن ابن عاصم، ض.
(٧) حجة القراءات ٣١٣.
(٨) ثلاثة: ثلاث؛ د، ض.

الأول: لا يحسب الكافرون أنفسهم سابقين، فالفعل لهم على معنى لا يحسبوا أنهم.

الثاني: على حذف (أن) كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[1]﴾ [الروم: ٢٤].

الثالث: لا يحسبن المؤمنون الذين كفروا سبقوا عن الزجاج.

وقرأ الباقون بالتاء وكسر السين على الخطاب، أي لا تحسب أيها السامع أو أيها الإنسان أن الكافر معجز. وأما[2] فتح السين وكسرها فهما[3] لغتان.

قرأ ابن عامروحده: «**أنهم لا يعجزون**» بفتح الألف على تقدير: لأنهم لا يعجزون، وقيل: على حذف (لا)، ويكون (لا) صلة أي لا تحسبن أنهم سبقوا، وأنهم يعجزون. وقرأ الباقون بكسر الألف على الابتداء.

قرأ يعقوب «**ترهّبون**» بفتح الراء وتشديد الهاء[4]، وقرأ الباقون بكسر الهاء وتخفيف الراء وسكونها وهما لغتان، أَرْهَبْتُهُ ورَهَّبْتُهُ.

قرأ أبو بكر عن عاصم: «**للسِّلْم**» بكسر السين، والباقون بالفتح، وهما لغتان.

اللغة

الحسبان والظن من النظائر، والحسبان: ظن يُقَوِّي أحد النقيضين على الآخر، وأصله الحساب.

والسُّبَّقُ: أن يتقدم إلى سبق مسابقه[5].

والمُصَلِّي الذي يلحق بالسابق[6].

والإعجاز[7] إيجاد ما يعجز عنه، أعجزه إعجازًا، وأصله: العَجْزُ، وهو خلاف

(١) خوفا وطمعا: ـ، د.
(٢) وأما: فأما، د.
(٣) فهما: ـ، د.
(٤) الهاء: الفاء، ض.
(٥) سبق مسابقه: سبقه سبقا؛ د، ض.
(٦) بالسابق: السابق، د.
(٧) والإعجاز: الإيجاد، ض.

القدرة، وقيل: العجز معنى[١]، عن أبي علي وأبي القاسم. وقيل: ليس بمعنى وهو عدم القدرة، عن أبي هاشم وأصحابه.

والإعداد: اتخاذ[٢] الشيء لغيره مما يحتاج إليه في أمره، يقال: أعددت[٣] كذا لهذا الأمر، وهو معد.

والاستطاعة والقدرة والقوة من النظائر، وهو معنى يتمكن به من الفعل، وعندنا هو قبل الفعل غير موجب[٤] للفعل، ويتعلق بالضدين.

والرباط: أصله من الرَّبْطِ وهو الشد، ربطه ربطًا، والرباط ما يشد به، والرباط ملازمة ثغر العدو، وكأنه مشدود به، وارتبط فرسه ورجل رابط الجأش، شديد القلب، ولآل فلان رباط[٥] الخيل[٦] وهو أصل خيله، وأما مترابط: دائم لا ينبرح.

والإرهاب: التخويف، أرهبه إرهابًا، ورهبه ترهيبًا، والرَّهَبُ والرعب والخوف من النظائر، والرَّهْبَةُ والرُّهْبُ والرَّهَبُ لغات.

والعدد: اسم يقع على الواحد والجمع، والذكر والأنثى.

والإيفاء: الإعطاء على الكمال، وَفَّاهُ حقه وأوفاه: أعطاه على التمام.

والجنوح: الميل، يقال: جنح يجنح جنوحًا، وجنحت السفينة: إذا مالت إلى الوقوف، وجناح الطائر: لا يميل به في أحد شقيه، ولا جناح في كذا[٧]، أي: لا ميل إلى مأثم.

والسلم بفتح السين وكسرها: الصلح، والمسالمة: المصالحة، وأصله من التسليم، وفيه لغة ثالثة: السَّلَم[٨] بفتح السين واللام.

---

(١) معنى: بمعنى، ض.
(٢) اتخاذ: إعداد، ض.
(٣) اعددت: أعدد، ض.
(٤) موجب: موجبة، د.
(٥) رباط: رباطا، ض.
(٦) الخيل: ـ د.
(٧) كذا: كلتى، ض.
(٨) السلم: للسلم؛ د، ض.

۞ الإعراب

النون في قوله: «**ولا يحسبن**» هي النون الثقيلة التي تدخل في الكلام للتأكيد، وتبنى مع المضارع على الفتح، وإنما تبنى لسلامتهما من التباس الكسر والضمة في المؤنث والجمع، نقول: لا تحسبِنَّ يا امرأة[١]، ولا تحسبُنَّ ياقوم، ويحسبَنَّ يتعدى إلى مفعولين، ولا يجوز الاقتصار على[٢] واحد؛ لأن المفعول الثاني خبر عن الأول «**الذين كفروا**» إن قرئ بالتاء فمحلُّه[٣] نصب؛ لأنه مفعول، وإن قرئ بالياء فيحتمل[٤] أن يكون محله رفعًا بأن يجعل الفعل لهم، ويحتمل النصب بأن يجعل الفعل لغيرهم، على ما قدمنا.

ويقال: أين مفعول و«**تعلمونهم**» الثاني؟

قلنا: لا يحتاج إلى ثانٍ[٥] ؛ لأنه[٦] بمعنى لا تَعْرِفُونهم الله يعرفهم، قال الشاعر[٧] :

فإن الله يعلمني ووهبا   وأنا سوف نلقاه كلابا

(لها) كناية عن السلام، وهي مؤنثة.

آخرين نصب بـ» **ترهبون**» عطف على «**عدو**». «**وما تنفقوا**» جزم لأنه شرط و» **يوف**» جواب الشرط.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه بوعد النصر، وأمروا[٨] بالإعداد لقتالهم ومعاملتهم عند القتال والسلم، فقال سبحانه: «**وَلا يَحْسَبَنَّ**» بالياء، وقيل: الخطاب

---

(١) تحسبن يا امرأة: يحسبن بامرأة؛ د، ض.
(٢) على: إلى، ض.
(٣) فمحله: فحمله؛ د، ض.
(٤) فيحتمل: فيحمل، ض.
(٥) ثان: ثاني؛ د، ض.
(٦) لأنه: لا، د.
(٧) الشاعر هو: النمر بن ثولب العلكي.
(٨) وأمروا: وأمرا، ض.

للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: تقديره: لا تحسب أيها السامع وأيها الإنسان، وقيل: الخطاب للنبي ﷺ وهو المراد تطييبًا لقلبه في الهاربين كما طَيَّبَ نفسَهُ في المقتولين والمأسورين، وعلى قراءة الياء لا يحسب الكافر نفسه، وقيل: لا يحسب المؤمن الكافر «**الَّذِينَ كَفَرُوا**» قيل: هو عام في جميع الكفار، وقيل: هم الذين قادوا يوم بدر «**سَبَقُوا**» قيل: فاتوا، وقيل: أمهلهم الله - تعالى - إلى مدة عن الأصم «**إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ**» قيل: تم الكلام عند قوله: «**سبقوا**» ثم استأنف، فقال: «**إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ**» وقيل: بل يتصل به، تقديره: إنهم سبقوا إنهم يعجزون، والمعنى لا يعجزون الله حتى لا يبعثهم ولا يجازيهم، عن الأصم. وقيل: لا يعجزون الله في الدارين، وقيل: لا يعجزونك، فإن[١] فاتوا يوم بدر فستدركهم في غيره من الأيام، وينصرك الله عليهم حتى تظفر بهم، عن أبي علي. وقيل: لا يعجزون: لا يفوتون، عن أبي عبيدة.

ثم أمرهم باتخاذ العدة للقاء العدو، وألايخرجوا كما خرجوا يوم بدر اتكالاً[٢] على مثل ذلك، فقال سبحانه: «**وَأَعِدُّوا لَهُمْ**» أي: اتخذوا العدة وآلة الحرب لقتال الكفار «**مَا اسْتَطَعْتُمْ**» أي: ما قدرتم عليه «**مِنْ قُوَّةٍ**» قيل: الرمي روي مرفوعًا أنه قرأ الآية، ثم قال: «القوة في الرمي - ثلاثًا -»، وقيل: القوة الحصون، عن عكرمة. «**وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**» أي: ما يرتبط من الخيل، قيل: الأفراس العراب،وقيل: القوة ذكور الخيل، والرباط الإناث منها النتاج، عن الحسن وعكرمة. «**تُرْهِبُونَ بِهِ**» أي تُخَوِّفُون بما تعدون «**عَدُوَّ اللَّهِ**» قيل: عدو دينه، وقيل: عدو أوليائه، فأضافه إلى نفسه تفخيمًا لشأنهم، وقيل: عدو الله من يعصيه ويخالفه في أمره «**وَعَدُوَّكُمْ**» أي بينكم وبينهم عداوة للدين[٣] وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» أي: كفارا آخرين دون هؤلاء.

اختلفوا في قوله: «**آخَرِينَ**» وفي قوله: «**مِنْ دُونِهِمْ**» أن الكناية عمن، فأما قوله: «**آخرين**» قيل: هم بنو قريظة، عن مجاهد، وقيل: أهل فارس[٤]، عن السدي. وقيل: المنافقون، عن الحسن وابن زيد. قال: لا تعرفونهم؛ لأنهم يصلون[٥] ويصومون

---

(١) فإن: وفإن، د.
(٢) اتكالاً: أنكالا؛ د، ض.
(٣) للدين: الدين، د.
(٤) فارس: فراس، ض.
(٥) لأنهم يصلون: لا يصلون، ض.

ويقولون: لا إله إلا الله[1] محمد رسول الله، ويختلطون بالمؤمنين، ويطلعون على أسرارهم ومع ذلك هم أعداء المؤمنين، لا تعرف[2] عداوتهم لإخفائهم ذلك، وقيل[3]: فارس والروم كلهم، وكان لا يخطر ببال العرب أنهم يعرفون فارس والروم، وقيل: هم كفار الجن، وقيل: هم كل[4] عدو للمؤمنين لا تعرفون عداوته، عن أبي علي.

فأما قوله: «**مِنْ دُونِهِمْ**» قيل: دون كفار العرب، وقيل: دون الذين نقضوا العهد، وقيل: دون الذي حاربكم.

«**لاَ تَعْلَمُونَهُمُ**» أنتم ويعلمهم الله تعالى؛ لأنه مطلع على الأسرار «**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» يعني تنفقون فيما أمر[5] به من الجهاد من الإعداد والآلات[6] «**يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**» أي يوفر عليكم ثوابه وجزاءه «**وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**» أي [لا] يبخس من حقكم[7] شيء، وقيل: يوفر عليكم خلفه في الدنيا وثوابه في الآخرة. «**وَإِنْ جَنَحُوا**» مالوا «**لِلسَّلْمِ**»[8] قيل: الصلح وترك الحرب، وقيل: إلى الإسلام، حكاه الأصم ورفعه[9] «**فَاجْنَحْ لَهَا**» أي مِلْ إليها «**وَتَوَكَّلْ**» أي ثق به وفوض الأمر إليه، إنه سميع بالمسموعات عليم بالضمائر وكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

الأحكام

تدل الآية على[10] أنه[11] كما يجب القتال يجب إعداد آلة الحرب[12].

---

(١) الله: ـ، ض.
(٢) لا تعرف: لا تعرفون، ض.
(٣) وقيل: وقيل ذلك، ض.
(٤) هم كل: وهن كفار كل، ض.
(٥) أمر: أمروا، د.
(٦) والآلات: وآلات، ض.
(٧) حقكم: حكم، ض.
(٨) وإن جنحوا مالوا للسلم: «وإن جنحوا للسلم فاجنح» مالوا، السلم، ض.
(٩) ورفعه: وريعه، ض.
(١٠) على: ـ، د.
(١١) أنه: ـ، ض.
(١٢) الحرب: الجهاد، د.

وتدل على جواز [تعلّم] السيف والرمي؛ لأنه من قوة الجهاد لأنه [لا] يكفي وجود السلاح والآلة بل لا يتم ذلك إلا بالعلم بكيفية استعماله.

وتدل على أنه يجب الإرهاب، وذلك يقع بإظهار الجَلَدِ وإظهار آلة الحرب، وكثرة العدد والعدة.

وتدل على وجوب الإعداد لمن يعلم من الكفار، ومن لا يعلم.

وتدل على أن الكفار أعداء الله.

وتدل على وجوب معاداة الكفار، وأنهم أعداء المؤمنين.

وتدل على أن كل نفقة في سبيل الله توفر(1) عليه أجره.

وتدل على أن الظلم لا يقع من الله، وأنه مقدور له؛ لذلك قال: ﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾.

وتدل على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم؛ إذ لو كان خلقًا لم يكن(2) للأهبة(3) والسلاح والاستعداد والاحتياط معنى وفائدة.

وتدل على أن القدرة قبل الفعل؛ إذ لو كانت مع الفعل كان المجاهد قبل الحرب غير قادر على الاستعداد.

وتدل على جواز الصلح والموادعة(4) مع الكفار. واختلفوا فيه:

فقيل: نزلت في يهود بني قريظة خاصة، عن ابن عباس.

وقيل: هو منسوخ، وكان ذلك قبل نزول براءة فكان له أن يوادع إلى أَجَلٍ، ثم نسخ بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٢٩] فنبذ إلى كل ذي عهد عهده، عن قتادة.

وقيل: كان هذا في ابتداء الإسلام لقلة العدد، وقد وادع(5) ﷺ قريشًا بالحديبية(6)، ووادع غيرهم.

(١) توفر: أوفر، ض.
(٢) يكن: تكن؛ د، ض.
(٣) للأهبة: الأهبة، د.
(٤) الموادعة: والمواعدة، ض.
(٥) وادع: وداع، ض.
(٦) بالحديبية: والحد بينهم، ض.

وقيل: هذا في أهل الكتاب والقتل للمشركين، وليس كذلك؛ لأن المشركين اسم للجميع.

وقيل: إنه حكم ثابت في الشرع، ولذلك[1] وداع[2] أهل نجران بعد نزول آية القتال، وقد وادع الصحابة والتابعون من غير إنكار أحد، ولأن الإمام إذا علم المصلحة في ذلك للمسلمين أو خاف الكفار جاز أن يوادع بهذه الآية، وإذا كان بالمسلمين قوة لم يجز لقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد:٣٥] والأمر بالجهاد لا يمنع منه؛ لأنه يحمل على من لا موداعة[3] بينه وبين المسلمين، كما أن من كان دمه خارج من الأمر بالقتل، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه وأكثر الفقهاء.

وإذا جاز الموادعة مع الكفار فلم لا يجوز تسليم الإمامة حتى نكرتم تسليم الحسن الإمامة إلى معاوية، وتسليم أبي موسى إليه، وعزل أمير المؤمنين؟

قلنا: كما لا يجوز تسليم النبوة لا يجوز تسليم الإمامة، ولكن اعتزل خوفًا على نفسه وشيعته، وللإمام[4] أن يفعل ذلك، ولا يخرج من كونه إمامًا.

فأما أبو موسى فأخطأ ولم يَصِرْ معاوية إمامًا ولا انعزل أمير المؤمنين؛ لأنه لم يحكم بكتاب الله، ولو حكم به لكان يحكم لأمير المؤمنين ويعزل معاوية، ولكن اتبع هواه وخدع. فأما معاوية فلا يصلح للإمامة، مع ما ظهر منه من الفسق.

مسألة

وإذا وادع على مال، وأخذ به كفيلاً[5] جاز، كما يجوز أخذ الجزية، وذلك المال بمنزلة الخراج موضع في بيت المال ولا خمس به.

وقال الهادي: يخمس، فإن حاصروا قومًا من الكفار فبذلوا مالاً ليتصرف

(١) ولذلك: وكذلك، ض.
(٢) وادع: وداع، ض.
(٣) لا موداعة: لا مواعدة، ض.
(٤) وللإمام: والإمام، ض.
(٥) به كفيلا: ـ ، ض.

المسلمون فهذا فيء، وفيه الخمس؛ لأنه غير[1] مأخوذ بالقتال.

۞ مسألة

فأما إذا غلب المرتدون على دار، وخاف منهم المسلمون فوادعهم الإمام ورأى ذلك أصلح للمسلمين جاز، وكذلك يجوز موادعة[2] أهل البغي، ولا[3] يجوز أخذ مال منهم؛ لأن إسقاط القتل عنهم بعوض لا يجوز، كما لا يجوز أخذ الجزية عنهم، وكذلك المرتد لا يجوز أخذ شيء منهم، فإن أخذ الإمام منهم مالاً يرد[4] على المرتد، على قول من يجعله فيئًا، وعلى قول من يجعله ميراثًا يرده على ورثته المسلمين. فأما الباغي فيرد عليهم عند وضع الحرب أوزارها؛ لأن مال أهل البغي لا يحل أخذه كما لا يحل أخذ الجزية.

۞ مسألة

ولا بأس بأن يطلب المسلمون موادعة الكفار إذا خافوا على أنفسهم، ويعطوا على ذلك مالاً ليدفع ضررهم، كما أعطي المؤلفة[5] قلوبهم.

۞ مسألة

وإذا وقعت الموادعة أمنوا على أنفسهم ومالهم وذرياتهم؛ لأن الموادعة أمان لهم، ثم للإمام[6] أن ينبذ العهد إليهم، ويبعث من يبلغهم ذلك، فإذا بلغهم[7] فذلك نقض، ودارهم دار حرب كما فعل النبي ﷺ مع قريش عند نزول براءة.

---

(١) غير: ـ، ض.
(٢) موادعة: مواعدة، ض.
(٣) ولا: ولكن، د.
(٤) يرد: يريد، ض.
(٥) المؤلفة: المؤلف، د.
(٦) للإمام: الإمام، ض.
(٧) بلغهم: فعلهم، ض.

مسألة

وإذا وادعهم مدة فمضت المدة[١] يطلب الموادعة، وإن[٢] كان وادعهم على مال في يد الإمام فنبذ إليهم العهد، فإنه يبعث مَنْ يعلمهم ذلك، ويبعث بحصة ما بقي من المدة من المال إليهم؛ لأنه[٣] لم يسلم لهم كل[٤] المدة التي بذلوا لها المال، فيرد بقدره[٥].

قوله تعالى:

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾

اللغة

الخداع والخديعة: إظهار المحبوب مع[٦] إبطان المكروه، خدع خدعًا وخديعة، واختدعه اختداعًا، وانخدع انخداعًا.

والأيد: القوة، أيده تأييدًا أي قواه، ومنه

والتأليف: الجمع بين السنن على تشاكل، ألّف يؤلِّف تأليفًا، وألّفته أنا، وأصله من الألفة وهو: الاجتماع على الموافقة[٧]، فأما عند المتكلمين فقد اختلفوا في التأليف فأثبته بعضهم جنسًا برأسه كسائر أجناس الأعراض، ونفاه بعضهم.

---

(١) المدة: المرة، ض.
(٢) وإن: فإن، د.
(٣) لأنه: لأنهم، د.
(٤) كل: أهم؛ د، ض.
(٥) بقدره: قدره، ض.
(٦) مع: ما، ض.
(٧) المؤالفة: الموافقة، ض.

وذكر مشايخنا أنه[1] معنى يحل محلين ولا يحسن من فعلنا إلا متولدًا، ثم اختلفوا عن ماذا[2] يتولد، فقال أبو هاشم مرة على الاعتماد، وقال مرة على الكون، وهو مذهب القاضي في المجتمعين على وجه الالتزاق، [و] الأكثر قالوا: إن فيه تأليفا[3]، ومنهم من قال: لا تأليف فيه، وإنما أثبته فيما يلتزق، وذكر مشايخنا أنه إذا وقع التأليف وصادف شرطا[4] وقع ملتزقًا، وهو أن يكون في أحد محلين رطوبة، وفي الأخير يبوسة، فاختلفوا، فقيل: إنه شرط في حال حدوثه دون حال بقائه، عن أبي عبد الله البصري، وقيل: بل هوشرط في جميع الأحوال، عن القاضي.

۞ الإعراب

نصب اسم (الله)؛ لأنه اسم (لكنَّ) وخبره[5] في (ألَّف)، وتقديره: لكن الله المؤلف. و(عزيز) خبر (إن) ولذلك رفعه، واسمه في الهاء.

۞ النزول

«**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**[6]» قيل: نزلت في الأوس والخزرج، كان القتال بينهم مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام، فصاروا إخوانًا بعدما كانوا أعداء

۞ المعنى

لما أمر بالمصالحة عقبه بأحوالهم إن أرادوا بالمصالحة الخداع، فقال سبحانه: «**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ**» قيل: بنو[7] قريظة، عن[8] مجاهد، وقيل: سائر الكفار «**أَنْ**

---

(١) أنه: أن، ض.
(٢) عن ماذا: عما لا، د.
(٣) تأليفا: تأليف، د.
(٤) شرطا: شرط؛ ض، د.
(٥) خبره: خبر؛ ض، د.
(٦) قلوبهم: قلوبكم، ض.
(٧) بنو: بني، ض.
(٨) عن: عند، ض.

يَخْدَعُوكَ[1]» يغدروا أو يمكروا فلا تمكر فيهم، فإن الله حسبك أي[2] يكفيك كم أيدك بالملائكة وبالنصر، وكفاك شر الكفار، كذلك يكفيك شر هؤلاء «**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ**» قواك بنصره وذلك إنزال الملائكة، وتقوية القلب، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وبالريح وغير ذلك «**وَبِالْمُؤْمِنِينَ**» قيل: بجماعة مَنْ معك من المؤمنين، وقيل: بالأنصار «**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**» قيل: ألّف بينهم حتى اجتمعوا على الدين ونصرة الإسلام، عن أبي مسلم. وقيل: زين الإسلام في قلوبهم بالوعد والوعيد حتى أسلموا وتوازروا على نصرة النبي ﷺ، والدفع عنه «**لَوْ أَنْفَقْتَ**» أعطيت «**مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**» من صنوف الأموال «**مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**» أي: ما جمعت بين قلوبهم بذلك «**وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**» بلطفه، فاجتمعوا على نصرك، وذلك غير مقدور لبشر «**إِنَّهُ عَزِيزٌ**» قادر على ما يشاء من التأليف وغيره[3] «**حَكِيمٌ**» يفعل من مقدوره ما هو الحكمة والمصلحة.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ عند مكايدة العدو وسائر الأحوال ليكفي المهم، وتدل على أنه يكفي أمره مَنْ انقطع إليه، وتدل على أنه المنعم عليه بالنصر والتأييد وتأليف قلوب المؤمنين، وأنه القادر على ذلك دون غيره.

ومتى قيل: كيف يؤلف بين القلوب؟

قلنا: بلطفه حتى يؤمنوا، ويشتركوا في الدين، ويوالي بعضهم بعضًا، أو بالأمر به والنهي عن صده، أو بالوعد والوعيد.

وتدل على معجزة للرسول؛ لأنه مع كثرة عداوتهم وقتالهم لما أسلموا وبايعوه صاروا إخوانًا، مع ما عليه العرب من الحمية والخُلُق.

(١) يخدعوك: يخدعوه، ض.
(٢) أي: أن، ض.
(٣) وغيره: وغير، ض.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر «**فإن تكن منكم مائة صابرة**» إن[1] تكن منكم، بالتاء فيهما. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء فيهما. وقرأ أبو عمرو ويعقوب «**إن يكن منكم مائة**» بالياء «**وإن تكن**[2] **منكم مائة**» بالتاء، فالتاء ترجع إلى لفظ[3] مائة، والتاء إلى معنى مائة، وهي مائة رجل، ولأنه إذا تقدم الفعل خُيِّر بين التذكير[4] والتأنيث، وجمع أبو عمرو بين الوجهين، ولأنه لما ذكر «**صابرة**» أنث الكناية.

وقرأ عاصم وحمزة: «**علم أن فيكم ضَعفًا**» يعني بفتح الضاد، وفي الروم[5] مثله. وقرأ الباقون بالضم فيهما، وهما لغتان صحيحتان، الضَّعف والضُّعف، كالْمَكث والْمُكث، وخالف حفص عاصمًا في هذا الحرف فقرأها بالضم، وقال: ما خالفت عاصمًا في شيء من القرآن إلا في هذا الحرف، قال: لأن عطية العوف يقال: قرأت على أبي عمرو: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ [الروم: ٥٤] بالفتح في (الروم) فأخذ علي بالضم، وقال: قرأت على رسول الله ﷺ كما قَرَأْتَ عَلَيَّ مواخذها فَأَخَذَها عَلَيَّ، كما أخذت عليك.

(١) إن: وإن، د.
(٢) تكن: ـ ، ض.
(٣) لفظ: اللفظ، ض.
(٤) خير بين التذكير: خير بالتذكير، ض.
(٥) الروم: اللزوم، ض.

وقرأ أبو جعفر «**ضُعَفاء**» جمع ضعيف.

اللغة

تَبِعْتُ فلانًا: تلوته، وأتبعتُه: إذا لحقتُه، والتبيع: ولد البقرة إذا تبع أمه.

التحريض والحث من النظائر، وهو الترغيب في الفعل ما يبعث على المبادرة إليه، حرّضت فلانًا على كذا، والحَرَضُ[1]: المشرف[2] على الهلاك.

والتخفيف: رفع المشقة، وأصله: الخفة، وهو نقيض الثقل. والضعف: نقصان القوة، ضعف فهو ضعيف، وقوم ضعفاء وضعاف.

الإعراب

يقال: ما عامل الإعراب في (من) من قوله: «**ومن اتبعك**»؟

قلنا: يحتمل وجهين:

الأول: نصب بمعنى: ويكفي الله مَنْ اتبعك، كقوله: ﴿مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] قال الشاعر:

إذا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وانْشَقَّتِ[3] العَصَا فَحَسْبُكَ والضَّحَاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[4]

والثاني: رفع بالعطف على اسم الله، أي: حسبك الله والمؤمنون، فأجاز الوجهين الكسائي، والفراء، والزجاج.

النزول

قيل: نزلت الآية قوله: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ**» بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

(١) والحرض: أو الحرض، د.

(٢) المشرف: ـ ، ض، ش.

(٣) انشقت: فانشقت؛ ض، د.

(٤) انظره في الصحاح (عصا)، وجمهرة اللغة (جهو)، ولسان العرب (حسب)، وينسب البيت لجرير وليس في ديوانه، وانظر ذيل الأمالي، ١٤٠.

وقيل: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً، وست نسوة، ثم أسلم عمر بن الخطاب، فنزلت: «**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**»، عن سعيد بن جبير.

وقيل: أسلم تسعة و[1] ثلاثون رجلاً وثلاث[2] وعشرون امرأة، ثم أسلم عمر، فنزل جبريل بهذه الآية، عن ابن عباس، ذكره القاضي[3].

وقيل: لما أمر الله - تعالى - المؤمنين بأن يثبت واحدٌ لعشرة من الكفار بهذه الآية ثقل ذلك عليهم، فنزل قوله: «**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ**» فنسخ الأول، وأمر أن يقاتل كل رجل رجلين.

۞ المعنى

ثم أمر الله - تعالى - بقتال الكفار وحث عليه بما وعد من النصر، فقال سبحانه: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**» خطاب لمحمد[4] ﷺ «**حَسْبُكَ اللَّهُ**» أي: كافيك الله ونصره «**وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» وقيل: كافي من اتبعك، عن السدي والشعبي وابن زيد والأصم. وقيل: كافيك الله، وكافيك المؤمنون، عن الحسن، وأجاز أبو علي الوجهين[5] وقال رحمه الله: عنى الله - تعالى - بالآية الوجهين. قال القاضي: لأن ذلك لا ينافي بينهما، ولا بين من أراد بهما، ومتبعوه: من آمن به وقاتل[6] «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**» أي: حثهم على محاربة المشركين، وإنما يحثهم بذكر ما أعد الله لهم في الدنيا من النصر والظفر والغنيمة، وفي الآخرة من جزيل الثواب، وإنما أطلق القتال لأن المعلوم من حال النبي ﷺ أنه لا يحرض إلى على قتال المشركين «**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ**» أي من المؤمنين «**عِشْرُونَ صَابِرُونَ**» أي ثابتون في

(١) ثلاثة وثلاثون. . . . تسعة و: ـ ، ض.
(٢) ثلاث: ثلاثة؛ ض، د.
(٣) القاضي: للقاضي، ض.
(٤) لمحمد: محمد؛ ض، د.
(٥) الوجهين: للوجهين؛ ض، د.
(٦) قاتل: قتل؛ ض، د.

الحرب «**يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**» من[1] الكفار «**وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ**» يعني الكفار «**قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**» قيل: لا يعلمون الحق فلا ينصرهم الله، وقيل: يقاتلون على جهالة من غير احتساب ولا طلب ثواب، فلا[2] يثبتون لكم إذا صدقتموهم القتال، خلاف من يرجو[3] الثواب، وقيل: لا يعلمون أن فيكم الرسول ومعكم نصر الله، عن أبي مسلم.

وقيل: لا يعلمون إلا الدنيا، ويخافون القتل فلا يثبتون، وصورة الآية[4] خبر، ومعناه الأمر، أمر بأن يثبت واحد لعشرة، وذلك يوم بدر، فثقل عليهم حتى خفف الله عنهم ونزل: «**الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ**»، وقيل: نزل[5] ذلك في ابتداء الإسلام حيث كانت بالمسلمين قلة مع قوة ثباتهم، فلما كثروا أمروا بالأمر الثاني، وقيل: كان ذلك معجزة للنبي ﷺ؛ لأنهم لم يكونوا كذلك حتى جاء الإسلام «**الآنَ**» إشارة إلى الوقت الذي خفف عنهم فيه «**خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ**» أي: رفع تلك المشقة التي أمركم بها «**وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا**» معنى علم أي[6] ظهر المعلوم حين علم وجوده بعد أن كان علم[7] أنه سيوجد لا[8] أنه علم في الحال؛ لأنه عالم لم يزل، ولا يزال [عالم] بالأشياء كلها، والعلم بأن الشيء[9] سيوجد[10] علم بوجوده إذا وجد، وهو العالم بوجوده في ذلك الوقت، وقيل: خفف عنكم وهو عالم بضعفكم، و«**الآن**»[11] دخل في التخفيف، لا في العلم، عن القاضي. «**فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ**» ثابتة في القتال «**يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**» من

---

(١) من: في، ض.
(٢) فلا: ولا، د.
(٣) يرجو: يرجى، د.
(٤) الآية: إلا أنه، ض.
(٥) نزل: كان، د.
(٦) أي: إلى، ض.
(٧) علم: يعلم، د.
(٨) لا: إلا، ض.
(٩) علم في الحال... بأن الشيء: ـ، د.
(١٠) سيوجد: سيوجد لأنه، ض.
(١١) والآن: فالآن، ض.

الكفار «**وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ**» من المسلمين «**أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ**» قيل: بِأَمْرِهِ ونصره، وقيل: بعلمه، وهذا أيضًا خبر، والمراد الأمر «**وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**» أي: نصرته مع من صبر وثبت في الحرب محتسبًا.

الأحكام

تدل الآية الأولى أن الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ، والتوكل عليه لا يمنع من الاعتضاد بالمؤمنين.

وتدل الآية الثانية على وجوب قيام واحد من المسلمين لعشرة من المشركين، وألآيفر منهم، وكان[1] ذلك فرضًا، ثم نسخت الآية بقوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ ،عن ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد والسدي وعطاء وأبي علي، قال أبو علي رحمه الله: ونزلت الآية بعد الأولى بمدة طويلة وإن كانت إلى جنبها.

قال القاضي: والمعتبر[2] في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة، فإنها قد[3] تتقدم وتتأخر[4]، ألا ترى أن عدة الوفاة الناسخ مقدم على المنسوخ في التلاوة، وإن كان متأخرًا في النزول.

وعن ابن عباس: مَنْ فَرَّ عن رجلين فقد فر، ومن فر عن ثلاثة لم يفر.

وعن الحسن: أن التغليظ كان على بدر، ثم جاءت الرخصة، ونزل على جواز النسخ في القرآن؛ لأن[5] جميع المفسرين[6] حملوه على النسخ غير أبي مسلم فإنه منع أن قوله: «**صابرون**» تكلفًا حتمًا، قال: ولكن أوجبت أولاً بقدرة القوة والعزيمة، وثانيًا بِقَدْرِ القوة والعزيمة[7] يكفون فلما[8] اختلفت الحالتان اختلف التكليفان[9] ولا

---

(١) وكان: فكان، د.
(٢) والمعتبر: فالمتعبر، ض.
(٣) قد: +، د.
(٤) وتتأخر: فأخر، ض.
(٥) لأن: لا، ض.
(٦) المفسرين: المقرين، ض.
(٧) وثانيا بقدر القوة والعزيمة: -، د.
(٨) فلما: فيما، ض.
(٩) التكليفات: التكليف، ض.

نسخ هناك، وزعم[1] أن النسخ يقع في الأمر، ولا أمر هناك، وذكر أن تخليص الكلام: إن صبرتم غاية الصبر كان العشرون[2] يكفون[3] مائتين، ولكن الله علم أن فيكم ضعفًا، أي: ذوي ضعف، فلا يبلغون تلك الدرجة، فإن صبرتم واثقين بالله[4] كفى الألف الألفين، وهذا غير صحيح[5]؛ لأن الإجماع سبق أنه أمر، وأنه منسوخ، فهو محجوج بالإجماع، ولأن التعبد قد يقع فيه النسخ، ولم يكن بلفظ[6] الأمر قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] ومعلوم أن قوله: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تكليف، ثم ما بعده تكليف مستقل[7]، ثم قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ تكليف مستقل[8]، يصح دخول النسخ فيه.

قال شيخنا أبو علي: وكان في ابتداء الإسلام نفس من المسلمين لعشرة من الكفار لأمور: منها: النصرة، ومنها: الصبر، ومنها: القوة، ومنها: قوة النية والنصرة[9]، ثم بعد ذلك بزمان نسخ لنقصان القوة، وضعف النية في قتال الأعداء.

قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب[10] «ما كان لنبي أن تكون» بالتاء، وقرأ الباقون

(١) وعزم: وزعم، ض.
(٢) العشرون: لعشرون؛ ض، د.
(٣) يكفون: يكفي؛ ض، د.
(٤) بالله: وأذن، ض.
(٥) صحيح: فصيح، ض.
(٦) بلفظ: بالفظ، ض.
(٧) مستقل: مستقبل؛ ض، د.
(٨) مستقل: مستقبل؛ ض، د.
(٩) والنصرة: والتضررة، ض.
(١٠) يعقوب: +، د.

بالياء[1]، وكلاهما جائزان[2]؛ لأنه تقدم على الجمع، وهو (الأسرى) فيجوز التذكير[3] والتأنيث، فالتذكير[4] للفظ، والتأنيث للمعنى.

وقرأ أبو جعفر «**أُسارى**» والباقون «**أسرى**»، وكلاهما جمع أسير.

اللغة

النبي بغير همز: من النباوة، وهو الرفعة؛ لأن له درجة رفيعة ليست لغيره، وبالهمز من الإنباء وهو: الإخبار، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا نبيء الله ـ بالهمز ـ، فقال: «لست بنبيء الله، وإنما أنا نبي الله» بغير همز.

وأصل الأسر: الشد، فلان مأسور أي مشدود، وكانوا يشدون الأسير بالقيد.

والإثخان: تغليظ الحال بكثرة القتل، يقال: أوقع بهم وأثخن فيهم إذا[5] كثر القتل، وأثخنه[6] المرض والجراح: إذا اشتد عليه، وأنشد المفضل:

يصلي الضحى ما دهرها ببعيد وقد أثخنت فرعون في كفره كفرا

والغنيمة: ملك ما أخذ بالقهر من أهل الحرب.

والطيب: المستلذ، والطيب: المباح والحلال، والطيب: الطاهر، والأصل: المستلذ.

الإعراب

«**لولا**» معناه: امتناع الثاني لوقوع الأول، يقول: لولا زيد في دارك لأتيتك، كأنه امتنع من الإتيان لمكان زيد.

---

(١) حجة القراءات ٣١٣.
(٢) جائزان: جائز، ض.
(٣) التذكير: للتذكير، ض.
(٤) فالتذكير: في التذكير، ض.
(٥) إذ: إذا؛ ض، د.
(٦) وأثخنه: وأثخنته، د.

ودخلت الفاء في قوله: «**فكلوا**» على تقدير: قد أجزت لكم الفداء فكلوا، عن الزجاج.

النزول

قيل: نزلت الآية في أسرى بدر قبل أن يكثر الإسلام، فلما كثروا قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد:٤]، عن ابن عباس وقتادة.

وقيل: فادوهم بأربعة آلاف.

وعن أبي عبيدة وابن مسعود قالا: لما كان يوم بدر، وأتي رسول الله بالأسرى، استشار النبي ﷺ أصحابه فيهم، فقال أبو بكر: قومك وعشيرتك اسْتَبْقِهِمْ لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار. وقال عمر: كذبوك وأخرجوك من ديارك، قَدِّمْهُم لتضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، فقال ناس بقول أبي بكر، وقال ناس بقول عمر، فقال ﷺ: «مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم حيث قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، ومثل عيسى حيث قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، ومثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٦، ٢٧] ومثل موسى حيث قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس:٨٨]. وأمر بأخذ الفداء.

قال ابن عباس: فلما كان من الغد جئنا إلى رسول الله ﷺ فإذا هو[1] وأبو بكر يبكيان، فقلت[2]: وما يبكيكما؟ فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء، فأنزل الله تعالى: «**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ...**» الآية.

قال الأصم: وكان رسول الله ﷺ إذا استشارهما واجتمعا، أخذ[3] بقولهما، وإذا اختلفا شاور غيرهما أيضًا.

وعن ابن إسحاق وابن زيد: أن عمر وسعد بن معاذ أشارا بالقتل، وكان عمر لا

(١) فإذا هو: قال وهو، ض.
(٢) فقلت وما يبكيكما فقال: فقلت قيل وما تبكيان فقيل قلت، ض.
(٣) واجتمعا أخذ: واجتمع وأجمعا أخذهما، ض.

يلقى أسيرًا إلا ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله، ما لنا والغنائم، نحن فئة تجاهد في دين الله حتى يُعْبَدَ، قال سعد: القتل أحب إلي من[1] استبقاء الرجال، فقال ﷺ: «لو نزل العذاب ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ».

وروي أنه قال لعمر: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء»[2].

روي أن عمر وعليًا أشارا إلى القتل، وأبا بكر وعثمان بالاستبقاء، فتلا رسول الله ﷺ الأربع الآيات لكل واحد مثلاً.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: لما أمر بالقتل، أُسِرُوا ولم يكن أوحى الله إليه في ذلك شيئا[3]، وشاور أصحابه وأخذ الفداء بمشاورتهم، عاتبهم الله عقيب ذلك، فقيل: عاتب أصحابه دونه وإن كان الخطاب له، ولذلك قال: «**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا**»، ويدل على أنه لم يأمرهم بالأمر، لأنه[4] عاتبهم على ذلك.

۞ المعنى

«**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ**» أي: ليس له، ولا في عهد الله إليه «**أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ**» قيل: حتى يبالغ في قتال المشركين وقهرهم، وقيل: حتى يقتل ويقهر، والإثخان: القتل[5]، عن مجاهد. وقيل: الإثخان: الغلبة[6] للبلدان والتذليل[7] لأهلها، عن أبي مسلم. يعني يتمكن في الأرض، وقيل: حتى ينفي عدوه من

(١) من: ما، ض.
(٢) أسروا: فأسروا؛ ض، د.
(٣) شيئا: شيء؛ ض، د.
(٤) لأنه: أنه؛ ض، د.
(٥) القتل: والقتل، ض.
(٦) الغلبة: العليلة، ض.
(٧) والتذليل: والتذلل، د.

الأرض[١] فبين ـ تعالى ـ أن قتله مكان أولى من أسرهم[٢] «**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا**» يعني تريدون بأخذ الفداء مال الدنيا، وسمي الفداء عرضًا؛ لقلة لبثه «**وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ**» أي عمل الآخرة وهو الطاعة المؤدية إلى الجنة، وقيل: تريدون لأنفسكم عرض الدنيا الفانية والله يريد لكم الآخرة الباقية[٣] بأن تعملوا بها «**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**[٤]» أي: قادر، حكيم فيما يفعل، وقيل: قادر على قهر الأعداء وذلك بفعل ما هو الأصلح[٥]، وقيل: هو قادر على نصركم[٦]، فلا تخافوا قهرًا [من] أحد مع نصرته[٧] إياكم[٨] وإعزازه لدينكم.

«**لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» اختلفوا في الكتاب[٩] على ثلاثة أوجه: فمنهم من قال: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: المراد به القرآن، ومنهم من قال: المراد به الإثخان[١٠].

ثم اختلفت كل فرقة في معنى الآية، فقيل: لولا أنه ـ تعالى ـ كتب في اللوح أنه لا يعذبهم على ذلك لعذبهم، عن الحسن.

وقيل: لولا أنه كتب في اللوح المحفوظ أنه لا يعذب مَنْ شَهِدَ بدرًا مع رسول الله، عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد.

وقيل: لولا ما كتب على نفسه من الرحمة والكتاب السابق هو إيجاب الرحمة على نفسه، وتقديره: لولا رحمته[١١]، لأصابكم العذاب[١٢] عن أبي مسلم.

---

(١) المستدرك رقم ٣٢٧٠.
(٢) أسرهم: أسراهم، ض.
(٣) الباقية: بالباقية، ض.
(٤) حكيم: ـ، د.
(٥) وقيل قادر على... الأصلح: +، د.
(٦) على نصركم: ينصركم؛ ش، ض، د.
(٧) نصرته: نصره، ض.
(٨) إياكم: أبايكم، ض.
(٩) الكتاب: القتال، د.
(١٠) الإثخان: الإيجاب، ض.
(١١) رحمته: رحمة، ض.
(١٢) الذاب: الذاب، ض.

وقيل: لولا أنه كتب أنه لا يعذب[1] من يخطئ ولا يتعمد لعذبهم، عن الأصم. وهذا بعيد؛ لأن القوم لا بد أن يكونوا[2] متمكنين من العلم، وإلا لما عوتبوا.

وقيل: لولا أنه كتب في اللوح[3] المحفوظ[4] أو في القرآن أنه لا يعذبهم والنبي بين أظهرهم لعذبهم.

وقيل: لولا القرآن نزل قبل أخذ الأسارى أن المعاصي مغفورة بالتوبة وأنكم تبتم لأصابكم العذاب.

وقيل: لولا كتاب من الله سبق أنه يعفو عنهم ولا يعذب من آمن برسوله وهاجر ونصر[5].

وقيل: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب إلا بعد المظاهرة في البيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، عن مجاهد.

وقيل: لولا كتاب من الله سبق[6] قضاءٌ من الله سبق في اللوح المحفوظ لكم بأن الغنائم تحل لمُحَمَّدٍ ولأمته، عن ابن عباس، قال: ولم تحل الغنائم لأحد قبله، وإنما حلت يوم بدر، وكانت الغنائم للقربان تأكلها النار، وروي ذلك مرفوعًا.

وقيل: «**لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ**» يعني القرآن الذي آمنتم به واستحققتم لذلك غفران صغائركم[7] «**لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**[8]»، **عن أبي علي، قال: ولا يجوز** إلا[9] أن يكون ذلك صغيرًا؛ للإجماع[10] على أنهم قبل الغفران لم يكونوا

---

(١) لا يعذب: لا بعذاب، ض.
(٢) لابد أن يكونوا: لا بد من أن يكون، ض.
(٣) اللوح: الألواح، ض.
(٤) المحفوظ :ـ، د.
(٥) وقيل لولا كتاب من... ونصر: +، د.
(٦) سبق :ـ، د.
(٧) صغائركم: صائركم، ض.
(٨) عظيم :ـ، د.
(٩) إلا: ـ ، ض.
(١٠) للإجماع: الإجماع، ض.

فساقًا «**لَمَسَّكُمْ**» لأصابكم «**فِيمَا أَخَذْتُمْ**» من الفداء «**عَذَابٌ عَظِيمٌ**» «**فَكُلُوا**» إباحة بعد حَظْرٍ[(١)]، وليس بأمر «**مِمَّا غَنِمْتُمْ**» أخذتم من الكفار من الفداء وغيره «**حَلالاً طَيِّبًا**» مستلذًا هنيئًا «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي اتقوا عذابه باتقاء معاصيه «**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**[(٢)]» يغفر الذنوب «**رَحِيمٌ**» يوجب الرحمة والجنة.

الأحكام

تدل أولى الآيات أن العدول عن[(٣)] قتل الكفار إلى أسرهم محرم على كل نبي، حتى يكثر القتل فتحصل هيبة[(٤)] ورعبٌ[(٥)] في القلوب، وبعد ذلك يجوز أن يكون له أسرى.

وتدل على أن الجهاد كان من تكليف سائر الأنبياء.

وتدل على أنهم يوم بدر عصوا الله في الأسرى إلا أنها وقعت صغيرة؛ لأنهم لم يصيروا فساقًا.

ومتى قيل: أكان[(٦)] الرسول موافقًا لهم[(٧)] أم لا؟

قلنا: لا، بل أمرهم بالقتل.

قلنا: يحتمل أنه جوز تغيير التعبد بغير الأسر، وإن كان الواجب قبله القتل، ويحتمل أن الذين أسروهم[(٨)] أتوهم، ولم يرهم حال الأسر؛ لأنه كان في العريش فمقامهم[(٩)] دونه.

---

(١) حظر: حضر؛ ش، ض، د.
(٢) غفور: ـ ، ض، ش.
(٣) عن: من ؛ ض، د.
(٤) في (ض) هنية.
(٥) رعب: رعبة؛ ض، د.
(٦) أكان: كان، د.
(٧) لهم: ـ ، ض، ش.
(٨) الذين أسروهم: الذي أسرهم؛ ض، د.
(٩) فمقامهم: فمعاقبهم، ض.

قال شيخنا أبو علي: كان منه ﷺ معصية صغيرة في ذلك، والصحيح أنه لم يكن منه شيء يوجب العَتْبَ يدل على قوله: «**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا**» وقوله: «**لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ**».

وتدل على أنه يريد خلافه؛ فيبطل مذهب المجبرة أنه[1] يريد ما وقع.

وتدل على أن الأخذ والأسر والإرادة فِعْلُهُم، فيبطل قولهم في المخلوق.

ويدل قوله: «**فكلوا**» على تحليل، وقيل: إنه نسخ ما قبله، وقيل: بل هو ابتداء بيان، وقيل: الأول عند قلة المسلمين، وهذا عند ظهور قوة الإسلام، عن أبي مسلم، وهو لا يرى النسخ في القرآن، فتأول كلآية على تأويل.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**الأسارى**» بالألف في الحرفين[2] في قوله: «**أن يكون له أُسارى**» «**قل لمن في أيديكم من الأسارى**».

وقرأ أبو عمرو[3] الأول بغير الألف، وفي الثاني بألف. وقرأ الباقون بغير ألف في الحرفين والمعنى واحد، أسارى وأسرى: جمع أسير، إلا أنه في المصحف بغير ألف، وحملوه على الأول، وهو نظيره، وأبو عمرو جمع المذهبين.

اللغة

الأيدي: جمع يد، وهي الجارحة المعروفة، ثم تستعمل صلة، وبمعنى القدرة والنعمة.

---

(١) أنه: أنها، ض.

(٢) بالألف في الحرفين: بألف بالحرفين، ض.

(٣) أبو عمرو: أبو جعفر عمرو، ض.

والخير: النفع الكثير الخالص.

والخيانة ضد الأمانة وهو: الإضرار بالغير على وجه المساترة.

والإمكان: القدرة على الشيء مع ارتفاع الموانع.

الإعراب

(إنْ) حرف شرط، وجوابه في قوله: «**يؤتكم خيرًا**» كقوله: إن يجئ زيد أكرمته، فالمجيء شرط، والإكرام جزاء.

النزول

قيل: نزلت الآية في العباس وكان أسر يوم بدر، وكان من المُطْعِمِين، وبلغته النوبة يوم القتال فأخرج عشرين أوقية ليطعم الناس، فاقتتلوا وذهب بها، فكلم النبي ﷺ أن يحسبها في فدائه، فأبى، وطالبه بفدائه وفداء بني أخيه: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت، فقال ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة، وقلتَ: إن حدث بي[1] حدث فهذا لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقُثَم» فقال العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني ربي»، فقال العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأسلم، فنزلت الآية[2].

قال العباس: أخذ[3] مني عشرين أوقية ذهبًا، فأعقبني الله عشرين عبدًا كل عبد يتجر بعشرين ألفًا، وأعطاني زمزم، ولا أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا[4] أرجو المغفرة من ربي.

المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ الأسرى[5] وما أعد لهم إن أسلموا استمالة لهم، وحثا[6] على

---

(١) بي: لي، ض.

(٢) مسند أحمد رقم ٣٣١٠، والمستدرك رقم ٥٤٠٩، وسنن البيهقي الكبرى رقم ١٢٦٢٨.

(٣) أخذ: وخذ، ض.

(٤) وأنا: أنا، ض.

(٥) الأسرى: للأسرى، ض.

(٦) حثا: حث؛ ض، د.

الإسلام، فقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى**» يعني في يدك ويد أصحابك، ومعنى «**فِي أَيْدِيكُمْ**» أي: في وثاقكم، وإنما ذكر اليد؛ لأن من في وثاقه بمنزلة من في يده[1] للاستيلاء عليه[2] «**مِنَ الْأَسْرَى**» يعني أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء بالإجماع «**إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا**» يعني إن حصل في قلوبكم خير[3]، يعني إن ظهر المعلوم، والمراد بالخير[4] قيل: إيمانًا وإخلاصًا، عن الأصم، وقيل: نصرة في الدين وحسن نية[5]، عن أبي علي. وقيل: إن عملتم بطاعتي ونصرتم ديني ونصحتم رسولي «**يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ**» من الفداء، يعني خلفًا في الدنيا، وثوابًا في الآخرة، «**وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يغفر الذنوب، ويوجب الرحمة «**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ**» يعني خلافك والغدر بك أيها الرسول، وقيل: ينقضون[6] عهدك؛ لأنهم عاهدوه[7] لما أطلقهم ألاّ يحاربوه، ولا يعينوا على محاربته «**فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ**» قيل: أولياء الله وأنبياءه، وقيل: خانوه بأن خالفوه «**مِنْ قَبْلُ**» قيل: من قبلك، وقيل: خالفوا قبل وقعة بدر «**فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ**» يعني لما خالفوا الأنبياء قبلك أمكن منهم، وعاقبهم، وقيل: لما خالفوا قبل وقعة بدر، فأمكنك منهم ببدر، وقيل: «**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ**» بالكفر بك فقد كفروا قبلك، فأمكن الله منهم ببدر، والمراد بالخيانة: الخيانة في الدين، «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**» بأحوالهم «**حَكِيمٌ**» فيما فعل بهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه لا يجب قتل الأسرى لا محالة، وأنه يجوز أن يبقيهم.

وتدل على ترغيبهم في الإسلام؛ لأن قوله: «**ويغفر لكم**» لا يليق إلا بالإسلام[8].

---

(١) من في يده: ـ، ش، ض.
(٢) للاستيلاء: الاستيلاء، ض.
(٣) خير: ـ، ش، ض.
(٤) والمراد بالخير: والمراد في بالخير، ض.
(٥) وحسن نية: ـ، ش، ض.
(٦) ينقضون: ينقضوا؛ ض، د.
(٧) عاهدوه: عاهدوك، ض.
(٨) وتدل على ترغيبهم في... بالإسلام: ـ، ش، ض.

وتدل على أن الترغيب في الإسلام يكون بمنافع الدنيا والآخرة؛ لأن[1] قوله: «**يؤتكم خيرًا**» يشتمل على منافع الدنيا، وقوله: «**يغفر لكم**» من منافع الآخرة.

وتدل على عظم أمر الخيانة في الدين، والخيانة مخالفة أمر الله وأمر رسوله؛ لأن حقيقة الخيانة لا تجوز[2] مع الله؛ لأنه عالم بالسرائر، فلا بد أن تحمل على أحد الوجوه المتقدمة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة: «**من وِلايتهم**» بكسر الواو[3]، وهي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش، وقرأ الباقون[4] بفتح الواو، وقيل هما[5] بمعنى واحد، قال الزجاج: وإنما جاز الكسر لأنه يشبه الصناعة نحو: الخياطة، قال الكسائي: الولاية بالفتح: النصر، وبالكسر: الإمارة. قال أبو عبيد: بالفتح: مصدر المولى، وبالكسر: من وليت الشيء. قال

---

(١) لأن: لأنه؛ ض، د.

(٢) تجوز: يجوز؛ ض، د.

(٣) حجة القراءات ٣١٤.

(٤) وقرأ الباقون: قرأ يعقوب الباقين، ض.

(٥) هما: ـ ، ش، ض

أبو علي الفارسي[١] : الوَلاية بالفتح في الدين[٢]، وقال[٣] الأصمعي: غلط الأعمش وكسر الواو، وقال الحسن: هي لغة، ولا خلاف أن الأجود والاختيار[٤] الفتح.

اللغة

الهجرة: فراق الوطن إلى غيره من البلاد، وأصله من الهجران، والهجر ضد الوصل، وتمهجر الرجل وتهجر: تشبه[٥] بالمهاجرين، وفي الحديث: «هاجروا ولا تهجروا»[٦].

والجهاد: تحمل المشقة، يقال: جهدت نفسي، والجَهْد والجُهْد بضم الجيم[٧]: الطاقة.

والإيواء ضم[٨] الإنسان صاحبه إليه بإنزاله إلى عنده وتقريبه، آواه[٩] يؤويه إيواءً، وأويت: رجعت، والمأوى: المكان الذي يأوي إليه.

الولاية ـ بكسر الواو وفتحها ـ: النصرة، والولاية السلطان[١٠]، وأصله من الولاء[١١] وهو القرب، كأنه يليك نصرته.

والاستنصار: طلب النصرة استفعال من النصر، والنصر[١٢] : المعاونة، يقال: نصره نصرًا أعانه.

والفتنة: أصله الامتحان، ثم تستعمل في أشياء منها الكفر، ومنها العقوبة، ومنها الهرج.

والكريم: فاعل الكرم، والكرم: الجود العظيم، قال الشاعر:

---

(١) أبو علي الفارسي: أبو علي قسوي، ض؛ أبو علي القسوي، د. والتصحيح من: تفسير البيان: ٥/ ١٦١.
(٢) في الدين: فالدين، ض.
(٣) وقال: قال، ض.
(٤) الأجود والاختيار: الأجود واوًا لاختيار، د.
(٥) تشبه: بيته، ض.
(٦) المعجم الكبير رقم ٥١، والسنن الكبرى للبيهقي رقم ١٨٧٢٤
(٧) الجيم: الميم، ض.
(٨) والايواء ضم: ولا يواطم، ض.
(٩) آواه: أراه، ض.
(١٠) السلطان: الشيطان، ض.
(١١) الولاء: الولي، ض.
(١٢) النصر والنصر: النصر والنصر والنصر، ض.

تِـلْـكَ الـمَـكَـارِمُ لاَ قَـعْـبَـانِ مِـنْ لَـبَـنٍ   شِـيـبَـا بِـمَـاءٍ فَـعَـادَا بَـعْـدُ أَبْـوَالاَ[١]

والرحم: علاقة القرابة، وأصله من الرحمة؛ لأنهم في القرابة يتراحمون[٢]، رحم يرحم إذا رق وتعطف، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى. والأرحام: جمع رحم.

الإعراب

«**إلا تفعلوه**» الضمير يعود إلى معنى ما أمروا به في الآية الأولى والثانية، ومخرجه مخرج الخبر، ومعناه الأمر، كأنه قيل: إن لم[٣] تفعلوا ما أمرتم من التعاون[٤] في الدين، والتبري من الكفار حقًا، تقديره: أحق ذلك حقًا.

النزول

قيل: نزلت الآية في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، وجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، ومن آمن ولم يهاجر لا يرث حتى أنزل الله - تعالى - : «**وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**» فنسخ ذلك وصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين، ولا يتوارث أهل ملتين.

وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وعن ابن زيد[٥] : لما انقطعت الهجرة توارثوا بالأرحام، وقال النبي ﷺ: «لا[٦] هجرة بعد الفتح»[٧].

وقيل: نزلت في الموالاة في الدين، وعن النبي ﷺ أنه قال: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض» ذكره القاضي، وشرط الهجرة في الموالاة، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١] لما سقطت الهجرة.

---

(١) نسب للنابغة الجعدي، انظره في أساس البلاغة (قعب)، والعين (قعب)، وتاج العروس (قعب).
(٢) يتراحمون: تراحمون، ض.
(٣) إن لم: ألم؛ ض، د.
(٤) من التعاون: الغاوون، ض.
(٥) ابن زيد: ابن عباس، ض.
(٦) لا: ولا، ض.
(٧) البخاري رقم ٢٦٣١، ومسلم رقم ١٣٥٣.

۞ المعنى

ثم ختم السورة بقطع موالاة الكفار وإيجاب موالاة المؤمنين، وصنف الخلق خمسة أصناف:

المهاجرون[١] : وهم الذين هجروا الديار والأموال، وبذلوا مُهَجَهُمْ، كل ذلك لأجل الدين.

والثاني: الأنصار: وهم الذين بذلوا الدور، وواسوا بالأموال، ونصروا رسول الله ﷺ.

والثالث: المؤمنين الذين لم يهاجروا، وكانت[٢] الهجرة فرضًا في ذلك الوقت، فمن لم يهاجر لم يكمل إيمانه، فلا ولاية له[٣]، ولا حض في القيامة إلا أن يستنصروا المؤمنين على الكفار، فيجب نصرتهم، إلا على قوم لهم عهد.

والرابع: الذين آمنوا وهاجروا بعد الرسول، فلهم ما للمؤمنين، وعليهم ما على المؤمنين؛ لأن الهجرة انقطعت بالفتح، وعن الحسن: إن هجرة الأعراب باقية، وقيل: الهجرة من دار الكفر والفسق إلى دار الإسلام والعدل واجبة عن الحسن، وهو مذهب القاسم عليه السلام وله في ذلك تفصيل ذكره في كتاب (الهجرة).

والخامس: الكفار، فالواجب قطع موالاتهم، وإجراء أحكام الكفار عليهم، قال الله سبحانه وتعالى[٤] «**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**» صدقوا الله ورسوله «**وَهَاجَرُوا**» هجروا دار الكفر وعشيرتهم إلى دار الإسلام «**وَجَاهَدُوا**» قاتلوا أعداء الدين «**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي في سبيل دين الله، وسماه سبيلاً[٥]؛ لأنه طريق ثوابه وجنته «**وَالَّذِينَ آوَوْا**» يعني الأنصار ضموا المسلمين إلى أنفسهم وجعلوا لهم مأوى يعني النبي ﷺ والمهاجرين «**وَنَصَرُوا**» الدين، روي أنهم أسكنوهم منازلهم، وقسموهم أموالهم، ونصروهم على أعدائهم، وبذلوا المهج في نصرة الدين «**أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**»

---

(١) المهاجرون: المهاجرين، د.

(٢) وكانت: فكانت، ض.

(٣) له: لهم، د.

(٤) وتعالى: ـ ، ض.

(٥) سبيلا: سبيله، ض.

يعني هؤلاء بعضهم أولى ببعض، وإن لم تكن بينهم[١] قرابة من قراباتهم من الكفار، قيل: في التوراة، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي. وقيل: في الموالاة في الدين والتناصر والتعاون[٢]، عن الأصم. وقيل: في نفوذ أمان بعضهم على بعض، فإن واحدًا[٣] من المسلمين إذا أَمَّنَ صح الأمان، واختلفوا في العبد المحجور هل يجوز أمانه، قال أبو حنيفة: لا، وقال الشافعي: يصح.

«**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**» قيل: من الميراث؛ لأنه لم يهاجر، ولم يَنْصُرْ، وقيل[٤]: من التناصر والتعاون والاشتراك في الغنيمة «**حَتَّى يُهَاجِرُوا**» فحينئذ يحصل لهم ذلك «**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ**» طلبوا نصركم وإعانتكم على الكفار «**فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**» يجب الوفاء به «**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» أي: عليم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، يجازيكم بها «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**» قيل: في الميراث، يرث الكافر الكافر، عن ابن عباس وأبي مالك. وقيل: في النصرة والمعاونة عن قتادة وابن إسحاق،[«**إلا تفعلوه**»] هو أن يتولى المؤمنون[٥] الكافرين دون المؤمنين، وقيل: إلا تطيعوا[٦] الله في أمره وحكمه، عن الأصم. فتصلوا من أمركم بصلته، وتقطعوا من أمركم بقطعه «**تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ**» قيل: ضلالة عظيمة، وقيل: كفر[٧] عظيم، وقيل: هرج، وأخذ المسلم بالرجوع إلى الكفر؛ لأن التبري من الكفار أحد ما يدعو الكافر إلى الإيمان والمؤمن إلى التشدد في الدين «**وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**» لما[٨] يظهر من المعاصي وقطع المنافع وإخافة الطرق وولاية غير[٩] المستحق وكثرة الظلم.

---

(١) بينهم: منهم، ض.
(٢) والتعاون: والتعاصم، ض.
(٣) واحدا: واحد؛ ض، د.
(٤) وقيل: قيل، ض.
(٥) المؤمنون: المؤمنين؛ ض، د.
(٦) تطيعوا: يطيعوا؛ ش، ض، د.
(٧) كفر: أمر، ض.
(٨) لما: بما، د.
(٩) غير: عليها، ض.

ثم أعاد ذكر المهاجرين بمدحهم والثناء عليهم تأكيدًا لأمرهم، فقال سبحانه: «**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا**» نبينا معناه «**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**» قيل: حققوا إيمانهم بالهجرة، والجهاد، وبذل المال خلاف من أقام بدار الشرك، عن الأصم. وقيل: حقق إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها، وليس لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل ذلك.

ومتى قيل: هل بقيت الهجرة؟

فجوابنا: أن الأكثر على أنه لا هجرة بعد الفتح لاتساع بلاد الإسلام، وقيل: هي باقية كما كانت عن القاسم بن إبراهيم(عليه السلام)، وقيل: بقيت هجرة الأعراب[1] إلى الأمصار[2] إلى يوم القيامة، عن الحسن.

«**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**» غفران ما تقدم من ذنبهم «**وَرِزْقٌ**» عطاء، وهو ثواب الجنة «**كَرِيمٌ**» عظيم شريف، وقيل: الرزق طعام الجنة لا يستحيل في أجوافهم، ولكن يصير كالمسك رشحًا «**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ**» قيل: نزول الآية، عن أبي علي. وقيل: بعد الحديبية، وقيل: بعد الفتح، حكى الوجهين الأصم.

قال ابن عباس: ترك النبي ﷺ الناس يوم توفي على أربع منازل: مؤمن مهاجر، وأنصاري[3]، وعربي لم يهاجر وإن استنصر في الدين كان حقًا نصره، الرابع: التابعون بإحسان.

«**وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ**» من جملتكم أيها المؤمنون «**وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**[4]» قيل: في المواريث بإجماع المفسرين؛ لأنها كانت بالدين والهجرة، ثم نسخت بالرحم، قال قتادة: كان الأعرابي لا يرث المهاجر حتى نزلت هذه الآية «**فِي كِتَابِ اللَّهِ**» قيل: فيما كتب في اللوح المحفوظ

---

(١) الأعراب: الأعراف، ض.

(٢) الأمصار: الأنفال، ض.

(٣) أنصاري: أنصار؛ ض، د.

(٤) في كتاب الله: -، د.

كقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢] وقيل: في حكم الله عن الزجاج. وقيل: إيجاب الله كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقيل: في[1] القرآن المنزل عليك، فهي هذه الآية، وقيل: في قسمة الله في القرآن في سورة النساء في آية المواريث، عن أبي مسلم. «**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**» قيل: عليم بكل شيء، فهو أعلم بمصالحكم[2]، فارجعوا إلى حكمه.

۞ الأحكام

الآية الأولى[3] تدل على أن بمجموع تلك الخصال حصل بعضهم أولياء بعض، وهو: الإيمان، والهجرة، والإيواء، والنصرة، والجهاد، قال أبو مسلم: هو خبر والمراد به الأمر بالموالاة.

وتدل على أن الهجرة فرض، وقد بينا اختلافهم في ذلك، والصحيح أنها زالت، وإنما كان يجب لخوف الكفار والافتتان ولتقوية الرسول، وكل ذلك زال بعد الفتح.

فأما إذا أسلم في دار الحرب فمنهم من قال: تجب الهجرة، وهو الأولى، ومنهم من قال: لا تجب، إلا أن يخاف الافتتان[4].

وذكر شيخنا أبو علي أن الآية تدل على بطلان قول الرافضة في ادعائهم الكفر على أكابر الصحابة وسادات الإسلام كأبي بكر وعمر وعثمان؛ لأنه ـ تعالى ـ بيّن وجوب موالاتهم، وأنهم مؤمنون حقًا لوجود هذه الصفات فيهم.

وتدل على أن نَصْرَ مَنْ استنصر في الدين واجبة، وذلك قد يكون بالحجة وقد يكون بالسيف.

وتدل على أن الميثاق يمنع المحاربة لذلك قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾.

---

(١) في: ـ، ش، ض.
(٢) بمصالحكم: بمصالح، ض.
(٣) الأولى: الولي، ض.
(٤) الافتتان: الإنسان، ض.

وتدل على أن المكلف بجميع هذه الخصال يصير[١] مؤمنًا، وأن هذه الخصال من الإيمان؛ لذلك قال بعد ذكره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾، خلاف قول المجبرة في المخلوق.

وتدل على أن من تأخر إيمانه[٢] وجهاده وهجرته فهو بمنزلة الأولين في وجوب التناصر والموالاة.

وتدل على أن التوريث[٣] بالرحم، واختلفوا[٤]، فقيل: كان النبي ﷺ آخَىَ بين أصحابه وأوجب التوريث[٥] فقطع الله ذلك بهذه الآية، وقيل: كان التوارث بالهجرة والحِلْف، فنسخت الآية جميع ذلك.

وتدل على توريث ذوي الأرحام على ما يقوله علي، وابن مسعود، وابن عباس خلاف ما يقوله زيد نحو: الخالة والعمة. واختلفوا فيه، فقيل: الآية مجملة وتفسيرها في سورة (النساء)، والرحم من ذكر هنالك[٦]، وقيل: بل هو محمول على عمومه في جميع ذوي الأرحام.

۞ مسائل ذوي الأرحام

الوارثون ثلاثة: أصحاب السهام، والعصبات، وذوو[٧] الأرحام.

وأصحاب السهام: من له سهم مفروض في كتاب الله، وقد بَيَّنَّاهَا في (النساء).

والعصبة ثلاثة:

عصبة بنفسه، وهو كل ذكر يدلي إلى الميت بذكر.

---

(١) يصير: يصيرا، ض.
(٢) إيمانه: إيمانًا، ض.
(٣) التوريث: المواريث، ض.
(٤) واختلفوا: فاختلفوا، ض.
(٥) التوريث: المواريث، ض.
(٦) هنالك: هناك، د.
(٧) ذوو: ذوا؛، ض، د.

وعصبة بغيره، وهم أربعة: الابنة بالابن، وبنات الابن ببني الابن، والأخت من الأب والأم، بالأخ من الأب والأم، والأخت من الأب، بالأخ[1] من الأب، ومنهم من قال: بنت الابن لا تصير عصبة.

وعصبة مع غيره[2] وهو: الأخت مع البنت، والأكثر على أنها تصير عصبة، ومنهم من قال: لا تصير عصبة.

فأما ذوو[3] [الأرحام] فكل قريب للميت ليس بذي سهم ولا عصبة، كالخالة والعمة فإنها ترث عند أبي حنيفة وعليه الأكثر، قال الشافعي: لا ترث.

وقد اختلف الصحابة في ذلك: فذهب إلى توريثهم علي، وعمر، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو الدرداء، ومعاذ، وأبو موسى، ومن العلماء: علقمة، والأسود، وشريح، ومسروق، وإبراهيم، وعطاء، وطاؤوس، والشعبي، وجابر بن زيد، وابن[4] أبي ليلى، وسفيان، والحسن بن صالح في آخرين، وكان زيد لا يورثهم، وهذا[5] مذهب مالك والشافعي.

واختلف مورثو ذوي الأرحام على قولين[6] :

أهل القرابة، وهم أبو حنيفة وأصحابه يورثون الأقرب فالأقرب.

وأهل التنزيل، ينزلون كل واحد منزلة من يدلي وهم: أولاد البنات، وبنات الإخوة، وأولاد الأخوات، والأخوال والخالات وأولادهم، فالعمات وأولاد العمات[7]، وبنات الأعمام.

---

(١) بالأخ: الأخ،د؛ وبالأخ، ش.
(٢) غيره: غيرها، د.
(٣) ذوو: ذوي؛ ض، د.
(٤) وابن: وعن، ض.
(٥) وهذا: ثم وهو، د.
(٦) قولين: فرقتين، د.
(٧) وأولاد العمات: فأولاد العمات، د، ش.



سورة التوبة

سورة براءة وهي مدنيّة بالإجماع.

نزلت سنة[1] تسع من الهجرة، وهي مائة وثلاثون آية.

وعن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما نزل عليّ القرآن إلا آية آية، حرفًا حرفًا خلا سورة (براءة)، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فإنهما أنزلتا عليّ، ومعهما سبعون ألف ملك».

ولهذه السورة أسماء:

فمنها: سورة (براءة)؛ لأنها مفتتحة بالبراءة، ونزلت بإظهار البراءة من الكفار.

ومنها: سورة (التوبة)؛ لأن فيها الدعاء إلى التوبة، والحث عليها بما ذكر من البراءة، ووجوب القتل والقتال.

ومنها: (الفاضحة)، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، قلت لابن عباس: سورة (التوبة)؟ قال: هي الفاضحة، ما زالت تنزل فيهم حتى ظننا أنه لا يبقى أحد إلا يُذكر فيها.

وقيل: أرادوا نكث العهد شرًا فأظهره الله بالبراءة وأظهر كفرهم، يقال: فضح الصبح إذا بدا.

وقيل: لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم عن قتادة. والفضوح: التمسك بالخصال الدنيئة، وافتضح فلان: انكشفت[2] مساويه.

---

(١) نزلت سنة: نزلت سنة الأولين، ض.

(٢) انكشفت: انكشف، ض.

ومنها: تسمى (المثيرة) أثارت مخازيهم ومناقبهم، عن قتادة.

ومنها: سورة (العذاب)؛ لأنها نزلت بعذاب الكفار.

ومنها: (المبعثرة). وعن قتادة وابن إسحاق: كانت تسمى على عهد رسول الله ﷺ (المبعثرة)؛ لأنها كشفت عن سرائر الناس، يقال: بعثرت الشيء وبحثرته: بددته ونحيته.

ومنها: (المُقَشْقِشَة) وهو من قولهم: تقشقش الشيء: إذا تقشر، قال ابن فارس كان يقال لسورتي (قل هو الله أحد) و(قل يا أيها الكافرون) هما المقشقشتان؛ لأنهما تخرجان قارئهما عن النفاق، وتؤمّنانه[1] من[2] الكفر، وسمي به (براءة) لوجهين:

أحدهما: كأنه قشر المنافقين، فأظهر نفاقهم.

وثانيها: أن من آمن به خرج من النفاق لما فيه من الدعاء إلى الإخلاص.

ومنها: تسمى (الحافرة) و(الحفارة)، عن الحسن؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين مما كانوا يتسترون به[3]، عن الأصم. يقال: حفرت الأرض حفرًا، والحفير التراب يستخرج من الحفيرة.

ومنها: تسمى (المدمدمة) أي: المهلكة، عن سفيان بن عيينة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشمس: ١٤].

ومنها: تسمى (البَحُوث)؛ لأنها تبحث[4] عن أسرار القوم.

ويقال: لِمَ[5] لم يكتب «بسم الله» على رأس براءة؟

قلنا: للعلماء فيه أقوال: فقيل: لأنه لم يَنْزِلْ، فالوصل بين السور والفصل مقاطع الآيات ومواضع السور والآيات، كل ذلك طريقها الوحي، لا يجوز غير ذلك.

---

(١) وتؤمنانه: ويؤمنا بهما، ض.
(٢) من: عن، أ.
(٣) يتسترون به: يتسترونه، د.
(٤) تبحث: بحثت، ض.
(٥) لم: لما؛ د، ض.

وقيل: ذكر العلماء في ذلك وجوها:

منها: أنه لم ينزل على رأس سورة براءة التسمية؛ لأن «بسم الله» للأمان[١] والرحمة، ونزلت[٢] الآيات[٣] لرفع الأمان والسيف، عن علي، وسفيان بن عيينة، وأبي العباس.

ومنها: أنهما[٤] ضمتا للمقاربة؛ لأن الأنفال في ذكر العهود عن أبي بن كعب[٥].

ومنها: لأن[٦] آخر الأنفال إيجاب الموالاة بالإيمان والهجرة، وأول براءة ذكر البراءة من المشركين فقطعت تلك الولاء، فكان آخر الأنفال كالابتداء، وأول البراءة كالخبر، وككلام واحد[٧] فلم[٨] ينزل بينهما فصل بالتسمية[٩].

ومنها: أن قصة السورتين يشبه بعضها بعضًا، وكانتا تدعيان[١٠] القرينتين[١١].

ومنها: قال سعيد[١٢] بن المسيب: هما سورة واحدة. وليس بشيء؛ لأن النقل المستفيض أنهما سورتان.

ومنها: ما روي أن ابن عباس سأل عثمان: فقال[١٣] ما حملكم على أن عمدتم[١٤] إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين[١٥] فقرنتم بينهما،

---

(١) للأمان: الأمان، ض.
(٢) نزلت : نزلة، أ.
(٣) الآيات: الآية، أ.
(٤) أنهما: أنها، أ.
(٥) أبي بن كعب: أبي كعب، ض.
(٦) لأن: ـ ، ض.
(٧) واحد: أحد، ض.
(٨) فلم: ولم، ض.
(٩) بالتسمية: التسمية، أ.
(١٠) كانتا تدعيان: وكان تدعى، ض.
(١١) القرينتين: القرنين، ض.
(١٢) قال سعيد: قال ابن سعيد، ض.
(١٣) فقال: هل، ض.
(١٤) عمدتم: عهدتم، ض.
(١٥) المئين: المائين، ض، أ، د.

ولم تكتبوا بينهما سطر: (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ فقال عثمان[١] : كانت الأنفال مما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر ما نزل من القرآن فكانت قصتهما شبيهة بعضها ببعض فظننت أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين أنها منها، فقرنت بينهما ولم أكتب سطر (بسم الله الرحمن الرحيم).

وهذا لا يصحُّ؛ لأن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى أتم الدين، وبَيَّنَ مواضع القرآن وترتيبها، وقرأه هو، وقرئ عليه وقرأ هو على أبي[٢] بن كعب[٣]، وقرأ أبيٌّ عليه، وكان كثيرٌ منا لصحابة يحفظ كل القرآن، فهذا لا يصح ولا يظن أنه كتب في القرآن ما ليس منه، وسكت عن الإنكار جميع الصحابة والمسلمين، وليس لعثمان في ذلك تأثير إلا جمع الناس على المصحف المعهود المتعارف.

ويقال: كيف اتصال السورتين؟

قلنا: فيه وجوه:

منها: اتصال النقيض بالنقيض، لأنه ختم سورة الأنفال بوجوب موالاة المؤمنين وافتتح سورة براءة بالبراءة عن الكافرين.

وقيل: ختم[٤] السورة بإيجاب البراءة من[٥] الكفار، وافتتح هذه[٦] السورة بأنه ـ تعالى ـ ورسوله بريئان منهم كما أمركم بالبراءة منهم[٧].

وقيل: ختم السورة بِأَنَّ أُولِي الأرحام بعضهم أولى ببعض، وافتتح السورة ببيان أن ذلك في المؤمنين، وأن البراءة من[٨] المشركين واجبة، وإن كانت القرابة قائمة.

(١) فقال: إن، ض.
(٢) أبي: ـ ، ض.
(٣) بن كعب: هو علي أبي كَعب، ض.
(٤) ختم: ضم، د.
(٥) من: عن، م.
(٦) هذه: هذا، ض.
(٧) منهم: ـ ، د.
(٨) من: ـ ، ض.

يقال: مَنْ قرأ سورة براءة على المشركين؟

قلنا: لما أنزل الله تعالى: «**براءة من الله ورسوله**» دفعها رسول الله إلى أبي بكر ليقرأها على الناس، وأمره أن يحجب الناس، ومضى أبو بكر، فنزل جبريل وأمره بدفع براءة إلى علي ـ عليه السلام ـ ليقرأها على الناس، فقرأها علي، وحج بالناس أبو بكر، قال أبو بكر: فرجعت وقلت لرسول الله: وهل نزل فيّ شيء؟ قال: «لا، إلا[١] خيرا، لكن[٢] لا يبلغها عني[٣] إلا رجل مني».

قوله تعالى:

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾

اللغة

البراءة: مصدر برئ براءة، وهو انقطاع العصمة، يقال: برئ هو براءة، وأبرأه غيره إبراءً، وهو منه بريء[٤]، وبَرِئْتُ[٥] من المرض بُرَاءً[٦]، بضم الباء، وَبَرأ بَرَاءً[٧]. وهو يجيء من المهموز فعلت أفعل، إلا هذا الحرف.

والعهد: العقد المؤكد باليمين، عهد عهدًا، وعاهدت معاهدة.

والشرك: الجمع بين عبادتين لمعبودين، وأصله الشركة، وقد صار في الشرع: كل كافر مشرك.

والسَّيْحُ: السير على مهل، ساح يسيح سيحًا وسياحة وسيوحًا، وانساح الماء انسياحًا.

---

(١) إلا: ـ ، ض.
(٢) لكن: لكان، ض.
(٣) عني: ـ ، ض.
(٤) بريء: بريئًا، أ.
(٥) وبرئت: برأت، أ.
(٦) بُراء: إبراءً، أ.
(٧) وبرأ براء: برىء إبراءً، أ.

والإعجاز: حقيقة إيجاد اتخاذ العجز، والعجز ضد القدرة، عجزه تعجيزًا، وأعجزه إعجازًا، ثم يستعمل في غير ذلك، وقيل: العجز معنى، عن أبي علي. وقيل: ليس بمعنى، عن أبي هاشم.

والإخزاء[1]: الإذلال مما فيه الفضيحة، والعار: خزي بعد خزي، يخزى خزيًا، وأخزاه إخزاءً.

الإعراب

في رفع «**براءة**» قولان:

الأول: خبر ابتداء محذوف، تقديره: هذه براءة.

الثاني: أنه مبتدأ، والخبر الظرف في الباء، تقديره: براءة إليهم، والأول أحسن؛ لأنه يدل على حضور المدرك كما يقول لما يراه حاضرًا: حسنٌ[2] والله، أي هذا حسن.

«**الله**» نصب بـ (أن) و(**مخزي**) خبره.

النزول

قيل: نزلت في أحياء من العرب خزاعة مدلج وبني خزيمة، كان النبي ﷺ عاهدهم بالمدينة سنتين، فجعل الله ـ تعالى ـ أجلهم أربعة أشهر، ولم يعاهد أحدًا بعد الآية عن مقاتل.

وقيل: نزلت في المشركين مَنْ كان له عهد[3] ومن[4] لم يكن، وأجلهم أربعة أشهر حتى ينظروا في أمرهم إما أن يسلموا أو يؤذنوا بحرب من الله ورسوله، وأباح

(١) والإخزاء: والإجزاء، د.
(٢) حسن: أحسن، ض، د، أ.
(٣) عهد: عهدًا، د.
(٤) ومن: ـ ، أ، د.

دماءهم بعد المدة، عن الحسن، قال: وكان في الابتداء كافًا عن أهل العهد والأمان[١]: إلا من قاتله.

وقيل: نزلت في أهل مكة عاهدوه عام الحديبية على وضع الحرب عشر سنين، ودخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ وبنو بكر في عهد قريش، وكان له عهد مع قبائل العرب، فعدت بنو بكر على بني خزاعة وأعانتهم قريش حتى تظاهروا عليهم، فنقضوا العهد، فخرج عمرو[٢] بن سالم الخزاعي إلى المدينة حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، وأنشده أبياتًا[٣] أولها:

يـا ربِّ إنـي نـاشـدٌ مـحـمـدا	حـلـفَ أبـيـنـا وأبـيـه الأَتْـلَـدَا[٤]
أبـيضَ مثلَ الشمس ينمو صعدا	في فَـيْـلَـقٍ كـالـبحرِ يَـجْـري مُـزْبـدا
إن قـريـشًـا أخـلـفـوكَ الـموعـدَا	ونـقـضُـوا مـيـثـاقَـك الـمـؤكَّـدا
وقَـتَّـلـونـا رُكَّـعًـا وسُـجـدًا	وهـم أذلُّ وأقـلُّ عَـدَدَا

فقال ﷺ: «لا نصرت إن لم أنصرك»، وتجهز لحرب مكة وهو في سنة ثمان من الهجرة عن مجاهد، وابن إسحاق.

وقيل: لما خرج إلى تبوك وتخلف المنافقون وأرجفوا[٥] الأراجيف نقض[٦] المشركون العهد وأمره الله - تعالى - بإلقاء العهد إليهم ليأذنوا بالحرب.

۞ المعنى

«**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» قيل: براءة [واصلة] من

---

(١) والأمان: ولا يقال، أ.
(٢) عمرو: عمر، ض.
(٣) وردت القصيدة بعدة روايات في كتب السيرة.
(٤) الأتلدا: الأوكدا، ض.
(٥) أرجفوا: أرجف، أ.
(٦) نقض: جعل، أ.

الله ورسوله[١]، المعنى: انقطاع عصمته، ورفع الأمان، وخروج من عهد[٢] المشركين، ابتدوا بالنقض، و«**عَاهَدْتُمْ**» خطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين معه، لأنه عقد، وَهُمْ رضوا به، فلزمهم كأنهم عاهدوا وعاقدوا.

ومتى قيل: كيف يجوز أن ينقض النبي ﷺ العهد؟

قلنا: قيل: لا يجوز أن ينقض العهد إلا على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون مشروطًا بشرط أن يبقى إلا أن يرفعه الله ـ تعالى ـ بوحي.

وثانيها: أن تظهر منهم خيانة ونقض، فنبذ إليهم العهد.

وثالثها[٣]: أن يكون مؤجلاً فتنقضي[٤] المدة، وينقضي[٥] العهد.

وروي أن النبي ﷺ شرط عليهم الشرط الأول، وروي عنه نقض العهد بما ذكرنا من قبل.

وقيل: يجوز مطلقًا.

«**فَسِيحُوا**» رجع من الخطاب إلى الخبر أي: قل لهم: سيحوا؛ أي: سيروا «**فِي الأَرْضِ**» مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من المؤمنين بحرب، لا[٦] قتل ولا أسر وليس بأَمْرٍ وإنما هو ترك التعرض وقصر التأجيل[٧] كأنه قيل: اعملوا ما شئتم هذه المدة عالمين أن الله لا يعجزه شيء، وقيل: هو إباحة وأمان، الأربعة الأشهر، قيل لعلي ـ عليه السلام ـ: ما الذي بعثت به؟ قال: بعثت[٨] بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم ومشرك بعد عامهم هذا،

---

(١) الله ورسوله: -، د.
(٢) عهد: عهود، د.
(٣) وثالثها: الثالث، د.
(٤) فتنقضي: فتقتضي، ض.
(٥) وينقضي: فيقتضي، ض.
(٦) لا: وإلا، ض.
(٧) التأجيل: التعجيل، ض.
(٨) بعثت: بعث، ض.

ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهدته[1] إلى مدته، وإن لم يكن عهد فعهده أربعة أشهر. وهذا مخالف ما روينا من نبذ العهد، وسنذكر الاختلاف فيه من بعده.

واختلفوا في هذه أربعة الأشهر[2] :

قيل: كان ابتداؤه يوم النحر للعشر من ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول؛ لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت، ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة، وفيها حجة الوداع في ذلك الوقت، وكان سبب الشيء الذي كان في الجاهلية، عن ابن عباس، وإسحاق، وأبي علي وغيرهما[3]، والنسيء هو التأخير الذي يفعلونه في الحج، على ما نبينه من بعد.

وقيل: يوم النحر من ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر، عن الأصم. وكذلك قال سفيان، وذكر أنه ليس هو الأشهر.

وقيل: إنما الأشهر الحرم وهو: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، عن ابن عباس، والزهري، وأبي مسلم. قال: والآية نزلت في شوال، ودلوا عليه بقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥] قالوا: وهذا فيمن له عهد ومن لا عهد له أجله انسلاخ الأشهر الحرام وذلك خمسون يومًا.

وقيل: كان منهم من عهده[4] أكثر من أربعة أشهر فحط إليها، ومنهم من كان أقل، فرفع إليها عن الحسن، وابن إسحاق.

وقيل: كانت الأربعة لمن عهده دون أربعة أشهر، عن الكلبي.

وقيل: كان كذلك في العهود إلا في حي من كنانة بقي من عهدهم تسعة أشهر فبقاه، وذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ .

وقيل: نقض كل عهد كان أكثر من أربعة أشهر ورده إلى أربعة أشهر، عن ابن زيد.

---

(١) فعهدته: بعهدته، ض؛ بمدة، د.
(٢) أربعة الأشهر: الأربعة أشهر؛ ض، د، أ.
(٣) وغيرهما: وغيرها، ض.
(٤) عهده: عهد، ض.

ومتى قيل: لمن كان هذه المنة؟

قلنا: فيه أقوال على ما ذكرنا:

أولها: لمن له عهد، ومن لا عهد له.

وثانيها: لمن له[1] عهد قَلَّ أو كثر.

وثالثها: لمن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر.

ورابعها: لمن كان عهده أقل، فأما إذا كان أكثر بقاه عليه.

ومتى قيل: فما فائدة ضرب الأجل؟

فجوابنا: لينتشر أن العهد مبنوذ، فلا يثبت المسلمون عند الحرب إلى نكث، وقيل: ليزدجروا[2] ويؤمنوا، وقيل: أراد الله ـ تعالى ـ أن يعم جميع الكفار بالجهاد، فعم المشركين بالبراءة، وأجلهم أربعة أشهر، وذلك لقوة الإسلام وتخويف الكفار، فلا يصح ذلك إلا بنقض العهود، وقيل: لما أراد النبي ﷺ أن يحج من قابلٍ أمر بتقدم النداء في البراءة لئلا يشاهد العراة ليلاً، وكان وعده بإجلاء[3] الكفار عن الحرم.

«**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ**» قيل: اعلموا أن هذا الإمهال ليس بعجز لكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب، وقيل: تقديره: فسيحوا عالمين أنكم لا تعجزون الله في حال، تخويفًا لهم، وقيل: اعلموا أن هذا الإمهال لأنه لا يخاف الفوت. واختلفوا في معنى (معجزين)، قيل: من الكفر، فالله ـ تعالى ـ يُمَكِّن منه نبيه، وقيل: أراد به لا يفوت منه مراده فيهم، وقيل: هو تحقيق وتحذير من الإصرار على الشرك «**وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**» قيل: من لم يؤمن في هذه المدة فيخزيه الله ويذله في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار، وقيل: من لم يؤمن يخزه[4] الله بعقابه.

---

(١) له: لها، أ.

(٢) ليزدجروا: ليزتادوا، أ.

(٣) بإجلاء: بأجل، ض.

(٤) يخزه: يخز، ض.

۞ القصة

قيل: كان الذي قرأ براءة بمكة عليا[١]، وصاحب الموسم أبا[٢] بكر، وكان دفعها إليه، ثم أتبعه عليًا[٣] منه على ما ذكرنا عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، وأبي علي.

وقيل: نزلت في سنة ثمان وولي الحج عتاب بن أسيد.

وقيل: أراد رسول الله ﷺ أن يحج، ثم قال: «يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا يجب أن أحج»، فبعث أبا بكر على الموسم أميرًا ليقيم الناس الحج ودفع إليه شطرًا من براءة ليقرأها عليهم عن الأصم وغيره، قال الأصم: لما ولي أبو[٤] بكر دعاه وأخذ منه براءة ودفعها إلى علي إزاحة لعلة العرب أن العهد ونقضه لا يلي إلا من هو منه.

وقيل: لما سار أبو بكر دعا عليًا وبعثه خلفه، فخرج علي علينا قته العضباء، فأدرك أبا بكر بذي الحليفة، فأخذها منه، فرجعه وقال: يا رسول الله، هل نزل[٥] فيّ شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر أميرًا على الحج وعلي المؤدي براءة»، فقدما مكة فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر، وحث الناس على مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب في تلك السنة على منازلهم في الجاهلية في أمر الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي فأذن في الناس بالذي أمره النبي ﷺ، وقرأ عليهم سورة براءة، وقيل: قرأها يوم عرفة، وكان علي ينادي بأربعة: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله فعهده إلى مدته، ولا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد عامنا مشرك.

وروي أنه لما أمره أن ينادي أن ذمة الله وذمة رسوله بريئتان[٦] من كل مشرك

---

(١) عليا: علي، ض.
(٢) أبا: أبي، أ.
(٣) علياً: علي؛ أ، ض، د.
(٤) أبو: أبي، أ.
(٥) نزل: نزلت، أ.
(٦) بريئتان: بريء، أ.

قالت قريش: نحن براء من عهدك وعهد ابن عمك، فلما كان في سنة عشر، حج النبي ﷺ حجة الوداع وعَلَّم المناسك ورجع إلى المدينة وتوفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة.

۞ الأحكام

تدل الآية على عهد تقدم من المشركين، وأنه ـ تعالى ـ قطع ذلك العهد وأمهلهم أربعة أشهر.

وتدل على أن[١] الكفر لا يمنع العهد[٢] والإمهال إذا كان الصلاح فيه وإن كانوا[٣] على إهلاكهم قادرين.

وتدل على جواز نقض العهد إذا اطلع على خيانة ولخوف مكيدة منهم.

وتدل الآيات المتأخرة أنهم نقضوا العهد من وجوه حتى نبذ إليهم رسول الله ﷺ عهدهم[٤]: منها[٥]: استثناء جماعة لم ينقضوا، ومنها: قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية[٦]، ومنها: قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾، ومنها قوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ يخزي أعداءه في الدنيا والآخرة.

وتدل على معجزة الرسول؛ لأنه وجد خزي الكفار وإظهار المسلمين كما أخبر به.

فأما نقض العهد، فقيل: لا يجوز إلا عند ثلاث شرائط على ما تقدم عن أبي علي والقاضي. وقيل: يجوز عامًا إذا رأى المصلحة في ذلك وهو قول أبي حنيفة

(١) أن: ـ، أ، ض.
(٢) العهد: الكفر؛ أ، د، ض.
(٣) كانوا: كان، ض.
(٤) عهدهم: وعهدهم، ض.
(٥) منها: منا، ض.
(٦) الآية: إلا أنه، ض.

وأصحابه، وإنكان العهد على مال فلا بأس بنقضه إلا أنه يرد عليهم[1] خاصة[2] ما بقي من المدة، ويجوز للإمام أن يوادع الكفار[3] أكثر من عشر سنين، وقال الشافعي: لا يجوز أكثر من عشر سنين.

ومتى قيل: هل يجوز أن يُغِيرُوا عليهم؟

قلنا: إن كان نقض العهد منهم فيجوز من غير إعلام، وإن كان نقض العهد من جهة الإمام فلا يجوز إلا بعد أن يعلمهم ذلك، فأما إذا عاهدهم على مال على أن أحكامنا تجري عليهم فلا يجوز نبذ العهد إليهم؛ لأنهم صاروا ذمة، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه.

قوله تعالى:

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

القراءة

قرأ العامة «**أن الله**» بفتح الألف للأذان[4]، وعن عيسى بن عمر بالكسر على الابتداء.

قرأ يعقوب وابن إسحاق وعيسى بن عمر «**وَرَسُولَهُ**» بالنصب، وهو قراءة الحسن، عطف على اسم (الله)، وروي عن الحسن بكسر اللام على القسم، وعامة القراء قرؤوا برفع اللام، قيل: على الابتداء وخبره مضمر، وتقديره: ورسوله أيضًا بريء منهم، وقيل: تقديره: هو ورسوله.

---

(١) عليهم: عليه، د.

(٢) خاصة: حصته، د.

(٣) الكفار: الكفر، أ، د، ض.

(٤) للأذان: الأذان، أ.

قرأ العامة «**ثم لم ينقصوكم**» بالصاد غير معجمة، من النقصان.

وقال عطاء بن يسار: «**ينقضوكم**» بالضاد معجمة من نقض العهد.

اللغة

الأذان: أصله الإعلام، ومنه: أذان الصلاة؛ لأنه إعلام للناس بالصلاة، وقيل: أصله النداء الذي يسمع بالأُذُن، كأنه أوقعه في أذنه، وهما متقاربان، يقال: ائذن لي بكذا، وأذنت، أي[1] أعلمني فعلمت، وأذن بإذن أعلم، كما يقول: أيقن بيقين.

والحج في اللغة: أصله القصد، وكل قصد حج، قال:

يَحُجُّون سِبَّ الزِّبِرقان الُمزَعْفَرَ[2]

السِبُّ: الثوب الطويل القصير، ثم صار في الشرع اسمًا لمن قصد بيت الله الحرام للنسك، والحجيج: الحاج، والحُجَّةُ منه ؛لأنها تقصد، والَمحَجَّة: جادة الطريق؛ لأنها تقصد بالسلوك.

والنقصان: حط عن عدة نقيض الزيادة، وهي[3] إلحاق عدة بعدة، يقال: نقص ونقصه، وهو النقص والنقصان.

والمظاهرة: المعاونة على الغير للظهور عليه، والظهير: المُعِينُ، قيل: أصله من الظهور وهو الغلبة، وقيل: من الظهر.

والإتمام: بلوغ الحد في العدة من غير زيادة ولا نقصان، تم الشيء يتم تماما: كمل، وأتممته أنا إتمامًا: أكملته، وشيء تام وتمام وتَمٌّ، وقد يكون الإتمام القيام في الأمر، ومنه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾ [البقرة:١٩٦].

والزمان والمدة والحين نظائر، وأصله من مددت الشيء مدًا فكأنه زمان طويل للفسحة، والمدة اسم للمعدود من حركات الفلك عند مشايخنا وهو محدث، وذكر

---

(١) أي: أو، أ.

(٢) للمخبل السعدي، وأوله:

وأَشْـهَـدُ مِـنْ عَـوْفٍ حُـلُـولاً كَـثِـيـرَةً..

انظر في أساس البلاغة (حجج)، وتهذيب اللغة (حجج).

(٣) نقيض الزيادة وهي: نقص الزياد وهو، أ.

ابن زكريا الرازي أن المدة شيء سوى العالم، وفيه من الأجسام والأعراض، وهو قديم، وقد نقض عليه كتابه شيخانا[1] أبو القاسم، وأبو عبد الله.

۞ الإعراب

في رفع «**وأذان**» قولان:

قيل: إنه عطف على «**براءة**»، وتقديره: براءة من الله، وأذان منه، عن الفراء، والزجاج.

وقيل: إنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: عليكم أذان؛ لأن فيه معنى الأمر.

و(**بَشِّرْ**) عطف على الأذان؛ أي: أَذِّنْ وَبشِّرْ عن أبي مسلم.

ويقال: لم قال: «**بريء**» ولم يقل: (بريئان)، وقد ذكر اسم الله واسم رسوله؟

قلنا: لأنه أراد أن الله بريء، والبراءة من جهة الرسول محذوف، دل الكلام عليه.

وقيل: أراد كل واحد منهما بريء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال الشاعر:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينة رَحْلُهُ ... فَإِنِّي وَقَيَّار بِهَا لَغَرِيبُ[2]

أي: كل واحد غريب.

۞ النزول

قيل: الآية[3] الأولى نزلت في نبذ العهد إلى المشركين وتأجيلهم أربعة أشهر، والاستثناء نزل[4] في حي من كنانة، وكان بقي من مدتهم تسعة أشهر فأمر بإتمامها لهم.

---

(١) شيخانا: شيخينا، أ.

(٢) تهذيب اللغة (قار)، والمحكم (قير)، وتاج العروس (قير)، واللسان (قير)، والقائل: ضابىء البرجمي.

(٣) الآية: إلا أنه، ض.

(٤) نزل: نزلت، أ.

المعنى

لما تقدم ذكر البراءة من المشركين بين ـ تعالى ـ أن الواجب إعلامهم بذلك؛ لئلا يبيتوا المسلمين إلى الغدر، فقال سبحانه: «**وَأَذَانٌ**» أي: إعلام وهذا صورته[1] صورة الخبر والمراد به الأمر؛ أي: أَعْلِمُوا الناس، وكثيرا ما يَرِدُ الأمر بلفظ المصدر مرفوعًا كقوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، وكقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وكقوله: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة:٨٩]، فأما الإعلام بالبراءة «**مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ**» قيل: إلى المشركين بأن الله ـ تعالى ـ بريء منهم، وقيل: إلى المؤمنين يعني أعلمهم بالبراءة؛ ليستعدوا للقتال.

«**يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ**» فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قيل: يوم عرفة، فيما روي عن النبي ﷺ، وعن عمر، وعلي، وابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وابن الزبير، وابن الحنفية، وطاؤوس، وروي عن النبي ﷺ أنه خطب يوم عرفة، فقال: «هذا هو يوم الحج الأكبر»[2]، وعن النبي ﷺ: «الحج عرفة، فمن وقف بعرفة فقد تم حجه»[3]، وسئل علي عن ذلك قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ليقيم للناس بالحج وبعثني معه بأمر براءة يوم[4] عرفة فخطب الناس يوم عرفة، ثم التفت إليّ وقال: قم يا علي فأدّ رسالة رسول الله ﷺ، فقمت، وقرأت عليهم أربعين آية من براءة، ثم صدرنا إلى منى وعلمت أن الناس كلهم لم يحضروا الخطبة وكنت أتبع الفساطيط أقرؤها عليهم، ألا وهو يوم عرفة، وهو قول ابن الزبير.

والثاني: أنه يوم النحر عن علي، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن أبي أوفى، وإبراهيم، ومجاهد، وعبد الله بن شداد، وقيس بن عباد، والشعبي،

---

(١) صورته: صوره، أ.

(٢) البخاري رقم ١٦٥٥، والترمذي رقم ٢١٥٩.

(٣) الترمذي رقم ٨٨٩، والنسائي رقم ٣٠١٦، وابن ماجه رقم ٣٠١٥.

(٤) يوم: حتى، أ.

والسدي، وابن زيد. وعن المغيرة بن شعبة أنه يوم النحر، وعن أبي هريرة أن عليا نادى يوم النحر: «لا يطوفن ولا يحجن بعد العام مشرك».

الثالث: وقيل: أيام الحج كلها، عن مجاهد، وسفيان، كما يقال: يوم صفين، ويوم الجمل، ويوم بغاث، ويراد به الحين والزمان، قال ابن سيرين: المراد به وقت الحج وهو العام الذي حج فيه رسول الله ﷺ اتفق فيه حج الملك[1].

واختلفوا لِمَ سمي الحج الأكبر؟ قيل: لأن عرفة وقت الوقوف، وهو الحج، من أدركه فقد أدرك الحج، ومن فاته فقد فات الحج، وقد قال ﷺ: «الحج عرفة».

وقيل: هو يوم النحر؛ لأنه تراق فيه الدماء، وتؤدى أعظم الأفعال فيه، ووقع الإحلال والفراغ من الحج.

وقيل: اجتمع فيه حجة المسلمين، وعيد اليهود والنصارى والمشركين، ولم يجتمع قبله ولا بعده عن الحسن، وابن سيرين. قال الأصم: وليس بشيء؛ لأن عند[2] الكفار فيه[3] سخط، وقيل: لأن المسلمين والمشركين حجوا في تلك السنة.

واختلفوا، ثم قيل: الحج الأكبر، قيل: الأكبر الوقوف بعرفة، والأصغر النحر عن[4] عطاء، ومجاهد، وبشر بن غياث، والزهري، والشعبي، والأصم.

وقيل: الحج الأكبر القران، والأصغر الإفراد عن مجاهد.

«**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» قيل: البراءة الأولى النقض للعهد، والثانية لقطع الموالاة والإحسان فليس بتكرار، وقال: الأولى براءة إلى المشركين، والثانية تعريف المسلمين ببراءته عن المشركين لِيُزِيلُوا طريقة المهادنة والعهد ويستعدوا للقتال، وقيل: الأولى براءة مع إمهال، بريء منهم «**وَرَسُولُهُ**» يعني ورسوله بريء منهم «**فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» يعني أمهلكم أربعة أشهر فإن تبتم في هذه المدة فهو خير لكم تنجون من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وقيل: هي مطلقة، من تاب من كفره[5] فهو خير له «**وَإِنْ**

(١) ورد في تفسير الطبري ٦/ ٣١٧، القرطبي ٨/ ٤٦: وحجت معه فيه الأمم.

(٢) لأن عند: لا عهد، ض.

(٣) فيه: ـ، أ، ض.

(٤) عن: وعن، ض.

(٥) تاب من كفره: إن عن كفر له، ض.

تَوَلَّيْتُمْ» أعرضتم عن الإيمان وأصررتم على الكفر «**فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ**» أي: هو قادر عليكم ولا يفوته، وقيل: اعلموا أن الإمهال ليس هو العجز وإنما هو لإظهار الحجة والمصلحة «**وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا**» أي: أخبرهم بالعذاب مكان البشارة «**بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» وجيع، وهو عذاب النار، ثم استثنى قومًا فقال سبحانه: «**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» قيل: استثناء وقع من براءة من الله ورسوله في العهد الذي كان بينهم عن الزجاج، وقيل: الاستثناء في قوله: «**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**»» **الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ**» ثم نقلت إلى ههنا بأمر الله عن الحسن، وروى الحسن أن هذه الآية نزلت قبل براءة، وأن براءة نسخته وليس بالوجه؛ لأنه خلاف الظاهر، وإجماع المفسرين على خلافه «**مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» قيل: هو عام، وقيل: هو حي من كنانة، وقيل: هم الذين عاهدوا عام الحديبية عن الأصم. «**ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا**» قيل: لم ينقضوكم من شروط العهد شيئًا، وقيل: لم ينقضوا من مدة العهد بالخيانة «**وَلَمْ يُظَاهِرُوا**» يعاونوا «**عَلَيْكُمْ**» أيها المؤمنون «**أَحَدًا**» من عدوكم بالنفس والمال «**فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ**» أَجَلِهِمْ الذي وقعت المعاهدة عليه «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**» قيل: تقديره: اتقوا الله في نقض عهوده إن الله يحب المتقين لمعاصيه، وقيل: اتقوا الله لمعاصيه، فإنه يحب من يتقي معاصيه.

۞ الأحكام

تدل الآية على إعلام الناس براءته ـ تعالى ـ من المشركين وبراءة رسوله ليستعدوا للحرب[1] ويصير المسلم في العلم مع المشرك سواء ليستعدوا للحرب.

وتدل على أنه[2] ما لا ينقض العهد لا يجوز نقض العهد، ويجب الإتمام، وهو قول شيخنا أبي علي، وعند أبي حنيفة وأصحابه يجوز نبذ العهد من غير خيانة إذا رأى المصلحة في ذلك.

وتدل على أن مظاهرة من هو في عهد المسلمين يقتضي نقض العهد ولولا ذلك لم يجعل زوال ذلك شرطًا في الوفاء بعهدهم.

---

(١) للحرب: الحجرات، ض.

(٢) أنه: أن، أ.

وتدل على أنه لا فرق بين المظاهرة سرًا أو جهرًا وبالقول والمحاربة والإعانة بالمال؛ لأن جميع ذلك مظاهرة على المسلمين.

وتدل على أن التوبة مقبولة من كل كافر.

وتدل على أن المظاهرة والتولي والتوبة فعل العبد، وكذلك التقوى، وذلك يبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

اللغة

الانسلاخ: إخراج الشيء عما لا يشبهه[(١)]، وكذلك سلخ الشاة نزع جلدها[(٢)]، وسَلَخْنَا شهر كذا نَسْلَخُهُ سلخًا وسلوخًا: خرجنا منه، وشاة مسلوخة، وحية سالخة أي خارجة من جلدها.

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله كفى قاتلاً سلخي الشهور وإهلالي[(٣)]

والحصر: المرض والمنع، أحصره المرض وحصره، وحصره العدو، قاله[(٤)] ابن السكيت، وبعضهم قالوا: أحصره المرض وأحصره العدو، والصحيح[(٥)] الأول

---

(١) يشبهه: يشبه، أ.

(٢) جلدها: جلده، أ.

(٣) أساس البلاغة (سلخ)، واللسان (سلخ)، وتاج العروس (سلخ).

(٤) قاله: قال، د.

(٥) العدو والصحيح: والغدو أو الصبح، ض.

وعليه أهل اللغة[١]، قال[٢] أبو عمرو: حصرني وأحصرني: حبسني، والحَصُورُ الذي لا يأتي النساء، والحصر الحبس، والإحصار: أن يحصر الحاج عن بلوغ المناسك لمرض أو غيره، والحَصِرُ: الكتوم للسر كأنه منع إفشاءها، والحَصَرُ: العي، والحَصَرُ: ضيق الصدر، والحُصْرُ: اعتقال البطن، وحصر في كلامه حصرًا إذا امتنع عليه، والحَصْرُ والحبس والأسر نظائر. والمرصد والمَرْبَأ والمَرْقَبُ نظائر، رصده يرصده رَصدًا، وأرصده يرصده إرصادا[٣]، وأرَصَدَه رُصَدًا إذا رقبه، قال عامر بن الطفيل:

إن المَنِيَّة لِلْفَتَى بالمَرْصَدِ

وقال عدي بن زيد:

أَعاذِلَ إنَّ الجَهْلَ مِن لَذَّةِ الفَتى ... وَإِنَّ المَنايا لِلرِجالِ بِمَرصَدِ

والاستجارة: طلب الجور أو المجير، والجار والمستجير بمعنى، وهو أن يستعيذ بغيره لِيُؤَمِّنَهُ، فأجاره أمنه، وأصله الجوار كأنه يصير في جواره.

والإبلاغ والإيصال من النظائر، والإبلاغ: التصيير إلى منتهى الحد، بلغت المكان إذا أشرفت عليه وإن لم تدخله، ومنه: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤] يعني شارفن انقضاء العدة، وبلغ وأبلغ أوصل.

والمأمن: موضع الأمن، وسمي داره مأمنًا؛ لأنه يأمن فيه.

الإعراب

نصب «**كل مرصد**» على تقدير[٤] محذوف، كأنه قيل: على كل مرصد في قول الأخفش، كما قال الشاعر:

(١) وعليه أهل اللغة: ـ، أ، ض.
(٢) قال: قالوا، ض.
(٣) إرصادا: رصدًا، أ.
(٤) تقدير: تقدر، ض.

نُغَالِي اللَّحْمِ لِلأَضْيَافِ نيا[١]   ونَبْذُلُهُ[٢] إِذَا نَضَجِ القُدُورُ[٣]

أي: نغالي باللحم، قال الزجاج: هو ظرف، كقولك: ذهبت مذهبًا، والفرق بينه وبين الطريق أنه مبهم والطريق محدود.» **الَّذِينَ عَاهَدتُّم**»؛ إلا لأن الذي قبله في معنى النفي كأنه قيل: ليس يكون للمشركين إلا الذين عاهدتم، وموضع «**الذين**» يحتمل الجر والنصب.

۞ المعنى

ثم بين ـ تعالى ـ الحكم في الكفار بعد انقضاء مدة المهل على ثلاثة أوجه: القتل والأسر إن أصروا، والتخلية إن أسلموا، والأمان[٤] إن طلبوا[٥] البر بأيها، فقال سبحانه: «**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ**» انقضى وخرج الأشهر[٦] الحرم، قيل: أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب عن جماعة من المفسرين، وهو قول أبي علي، وقيل: هي شهور العهد، وسميت حرمًا؛ لأنه ـ تعالى ـ حرمها؛ لأنه ـ تعالى ـ حرم فيها القتال ودماء المشركين عن مجاهد، وابن إسحاق، وابن زيد. ثم اختلفوا، فقيل: من عشر من ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر عن الحسن، قال: وتسمى حرمًا لأن ابتداءه في أشهر الحرم، وقيل: من عشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول، وكانوا حجوا في تلك السنة في ذي القعدة للنسيء، وقيل: أراد انسلاخ المحرم، والمراد بالآية من لا عهد له، فأباح قتله بعد الحُرُم[٧] عن الأصم. «**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**» فأطلق قتلهم وقتالهم من كل وجه، «**حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**» قيل: في الحل والحرم عن الأصم «**وَخُذُوهُمْ**» يعني أسرى

(١) نيا: حبا، أ.
(٢) ونبذله: ونبطحه، ونرخصه، أ.
(٣) القدور: الطبيخ، أ.
(٤) والأمان: الإتمام، ض؛ الأيمان، أ.
(٥) طلبوا: أطلبوا، ض.
(٦) الأشهر: الشهر، أ.
(٧) الحرم: المحرم، أ.

«**وَاحْصُرُوهُمْ**» أي: امنعوهم من دخول مكة والتصرف في دار الإسلام «**وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**» أي: على كل طريق ومرقب لتقتلوهم وتأسروهم، وقيل: أراد به التغليظ على من نكث عهده عن الأصم. «**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**» قيل: أراد الإقرار بهما، وقيل: أراد به التغليظ عن الأصم. وقيل: لما ذكر مع التخلية الغفران ذكر مع التوبة الشرائع ونبه بالصلاة والزكاة على ما سواهما، وقيل: أراد أنه مع التوبة ويظهر الإسلام بفعل أركانها، وقيل: من لم يصلِّ ولم يؤد الزكاة يقاتل، وروي ذلك عن أبي بكر؛ لأن للإمام حقًا في الأخذ فإذا منعه حقه كان له المطالبة، ولهذا قال: (لو منعوني عناقًا أو عقالاً لقاتلتهم عليه)، وتأول هذه الآية، وروي أن عليًا ـ كرم الله وجهه ـ احتج بالآية في قتال أهل البغي، وقيل: إن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة؛ لأنهم أنكروه فارتدوا فقتلهم واستباح مالهم، وهذا هو الوجه؛ لأن من أقر ولم يُؤَدِّ[1] إن جاز قتله فلا يجوز استباحة ماله ولا سبيه[2] «**فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**» قيل: دعوهم يحجوا معكم، وقيل: دعوهم يتصرفوا[3] في ديار الإسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وقيل: خلوا سبيل من أمرتم بتخلية سبيله.

والناس ثلاثة: مسلم، وذمي، وصاحب أمان، يخلى سبيلهم جميعًا عن قتادة.

«**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**» ممن أمرت بقتاله أي: استأمنك بعد الأشهر فأمنه «**حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**» قيل: تقديره: استجارك أحد ليسمع كلام الله فأمنه ليسمع ويعلم دلائل التوحيد، وتقوم عليه الحجة، وقيل: أراد سماع جميع القرآن، وقيل: أراد سماع سورة براءة؛ لأن فيها البراءة من المشركين والأمر بقتالهم ونبذ العهد إليهم، وقيل: أراد جميع الدلائل، وإنما خص القرآن؛ لأن معظم الأدلة فيه، وقيل: إنما يجب الإمهال ما لم يعلم أنه يطلب الخداع والمكر «**ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**» قيل: تقديره: فإن آمن نال خير الدارين وهو منكم، وإن أبى فأوصله ديار قومه الذين يأمنون فيها على أنفسهم ومالهم ثم بعد ذلك يجوز قتالهم وقتلهم «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**»

---

(١) يؤد: يؤدوا، د.
(٢) سبيه: السبي، د.
(٣) يتصرفوا: يتصرفون، أ.

قيل: حتى يسمع كلام الله ويعلم أنهم لا يعلمون ما يؤول إليه عاقبة أمرهم، وقيل: لا يعلمون ما حق الله عليهم عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب قتل المشرك حيث وُجِدَ، واختلفوا، فقيل: نسخت هذه الآية كل[1] آية في القرآن من ذكر الإعراض والصبر على الأذى، وقيل: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا﴾ [محمد:٤] عن قتادة ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد:٤] عن الضحاك، وقيل: هي ناسخة لقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا﴾ عن قتادة، والصحيح أنه لا نسخ فيها؛ لأنه يصح الجمع بينهما، فإذا لم يكن بينهما تنافٍ[2] لم تصح دعوى النسخ؛ لأن الأمر داخل في قوله: «**وَخُذُوهُمْ**» ولو كان القتال حتمًا لم يكن للأخذ[3] معنى عطفًا على القتال، والإعراض يجوز أن يكون المراد به إعراض إنكار، فأما المن والفداء فلا يجوز عند أبي حنيفة، ويجوز عند غيره، ولا شك أن براءة نزلت بعد سورة محمد ﷺ.

وتدل على جواز قتلهم سرًا وعلانية؛ لأن هذا هو المراد بقوله: «**واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**».

وتدل على وجوب التخلية عند إظهار الإسلام، وقد بينا ضم الصلاة والزكاة إلى إظهار الشهادتين.

وتدل على جواز الأمان، ولا خلاف[4] فيه، قال الحسن: الآية محكمة إلى يوم القيامة، وسأل رجل عليًا ـ كرم الله وجهه ـ عمن جاء بعد المدة محمدًا ليسمع كلام الله، أيقتل؟ قال: لا، وقرأ: «**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ**».

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ إذ لو كانت ضرورية لاستغنى عن سماع كلام الله والحجج، ولما صح قوله: «**لا يعلمون**».

---

(١) كل: على، أ.
(٢) تناف: تنافي، أ.
(٣) للأخذ: الأخذ، ض.
(٤) خلاف: والأخلاف، ض.

وتدل على أن المشرك[1] يجوز أن يدخل المسجد لسماع كلام الله.

وتدل على أن الكافر إذا طلب من الإمام استماع الحجة لا يجوز قتله.

وتدل على أن المتلو كلام الله والمسموع كذلك، وهذا ظاهر على مذهب شيخينا أبي علي وأبي هاشم، أما عند أبي علي فعين كلامه ـ تعالى ـ يسمع من الثاني على مذهبه في الحكاية والمحكي، وأما عند أبي هاشم فالشرع والعرف جعل الحكاية كعين المحكي، يقال: هذا كلام أبي حنيفة، وشعر امرئ القيس، وكلام قس، ولكن يبطل مذهب الكلابية أن كلامه ـ تعالى ـ لا يسمع؛ لأنه نص على سماع كلامه، وإنما تسمع الحروف المنظومة.

وتدل أن كلامه محدث.

وتدل على أن التوبة والصلاة وأداء الزكاة فعل العبد، وكذلك الاستجارة، فيبطل قول المجبرة في المخلوق. ومن وجه آخر أنه ـ تعالى ـ أوجب قبول الأمان ليسمع كلام الله، فيؤمن، ولو كان الإيمان خلقه لما اختلفت بسماع الحجة، ولما كان للإمهال[2] فائدة.

قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

القراءة

قرأ العامة «إلا» بالتشديد بغير ياء، وعن عكرمة «إيلا» بالياء والتخفيف على أنه اسم الله تعالى، نحو ما ذكرنا في جبريل وميكايل.

---

(١) المشرك: المشركين، ض.

(٢) للإمهال: الإمهال، ض.

اللغة

المسجد: موضع السجود كما أن المجلس موضع الجلوس، ثم صار في الشرع اسمًا للموضع المهيأ لصلاة[1] الجماعة.

الحرام: المحظور بعض أحواله، ثم تختلف أحواله، فالأُمُّ حرام؛ لأن نكاحها محظور، والخمر حرام؛ لأن شربها محظور.

والاستقامة: الاستمرار على الطريقة المستقيمة، وأصله من القيام.

والظهور: العلو بالغلبة، وأصله الظهور لخروج الشيء إلى حيث يصح إدراكه، ظهر[2] يظهر ظهورًا، والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر.

والرقيب: الحافظ والمنتظر، رقبت أرقب رقبة ورقبانًا إذا انتظرت، والمَرْقَب: المكان العالي يقف عليه الرقيب، والمراقبة: أن يرقب كل واحد منهما موت صاحبه، ومنه: الرقبى.

والإِلُّ: العهد، وأصله من الأليل[3] وهو البريق[4]، أَلَّ يؤُلُّ[5] إذا لمع، ومنه: الآلة الحَرْبَةُ للمعانها، والأَلُّ الضرب بالآلة، وأُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ[6] تشبه بالحربة في تحديدها، قال الزجاج: أصله التحديد، ثم يستعمل في معان أخر، والأَلُّ[7] بفتح الهمزة الصياح[8]، والإِلُّ[9] بكسرها: الله[10] تعالى، والآل القرابة.

الإعراب

«**كيف**» استفهام والمراد الإنكار؛ أي: لا[11] يكون لهم عهد، ولا بد فيه من

---

(١) لصلاة: للصلاة، أ.
(٢) ظهر: أظهر، أ.
(٣) الأليل: الأيل، ض.
(٤) البريق: الريق، ض.
(٥) يؤل: يأول، أ.
(٦) مؤللة: موالة، أ.
(٧) والأل: والأول، ض.
(٨) الصياح: الحور، ض الحوار، أ.
(٩) والإل: والاول، ض.
(١٠) الله: إليه، ض.
(١١) لا: ـ، ض.

حذف النفي[١]، أي: لا يكون لهم عهد، وإن ظهروا عليكم لا[٢] يرقبون فيكم عهدًا.

النزول

قيل: قوله: «**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» نزل في قوم بني بكر من[٣] كنانة، عن محمد بن إسحاق، والسدي، والكلبي.

وقيل: هم بنو خزيمة، وبنو مدلج، وبنو الديل، دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية، فلما نقضت قريش وبنو الديل، أمر بإتمام العهد لمن لم ينقض من بني بكر، وهذا أصوب الأقوال؛ لأن الآية نزلت عند فتح مكة، ونقض قريش العهد.

وقيل: لما نزلت الآية في قريش وأهل مكة عاهدوا يوم الحديبية، فأمر بأن يستقيم ما استقاموا، فلم يستقيموا ونقضوا، فأعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم المدة عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وأبي علي.

وقيل: نزلت في خزاعة، عن مجاهد، وكانوا في عهد النبي ﷺ ولم ينقضوا نبذ العهود[٤]، فأمر بإتمام مدتهم.

المعنى

لما أمر ـ تعالى ـ بنبذ العهد إلى المشركين بيّن العلة وهي ما ظهر[٥] منهم من الغدر، وأمر بإتمام العهد لمن استقام، فقال سبحانه: «**كَيْفَ يَكُونُ**» أي: لا يكون، وقيل: هو تعجيب من حال المشركين «**لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ**» مع ما ظهر من غدرهم ونكثهم «**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» قيل: قريش، وقيل: قبائل بكر، وقيل: خزاعة، وأراد بالمسجد الحرام مسجد مكة «**فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ**» أي: ما داموا باقين معكم على العهد والطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**» قيل: يحب من اتقى معاصيه، وقيل: يحب من اتقى

---

(١) النفي: العذاري، ض.
(٢) لا: إلا، د.
(٣) بني بكر من: ابي بكر بن، د، ض.
(٤) العهود: العهد، د.
(٥) ظهر: أظهر، أ.

النكث والغدر، ولا يجوز حمله على من اتقى نقض العهد مع الإقامة على الكفر؛ لأنه[1] ـ تعالى ـ لا يحب مَنْ هذا حاله إلا أن يُحْمَلَ[2] على أنه يحب هذه الخصلة دون غيرها، فيجوز على بُعْدٍ في التأويل «**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**» هذه الآية مردودة على الآية الأولى؛ أي: كيف يكون لهم عهد وهم إن ظهروا عليكم أي: ظفروا وغلبوا، وقيل: تقديره: لِمَ لِمْ تقتلوهم ولا تنبذوا إليهم عهدهم وهم يترصدون الغوائل ولا يحفظون فيكم حق الله ولا حق القرابة؟» **لا يَرْقُبُوا**» قيل: لا يحفظوا، عن ابن[3] عباس، وقيل: لا ينتظروا عن الضحاك، وقيل: لا يراعوا عن قطرب، وأراد أنه إنما امتنعوا عن قتالكم للخوف والضعف لا للعهد، فأخبر عن سواد خَلَّتِهِم وما أضمروا عليه من العداوة «**فِيكُمْ**» أيها المسلمون، «**إِلاًّ**» قيل: عهدًا عن مجاهد، وابن زيد، والسدي. وقيل: قرابة عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: حلفًا عن قتادة. وقيل: يمينًا عن أبي عبيدة. وقيل: إلا لاسم[4] الله ـ تعالى ـ عن مجاهد، وأبي مجلز، وعبيد بن عمير. وروي أن أبا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة فقال: هذا لم يخرج من إلٍّ، قال الأصم: هذا لا يجوز؛ لأنه لا يجوز أن يسمى إلاَّ بما سمى به نفسه «**وَلا ذِمَّةً**» قيل: عهدًا عن مجاهد، وابن زيد، وجماعة المفسرين. ومن حمل الإل على العهد قالوا: جمع[5] بينهما باختلاف اللفظين كقول الشاعر:

يَنْأَ عَنِّي وَيَبْعُدِ[6]

وقال الآخر:

وَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا ومَيْنا[7]

وجمع الذمة: الذمم.

---

(١) لأنه: لا، ض.
(٢) يحمل: يحتمل، أ.
(٣) ابن: ـ، أ، ض.
(٤) إلا لاسم: الأسم، أ.
(٥) جمع: جميعا، أ.
(٦) تمام البيت: فمالى أراني وابن عمي مالكا متى أدنُ منه ينأَ عَنِّي ويَبْعُدِ، وهو لطرفة بن العبد.
(٧) لعدي بن زيد، وأوله: فَقَدَّمْتِ الأديم لِرَاهِشَيْهِ.
انظر: الصحاح (مين)، وجمهرة اللغة (مني)، واللسان (مين).

«**يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ**» أي: يعطونكم بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم فيتكلمون بما فيه رضاكم مثل قول المنافقين «**وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**» قيل: تأبى ما يقولون، قيل: تأبى الإيمان «**وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**» قيل: أي: كافرون؛ لأن الفسق الخروج فكأنه خرج عن الإيمان ودخل الكفر، وقيل: ناكثون للعهد، وخص الأكثر؛ لأن منهم من أسلم وكان دخل في العهد، وقيل: ذكر الأكثر، وأراد الكل عن أبي علي، ونظيره ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١] أي: كل ذنوبكم، وقيل: أكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد، وأراد بذلك رؤساءهم، عن القاضي.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ نفى أن يكون لهم عهد، وإنما نفى من حيث لم يستقيموا وغدروا سرًا وجهرًا، وتدل على أن المعلوم كان من حالهم الغدر.

وتدل على أن الواجب فيمن استقام الوفاء بالعهد، وقد بينا الاختلاف فيه، ومتى يجوز نبذ العهد.

وتدل على أن[1] القوم أضمروا خلاف ما أظهروا.

وتدل على معجزة للنبي[2] ﷺ؛ لأنه أخبرهم عن ضمائرهم، وذلك لا يتأتى إلا بالوحي.

وتدل على أن الاستقامة والتقوى والإرضاء والفسق فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

---

(١) أن: ـ ، أ، ض.

(٢) على معجزة للنبي: على أن معجزة النبي، ض.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عمر ويعقوب: «**أيمة**» بهمزة واحدة غير ممدودة[١]، وتليين الثانية طلبًا للخفة، وقرأ ابن عامروعاصموحمزةوالكسائي» **أئمة**» بهمزتين على التحقيق؛ لأن أصلها أَأْمِمَةٌ[٢]، مثل مثال وأمثلة، وعماد وأعمدة، وأدغمت الميم التي هي عين أفعله في الميم الثانية، وقلبت[٣] حركتها إلى الهمزة الساكنة التي هي فاء الفعل، فصارت أَإمَّة، وكتبت الهمزة الثانية ياء لما فيها من الكسرة، وهي لغة بني تميم.

وقرأ ابن عامر: «**لا إيمان لهم**» بكسر الألف[٤]، وهي قراءة الحسن، وعطاء، ولها وجهان:

أحدهما: لا أمان لهم؛ أي: لا يؤمنوهم[٥]،فيكون مصدرًا من الإيمان الذي ضد الإخافة.

والثاني: أنهم كفرة، لا إيمان لهم؛ أي: لا تصديق. وعن عطية العوفي: لا دين لهم.

وقرأ الباقون بفتح الهمزة وهو جمع: يمين[٦].

۞ اللغة

الاشتراء: استبدال الشيء بثمنه، ونقيضه البيع.

والاعتداء: مجاوزة الحد في الظلم، ومنه التعدي، ومنه المعاداة والعداوة؛ لأن كل واحد تجاوز الحد في باب عدوه.

والتفصيل: التبيين، فصلت الشيء تفصيلاً، وأصله القطع كأنه فصله عن غيره ليظهر بالبيان.

---

(١) حجة القراءات ٣١٥.
(٢) أأممة: أممة، أ.
(٣) وقلبت: تقلب، أ.
(٤) حجة القراءات ٣١٥.
(٥) لا يأمنونهم: لا يؤمنونهم، ض.
(٦) يمين: لمين، ض.

والنكث: نقض العهد، وانتكث مثل انتقض، والنِّكث بكسر النون: أن ينقض الأكسية الخَلَقِ وتغزل ثانية.

والإمام واحد، والجمع: أئمة، وهو الذي يُقْتَدَى به، وهما إمامان: إمام في الشر ضال مضل، وإمام في الخير هادٍ مُهْتَدٍ[1].

النزول

قيل: نزلت قوله: «**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**» في أبي سفيان والأعراب الذي نجمعهم على طعامه، عن مجاهد.

وقيل: نزلت في قوم من اليهود دخلوا في العهد ونقضوا، عن أبي علي. قال القاضي: والآية لائقة بهم؛ لأنهم حرفوا وبدلوا، وكان منهم من يأخذ على ذلك بدلاً.

وعن عطاء قال: كان أبو سفيان يطعم الطعام ليصد الناس بذلك عن متابعة رسول الله ﷺ، ففيه نزلت الآية.

وقوله: «**فقاتلوا أئمة الكفر**» قيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، عن ابن عباس.

وقيل: هم أهل فارس والروم، عن مجاهد.

وقيل: لم يأمن بعد أهلها، عن حذيفة.

المعنى

ثم بين - تعالى - خصال القوم وبين حكمه بينهم، فقال سبحانه: «**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ**» بحججه وبيناته، وقيل: القرآن، ويحتمل التوراة «**ثَمَنًا قَلِيلاً**» يعني عرضًا من الدنيا وهو قليل في[2] جنب ما فاتهم من ثواب الله - تعالى - وما لزمهم من عقاب

---

(١) هاد ومهتد: هادى ومهتدي، أ.
(٢) في: من، أ.

الله، وقيل: أَكْلَةً[1] أطعمهم أبو سفيان [إياها] «فَصَدُّوا» منعوا، وقيل: أعرضوا، وقيل: انصرفوا عنه ومنعوا غيرهم «عَنْ سَبِيلِهِ» دينه؛ لأنه طريق رحمته وثوابه «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي: بئس العمل عملهم وهو[2] الكفر، والصد عن سبيل الله، ونقض العهد «لا يَرْقُبُونَ» لا يحفظون، ولا يراعون «فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلا ذِمَّةً» بينا معناها.

ومتى قيل: لم كرر ذكرها؟

قلنا: قيل: الأول في صفة جميع الناقضين للعهد، والثاني في صفة اليهود عن أبي علي، وقيل: ذكرذلكتأكيدًا.

«وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» أي: المجاوزون الحد في الكفر والعصيان، وقيل: في نقض العهد «فَإِنْ تَابُوا» ندموا على ما كان منهم من الشرك وسائر المعاصي، وعزموا على ترك العود إليه، وقبلوا الإسلام فأولئك إخوانكم «فِي الدِّينِ» يعني يجب لهم من الموالاة ما يجب لسائر المؤمنين، ويجب عليهم ما على المسلمين، قال ابن عباس: حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة، ولأنه بالظاهر يصير أخًا للمؤمنين، وقال ابن زيد: افترض الله ـ تعالى ـ الصلاة والزكاة، ولم يفرق بينهما، ولم يقب لصلاة إلا بزكاة، ثم قال: يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه.

«وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ» نميزها من الشبه تنبيهًا» لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أي: للعلماء ومن يتفكر فيعلم.

ثم بيّن حال من لم يتب فقال سبحانه: «وَإِنْ نَكَثُوا» نقضوا «أَيْمَانَهُمْ» أي: عهودهم وما حلفوا عليه «مِنْ بَعْدِ» أن عقدوه «وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ» عابوه وقدحوا فيه، ذلك أنهم كانوا يقولون: ليس دين محمد بشيء «فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ» قيل: جميع ما تقدم على الكفر، فجعلهم لصفة صنعهم أئمة الكفر، عن أبي علي. وقيل: رؤساء قريش وقادة الكفر، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: فارس والروم، عن مجاهد. وقيل: علماء الضلال؛ لأنهم القدوة «إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ» أي لا يقولون بما يحلفون، وقيل: لا وفاء لهم بالعهد عن قطرب، وقيل: هم أهل الزيادة «لَعَلَّهُمْ

(١) أكلة: تأكله، أ.

(٢) وهو: وهم، ض.

يَنْتَهُونَ» أي قاتلوهم راجين انتهاءهم، عن أبي مسلم. وقيل: لينتهوا، عن أبي علي. وقيل: ينتهوا عن الطعن في دينكم، وقيل: عن الكفر، وقيل: عن سوء طريقتهم، وقيل: قاتلوهم لعل غيرهم ينتهي إن لم ينتهِ هؤلاء، ذكره الشيخ أبو حامد، وهذا تعسف في التأويل.

الأحكام

تدل الآية على أن أخذ العوض في ترك الدين مما يعظم في الإثم ومن أكبر الكبائر.

وتدل على أنه يقبل توبة الكافر، ولا ذنب أعظم منه، فغيره أولى أن تقبل التوبة فيه.

وتدل على أن مجرد الندم لا يكفي ما لم يقترن إليه أداء الشرائع.

وتدل على أنه متى فعل ذلك صار أخًا للمؤمنين، والمراد بذلك ثبات الموالاة.

ويدل قوله: «**وإن نكثوا**» أن مع بقائهم على العهد لا يحل قتالهم، وقد بَيَّنَّا أن من مذهب أبي علي والقاضي أن نقض العهد لا يجوز، إذا رأى المصلحة فيه، في نبذ إليهم.

وتدل على إباحة قتالهم إذا طعنوا في الدين؛ لأن ذلك نقض للعهد، ولهذا قالوا: من صرح بالرد على النبي أو شتمه أو عاب دينه كان ناقضًا للذمة.

وتدل على أن القتال يجب لينتهوا، فيدل على أن من يرجى إسلامه لا يقتل، وأن المرتد يستتاب وَيُتَأَنَّى في قتله، وقيل: لا تجب الاستتابة والمهلة، اختلف العلماء فيه، فمنهم من يوجبه، ومنهم من يقول: هو مندوب.

قوله تعالى:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾

۞ القراءة

قرأ العامة «ويتوبُ» بالرفع على الاستئناف، وتمام الكلام قبله، وعن الأعرج وابن إسحاق بالنصب على الظرف[١].

۞ اللغة

الهم: مقاربة الفعل بالعزم من غير انتفاع، والهم والقصد والعزم من النظائر، ويقال: هممت بكذا، ومنه قول الشاعر:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي[٢]

والبدء[٣]: فعل الشيء قبل غيره، وهو فعل الشيء أولاً، بدأ يبدأ، وابتدأ ابتداءً.

والمرة والدفعة والكرّة نظائر، المرة: الفَعْلةُ، من المر، ومن الشيء إذا مضى، وأَمَرَّ يُمِرُّ أيضًا، ومن صاد مر.

والخشية: الخوف.

التعذيب يُفَعِّلُ من العذاب وهو إيقاع العذاب بغيره، والعذاب: أَلَمٌ مستمر.

والإخزاء: الإذلال بما فيه فضيحة، يقال: أخزاه يخزيه إخزاءً، وخزى يَخْزىَ[٤] خزيًا.

والشفاء: زوال الأذى عن النفس، فلما كانت عليهم مضرة بما همهم وأزال الله ـ تعالى ـ ذلك صار كأنه شفاهم توسعًا، يقال: شفاه يشفيه شفاءً، وأصله الشفاء من المرض. واستشفى: طلب الشفا، واشتفى على الشيء أشرف عليه.

والغيظ: ما يغتاط الإنسان منه، غاظني كذا يغيظني[٥] وقد غظتني.

۞ الإعراب

الألف في قوله: «أَلا تُقَاتِلُونَ» ألف استفهام، والمراد به التقرير والإيجاب

---

(١) الظرف: الصرف، د، ض.

(٢) صدر بيت الضابي البرجمي، وتمامه: . . تركْتُ على عثمان تَبْكِي حَلاَئلُهْ.
انظر تاج العروس (قير)، واللسان (قير).

(٣) والبدء: البدو، أ.

(٤) يخزي: يخزا، أ.

(٥) يغيظني: يغظني، أ.

والإنكار عن الكف، كأنه قيل: قاتلوا، وأوجب ذلك، قال أبو مسلم: وذلك مشهور في كلامهم، وفي العادة يقال: ألا ترحل، ألا تستبري، أما تتقي الله، أما تستحي. قال الشاعر:

ألا تتقين الله في ذي قرابة ... به من بقايا ما عهدت سقام

وقوله: «أَتَخْشَوْنَهُمْ» استفهام، والمراد الإنكار، أي: لا تخشوهم[1].

ويقال: كم وجهًا يجوز من الإعراب في قوله: «**ويخزهم**»؟

قلنا: ثلاثة أوجه: الجزم بالعطف، والنصب على الظرف[2]، والرفع على الاستئناف؛ لأن الأول في تقدير التمام.

۞ النزول

نزل قوله تعالى: «**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**» قيل: في خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، عن مجاهد، والسدي. وذلك أنه وقعت بينهم وبين بكر حلفاء قريش منازعة، وقيل: فأعان قريش بني بكر على خزاعة، على ما تقدم.

وعن قتادة قال: كانت بنو بكر من كنانة غدروا بخزاعة، فلما كان يوم الفتح قال ﷺ: «كفوا السلاح إلا بني[3] خزاعة من بني بكر» فقاتلوهم حتى العصر، ثم قال: «كفوا السلاح»، ففيهم نزلت «**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**».

وقيل: في قوله: «**نكثوا أيمانهم**» إنها نزلت في اليهود، نكثوا عهد رسول الله ﷺ وكفروا وغدروا وأعانوا عليه أعداءه.

وقيل: نزلت في المشركين من أهل مكة.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

---

(١) لا تخشوهم: تخشونهم، ض.

(٢) الظرف: الصرف، ض.

(٣) إلا بني: إلا بنو، د.

قلنا: لما حث على قتالهم بشرهم بالنصر، وذكرهم أفعالهم الخبيثة حثًا[1] على قتالهم.

ويقال: كيف يتصل: «**وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**»؟

قلنا: بقوله: «**وإن تابوا**» عن أبي مسلم، وقيل: فيه بشارة بأن منهم من يتوب، وقيل: بيان أنه ليس في قتالهما قَطاع أحد منهم عن التوبة.

۞ المعنى

«**أَلَا تُقَاتِلُونَ**» أي: هلا تقاتلون، ومعناه قاتلوا، إلا أنه أكده بألا «**قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ**» قيل: نقضوا عهودهم، وقيل: هم اليهود نقضوا العهود وخرجوا مع الأحزاب عن الأصم، وأبي علي، والقاضي. وقيل: هم مشرك وقريش وأهل مكة» **وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ**» أي: قصدوا إخراجه عن[2] مكة، وهم مشركو قريش، وقيل: هم اليهود هموا بإخراج النبي والمؤمنين عن المدينة ومعاونة المنافقين، عن الأصم، وأبي علي. «**وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**» قيل: بدأوا بقتال خزاعة حلفاء النبي ﷺ، وقيل: بَدَؤُوا بنقض العهد عن أبي إسحاق، والأصم، وأبي علي. وقيل: بدأوكم بالقتال أو لمرة يوم بدر» **أَتَخْشَوْنَهُمْ**» أي: أتخافونهم على أنفسكم فتتركون القتال «**فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ**» أن تخافوا عقابه في الدنيا والآخرة، وقيل: هو أحق أن تخشوه إن تركتم أمره «**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**» فخشية الله أحق بكم من خشية غيره، قال الأصم: لأنه يمنعكم منهم ولا يمنعونكم[3] من عذابه، وقيل: لأنكم إن قاتلتموهم كنتم بين حسنيين: الظفر والأجر، وإن تركتم قتالهم صرتم بين مذلتين: ذل في العاجل، وذل في الآجل، ثم أكد ما تقدم بالبشارة بالنصرة، فقال سبحانه: «**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ**» قيل: يقتلهم بأيديكم، يعني يأمركم بقتالهم، ثم ينصركم عليهم لتقتلوهم، فأضاف ذلك إلى نفسه لأنه بأمره ونصره، وقيل: إذا تناولتموهم بالسلاح أنزل الله بهم

(١) حثا: حتى، ض.
(٢) عن: على، ض.
(٣) يمنعونكم: يمنعوكم، أ.

العذاب، قال أبو علي: وهومجاز» **وَيُخْزِهِمْ**» يذلهم بالأسر والقهر «**وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ**» ويظهركم ويعينكم أيها المؤمنون عليهم «**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**» قيل: يذهب أذى قلوبهم بقتل الكفار وإذلالهم، وقيل: قلوب خزاعة؛ لأن قريشًا نقضوا العهد بقتالهم عن مجاهد، والسدي. «**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**» أي: يذهب كرب قلوبهم وحراراتها بما نالهم من الكفار، وقيل: بما نال خزاعة من بني بكر بإعانة قريش إياهم، ثم استأنف فقال تعالى: «**وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**» أي: يقبل من تاب منهم مع فرط جرمهم[1] رحمة منه وفضلاً، وقيل: يلطف لمن يعلم أنه يتوب عند لطفه فيتوب «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**» قيل: عليم بما يفعل العباد وبقولهم سرًا وجهرًا، حكيم تأتي أفعاله على صواب عن أبي مسلم. وقيل: عليم بأفعالهم، حكيم في ما يريده[2] منهم عن أبي علي. وقيل: علي مبما هو كائن من عباده، حكيم في أمره ونهيه وحكمه عن الأصم.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب قتال الكفار.

وتدل على أن قتالهم عقوبة، لذلك قال: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾.

وتدل على وعد الظفر والنصر، فوقع مخبره على ما أخبر، فتدل على معجزة له ﷺ.

وتدل على أنه ـ تعالى ـ يقبل توبتهم إن تابوا؛ لأن التوبة إذا أضيفت[3] إلى الله[4] تنصرف[5] إلى اللطف في التوبة والرجوع، وإن أضيفت للعبد[6] فهي الندم والاستدراك، وأصل التوبة الرجوع؛ لأن العبد بالندم يرجع عن طريقته، والله ـ تعالى ـ بقبوله كالراجع عما كان يفعله من الذم واللعن.

---

(١) جرمهم: يعذبهم، أ.
(٢) يريده: يرده، أ.
(٣) أضيفت: ضيفت، د؛ أضيف، أ.
(٤) الله: العبد، د.
(٥) تنصرف: تنقسم، أ.
(٦) تنصرف إلى اللطف. . . للعبد:ـ، د.

وتدل على أن قتل الكفار وتعذيبهم مما يَسُرُّ المؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم. وتدل على أنه يجوز إظهار السرور بموت الظلمة، وما يصيبهم من البلاء.

قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

القراءة

أكثر القراء على التاء في قوله: «**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» على الخطاب، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وروي عن أبي عمرو ويعقوب «**تَعْمَلُونَ**» بالتاء على المعاينة: كقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾.

اللغة

الحُسْبَان: الظن، والحُسْبَانُ: الحساب، والحسب مصدر حسبت الشيء أحسبه حسابًا وحسبانًا، وحِسْبَانَةً وحَسْبًا، ومن الظن: حسبته أحسِبه بكسر السين.

والوليجة: الدخيلة في القوم من غيرهم، قال أبو مسلم: الوليجة المدخل، وبناؤه فَعِيلَة، وأصله من ولج يلج ولوجًا إذا دخل، ومنه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج: ٦١]، ومنه: ﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢]، واتَّلَجَ في تَوْلِجِهِ[1] إذا دخل، ومنه: الوليجة، ودخيلته[2]، والبطانة نظائر، قال الشاعر:

بِئْسَ الوليجَةُ للهَارِبِينَ ... والمُعْتَدِينَ وأَهْلِ الرِّيَبْ

وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة، يقال: هو وليجتي وبطانتي أي: خاصتي، فأما حديث عبد الله: «إياك والمباح على ظهر الطريق فإنها بمنزلة الوالجة»

(١) واتلج في تولجه: يولج تولجا، أ.

(٢) ودخيلته: الرحيلة، أ.

قيل: السباع والحيات، سميت بذلك لولوجها بالنهار واستتارها في الإدلاج[١]، والولج: ما ولجت فيه من كهف أو غيره.

الإعراب

«**أَمْ حَسِبْتُمْ**» معطوف على ما تقدم من قوله: «**ألا تقاتلون**» و(أم) حرف عطف يعطف به الاستفهام، فلما كان لفظ ما تقدم لفظ الاستفهام جاء المعطوف عليه في مثل لفظه، ومعناه الإخبار عن أبي مسلم. وقيل: «**أَمْ حَسِبْتُمْ**» معناه أحسبتم، فأدخل الميم؛ لأنه استفهام معترض في وسط الكلام ليفرق بينهُ[٢] وبين الاستفهام والمبتدأ.

النزول

اختلفوا فيمن نزلت الآية ومن خوطب بها، فقيل: قوم من المنافقين كانوا يتوسلون إلى رسول الله ﷺ بالخروج معه إلى الجهاد اندفاعا[٣] والنفاق في قلوبهم، عن ابن عباس فيما رواه الضحاك.

وقيل: الخطاب للمؤمنين لما شق على بعضهم القتال، فأنزل الله ـ تعالى ـ «**أَمْ حَسِبْتُمْ**»، عن أكثر المفسرين الأصم وأبي علي وأبي مسلم، وغيرهم.

النظم

قيل في نظم الآية وتلخيصها[٤]: إنه لما أمر بالجهاد بين أنه ـ تعالى ـ لا يترككم حتى يعلمكم مجاهدين مخلصين غير داخلين مدخلاً يخالف ما عليه الرسول والمؤمنون عن أبي مسلم.

وقيل: لما تقدم الأمر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الإخلاص والجهاد على وجه قطع العظيمة ليظهر[٥] الظفر ويستحق الثواب، ذكره شيخنا أبو حامد.

---

(١) الإدلاج: الإزلاج، أ.
(٢) بينه: بينهم؛ د، ض.
(٣) اندفاعًا: فاعا، أ.
(٤) وتلخيصها: وتخليصها، ض.
(٥) ليظهر: ليظهروا، ض.

۞ المعنى

«**أَمْ حَسِبْتُمْ**» أي: أظننتم أيها المؤمنون «**أَنْ تُتْرَكُوا**» أي: يترككم الله، أي: يدعكم، قيل: مهملاً فلا يأمركم بالجهاد والإخلاص، وقيل: لا يدعكم تفرون بالنقص بالحق وتدعون أنكم مؤمنون حتى يمتحنكم بغيره[(١)] من الجهاد ونحوه فتجاهدوا[(٢)] بالقول والفعل، فبين أن الإيمان ليس بالدعوى حتى ينضم إليه قطع العصمة[(٣)] من الكفار والعمل بالشريعة، وقيل: أظننتم أنكم تتركون عن الجهاد فلا يفرض عليكم القتال «**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ**» قيل: الألف في قوله: «**ولما**» صلة، ومعناه: ولم يعلم؛ أي: لم يظهر ما علمه منكم من الجهاد، فذكر نفي العلم والمراد المعلوم، وتقديره: أظننتم أن تتركوا ولم تجاهدوا ولم تمنعوا أن تتخذوا وليجة والله يعلم ذلك منكم، وقيل: تقديره: ولما يجاهد المجاهد[(٤)] والله عالم[(٥)] بها، عن القاضي. «**وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**» يعنى سوى الله وسوى رسوله ﷺ، المؤمنين قيل: المهاجرون والأنصار، وقيل: خيار أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحاب بدر، وأصحاب الشجرة، ومعنى قوله: «**وليجة**» قيل: بطانة[(٦)] وأولياء يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم عن الفراء وغيره. وقيل: خديعة عن الضحاك. وقيل: خيانة عن قتادة. وقيل: أولياء عن عطاء. وقيل: هو الكفر والنفاق عن الحسن. وقيل: مودة عن الزجاج. وقيل: مدخلاً يلجون[(٧)] إليه مستبشرين بمخالفة[(٨)] الرسول والمؤمنين عن علي، وأبي مسلم، والقاضي. «**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» قيل: عليم بما تعملون سرًا وعلانية، لا يخفى عليه شيء، زجرًا لهم عما يقدمون عليه، وقيل: عليم بوجوه الأعمال، فيجازي بحسبه.

---

(١) يمتحنكم بغيره: يتحكم لغيره، ض.
(٢) فتجاهدوا: فتجاهدون، أ.
(٣) العصمة: العظمة، ض.
(٤) المجاهد: والمجاهد، ض.
(٥) عالم: أعلم، ض.
(٦) بطانة: نظاير، ض.
(٧) يلجون: تلجون، أ.
(٨) بمخالفة: يحالف، أ.

❁ الأحكام

تدل الآية على وجوب الجهاد.

وتدل على وجوب مجانبة النفاق والمنافقين.

وتدل على تحريم موالاة الكفار واتخاذهم وليجة.

وتدل على تحريم إيجاد الفساق بطانة؛ لأن الانقطاع إليه يقوم مقام الدعاء إلى الفسق، ولأنه تجب معاداته، فلا يجوز الانقطاع[1] إليه، ولأنه غير مأمون في الاطلاع على الأسرار.

قال الأصم: وتدل على أن[2] الجهاد به يظهر النفاق؛ لأن المنافقين كرهوا أن يقاتلوا أولياءهم.

قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

❁ القراءة

قرأ ابن[3] كثيرو أبو عمرو ويعقوب: «**أَنْ يَعمِرُوا مَسْجِد اللَّه**» على الواحد[4] وهو قراءة ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وحميد؛ لأنه أراد المسجد الحرام، ولقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ ، وقرأ الباقون[5]: مساجد

---

(١) الانقطاع: انقطاع، ض.

(٢) أن: ـ ، أ، ض.

(٣) ابن: أبو، ض.

(٤) حجة القراءات ٣١٦.

(٥) الباقون: الباقين، ض.

الله»، قال الحسن: لأنه قبلة المساجد كلها، وسئل عكرمة عن ذلك وقيل: تقرأ: «**مساجد**» وإنما هو مسجد واحد، قال عكرمة: (إن الصفا والمروة من مساجد الله)، وقال الفراء: العرب تذهب بالواحد إلى الجمع، وبالجمع إلى الواحد، تقول: أنا أركب البراذين، وإنما أركب واحدًا، وفلان كثير الدرهم، وأراد الدراهم.

قراءة العامة «**يَعْمُرُوا**» بفتح الياء وضم الميم من عمر يعمر؛ أي: جعلوها عامرة، وقيل: أعانوا على عمارتها.

وقراءة العامة: «**إنما يعمر مساجد الله**» بألف على الجمع، وقرأ الجحدري: «**مسجد الله**» بغير ألف على الواحد، وأراد المسجد الحرام.

اللغة

العمران خلاف الخراب، والعمارة مصدر، وهو تحديد ما اسْتُرْمَّ من الأبنية، وأعمرت الأرض: وجدتها عامرة، واعتمر في الحج زار، كأنه حدد الزيارة، ومنه: العمر؛ لأنه تحديد ما معه يصح البقاء، والعمر بفتح العين وضمها البقاء[1].

حبط العمل يَحْبَطُ من وزن «علم يعلم»: إذا بطل، والحبوط: البطلان.

والخشية: الخوف، خشي يخشى خشية فهو خاشٍ، ونقيضه: الأمن.

والاهتداء: افتعال من الهدى، وهو التمسك بطاعة الله التي تؤديه إلى الجنة، وهديته فاهتدى، وطاعة الله تهدي إلى الجنة وصاحبها مهتدٍ.

الإعراب

«**شاهدين**» نصب على الحال، تقديره: ليس عليهم عمارة المسجد في حال كفرهم وشهادتهم على أنفسهم بذلك، وقيل: أراد[2] وهم شاهدون، فلما حذف و(هم) نصب.

(١) البقاء: النفي، ض.
(٢) أراد: راود، ض.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب، عن ابن عباس.

وقيل: في العباس، وطلحة بن شيبة بن عثمان صاحب الكعبة أُسِرَا يوم بدر، وعُيِّرَا بالشرك وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا، ولا تذكرون محاسننا، فقالوا: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونكف العاني، فأنزل الله هذه الآية ردًا عليهم.

۞ المعنى

لما أمر الله بقتال[1] المشركين وقطع العصمة[2] والموالاة أمر بمنعهم عن المساجد، فقال سبحانه: «**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ**» أي: ما ينبغي لمشرك «**أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ**» قيل: الكعبة، وقيل: سائر المساجد، اختلفوا في عمارتها، قيل: بدخولها ولزومها، كما يقال: فلان يعمر مجلس فلان إذا أكثر غشيانها؛ لأن المسجد يعمر بالمؤمنين وعبادة الله، وقيل: بناؤها واستصلاحها؛ لأنها تعمر لعبادة الله، فمن كان كافرًا فليس من شأنه أن يعمرها عن أبي علي. وقيل: ما كان للمشركين أن يتركوا في كونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن. «**شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**» قيل: لم يقولوا: نحن كفار، ولكن كلامهم يشهد عليهم بكفرهم، تقول: كلامك ليشهد أنك ظالم عن الحسن. وقيل: شهادتهم أي النصراني إذا سئل: ما أنت؟ قال: نصراني، واليهودي إذا سئل يقول: يهودي، والصابىء إذا سئل يقول: أنا صابىء، والمشرك إذا سئل يقول: مشرك عن السدي. وقيل: سجودهم لأصنامهم وإقرارهم أنها مخلوقة عن ابن عباس.

«**أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**» أي: هلكت فلم تكن لهم بها منفعة «**وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**» مؤبدون «**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ**» قيل: جميع المساجد، وقيل: مسجد

---

(١) بقتال: بقتالهم، د، ض.
(٢) العصمة: العظمة، ض.

الكعبة، وعمارتها بلزومها والعبادة فيها تلاوة القرآن وذكر الله ومدارسة العلم، وقيل: القيام بأمرها، وعمارتها، وترميمها[١]، والأول أوجه؛ لأن الثاني لا يختص بالمؤمنين «**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**»، وإنما جمع بين الإيمان والصلاة والزكاة قيل: لأنه أراد بالإيمان التصديق، ثم ذكر الشرائع، وقيل: أراد الإيمان الشرعي، ثم ذكر تفصيله للبيان الشرعي، ثم ذكر تفصيله للبيان والكشف، وقيل: خص الصلاة والزكاة تفخيمًا لشأنهما «**وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ**» أي: لا يخاف غيره؛ لأن من خاف غير الله وجه التعظيم إليه فلا يصح إيمانه، ومن خاف الله وحده عَبَدَهُ وعظمه وآمن به «**فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**» قيل: فعلوا ذلك راجين أن يكونوا من المهتدين عن أبي مسلم. وقيل: (عسى) مع اجتماع أوصاف الهداية؛ ليكونوا على حذر مما يحبط أعمالهم، وقيل: (عسى) من الله واجب عن ابن عباس، والحسن. وتقديره: فهم من المهتدين.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن عمارة المسجد لا تصح مع التمسك بالشرك وتحرم عليهم وهو فعل الصلاة وسائر الطاعات والقيام بها؛ لأن الحرمة[٢] لا يختلف فيها المسلم والكافر إلا أن يحمل على أنه لا يقبل منه.

قيل: هل تدل على المنع من الدخول؟

قلنا: لا، لأن المنع ليس من العبادة في شيء.

ومتى قيل: هل تدل على أن الكافر غير متعبد بالشرائع؟

قلنا: لا؛ لأنه أراد أن مع الكفر لا يصح ذلك منهم، فالشرائع لازمة بشرط الإيمان.

وتدل على تحابط[٣] الأعمال.

---

(١) وترميمها: ومرمتها؛ ومن فيها، د.

(٢) الحرمة: المرمة، ض.

(٣) على تحابط: على أن تحابط، ض.

وتدل على أن هذه الأعمال[1] حادثة من جهتهم، وليست[2] بخلق الله، فيبطل قول مخالفينا في المخلوق.

وتدل على أن المساجد تعمر بهذه الطاعات.

وتدل على أن الاحتجاج في الدين ومجاراة العلم وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وجميع ما هو طاعة عمارة للمسجد[3]، ويستحب ذلك في المسجد، إلا أن يخاف منه ما لا يجوز في المسجد.

وتدل على أن[4] للحاكم[5] أن ينتصب للحكم في المسجد على ما يقوله أبو حنيفة، خلاف ما يقوله الشافعي.

وتدل على أن الاهتداء لا يتكامل إلا بجميع الخصال المذكورة في الآية.

وتدل على وجوب الإخلاص؛ لأن قوله: «**ولم يخش إلا الله**» يجوز أن يخاف غيره في باب الدنيا.

وتدل على أن الكون في المساجد ولزومها عبادة؛ لأنه يكون عمارة لها.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[6].

وعن أنس عن النبي ﷺ: «عمار[7] بيت الله هم[8]أهل الله».

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء: ليكن المسجد بيتك[9] فإني سمعت النبي ﷺ: «المسجد بيت كل تقي».

---

(١) الأعمال: الأفعال، د.
(٢) وليست: ليس، أ.
(٣) للمسجد: المسجد، أ.
(٤) أن: ـ ، ض.
(٥) للحاكم: الحاكم، ض.
(٦) ابن ماجه رقم ٨٠٢، وشعب الإيمان رقم ١٩٤١، وسنن البيهقي الكبرى رقم ٤٧٦٨.
(٧) عمار: عمارة، ض.
(٨) هم: وهم، ض.
(٩) بيتك: بيته، أ.

قوله تعالى:

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

۞ القراءة

قرأ الفراء «**سِقاية**» بكسر السين مصدر، كالرعاية والجماعة، وعن الضحاك بضم السين، لغتان والأول أشهر وأفصح، وأوجب، وأجمع القراء عن «**سقاية**» بالياء «**وعمارة**»، وهما مصدران، وعن ابن الزبير وأبي وحرة السعدي: «**أجعلتم سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام**» على جمع الساقي والعامر.

۞ اللغة

السقاية: الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم وغيره، سقيته بيدي سقيًا وأسقيته: جعلت له سقيا، والسقي بالفتح المصدر، وبالكسر الحظ من الشراب.

استوى الشيء: اعتدل، وهذا لا يساوي كذا أي لا يعادله، وهما على سوية من هذا الأمر أي على سواء، والسِّوَى وسط الشيء لاعتدال جوانبه، و«سِوَى» بمعنى «غَيْر».

أعظم: أَفْعَلُ من العظم، والعظم: الكبر، وعظم الأمر: أكبره.

والفوز: الظفر بالبغية، وهو إدراك الطلبة، والفوز والفلاح والنجاح نظائر، ونقيضه الخيبة.

والبشارة: الخبر السار الذي يظهر في بَشَرَةِ الوجه، والبشرة: ظاهر الجلد، والبشارة في الخير، والنذارة في الشر عند الإطلاق، وتستعمل البشارة في موضع النذارة توسعًا، بَشَّرَ يُبَشِّرُ تبشيرًا.

والرضوان: مصدر رضي يرضى رضوانًا، ورِضيً، وهو مرضو عنه، ومرضي عنه، ونقيض الرضا: السخط، وارتضاه ارتضاءً، وتراضوا تراضيًا.

والجنة: البستان التي فيها الشجرة، وأصلها الستر. والأبد: جمعها[1] آباد وأبود.

۞ الإعراب

الألف في قوله: «**أجعلتم**» استفهام، والمراد الإنكار؛ أي: لا تجعلوا.

ويقال: ما المحذوف من قوله: «**أجعلتم سقاية الحاج**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: كإيمان، تقديره: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله، فقام الاسم مقام المصدر، كما يقال: الفقيه أبو حنيفة، والسخاء حاتم.

والثاني: بتقدير[2]: صاحب سقاية الحاج يعني أجعلتم صاحب السقاية كالمؤمن، فيقوم مقام المصدر الاسم على أن أصل السقاية مصدر كما قال الشاعر:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي

أي: فتيان نبات اللحى.

۞ النزول

في نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في المسلمين.

وثانيها: أنها نزلت في الكافرين.

ومن قال بالأول، اختلفوا، فقال: تفاخر المهاجرون[3] وولاة البيت، فقالوا: نحن سقاة الحاج وعمّار المسجد الحرام، فنحن أعظم أجرًا، فأنزل الله تعالى: «**أجعلتم**»، ذكره الأصم.

(١) جمعها: جمع، أ.

(٢) بتقدير: تقديره، ض.

(٣) المهاجرون: المهاجرين، أ.

وعن النعمان بن بشير: كنت عند[١] المنبر، فقال رجل: ما أبالي ألاَّ أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج، فقال آخر: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد أن أعمر[٢] المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم[٣] عند منبر رسول الله وهو[٤] يوم الجمعة، ثم استفتى رسول الله فيما اختلفوا فيه، فنزلت: «**أجعلتم سقاية الحاج. . .**» الآية.

وعن ابن عباس: قالالعباس: لئن كنتم سبقتم بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج[٥]، فنزلت الآية.

وقيل: نزلت في علي والعباس، وطلحة وشيبة، تفاخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد صليت القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ـ تعالى ـ فيه هذه الآية عن الحسن، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي.

وقيل: نزلت هذه الآية، قال العباس: إذا نرفضها يا رسول الله، فقال: «أقيموها فإن لكم منها خيرا» يعني ثوابًا، ذكره الأصم.

فأما من قال: إنها نزلت خطابًا في الكفار، فاختلفوا[٦]، فقيل: قال علي للعباس: ألا تهاجروا، قال: هناك ما هو أفضل[٧] من الهجرة، أسقي الحاج، وأعمر المسجد الحرام، فنزلت هذه الآية عن ابن سيرين، ومرة[٨] الهمداني.

وقيل: لما أمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة، فنزلت الآية.

وقيل: إن المشركين سألوا علماء اليهود فقالوا: نحن ولاة البيت، وسقاة الحاج،

---

(١) عند: على، ض.
(٢) أعمر: عمر، ض.
(٣) أصواتكم: أصواتهم، ض.
(٤) وهو: وهم، ض.
(٥) الحاج: الحج، ض.
(٦) فاختلفوا: واختلفوا، أ.
(٧) قال هناك ما هو أفضل: قال في أفضل، ض.
(٨) ومرة: وأمره، ض.

فنحن خير أم محمد وأصحابه، فقالوا: بل أنتم، مع علمهم أن محمدًا وأصحابه يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأن المشركين يكذبون، ولكن قضوا بذلك حسدًا وبغيًا، ففيهم نزلت الآية: «**أجعلتم سقاية الحاج**».

وذكر أبو مسلم أن الخطاب للمشركين، وأنكر نزوله في العباس، واستدل بخاتمة الآية، وأن عليًا والعباس مؤمنان.

النظم

لما تقدم نهي المشركين عن عمارة المسجد الحرام، والأمر للمؤمنين بَيَّنَ بعده أنهما لا يستويان، وبين الفضل بينهما.

ويقال: كيف يتصل قوله: «**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**» بما قبله؟

قلنا: لما بين أنه هدى المؤمنين فاهتدوا، وأن الكفار لم يهتدوا بيّن أنه لا يهديهم إلى الجنة، فقابل النقض بالنقيض، ثم وصف المؤمنين وما أعد لهم.

المعنى

«**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ**» لا[1] تجعلوا سقاية الحاج «**وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» مع الشرك كالإيمان في الفضل، وكانوا يعدون ذلك في باب القرب عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: إنه خطاب للمؤمنين، أي: لاتجعلوا السقاية والعمارة وإن كانتا قربة كالإيمان والهجرة والجهاد «**كَمَنْ آمَنَ**» صَدَّقَ «**بِاللَّهِ**» وتوحيده وعدله وما يجب له وما يستحيل عليه «**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» أي: يوم القيامة، يعني يصدق بالبعث، وسمي ذلك اليوم آخرًا لتأخره عن الدنيا «**وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» في دينه «**لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ**» في الفضل والدرجة «**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ**» الفاسقين إلى الجنة وطريق ثوابه «**الظَّالِمِينَ**» قيل: الكافرين لظلمهم على أنفسهم، وقيل: الظالمين لغيرهم، ثم وصف المؤمنين فقال: «**الَّذِينَ آمَنُوا**» وصدقوا وعرفوا وعملوا «**وَهَاجَرُوا**» أي: خرجوا من دار

(١) لا: فلا، أ.

الكفر إلى دار الإسلام لنصرة الدين والرسول في تكثير سوادهم وانقطاعًا إليه وبراءة من الكفار وتميزًا منهم «**وَجَاهَدُوا**» تحملوا المشاق في ملاقاة الأعداء في باب الدين والمحاربة «**بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً**» قيل: درجة الإيمان أعظم وإن كانت السقاية درجة، وقيل: أعظم درجة من غيرهم عن الزجاج. وقيل: إن لهم بذلك منزلة نحو قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، عن الحسن، وأبي علي. لأن الكافر لا تكون له درجة أصلاً «**وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**» الناجون من النار الظافرون ببغيتهم و«**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ**» قيل: يبشرهم في الدنيا بما أعد لهم من الأجر والثواب، وقيل: يبشرهم في القرآن بما أعد للمؤمنين المجاهدين، وقيل: بالقرآن وغيره من الأدلة «**بِرَحْمَةٍ مِنْهُ**» أي: بنعمة «**وَرِضْوَانٍ**» أي: يبشرهم بأنه رضي عنهم «**وَجَنَّاتٍ**» بساتين «**لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**» دائم، لا يزول، ولا ينقطع «**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**» قيل: الجنة، وقيل: هو الإكرام والتعظيم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الجهاد من أعظم القُرَبِ؛ فلذلك قرنه بالإيمان.

وتدل على أن فعل العبد محدث من جهته، وإلا لم يستحق المدح والذم.

وتدل على أن سقاية الحاج وعمارة المسجد من القرب، فلذلك ذكرهما.

وتدل على أن من جمع بين الصفات المذكورة يستحق الجنة، خلاف قول المرجئة.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

القراءة

قرأ أبو بكرعن عاصم ويعقوب وأبو رجاء العطاردي[١]: «**عشيراتكم**»[2] بالألف على الجمع، وقرأ الباقون «**عشيرتكم**» على الواحد.

اللغة

الاتخاذ: افتعال[٣] من الأخذ، وهو إعداد الشيء لأمر.

والأب والوالد من النظائر، والأب: من وُلِدَ الولد على فراشه، أو خلق الولد من نطفته.

والاستحباب: طلب المحبة، ويجوز اسْتَحَبَّ بمعنى أَحَبَّ، كأنه طلب المحبة، ويجوز استحب بمعنى حب، كأنه طلب محبته[٤] فوقع له، كما يقال: استحب وأحب[٥].

والعشيرة: الجماعة ترجع إلى عقد واحد كالعشرة، ومنه: المعاشرة، والعشير: الزوج لاجتماعهما على العشرة.

الاقتراف[٦]: انقطاع الشيء عن مكانه إلى غيره، قَرَفْتُ القرحة قَرْفًا: قشرتها وكل قشر قِرْفٌ بكسر القاف منه، واقترفت الشيء اكتسبته، فلان يقترف بكذا أي: يتهم، وبنو فلان قرفتي[٧] أي: هم الذين[٨] اتهمتهم، وهم قرفتي أي: هم الذين عندهم بغيتي.

والتربص والتبييت والانتظار من النظائر، ونقيضه: التعجيل.

الإعراب

نصب «**أحبَّ**» لأنه[٩] خبر كان، على معنى: إن كان هؤلاء أحب، واسمه

---

(١) العطاردي: العصاردي، ض.
(٢) عشيراتكم: غيركم، أ.
(٣) افتعال: افعال، أ.
(٤) محبته: محبة، ض.
(٥) استحب وأحب: استحاب واحاب، أ.
(٦) الاقتراف: ـ، ض.
(٧) فلان قرفتي: فلا قرفين، أ.
(٨) الذين: الذي، أ.
(٩) لأنه: لا، ض.

«**آباؤكم**» وما[١] عطف عليه «**وجهاد في سبيله**» فيه محذوف أي: ومن جهاد في سبيله.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في عام الفتح قبل توجهه[٢] إلى حنين[٣]، فكان الرجل يريد الهجرة وأهله يتعلقون به فيدع، فنزلت الآية.

وقيل: إن هذه الآية متصلة بما قبلها، نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة، عن مجاهد.

وقيل: لما أمر ـ تعالى ـ بالهجرة، فكان قبل مكة، وكل من آمن ولم يهاجر لم يقبل إيمانه إلا بمجانبة[٤] الآباء والأبناء إذا كانوا كفارًا، فقال جماعة: إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين لقطعنا آباءنا وعشيرتنا، ولخربت دورنا، وكسدت تجارتنا، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، عن ابن عباس، رواه جوهر.

وقيل: لما أمروا بالهجرة جعل الرجل يقول لامرأته[٥] وعشيرته: أمرنا بالهجرة، فمنهم من يعجبها[٦] فتسارع معه[٧]، ومنهم من تأبى[٨] على صاحبها[٩] أن تهاجر[١٠] معه، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وأولاده ويقول: ننشدك[١١] الله ألا[١٢] تضيعنا فيرق ويجلس، ويدع الهجرة، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، عن أبي صالح عن ابن عباس[١٣].

---

(١) وما: ومن، ل.
(٢) توجهه: يوجهه، أ.
(٣) حنين: خيبر، د.
(٤) بمجانبة: مجانبة، ض.
(٥) لامرأته: لامرأة، ض.
(٦) يعجبها: يعجبه، أ.
(٧) فتسارع معه: فيسارع عنهم، أ.
(٨) من تأبى: عن أبي، أ.
(٩) صاحبها: صاحبه، أ.
(١٠) تهاجر: يهاجر، أ.
(١١) ننشدك: نشهدك، أ.
(١٢) ألا: أن، أ.
(١٣) عن ابن عباس: ـ، ض.

وقيل: نزلت في جماعة ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بمكة، عن مقاتل.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بترك موالاة الكفار، نهى في هذه الآية عن موالاتهم كائنًا من كانوا من قريب أو غيره[1]، عن أبي مسلم. فقال سبحانه: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ**» أرادوا الموالاة في الدين وهو التعظيم والمدح والذب عنه، وأن يحله محل نفسه، وقيل: بطانة وأصفياء[2] تفشون[3] إليهم أسراركم ويؤثرون المقام معهم، ويقعدون عن الهجرة «**إِنِ اسْتَحَبُّوا**» اختاروا «**الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ**» فيطلعهم على سرائر المسلمين وترك طاعة الله لأجلهم «**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» العاصون، وقيل: الواضعون الولاية غير موضعها، فأمر بقطع العصمة إلا عصمه الله وإلا استحق اسم الظلم «**قُلْ**» يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة والجهاد «**إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**» في النسب «**وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ**» أقاربكم «**وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا**» اكتسبتموها وجمعتموها، وقيل: أصبتموها عن قتادة. «**وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا**» وهو ضد الإنفاق»[4] «**وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا**» فسكنتموها، وقيل: القصور والمنازل عن السدي. يعني أبر وأخير[5] حتى تركتم الجهاد والهجرة لأجلهم «**فَتَرَبَّصُوا**» انتظروا، وفيه وعيد عظيم وزجر شديد «**حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**» قيل: العذاب إما معجلاً وإما مؤجلاً عن الحسن، وأبي علي. وقيل: بقضائه عن عطاء. وقيل: بالموت، وقيل: بالقيامة، وقيل: فتح مكة، عن مجاهد، ومقاتل. وقال بعضهم: هذا لا يصح؛ لأن الآية في سورة براءة نزلت بعد فتح مكة سنة تسع، والفتح كان سنة ثمان، عن الأصم. والله أعلم.

«**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**» قيل: لا يوجد لهم ثوابه ورحمته بأن يحكم

---

(١) أو غيره: أو غيروا، ض.

(٢) وأصفياء: أوداء، أ.

(٣) تفشون: يفشون، أ.

(٤) الإنفاق: النفاق، أ.

(٥) وأخير: وخيرًا، ض.

عليهم بعذابه لفسقهم وخروجهم عن الطاعة، وقيل: لا يحكم بهذا بينهم كقوله: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٧٤]، وقيل: لا يهديهم إلى ثوابه وجنته، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على أن حكم الدين يغلب حكم القرابة والنسب، وأن المقيم على الكفر من الآباء والإخوان[1] لا عصمة بينهم وبين المؤمنين.

وتدل على أن الولاية والقرابة إذا زالت بالكفر فالأباعد أولى.

وتدل على أن تولي الكفار كبيرة تعظم عند الله تعالى.

ويدل قوله: «**فتربصوا**» على زجر عظيم نحو قوله ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الأعراف:٧١].

وتدل على أنه لا يجوز بَرُّ الكافر بما يرجع إلى تعظيم، فأما ما يتعلق بمنافع الدنيا كمؤاكلته وإعانته في حاجة فلا يكره.

فأما النفقات فمن منافع الدنيا، ولكن الأحوال تختلف، وجملته أن النفقات على ثلاثة أضرب:

نفقة تجب بسبب الزوجية.

ونفقة تجب بسبب الملك.

ونفقة تجب بسبب النسب.

فأما نفقة الزوجة فتجب على الزوج سواء كانت مسلمة أو كافرة؛ لأنها مقابلة تسليم النفس، فيجري مجرى المعاوضات، وعلى هذا تجب نفقة العدة؛ لأنها علقة من علائق النفاق.

فأما نفقة المملوك فلا تختلف بالكفر والإسلام؛ لأنها بمنزلة استصلاح ملكه.

فأما نفقة الدواب فلا يجبر عليه، ولكن يعنى به.

---

(١) والإخوان: الأخوات، ض.

فأما نفقة الأقارب فقد قال أصحابنا: إن النفقة لا تجب مع اختلاف الدين، إلا للوالدين والولد والزوجة والجد إذا كان الأب ميتًا، ومن سواهم إنما تجب نفقتهم مع اتفاق الدين، فأما نفقة الوالدين فلقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان:١٥]، وليس من المعروف أن[١] يترك حتى يموت جوعًا، ونفقة الولد تجري مجرى نفقة نفسه.

فأما الأقارب فتجب نفقتها بِرًّا وصلة، فلا تجب مع اختلاف الدين، فلهذا قلنا: يجوز له قتل أخيه الحربي ولا يجوز له قتل أبيه[٢]، دل أن صلة الوالدين واجب مع اختلاف الدين دون سائر الأقارب، فأما إذا كان الأبوان[٣] حربيين والابن مسلما[٤] فدخلا دار الإسلام بأمان فلا[٥] تجب نفقتهما عليه؛ لأن صلة الحربي ممنوع منها[٦]، وكذلك لا يجوز التصدق[٧] عليهم بخلاف الذمي، وهذا كله قول أبي حنيفة.

وقال الشافعي: نفقة الأقارب غير واجبة إلا من كان له ولاء.

وقال مالك: لا تجب إلا نفقة الوالدين والولد.

ولا خلاف بينهم أن القريب إذا لم يكن له دار رحم محرم لا تجب نفقته.

وقال الهادي (عليه السلام): كل قريب معسر تجب نفقته على من يرثه، وهو قول ابن أبي ليلى عند أبي حنيفة والشافعي وإذا كان للصغير مال فنفقته في ماله، وعند الهادي على الأب إذا أمكنه في جميع الأحوال، وعند الهادي لا يجوز نكاح الكافرة، ونفقتها فرع النكاح، ولا يتأتى هذا الفرع عنده.

(١) أن: حتى، ض.
(٢) أبيه: ابنه، د.
(٣) الأبوان: الأبوين، أ.
(٤) مسلمًا: مسلم؛ أ، د، ض.
(٥) فلا: لا، أ.
(٦) منها: منهما، أ.
(٧) التصدق: التصديق، أ.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

اللغة

النصرة: المعونة على العدو[1]، ونصره من استنصره: طلب المعونة.

والموطن: الموضع الذي يقيم فيه صاحبه، وجمعه: مواطن، وهو «**مَفْعِل**» من الوطن، ومحل الإنسان، وأوطان الغنم، مرابضها، وأوطنت الأرض: اتخذتها وطنًا.

الإعجاب: السرور بما يتعجب منه، والعجيب: الأمر يتعجب منه، وكذلك العُجَّابُ، والعجاب بالتشديد أكبر منه، وتعجبت من الشيء وأعجبني هذا الشيء لحسنه، وقد أعجب بنفسه.

والرَّحْبُ بالراء[2]: السعة، ونقيضه: الضيق، ومكان رَحْبُ[3]، ورحُبَتْ: وسعت، وقولهم مرحبًا أي أتيت سعة، ورَحْبُ الدار، ورُحْب بضم الراء وفتحها: ما اتسع منها.

والإدبار: الذهاب إلى جهة الخلف، ونقيضه: الإقبال الذهاب إلى جهة القدام.

والسكينة فَعِيلَةٌ[4] من السكون وهو الوداع والوقار، والسكن ما يسكن إليه.

والجند: الجمع يصلح للقتال، وجمعه: أجناد وجنود.

---

(١) العدو: ـ ، ض.

(٢) بالراء: الراء، ض.

(٣) رحب: رحبت، أ.

(٤) فعليه: فعلية، أ.

۞ الإعراب

«**يومَ**» نصب على الظرف[1]، وقيل: إنه عطف على «**مواطن**»، كأنه قيل: وفي حنين، فلما حذف الخافض نصب و«**حنين**» يجوز صرفه، وبذلك ورد القرآن؛ لأنه اسم لمذكر كزيد وعمرو، ويجوز ترك صرفه على أنه اسم للبقعة، قال الشاعر:

نَصَروا نَبِيَّهُم وَشَدّوا أَزرَهُ ... بِحُنَينَ يَومَ تَواكُلِ الأَبطالِ[2]

و«**ثم**» حرف عطف مع التراخي، وقد ذكرت في الآية في ثلاثة مواضع: «**ثم وليتم**» عطف على الفعل الأول ضاقت عليكم ثم توليتم.

الثاني: عطف على وليتم (**ثم أنزل الله**) (**ثم يتوب**)، وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي؛ لأنه يشاكله لا وعد بنعمة الله على تذكر نعمه، فأما في قوله: «**بما رحبت**» من المصدر؛ أي: برحبتها وسعتها.

۞ النزول

نزلت الآية في غزوة أوطاس، وذلك أنهم أعجبوا بكثرتهم، وذلك أنهم زادوا على عشرة آلاف على ما نبينه حتى قال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فبين الله ـ تعالى ـ أن الواجب الاتكال على النصر دون القلة والكثرة.

وقيل: لما أمر بقطع عصمة الكفار نزلت الآية بيانًا أنه يتولى المؤمنين قلوا أم كثروا، فلا يجب أن يوالوا الكفار لقرابة أو غيره.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بالقتال ووعد النصر عقبه بذكر ما أتاهم من نصره فقال سبحانه: «**لَقَدْ**» تأكيد للكلام «**نَصَرَكُمُ اللَّهُ**»: أعانكم على عدوكم «**فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**» مواضع قتالكم الذي أقمتم فيها لقتال العدو، وقيل: موطنون[3] فيها أنفسكم على لقاء

---

(١) الظرف: الصرف، ض.

(٢) قاله حسان، انظر: اللسان (حنن).

(٣) موطنون: متوطنون، أ.

عدوكم، وقيل: روي أن تلك المواطن ثمانون موطنًا عن أبي مسلم. وقيل: نصركم من وقت آدم إلى وقت محمد فلم يهلككم فيمن هلك وأخرجكم من خير أمة، حكاه الأصم وزيَّفه، قال: ليس بشيء «**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ**» أي: وفي اليوم الذي قاتلتم بحنين، وقيل: هو وادٍ بين مكة والطائف عن قتادة. وقيل: هو واد[1] إلى جنب ذي المجاز عن عروة بن الزبير. «**إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ**» وقيل: كانوا اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفين من الطلقاء عن قتادة. وقيل: كانوا أحد[2] عشر ألفًا وخمسمائة عن مقاتل.وقيل: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط عن الكلبي. والمشركون قيل: كانوا أربعة آلاف من هوازن وثقيف عن الكلبي. وقالوا: كانوا ستة آلاف عن الأصم. فأما إعجابهم فروي أن رجلاً من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة قال: لننغلب اليوم منقلة، فساء رسول الله قوله، وروي أن النبي قال ذلك، وليس بصحيح، «**فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ**» فتتكم «**شَيْئًا**» أي: لم تكفكم كثرتكم شيئا[3] وأصله الإغناء إعطاء ما يرفع الحاجة أي: كثرتكم شيئًا، وأصله[4] لم يعطكم شيئًا يرفع حاجتكم «**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**» أي: ليس فيها موضع يصلح لكم تفرون إليها من عدوكم مع كثرتكم ومع سعتها، وقيل: هو مثل لمن يبلغ الغاية في الحزن والخوف عن الأصم. «**ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**» أي: انصرفتم وراءكم هاربين عن عدوكم منهزمين، فبين الله ـ تعالى ـ أن الكثرة[5] لا تغني[6]، وإنما المغني نصر الله كما نصركم في مواطن مع قلتكم[7]، وخص يوم حنين بالذكر لما اجتمع من كثرتهم وما نالهم من الامتحان أولا ثم لما أتاهم النصر آخرا[8] كان الظفر لهم، وقيل: هربوا

---

(١) واد: واحد، ض.
(٢) أحد: إحدى، أ.
(٣) لم تكفكم كثرتكم شيئا: ـ ، أ، ض.
(٤) شيئا وأصله: -، د.
(٥) الكثرة: الكبر، أ.
(٦) تغني: يغني، أ.
(٧) قلتكم: قتلكم، ض.
(٨) آخرا: أخر؛ أ، د، ض.

وبقي معه ثلاثمائة عن الكلبي. وقيل: بقي أربعون نفسًا منهم: علي، والعباس، وأبو[1] سفيان بن الحارث، وابن أم أي من وقتل يومئذ، وكان رسول الله يكر على[2] العدو ولا يألو على بغلته الشهباء أهداها له فروة الحذامي، وقيل: بقي معه العباس عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث عن شماله، وشيبة بن عثمان خلفه، عن الأصم. ولا شبهة أن أمير المؤمنين لم يفر وكان يقاتل القوم، وروي أن في ذلك قال علي شعره:

قد قال إذا عمّمني العمامة أنت الذي بعدي[3] له الإمامة

«**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ**» قيل: رحمته التي تسكن إليها النفوس، وقيل: السكينة الوقار عن الحسن. «**عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**» يعني الملائكة، قيل: كانوا خمسة آلاف[4] من الملائكة مسومين عن سعيد بن جبير. وقيل: كانوا ثمانية آلاف[5] عن الحسن[6]. وقيل: ستة عشر ألفًا عن عطاء. وقيل: لم تقاتل يوم حنين وإنما قاتلت يوم بدر خاصة ولكن أتتهم تشجيعًا[7] ومددًا بالتنبيه والخاطر عن أبي علي. وقيل: حاربوا يوم حنين عن الأصم. قال القاضي: ولا يمنع إن جمعوا بين المحاربة وإلقاء الخواطر المقربة[8] للنفوس «**وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**» بالأسر والقتل وسلب الأموال مع الصغار والأولاد، وكان مع العدو مالهم ونساؤهم وذرياتهم فأسروا «**وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[9]**» أي: استحقوا ذلك على أفعالهم «**ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**» قيل: يلطف في توبته حتى يتوب، وعلقه بالمشيئة؛ لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب، فالله ـ تعالى ـ يفعله، ومنهم من لا لطف[10] له، وقيل:

(١) على: أبي، أ.
(٢) على: ـ ، ض.
(٣) بعدي: تعلى، ض.
(٤) آلاف: ألف، أ.
(٥) آلاف: ألف، أ.
(٦) على رسوله وعلى... عن الحسن: ـ ، ض.
(٧) تشجيعًا: مشجعا، أ.
(٨) المقربة: المعونة، ض.
(٩) الكافرين: الظالمين، ض.
(١٠) لطف: يلطف، ض.

توبته برحمته مع عظم ما تقدم من معصيته، وعلقه بالمشيئة؛ لأن فيهم من أسلم وفيهم من لم يسلم «**وَاللَّهُ غَفُورٌ**» لعباده يغفر ذنوبهم بالتوبة «**رَحِيمٌ**» بهم يدخلهم الجنة.

القصة

ذكر أصحاب التفاسير ونقلة السير، وزاد[١] بعضهم ونقص آخرون أن رسول الله (فتح مكة في شهر رمضان وخرج متوجهًا إلى حنين لقتال هوازن وثقيف، وعلى هوازن يومئذ مالك بن عوف النصيري، وعلى ثقيف: كنانة بن عبد يا ليل الثقفي، وقد أجمعوا لقتال المسلمين وتوجهوا إليهم ومعهم مالهم ونساؤهم وذراريهم، وفيهم دريد بن الصمة شيخ كبير، فدعا مالك بن عوف وقال: أين كليب وكلاب؟[٢] قال: لم نشهد منهم أحدًا، قال: لم يشهد الحل والحرم، قال: فما لي أسمع ثغاء[٣] الغنم ورغاء الإبل وبكاء الصبيان، قال: أحضرتهم معي لتكون الحرب عنهم، قال: أما علمت أن المنهزم لا يرده شيء، فلما التقى الجمعان قال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فساء رسول الله قوله، وخلى الله - تعالى - بينهم وبين عدوهم لإعجابهم، فانهزموا الجماعة على ما تقدم، وقيل: انهزمت الطلقاء بالناس يومئذ، عن قتادة. وبقي مع رسول الله (نفر، منهم العباس، وهو ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار، يا معشر أصحاب الشجرة، يا معشر سورة البقرة، ورسول الله فيمن لم يولي دبره يومئذ قال: والذي لا إله إلا هو لقد رأيته وأبو سفيان بن الحارث آخذًا بالركاب والعباس باللجام وهو يقول: «أنا النبي لا كذب[٤]، أنا ابن عبد المطلب[٥]»، فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا: لبيك لبيك، وتبارز الأنصار خاصة، وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله: «الآن حمي الوطيس» ثم أخذ كفًا من الحصا[٦] فرماهم بها وقال: «شاهت الوجوه».

---

(١) وزاد: وأزاد، أ.
(٢) كليب وكلاب: كلاب وكليب، د.
(٣) ثغاء: بغاء، ض.
(٤) لا كذب: لا يكذب، د.
(٥) أنا ابن عبد المطلب: أنا العباس بن عبد المطلب، ض.
(٦) الحصا: الحطا، ض.

وعن طلحة: فامتلأت أعينهم[١] من التراب وولوا منهزمين، وأمد الله المسلمين بالملائكة.

وعن سعيد بن المسيب قال: قال جدي ـ رجل كان في المشركين يوم حنين ـ قال: لما التقينا يوم حنين لم يقفوا لنا حلب شاة وكنا نسوقهم، فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ـ يعني رسول الله ـ تلقانا رجال بيض الوجوه، يقولون: شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا.

وعن شيبة بن عثمان وكان بقي معه: استدبرت رسول الله يوم حنين أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة قتلى يوم أحد، فأطلع الله رسوله على ما في نفسي، فالتفت[٢] إليّ وضرب في صدري وقال: «**أعيذك بالله يا شيبة**» فارتعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحب إليّ[٣] من سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله عن الأصم.

وأتى المشركون أوطاس وبها عيالهم وأموالهم، وبعث رسول الله إلى أوطاس رجلاً يقال له أبو عامر، وأمره على الناس، فاقتتلوا بها ثم هربوا، وسبى أموالهم وعيالهم، وهرب أميرهم مالك بن عوف، وأخذ أهله، وقتل أمير المسلمين أبو عامر[٤]، ثم أتى رسول الله الطائف من يومه[٥] وحاصرهم بقية الشهر، فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها السبي والأموال غنائم حنين وأوطاس، وأمر فنودي: «ألا لا[٦] توطأ الحبالى حتى يضعن، ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة» وأعطى المؤلفة قلوبهم أبا[٧] سفيان بن حرب وابنه معاوية، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو وجماعة من أهل مكة، فتكلم الأنصار في ذلك، قالوا:

(١) أعينهم: عيناهم، أ.
(٢) فالتفت: فالتف، ض.
(٣) إليّ: ـ ، أ، د.
(٤) أبو عامر: أبو عمر، ض.
(٥) من يومه: من فوره، د.
(٦) لا: ـ ، أ، د.
(٧) أبا: أبو، أ.

أسيافنا تقطر من دمائهم وغنائمنا ترد عليهم، فجمعهم رسول الله، وخطب، وقال: «**ما هذا الذي بلغني؟**» فقالوا: ما بلغك، وكانوا لا يكذبون، فقال: «ألم تكونوا ضلاّلاً فهداكم الله بي، وكنتم أذلة فأعزكم بي، وكنتم [وكنتم][1]» فقال سعد بن عبادة: ائذنلي يارسول الله فأتكلم، قال: تكلم، أما قولك: «كنتم ضلالاً فهداكم الله بي» فكذلك، وأما قولك: «كنتم أذلة[2] فأعزكم الله بي» فلقد علمت العرب ما كان حي أمنع لما وراء ظهورهم منا، فقال عمر رضي الله عنه: يا سعد أتدري مَنْ تكلم؟ فقال: «لو سلكت الأنصار واديًا والناس واديًا لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، الأنصار كرشي[3] وقرة عيني، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»، ثم قال: «يا معشر الأنصار، أما ترضون أن ينقلب الناس بالأثاث والنساء وتنقلبوا[4] برسول الله»، فقالت الأنصار: رضينا وما قلنا ذلك إلا منا بالله ورسوله، فقال: «نصدقكم ونعذركم»، فلما قدم المدينة قال: «أما إن خطيب الأنصار لو قال: كنت طريدًا فآويناك، وكنت خائفًا فأمناك، وكنت مخذولاً فنصرناك، لكان قد صدق»، فبكى الأنصار وقالوا: مَنُّ الله ورسوله أعظم علينا منا، ثم أقبلت جماعة من هوازن مسلمين، وقيل: أتاه ظئره [من بني سعد بن بكر] فبسط له إزاره وكلمه في السبايا والأموال، فخيرهم بين النساء والذراري والأموال، فاختاروا النساء والذراري، ورد عليهم ما أصاب هو وبنو هاشم[5]، ورد الناس إلا صفوان بن أمية كان وقع على امرأة فعلق منها[6] ولم يردها.

الأحكام

تدل الآيات على أن انقطاع المؤمنين واتكالهم يجب أن يكون على الله ـ تعالى ـ دون غيره.

---

(١) وكنتم: +، تفسير الطبري ١٤/ ١٨١.

(٢) أذلة: أذالة، أ.

(٣) كرشي: كرشتي، أ.

(٤) وتنقلبوا: تنقلبون، أ.

(٥) راجع تفسير الطبري ١٤/ ١٨١.

(٦) منها: فيها، ض.

وتدل على نزول الملائكة يوم حنين، وقد بينا ما قيل فيه.

وتدل على أن عظم الذنب لا يمنع قبول التوبة.

وروي أن بعض المشركين قالوا: أين أصحاب العمائم الصفر على الخيل البُلْق[١] لا نراهم، هم الذين هزمونا.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨﴾

القراءة

قراءة العامة: «**نجس**» على الواحد وأراد الجنس، وعن ابن السميقع: (أنجاس) على وزن أحبار على الجمع، ونَجِسْ بفتح النون وكسرها وجزم الجيم إلا أنه لا يكاد يذكر بكسر النون إلا مع رجس، يقال: رِجْسٌ نِجْسٌ، ونجس: مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، يقال: رجل نجس، وامرأته نجس، ورجلان نجس[٢]، ورجال نجس، وشيء نجس: أي فرد.

اللغة

العَيْلَةُ: الفقر، عال يعيل: إذا افتقر، قال الشاعر:

ومـا يَـدْرِي الـفَـقِـيـرُ مَـتَـى غِـنَـاهُ ولا يَـدْرِي الـغَـنِـيّ مَـتَـى يَـعِـيـلُ[٣]

وكلام عيال: رديء الإنكار، يكاد ينفد.

---

(١) البلق: الأبلق، أ.

(٢) نجس: نجسان، أ.

(٣) اللسان (عيل)، والصحاح (عيل).

۞ الإعراب

(ما) في قوله: «**إنما**» الكافة فمنع (إنّ) من العمل، و«**المشركون**» رفع بالابتداء و«نجس» خبره، تقديره: المشركون نجس.

۞ النزول

كان المشركون يجيئون إلى البيت بالطعام ويتبايعون، فلما منعوا من الحرم شق ذلك على المسلمين وخافوا انقطاع المتاجر، فأنزل الله تعالى: «**وإن خفتم عيلة . . .**» الآية عن مجاهد، وقتادة.

وعن ابن عباس: لما منعوا من الحرم ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن وقالوا: من أين نأكل وقد انقطعت الميرة عنا؟! فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية.

۞ النظم

قيل: الآية تتصل بقوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] فإنه أمرهم ليسيحوا في الأرض، ثم أمرهم بنفيهم عن الحرم، ثم أمر بقتلهم إن لم يسلموا عن الأصم.

وقيل: لما تقدم النهي منه عن ولاية المشركين[1] وأزال ولايتهم عن المسجد الحرام لكفرهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ٣٤] حظر[2] عليهم في هذه[3] الآية أن يقربوه، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**» قيل: أراد الوثني دون الكافر، وقيل: أراد كل كافر المشرك وأهل الكتاب سواء، وهو الوجه «**نَجَسٌ**» قيل: خبيث،

(١) المشركين: مشركون، ض.
(٢) حظر: حضر، أ.
(٣) عليهم في هذه الآية: عليهم هذه إلا أن، ض.

واختلفوا، فقيل: هو نجس العين عن عمر بن عبد العزيز، وقال: لا تصافح وهم فمن صافحم فليتوضأ، قالوا: يغسل اليد، وقيل: هم نجس من حيث لا يغتسلون ولا يَتَوضَّؤُونَ، وقيل: أراد تشبيههم بالنجاسة من حيث يجب تجنبهم وإبعادهم عن الحرم كما تقول: فلان كلب وخنزير، فجعل التشبيه مقدمة للمنع من الحرم، وهو الوجه؛ لأنه لا تزول نجاستهم بالغسل[1]، وإنما تزول بالاعتقاد، فعلمنا أنه تشبيه وليس بحقيقة للنجاسة، وقيل: وصفهم بذلك مبالغة في الذل وأنهم يستقذرون كالنجاسات ويهانون «**فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**» قيل: المراد المنع من الحج، وقد روي أن عليًا ـ عليه السلام ـ [حج] سنة تسع بالبراءة، وقال: لا يحج بعد هذا العام مشرك، وقيل: المراد منعهم من دخوله على طريق الولاية للموسم والعمرة ولذلك خصه[2] بالعام، وقيل: منع بالدخول أصلاً في المسجد، ويمنع من حضور الموسم ودخول الحرم عن أبي علي. وقيل: يمنع إلا أن يكون عبدًا أو أمة أو ذميًا عن جابر، وقتادة. وقيل: المراد الحربي، وقيل: «**الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**»، **قيل: أراد المسجد، وقيل: المسجد والحرم سواء كله مسجد عن عطاء، وأبي علي.** «**بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**» وهو سنة تسع من الهجرة السنة التي حج بالناس فيها أبو بكر، وقرأ علي آخر سورة براءة، وبعده حجة الوداع عن قتادة وغيره. «**وَإِنْ خِفْتُمْ**» أيها[3] المؤمنون «**عَيْلَةً**» فقرأ أو حاجة «**فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**» أي: يعطيكم الله من فضله ورحمته ما تستغنون به، وقد أنجز ما وعد، واختلفوا فيما أغنى به، فقيل: بالفيء والجزية عن الضحاك، وقتادة، والأصم. وقيل: أنزل عليهم المطر مدرارًا فكثر خيرهم عن عكرمة. وقيل: أسلم أهل جدة وصنعاء واليمن وحملوا الطعام إلى مكة عن مقاتل. وقيل: افتتحت البلاد وكثر الحاج، وجهزت إليها الأمتعة، وأمنت الطرق[4]، ومال الناس إليهم فوقعوا في الخصب «**إِنْ شَاءَ**» إنما شرط المشيئة، قيل: لأن منهم من لا يبلغ هذا

---

(١) بالغسل: للغسل، ض.

(٢) خصه: خاصه، أ.

(٣) أيها: عليه أيها، ض.

(٤) وأمنت الطرق: ومنعت الطعام، ض.

المدعو به عن أبي علي. وقيل: لأن ذلك الغنى لا يدوم لهم بل في وقت دون وقت عن الأصم. وقيل: لتنقطع الآمال إلى الله ـ تعالى ـ كقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧]، «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بالمصالح وتدابير العباد وكل شيء «حَكِيمٌ» فيما يأمر وينهى عن أبي علي. وقيل: عليم بحاجتكم لا يخليكم مع حكمته من فضله بتعويض ما فاتكم من هؤلاء الكفار، عن أبي مسلم.

الأحكام

تدل الآية على أن المشركين نجس، وقد بينا ما قيل فيه، والأصح أنه تشبيه وتوسع؛ لمنعهم أن يقربوا المسجد للعبادة، كما يقال: فلان كلب، فلا تكلمه.

وقد اختلف الفقهاء فيهم وفي سُؤْرِهِمْ.

فأما فيهم ففيه ثلاثة أقوال:

قيل: نجس العين، عن الحسن، وهو مذهب الهادي (عليه السلام) وجماعة من الزيدية.

وقيل: جنب محدث عن قتادة.

وقيل: إنه مشبه بالنجاسة، عن أبي علي.

وذهب أبو حنيفة إلى أنه طاهر، وهو قول الشافعي، واختيار السيد أبي الحسين، والمروي عن زيد بن علي.

فأما سؤره، فالأكثر على أنه طاهر، وذهب جماعة أنه نجس.

فأما دخولهم المسجد فاختلفوا فيه:

فقال أبو حنيفة: لا بأس أن يدخل أهل الذمة المسجد الحرام وسائر المساجد.

وقال مالك: لا يدخلون المسجد الحرام وسائر المساجد[1].

(١) وقال مالك لا... المساجد: ـ، ض.

قال الشافعي: لا يجوز أن يدخلوا المسجد الحرام، ويجوز أن يدخلوا[1] سائر المساجد.

وقال أبو علي وعطاء: يمنعون من الحرم كله.

وقول الشافعي أقرب إلى الظاهر إلا أن السنة وردت بما يدل على قول أبي حنيفة، فمن المشهور أن أبا سفيان دخل مسجد النبي وهو مشرك، وأنزل وفد ثقيف في المسجد، ولما فتح مكة التجؤوا[2] إلى البيت، وذكر علي بن موسى القمي[3] أن عليًا لما قرأ سورة براءة ونادى كانوا في الحرم ولم يمنعوا منه، دل على أن الآية في المنع من الحج والعمرة، أو تحمل على الحربي.

وذكر الأصم عن بعضهم أن الآية نسخت بقوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة:٢]، قال: وليس كذلك؛ لأنه لم يكن خروج المشركين إلى الحج بأمر الله فنسخه، إنما خرجوا بزوال لغير دين، فأمرهم بزوال الاعتراض[4].

قوله تعالى:

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾

اللغة

الجزاء: المكافأة، جزيت فلانًا أجزيه جزاءً، وأجزأت عنه: إذا كافأت، وقيل: جازيته جِزَاءً بكسر الجيم[5] إذا قابلته على فعله القبيح بمثله، ويقال: جزى يجزي إذا قضى، وتجازيت دَيْنِي إذا تقاضيته، والمتجازي[6] المتقاضي، وجزى عني[7] هذا

---

(١) يدخلوا: يدخل، أ.
(٢) التؤوا: التجأوا، أ، د، ض.
(٣) القمي: الفهمي، ض.
(٤) الاعتراض: الأعراض، ض.
(٥) الجيم: الميم، أ.
(٦) والمتجازي: المجازي، أ.
(٧) وجزى عني: وتحريك من، أ.

الأمر الأقل أي: قضي[١] ويتوب، وفي الحديث: «**لا يجزىء عن أحد بعدك**» أي: لا يقضى، ويقال: جزى عني بغير همز، وجزاه الله جزاء أي: قضاه الله ما أسلف، فإذا كان بمعنى الكفاية قلت: جزأ عني، وجزأ بالهمزة في الحرفين، والجزية «**فِعْلَةٌ**»، جزى يجزي، وهو مثل القعدة والجلسة، وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تمسكهم بالكفر وعقوبة لهم، واختلفوا مم أخذ، فقيل: من[٢] الجزاء؛ لأنه[٣] عقوبة على كفرهم وجزاء عن علي بن عيسى. وقيل: إنه من الإجزاء يعني الكفاية؛ لأنهم إذا أدوها أغنى[٤] عنهم واجتزى المؤمنون بها منهم، وتقويهم على ما هم عليه بأخذه، عن أبي مسلم. وقيل: إنها عبادة شرعية عن حق[٥] مخصوص تؤخذ من أهل الكتاب، فكما المأخوذ من المسلم يسمى زكاة فالمأخوذ من الكافر يسمى جزية، وكما أن الزكاة تحتاج إلى بيان كذلك الجزية.

والدين في الأصل الطاعة[٦]، يقال: دان له بدينه دينًا إذا أطاعه، ثم يستعمل الدين في الجزاء، والدين: الحساب، والدين ما يدان به، والدين: العادة.

والصَّغَار: النكال الذي يصغر مقدار صاحبه، صَغُرَ يَصْغُرُ صغارًا، وهو صاغر.

۞ الإعراب

«**دين الحق**» أضاف الاسم إلى الصفة، وتقديره: لدين الحق، كما يقال: مسجد الجامع.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية حين أمر رسول الله بحرب الروم، فغزا بعد نزولها غزوة تبوك، عن مجاهد.

---

(١) قضي: يقضي، أ.
(٢) من: ـ، ض.
(٣) لأنه: لا أنه، ض.
(٤) أغنى: أعتب، أ، د، ض.
(٥) حق: ـ، ض.
(٦) الطاعة: والطاعة، ض.

وقيل: نزلت في قريظة والنضير من اليهود، فأراد رسول الله أن يصالحهم فكانت أول جزية أصابها[1] أهل الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين عن الكلبي.

وقيل: نزلت في اليهود في جزيرة العرب.

وقيل: هو على العموم.

المعنى

لما تقدم الأمر بقتل المشركين بين بعده من يجوز تبقيته بالجزية، فقال سبحانه: «**قَاتِلُوا**» أي حاربوا «**الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**» يعني لا يؤمنون بتوحيد الله وعدله وصفاته ولا بالبعث ويوم القيامة.

ومتى قيل: كيف وصف أهل الكتاب بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وعدله وصفاته مع إقرارهم بها[2]؟

فجوابنا: فيه أقوال:

الأول: على طريق الذم؛ لأنهم[3] بمنزلة من لا يقر به في عظم الجرم، كما أنهم بمنزلة المشرك في عبادة الله بالكفر.

وقيل: أراد أنهم لا يؤمنون كما يؤمن المؤمنون؛ لأن أكثر اليهود مشبهة، والنصارى يقولون بالتثليث، فليس ما قالوا بإيمان، عن أبي علي.

وقيل: لأن إقرارهم من غير معرفة، فليس بإيمان، وإنما ذكرهم بجميع هذه الصفات حثًا[4] على قتالهم.

«**وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**» يعني ما حرمه في شريعة الإسلام، وقيل: أراد استحلالهم لما استحلوا من الأشياء التي حرموها من التوراة وأخذهم للرشا على حكم

---

(١) أصابها: أصابه، ض.

(٢) بها: بهما، أ.

(٣) لأنهم: لأنهما، أ.

(٤) حثًا: حتى، ض.

الله، وأكلهم السحت الربا «**وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**» وقيل: أراد الدين الحق وهو الإسلام، وقيل: الحق هو الله ودينه الإسلام، عن قتادة. «**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**» يعني اليهود والنصارى؛ لأنه ـ تعالى ـ ميز بين المشركين وأهل الكتاب، فحكمه في المشركين القتل أو الإسلام، وفي أهل الكتاب أخذ الجزية «**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ**» يعني الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعًا للقتل «**عَنْ يَدٍ**» أي: بالنقد من يده إلى يد مَنْ يدفعه إليه من غير ناقل(١) كما يقال: كلمته فَمًا لِفَم(٢) وقيل: «**عن يد**» عن ذل بأن تكون يد المسلم فوق يدهم، وقيل: عن قهر لهم وقدرة لكم عليهم(٣)، كما يقال: اليد لفلان، وقيل: نقدًا لا يمهلون ولا يؤخرون كما يقال في الربا: يدًا بيد، عن أبي مسلم(٤). وقيل: نعمة عليه منكم(٥) في قبول المال واستيفائه، عن أبي علي. وقيل: يدًا أن يعطوه(٦) بأيديهم يمشون لا ركبانًا ولا برسالة عن ابن عباس، وأبي علي. وقيل: يعطونها على كره منهم عن أبي عبيدة. «**وَهُمْ صَاغِرُونَ**» ذليلون مقهورون(٧)، وقيل: يعطيها قائمًا والآخر جالسًا، عن عكرمة، وأبي علي. وقيل: الصغار: إعطاء الجزية لا بسبب حقن دمائهم، وقيل: الصغار أن تجري عليهم أحكام المسلمين، وقيل: هو أنه لا تقبل فيها رسالة ولا وكالة، يوجأ: توحي(٨) في رقبتهم عند أخذ الجزية، عن الكلبي، وقيل: أراد أن يعلنوا الإقرار بها وبدفعها، وفيه إذلال، عن الأصم.

❁ الأحكام

الكلام في هذه الآية من ثلاثة أوجه:

---

(١) ناقل: ثابت، أ.
(٢) فما لفم: فما يعم، ض، لفهم، أ.
(٣) عليهم: عليكم، ض.
(٤) أبي مسلم: أبي علي، ض.
(٥) نعمة عليه منكم: عن نعمة منكم عليه، د.
(٦) يعطوه: يعطونه، أ.
(٧) مقهورون: مقهمون، ض.
(٨) توحي: يوجاء؛ د، ض، أ.

أولها: دلالات الآية.

وثانيها: أحكام عقلية.

وثالثها: أحكام شرعية.

فأما **دلالات الآية** فعلى وجوه: منها تدل على وجوب قتال الكفار.

وتدل على أن قتالهم يجب إلى غاية وهو أن يعطوا الجزية.

ويدل قوله: «**وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**» أي دين اليهود والنصارى ليس بحق، إما لأنه منسوخ أو لأنه محرف.

وتدل على أن دين الإسلام هو الحق.

وتدل على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب واستبقائهم بها.

وتدل على أن[1] ما ضرب عليهم من الجزية فيه صغار وذلة لهم.

وتدل على أن بالإقرار ببعض الدِّين لا يصير به مؤمنًا، لذلك جعل أهل الكتاب من الذين لا يؤمنون.

وأما الأحكام العقلية:

فأولها أن يقال: كيف يجوز ترك قتالهم مع وجوبه وقد ورد الوعيد في تركه ولأنه المستحق على كفرهم بما يدينون من الجزية؟ وكيف أُقِرُّوا[2] على الكفر وشرب الخمر وأكل الخنزير بمال يبذلونه؟ وبعد فقد قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]، ثم خص في إقرارهم على غير ذلك باليسير من المال؟ قالوا: وإذا لم يجز إقرار[3] المسلم[4] على المعصية ببذل يبذله فكيف يجوز في الكفر وهو أعظم من كل ذنب؟! وبعد فإن أخذ الجزية منهم كالرخصة في بقائهم على الكفر وهذا لا يجوز؟!

---

(١) وتدل على أن: وتدل على جواز على، ض.

(٢) اقروا: أقرا، ض.

(٣) إقرار: فرار، أ.

(٤) المسلم: المسلمين، أ، د، ض.

والجواب: أن هذا السائل لا يخلو إما أن يسلم أن للعالم صانعًا حكيمًا وأنه يبعث الرسل ويتعبد، وأنه حكيم فيما تعبد به لا يتعبد إلا بالمصلحة أو لا يسلم ذلك، فإن لم يسلم وهذا فرع ذلك، فيجب أن نكلمه في ذلك الأصل، وإن سلم فجوابنا أن ذلك مصلحة، إما لهم، وإما لنا، وإما للفريقين، ولا يجب أن تعرف[1] تفصيل المصلحة؛ لأن العلم بالجملة يغني عن التفصيل، كما أن من علم عذابه وحكمته لا يسأل عن تفصيل تدابيره.

وبعد، فإن قتله إياس من التوبة وختم بالعقوبة، وإذا ترك بالجزية مع الدين كان أقرب للإقلاع من الكفر[2]، وإذا أخذناه منه صغارًا كنا أقرب إلى الشكر، فهو لطف لهم ولنا، فهذا وجه من المصلحة في الدين.

فأما في الدنيا ففيه مصلحة عظيمة؛ لأن الجزية إذا اجتمعت كان فيها نفع عائد على المسلمين، ووجوه المصالح.

وبعد فإنهم متى أمنوا بالجزية كان ذلك باعثًا لهم على الدين لأجل المخالطة والمذاكرة ومما ترد عليهم من الحجج وحل الشبه وما يرون من عز الإسلام وأهله، وذل الكفر وأهله، فيكون أصلح من أن يكون في دار الكفر ويقتل.

فأما تعظيم الكفر فليس لأحكام الدنيا إنما يعظم[3] لأمر يرجع إلى العقوبة، وإنما يعيد الله ـ تعالى ـ نعمه على عباده، فمن أحسن فإلى نفسه، ومن أساء فَعَلَيْهِ[4]، ولا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، فإذا علم الله ـ تعالى ـ أن الأصلح يبقيهم بالجزية تعبدًا به.

وبعد فإن قتلهم[5] لا يجب عقلاً، ويجوز تبقيتهم بغير بدل فينزل أولاً، ولا

(١) تعرف: تعريف، ض.
(٢) الكفر: الكفار، ض.
(٣) يعظم: ويعظم، ض.
(٤) فعليه: إليه، أ، فإليها، د، ض.
(٥) قتلهم: قلتم، ض.

يقال: إنه رَضًى أو رضًا منه إذا بذلوها[1]؛ لأن ذلك عقوبة لا رضا، ولو كان رضا لكان كالإسلام.

ولا يقال: إذا كان أداؤه واجبًا عليهم كانت عبادة؛ لأن العقوبات قد تجب فلا يقال: هل يحسن منه بدله ليتقوى[2] على الكفر حتى يحسن منا أخذه، ولأنه يجوز أن يحسن منهم أيضًا، ويجوز أن يقبح ويحسن منا، وسنبين ذلك.

وقيل: وثانيها: قالوا: لماذا فرق بين كفر وكفر في الجزية والعلة واحدة؟

قلنا: لأن المصالح تختلف وإنما يعلم تفاصيلها علام الغيوب، فلا يمتنع أن تكون المصلحة للكتابي[3] في أخذ الجزية منه دون غيره، وإذا كانت المصلحة في المرتد القتل دون غيره جاز في الكافر الأصلي أن تختلف.

وبعد، فإنهم إذا تمسكوا بكتاب وأقروا بالله جاز أن يختلف حالهم مع من يشرك ولا يقر بكتاب.

وثالثها: قالوا: كيف يحسن من الإمام أخذها[4] والمطالبة بها؟ وكيف يريد دفعها؟ وكيف يريد دفع الجزية ولا يريد المقام[5] على الكفر؟ وكيف يدفعون الجزية؟ وإذا قلتم: إنه بالجزية يحقن دمه كالإسلام فهلا قلتم: إنه مخير بين الإسلام وبين الجزية؟

قلنا: أما دفعهم للجزية فلإزالة القتل وإزالته تحسن، وهو مدفوع إلى ضررين: القتل والجزية، فواجب عليه دفع الضررين بأخفهما كما يحسن منهم دفعه على هذا الوجه فكذلك يحسن من الإمام أخذه تركًا للقتل؛ لأن ترك قتله من غير[6] بدل جائز، فمع[7] البدل أولى.

---

(١) بذلوها: بدلوها، أ.
(٢) ليتقوى: ليقوى، ض.
(٣) للكتابي: للكتابين، ض.
(٤) أخذها: أخذه، ض.
(٥) المقام: المكان، د.
(٦) غير: غيره، د.
(٧) فمع: فمنع، ض.

فأما أن يقال: إنه يدفع بينهم التمسك بالكفر أو يأخذه الإمام كذلك، فقياس[١] فاسد[٢] وقبيح ومعصية، فلا يجوز، فإن يأتوا[٣] ذلك فقد أتوا بقبيح، فأما الإمام فلا ينوي إلا إزالة[٤] القتل.

وقوله: إنه يصير كالإسلام.

قلنا: هي لإزالة القتل، والإسلام لإزالة العقوبات، فإن أحدهما غير[٥] الآخر ولا يؤدي إلى التخيير.

ورابعها: قالوا: لم لا يجوز تقريرهم بغير جزية؟

قلنا: لكونه أصلح، وهو[٦] أعلم[٧] بالمصالح، ولأن[٨] بقاءهم[٩]على الإذلال والإصغار أدعى لهم إلى الإسلام، وعلى خلافه أَدْعى إلى الكفر، ولأن فيه صلاحا لهم لاستبقائهم، وصلاحًا لعامة المسلمين فيما يؤخذ منهم، ولهذا ميزوا بوجوه من الدين وغيره لطفًا لهم في ترك الكفر ولطفًا لنا في الشكر.

وخامسها: قالوا: إذا امتنعوا من أداء الجزية فكيف حالهم؟

قلنا: إذا كان القتل سقط عنهم لأجل الجزية فإذا لم يعطوها اقتضى إباحة قتلهم، ولأنه بدل على ذلك.

فأما **الأحكام الشرعية** ففصول:

أولها: مَنْ أهل الكتاب؟

وثانيها: مَنْ تؤخذ منه الجزية ومن لا تؤخذ؟

---

(١) فقياس: فقاس، ض.
(٢) فاسد: ففاسد، د.
(٣) يأتوا: يؤوا، د، يؤتوا، أ.
(٤) إلا إزالة: الإزالة، ض.
(٥) غير: من، أ.
(٦) وهو: واهو، ض.
(٧) أعلم: العالم، د.
(٨) ولأن: فلأن، ض.
(٩) بقاءهم: قامهم، أ، د، ض.

وثالثها: الجزية ما هي؟

ورابعها: قدر الجزية.

وخامسها: بماذا أسقط[1] الجزية؟

أما الأول: لا خلاف أن اليهود والنصارى من أهل الكتاب، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام:١٥٦]، فأما المجوس فليسوا من أهل الكتاب عند أبي حنيفة وأصحابه، وهو قول الهادي (عليه السلام)، وقال الشافعي: كان لهم كتاب فسئلوا[2] لما أقدم بعض ملوكهم على[3] تزويجه بأخته في حديث طويل، وذلك بَيِّنٌ أنهم ليسوا بأهل كتاب[4]، ولا خلاف أنهم تؤخذ منهم الجزية لا بالآية لكن بالسنة، وهو ما روى علي وعبد الرحمن بن عوف أن النبي أخذ[5] الجزية من مجوس هجر، وقوله: «**سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم**» فحكم عمر بذلك بعد التوقف، فأجمعت الصحابة على ذلك.

وأما الفصل الثاني: أنه يؤخذ من المجوس على ما بينا، فأما عبدة الأوثان من العجم فيجوز أخذ الجزية منهم[6] وكذلك كل كافر سوى مشرك العرب، وقال الشافعي: لا يجوز أخذ الجزية منهم، فأما عبدة الأوثان من العرب فلا يجوز استرقاقهم ولا أخذ الجزية منهم بالاتفاق، فأما الصابئة فيجوز أخذ الجزية منهم، وإنما تؤخذ من الرجال الأحرار المغتلمين دون النساء والصبيان والعبيد؛ لأنها بدل عن[7] إزالة القتل، فمن لم[8] يقتل لم[9] تؤخذ منه الجزية، فأما الفقير الذي لا[10] كسب له فلا جزية عليه عندنا وقال الشافعي في كتاب الجزية: تجب عليه، واختلفوا في

(١) بماذا أسقط: فيماذا سقط، ض.
(٢) فسئلوا: فسؤلوا، أ، د، ض.
(٣) على: من، أ.
(٤) كتاب: كتابة، ض.
(٥) أخذ: أن، ض.
(٦) منهم: عنهم، أ.
(٧) عن: على، أ، د.
(٨) لم: لا، ض.
(٩) لم: لا، ض.
(١٠) لا: ـ، ض.

استيفائه[1]، فمنهم من قال: تكون دَيْنًا، ومنهم من قال: يستوفون بآخر[2] الحول أو يُرَدُّون[3] إلى دار الحرب. فأما المرتد فلا يجوز أخذ الجزية منه، والاسترقاق لكل كافر إلا الرجال من عبدة الأوثان من العرب.

فأما الفصل الثالث: فعندنا الجزية عقوبة، وقال أصحاب الشافعي: إنه بدل حقن الدم، ومنهم من قال: بدل سكناهم في دارنا وكونها[4] صَغارًا وبدلاً عن إزالة القتل يدل على أنها عقوبة.

فأما قدر[5] الجزية وهو الفصل الرابع: فقد اختلفت الروايات عن السلف، وعند أبي حنيفةهم على ثلاث طبقات: يؤخذ[6] من الغني ثمانية وأربعون درهمًا، ومن المتوسط أربعة وعشرون، ومن الفقير المعتل اثنا عشر درهمًا اتباعًا لما جعله عمر بحضرة الصحابة فصار كالإجماع، وقال الشافعي: هي مقدرة بدينار يستوي فيها الغني والفقير، ومنهم من قال: هو موقوف على اجتهاد الإمام، فكذلك اختلف الصحابة، فاختلف عمر فيه.

فأما الفصل الخامس: فلا خلاف أنه بالإسلام[7] تسقط، وإنما اختلفوا في السنين الماضية، فاختيار[8] أبي حنيفة تسقط، وهو اختيار القاضي، وكذلك تسقط بالموت؛ لأنه وصف بصفة لا تليق بالميت[9] وهو الصغار، وقال الشافعي: لا تسقط لا بالإسلام ولا بالموت، وعلى هذا إذا لم يؤد حتى مضت السنة، فقال أبو حنيفة: تسقط، وقال أبو يوسف ومحمد: تؤخذ بما مضى، واختلف فقال أصحابنا: تجب

(١) استيفائه: استبقائه، أ، د، ض.
(٢) بآخر: بأحد، ض.
(٣) يردون: يرد، أ.
(٤) وكونها: كونهم، أ.
(٥) قدر: فرد، ض.
(٦) يؤخذ: تؤخذ، أ.
(٧) بالإسلام: بلامس، ض.
(٨) فاختيار: فاستدل، ض.
(٩) بالميت: بالأمس، أ؛ بالإمس، ض.

الجزية بأول السنة وتستوفى في السنة كلما مضى شهر أو شهران تستوفى بقدره، وقال الشافعي: تجب بآخر السنة وهذا فرع على أنها[١] بدل[٢] عن ماذا؟، فعندنا بدل عن إزالة القتل وقد حصل فوجبت الجزية.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وعبد الوارث عن أبي عمرو: «عزير» بالتنوين[٣]، والباقون بغير تنوين، فمن نَوَّنَ قال: لأنه اسم خفيف فصرف[٤] وإن كان أعجميًا مثل: نوح، ولوط، وهود.

وقال المبرد وأبو حاتم: الاختيار التنوين؛ لأنه ليس بصفة و«ابن» موضع الخبر، وليس بنعت.

وقال أبو عبيدة هذا ليس بمنسوب إلى أبيه، وإنما هو كقولك: زيد ابن الأمير، فـ (عزيرٌ) مبتدأ، وما بعده خبر له.

---

(١) أنها: أنه، أ.

(٢) بدل: نزل، أ.

(٣) حجة القراءات ٣١٦.

(٤) فصرف: فيصرف، د.

ومن ترك التنوين ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: لأنه أعجمي معرفة.

و[1] الثاني: (ابن) هذا صفة والخبر محذوف تقديره[2]: معبودنا أو نبينا عزير ابن الله، عن الزجاج.

الثالث: حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيهًا بحرف اللين عن الفراء، وذلك أن النون ساكنة من عزير، وهو نون التنوين، والباء ساكنة وحذفت للتخفيف، وأنشد الفراء:

فَـأَلْـفَـيْـتُـهُ غَـيْـرَ مُـسْـتَـعْـتِـبٍ ... وَلاَ ذَاكِـرَ الـلـهَ إِلاَ قَـلِـيـلاَ[3]

وهذا الوجه للضرورة عند سيبويه.

وقرأ عاصم وحده: «**يضاهئون**» بالهمز وكسر الهاء، والباقون بغير همز وضم الهاء وهما لغتان، يقال: ضاهيته وضاهأته.

اللغة

المضاهاة: مشاكلة الشيء بالشيء، ومنه: امرأة ضهياء: التي[4] لا تحيض[5]، أي: أشبهت الرجال، وجمعها: ضُهْيٌ بضم الضاد، وسكون الهاء.

والإفك: الكذب، أَفِكَ: كذب، إفكًا بكسر الهمزة، وكل أمر صرف عن وجهه فقد أُفِكَ، وأَفِكْتُهُ عن الشيء: صرفته، أَفْكًا بفتح الهمزة، وأفكت الأرض: صرف عنها المطر، فلا نبات بها. وائتفكت[6] البلدة: انقلبت[7]، والمؤتفكات: الرياح، تختلف مهابها.

---

(١) و: ـ، ض.
(٢) تقديره: بتقدير، د.
(٣) تهذيب اللغة (عتب)، والمحكم (عتب)، واللسان (عتب)، وتاج العروس (عتب).
(٤) التي: الذي، ض.
(٥) تحيض: تحيط، ض.
(٦) وائتفكت: انتقلت، أ.
(٧) انقلبت: انقلبة، أ.

والحَبْر: العالم الذي صنع عنه تحبير المعاني بحسن البيان عنها، وحَبر وحِبر بفتح الحاء وكسرها وهما لغتان، عن الفراء، وزعم يونس الحربي[1] أنه لم يُسْمَعْ فيه إلا كسر الحاء، وليس كذلك، هما لغتان، وجمعه: أحبار وحبور، والحِبر بالكسر: الجمال، ومنه: ذَهَبَ[2] حِبْرُهُ وسِبْرُهُ، والحِبْر: ما يكتب به، والمُحَّبرُ بفتح الباء الشيء المزين، ومنه قيل محبر للشاعر.

والراهب: أصله من الرهبة وهي الخشية، راهب ورهبان نحو فارس وفرسان.

۞ الإعراب

نصب «**المسيح**» بـ(اتخذ) تقديره: واتخذوا المسيح ربا، فهو عطف بالأحبار والرهبان، و(مريم) لا ينصرف.

۞ النزول

قيل: أتى رسول الله جماعة من اليهود بسلام بن مشكم[3]، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت ملتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله، عن ابن عباس، ونزلت الآية.

۞ المعنى

ثم أخبرنا ـ تعالى ـ بسر من أسرار اليهود فضحوا[4] به، أخذوه[5] عن أسلافهم، حثًا[6] على قتلهم وعداوتهم فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قيل: القائل به جماعة منهم، عن ابن عباس. وقيل: قائله رجل واحد يقال له: فنحاص،

---

(١) الحربي: الحرامي، د.

(٢) ذهب: رهب، أ.

(٣) مشكم: مسلم، ض.

(٤) فضحوا: فيصيحوا، أ.

(٥) به أخذوه: بها أخذوها، ض.

(٦) حثًا: حث، ض.

وهو الذي قال: إن الله فقير ونحن أغنياء، عن عبيد بن عمير. وقيل: طائفة قالت ذلك كما يقال: الخوارج تقول بتعذيب الأطفال، وإنما تقوله[1] الأزارقة، ولا معنى لإنكار اليهود؛ لأن قول الله أصدق، ولو لم يظهر هذا القول منهم لوجب الحكم بأنهم يدينون سرًا، فكيف وقد ظهر، وقيل: كان ذلك مذهبًا لهم فتركوها، وروي أنهم تواطؤوا[2] على تركه لقبحه، وروي عن ابن عباس أن «بختنصر» لما ظهر على بني إسرائيل وهدم بيت المقدس، وقتل[3] حفاظ اليهود للتوراة، وأحرق ما وجد، وعزير إذ ذاك صغير، فاستبقاه، فلما مات عزير ببابل ورجعت[4] بنو إسرائيل إلى بيت المقدس لم يجدوا حافظًا للتوراة، ومكث عزير مائة عام ثم بعثه الله آية ومعجزة وكذبوه في أنه عزير، وسألوه أن يكتب لهم التوراة إن كان صادقًا، فكتب لهم، ثم وجدت التوراة مدفونة فعورض ما كتبه بها فلم يغادر منها شيئا[5]، فعند ذلك زعموا أنه ابن الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله عن الكلبي. وذكره القاضي[6]، وقيل: لما أضاعوا حكم الله ونسوا[7] التوراة ورفع التابوت من نبيه وعزير من علمائهم، فبينا يصلي إذا فيل برز من السماء فدخل جوفه فعاد حفظ التوراة، فأذن في قومه وقال: إن الله ـ تعالى ـ آتاني التوراة، فلما أتاهم التابوت عارضوه بها فوجدوه مثله، فقالوا: عزير ابن الله، عن ابن عباس. وقيل: لما غلبت العمالقة عليهم هرب علماؤهم ودفنوا التوراة وعزير غلام يتعبد ويدعو الله ويبكي ويقول: تركت بني إسرائيل بغير عالم، فأكرمه الله وأعطاه التوراة، فقال: يا[8] بني إسرائيل جئتكم بالتوراة، فلما رجع العلماء واستخرجوا ما دفنوا وجدوه مثل ما أتى به عزير، فقالوا: هو ابن الله، عن السدي.

---

(١) تقوله: تقول هو، ض.
(٢) تواطؤوا: أنه تواطؤا، أ.
(٣) وقتل: قيل، أ.
(٤) ما وجد وعزيز . . . ورجعت: ـ ، ض.
(٥) شيئًا: شيء، أ.
(٦) القاضي: قاضي، ض.
(٧) ونسوا: نسبوا، أ.
(٨) بني إسرائيل بغير . . . يا: ـ ، ض.

«وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» قيل: كانت النصارى بقيت على دين عيسى (عليه السلام) إحدى وثمانين[1] سنة بعد رفع عيسى، ثم اختلفوا ثلاث فرق: فمنهم النسطورية أصحاب نسطور، واليعقوبية، أصحاب[2] يعقوب، والملكانية[3] يقال: نسبوا إلى رجل يقال له[4]: ملكًا، وقيل: هم أهل دين الملك، فأما أقاويلهم فاتفقوا أنه جوهر واحد لثلاثة[5] أقانيم: أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس[6]. فاليعقوبية زعموا أن مريم[7] ولدت إلهًا وأن عيسى ابن الإله، والنسطورية تزعم أنه أب وابن وروح القدس[8]، فجعل المسيح ابن الملك، والملكانية تزعم أن الابن اتحد[9] به، فمذهب الجميع يرجع إلى ما حكى الله عنهم.

«ذَلِكَ» يعني ما قالوه في المسيح «قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ» يعني هو قول غير صحيح لا يجاوز الفم ليس عليه حجة وبرهان ولا له صحة، وقيل: لم يذكر قولاً مقرونًا بذكر الأفواه إلا وكان ذلك القول زورًا كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، «يُضَاهِئُونَ» يشابهون عن ابن عباس. وقيل: يوافقون عن الحسن. «قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: من عبدة الأوثان عن ابن عباس. وقيل: في عبادتهم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى عن مجاهد. وقيل: فيقولهم: الملائكة بنات الله، وقيل: في تقليدهم أسلافهم، هذا القول عن الزجاج. وقيل: صاحب النصارى في قولها: المسيح ابن الله قول اليهود «مِنْ قَبْلُ» عزير ابن الله، عن قتادة، والسدي. وقيل: شبه كفر هؤلاء بكفر من مضى من الأمم لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨]، عن الحسن. وقيل: من عصر النبي

(١) وثمانين: ثمانون، أ.
(٢) رام: +، د.
(٣) والملكانية: المليكية، د.
(٤) له: ـ، ض.
(٥) لثلاثة: ثلاثة، أ، د، ض.
(٦) القدس: المقدس، ض.
(٧) زعموا أن مريم: زعمت أن مريم زعمت، ض.
(٨) القدس: المقدس، ض.
(٩) اتحد: اتخذ؛ أ، د، ض.

(من اليهود والنصارى، قالوا ما قال أوائلهم. عن القتيبي. «**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ**» تعجب وإنكار، وفيه أربعة أقوال: قيل: لعنهم الله عن ابن عباس، وقيل: قتلهم الله كقولهم: عافاه الله أي: أعفاه الله من السوء، عن ابن جريج. وقيل: إنه كالمقاتل لغيره في عداوة الله، وقيل: هو تكليف لنا[1] أي: العنوهم[2] «**أَنَّى يُؤْفَكُونَ**» قيل: كيف يصرفون عن الحق إلى الإفك والكذب، كأنه قيل: الأمر داع، مالوا إلى ما ذلك، وقيل: كيف يصرفون عن الحق إلى الضلال وهذا وإن[3] كان لفظه بما لم يسم فاعله فليس يراد أن غيره فعل به وهو كقولهم: فلان معجب بنفسه.

«**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ**» علماءهم[4] «**وَرُهْبَانَهُمْ**» قراءهم، وقيل: الأحبار علماء اليهود، والرهبان علماء النصارى عن أبي علي. «**أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**» قيل: سادة، وقيل: معبودًا، وقيل: بقبولهم[5] منهم التحليل والتحريم خلاف ما أمر الله ـ تعالى ـ فيما يروى عن النبي، وهو قول أبي علي. وقيل: في طاعتهم في معاصي الله، وقيل: معناه كالأرباب حيث أطاعوهم، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كالنار، وقيل: النصارى غلت في تعظيم علمائهم حتى سجدوا لهم «**وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**» يعني كما اتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا كذلك اتخذوا المسيح بعطف خطأ منهم على خطأ، وكُفْرٍ[6] على كفر.

وعن عدي بن حاتم قال: انتهيت إلى النبي وهو يقرأ هذه الآية فقلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه»؟ قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»[7].

«**وَمَا أُمِرُوا**» يعني اليهود والنصارى «**إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا**» يعني معبودًا واحدًا

(١) لنا: لهم، ض.
(٢) العنوهم: العنوة، د.
(٣) وهذا وإن: وهو أو إن، ض.
(٤) علماءهم: علماؤهم، أ.
(٥) بقبولهم: يقبلوهم، ض.
(٦) وكفر: وكقول، ض.
(٧) سنن البيهقي الكبرى، رقم ٢٠١٣٧.

وهو الله ـ تعالى ـ «**لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**» أي: لا تحق العبادة إلا له، ولا يستحق الإلهية غيره «**سُبْحَانَهُ**» تنزيهًا له عما يقولون وعما لا يليق به «**عَمَّا يُشْرِكُونَ**» عن شركهم، أي يشركون في العبادة غيره.

الأحكام

تدل الآية على أن في اليهود والنصارى من يثبت الابن[(١)] لله ـ تعالى ـ وهذا في النصارى ظاهر، وقولهم بالتثليث، فأما اليهود فقيل: لما اختلطوا بالمسلمين تركوا ذلك لقبحه.

وتدل أن هذا القول باطل.

وتدل أن مثل هذا القول وقع ممن قبلهم، فتدل على أن المشبهة بهذه المنزلة؛ لأنها تعبد جسمًا مصورًا فضاهت عابد الوثن في ذلك.

ومتى قيل: كيف تقع مثل هذه الشبهة حتى يثبتوا أن لله ولدًا؟

قلنا: لقلة التدبير والاسترواح إلى التقليد والسنة، ولو نظروا لعلموا أنه ليس بجسم؛ إذ لو كان جسمًا لصحّ[(٢)] منه فعل الجسم، وإن لم يكن جسمًا لم يجز عليه مثل هذه الأشياء.

قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

اللغة[(٣)]

الإطفاء: إذهاب نور النار في الأصل، ثم يستعمل في إذهاب كل نور، يقال: أطفأت النار، وطفئت هي.

---

(١) الابن: والابن، ض.
(٢) لصح: لما صح، أ.
(٣) اللغة: ـ ، ض.

والأفواه: جمع، واحدها فَمٌ في الاستعمال، وفُوهٌ في أصل[1] الكلام، إلا أن الهاء حذفت، وأبدلت من الواو ؛ لأنه حرف صحيح من مخرج الواو ومشاكل لها.

والإباء: الامتناع مما طلب، أبيت الشيء أأباه، وهو أَبِيٌّ، وأَبَيَان، قال الشاعر:

وإن أرادوا ظـلـمـنـا أبـيـنـا[2]

والتمام: الكمال، أتم الشيء يُتِمُّ إذا أكمله، وتم هو.

والظهور: الغلبة، والإظهار التغليب والإظفار، عن أبي مسلم.

۞ الإعراب

دخلت «إلا» لأن في (أَبَيْت) طرفًا من الجحد، تقول: أبيت أن[3] أفعل كذا، فيكون بمنزلة كذا لم أفعل، وفيه حذف[4]، وتقديره: ويأبى[5] الله كل شيء إلا أن يتم نوره، قال الشاعر:

وَهَـلْ لِـيَ أُمٌّ غَـيْـرُهَـاَ إِنْ تَـرَكْـتُـهَـا   أَبَـىَ الـلـه إِلاَّ أَن أكـون[6] لَـهَـا ابْـنَـا[7]

۞ المعنى

ثم بيّن ـ تعالى ـ ما يقصده المشركون وما يبشر الله ـ تعالى ـ نبيه، فقال سبحانه: **«يُرِيدُونَ»** يعني من تقدم ذكره من الكفار **«أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ»** قيل: يبطلوا نور الله ودين الله القرآن والإسلام، عن الحسن، والسدي. وقيل: نور الله دليله وبراهينه؛ لأنه بها يهتدى فيريدون إبطالها[8] بالشبه عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: أراد به اليهود والنصارى يريدون أن يلزموا الربوبية للمخلوقين ولا يلزمهم، عن ابن عباس.

---

(١) أصل: الأصل، ض.

(٢) البيت يروي في غزوة الأحزاب وفي رواية: إذا أرادوا فتنة أبينا أنظر: البخاري، صحيح، رقم ٣٨٧٨.

(٣) أن: ـ ، ض.

(٤) حذف: حرف، ض.

(٥) ويأتي: في ويأبى، ض.

(٦) أكون: يكون، أ.

(٧) البيت للمتلمس الضبعي، اللسان، «أبي» الأغاني، ٣/ ٤.

(٨) فيريدون إبطالها: ويريدون إطفاءها، ض.

وقيل: يريدون أن يهلك محمد وأصحابه ولا يعبد الله بالإسلام عن الضحاك. وقيل: النور[1] القرآن، وإطفاؤهم[2] قولهم: هذا سحر مبين، «**بِأَفْوَاهِهِمْ**» قيل: بشيء لا حقيقة له وهي شبهة، وقيل: بالصياح والهوس، وقيل: لأن اجتهادهم في ذلك كان من جهة القول عن أبي علي. «**وَيَأْبَى اللَّهُ**» أي[3]: يمنعهم الله ولا يمكنهم مما أرادوا ولكن يتم نوره ويظهر دينه «**إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ**» قيل: بالحجج والبراهين ونصر الأولياء فيتم حججه وينصر دينه ويضمن حفظ دينه على لسان العلماء وأيدي المجاهدين، وقيل: يقيم حججه عن الأصم، «**هُوَ**» يعني الله ـ تعالى ـ «**الَّذِي**» يأبى إلا تمام[4] دينه فأتمه بأن «**أَرْسَلَ رَسُولَهُ**» يعني محمد «**بِالْهُدَى**» قيل: بالقرآن، عن ابن عباس. وقيل: ببيان فرائضه، وقيل: بالأدلة الواضحة، وقيل: بسائر ما أتى به من الشرائع «**وَدِينِ الْحَقِّ**» يعني الإسلام «**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**»[5] قيل: الهاء عائدة على الرسول ليعلمه الشرائع شرائع الدين، ويظهره عليها ولا يخفي عليه شيء منه، عن ابن عباس. وقيل: الهاء راجعة إلى دين الحق وهو الإسلام على كل دين، واختلفوا فيه، فقيل: عند نزول عيسى(عليه السلام) لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية عن الضحاك، وهذا لا يصح؛ لأن[6] نزوله بعد زوال التكليف، ولأن هذه بشارة للنبي (وأمته في كل وقت، وقيل: عند خروج المهدي، وهذا لا يصح؛ لأن خروج المهدي[7] من الآحاد ولأن[8] هذه بشارة لهذه الأمة في كل وقت، وقيل: إنه لا يكون دين إلا ظهر عليه، وسيكون وإن لم يكن، عن[9] الكلبي.

وروى المقداد مرفوعًا: «لا يبقى على وجه[10] الأرض بيت مدر ولا وبر إلا

---

(١) النور: نوره، ض.

(٢) وإطفاؤهم: وإطفاؤه، ض.

(٣) أي: أن، ض.

(٤) تمام: إتمام، ض.

(٥) كله: ـ، ض.

(٦) لأن: لا، ض.

(٧) وهذا لا يصح... المهدى: ـ، ض.

(٨) ولأن: لأن، ض.

(٩) عن: ـ، ض.

(١٠) وجه: ظهر، ض.

أدخله[1] الله الإسلام إما بعز عزيز أو بذل ذليل»[2]، وقيل: ليظهره بالحجة فتكون حجة هذا الدين أقوى، وقد فعل الله ـ تعالى ـ ذلك، عن الأصم. وقيل: ليظهر الإسلام بالقوة والغلبة فلا يجري عليها صغارولا جزية ولا يطمع أحد فيهم، وقيل: بالحجة والقهر فلا ملة إلا وقد غلبهم أهل الإسلام[3] في موضع، عن أبي علي. وقيل: هوجريان حكمنا عليهم «**وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**» أي: وإن كرهوا ظهور هذا الدين فالله يظهره رغمًا[4] عنهم[5].

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ بعث رسله بالهدى ودين الحق، فالهدى الأدلة، والدين الشرائع، فدل أن جميع ما بينه من جهته ـ تعالى ـ خلاف ما يقوله قوم أنه بين الأحكام من جهة نفسه.

وتدل أن دينه يظهر على سائر الأديان.

وتدل على معجزة للنبي حيث وعد بظهور دينه، وقد صح ظهوره.

وتدل على بشارة لهذه الأمة لظهورهم، وكونهم[6] على حق.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) أدخله: أدخل، ض.

(٢) مسند أحمد رقم ١٦٩٩٨، وصحيح ابن حبان رقم ٦٧٠١، والمستدرك رقم ٨٣٢٤.

(٣) الإسلام: السلم، أ؛ مطوس في د.

(٤) رغمًا: غما، أ.

(٥) عنهم: لهم، أ.

(٦) وكونهم: فلكونهم، ض.

۞ القراءة

قراءة العامة: «**يكنِزون**» بكسر النون، وعن يحيى بن يعمر بضمها، وهما لغتان نحو[1]: يعكُف ويعكِف، ويغرُس ويغرِس.

۞ اللغة

الكَنْزُ في أصل اللغة: كل شيء مجموع بعضه إلى بعض، ومنه يقال للشيء المجتمع: مكتنز، وناقة[2] كناز اللحم أي مجتمعة، وكنزت[3] الثمر في وعائه، والكنز معروف، سمي به لأنه يجتمع بعضه إلى بعض، قال نفطويه: وسمي الذهب ذهبا؛ لأنه يذهب ولا يبقى، والفضة فضة؛ لأنها تتفرق ولا تبقى، وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما.

والإحماء: جعل الشيء حارًا، وهو فوق الإسخان ونقيض التبريد، حَمِيَ يَحْمَى حَمْيًا[4] وأَحْمَاهُ إَحْمَاءً.

والكي: إلصاق الحار بالعضو من البدن إذا عظم فساده، كواه يكويه كيًّا، ومنه: آخر الدواء الكي.

۞ الإعراب

في موضع (الذين يكنزون) من الإعراب قولان:

الأول: نصب بالعطف على اسم (إن) وتقديره: وإن[5] الذين يكنزون الذهب والفضة.

والثاني: رفع على الاستئناف.

---

(١) نحو: ـ، ض.
(٢) وناقة: كأنه، أ.
(٣) وكنزت: وكثرت، أ.
(٤) حميًا: حما، أ.
(٥) وإن: يأكلها، أ.

وقوله: «**ينفقونها**» وقد مضى ذكر الذهب والفضة عن أقوال:

قيل: إن الكناية ترجع إلى مدلول عليه كأنه قيل: ولا ينفقونها أي الكنوز وأعيان الذهب والفضة، عن قطرب.

وقيل: اكتفى بأحدهما عن الآخر لدلالة الكلام عليه، عن الفراء، وأنشد:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[1]

وقيل: قصد الأغلب والأعم؛ لأن الفضة أعم من الذهب، كقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة:٤٥]، فرجعت الكناية إلى الصلاة لأنها أعم عن ابن[2] الأنباري.

وقيل: يرجع إلى الأموال التي هي الذهب والفضة وغيرها عن أبي مسلم.

وقيل: إن العرب تفعل مثل هذا كثيرًا، تَذْكُرُ[3] شيئين وتُخْبِرُ[4] عن أحدهما، تقول[5]: زيد وأخوك ذاهب، يريدون زيد ذاهب وأخوك ذاهب، فيحذفون أحد الخبرين فيدل الظاهر على المحذوف، قال الشاعر:

إنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنَى وأتى وكان وكنت[6] غَيْرَ غَدُورِ[7]

أراد: فكان غير غدور[8] وكنت كذلك فحذف، عن الأعمش.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في أهل الكتاب عن بعض الصحابة، وهو قول الأصم.

---

(١) تهذيب اللغة (قعد)، ولسان العرب (قعد)، والبيت قائله أُحيحة بن الحلاج.

(٢) ابن: ـ ، ض.

(٣) تذكر: يذكر، أ.

(٤) وتخبر: ويخبر، د.

(٥) تقول: يقول، أ.

(٦) وكان وكنت: فكنت وكان، أ.

(٧) غدور: عذور؛ أ، اللسان (قعد)، وتهذيب اللغة (قعد)، والبيت ينسب للفرزدق.

(٨) غدُور: عذور، أ.

وقيل: في أهل القبلة، عن السدي.

وقيل: في مانع الزكاة.

وقيل: هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين، عن الضحاك.

وعن ابن عمر: إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت جعلها الله طهرًا[١] للأموال.

النظم

ويقال: كيف تتصل الآية بما قبلها؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه يعتبر بأن هؤلاء الكفرة[٢] في طاعتهم لأحبارهم وإخراج الأموال في باطلهم أسرع منكم في إخراج الزكاة في سبيل الله، عن أبي مسلم.

وقيل: لما تقدم ذكر الأحبار والرهبان أنهم اتخذوهم آلهة عقبه بذكر ما أقدم أولئك عليه من الأكل بالباطل تحذيرًا من ذلك، ثم عقبهم بذكر الوعيد عن الأصم، وأبي مسلم.

وقيل: لما تقدم أن أولئك الأحبار يُحَرِّمون ويحللون بَيَّنَ[٣] خصالهم الذميمة لئلا يقتدى بهم.

وقيل: بين حال الأحبار كيلا يرجع العامة إلى علماء السوء في منع الزكاة، والرضى بالحكم بما أفتوهم بخلاف الشرع ليضلوا كما فعل أولئك.

المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ» قيل: الأحبار علماء اليهود،

---

(١) طهرا: طهر، ض.
(٢) الكفرة: الكفر، ض.
(٣) بين: من، ض.

والرهبان علماء النصارى، عن أبي علي. «**لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**» قيل: الرشا في الحكم عن الحسن، وأبي علي. وقيل: كانوا يرتشون ويحرفون كتاب الله ويكتبون أشياء، ويقولون: هذا من عند الله، وقيل: ما كانوا يأخذون من سفلهم في تكذيب محمد وكتمان أمره وتحريف دينهم، وإنما خص الأكل لأنه معظم التصرف، ومعناه يتملكون، فوضع الأكل موضعه، وقيل: يأكلون ما يشترون بما يأخذونه منهم وبثمنه فكأنهم يأكلون الأموال «**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**» يعني جمعوا المال ولم يؤدوا زكاته[١]، وكل مال أدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا، وما لم يؤد زكاته فهو كنز وإن كان على ظهر الأرض، عن عمر، وابن عباس، وابن عمر، والحسن، وعامر الشعبي، والسدي، والضحاك، و قد روي ذلك مرفوعًا.

قال أبو علي: وهو إجماع[٢]، وروي عن أبي علي: ما زاد[٣] على أربعة آلاف فهو كنز أدي زكاته أو لم يُؤَدَّ، ويبعد أن[٤] يصح عنه[٥]؛ لأن المال إذا جمع من حله وأدي[٦] حق الله منه فلا وعيد فيه[٧] إلا أن يحمل على أنه متى كثر اشتغل به عن فرائضه.

وعن عبد الواحد بن زيد: ما فضل عن المال عن حاجة صاحبه فهو كنز، وهذا ليس بشيء؛ لأنه[٨] - تعالى - رخص في ذلك وأوجب الزكاة وقسم المواريث، ولم يُنْكَرْ شيء من ذلك.

وعن أبي هريرة: من جمع عشرة آلاف فهو كنز.

وعن أبي ذر: من جمع المال كوي به، وهذا إن حمل على أن الأولى الاشتغال

---

(١) زكاته: زكاتها، ض.
(٢) إجماع: أجمع، ض.
(٣) مازاد: وتعدى، د.
(٤) ويبعد أن: على ما، د.
(٥) عنه: منه، أ.
(٦) وأدي: فأدي، ض.
(٧) فلا وعيد فيه: فلان عبد عنه، ض.
(٨) ليس بشيء لأنه: لا شيء بأنه، ض.

بالعبادة فهو وجه، وإن حمل على الوعيد فهو خلاف الشرع، وقد روي عن النبي: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[١] وقد رخص الله تعالى[٢] في ذلك، فأوجب فيه حقوقًا على ما بينا.

ومتى قيل: لماذا جمع بين الأحبار والرهبان ومانعي الزكاة؟

قلنا: لاشتراكهما في الذم والوعيد، وإن[٣] اختلفت الدرجات، وقيل: لأن كل واحد يأخذ المال بالباطل.

«**وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل[٤]: لا يؤدون زكاتها، وقيل[٥]: لا يخرجونها في الطرق المأمور بها[٦] «**فَبَشِّرْهُمْ**» أخبرهم «**بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**» موجع، والبشارة حقيقة في السرور، وتستعمل في الحزن والغم، يعني الإخبار والإنذار «**يَوْمَ يُحْمَى**» أي: يوقد «**عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ**» حتى تصير نارًا «**عَلَيْهَا**» أي: على الكنوز، وقيل: على الفضة «**فَتُكْوَى بِهَا**» تلك الكنوز المخبأة «**جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**» يعني: مانعي الواجب ليعظم حسرتهم وغمهم وليكون الخبر به لطفًا للمكلفين؛ وذلك لأنه جمعها[٧] وكنزها فصار عقوبة له ووبالاً عليه مع ما شاهد أن غيره فاز بسببه، وخص هذه الأعضاء، لأنها معظم بدنه. عن أبي ذر: ابشر الكنازين بكيٍّ في الجباه، وكيّ في الجنوب حتى يلتقي الحر في أجوافهم). «**هَذَا**» أي[٨]: يقال لهم هذا، كقوله: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم**﴾ [آل عمران:١٠٦] أي: يقال لهم أكفرتم، وهذا إشارة إلى[٩] ما يعذب به من الكنز «**مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ**» جمعتم من المال لأنفسكم، بين أن هذا العقاب مستحق

(١) مسند أحمد رقم ١٧٧٩٨، صحيح ابن حبان رقم ٣٢١١، والمستدرك رقم ٢٩٢٦.
(٢) تعالى: ـ ، ض.
(٣) وإن: وإذا، ض.
(٤) قيل: ـ ، ض.
(٥) وقيل: قيل، ض.
(٦) بها: به، ض.
(٧) جمعها: جمعًا، ض.
(٨) أي: أن، ض.
(٩) إلى: وإلى، ض.

وليس بابتداء عقوبة «**فَذُوقُوا**» احتملوا وباله، وقيل: ذوقوا عذاب الله بما كنتم تكنزون، فحذف لدلالة الكلام عليه «**مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**»[١] تجمعون وتمنعون حق الله فيه.

۞ الأحكام

تدل الآية على تحريم أخذ الرشا في الدين فتدخل فيه الأحكام والشهادات والفتاوى وأصول الدين وفروعه، وكل من حَرَّفَ شيئًا لعرض الدنيا دخل فيه الوعيد.

وتدل على أن إظهار النسك والعلم لا يوجب إباحة التقليد لجواز أنه أقدم على ما لا يحل كأولئك.

وتدل على أن من منع واجبًا كالزكاة[٢] والنفقات والكفارات والحج ونحوها استحق الوعيد؛ لأن كل ذلك نفقة في سبيل الله، والكل سواء في الوجوب.

وتدل على وعيد أهل القبلة خلاف من قال من[٣] المرجئة أن لا وعيد لأهل الصلاة.

وتدل على أنهم يعذبون بأموالهم نفسها وذلك أعظم في التحذير.

وروى أبو علي رحمه الله خبرًا أن أصحاب المواشي إذا لم يؤدوا زكاتها عذبوا بها[٤]، وكذلك صاحب الذهب والفضة.

وتدل على أنهم مع ما ينالهم من العذاب والخوف يوبخون[٥] ويُعَيَّرُون، ليزادوا حسرة إلى حسرة وغمًّا إلى غم.

---

(١) تكنزون: ـ، ض.
(٢) كالزكاة: نحو الزكاة، ض.
(٣) من: في، ض.
(٤) بها: ـ، أ، د.
(٥) يوبخون: ـ، ض.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**اثنا عشر**» بسكون العين، وكذلك في سورة يوسف[1] ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [**يوسف**: ٤] وفي[2] المدثر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [**المدثر**: ٣٠]، وقرأ طلحة بن سليمان بسكون الشين، والقراء[3] كلهم على فتح العين والشين، وهي لغات، غير أن القراءة سنة، فلا يجوز إلا بما ظهر نقله دون الشاذ والنادر.

اللغة

العدة: العدد[4]، وعدة المرأة: أيام أقرائها، والعَدُّ المصدر، والعدد المحدود، ونظيره: نقضت نقضًا والمنقوض نَقْضٌ، وقبضته[5] قبضًا، والمقبوض قَبْضٌ.

والشهور: جمع شهر أخذ من الشهرة لشهرة أمره[6]، فحاجة الناس إليه في دينهم ودنياهم، ويقال للشهر هو الهلال، سميت به هذه الأيام، والشهر وضوح[7] الأمر، وأشهرت بالمكان: أقمت بها شهرًا، والسنة اثنا عشر شهرًا.

(١) يوسف: فرعون؛ أ، د، ض.
(٢) وفي: في، ض.
(٣) والقراء: وقرأ، ض.
(٤) العدة العدد: العدة والعدد، ض.
(٥) والعدد المحدود... وقبضته: ـ، ض.
(٦) أمره: المرة، ض.
(٧) وضوح: والشهر يوضح، د.

والْحُرُم: جمع حرام، وسميت هذه الأربعة الأشهر[1] بذلك لحرمة[2] القتال فيها.

كافة[3]: في معنى المصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث كالغانية، ولا يدخل فيه الألف واللام[4]؛ لأنه من المصادر التي لا تنصرف، ومعنى كافة في الإحاطة، مأخوذة من كفة الشيء وهو حرفه، فإذا انتهى الشيء إلى ذلك كف عن[5] الزيادة، وأصل الكف: المنع، ومنه: رجل مكفوف، ممنوع البصر، وأراد بالكافة أن يبلغوا في القتال الحد الذي لا بعد له.

۞ الإعراب

«**شهرًا**» نصب على التمييز و«**اثنا عشر**» رفع لأنه خبر (إن) وعلامة الرفع الألف

والضمير في[6] (فيهن)، قيل: يرجع إلى[7] الشهور عن ابن عباس، وقيل: يرجع إلى الأربعة الحرم، عن قتادة.

و«**كافة**» نصب على الحال.

وقوله: «**منها**» الكناية ترجع إلى الشهور، وقيل: إلى الاثني[8] عشر، فوجه الأول أن العرب تجعل الهاء والنون كناية عن القليل، والهاء والألف كناية عن الكثير، وأما الثاني فلأنه أقرب إليه.

۞ النظم

يقال: ما وجه اتصال ذكر[9] الشهور بما قبلها؟

---

(١) الأشهر: أشهر، ض.
(٢) لحرمة: للحرمة، ض.
(٣) كافة: كأنه، أ.
(٤) الألفاء واللام: ألف والام، ض.
(٥) عن: ـ ، ض.
(٦) في: ـ ، ض.
(٧) إلى: على، أ، د.
(٨) الاثني: الاثنا، ض.
(٩) ذكر: ـ ، ض.

قلنا: لما ذكر وعيد الظالم لنفسه وكنز المال من غير إخراج حق الله اقتضى النهي عن[1] مثل حاله بالظلم في الأشهر الحرم[2] الذي يؤدي إلى مثل منزلته[3] و شر[4] منها عن علي بن عيسى.

وقيل: لما ذكر سوء صنعتهم في التحليل والتحريم اتصل به ذكر ما صنعوا في الشهور والسنين[5].

المعنى

«**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ**» أي: عدة شهور السنة «**عِنْدَ اللَّهِ**» أي[6]: في حكمه وتقديره «**اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا**» ليوافق أمر الأهلة بزوال الشمس في الاثني عشر برجًا[7]، فجرت على حساب متفق، وهذه اثنا عشر[8] أولها محرم، سمي بذلك؛ لتحريم[9] القتال فيه، ثم صفر قيل: لأن مكة تصفر من الناس أي: تخلو، وقيل: وقعت فيها علة فاصفرت ألوانهم فسميت بذلك، وقيل: صفرت[10] أوطانهم من اللبن، عن أبي عبيدة. ثم ربيع الأول وربيع الآخر لما ينبت من النبات وتزيين الأرض بها، وقيل: لارتباع القوم إقامتهم، ثم جمادى وجمادى لجمود المياه فيها، ثم رجب لأنهم يرجبونه؛ أي: يعظمونه، وقيل: لترك القتال فيه من قولهم: رجل[11] أرجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل، ثم شعبان لتشعب القتال فيه، وقيل: لأنه يتشعب فيه خير كثير

---

(١) عن: ـ ، ض.
(٢) الحرم: الحرام، ض.
(٣) منزلته: منزله، ض.
(٤) وشر: وأشر، ض.
(٥) والسنين: السني، أ.
(٦) أي: ـ ، ض.
(٧) برجًا: شهرًا، ض.
(٨) فجرت على حساب... عشر: ـ ، ض.
(٩) لذلك لتحريم: ذلك بتحريم، ض.
(١٠) صفرت: طفرت، أ.
(١١) رجل: رجب، ض.

لرمضان، ثم رمضان، وقيل[1]: لأنه يرمض الذنوب، وقيل: سمي بذلك لشدة الحر، ثم شوال لأن[2] القبائل[3] كانت تشول أي: تفارق أمكنتها، عن أبي زيد البجلي، وقيل: لشولان النوق أذنابها فيه أي: رفعها، وقيل: لأنه وافق وقتًا تشول الإبل فيها فسمي به، والشول: النوق التي تشول بذنبها عند اللقاح، الواحد شايل. ثم ذو القعدة لقعودهم عن القتال، ثم ذو الحجة؛ لقضاء الحج فيه، وقيل: ذو القعدة[4] لقعود التجار عن التجارة.

«**فِي كِتَابِ اللَّهِ**» قيل: في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الكائنات والأحكام وفي حكمه وقضائه، عن أبي مسلم. وقيل: في كتاب الله الذي كتبه لأنبيائه وأوحي إليهم، عن أبي علي. وقيل: في[5] القرآن «**يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**» يعني كتبها وقضى بها عند الخلق للأشياء[6] تدبيرًا لعباده ومراعاة لمصالحهم، فجعل الشهر ثلاثين يومًا، وكل اثني عشر شهرًا سنة ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، «**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**» كان[7] يحرم القتال فيها فسميت حرمًا، وقيل: لكثرة حرمتها وعظم الطاعات فيها، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد.

ومتى قيل: ما معنى جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض؟

قلنا: لما في ذلك من المصلحة لعباده؛ لأن المصالح قد تتعلق بالأزمنة والأمكنة.

قال قتادة: إن الله ـ تعالى ـ يعظم من أمره ما يشاء، وإنه اختار مِنْ خلقه أصنافًا، واصطفى الملائكة رسلاً، واصطفى من الكلام ذِكْرَهُ، ومن الأرض المساجد، ومن

---

(١) وقيل: قيل، د.

(٢) لأن: ـ ، ض.

(٣) القبائل: للقتال، ض.

(٤) لقعودهم عن القتال. . . القعدة: ـ ، ض.

(٥) في: ـ ، ض.

(٦) للأشياء: الأشياء، ض.

(٧) كان: ـ، أ، د.

الشهور شهر رمضان وأشهر الحرم، ومن الأيام الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله.

«**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**» قيل: الحساب المستقيم إلا ما كانت العرب تفعله من النسيء، وقيل: ذلك الدين الذي تعبد به فهو لازم، وأراد التعبد بالإسلام دون الأشهر «**فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**» قيل: في الأشهر الحرم، عن قتادة، والأصم، وأبي علي، وأبي مسلم. وقيل: في الاثني عشر شهرًا، عن ابن عباس، وقوله: «**فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ**»[(١)] قيل: لا تستحلوا القتل والغارة، عن ابن عباس، وقيل: بأن تجعلوا حلالها حرامًا وحرامها حلالاً، كما فعله المشركون من النسيء، عن محمد بن إسحاق بن بشار. وقيل: بالمعاصي، فإن الذنب فيهن أعظم، عن قتادة. وقيل: بترك قتالهم إذا قاتلوكم، عن أبي مسلم. «**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً**» أي: جميعًا مؤتلفين غير مختلفين «**كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**» جميعًا، وقيل: قاتلوهم خلفًا بعد سلف[(٢)] كما أنه يخلف بعضهم بعضًا في قتال المسلمين عن الأصم. وقيل: قاتلوهم جميعًا ولا تمسكوا بعهد ولا ذمة إلا من أدى الجزية عن صغار، فعلى هذا يرجع قوله: «**كَافَّةً**» إلى المشركين «**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**» بالنصر والمعونة.

۞ الأحكام

تدل الآية على عدد الشهور والسنة وما أنعم الله به على عباده في دينهم من حفظ أوقات العبادات، كالحج، والصوم، والصلاة، والزكاة وغيرها، وما تعلق به من مصالح دنياهم، كالآجال، والحسابات، والتواريخ، والعدد وغيرها، فجعل كل سنة اثني عشر شهرًا، وكل شهر ثلاثين يومًا، فيصح بذلك جميع الحساب.

وتدل على أن[(٣)] الاعتبار في السنة بشهور القمر لا بشهور الشمس[(٤)]، وكانت سني الروم والفرس شمسية، فحكم ـ تعالى ـ في الإسلام بأن الاعتبار بالقمرية، وعلق

---

(١) فلا تظلموا فيهن: «فلا تظلموا» في د: قيل: لا تستحلوا القتل والغارة عن ابن عباس، وقيل: بأن تجعلوا، د، ولعله خطأ من الناسخ، حيث تم ذكر هذا الكلام في ما يأتي.

(٢) بعد سلف: نصر سلفا، د.

(٣) أن: ـ ، ض.

(٤) لا بشهور الشمس: لا بالشمس، د.

الأحكام الشرعية بها، وأجمع الفقهاء أن الاعتبار في الأحكام بسني القمر[١] إلا تأجيل العنين، فقد قال مشايخنا: العنين يؤجل سنة شمسية، إن وصل إليها وإلا[٢] فرق بينهما، وإنما حكم ـ تعالى ـ بذلك لما علم أن[٣] فيه من المصالح ولسهولة معرفته عند الخاص والعام، وقلة اللبس فيه، فكان تعليق الأحكام بها أولى مما لا يعلم إلا بحساب دقيق ولا[٤] يقف عليه إلا[٥] القليل.

وتدل على أن في[٦] الزكاة والجزية والدية على العاقلة، والصوم والحج والمطلوبات[٧] من الشهور الاعتبار[٨] بهذا، وذكر الأصم أن أهل الكتاب كانت سنونهم على عدد الأيام كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، وكان سنو[٩] العرب بُدُورًا في كل زمان، ويكون الحج في الشتاء[١٠] والصيف، وفي الربيع والخريف، وسنو أهل الكتاب لا تتبدل وكذلك العجم وأعيادهم، فجمع الله تعالى[١١] الخلق[١٢] في سني العرب.

وتدل على وجوب القتال لمن[١٣] لا يؤدي الجزية؛ لأن[١٤] هذه الآية مرتبة على ما تقدم، ولأنه[١٥] قال: «**كما**[١٦] **يقاتلونكم**»، وهذا لا يليق إلا بأهل الحرب.

(١) القمر: القمرية، ض.
(٢) وإلا: لا، ض.
(٣) أن: ـ، أ، د.
(٤) ولا: إلا، ض.
(٥) إلا: ـ، ض.
(٦) في: ـ، ض.
(٧) والمطلوبات: المطلوب، أ.
(٨) الاعتبار: ـ، أ، د.
(٩) سنو: سني، أ.
(١٠) الشتاء: والشتاء، ض.
(١١) تعالى: ـ، ض.
(١٢) الخلق: الخلق تعالى، د.
(١٣) لمن: فمن، أ.
(١٤) لأن: لا، ض.
(١٥) ولأنه: لا، أ.
(١٦) كما: ـ، ض.

وتدل على أن التقوى فعلهم يستحقون بها النصر من عند الله.

واختلفوا في تحريم القتال في الأشهر الحرم، فقيل: كان حرامًا ثم نسخ بقوله: «**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً**» عن عبادة، وعطاء الخراساني، والزهري، وسفيان. وروي أن النبي «قاتل هوازن في شوال وبعض ذي القعدة».

وقيل: إنه غير منسوخ، ولا يجوز القتال في الأشهر الحُرُم، وفي الحرم إلا أن[1] يبدؤوا[2] بالقتال، عن عطاء بن أبي[3] رباح، والأول عليه الأكثر، وهو الصحيح.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

القراءة

قرأ نافع وأبو عمرو[4] وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب: «**النسيء**» بالمد والهمزة، وهو قراءة الحسن وعلقمة وقتادة ومجاهد والأعمش، واختيار أبي عبيدة وأبي حاتم، وهو مصدر كالشعير والحريق، ويجوز أن يكون مفعولاً مصروفًا إلى «فعيل»، مثل الجريح والصريع واللعين[5]، وتقديره: الشهر المؤخر.

وقرأ أبو عبد[6] الرحمن السلمي وطلحة وشبل: «**إنما**[7] **النَّسْءُ**» ساكنة السين

---

(١) أن: ـ ، ض.
(٢) يبدؤا: تبدأوا، د.
(٣) أبي: ـ ، ض.
(٤) قرأ نافع وأبو عمرو: قرأ نافع وابن عمرو ونافع، ض.
(٥) واللعين: ـ ، أ، د.
(٦) أبو عبد: أبو عبيدة.
(٧) إنما: ـ ، ض.

مهموز على المصدر على وزن نسع، وقرأ أبو جعفر وورش بالتشديد وترك الهمز، وروي مثله عن أبي كثير، على معنى المنسي والمتروك، من النسيان، ويحتمل أن يكون أصله الهمز فخفف.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: «**يَضل**» بفتح الياء وكسر الضاد[1]، واختاره أبو حاتم لأنهم هم الضالون، ولقوله: «**يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا**»، وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو عبد الله السلمي وقتادة ومجاهد وفيه عن البزي[2] عن أبي عمرو وورش عن يعقوب «**يُضِل**» مضمومة الياء مكسورة الضاد وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون «**الذين كفروا**» في محل النصب؛ يعني: يضلون بذلك أتباعهم من الكفار، ويحتمل يهلك الله به الذين كفروا بمعنى يعاقبهم.

والثاني: أن يكون في محل الرفع، يعني: الذين كفروا يضلون أتباعهم.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضم الياء وفتح الضاد وهي قراءة ابن مسعود واختيار أبي عبيد على ما لم يسمّ فاعله كقوله: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ﴾ [التوبة: ٣٧].

و«**الذين كفروا**» في محل رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله.

❁ اللغة

النسيء: أصله التأخير، يقال: بعت نسيئة أي بتأخير، ومنه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] نؤخرها، قال الأصمعي: نسئت المرأة تنسأ نسيئًا إذا حملت أولاً لتأخير حيضها، ويقال: نسئت المرأة: تأخر حيضها فرجي أنها حبلى، ونسأ الله في أجلك، ونسأت الناقة في السير وقفت بها، كأنك زجرتها عن التأخير، والمِنْسَأَة: العصا؛ لأنه تمنع من التأخير، ونسأت اللبن: إذا أخرته حتى كثر الماء فيه، ونسأت

(١) حجة القراءات ٣١٨.

(٢) البزي: اليزيدي، ض.

بالإبل أخرت ورودها[١]، وقيل: أصله الزيادة، ومنه: نسأ الله في أجلك أي: زاد فيه، ونُسئت المرأة لزيادة الحمل في بطنها، ونُسِئ اللبن: زيد بكثرة الماء، عن قطرب. وقيل: أصله الترك، ومنه: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ **[التوبة: ٦٧]**.

والمواطأة: الموافقة والمماثلة، ويقال: وطأ في الشعر: إذا قال بيتين على قافية واحدة وأوطأ مثله.

الإعراب

(ما) في قوله: «**إنما النسيء**» ما الكافة كفت[٢] (إن) عن[٣] العمل.

و«**النُسِيءُ**» ابتداء و«**زيادة**» خبره «**فَيَحِلُّوا**» نصب لأنه معطوف على «**لِيُواطَئُوا**» أو كي يحلوا وعلامة النصب ذهاب النون.

«**عَامًا**» نصب على الظرف، وقيل: معناه يحلونه في عام.

«**سُوءُ**» رفع لأنه اسم ما لم يسم فاعله.

«**والله لاَ[٤] يهدي**» قيل: الواو للاستئناف، وقيل: واو العطف على قوله: «**يَضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**» ولا يهديهم الله، عن أبي مسلم.

النزول

قيل: نزلت الآية في النسيء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فكان الحج يقع[٥] في غير وقته، واعتقادهم قربة الشهر في غير أوانه.

وقيل: كانوا يحولون المحرم صفرًا، عن ابن عباس.

وقيل: كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهرًا، عن أبي علي.

---

(١) ورودها: وردها، أ.
(٢) كفت: تكف، ض.
(٣) عن: من، أ.
(٤) لا: ـ ، أ، د.
(٥) يقع: يفعل، ض.

وقيل: كانوا يحرمون عامًا ويحلون عامًا، وكان ينادي بذلك في الموسم بنو كنانة عن أبي عبيدة، قال الكميت:

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدٍّ   شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا[١]

وقيل: كان سبب النسيء أن العرب كانت تحرم الشهور الحرم، وكان ذلك من ملة إبراهيم وإسماعيل، وكانوا أصحاب حروب وغارات، فشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية ولا يغيرون فيها، فأخروا تحريم المحرم إلى صفر، ثم بعد زمان[٢] يؤخرونه إلى ربيع، ثم بعد ذلك شهرًا حتى جاء الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه.

وعن مجاهد: كان المشركون يحجون في كل شهر عامين، فوافقت حجة أبي بكر في ذي القعدة، ووافقت حجة رسول الله[٣] في حجة الوداع في ذي الحجة، فقال في خطبته: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم» ففي ذلك نزلت الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر الشهور والسنة عقبه بذكر ما كانوا عليه من النسيء، فقال سبحانه: «**إِنَّمَا النَّسِيءُ**» يعني التأخير في الأشهر الحرم عما رتبه الله ـ تعالى ـ عليه حتى يقع الحج في غيره، عن ابن عباس. وقيل: زادوا صفرًا في الأشهر الحرم، عن قتادة[٤]. ونادوا: ألا إن آلهتكم حرمت صفر فحرموه، وكان يقال لهما صفران، وقيل: كانوا يؤخرون التحريم إلى صفر لئلا تكون الأشهر الحرم متوالية، وقيل: كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهرًا على ما تقدم، عن أبي علي. وقيل: كانوا يجعلون الحج كلها في الربيع، فاختلفوا في أول من نسأ النسيء، فقيل: بنو مالك من كنانة، وكانوا ثلاثة: منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف الكناني، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك،

(١) العين (نس)، وتهذيب اللغة (نسا)، واللسان (نسا).
(٢) زمان: زما، ض.
(٣) الله: -، ض، د.
(٤) قتادة: ـ ، أ، د.

ومجاهد. فيقوم ويقول: لا أعاف ولا أخاف، حرمنا المحرم، ثم يجيء في العام المقبل ويقول: حرمنا صفرًا وأخرنا المحرم، وقيل: بل كانوا ثلاثة: منهم نعيم بن ثعلبة عن الكلبي، وقيل: أول من سنه القلمس، عن ابن زيد. وفي ذلك قال قائلهم:

ومنا ناسئ الشهر القلمس[1]

«**زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**» يعني إجراء الحج في غير الوقت الذي رتبه ـ تعالى ـ فيه فكفروا، بل[2] زادوا كفرًا[3] إلى كفرهم «**يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**» عن دينهم «**يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا**» ليوافقوا، وقيل: ليشتهوا «**عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**» قيل: خافوا كون الحج في ذي الحجة وأحبوا أن يكون في أيام الربيع فسموا كل شهر حجوا فيه ذا الحجة ليوافقوا عدة ما حرم الله، وقيل: لم يحلوا شهرًا من الحرم إلا حرموا مكانه شهرًا من الحلال، ولم يحرموا شهرًا من الحلال إلا أحلوا[4] مكانه شهرًا من الحرام؛ لئلا يكون الحرام أكثر من أربعة أشهر فتكون موافقة في العدد، وكانوا يخدعون العوام ويقولون: الله حرم أربعة أشهر وهذه أربعة أشهر، شهر[5] بشهر، وقيل: ليوافقوا بتحليل تحريم الله فيحلوا الحرام ويحرموا الحلال، عن أبي مسلم. «**زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ**» قيل: رؤساؤهم زينوا لأتباعهم، عن أبي علي. وقيل: زينها الشيطان لهم عن الأصم. وقيل: زينتها أنفسهم والشيطان، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: زينها الله بالشهوة ليجتنبوا فيستحقوا الثواب، وقيل: معناه أنهم استحسنوا من ذلك ما هو سيء وأطلق لفظ الفعل على ما لم يسم فاعله وإن[6] لم يكن هناك غيره على عادة العرب في مخاطبتهم يقولون: فلان أعجب بنفسه، وبتعجب بنفسه، وأنى تصرفون، وأنى تؤفكون «**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**» قيل: لا يهديهم إلى الجنة والثواب[7]، عن أبي علي. وقيل: لا يحكم بهدايتهم عن الأصم. وقيل: هو يتصل بقوله: «**يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**» أي: لما

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٥٠ برواية: ومنّا منسي الشهور القَلَمّسُ

(٢) بل: ـ ، ض، قل، د.

(٣) زادوا كفرا: فزادوا في كفر، ض.

(٤) أحلوا: حرموا، د.

(٥) شهر: شهر، ـ ، ض.

(٦) وإن: وإذا، د.

(٧) إلى الجنة والثواب: للجنة وللثواب، ض.

ضلوا لم يهدهم الله بل وكلهم إلى اختيارهم، عن أبي مسلم. وقيل: لا يفعل بهم خيرًا، والعرب تسمي كل خير هدى وكل شر ضلالة، قال الشاعر:

فَلاَ هَدَى اللهُ قَيْسًا مِنْ ضَلاَلَتِهَا ... ولا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِنْ عَثَرُوا[1]

الأحكام

تدل الآية على أن ما فعلوه من النسيء كُفْرٌ، وكل من اعتقد عبادة في غير الوقت الذي وقته الله - تعالى - فهو كفر.

وتدل على أن تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله كفر.

وتدل على أن فعل الحج في وقته إيمان.

وتدل على أن الكفر والإيمان يكون في أفعال الجوارح؛ ولأنه تعالى[2] جعل[3] التأخير كفرًا بخلاف قول[4] كثير من المرجئة.

وتدل على أن الكفار يضلون أتباعهم فيبطل قول المجبرة أن الله - تعالى - يُضِلُّ، وكذلك قولهم في المخلوق، ولا حجة لهم في قوله: «**زين لهم**»؛ لأنه ليس في الآية أنه - تعالى - زين لهم فلا تعلق لهم بها.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) العين (لعو).

(٢) ولأنه تعالى: لأنه يقال، أ، د.

(٣) جعل: - ، ض.

(٤) بخلاف قول: بخلا وقول، د.

القراءة

قراءة العامة: «**تنفروا**» بكسر الفاء، وقرأ عبيد بن عمير بضمها وهما لغتان.

اللغة

النَّفَرُ: الخروج، وأصله مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجمهم على ذلك، ومنه: نفور الدابة، يقال في الغزو: نفر يَنْفِرُ نفرًا ونفيرًا[1]، ولا يقال: نفورًا، ونفرت الدابة تنفر نفورًا، ولا يقال: نفيرًا.

والتثاقل والتباطؤ[2] من النظائر، ونقيضه: التسرع، والتثاقل: إظهار ثقل النفس، وأصله من الثقل وهو ضد الخفة، يقال: ثقلت إلى الأرض اضطجعت واطمأننت، ووجدت في نفسي ثَقَلة بفتح الثاء والقاف، وثِقْلة بكسر الثاء وسكون القاف أي: ثقلاً.

والمتاع: ما ينتفع به.

والاستبدال: استفعال من البدل، وهو جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر، وهو بدل الشيء وبديله، وبدلت الشيء: غَيَّرْتُه وإن لم يأت له ببدل، وأبدلته إذا أتيته ببدله.

والضَّر بالفتح: خلاف النفع، وبالضم: الهزال، وبالكسر: تزوج المرأة على ضرّة.

الإعراب

يقال: ما زنة «**اثّاقَلْتُمْ**»؟

قلنا: مثل احماررتم، وأصله: تثاقلتم إلا أن التاء أدغمت في الثاء لمناسبتها[3] لها[4]، ودخلت ألف الوصل لتبدأ بها لما سكن الحرف للإدغام، ومثله: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

«**أَرَضِيتُمْ**» الألف ألف استفهام، والمراد الإنكار. «**إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ**» جزم لأنه شرط وجزاء. و«**يَسْتَبْدِلُ**» عطف على «**يَعْذِبُ**».

---

(١) ونفيرًا: ولا يقال نفيرًا، ض.

(٢) والتباطؤ: التباطي، أ.

(٣) لمناسبتها: لمناسبتهما، ض.

(٤) لها: ـ ، ض.

«**ولا تضروه**» جزم عطفا على «**يستبدل**».

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في غزوة تبوك، عن الحسن، ومجاهد، وجماعة من المفسرين، قال الأصم: هو إجماع.

وقيل: نزلت في المنافقين، حكاه الأصم.

وقيل: لما رجع رسول الله من الطائف دعا الناس إلى غزو الروم أيام[1] إدراك النخل والزرع ومحبة القعود في الظل وشدة الحر، فعظم عليهم[2] غزوها، وكرهوا الخروج، وكان رسول الله قل ما يخرج في غزو إلا كنى عنها غير غزوة تبوك، فإنه دعا إليها لبعد شقتها، وكثرة الغزو، وليتأهب الناس، فتثاقل الناس، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية.

۞ المعنى

ثم حثّ الله ـ تعالى ـ المسلمين على الجهاد، فقال سبحانه: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ [آمَنُوا]**» قيل: هو عام، وقيل: بل هو خاص وإن كان اللفظ عامًا أن كل المؤمنين كانوا لا يتثاقلون إلى الجهاد عن أبي علي. «**مَا لَكُمْ**» توبيخ وتقريع، أي: أي شيء حملكم على ذلك «**إِذَا قِيلَ لَكُمُ**» يعني قال لكم رسول الله (ودعاكم، وقيل: المراد كل داع إلى يوم القيامة «**انْفِرُوا**» اخرجوا «**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» طريق الله وهو الجهاد، وقيل: هو ههنا غزوة تبوك عن الحسن، ومجاهد. وقيل: كل سبيل يقضي إلى مرضاته كالجهاد وسائر الطاعات «**اثَّاقَلْتُمْ**» تباطأتم وتكاسلتم «**إِلَى الأَرْضِ**» وقيل: أخلدتم إلى الأرض، أي: لزمتم أرضكم ومساكنكم، وقيل: إلى الأرض: لما أخرجت الثمار، وقيل: اخترتم الدعة والراحة حتى كدتم لا تنهضون من الأرض «**أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ**» أي: بخفض الدنيا ودعتها ونعمتها عوضًا عن نعيم الآخرة وثوابها الذي[3]

---

(١) أيام: ـ، ض.
(٢) عليهم: عليها، ض.
(٣) الذي: التي، ض.

يحصل بطاعة الله والجهاد في سبيله، وهذا إنكار عليهم في اختيارهم الدنيا وحث على[1] اختيار الآخرة على الدنيا «**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ**» ما ينتفع به من نعيم «**الدُّنْيَا فِي**» جنب ثواب «**الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**».

ثم عقبه بالوعيد فقال: «**إِلاَّ تَنْفِرُوا**» أي: تخرجوا إجابةً للرسول إلى الجهاد وتقعدوا عنه «**يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**» وجيعًا، قيل: عذاب الآخرة، وقيل: حبس المطر عنهم، وقيل: في[2] عذاب الدنيا، والأول أصح؛ لأن الوعيد بترك الطاعات إنما هو بعذاب النار «**وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**» يعني يأتي بقوم أطوع منكم لا يتثاقلون في الجهاد، قيل: هم أبناء فارس، عن سعيد بن جبير[3]، وقيل: هم أهل[4] اليمن عن أبي روق، وقيل: هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية وبعد إسلام هؤلاء عن أبي علي. «**وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا**»، قيل: لا تضروا الله بهذا القعود شيئًا عن الحسن، وأبي علي؛ لأنه غني بنفسه لا يحتاج إلى شيء، وإنما يضرون أنفسهم حيث لزمهم العذاب، وقيل: لا تضروا الرسول؛ لأن الله ـ تعالى ـ ينصره ويعصمه من جميع الناس، عن الزجاج، والأصم، وهو الأولى[5]؛ لأنه قال بعده: «**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ**» فإنه لا يبقى بغير ناصر، وينصره الله ـ تعالى ـ «**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» على نصرة رسوله وغيره؛ لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء[6]، وقيل: قادر[7] على إهلاك[8] الكفار الذين أمرهم بقتالهم[9] في لحظة، ولكن كلفهم قتالهم امتحانًا، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على الترغيب في الجهاد والتحذير من التثاقل والتباطي.

(١) على: ـ ، ض.
(٢) في: ـ ، ض.
(٣) جبير: الجبير، ض.
(٤) أهل: ـ ، أ، د.
(٥) الأولى: الأول، أ، د.
(٦) شيء: شيئًا، ض.
(٧) قادر: قدير، د.
(٨) إهلاك: هلاك، د.
(٩) بقتالهم: بقتله، د.

وتدل على أن الرضى بلذات الدنيا عوضًا من ثواب الآخرة خسران عظيم وإساءة إلى النفس.

وتدل على بطلان قول من قال: لا وعيد في أهل الصلاة؛ لأن هذا الوعيد في المؤمنين خاصة.

وتدل على وجوب النفير والإجابة عند الدعاء إلى الجهاد، واختلفوا، فقيل: إنما يجب النفور إلى الرسول عند دعائه عن أبي عليوغيره.

وقيل: المراد الخروج إلى الجهاد وقد مست الحاجة، فعلى الوجهين النفير واجب، والصحيح أن إجابة الرسول فرض واجب وكذلك[1] إجابة الأئمة بعده، وقدر روي عن النبي أنه قال: «من سمع داعيتنا[2] أهل البيت ثم[3] لم[4] يجب أكبه الله في نار جهنم»، وكذلك إذا قصد الكفار دار المسلمين ودعا الناس فإنه يجب على الجميع الدفع، فأما الخروج إلى دار الحرب فقد كان يجب إذا كان الداعي إمامًا وقد لا يجب، وكذلك إذا دعي إلى نهي منكر فإنه يجب إذا علم أن لقوله تأثيرًا.

وتدل على أنه قادر على كل شيء وعلى استبدالهم.

وتدل على أن[5] النَّفْرَ[6] فعلهم، فيبطل قول من خالفنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

---

(١) وكذلك: لذلك، ض.
(٢) داعيتنا: واعيتنا، أ.
(٣) ثم: ـ ، ض.
(٤) لم: فلم، ض.
(٥) أن: ـ ، ض.
(٦) النفر: النفير، ض.

القراءة

قرأ يعقوب «**وكلمةَ الله**» بنصب (كلمة) على معنى: وجعل كلمة، عطفًا على (كلمة) الأولى، والقراء على رفع ذلك على الاستئناف.

قراءة العامة: (أيده) بغير مد من الأيد، وهو القوة، وقرأ مجاهد: وأيده.

اللغة

غور كل شيء: قعره، وغار الماء غورًا، وغارت عينه تغور غورًا: إذا دخلت في رأسه، وغارت الشمس غيارًا، قال الشاعر:

هَـلِ الـدَّهْـرُ إلاَّ لَـيْـلَـةٌ فَـنَـهَـارُهَـا وَإِلاَّ طُـلُـوعُ الـشَّـمْـسِ ثُـمَّ غِـيـارُهـا[1]

والغار: الثُّقْبُ في الجبل، من قوله: أغار على القوم: إذا أخذهم من أخبيتهم بهجومه عليهم.

والأيد والآدُ: القوة، وأيده الله قواه[2]: والتأييد: التقوية.

والسفلى: تأنيث الأسفل، والعليا: تأنيث الأعلى[3]، وهما من النقيض.

الإعراب

رفع «**كلمة**»[4] الاستئناف لما تقتضيه حقيقتها أنها رفيعة بغير جعل جاعل؛ إذ هي مما لا يجوز عليه خلافه.

«**ثاني اثنين**» نصب على الحال؛ لأنك أردت أخرجه الذين كفروا في هذه الحال، أي في حال ما هو أحد الاثنين، وللعرب في هذا مذهبان، يقولون: خامس خمسة؛ أي: أحد الخمسة على قياس (ثاني اثنين).

---

(١) الصحاح (غور)، والعين(غور)، وتاج العروس (غمر)، ولسان العرب(غور).

(٢) وأيد الله قواه: وأيده إلى قوله، ض.

(٣) الأعلى: أعلى، د.

(٤) كلمة: وكلمه، ض.

والثاني: خامس أربعة، أي: خمس الأربعة بمصيره فيهم[1] بعد أن لم يكن.

۞ النزول

قيل: نزلت في قصة الغار لما خرج النبي، ومعه أبو بكر إليه، ومكثوا ثلاثًا ثم خرجوا إلى المدينة، عن مجاهد.

۞ النظم

قيل: في اتصال الآية بما قبلها وجوه:

منها: لما تقدم أن قعودهم لا يضر الرسول بين أن هذا كما لم[2] يضره قعودهم عند خروجه إلى الغار معقلة الأنصار وكثرة الأعداء، عن الأصم.

ومنها: هو تفصيل للجملة التي أخبر بها أنهم لو خذلوه نصره بأنواع النصرة؛ ألا ترى كيف دفع عنه مضرة[3] الأعادي عند خروجه إلى الغار.

۞ المعنى

«**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ**» أي: لا تخرجوا معه إذا استنفركم ولم تعينوه على جهاد عدوه إذا استنصركم يعني الذين قعدوا عنه ولم يكن فيهم أحد من المهاجرين عن الأصم. «**فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**» حين[4] مكر به أعداؤه «**إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**» يعني من مكة لما اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في أمره، واتفقوا على قتله والكيد به فدفع[5] الله عنه مكرهم «**ثَانِيَ اثْنَيْنِ**» أي أحد اثنين هو وأبو بكر «**إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ**» هو نفق في جبل مكة يقال له: ثور «**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ**» يعني النبي يقول لأبي بكر «**لا تَحْزَنْ**» ولم يكن حزنه[6] جبنًا ولا سوء ظن، وإنما كان إشفاقًا منه على رسول الله، وقيل: خاف الجراح والأذى وإلا فقد علم أن الله سيعصمه، وروي أن أبا بكر قال: يا رسول الله، إن

---

(١) فيهم: فمنهم، ض.
(٢) كما لم: كما لهم، ض.
(٣) دفع عنه مضرة: رفع عنه معرة، أ، د؛ دفه مضرة، ض.
(٤) حين: وحين، ض.
(٥) فدفع: فرفع، د.
(٦) حزنه: أحزنه، ض.

قُتِلْتُ فأنا رجل واحد[1]، وإن قُتِلْتَ هلكت الأمة، وروي أنه قال: لو أن أحدًا نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، «**إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**» أي ناصرًا ومعينًا «**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ**» سكونه وطمأنينته «**عَلَيْهِ**» قيل: الضمير يعود على رسول الله عن الزجاج، وأبي مسلم. وقيل: على أبي بكر، عن أبي علي، والأصم، قال أبو علي: لأنه الخائف المحتاج[2] إلى الأمن[3] من دون الموعود[4] بالنصر، الساكن القلب «**وَأَيَّدَهُ**»: قواه ونصره، يعني النبي؛ لأن نزول الملائكة معجزة يختص بها النبي، وقيل: أيد أبا بكر بالخاطر الذي ألقاه الملك إليه وقوى قلبه «**بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا**» يعني: بجمع من الملائكة جاؤوا لتقوية قلبه بالبشارة بأن الله ينصره، ويحفظه ويعلي دينه، ويهلك عدوه، وإلقاءِ اليأس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين «**وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى**» يعني: دينهم الذي يتكلمون به وهو الشرك عن ابن عباس. وقيل: كلامهم، عن أبي علي. وقيل: دعاءهم واستعانتهم، عن أبي مسلم. وقيل: جعل كلمتهم السفلى بسلامة النبي وهجرته إلى المدينة «**وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا**» يعني: التوحيد والإسلام هي العليا[5] بالحجة والقهر «**وَاللَّهُ عَزِيزٌ**» أي: قادر على نَصْرِ من يشاء وحفظه «**حَكِيمٌ**» يضع النصرة والحفظ موضعه.

الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ يضمن[6] حفظ دينه، ونصرة رسوله.

وتدل على أن الكفار أخرجوه من مكة، ولما كان خروجه لخوف منهم ولسبب[7] عنجهيتهم[8] جاز إضافته إليهم.

---

(١) أن الله سيعصمه. . . واحد: ـ ، ض.
(٢) المحتاج: والمحتاج، ض.
(٣) الأمن: ـ ، ض.
(٤) الموعود: الموقف، ض.
(٥) يعني التوحيد والإسلام هي العليا: ـ ، ض.
(٦) يضمن: يحفظ، ض.
(٧) ولسبب: وبسبب، ض.
(٨) عنجهيتهم: عنجهتهم؛ أ، د، ض.

وتدل على فضل أبي بكر وعظم محله من وجوه:

منها: أنه ـ تعالى ـ نصره ولا ينصر إلا مخلصًا في دينه، فاضلاً في نفسه.

وثانيها: أنه جعله ثاني اثنين[(١)] بالتعاون والتناصر والمؤانسة، وكذلك[(٢)] أخرجه النبي مع نفسه آمنًا به، ساكنًا إليه، آنسًا به.

وثالثها: لم يترك نصرته في حال الضر والخوف.

ورابعها: سماه صاحبه، وهو الملازم له الموافق المخلص.

وخامسها: قوله: «**إن الله معنا**» أي: بالنصر والمعونة، فلولا عظم محله، وإلا ما قال[(٣)] له ذلك.

وسادسها: نزول السكينة عليه، فإنما تنزل على المؤمنين.

وسابعها: حزنه وإشفاقه على رسول الله حين قال له: «**لا تحزن**»، والمروي أن أبا بكر كان يمشي مرة أمامه وأخرى خلفه، وقال: إذا ذكرت الرصد[(٤)] مشيت بين يديك[(٥)]، وإذا ذكرت الطلب مشيت خلفك.

وقد قال شيخنا أبو علي حاكيًا عن بعض جهال الإمامية: إن[(٦)] قوله: «**لا تحزن**» يدل على معصية ونقص، فأجاب بأن ذلك يوجب مثله في قوله[(٧)] لموسى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ [طه:٦٨] فإذا لم يكن هناك نقص فكذلك[(٨)] ههنا.

قال[(٩)]: وليس حزنه لشك وحيرة، بل لتجويز وصول ضرر إلى الرسول.

قال: ويجوز أن لم يكن الخبر أتى بأن الرسول معصوم حتى قال الرسول: «**لا تحزن**» فسكن إلى ذلك.

---

(١) اثنين: النبي، ض.
(٢) وكذلك: ولذلك، ض.
(٣) ما قال: فما قال، ض.
(٤) الرصد: المرصد؛ أ، د، ض.
(٥) يديك: ذلك، ض.
(٦) إن: أن، أ.
(٧) لا تحزن يدل... قوله: ـ، ض.
(٨) فكذلك: كذلك؛ أ، د، ض.
(٩) قال: وقال، ض.

قال رحمه الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ﴾ [المائدة:٦٧]، نزل بعد الهجرة.

قال: ولو علم سلامة نفسه وعصمته لم يأمن ضررًا من جراحة وأذى.

القصة

المروي أن من بمكة من المشركين دخلوا دار الندوة، وهي دار قصي، وتعاقدوا على قتل النبي بعد مشاورة جرت بينهم، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [الأنفال:٣٠] وأمر بالخروج، فخرج ومعه أبو بكر إلى الغار، وأَطلعَ عليهما أسماء، واضطجع علي على فراشه؛ ليمنعهم ما يشاهدون من طلبه حتى انتهيا إلى الغار والقوم في طلبه.

قال مجاهد: ومكث في الغار ثلاثًا، وروي بضع عشرة[1] أو عشرين ليلة، وكان طعامه تمر الأراك، وسبق أبو بكر إلى الغار، فانبطح فيه وألقى بنفسه[2] لاستبراء ما فيه من جحر وهوام، جاعلاً نفسه فداء رسول الله.

وقيل: لما طلبه المشركون عند الصباح بكى[3] أبو بكر، فقال: «مَا يُبْكِيْكَ»؟ فقال: أخاف عليك، فقال: «**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّه مَعَنَا**» فسكن أبو بكر، وألهم الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وبعث حمامتين فباضتا في أسفل النقب، فلما[4] جاء الطلب رأى نسج العنكبوت وبيض الحمامة انصرف.

وروي أن النبي قال: «**اللَّهُمَّ أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ**»، فعميت أبصارهم عن دخولها[5]، فقال عروة: كان عامر بن فهيرة يروح بغنم لأبي بكر إلى الغار، وقال قتادة: كان عبد الرحمن بن أبي بكر يختلف إليهما.

وروي أن أسماء كانت تأتيهما بلبن يشربانه، ذكره الأصم.

ويروى أنه قال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة» فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه: «إن الله قد استجاب لك».

---

(١) عشرة: عشر، د.
(٢) بنفسه: نفسه، د.
(٣) بكى: وكان بكى، ض.
(٤) فلما: فكلما، د.
(٥) دخولها: دخولهما، ض.

قال: وكان النبي (يدخل بيت أبي بكر كما يدخل بيته، فلما أرادوا الرحيل جاؤوا بناقتين فانطلقوا إلى[1] النبي وأبي بكر وأبي عامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الليثي.

وروي أنه لم يرهم عند الخروج طَلَبٌ[2] إلا سراقة بن مالك بن جعشم، فقال النبي: «**اللهم اكفناه**»[3] فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها، فعاهده لا يسوؤه بسوء، فدعاه ونجاه الله، فمضى حتى نزل على خيمتي أم معبد، فسارا حتى نزلا المدينة.

قال أنس بن مالك: ما رأيت يومًا قط أحسن من يوم قدومه، وما رأيت يومًا قط أقبح من يوم قبض.

ونزل على بني النجار أخوال عبد المطلب، وقال: «**أكرمهم بذلك**»؛ لأنهم تنازعوا أين ينزل[4].

وروي أن أول من قدم مصعب بن عمير: ثم عمار وسعد، ثم عمر في عشرين راكبًا، ثم تتابع[5] الناس، وروي أن عمر هاجر قبله[6]. والله أعلم.

قوله تعالى:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) إلى: ـ، أ، د.
(٢) طلب: ـ، ض.
(٣) صحيح ابن حبان رقم ٦٢٨١، ومسند أحمد رقم٣، ومصنف أبي شيبة رقم ٣٦٦١٠.
(٤) أين ينزل: ـ، أ، د.
(٥) تتابع: تبالغ، ض.
(٦) قبله: مثله، ض.

۞ القراءة

القراءة الظاهرة: «**الشُّقة**» بضم الشين وهي اللغة الغالبة، وعن عبيد بن عمير بكسر الشين، وهي لغة[1] قيس.

والقراءة الظاهرة: «**لَوِ استطعنا**» بكسر الواو؛ لأن الجزم يحرك[2] بالكسر، وقرأ الحسن بفتح الواو؛ لأن الفتح أخف الحركات، فحرك إليه، وعن الأعمش بضم الواو.

۞ اللغة

النَّفْرُ: الخروج.

والثقل خلاف الخفة، وهو ذهاب الثقل، والثقل يرجع إلى الاعتمادات[3] اللازمة السفلية.

والقاصد أصله: القصد، ومنه يقال للعبد: أقصد، لأنه مما[4] ينبغي أن يقصد، وقصدت قصده: نَحَوْتُ نَحْوَهُ، وسفر قصد: سهل باقتصاده لا مما يقصد لسهولته.

والشقة: يصير إلى أرض بعيدة[5]، يقال: شقة شاقة، والشقة: القطعة من الأرض التي[6] شق ركوبها[7] إلى صاحبها لبعدها، وأصله يحتمل أن يكون من المشقة، والشق بكسر الشين المشقة، ومنه: ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾ [النحل:٧]، ويحتمل أن يكون من الشَّقّ الذي هو في الناحية من الجبل، ومنه الحديث «**في أهل غنيمة بشق**»[8]. قال ابن عرفة: «**بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ**» أي: الناحية التي يدنو إليها. قال الفراء: وجمعها: شُقَق[9] بضم الشين، وقيل: شِقَق بكسرها. وقال ابن البريدي[10]: يقال: فلان بعيد الشقة؛ أي: بعيد السفرة.

---

(١) لغة: تسعة، د.
(٢) يحرك: يجري، د.
(٣) الاعتمادات: اعتمادات، ض.
(٤) مما: ما، ض.
(٥) بعيدة: بعيد، ض.
(٦) التي: الذي، ض.
(٧) ركوبها: ركوتها، ض.
(٨) البخاري رقم٤٨٩٣.
(٩) شقق: شق، د.
(١٠) البريدي: اليزيدي، ض.

والعفو: الصفح من الذنب، وأصله الترك، كأنه ترك الشقة على الجزم.

۞ الإعراب

«**عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا**» نصب على خبر (كان)، تقديره: لو كان هذا المذكور عرضًا أو المدعو إليه عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا وقريبًا وقاصدًا[1] لغتان. و«**خفافاً وثقالاً**» نصب على الحال.

۞ النزول

قال مجاهد: لما أمروا بالنفر قالوا: فينا الثقيل وذو الحاجة، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية: «**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**» وأبى أن يعذرهم.

قال أبو الضحى: أول آية نزلت من براءة هذه الآية.

قيل: الآية نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين وهو[2] قوله: «**لو كان**» وما بعده.

وقيل: بل استأذنه جماعة من المؤمنين في التخلف ففيهم نزلت.

وذكر الأصم قال: لما نزلت الآية جاء ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله أعليّ جهاد؟ فقال: «**ما أنت إلا خفيف أو ثقيل**» فرجع ولبس سلاحه وجاء ووقف بين يدي رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

ومتى قيل: إذا كان ابتداء الآية في المؤمنين[3] فكيف وجه آخر الآيات إلى المنافقين؟

قلنا: لأنهم كانوا يظهرون الإيمان، فأجرى الله[4] عليهم حكم المؤمنين، وعرف حالهم؛ ليتحرز من[5] مكائدهم.

---

(١) وقريبا وقاصدا: ـ ، ض.

(٢) وهو: ـ ، أ، د.

(٣) المؤمنين: المسلمين، د.

(٤) الله: ـ ، أ، د.

(٥) من: ـ ، ض.

المعنى

ثم بين ـ تعالى ـ أن أمرهم في الجهاد حتم لا يقبل في التخلف[1] [عنه] معذرة، فقال سبحانه: «**انْفِرُوا**» أي: اخرجوا إلى الغزو[2] «**خِفَافًا وَثِقَالاً**» قيل: إلى خفة النفر[3] وثقله، فعم الكل بالعرض، عن الأصم. وقيل: شبانًا وشيوخًا، عن أنس، والحسن، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، ومقاتل، وأبي علي. وقيل: مشاغيل وغير مشاغيل، عن الحكم. وقيل: «خفافًا» من المال أي فقراء، «وثقالاً» منه، أي: أغنياء، عن أبي صالح. وقيل: نشاطًا وغير نشاط عن ابن عباس، وقتادة، وأبي مسلم. وقيل: ركبانًا ومشاة عن عطية العوفي، وأبي[4] عمرو. وقيل: ذا ضيعة وغير ذي ضيعة عن ابن زيد. وقيل: أصحاء ومرضى، عن مرة الهمذاني. وقيل: عزابا ومتأهلين[5]، عن يمان. وقيل: مسرعين خارجين ساعة استماع النفير، خف الرجل خفوفًا إذا مضى مسرعًا، وثقالاً بعد الاستعداد، وقيل: خفافًا من السلاح وثقالاً مستكثرين منه، والعرب تسمي الأعزل مخفًا، وقيل: خفافًا من الأتباع، وثقالاً مستكثرين بهم، وكل ذلك داخل في المعنى الذي بدأنا به؛ لأن كل ذلك مما يخف به الخروج أو يثقل «**وَجَاهِدُوا**» قاتلوا الأعداء «**بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**» يعني مَنْ قدر على الجهاد بالنفس فعل، ومن قدر عليه بالمال فَعَلْ بحسب الإمكان، وإنما يجب على الكفاية «**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي: في دينه وطريق ثوابه ورحمته «**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ**» قيل: خير لكم[6] من تركه إلى المباح، وقيل: إن فيه الخير لا في تركه «**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**» أن[7] الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير، وقيل: إن كنتم تعلمون صدق الله فيما وعد من ثوابه وجنته، عن أبي علي. «**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا**» أي: لو كان المدعو إليه عرضا

---

(١) التخلف: التقليد، ض، أ.
(٢) إلى الغزو: من الغز، ض.
(٣) النفر: التفرد، ض، أ.
(٤) وأبي: وابن، ض، أ.
(٥) ومتأهلين: ومتهايلين، ض، أ.
(٦) لكم: ـ ، ض.
(٧) أن: ـ ، ض.

«قَرِيبًا» أي: غنيمة حاضرة «وَسَفَرًا قَاصِدًا» يعني سفرًا سهلاً قريبًا متوسطًا من غير شدة ولا طول، وقيل: سفرًا قاصدًا يعني سفرًا قاصدًا أي غير شاق، وقيل: معنى قاصد: ذو[(١)] قصد نحو قولهم: تَامِر ولاَبِن[(٢)] [و] رامح، وقيل: طريق مقصود «فاعل» بمعنى «مفعول»، كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي: مرضية، وماء دافق [أي: مدفوق]، وقيل: قريبًا متوسطًا، عن أبي مسلم. «لاتَّبَعُوكَ» يا محمد «وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ» أي: المسافة[(٣)]، وقيل: هو السفر البعيد، عن قطرب. وسميت بذلك لأنه يشق على الإنسان، ثم أخبر المنافقين بأمر معيب لا يطلع عليه غيره ـ تعالى ـ فقال: «وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ» يعني إذا رجعتم إليهم يحلفون بالله كذبًا «لَوِ اسْتَطَعْنَا» قدرنا بالمال والنفس «لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ» أيها المسلمون، قيل: كانوا يستطيعون فحلفوا كذبًا عن الحسن، وقتادة، وابن إسحاق. «يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ» باليمين الكاذبة لما استحقوا من العذاب الدائم عليها، وقيل: يهلكون أنفسهم بما أَسَرُّوه من الشرك والعمل بالباطل «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» في أيمانهم «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»[(٤)] قيل: عفا الله[(٥)] عما أقدمت عليه من غير إذن الله، فلم تؤاخذ بجرمه وهو إذنه للمنافقين[(٦)] لما اعتذروا إليه، وقال قتادة وعمرو بن ميمون: شيئا نفعل هما رسول الله ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه [الفدية] من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون، وقيل: جاؤوا يستأذنون في الخروج رياء وسمعة ابتغاء الفتنة فأذن لهم، فعوتب: لِمَ أذن لهم؟ «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» في معاذيرهم وثباتهم، وقيل: إنه عظمه بافتتاح الكلام بالعفو، وإلا فإنه[(٧)] لم يقدم على معصية كما تقول لغيرك: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي، وقيل: معناه: أدام الله لك العفو «لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» قيل: في الخروج لأنهم استأذنوا

(١) ذو: ذا، أ.
(٢) تامر ولابن: يأمر فلابن، ض؛ بامر، أ.
(٣) المسافة: المشاقة، ض.
(٤) عنك: ـ ، ض.
(٥) قيل: عفا الله، ـ ، أ، د.
(٦) للمنافقين: المنافقين، ض.
(٧) فإنه: والإقامة، ض.

تملقًا، ولو خرجوا لابتغوك الفتنة وأرادوا الخبال، ولم يعلم النبي من سريرتهم ذلك، فلذلك أذن لهم، عن أبي مسلم. وقيل: لم أذنت لهم في القعود باعتذاراتهم الباطلة ولم يعلم النبي كذبهم بل ظنهم صادقين، عن أكثر المفسرين، وهو قول الأصم وأبي علي.

ومتى قيل: هل تدل الآية أن هذا الإذن كان قبيحًا ووقعت صغيرة؛ لأنه لا يقال للمباح: لم فعلت، وهو قول أبي علي.

وقال بعضهم: إنما قال: لِمَ فعلت؛ لأن غيره أفضل منه وإن كان الأول أيضًا غير قبيح.

ومتى قيل: إذا أمرهم بالخروج خفافًا وثقالاً فإذنه في التخليف لا يكون مباحًا؟

فجوابنا: أنهم اعتذروا بمعاذير كان عنده أن إذنهم لأجله يجوز، وكانوا كاذبين فاطلع الله عليها.

ومتى قيل: هل كان له طريق إلى معرفة كذبهم؟

قلنا: نعم بالتوقف في الإذن[1] حتى يأتيه الوحي، أو بالتفحص[2] عن أحوالهم؛ ولذلك قال: «**وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**».

وقيل: كان في ظنه أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا فأذن، فعوتب على الإذن، لكن إذا قعدوا ظهر نفاقهم.

«**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ**» يظهر لك يا محمد «**الَّذِينَ صَدَقُوا**» قيل: في معاذيرهم، وقيل: في خروجهم عن أبي مسلم. «**وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**» في ذلك.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب النفر على الكل عند دعاء الرسول خف النَّفْرُ أو ثقل[3]، ثم أسباب الخفة والثقل تختلف على ما حكي عن المفسرين.

---

(١) في الإذن: ـ ، ض.
(٢) بالتفحص: بالفحص، أ.
(٣) أو ثقل: وثقل، ض.

وتدل على وجوب الجهاد بالنفس والمال، والجهاد بالنفس ربما[1] يتعين وربما يكون فرضًا على الكفاية.

فأما الجهاد بالمال فينقسم:

فمنها إنفاقه على نفسه في أسباب الجهاد والسير إليه.

ومنها: صرفه إلى الآلات في الجهاد.

ومنها: صرفه إلى من ينوب عنه أو يخرج معه وكل ذلك داخل في الآية.

وتدل على أن[2] الجهاد واجب ابتداء وعند النفير[3]، وأنه يلزم وإن لم يُخَفْ على بلاد الإسلام.

وتدل على معجزة للرسول[4] ﷺ[5] حيث أطلعه الله على أسرارهم وأنهم يحلفون كاذبين.

ويدل قوله: «**عَفَا اللهُ عَنْكَ**» على[6] صغيرة، عن أبي علي[7] من وجهين:

أحدهما: «**عَفَا اللهُ عَنْكَ**».

والثاني قوله: «**لِمَ أَذِنْتَ لَهُم**[8]» فيدل على جواز الصغيرة على الأنبياء، وقد بينا أنه لا[9] يصح حمل الآية على[10] وجه لا يكون الإذن معصية.

وتدل على أن[11] النفير والجهاد والصدق والكذب واليمين فَعْلُهم لذلك صح الأمر والنهي والمدح والذم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) ربما: وما، د.
(٢) أن: ـ ، ض.
(٣) وعند النفير: وعنده التفسير، ض.
(٤) للرسول: الرسول، ض.
(٥) صلى الله عليه وسلم: ـ ، أ، د.
(٦) على: عن، د.
(٧) أبي علي: أبي عبيدة، د.
(٨) لهم: ـ ، ض.
(٩) لا: ـ ، أ، د.
(١٠) على: ـ ، ض.
(١١) أن: ـ ، ض.

ويدل قوله: «**لو استطعنا**» على قولنا أن الاستطاعة قبل الفعل؛ لأنهم إذا كذبوا في ذلك دل أنهم كانوا مستطيعين ولم يخرجوا، وإلا[1] كانوا صادقين، ومن وجه آخر فإنَّ[2] فَقْدَ المال إذا كان عَذَرَ المكلف[3] فَفَقْدُ القدرة أولى؛ لأنه لا[4] يخلو إما أن كانوا مستطيعين فلم يخرجوا وإما[5] لم يستطيعوا أن[6] يخرجوا فلم يخرجوا، وفي[7] كلا الوجهين يوجب[8] أن الاستطاعة قبل الفعل.

قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

اللغة

الاستئذان: طلب الإذن، كما أن الاستئمان طلب الأمان، وهذا الشيء[9] أصله الطلب.

والرَّيْبُ: شك معه تهمة، رابني كذا، وارتاب ارتيابًا، والارتياب: الشك، وهو الاضطراب في الاعتقاد، والفعل منه: ارتاب.

والتردد: التصرف بالذهاب والرجوع، تردد ترددًا.

---

(١) وإلاّ: أولاً، ض.
(٢) فإن: أن، أ.
(٣) المكلف: للمكلف، ض.
(٤) لأنه لا: ولا، د.
(٥) وإما: أو؛ أ، د، ض.
(٦) لم يستطيعوا أن: لو استطاعوا لم، أ.
(٧) وفي: في، ض.
(٨) يوجب: أن يوجب، ض.
(٩) الشيء: الشيئين، ض.

۞ الإعراب

قيل: في الآية حذف، وتقديره: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله ألا يجاهدوا، في معنى[1] قول أبي علي.

وقيل: المحذوف: كراهة أن يجاهدوا، عن الحسن. وتقديره: استأذنوك في القعود كراهة الجهاد.

وقيل: لا حذف فيه، عن أبي مسلم.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ـ تعالى ـ حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان[2]، فقال سبحانه: «**لا يَسْتَأْذِنُكَ**» أي: لا يطلب منك[3] الإذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة عن ابن عباس وأكثرالمفسرين، وقول الأصم وأبي علي. وقيل: لا يستأذنك في الخروج معك[4] تملقًا بعد معرفتهم بالإذن العام والدعاء إليه[5] المؤمن، بل يتأهب له يكتفي بالدعاء العام، عن أبي مسلم. «**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**» توحيده وعدله، ووعده[6] ووعيده «**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» يعني يوم القيامة، وسمي بذلك لتأخره عن الدنيا، وقيل: آخر أيام الدنيا المؤذِن[7] بظهور الساعة أن يجاهدوا[8]، عن أبي علي. وقيل: «**أَنْ يُجَاهِدُوا**» بالاستئذان في الخروج معه، عن أبي مسلم. «**بِأَمْوَالِهِمْ**» فيما ينفقه في سبيل الله «**وَأَنْفُسِهِمْ**» بالسيف والحجة «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**[9] **بِالْمُتَّقِينَ**» قيل: لم يُخْرِجْ هؤلاء المنافقين من جملة المتقين إلا لأنه عليم بالمتقين، وعليم أنه ليس منهم. قال

---

(١) معنى: ـ ، ض.

(٢) الاستئذان: الاستدلال، ض.

(٣) منك: منه، ض.

(٤) معك: ـ ، ض.

(٥) إليه: إلى، ض.

(٦) ووعدك: ـ، أ، د.

(٧) المؤذن: الموذون، ض.

(٨) أن يجاهد: أن لا يجاهدوا، ض.

(٩) عليم: أعلم، د.

ابن عباس: هذا تعيير[1] للمنافقين في الاستئذان وعذر للمؤمنين في قوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، «**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ**» يعني لا يستأذنك[2] ولا يطلب الإذن منك إلا هؤلاء المنافقين، قيل: في القعود مع دعائك إلى الخروج، عن أكثر المفسرين منهم ابن عباس، وقيل: في الخروج؛ لأنه مستغن عنه بدعائك، عن أبي مسلم؛ لأن المنافق يكرر الاستئذان[3] في الخروج تملقًا ولا يتأهب، والمؤمن يتأهب ولا يستأذن اكتفاءً بالدعاء الأول، وقيل: أرادوا بالاستئذان ألاَّ يخرجوا «**الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**» بتوحيده وعدله «**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» يوم البعث والنشور «**وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ**» أي: شكت قلوبهم واضطربت اعتقاداتهم «**فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ**» في[4] شكهم[5] «**يَتَرَدَّدُونَ**» أي[6]: يتحيرون.

الأحكام

تدل الآية على حرص المؤمنين في الجهاد، فلا يستأذنون[7] في القعود، وأن المنافق بخلافه.

وتدل على أن ذلك ليقين المؤمن بالجزاء وشك[8] المنافق فيه.

وتدل على أن[9] المعارف مكتسبة؛ لأن قوله: «**فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**» صفة الشاك المتردد دون المتيقن المستبصر.

وتدل على أن[10] الاستئذان والريب[11] والجهاد فعلهم.

---

(١) تغيير: تعبير، أ.
(٢) لا يستأذنك: ـ، ض.
(٣) الاستئذان: الاستدلال، ض.
(٤) في: ـ، ض.
(٥) شكهم: شك، ض.
(٦) أي: ـ، أ، ض.
(٧) يستأذنون: يستأذن، أ.
(٨) وشك: ولا يشك، ض.
(٩) أن: ـ، ض.
(١٠) أن: ـ، ض.
(١١) والريب: الريب، ض؛ الدين، أ.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

اللغة

العدة: ما أعددته للحوادث، ونظيره: الأهبة، قال عمرو بن معدي كرب:

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَابِغَةً وعَدَّاءً عَلَنْدَى[1]

ومنه: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة:٨٩]، فإذا أضفته[2] أظهرت الدال، تقول: أعد فلان، وأعددت أنا.

والبعث: الإثارة والإطلاق، يقال: بعثت الناقة: أثرتها[3]، والابتعاث: الانطلاق في الأمر[4] بسرعة، وفلان ابتعث في الأمر، أي: لا يقاد[5] له فيه.

التثبيط: التعويق، وهو أن يحول بين الإنسان وبين أمر يريده بالتزهيد فيه، يقال: ثبطه عن الأمر تثبيطًا: إذا أبطأت عنه، ومنه قول عائشة في سودة: امرأة ثَبِطَةٌ، أي: بطيئة[6].

---

(١) أعددت... علندى: أعدت للحدثان سابغة وعدا علندا، أ.

(٢) أضفته: ألصقته، أ.

(٣) أثرتها: أثرها، أ.

(٤) في الأمر: ـ، ض.

(٥) لا يقاد له: لا يقلد، أ.

(٦) بطيئة: ثبطة، ض، بطية، أ.

الخبال: الفساد في الأعضاء[١]، والخبل بفتح الباء وسكونها[٢]: الجنون؛ لأنه فساد في النفس، يقال: خبلت[٣] يدي: أفسدتها بالقطع، قال الشاعر:

أَبَنِي لُبَيْنَى[٤] لَسْتُمُ بِيَدِ [إلاَّ يَدًا][٥] مَخْبُولَةَ العَضُدِ[٦]

أي: فاسد العضد. والخبال والخَبَل والخَبْل: الفساد[٧]، وقد يكون ذلك في الأبدان والعقول، ومنه: من أصيب بدم أو خبل؛ أي: جرح يفسد العضو.

والإيضاع: الإسراع في السير، وضعت الناقة تضع وضعًا ووضوعًا، وهو سير سهل سريع، وأوضع: إذا سار ذلك السير، قال الراجز:

يَا لَيتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ[٨]

والخلل: الفرجة بين الشيئين، وجمعه: خلال، مثل: خل وخلال[٩]، ومنه: اللهم سَادَّ الخلة، أي: جابرَ الحاجةِ.

والابتغاء: افتعال من البغي، وهو الطلب، يقال: بغيت الخير أو الشر أبغيه بغيًا: إذا التمست له، بمعنى بغيت له.

والتقليب: تصريف الشيء بجعل أعلاه أسفله، قلب يقلب تقليبًا، ورجل حُوَّلٌ

(١) الأعضاء: الإعطاء، ض.
(٢) بفتح الباء وسكونها: بسكون الباء وفتحها، د.
(٣) خبلت: خلبت، ض.
(٤) لبينى: أبينا، أ.
(٥) إلا يدًا: ـ، ض.
(٦) هكذا في المخطوطات، والبيت في تفسير الطبري: ٧/ ٥٥٨، ١٠/ ٦٢٠:
أبني لبينى لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد
وفي تفسير القرطبي: ٤/ ١٧٤، وفتح القدير: ١/ ٥٦٦:
أبني لبينى لستم بيد إلا يد مخبولة العضد
اللسان (خبل)، وتاج العروس (خبل)، وتهذيب اللغة (خبل).
(٧) الفساد: الفاسد، ض.
(٨) المحكم (رجز)، وتاج العروس (جذع).
(٩) وخلال: وخيال، أ.

قُلَّبٌ، كأنه يطلب الاحتيال[1] في الأمور، يقال للمحتال المتصرف في وجوه الحيل: حُوَّلُ قُلَّبُ.

الإعراب

«**إلا خبالاً**» قيل: استثناء منقطع، وتقديره: ما زادوكم قوة، ولكن طلبوا خبالاً، كقول الشاعر:

وَبَـلْـدَةٍ لَـيْـسَ بِـهَـا أَنِـيـسٌ   إِلاَّ الـيَـعَـافِـيـرُ وإلاَّ الـعِـيـسُ[2]

لأنهم لم يكونوا على خبال[3] قط حتى يزاد فيه، وقيل: بل استثناء حقيقي، فتقديره[4]: ما زادوكم إلا تلونًا في الرأي ويقوده حتى يصير خبالاً.

«**يبغونكم الفتنة**»[5] أي: يبغون لكم الفتنة.

النزول

قيل: نزلت في[6] المنافقين، كعبد الله بن أُبَي، والجدّ بن قيس ومن تبعهم ممن تخلفوا[7] عن الناس في غزوة تبوك.

وقيل: لما تخلفوا نزل: «**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً**» الآية.

وقيل: كانوا أرادوا بالتخلف إفساد أمر النبي ﷺ.

المعنى

ثم ذكر ـ تعالى ـ أسرار المنافقين، فقال سبحانه وتعالى: «**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ**»

---

(١) الاحتيال: الإباء، ض؛ إرواه، أ.
(٢) تاج العروس (كنس)، واللسان(كنس).
(٣) على خبال: ـ ، ض.
(٤) فتقديره: تقديره، ض.
(٥) يبغونكم الفتنة: يبغون لكم الفتنة، ض.
(٦) في: ـ ، ض.
(٧) تخلفوا: تخلفون، ض.

يعني: المنافقين لو كان من عزمهم الخروج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ «**لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً**» أي: يهيئوا أهبة الحرب من الكراع والسلاح فتركهم ذلك يدل على أن عزمهم تخلف «**وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ**» أي: انطلاقهم وخروجهم إلى الغزو، وقيل: لأن[1] خروجهم للخبال والفساد كُفْرٌ، والله - تعالى - يكره الكفر ولا يريده، عن أبي علي.

ومتى قيل: كيف كره خروجهم مع الأمر به ولا بد أن يقبح أحدهما؟

قلنا: أمرهم ليخرجوا للنصرة، فلما كانوا يخرجون للتضرير[2] والنفاق[3] كره خروجهم ومنعهم عن الخروج؛ لأن خروجهم كان[4] معصية ومنعهم الله عنها، وكره ذلك.

وقيل: لأنه كان يقع على وجهه الفساد في التحذير منهم حتى يضطرب أمر الناس، وكان فيهم الأشراف كعبد الله بن أبيّ، والجد بن قيس وغيرهما، وهذا يدل على أن[5] الاستئذان كان في الخروج والإذن من النبي ﷺ أن في الخروج على ما ذهب إليه أبو مسلم؛ لأنه إذا كره الله - تعالى - خروجهم وأراد قعودهم وأذن نبي الله[6] ﷺ في قعودهم فلا عتب عليه، ولكن استأذنوا في الخروج تملقًا وإرادة[7] الخبال، فأذن لهم ولم يعلم ضمائرهم، فعلم الله - تعالى - ذلك من نياتهم ومنعهم من الخروج وكره خروجهم، وذكر أبو علي أن القوم استأذنوا في القعود وبِنِيَّتِهِمْ أنهم إن أذن لهم تخلفوا وإن لم يؤذن لهم خرجوا للخبال والفساد «**فَثَبَّطَهُمْ**» أي: منعهم وحبسهم «**وَقِيلَ اقْعُدُوا**» في بيوتكم، قيل: هذا كلام بعضهم لبعض، وقيل: بل من كلام النبي ﷺ على وجه الوعيد والتهديد، وليس بأمر ولا إباحة، وقيل: بل أذن لهم

(١) لأن: لا، ض.
(٢) للتضرير: للتضريب، ض.
(٣) والنفاق: ـ ، ض.
(٤) كان: كانت، ض.
(٥) أن: ـ ، ض.
(٦) نبي الله: النبي، ض.
(٧) وإرادة: وأرادوا، ض.

في القعود ليأمن من مكرهم وكان ذلك بأمر الله، وقد كان أذن لهم في الخروج عن أبي مسلم. «**مَعَ الْقَاعِدِينَ**» قيل: مع المرضى والزمنى والضعفاء، وقيل: مع النساء والصبيان «**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ**» يعني لو خرج المنافقون معكم أيها المؤمنون «**مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً**» قيل: فسادًا، وقيل: شرًا عن الكلبي. وقيل: غدرًا ومكرًا، عن الضحاك. «**وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ**» يعني لأسرعوا فبادروا وجدوا[١] في فسادكم[٢] بالدخول بينكم بالتضرير[٣] بنقل الكلام على التحريف، قال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم، وقيل: لأسرعوا فيما يخل بكم عن الزجاج، والأصم. وقيل: لأسرعوا[٤] مراكبهم وتثبيطكم، عن[٥] أبي الهيثم. وقيل: أسرعوا الفرار في أوساطكم «**يَبْغُونَكُمُ**» يطلبون لكم «**الْفِتْنَةَ**» قيل: الشر واختلاف الكلمة والفرقة، وقيل: التخاذل، وقيل: الكفر، عن الضحاك[٦]. وقيل: تشكيك الضعفة بشدة الأمر وصعوبة السفر، عن الأصم. «**وَفِيكُمْ**[٧] **سَمَّاعُونَ لَهُمْ**» قيل: قابلون منهم عند سماع[٨] قولهم، عن قتادة، وابن إسحاق، وجماعة. ثم اختلفوا على قولين: قال بعضهم: هم المنافقون، وقال بعضهم: هو ضعفة المسلمين، وقيل: معناه فيكم عيون لهم ينقلون إليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد، وابن زيد. وقيل: عيون منهم ينقلون أخباركم إلى المشركين عن الحسن. فبيّن ـ تعالى ـ أن خروجهم فساد عظيم دينًا ودنيا «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**» بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وقيل: عليم[٩] بما أضمروا عليه من الفساد عند الخروج، عن أبي مسلم. «**لَقَدِ ابْتَغَوُا**» طلبوا «**الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ**»

---

(١) وجدوا: وأوجدوا، د.

(٢) في فسادكم: في فساد، ض.

(٣) بالتضرير: بالتضريب، ض.

(٤) لأسرعوا: لأشرعوا، د.

(٥) عن: ـ ، ض.

(٦) عن الضحاك: ـ ، ض.

(٧) وفيكم: وبينكم، د.

(٨) سماع: السماع، د.

(٩) بالظالمين بهؤلاء... عليم: ـ ، ض.

قيل[١]: صَدَّ أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر، وقيل: بتخذيل[٢] الناس وترك نصرك[٣] كفعل عبد الله بن أبيّ يوم أحد حين صرف[٤] بأصحابه، وقيل: **«مِنْ قَبْلُ»** يعني يوم الأحزاب، قيل: طلبوا الإضرار بك حالاً بعد حال **«وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ»** قيل: طلبوا لك الحيلة[٥] من كل وجه ليبطلوا دينكم ولم يقدروا عليه، وقيل: كأنهم[٦] يريدون في[٧] كيده[٨] وجهًا من التدبير فإذا لم يتم فيه تركوا ذلك وطلبوا الكيد في غيره، وهذا تقليب الأمور عن أبي مسلم. وقيل: قلبولك ليخذلوا[٩] عنك أصحابك ويسيبوا أمرك **«حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ»** قيل: النصر والظفر الذي وعد الله به **«وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ»** قيل: دينه وهو الإسلام، وذلك ظهر على رغمهم، وقيل: ظفر على الأعداء **«وَهُمْ كَارِهُونَ»** يعني هؤلاء المنافقين كرهوا ظهور الإسلام وظفر المسلمين على الكفار.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنه ـ تعالى ـ كره خروجهم؛ لأنه كان معصية.

وتدل على أنه لا يريد المعاصي بل يكرهها، وقد بينا أن المأمور به الخروج للنصرة، والمكروه هو الخروج للفساد، والمأمور غير المكروه فلا تعلق للمجبرة في[١٠] الآية[١١].

وتدل على أنه ـ تعالى ـ ثبطهم فيحتمل أنه لطف حتى لم يخرجوا، فتدل على أنه

---

(١) قيل: ـ، ض.
(٢) بتخذيل: تحيل، ض؛ بحال، أ.
(٣) نصرك: نصرتك، ض.
(٤) صرف: يصرف، ض.
(٥) الحيلة: ـ، أ، د.
(٦) كأنهم: كانوا، ض.
(٧) في: ـ، ض.
(٨) كيده: كيدهم، ض.
(٩) ليخذلوا: ليخدعوا، ض.
(١٠) في: ـ، ض.
(١١) الآية: والآية، ض.

يلطف في ترك الكفر والفساد، ويحتمل أنه أمر فقيل لهم: لا تخرجوا.

وتدل على معجزة للرسول[1] حيث أخبر عن ضمائرهم وإرادتهم.

وتدل على أنه واجب قبل كل واجب[2] تأهب له وأراد به.

وتدل على أن الخبال والقعود فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

القراءة

قراءة العامة: «**قل لن يصيبنا**» يعني ما يصيبنا، وقرأ طلحة بن مصرف: «**قل هل يصيبنا**» يعني ما يصيبنا، وكذلك في مصحف ابن مسعود على أنه استفهام والمراد به النفي، فيحتمل أنه كان قراءة فنسخ.

اللغة

الإحاطة بالشيء والإحداق به من النظائر، يقال: أحاط بالجدار، وحَوَّطْتُ حائطًا، والحُواطَةُ: حظيرة تتخذ للطعام، ويقال: حاطه يحوطه: رعاه كأنه أحاط به[3].

والحسنة من الحسن، وتستعمل في النعمة والطاعة، وهو ما يستحسن، والحَسَنُ

---

(١) للرسول: لرسول الله، ض.

(٢) واجب: واحد، ض.

(٣) أحاط به: ـ ، ض.

والحُسْنُ، والمحاسن: ضد المساوئ، والإحسان: فعل الخير إلى الغير وهو الإنعام عليه. والسوء: حال ينافي النفس، ساءه يسوؤه[1] إساءة، وأصل الإساءة يكون قبيحًا. والتربص: الانتظار، يقال: لي في متاعي رُبْصَةٌ، أي: تَرَبُّصٌ.

الإعراب

(**هَلْ**) استفهام والمراد التقريع والإنكار للتربص المؤدي لصاحبه إلى الهلاك ونجاة خصمه.

وحذف النون من[2] (**يَقُولُوا**)؛ لأنه جواب الشرط وهو قوله: «**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ**» و«**يَتَوَلُّوا**»[3] جزم عطف[4] على (**يَقُولُوا**)[5].

«**وعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلَ**» عطف على «**قُلْ لَنْ يُصِيبُنَا**» تقديره: قل يا محمد ذلك لهم: وليتوكل المؤمنون على الله.

النزول

قيل: الآيات نزلت في المنافقين.

وقيل: نزل قوله[6]: «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي**» في الجدّ بن[7] قيس، ويكنى أبا وهب، وكان منافقًا، قال لرسول الله ﷺ وآله[8] لما دعاهم إلى حرب الروم: إني مُسْتَهْتِر[9] بالنساء فلا تفِتنّي ببنات الأصفر، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

---

(١) يسؤوه: يسؤه، أ.
(٢) من: ما، ض.
(٣) يتولوا: يقولوا، أ.
(٤) عطف: ـ، ض.
(٥) يقولوا: ما يقولوا، ض.
(٦) قوله: في قوله، ض.
(٧) ولا تفتني في الجدّ بن: ـ، أ، د.
(٨) وآله: ـ، ض.
(٩) مستهتر: مستهين، أ.

وقيل: قال: قد علم قومي أني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات الأصفر لا أصبر عنهن، فلا تفتني بهن، فائذن لي في القعود وأعينك بمالي. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، قال: «**أذنت لك فيه**»، ففيه نزلت الآية.

ولما نزلت الآية قال النبي ﷺ لبني سلمة وكان الجد منهم: «من سيدكم»؟ قالوا: الجد بن قيس غيرأنه بخيل جبان، فقال: «وأي داءٍ أدوى من البخل، بل سيدكم الفتى الأبيض البراء بن معرور».

۞ المعنى

ثم بيَّن تعالى سرًا آخر من أسرار المنافقين، فقال سبحانه: «**وَمِنْهُمْ**» أي: من المنافقين «**مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي**» في القعود عن الجهاد «**وَلا تَفْتِنِّي**» قيل: لا توقعني[1] بالعصيان إذا أمرت بالخروج ولم تخرج، عن الحسن وقتادة، وأبي عبيدة، والأصم، وأبي علي، والزجاج. وقيل: لا[2] تفتني ببنات[3] الأصفر، قال الجد بن قيس عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: لا تصرفني عن شغلي، وقيل: لا تعذبني بتكليف الخروج في الحر، وهو مثل قوله: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التوبة:٨١]. عن أبي مسلم. «**أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**» أي: ما وقعوا فيه من الفتنة بالتخلف عن رسول الله ﷺ أعظم، وقيل: في المعصية وقعوا، عن أبي علي. وقيل: في العذاب المُعَدِّ لهم، عن أبي مسلم. وقيل: اعتلالهم بالباطل هي الفتنة، وقيل[4]: ما هم فيه من الشك والنفاق أعظم، عن الأصم. «**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ**» أي ستحيط بهم فلا مهرب ولا مخلص منها، وأطلق كونها محيطة؛ لأن ما تحقق كونه فهو بمنزلة الواقع في الحال «**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ**» قيل: نعمة، وقيل: ظفر وغنيمة عن أكثر المفسرين، منهم أبو علي. «**تَسُؤْهُمْ**» أي يحزنهم ذلك حسدًا وبغضًا لكم[5]، وقيل: لأنهم أولياء الذين

---

(١) لا توقعني: ولا تؤمني، ض.
(٢) لا: إلا، ض.
(٣) ببنات: بنات، ض.
(٤) وقيل: ـ، ض.
(٥) لكم: ـ، ض.

ظفر بهم المسلمون «**وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ**» قيل: قَتْلٌ وهزيمة ونكاية، وسماها مصيبة وإن كانت[1] شهادة ومثوبة؛ لأن النفس تنفر منه، وإنما يعلم أنه غنيمة بالتفكر في العاقبة، وقيل: لأن المنافق يعدها مصيبة «**يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ**» قيل: أخذنا حذرنا وأخذنا بالحزم، عن مجاهد، يعني بالقعود وترك الجهاد، وقيل: أخذنا أمرنا[2] عن مواضع الهلكة فسلمنا عما وقعوا فيه، وقيل: كانوا يكاتبون المشركين ويخبرونهم بعداواتهم[3] للمسلمين من قبل هذه المصيبة «**وَيَتَوَلَّوْا**» يعرضوا ويدبروا عن النبي ﷺ والمؤمنين إلى منازلهم، وقيل: ينصرفون عن دينك عن الأصم. «**وَهُمْ فَرِحُونَ**» قيل: معجبون[4] مسرورون بما نال المسلمين من المصيبة شماتة «**قُلْ**» يا محمد لهم[5] «**لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**» أي لا يصيبنا إلا ما كتبه الله، يعني كل ما[6] يصيبنا كتبه الله في اللوح المحفوظ وعلمه، وإنما اختار لنا الجهاد لمصالحنا، فلسنا بمهملين على ما يتوهمون[7] من غير أن نُرْجِعَ أمرنا إلى تدبير ربنا في معنى قول[8] الحسن وأبي علي. وقيل: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا، عن أبي علي. وقيل: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا من[9] الثواب والجنة بقوله: «**كَتَبَ لَنَا**» أي: هي[10] لنا لا علينا، وإن كنتم تظنون ذلك علينا[11]، وقيل: ما كتبه لنا أي أوجبه[12] لنا، وفسره في الآية الأخرى وهي إحدى الحسنيين، عن أبي مسلم. وقيل: لن يصيبنا من جهة عدونا في الأنفس والمال إلا ما كتب عن الأصم. وقيل: الكتابة

---

(١) وإن كانت: وإن تصبك، د.
(٢) أخذنا أمرنا: أخذنا حررنا أمرنا، د.
(٣) بعداواتهم: لعداوتهم، د .
(٤) معجبون: معجبين، أ.
(٥) لهم: ـ ، ض.
(٦) كل ما: كلما، أ.
(٧) يتوهمون: يوهمون، د.
(٨) قول: ـ أ، د.
(٩) النصر الذي وعدنا... من: ـ ، ض.
(١٠) هي: ـ ، ض.
(١١) وإن كنتم تظنون ذلك علينا: ـ ، ض.
(١٢) أوجبه: أفرجته، ض.

عبارة عن العلم أي: ما علم الله أنه يقع، وقيل: لا[١] يصيبنا في سفرنا إلا ما كتب الله وهو ـ مع رأفته ـ لا يفعل إلا ما هو الأصلح في ديننا ودنيانا، فنحن نتوكل على الله «**هُوَ مَوْلَانَا**» قيل: مالكنا ونحن عبيده، وقيل: يتولى تدبيرنا، وقيل: ناصرنا ومعيننا وحافظنا، وقيل: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة عن الكلبي. «**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**» يعني يفوضون أمرهم إليه ويرضون بتدبيره «**قُلْ**» يا محمد لهم «**هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا**» أي: هل[٢] تنتظرون بنا أيها المنافقون «**إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**» وهذا تفصيل لما[٣] كتبه الله للمؤمنين والمنافقين عن أبي مسلم. وإحدى الحسنيين إما النصر والغنيمة مع الأجر[٤]، وإما القتل والشهادة المؤدية إلى الجنة وهو الفوز العظيم في معنى قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد. «**وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ**» أي: ننتظر بكم «**أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا**» قيل: بصاعقة من السماء، أو تسليط المؤمنين فيقتلونهم بالسيف، وقيل: بعذاب الموت[٥] بالقتل إن أظهرتم ما في قلوبكم عن ابن جريج، «**فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ**» قيل: انتظروا لنا فإنا منتظرون لكم، يعني ما تقدم ذكره، أي: ينتظرون إما القتل وفيه الشهادة والجنة، وإما الظفر وفيه الأجر والغنيمة، ونحن نتربص بكم إما[٦] أَسْرًا وذلا وقهرا[٧] وإما[٨] موتًا بعذاب، وإما قتل[٩] وتصيرون إلى النار، وقيل: تربصوا هلاكنا فنحن نتربص هلاككم، وقيل: تربصوا مواعيد الشيطان وهو إبطال دينه فنحن متربصون بكم[١٠] مواعيد الله من إظهار دينه ونصر نبيه واستئصال مخالفيه.

---

(١) وقيل لا: قل لن، ض.
(٢) هل: ـ، أ، د.
(٣) لما: ما، ض.
(٤) مع الأجر: بالأجر، ض.
(٥) قيل بصاعقة من السماء... الموت: ـ، ض.
(٦) إما: في، أ.
(٧) وقهرا: وقهرً، ض.
(٨) وإما: أو؛ أ، د، ض.
(٩) قتل: وقتل، ض؛ أو قتل، أ، د.
(١٠) بكم: ـ، أ، د.

۞ الأحكام

تدل الآية على [أن] استئذانهم في القعود لم يكن لعذر صحيح، وكان للنفاق. وتدل على أن كل كائن مكتوب في اللوح المحفوظ[١]، وإن ما[٢] يكتبه مصلحة للملائكة وفي الإخبار به مصلحة لنا[٣]،وذلك لا يغير حال القادر المختار كالخبر والعلم فلا تعلق للمجبرة بالآية.

وتدل الآية الثانية على وجوب الانقطاع إلى الله ـ تعالى ـ والتوكل عليه في السراء والضراء.

وتدل على وجوب الرضا بكل ما يكون من جهته ـ تعالى ـ من أفعاله وأوامره؛ لأنه لو أراد ما يكون من جهة الكفار وهو[٤] كُفْرٌ لكان الرضا به كفر، ولأن الكفر والمعاصي لا توصف بأنها مصيبة فلا تعلق للمجبرة به.

وتدل على أن المؤمن بين حسنيين إما الظفر والغنيمة، وإما[٥] الشهادة والجنة، والمنافق بين عقوبتين: إما الأسر أو القتل[٦]، وإما[٧] النار.

ويدل قوله: «**فتربصوا**» على تهديد عظيم وإن كان بصيغة الأمر، كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

وتدل على أن[٨] تربص العبد فِعْلُهُ[٩]؛لذلك قسمه، فجعل بعضه من جهته وبعضه من جهتهم.

---

(١) المحفوظ: ـ، أ، د.
(٢) وإن ما: وإنما، ض.
(٣) مصلحة لنا: للملائكة لنا، ض.
(٤) وهو: فهو، أ.
(٥) وإما: أو؛ أ، د، ض.
(٦) أو القتل: والقتل، أ.
(٧) وإما: أو؛ أ، د، ض.
(٨) أن: ـ، ض.
(٩) تربص العبد فعله: التربص فعل العبد، ض.

قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ههنا وفي (النساء) و(الأحقاف) «**كُرها**» بضم الكاف[١]، وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب في (الأحقاف) بالضم من المشقة، وفي (النساء) و(التوبة) بالفتح من الإكراه، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الكاف في جميع ذلك، قيل هما[٢] لغتان، وقيل: بالضم المشقة وبالفتح ما أكرهت عليه، يقال: كرهت الشيء كرهًا وكراهة، وأكرهته عليه إكراهًا.

قرأ حمزة والكسائي: «**أَنْ**[٣] **يقْبَلَ**» بالياء لتقديم الفعل[٤]، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث النفقات.

اللغة

التَّقَبُّلُ: «**تَفَعُّلٌ**» من القبول، وهو إيجاب الثواب على العمل، كتقبل الهدية وتقبل التوبة.

والمنع معنى ينافي الفعل وهو على وجهين، منع أن يفعل، ومنع أن يفعل به،

(١) حجة القراءات ٣١٩.
(٢) قيل هما: هاهنا، د.
(٣) أن: لن، د.
(٤) حجة القراءات ٣١٩.

وهؤلاء منعوا من الفعل بهم قبول نفقتهم، كقولك: منعتهم[1] بِرِّي وعطائي[2]، والمنع يضاد الفعل، والعجز يضاد القدرة عند من يثبته معنى، والممنوع قادر على الفعل عندنا.

والكسل: التثاقل عن[3] الأمر، وامرأة مِكْسالٌ: لا تكاد تبرح مجلسها.

والزَّهْقُ: أصله الهلاك، يقال: زَهَقَتْ نفسه: تَلِفَتْ، وكل هالك[4] زاهق، ومنه: ﴿وَزَهَقَ[5] ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ [الإسراء:٨١] وزهق[6] يزهق زهوقًا، والزاهق من الدواب السمين؛ لأنه هالك بثقل بدنه في السير والكر والفر، وزهق الفرس أمام الخيل: تقدمها، كأنه ذهب سابقًا حتى هلك، والزَّهُوقُ: البئر البعيدة القعر لهلاك من يقع فيها، قال المبرد: وفيه لغتان: زَهَقَ يَزْهُقُ، نحو: جَمَدَ يَجْمُدُ، وزَهَقَ يَزْهِقُ، نحو: ضَرَبَ يضرِبُ.

والإعجاب: السرور بما[7] يتعجب منه، أعجبني حديثه أي[8] سرني.

الإعراب

«**أنفقوا**» وإن كان صيغته صيغة[9] الأمر فليس بأمر، ثم اختلفوا، قيل: هو خبر وبيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩]، وقيل: معناه الخبر والجزاء، قال كثّير:

أَسِيئي بنا أو أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ ... لَدَيْنا ولاَ مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[10]

---

(١) منعتهم: منعه، ض.
(٢) وعطائي: وأعطاني، ض.
(٣) عن: عند، ض.
(٤) هالك: هلاك، ض.
(٥) وزهق: زهق، ض.
(٦) وزهق: ـ، ض.
(٧) بما: وربما، ض.
(٨) أي: ـ، ض.
(٩) صيغة: ـ، ض.
(١٠) المحيط (حسن)، وتاج العروس (سؤا)، وتهذيب اللغة (حسن)، واللسان (حسن).

كأنه قال: إن أسأْتِ أو حسنت لا تلامين[1]، وههنا كأنه قيل: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا فليس بمقبول منكم، و(أَنْ) الأولى في موضع نصب و [أَنَّ] الثانية في موضع رفع تقديره: منع قبول نفقاتهم كفرهم.

ويقال: ما عامل الإعراب في قوله: «**أنهم كفروا**»؟

قلنا: فيه قولان:

الأول: (منعهم)، تقديره: ما يمنع من[2] ذلك إلا كفرهم.

وقيل: فيه حذف تقديره: وما منعهم الله منه إلا أنهم[3] كفروا.

واللام في قوله: «**ليعذبهم**» قيل: بمعنى (أن) وأن[4] واللام بمعنى واحد، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾ [التوبة: ٨٥]. وقيل: هو لام العاقبة، تقديره: عاقبة أمرهم أن الله يريد تعذيبهم.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في الجدّ بن قيس حين استأذن النبي[5] ﷺ في القعود عن الجهاد، فقال: هذا مالي[6] أعينك به، عن جماعة من المفسرين.

۞ المعنى

ثم بين ـ تعالى ـ أن هؤلاء المنافقين[7] لا ينتفعون بشيء من طاعتهم مع إقامتهم على الكفر، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد لهؤلاء المنافقين «**أَنْفِقُوا**» أخرجوا المال في السبيل «**طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**» أي طائعين أو كارهين «**لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ**» يعني: لا يقبل تلك

(١) تلامين: تلامي، أ.
(٢) من: ـ ، ض.
(٣) أنهم: لأنهم، ض.
(٤) وأن: ـ ، ض.
(٥) استأذن النبي: استأذن إلى النبي، ض.
(٦) مالي: مالاً، أ.
(٧) المنافقين: المنافقون، أ.

النفقة، وقبولها بإيجاب الثواب عليها، وقيل: لا تحمدون عليها في الدنيا ولا تثابون عليها في الآخرة لكفركم، عن الأصم.

ثم بين الأسباب[١] التي[٢] لها[٣] لم يقبل نفقاتهم، فقال سبحانه: «**إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ**» أي: خارجين عن طاعة الله والإيمان بالكفر والنفاق «**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ**» يعني المانع من قبول نفقاتهم أنهم كفروا بالله ورسوله، وإنما لم يقبل ذلك عنهم، قيل: لأنهم كرهوا الإنفاق ديانة وإنما أنفقوا رياء وسمعة، وقيل: لأنهم أحبطوها[٤] بالكفر «**وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى**» متثاقلين، يعني لم يؤدوا الصلاة كما أمروا بها، بل أدوها نفاقًا وهو باعث على الكسل، ولو أدوها[٥] إيمانًا وعلموا[٦] ما فيها[٧] لكان باعثًا على النشاط، وقيل: لأنهم لا يرجون في أدائها ثوابًا ولا في تركها عقابًا «**وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**» للإنفاق[٨] لأنهم يعدونها مغرمًا، وإنما ضم[٩] ترك الصلاة والزكاة إلى الكفر مبينًا أن ذلك في منع قبول الطاعات كالكفر «**فَلا تُعْجِبْكَ**» قيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المؤمنين، وقيل: أراد لا تعجبك أيها السامع المخاطب، ومعنى «**لاَ تُعْجِبُكَ**» أي[١٠]: لا تنظر إليهم بعين الإعجاب فتظن أن[١١] إعطاءهم من المال والأولاد والنعم كرامةٌ لهم، ولكن أراد استدعاءهم إلى الطاعة والمصلحة التي لهم فيه، فإذا[١٢] كفروا وعوقبوا على ذلك فقد أتوا من جهتهم

(١) الأسباب: السبب، أ.
(٢) التي: الذي، ض.
(٣) لها: ـ ، ض.
(٤) أحبطوها: أحبطوا، ض.
(٥) أدوها: أرادوها؛ أ، د؛ لم يؤدوا الصلاة... أدوها: ـ ، ض.
(٦) وعلموا: ض؛ عملوا، أ.
(٧) فيها: فيه، ض.
(٨) للإنفاق: الإنفاق، ض.
(٩) وإنما ضم: الأضم، ض.
(١٠) أي: ـ ، أ، د.
(١١) أن ـ ، ض.
(١٢) فإذا: ماذا، ض.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا في هذا التعذيب على قولين، منهم من قال: إنه في الدنيا، ومنهم من قال: إنه في الآخرة، واختلف كل منهم في تقدير الآية.

فأما من قال: إن العذاب في الدنيا، قيل[(١)]: تقديره: لا تعجبك أموالهم ولا[(٢)] أولادهم في الحياة الدنيا؛ لأنه ـ تعالى ـ لما كفروا نِعَمَهُ يريد أن يعذبهم في الحياة الدنيا يعني[(٣)] بأخذ الزكاة[(٤)] والنفقات، عن مجاهد، والحسن، والسدي. وقيل: بالمصائب، عن ابن زيد. وقيل: بالسبي وغنيمة الأموال، فلا يعجبك ذلك إذا كان هذا عاقبته، عن أبي علي. وقيل: هذا في المنافقين، والعذاب بها عندما يلقون الملائكة في وقت البشارة بالعذاب بسبب الأموال، فسمي ذلك تعذيبًا بالمال والولد توسعًا، وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعها، والكد في حفظها، والكره في إنفاقها، والصبر على مكاره الأولاد، ثم يموتون كفارًا فيعاقبون[(٥)]، فهي فتنة لهم في الدنيا والآخرة، وقيل: بأمرهم بإخراج الحقوق منها وهو تعذيبهم، عن الزجاج. والإرادة على هذا، قيل: تعود إلى بقاء النعمة مع كفرهم[(٦)] ليكونوا في[(٧)] كدّ وعناء ثم يتركوه[(٨)]، عن أبي مسلم. وقيل: تعود إلى الإنعام عليهم.

فأما من قال: إن التعذيب في الآخرة قال: في الآية تقديم وتأخير، أي: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا؛ لأنه[(٩)] ـ تعالى ـ يريد أن يعذبهم بسببها في الآخرة عن ابن عباس، وقتادة. والتعذيب بسببها[(١٠)] قيل: لمنع حقوق المال،

---

(١) في تقدير الأية... قيل: ـ ، ض.
(٢) ولا: ـ ، ض.
(٣) يعني: ـ ، ض.
(٤) الزكاة: الزكوات، ض.
(٥) فيعاقبون: فيعذبون، ض.
(٦) كفرهم: كبرهم؛ أ، د.
(٧) في: ـ ، ض.
(٨) يتركوه: يتركونه، ض.
(٩) لأنه: لا، ض.
(١٠) بسببها: بسببهم، د.

وحمل الأولاد على الكفر، عن أبي علي،وقيل: لجمع المال من غير حله، ومنع الحقوق اللازمة، والحرص على تخليصه، وحبال أولاد يحملهم[١] على ترك الجهاد وترك النفقة فيدخلون النار.

«**وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**» قيل: هذا إخبار بأنهم لا يؤمنون ويموتون[٢] على الكفر، ومعنى الكلام: تخرج أنفسهم في حال كفرهم، وقيل: هذا ذم لهم، كأنه قيل: تزهق روحهم لكفرهم كما يقال لمن لا يقبل الموعظة: دعه تزهق روحه، وقيل: معناه يريد إزهاق روحهم في حال الكفر، والإرادة تتعلق بإزهاق الروح بالكفر[٣] وهم كافرون في موضع الحال، كقولهم: أريد أن أضربه وهو عاصٍ، والإرادة تتعلق بالضرب[٤] لا بالعصيان.

الأحكام

تدل الآيات على أن الطاعات لا تقبل مع الكفر والنفاق.

وتدل على تحابط الأعمال.

وتدل على أن الفسق يمنع من القبول كالكفر؛ لأن ضَمَّ[٥] ذلك إلى ترك الصلاة والزكاة يوجب أن كل واحد[٦] يمنع القبول، ولأنه نص[٧] على الفسق، ونص على أن طاعته بالنفقة لا تقبل لكفره ولترك الصلاة.

وتدل على أن الكفار مخاطبون بالشرائع؛ لأنه ذمهم على ترك الصلاة والزكاة، فلولا وجوبها عليهم لما ذموا بتركها.

وتدل على أن أولادهم ونعمهم سبب لتعذيبهم إما في الدنيا وإما في الآخرة.

---

(١) يحملهم: يحمل، د.
(٢) ويموتون: ويميتون، ض.
(٣) بالكفر: لا بالكفر، ض.
(٤) بالضرب: بالضرر، د.
(٥) لأن ضم: إلا ضم، ض.
(٦) واحد: أحد، أ.
(٧) نص: يظن، ض.

قوله تعالى:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

القراءة

قرأ يعقوب الحضرمي «**مَدْخلاً**» بفتح الميم وسكون الدال، وهو قراءة ابن[1] إسحاق والحسن، من دَخَلَ يَدْخُل مَدْخلاً أي موضعًا للدخول. والقراء السبعة كلهم قرؤوا[2] «**مُدَّخلاً**» بضم الميم وفتح الدال وتشديدها من ادّخل يدّخل[3]، من باب «**افتعل يفتعل**»، والمعنى واحد عن سلمة بن محارب بضم الميم وسكون الدال من أدخل يدخل من باب أَفْعَلَ يُفْعَلُ، وقرأ الأعرج بتشديد الدال والخاء مضمومة الميم جعله (مُتدخّلاً)[4] ثم أدغم التاء في الدال كالمزمل والمدثر.

قراءة العامة «**مَغارات**» بفتح الميم، وعن عبد الرحمن بن عوف بضمها، جعلهم فعلاً من أغار يغير إذا أسرع[5].

قراءة العامة: «**لَوَلَّوْا**» [6] من الإعراض، وعن أشهب العقيلي «**لوالوا**» من الموالاة، وفي حرف[7] أُبَيّ: (لولّوا وجوههم إليه) ويحمل على أنه فسره به.

اللغة

الحلف والقسم واليمين نظائر، والحلف على ضربين: أحدهما: بالله أو باسم من أسمائه، والثاني شرط وجزاء كقوله: إن دخلت الدار فعبده حر.

---

(١) ابن: أبو، ض.

(٢) كلهم قرؤوا: قرأوا كلهم، ض.

(٣) يدخل: ـ ، ض.

(٤) متدخلاً: مدخلاً، ض.

(٥) أسرع: شرع، ض.

(٦) لولوا: لووا، أ.

(٧) حرف: جزو، د.

والفَرَقُ: الخوف، وأصله مفارقة الأمن.

والوجدان: إدراك المطلوب، وجدت الضالة وِجْدَانًا، ووجدت على الرجل مَوْجِدَةً[١].

والمغارة: «مَفْعَلَةٌ» من غار الرجل في الشيء يغور إذا دخل في موضع ستره، وجمعه: مغارات، والغار: النقب في الجبل، ومن ذلك: غار الماء إذا غاب في الأرض، وغارت عينه إذا دخلت في الحدقة، والغور ما انخفض من الأرض، ومنه: غور تهامة.

والملجأ: موضع يُتَحَصَّنُ فيه ونظيره المعقل والموئل، وأصله من لجأ إليه، واللَّجَأُ[٢] والملجأ: المكان الذي يلتجأ[٣] إليه.

والمدَّخل بالتشديد: «مفتعل» من الدخول، كالمتلج من[٤] الولوج، وهو المدخل أيضًا بفتح الميم والتخفيف.

الجِمَاحُ[٥]: مضي المار مسرعًا على وجه لا يرده[٦] شيء عنه.

قال الزجاج: فرس جموح، وهو الذي حمل لم يرده اللجام، وهذا ذم، قال مهلهل:

لَقَدْ جَمَحْتُ جِمَاحًا في دِمَائِهِمَ ... حَتَّى رَأَيْت ذُوي أحْسَابِهِمْ خَمَدُوا[٧]

والجموح: الراكب هواه، قال الشاعر:

خَلَعْتُ[٨] عِذَارِي جَامِحًا ماَ يَرُدِّنِي ... عَن البِيضِ أمْثَال الدمى زَجْرُ زَاجِرِ[٩]

---

(١) موجدة: موجودة، أ.
(٢) واللجأ: واللجاه، ض.
(٣) يلتجأ: ـ ، ض.
(٤) كالمتلج من: كالمثل في، ض.
(٥) الجماح: الجماع، ض.
(٦) لا يرده: لا يره، د.
(٧) جمحت. . . خمدوا: لقد جمحت جامحا في دمائهم حتى رأيت دوي أجسامهم حمدوا، أ.
(٨) خلعت: خلصت، أ.
(٩) الصحاح (جمح)، واللسان (جمح)، وتاج العروس(جمح).

ويقال: هذا فرس جموح إذا ركب رأسه فلم يرده اللجام، وهذا ذم، وفرس جموح أتى سريعا، وهذا مدحٌ، قال امرؤ القيس:

جَمُوحًا مَرُوحًا وإِحْضَارُها كَمَعْمَعَةِ السَّعْفِ المُوقَدِ[١]

۞ الإعراب

يقال: لم كان جواب الحلف بـ (إن) المكسورة؟

قلنا: في الاستئناف المحلوف عليه مع فضله من المحلوف كما دخلت لام[٢] الابتداء في هذا الموضع. مدخلاً أصله متدخلاً فقلبت التاء دالاً؛ لأن ما قبلها دال، كما أدغمت الدال الأولى في الثانية فصار مدّخلاً.

۞ المعنى

ثم أظهر ـ تعالى ـ سرًا من أسرار القوم معجزة للنبي ﷺ وتوبيخًا لهم، فقال[٣] سبحانه: «**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ**» يعني المنافقين يحلفون للمسلمين «**إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ**» قيل: في[٤] الإيمان والطاعة، وقيل: في[٥] الدين والملة، وقيل: إنهم منكم في الباطن كما هو في الظاهر، وقيل: إنهم منكم في معونتكم ونصرتكم[٦] «**وَمَا هُمْ مِنْكُمْ**» تكذيب من الله لهم؛ أي: ليسوا منكم؛ لأنكم أهل إيمان وإخلاص وهم أهل كفر ونفاق، وإنما يظهرون خوفًا بل هم «**قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**» قيل: يظهرون الإيمان خوفًا وفرقًا لا إيمانًا بل خلاصًا من خوف القتل، عن أبي علي، وقيل: يفرقون من إظهار ما في قلوبهم فيقتلون وتغنم أموالهم، عن الأصم. «**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً**» قيل: حرزًا، عن ابن عباس، وقيل: حصنًا، عن قتادة. وقيل: قومًا يأمنون فيهم عن الأصم. وقيل: موضعًا يتحصنون فيه

---

(١) اللسان (جمح)، وتهذيب اللغة (جمح).

(٢) لام: لأمر، أ.

(٣) فقال: قال، ض.

(٤) في: ـ ، ض.

(٥) في: ـ ، ض.

(٦) ونصرتكم: ونصركم، ض.

أَوْ مَغَارَاتٍ» قيل: غِيرَانًا في الجبال عن ابن عباس، والأصم، وأبي مسلم. وقيل: سراديب، عن عطاء. وقيل: موضعًا يعيشون فيه عن الأخفش. وقيل: موضع فرار «**أَوْ مُدَّخَلاً**» قيل: موضع دخول يأوون إليه عن الضحاك، وقيل: مدخلاً[1] محرزًا عن مجاهد، وقيل: سربًا عن قتادة. وقيل: نفقًا كنفق اليربوع، عن ابن زيد، وقيل: وجهًا يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ، عن الحسن. وقيل: قوما[2] من أهل حربكم لا ينالهم منكم ما يخافون من القتل والأسر، عن الأصم. «**لَوَلَّوْا إِلَيْهِ**» أي: لأدبروا إليه هربًا منكم، وقيل: لتحَصَّنُوا منكم وأظهروا خلافكم «**وَهُمْ يَجْمَحُونَ**» أي يسرعون لا[3] يلتفتون إلى شيء ولا يردهم شيء من ذلك.

۞ الأحكام

تدل الآية على قبح الحلف كاذبًا لذلك ذمهم عليه.

وتدل على أن إظهار الإسلام لخوف إذا لم يوافقه الاعتقاد لا يستحق عليه الثواب، ولا يزال به الكفر.

وتدل على أن أولئك المنافقين لو وجدوا موضعًا حصينًا لعدلوا إليه، وإنما بقاؤهم ههنا لعدم الحيلة، وذلك بيان لعظيم نفاقهم.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) قيل موضع... مدخلا: ـ، ض.

(٢) مدخلا: داخلاً، ض؛ دخلا، أ.

(٣) لا: ولا، ض.

۞ القراءة

قرأ الحسن والأعرج وأبو رجاء وسلام ويعقوب: «**يلمُزك**» بضم الميم، وعن ابن كثير بضم الياء وتشديد اللام وفتحها[١]، وعن بعضهم (يلامزك)، وقراءة القراء «**يَلمِزك**» بفتح الياء وكسر الميم والتخفيف. و(يلمُزك) بضم الميم وكسرها لغتان، ولمازٌ بالتشديد فَعَّالٌ[٢] منه، ومُلامزة «**مفاعلة**».

وقراءة العامة «**يسخطون**»، وقرأ إياد بن لقيط: «**ساخطون**».

وقراءة العامة «**فريضةً**» بالنصب، وعن أبي عبلة بالرفع، جعله خبرًا، تقول: إنما زيد خارج.

۞ اللغة

الهمز واللمز: العيب والغض[٣] من الناس، وقيل: هما شيء واحد، قال الشاعر:

وإنْ تَغَيَّبْتُ كنتَ الهامز اللُّمَزَةْ[٤]

قال الليث: اللمز: الذي يعيبك في[٥] وجهك، والهمز: الذي يعيبك بالغيب[٦]، ورجل لمَّازٌ ولُمَزَةٌ: عَيَّابٌ[٧]، ولمزه يلمِزه ويلمُزه بالكسر والضم، وقال بعضهم: اللمز أن يسير إلى صاحبه بعيب جليسه، والهمز أن يكسر عينه على جليسه، وقال بعضهم: الهمز أن يؤذي جليسه بسوء، واللمز أن يكسر عينه عليه ويشير برأسه، قال الزجاج: اللمز: العيب بالمسارة، والهمز: العيب بكسر عينه.

---

(١) السبعة في القراءات ٣١٥.

(٢) فعال: يفتعل، أ.

(٣) والفض: والعص، ض.

(٤) وإن تغيبت... اللمزة: فإن عبت فأنت الهامز اللمزة، أ.

صدر البيت: وإذا لقيتُك عن سَخْط تكاشِرُني.

انظر: في جمهرة اللغة (زلم)، وتهذيب اللغة (همز)، واللسان (همز).

وفي تفسير الطبري ١٤/٣٠١:

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً ... وَإِنْ أُغَيَّبْ فَأَنْتَ العَائِبُ اللُّمَزَة

(٥) في: من، ض.

(٦) بالغيب: بالعيب، أ.

(٧) عياب: غياب، أ.

الصدقة: العطية للفقير وسد الخَلَّة.

يقال: رغب في الشيء: أراده، ورغب عنه: كرهه، والرَّغِيبَة: العطاء الكثير، والجمع: رغائب؛ لأنها يرغب فيها، قال الشاعر:

وإلَى الَّذي يُعْطِي الرَّغائِبَ[1] فَارَغَبِ[2]

يقال: رغب يَرْغَبُ رَغَبًا ورُغْبًا بفتح الراء[3] وضمها ورَغْبَةً ورَغْبَى مثل شَكْوىَ[4]، والترغيب: الدعاء لما فيه الرغبة، وفي الحديث: «**الرغب شؤم**» يعني الحرص على الدنيا شؤم.

والغُرْمُ: أصله اللزوم في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ **[الفرقان: ٦٥]**، وقيل: أصل الغرم الهلاك، وقيل: أصله الخسران، والغارم الذي لزمه الدين، والغريم سمي بذلك للزومه، والمغرم المثقل بالدين.

والفقير: المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، فَقُرَ الرجل فقرًا[5] وافتقر[6] افتقارًا، وأفقره الله إفقارًا.

والمسكين: الفقير الذي أسكنته الحاجة عن حال[7] أهل الثروة.

والمؤلفة مأخوذ من أَلَّفْتُ[8] بين الشيئين، وهذا أليفك، والتأليف عند المتكلمين قيل: هو معنى يحل محلين[9] عن أبي علي، وأبي هاشم، وقال أبو القاسم: ليس بمعنى.

---

(١) الرغائب: الرغا، د.

(٢) عجز البيت للنمر بن تولب، وصدره:
ومتى تُصِبْكَ خصاصةٌ فارْجُ الغِنَى. انظر: في لسان العرب (رغب)، وجمهرة اللغة (برغ)، والصحاح (رغب).

(٣) الراء: الواو، ض.

(٤) شكوى: الشكوى، ض.

(٥) فقرا: فقور، ض.

(٦) وافتقر: ـ ، ض.

(٧) حال: ـ ، ض.

(٨) ألفت: اللقب، ض.

(٩) محلين: المحلين، ض.

۞ الإعراب

جواب «**لو**» في قوله: «**ولو أنهم رضوا**» محذوف لعلم المخاطب بالمراد، وتقديره: لكان خيرًا لهم وكان أعود عليهم، وقيل: حذف الجواب في مثل هذا أبلغ؛ لأنه لتأكيد العلم به، استغنى عن ذكره مع أن النفس تذهب إلى كل نوع منه، والذكر يقصره على ما ذُكِرَ دون غيره عن علي بنعيسى.

«**فريضة**» قيل: نصب على القطع عن الكسائي، وقيل: على المصدر عن سيبويه، تقديره: فرض الله هذه الأشياء فريضة.

۞ النزول

قيل: نزلت في قسمة الصدقات يوم هوازن، فقام رجل يقال له: حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك، ومن يعدل إن أنا لم أعدل»[1]، فقال عمر: ائذن لي في ضرب عنقه، فقال ﷺ: «دعه فإن له أصحابًا سيحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم[2] ﷺ رجل أسود في إحدى يديه مثل ثدي المرأة، يخرجون على فترة من الناس» وهم في غير هذا الحديث: «فإذا خرجوا فاقتلوهم»، فنزلت الآية: «**ومنهم من يلمزك**» عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، فقال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليًا حين قتلهم[3] وأنا معهم جيء بذلك الرجل[4] على النعت الذي نعته رسول الله ﷺ[5].

---

(١) البخاري رقم ٢٩٦٩، ومسلم رقم ١٠٦٣.

(٢) فيهم: بينهم، ض.

(٣) قتلهم: قلهم، ض.

(٤) الرجل: ـ، ض.

(٥) حرقوص بن زهير من الصحابة الذين أمّرهم عمر بن الخطاب في حروبه، حيث شهد فتح تستر، وافتتح سوق الأهواز.وبهذا فمن المستبعد جدا أن يكون هو الذي قال للنبي ﷺ: «اعدل»، وقام عمر يستأذن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قتله، إذ لو كان كذلك لما ولاه عمر لاحقا أميرا على أجناده.
وقد جعلت رواية البخاري اسم الرجل المذكور في هذه القصة عبد الله بن ذي الخويصرة. وأما من جعل اسمه حرقوص بن زهير فهو أحد الرواة كما يقول ابن حجر: «وما أدري من الذي قال: وهو حرقوص. . .».وبالجملة، فإن الروايات التي تخص الفرق والاختلافات بينها ينبغي أن تؤخذ بحذر وتمحيص شديدين.

وقيل: إن رجلاً قال له: إن كنت تزعم أن الله أمرك بالعدل فما تعدل اليوم، قال: «ويحك[١]، فمن يعدل عليك بعدي»، رواه الأصم.

وقيل: إنها نزلت في المنافقين، وإن رجلاً منهم قال لرسول الله ﷺ: لَمْ تقسم بالسوية، فنزلت الآية، عن الكلبي.

وقيل: أتاه رجل وهو يقسم، فقال: ألست تزعم أن الله ـ تعالى ـ أمرك أن تضع الصدقات في الفقراء والمساكين؟ قال: «بلى»، قال: فما لك تضعها في رعاة الغنم، قال: «إن أفضل نبيّي الله موسى كان راعي الغنم» فلما ولى الرجل قال ﷺ: «احذروا هذا[٢]»، عن الحسن.

قيل: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال المنافقون: «ما جاء هذا بأربعين أوقية إلا رياء وسمعة، وإن كان الله لغنيًا عن صاع هذا»، ففيهم نزلت الآية عن الضحاك.

وقيل: قالت المنافقون: ما يعطيها محمد إلا من أحب ولا يؤثر بها إلا هواه، ففيهم نزلت الآية، عن ابن زيد.

۞ المعنى

ثم ذكر المنافقين وسوء مقالهم، فقال سبحانه: «**وَمِنْهُمْ**» أي من المنافقين «**مَنْ يَلْمِزُكَ**» أي: يعيبك ويطعن عليك عن الحسن وغيره «**فِي الصَّدَقَاتِ**» أي: في أمرها وقسمتها، وكان عيبهم أن قالوا: إنه يفضل البعض على البعض ميلاً[٣] ومحاباة فعْلَ مَنْ يتبع هواه «**فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا**» يعني: الكثير وما أرادوا رضوا وأقروا بالعدل وتحقيق النبوة وأظهروا ذلك «**وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا**» الكثير وما أرادوا «**إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**» يغضبون ويعيبون، فبين ـ تعالى ـ أن المنافق رضاه وسخطه في طمعه «**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ**» من فضله[٤] «**وَرَسُولُهُ**» أي: رجعوا إلى الله والرسول وآمنوا ورضوا بما

---

(١) ويحك: ويلك، د.
(٢) هذا: ـ ، ض.
(٣) ميلاً: مثلاً، ض.
(٤) من فضله: ـ ، ض.

أعطاه وبحكمه وبما أعطاه الرسول «**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ**» استكفوا به وانقطعوا إليه «**سَيُؤْتِينَا اللَّهُ**» سيعطينا الله ورسوله، والمتفضل عليه يستحيل أن يسخط «**إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**» أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وأموال الناس، وقيل: راغبون إليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العقاب، عن ابن عباس.

ثم بين ـ تعالى ـ مصارف الصدقات، وروي عن النبي ﷺ[١] أن الله تعالى[٢] لم يرض في الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى تولى[٣] هو الحكم فيها بين عباده، ثم تلا الآية. فقال سبحانه: «**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ**» يعني الزكاة[٤] المفروضة، وقيل: بل صدقة مفروضة «**لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**» قيل هما واحد إلا أنه ذكر الصفتين[٥] تأكيدًا لأمره عن جماعة منهم أبو علي، وإلى ذلك ذهب أبو يوسف ومحمد من[٦] الفقهاء وغيرهما[٧]، وقيل: بل هما صفتان وبينهما فرق، وهو قول جماعة من المفسرين، وهو قول أبي حنيفة قال: لو[٨] أوصى لفلان وللفقراء والمساكين، قال أبو حنيفة: لفلان الثلث، وقال أبو يوسف ومحمد: له النصف.

ثم اختلف هؤلاء على أقوال:

فقيل: الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل، عن ابن عباس، والحسن، وجابر بن زيد، والزهري، ومجاهد، وابن زيد، كأنه ذهب إلى تلك[٩] المسكنة بالسؤال.

وقيل: الفقير: الزَّمِنُ المحتاج، والمسكين: الصحيح المحتاج، عن قتادة.

---

(١) صلى الله عليه وسلم: عليه السلام، ض.
(٢) تعالى: ـ ، ض.
(٣) تولى: تولوا، ض.
(٤) الزكاة: الصلاة، ض.
(٥) الصفتين: الصنفين، ض.
(٦) من: بن، ض.
(٧) وغيرهما: وغيرهم، ض.
(٨) لو: ـ ، ض.
(٩) تلك: ذلك، أ.

وقيل: الفقير: فقراء المهاجرين، والمسكين: من لم يهاجر من المحتاجين، عن الضحاك وإبراهيم، وهذا تخصيص بغير دليل فلا يصح.

وأجمعت[١] الأمة أن الخطاب لجميع[٢] الأمة بعد انقطاع الهجرة.

وقيل: الفقراء: فقراء المسلمين، والمساكين: محتاجو أهل الكتاب عن عكرمة، وقد ذكر جواز دفع الصدقة إلى أهل الذمة، عن ابن علية، رواه عن عمر وابن مسعود، وليس[٣] بالوجه؛ لأن دفع الزكاة إلى غير المسلم لا يجوز عند الفقهاء، وسقط خلاف ابن علية، وقول عمر محمول على صدقة التطوع.

وقيل: الفقير: الذي له بُلْغَةٌ من العيش، والمسكين الذي لا شيء له وهو أسوأ حالاً من الفقير، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وقول الهادي[٤] (عليه السلام)، وقول القتيبي وأئمة اللغة: يعقوب، ويونس، وأبو[٥] زيد، وابن دريد[٦]، وأبي عبيدة، وثعلب، وأنشد يونس:

أَمَّا الفَقِيرُ الذي[٧] كانت حَلُوبَتُهُ ... وَفْقَ العِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[٨]

سماه فقيرًا وجعل له حلوبة.

وقيل: المسكين من له شيء، والفقير: من لا شيء له، وهو قول الشافعي، وابن الأنباري، واحتجا بقوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩]، وأجبت عن ذلك بأنهم كانوا يعملون عليها إجارة فأضيفت إليهم.

وقيل: المساكين يتفاضلون في المسكنة، وقيل: اللام تفيد الاختصاص دون الملك، وقيل: إن السفينة كانت لجماعة، وقيل: سماهم مساكين على جهة الرحمة كما جاء في حديث: «**مساكين أهل النار**»، قال الشاعر:

(١) وأجمعت: واجتمعت، ض.
(٢) لجميع: بجميع، و.
(٣) وليس: التي، أ.
(٤) وقول الهادي: وقول أبي حنيفة الهادي، ض.
(٥) أبو: ابن، أ، د، ض.
(٦) وابن دريد: ـ ، أ، د.
(٧) الذي: الذي، ض.
(٨) سبد: سند، أ. انظر: في لسان العرب (سكن)، وجمهرة اللغة (سكن)، وتهذيب اللغة (فقر)، الصحاح (فقر).

مَسَاكِيُن أَهْلُ الْحُبِّ حتى قُبُورُهُمْ   علـيهـا تُـرابُ الـذُّلِّ بَيْـنَ الـمَقَـابِـرِ[١]

«**وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**» قيل: السعاة وجباة الصدقة، عن الزهري، وابن زيد، والمفسرين، ويعطون أغنياء[٢] كانوا أو فقراء، واختلفوا في قدر ما يعطون، قيل[٣]: لهم سهم وهو الثُّمُنُ، عن الضحاك. وقيل: يعطون على قدر عمالتهم عن عبد الله بن عمر، والحسن، وابن زيد، وبه قال أبو حنيفة، وهو قول الهادي (عليه السلام). وقيل: يعطون على قدر ما يراه الإمام عن مالك.

«**وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**» قيل: كانوا قومًا من الأشراف أعطاهم رسول الله ﷺ ليتألفهم على الإسلام استصلاحًا[٤] كأبي سفيان بن حرب وابنه معاوية، وسهيل بن عمرو[٥]، وغيرهم، ثم اختلفوا، فقيل: كانوا مسلمين أعطاهم ذلك عن ابن عباس، والزهري. وقيل: قوم من أهل الحرب تألفهم ليكفوا عن[٦] حربه، عن الأصم، وقيل: قوم من الأعراب أعطاهم ليؤمنوا، عن قتادة. قيل: هم الأشراف من الأحياء أعطاهم يوم حنين ليحسن إسلامهم[٧]، عن الكلبي، ويحيى بن كثير، وهو الأصح.

ثم اختلفوا في هذا السهم: بعده في كل زمان؟ فقيل: لا، بل كانوا على عهد رسول الله خاصة ثم سقط والله تعالى[٨] أعز الإسلام وقهر الشرك عن عمر، وعثمان، وعلي، والحسن، وعامر، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

وقيل: بل هو ثابت في كل زمان عن أبي جعفر، وأبي علي، والشافعي، قال[٩] الشافعي: هو على ثلاثة أضرب:

---

(١) البيت ينسب للأصمعي وورد برواية: مساكين أهل العشق.
أنظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ج/ ١٨٢.
(٢) أغنياء: أعيانًا، ض.
(٣) في ض قيل.
(٤) استصلاحا: إصلاحًا، ض.
(٥) عمرو: عمر، ض.
(٦) ليكفوا عن: ليكونوا على، د.
(٧) إسلامهم: إيمانهم، د.
(٨) تعالى: ـ، أ، د.
(٩) قال: قاله، ض.

الأول: المشركون من وجوه الكفار يُعْطَوْن ليتألفوا على الإسلام، ويُدْفَعُ شَرُّهُمْ.

والثاني: مسلمون، مِثْلُ مُسْلِمٍ له نظير من الكفار يعطى المسلم ليطمع الكافر في مثل ذلك فيسلم.

والثالث: لمسلم من أشراف قومه لا يحسن إسلامه، فَيُعَطى ليحسن إسلامه.

«**وَفِي الرِّقَابِ**» يعني في فك الرقاب من الرق، قيل: هم المكاتبون، عن سعيد بن جبير، والشعبي، والنخعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وهو قول الهادي (عليه السلام).

وقيل: يعتق به الرقاب بأن[1] تشترى وتعتق، عن ابن عباس، والحسن، والضحاك، ومالك.

وقيل: يعطى نصفه إلى[2] المكاتبين[3] ونصفه تشترى به الرقاب وتعتق، عن الزهري.

«**الْغَارِمِينَ**» الذين لزمتهم الديون، ثم اختلفوا، فقيل: من لزمتهم الديون في غير معصية ولا إسراف، عن عائشة، وابن عمر، ومجاهد، وقتادة، والزهري.

وقيل: أهل الحمالات التي يحملون الغرم لإصلاح ذات البين، عن الأصم.

وقيل: من احترق بيته أو ذهب السيل بماله، عن قتادة.

وقيل: من لزمته حمولة تحل له[4] الصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك.

وقيل: هو من[5] كان له مثل دينه أو أقل فتحل له الصدقة، وإن كان ماله أكثر بنصاب وأكثر لا تحل، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قال محمد: وكذلك الحاج المنقطع.

---

(١) بأن: لأن، ض.
(٢) إلى: - ، ض.
(٣) المكاتبين: المكاتبة، ض.
(٤) له: - ، ض.
(٥) من: ما، أ.

وقيل: الغزاة وإن كانوا أغنياء، عن مالك، والشافعي، وأبي عبيد[١].

وقيل: فقراء المهاجرين، عن الأصم.

«**وَابْنِ السَّبِيلِ**» المسافر المنقطع عن ماله، سمي ابن سبيل للزومه الطريق فنسب إليه، قال الشاعر:

أَنَـا ابْـنُ الـحَـرْبِ رَبَّـتْـنـيْ ولـيـدًا إلـىَ أَنْ شِـبْـتُ واكْـتـهَـلَـتْ لِـدَاتـيِ

يعطى وإن كان غنيًا في بلده، عن مجاهد، والزهري، وأبي حنيفة وأصحابه.

وقيل: هو[٢] من أراد سفرًا في غير معصية وعجز عنه إلا[٣] بمعونة، عن الشافعي.

وقيل: هو الضيف، عن قتادة.

«**فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ**» ـ تعالى ـ مقدرة واجبة قدرها الله ـ تعالى ـ وختمها «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**» بحاجة خَلْقِهِ، حكيم بما فرض عليهم من ذلك، وقيل: عليم بالأشياء، حكيم فيما[٤] يقضي، عن أبي مسلم.

الأحكام

تدل الآية على قبح اللمز.

وتدل على وجوب الرضى بحكم الله وحكم رسوله.

وتدل على أن الكفر والمعاصي ليس من حكم الله وقضائه ولذلك[٥] يقبح الرضى بها.

وتدل على أن[٦] اللمز فِعْلُهُم، وليس بخلق الله تعالى[٧]، فيبطل قول المجبرة[٨] في المخلوق.

---

(١) عبيد: عبيدة، ض.
(٢) هو: ـ ، ض.
(٣) إلا: لا، ض.
(٤) فيما: بما، ض.
(٥) ولذلك: وكذلك، د.
(٦) أن: ـ ، ض.
(٧) تعالى: ـ ، ض.
(٨) المجبرة: المخالف، د.

وتدل على وجوب الصدقات ومصارفها، وبيان ذلك يشتمل على ثمانية فصول:

أولها: وجوب الزكاة.

وثانيها: شرائط وجوبها.

وثالثها: محلها الذي تجب فيه.

ورابعها: مقاديرها.

وخامسها: من تجب عليه.

وسادسها: بيان مصارفها ونشير إلى جمل من[1] ذلك.

وسابعها: من يأخذها.

وثامنها: الحقوق الواجبة في المال.

أما الأول: فلا خلاف أن الزكاة فريضة، وأنها من[2] أركان الدين[3] يفسق تاركها[4] ويكفر جاحدها، ونطق القرآن بذلك، واختلفوا، فقال أبو حنيفة وأصحابه: الزكاة تجب في العين، وقال الشافعي: في الذمة والمال مرتهن بها. واختلفوا فقيل: تجب على الفور، عن الحسن، وقيل: تجب على التراخي، عن محمد بن شجاع، وأبي بكر الرازي.

واختلفوا في الحيلة فرارًا من الزكاة، فقال محمد: تكره وتسقط الزكاة، وهو قول الهادي، وقال أبو يوسف: لا تكره وتسقط، وقال مالك: لا تسقط، وكذلك الحيلة في إسقاط الشفعة.

وأما الفصل الثاني: شرائط وجوبها: فاتفقوا في زكاة النقدين والتجارة والسائمة الحول والنصاب شرط، وأما العشر فلا يعتبر الحول بالاتفاق، فأما النصاب فلا يعتبر

---

(١) من: ـ، ض.

(٢) من: ـ، ض.

(٣) الدين: ـ، ض.

(٤) تاركها: بأركانها، ض.

عند أبي حنيفة ويعتبر عند أبي يوسف ومحمد والشافعي، واختلفوا، فقال أبو حنيفة[١]: إمكان الأداء ليس بشرط في وجوب الزكاة ولا في وجوب الضمان، وقال الشافعي: شرط في وجوب الزكاة، وقال الهادي: شرط في الضمان دون الوجوب.

ويشترط في السائمة أن تكون سائمة غير معلوفة[٢] ولا من العوامل، أما المستفاد في أثناء الحول فيضم إلى الأصل عند أبي حنيفة، وهو قول الهادي، وقال الشافعي: يستأنف له حول.

فأما نصاب النقدين والتجارة فمائتا درهم أو عشرون[٣] دينارًا وما زاد فبحسابه[٤] قلّ أم كثر، قال أبو حنيفة: لا[٥] ما لم يبلغ أربعين درهمًا أو أربعة دنانير.

فأما نصاب الإبل فخمسة إلى خمس وعشرين، ونصاب الغنم أربعون ونصاب[٦] البقر ثلاثون، ونصاب الغلة خمسة أوسق، وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

فأما الفصل الثالث: فلا خلاف أنها تجب في الذهب والفضة، واختلفوا في الحلي، فقال أبو حنيفة: تجب، وقال الشافعي: إنكان للنساء لا تجب، واختلفوا في الجواهر واللآلئ إذا أمسكت للقنية والحلي، فقال الهادي: تجب فيه الزكاة، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تجب فيه[٧] الزكاة. وإذا أمسكت للتجارة ففيه الزكاة بالاتفاق، واختلفوا، فقال أبو حنيفة: لا زكاة في المهر وبدل الخلع قبل القبض، وقال الهادي: يجب.

وتجب الصدقة في الإبل والغنم والبقر، واختلفوا، فقال أبو حنيفة: تجب في الخيل، وقال الشافعي: لا تجب، والعوامل لا زكاة فيها، وقال مالك[٨]: تجب.

(١) ويعتبر عند أبي يوسف... أبو حنيفة: ـ، ض.
(٢) معلوفة: معلومة، ض.
(٣) عشرون: عشرين، أ.
(٤) فبحسابه: فيخشاه، ض.
(٥) لا: ـ، ض.
(٦) الإبل فخمسة... ونصاب: ـ، ض.
(٧) فيه: ـ، ض.
(٨) مالك: ـ، ض.

والزكاة تجب[١] في مال التجارة في كل حول، وقال مالك: تجب في سنة فقط، وقال بعضهم منهم داود: لا تجب.

العشر يجب[٢] في جميع ما يخرج[٣] الأرض عند الهادي (عليه السلام)، وقال أبو حنيفة كذلك إلا في الحطب والقصب والحشيش، وقال أبو يوسف: يجب فيما له ثمرة باقية، وقال الشافعي: [لا يجب]. فيما يقتات ويدخر. قال أبو حنيفة: العشر يجب في أرض المكاتب والوقف، وقال الشافعي: لا يجب[٤]. وقال أبو حنيفة لا[٥] يعتبر النصاب في العشر، وقال الشافعي: يعتبر. وقال أبو حنيفة[٦]: والعسل يجب فيه العشر، وقال الشافعي: لا يجب.

والزكاة واجبة في المستغلات عند الهادي، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تجب.

فأما الفصل الرابع: والتقدير في أموال التجارة ربع العشر بالاتفاق، وفي الإبل الإبل، وفي الغنم الغنم، وفي البقر تبيع أو مسن، وفيما سقت السماء العشر، وفيما يسقى بِغَرْبٍ أو دالية فنصف[٧] العشر، قال أبو حنيفة: العشر والخراج لا يجتمعان، وقال الشافعي: يجتمعان.

وأما الفصل الخامس: فلا خلاف أنه يجب على الحر البالغ العاقل إذا ملك نصابًا كاملاً حولاً ولا دين عليه، ثم اختلفوا، فقال أبو حنيفة: لا تجب في مال الصبي والمجنون، وقال الشافعي: تجب، وقال الهادي: الزكاة تجب في مال المكاتب وهي موقوفة حتى يتبين حاله، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تجب، قال أبو حنيفة: الزكاة تسقط بالموت إلا أن يوصي، وقال الشافعي: لا تسقط.

---

(١) تجب: ـ ، ض.

(٢) يجب: ويجب، ض.

(٣) يخرج: تخرج، أ.

(٤) فيما يقتات ويدخر. . . يجب: ـ ، أ.

(٥) وقال أبو حنيفة لا: ـ ، أ.

(٦) وقال أبو حنيفة: ـ ، أ.

(٧) فنصف: نصف، ض.

وأما الفصل السادس: بيان مصارفها، واستحقاقها بالفقر، وقال الشافعي: بالاسم.

وقال أبو حنيفة: يجوز وضعها في صنف واحد، وقال الشافعي: لا يجوز.

وقال أبو حنيفة: سهم المؤلفة[١] قلوبهم سقط، وقال الشافعي: لم يسقط.

وقال أبو حنيفة: من تجب عليه الزكاة لا يجوز الدفع عليه، وقال الشافعي: يجوز.

وقال أبو حنيفة: الغرض بذكر الأصناف جواز الوضع فيهم وألاَّ يخرج منهم، وهو قول عمر، وحذيفة، وابن عباس، وعطاء، وإبراهيم، وسعيد بن جبير، والحسن، وأبي علي، وادعى مالك الإجماع فيه.

واتفقوا أنه لا يجوز وضعها في بني هاشم وفي[٢] الولد والعبد والمكاتب والكافر، إلا ما روي عن ابن علية أنه يجوز دفعها إلى أهل الذمة.

ولا يجوز دفعها إلى الغني، والحد بين الغني والفقير قيل: من ملك نصابًا سوى مسكنه وأثاثه وثيابه وفرسه وخادمه فهو غني، عن أبي حنيفة، وقيل: هو من ملك خمسين درهمًا، عن الثوري، وقيل: من ملك أربعين درهمًا، وقيل: هو بحسب أحوال الناس من غير تقدير، وهو اختيار القاضي، وقيل: يجوز دفعه إليه وإن كان له مال كثير إذا[٣] لم يكن كسبًا.

ال أبو حنيفة: يجوز دفعه إلى الفقير القوي، وقال الشافعي: لا يجوز.

وقال أبو حنيفة: لا يجوز أن يعطى فقير أكثر من نصاب.

وقال الهادي: ولا نصاب، وقال الهادي: لا يجوز دفعها إلى الفساق، وقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز.

وقال الهادي: استيفاء جميع الزكوات إلى الإمام ويضمن إذا أخرجها إلى الفقراء بنفسه، قال أبو حنيفة كذلك في الأموال الظاهرة وفي الباطنة يجوز، وقال الشافعي: يجوز في الجميع.

قال الهادي (عليه السلام): لا يجوز دفع الصدقة إلى القدرية والمرجئة والحرورية

---

(١) المؤلفة: للمؤلفة، أ.

(٢) وفي: في، ض.

(٣) إذا: ـ ، ض.

ومن نصب حربًا لآل محمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز دفعها إلى كل من يظهر الشهادتين.

قال أبو حنيفة: ما يأخذ العامل مأخوذ عن[1] الأرباب صدقةً الفقير، ومأخوذ عن الفقر أجرة للعامل وليس له سهم.

واختلفوا هل يجوز أن يكون العامل من ذوي القربى، قيل: لا، وقيل: نعم؛ لأنه ليس بصدقة.

وقال أبو حنيفة: لا يجوز لأحد الزوجين دفعه إلى الآخر، وقال الشافعي: يجوز.

فأما الفصل السابع[2]: فأخذها إلى الإمام ومن يقوم مقامه وإن لم يكن جاز صرفها إلى الفقراء، وقد ذكرنا الخلاف[3] فيه، فإن امتنع رب المال، قال أبو حنيفة: يحبس حتى يؤدي ولا يأخذ من ماله، وقال الشافعي: تؤخذ.

قال أكثر الفقهاء: النية واجبة في الزكاة، وقال الشافعي: لا تجب.

وما يأخذه الخوارج، قال الهادي: لا يجزئ ويثنى على رب المال، وقال أبو حنيفة: لا يثنى، وينبغي أن يؤدى ثانيًا فيما بينه وبين الله تعالى.

فأما الفصل الثامن: فالحقوق المالية أشياء:

منها: الزكوات والأعشار، وقد بينا.

ومنها: صدقة السوم، وقد بينا.

ومنها: الخمس كخمس الغنائم، وخمس الزكاة، والمال المدفون لأهل الجاهلية ونحوها.

ومنها: الجزية، وقد بينا.

ومنها: النفقات، وقد مضى بيانها.

---

(١) عن: من، ض.

(٢) السابع: الأول، ض.

(٣) ذكرنا الخلاف: ذكر بالخلاف، ض.

قوله تعالى:
﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

القراءة

قرأ عاصم في رواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر[١] «**أُذُنٌ خَيْرٌ**» مرفوعين منونين، وهو قراءة الحسن وأشهب العقيلي على تقديره: إن كان كما يقولون[٢] إنه أُذُنٌ فأُذُنٌ خير لكم يقبل منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم، وقرأ الباقون «**أذن**» بغير تنوين «**خير**» بالكسر على الإضافة؛ أي: هو أذن خير لا أذن شر، وقرأ نافع «**أذْن**» ساكنة الذال في كل القرآن، والباقون «**أذُن**» بالضم، وهما لغتان[٣].

وقرأ حمزة «**ورحمة**»[٤] بالكسر وهو قراءة الحسن وطلحة والأعمش على تقدير: أذن رحمة. وقرأ الباقون بالرفع على تقدير: وهو رحمة.

قرأ العامة: «**ألم يعلموا**» بالياء على الخبر، وعن السلمي بالتاء على الخطاب.

اللغة

المحادة: المخالفة ومَنْعُ ما يجب عليه، وأصله المنع، ومثله الحد الحاجز بين الشيئين، ومنه قيل للبواب حدادًا لمنعه من الدخول، وحددت فلانًا منعته. والحدة: ما يعتري الإنسان من النَّزَقِ لأنه يمنعه من الواجب، وحدود الله تسمى بذلك لأنها تمنع من المعاصي.

---

(١) حجة القراءات ٣١٩.
(٢) يقولون: يقول، أ.
(٣) حجة القراءات ٣١٩.
(٤) حجة القراءات ٣١٩.

والخزي: الهوان وما يستحى منه، خَزِيَ خِزْيًا وأخزاه إخْزَاءً.

والأذى: ضرر تنفر النفس منه، آذيت فلانًا أؤذيه إيذاءً، وأذِيَّةً[١] وأذى، الأذن: حاسة يسمع بها، وأذن له :استمع إليه[٢]، ورجل له أُذُنٌ: يسمع مقال كل أحد، وقوله (عليه السلام): «ما أذن الله لشيء كَأَذَنِهِ ـ بفتح الهمزة ـ لمن يتغنى بالقرآن»[٣]، قيل: أسمع، قال عدي بن زيد:

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ ... إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وأَذَنْ[٤]

أي: استماع[٥].

الإعراب

«**هو**» ابتداء وخبره «**أذن**»، «**ورحمة**» رفع على خبر ابتداء محذوف، يعني: وهو رحمة، وبالكسر عطف على خبر، والضمير في قوله: «**يرضوه**» يرجع إلى الله؛ لأن رضى الرسول برضاه، ولأنه تفرد بالذكر تعظيمًا له، والعرب تفعل ذلك: تذكر شيئين ثم تكني عن أحدهما.

ويقال: ما عامل الإعراب في (أن) الأولى والثانية في قوله: «**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ**»؟

قلنا: (أن) الأولى نصب بالعامل (يعلموا).

فأما الثانية: ففيها[٦] قولان:

الأول: [هو] العامل في [أن] الأولى على التكرير للتوكيد مع طول الكلام.

---

(١) وأذية: وآذيه، د.

(٢) استمع إليه: أسمع بها، أ، سماع، د.

(٣) البخاري رقم ٧٠٤٤، ومسلم رقم ٧٩٣.

(٤) استماع: ـ ، د.

(٥) لسان العرب(ددن)، والصحاح (دون)، وتهذيب اللغة(درن).

(٦) فقيها: ففيه، أ.

الثاني: على حذف لام الإضافة كأنه قيل: فلأن له نار جهنم.

(خالدا) نصب على الحال.

۞ النزول

اتفقوا أن الآية نزلت في المنافقين، ثم اختلفوا، فقيل: في جماعة منهم كانوا يطعنون في رسول الله، فقال بعضهم: لا تفعلوا، فقال: الحلاس بن سويد: بل نقول ما شئنا ثم نحلف له في صدقنا فإنما هوأذن، ففيهم نزلت الآية.

وقيل: نزلت الآية[(١)] في رجل من المنافقين، يقال له: نبتل بن الحارث، كان ينم بحديث النبي ﷺ إلى المنافقين[(٢)] فنهي عن ذلك، فقال: إنما محمد أذن من حدثه شيئًا صدقه، نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، ففيه نزلت الآية، عن محمد بن إسحاق.

وقيل: اجتمع ناس[(٣)] من المنافقين فيهم حلاس بن سويد، فوقعوا في النبي ﷺ، قال بعضهم: إن كان ما يقوله حقًا فأنتم شر من الحمير، وفيهم غلام يقال له عامر ابن[(٤)] امرأة القائل[(٥)] حضرهم فقال: ما يقوله محمد حق وأنتم شر من الحمير، وأخبر النبي بقولهم، فدعاهم وسألهم، فحلفوا أن عامرًا كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، ففيهم نزلت الآية: «**يحلفون لكم. .**»، عن قتادة، والسدي.

وقيل: نزلت في رهط المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أتوه واعتذروا وحلفوا له، ففيهم نزلت الآية «**يحلفون. .**»، عن مقاتل، والكلبي.

۞ المعنى

عاد الكلام إلى ذكر المنافقين، قال سبحانه: «**وَمِنْهُمُ**» يعني من المنافقين «**الَّذِينَ**

---

(١) الآية: ـ، د.

(٢) يقال له نبتل. . . المنافقين: ـ، أ، ض.

(٣) عن محمد بن إسحاق. . . ناس: ـ، أ، ض.

(٤) ابن؛ د.

(٥) القائل: القابل، أ.

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ» الأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو ههنا بالقول «**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**» قيل: صاحب أذن يصغي[١] إلى كل أحد، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك. وقيل: ذو أذن سامعة، عن أبي حاتم، وقيل: يسرع إلى قبول ما سمع ويسمع إليه، وقيل: الأذن الذي يقبل على كل عذر «**قُلْ**» يا محمد ردًا عليهم وتكذيبًا لهم ليس كما يقولون بل أذن خير «**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**» لا أذن شر وليس (خَيْرٌ) بمعنى أَفْعَل، وقيل: يقبل ما يحب قبوله[٢]، عن أبي علي، وقيل: تقديره: أنه يسمع إلى الخير، ويعمل بالحق «**يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**» يعني يسمع إلى الوحي فيصدق الله ويصدق المؤمنين ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس، يقال: أمنته وآمنت به صدقته، كقوله: ﴿**لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٤] أي: يرهبون ربهم، وقيل: «**وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**» أي: يؤمنهم فيما يلقي إليهم من الإيمان ولا يؤمن المنافقين بل يكذبون على خوف إن حلفوا «**وَرَحْمَةٌ**» أي: وهو رحمة للمؤمنين، وقيل: لانتفاعهم[٣] بكلامه، وقيل: يرحم[٤] من استرحمه ويقبل عذر من اعتذر إليه، عن الأصم، وقيل: إنه أنقذهم من النار وهو رحمة لهم «**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ**» النبي وينسبون القول فيه ثم يحلفون لكم والخطاب للمؤمنين؛ أي: يحلفون لكم كذبًا «**لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ**» وأولى «**أَنْ يُرْضُوهُ**» بترك الكفر والنفاق، والإخلاص في الدين لأنه يعلم سرائرهم «**إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**» كما يزعمون، وقيل: إن كنتم مؤمنين فطلب رضا الله[٥] أحق من طلب رضا البشر «**أَلَمْ يَعْلَمُوا**» قيل: معناه استبطاء العلم[٦] أي: هلا علموا بعد أن مكنوا من العلم، وقيل: هو أَمْرٌ بالعلم أي: اعلموا بهذا الخبر والدلائل وقد علموا وعاندوا، وقيل: أليسوا قد عرفوا[٧] وأخبروا بذلك فما سمعوا «**أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ**» أي: يخالف الله «**وَرَسُولَهُ**» ويصير في حد أعدائه، قيل: تجاوز الحد في المخالفة، وقيل: هم

---

(١) يصغي: يعطي، ض.
(٢) قبوله: فهو له، ض.
(٣) لانتفاعهم: لا تنافعهم، ض.
(٤) يرحم: يرحمه، أ.
(٥) الله: ـ ، أ، ض.
(٦) العلم: عن للعلم، ض.
(٧) أليسوا قد عرفوا: أليس عرفوا، ض.

المعاندون أقدموا على العصيان مع العلم، قال قطرب: يحاد يعاند «**فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا**» أي: وإنما «**ذَلِكَ الْخِزْيُ**» الهوان «**الْعَظِيمُ**» وقيل: الذم العظيم، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أنهم نسبوه إلى قبول[1] ما لا يجب قبوله، وأنه يصدق كل ما[2] سمع طاعنين عليه وفي[3] ذلك إيذاء له وأنهم كذبوا عليه، وقيل: إن الآية تدل على وجوب قبول خبر الواحد في الدين؛ لأنه خير وصلاح وهو مؤمن، وفيه بعد.

وتدل الآية على وجوب قبول خبر الواحد على أن ذكره ـ تعالى ـ تفرد من غيره تعظيمًا له؛ لذلك قال: «**أحق أن يرضوه**».

وتدل على أن اليمين الكاذبة لا تغني شيئًا وإنما يغني الإخلاص في القول والعمل.

وتدل على أن من خالف الرسول فهو مخلد في النار خلاف قول جهم.

قوله تعالى:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾

۞ القراءة

قرأ عاصم: «**إن نعف**» و«**نعذب**» بالنون وكسر الذال للحكاية. «**طائفة**» نصب لأنه

(١) قبول: قبول الذم، ض.

(٢) كل ما: كما، أ.

(٣) عليه وفي: عليه يدل بذلك وفي، ض.

مفعول، وقرأ الباقون «**يُعْفَ**» بالياء وضمها وفتح الفاء «**تُعَذَّبْ**» بالتاء وضمها «**طائفةٌ**» بالرفع على ما لم يسم فاعله(١).

اللغة

الحذر: التحرز وهو إعداد ما ينفي الضرر، ورجل حذر بضم الدال وكسرها :متيقظ(٢) متحرز، وحذار بمعنى احذر، ورجل حِذْرِيانٌ(٣) شديد الفزع، ويقال: حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا وحذَّره تحذيرًا.

والإنباء: الإخبار، ومنه: النبيء بالهمز، أنبأه إذا أخبره.

والهُزُؤ واللعب والاستهزاء: طلب الهزء وإظهار أمر وإبطان خلافه للتلهي به، قال أبو علي: وهو ههنا مجاز.

والخوض: الدخول في الشيء، يقال: خاض الماء وغيره إذا دخل فيه خوضًا، وأخضت فيه دابتي، وتخاوضوا الحديث مثل تفاوضوا.

والمجرم: المذنب، وأصله القطع، جرم النخل إذا صرمه، والإجرام: انقطاع من الحق إلى الباطل.

الإعراب

«**نبأت**» يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل(٤)، يقال: نبأت زيدًا(٥) ابنه عالمًا؛ لأنه بمنزلة (أعلمت) المنقول من «**علمت**».

«**سورة**» رفع؛ لأنه اسم ما لم يسم فاعله، وخبره في «**تنبئهم**».

(١) حجة القراءات ٣٢٠.
(٢) متيقظ: مسقط، أ.
(٣) حذريان: حذران، أ.
(٤) مفاعيل: مفعولين، ض.
(٥) زيدا: زيد، ض.

۞ النزول

وقيل: نزلت في اثني[(١)] عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك ومعهم رجل مسلم يخفيهم نفسه في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار يقود دابة رسول الله ﷺ، فأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم فضربها، فلما رجع قال: «هل عرفت القوم»؟ قال: هم فلان وفلان حتى عد جماعتهم، ففيهم نزلت الآية، عن الأصم.

وقيل: قال رجل في غزوة تبوك: ما رأيت أكذب لسانًا ولا أجبن عن اللقاء من هؤلاء، يعني: رسول الله وأصحابه، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، وأراد أن يخبر رسول الله ﷺ بقوله وقد سبقه جبريل بالوحي، فجاء الرجل معتذرًا وقال: إنما كنا نخوض ونلعب، ففيه نزلت الآية، عن ابن عمر، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب.

وقيل: إن جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يظن هذا الرجل أن يفتح قصور الشام ومصر، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه على ذلك، فدعاهم وقال: «لم[(٢)] قلتم كذا»؟ فقالوا: كنا نخوض ونلعب، وحلفوا على ذلك، ففيهم نزلت الآية، عن الحسن، وقتادة.

وقيل: قال رجل من المنافقين: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وما يدريه. فأنزل الله ـ تعالى ـ فيه هذه الآية، عن مجاهد[(٣)].

وعن مجاهد أنها نزلت في وديعة بن ثابت وهو قائل هذه المقالة.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يقعون في النبي ﷺ وأصحابه، فإذا بلغهم قالوا: كنا نخوض ونلعب، عن الضحاك.

---

(١) اثني: اثنا، أ.
(٢) لم: ولم، ض.
(٣) مجاهد: المجاهد، ض.

وعن ابن عمر: رأيت عبد الله بن أبيّ يسند بين يدي رسول الله ﷺ وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

۞ المعنى

ثم أخبر ـ تعالى ـ عن حال المنافقين فقال سبحانه: **«يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ»** فيه قولان:

الأول: أنه إخبار عنهم أنهم يحذرون ويخافون أن يفشوا أسرارهم، عن الحسن، ومجاهد، وأبي علي، وأبي مسلم، وجماعة، ثم اختلفوا، فقيل: كان ذلك الحذر شيئًا أظهروه على سبيل الاستهزاء لا على وجه التصديق؛ لأنهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي وكانوا منافقين وكان بعضهم يقول لبعض: احذروا ألا ينزل وحي فيكم فتتناجوا[١] بذلك[٢] وتفضحون[٣] عن أبي مسلم. وقيل: كانوا يخافون أن يكون صادقا فينزل عليه وحي فيفتضحون[٤] عن أبي علي. وقيل: علموا صدقه فخافوا نزول الوحي بما في قلوبهم فيفضحون، قال مجاهد: كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا.

والثاني: أن لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر أي: ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق، عن الزجاج، وذلك لأن متعمد الكلام على التهدد. وظاهر الكلام ما ذهب إليه أبو علي فلا يعدل عنه إلا بدليل.

«أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ» أي: ينزل الله ـ تعالى ـ سورة في شأنهم **«تُنَبِّئُهُمْ»** تخبرهم، وأضاف الإنباء إلى السورة توسعًا؛ لأنه يعرف منها وإلا فالمخبر في الحقيقة هو الله تعالى، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الروم:٣٥] والكتاب لا يتكلم ولكن لما كان بمنزلة المتكلم في الإبانة أطلق ذلك فيه توسعًا **«قُلِ اسْتَهْزِئُوا»** هذا تهديد وليس بأمر ولا إباحة **«إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ»** مظهر **«مَا تَحْذَرُونَ»** فيه، قيل: هو النفاق،

---

(١) فتتناجوا: فتتناجون؛ أ، د، ض.

(٢) بذلك: ـ، أ، ض.

(٣) وتفضحون: يضحكون، أ، تفضحون، د.

(٤) فيفتضحون: فيفضحوا، أ، ض.

وقيل: إسرارهم، عن أبي مسلم. «**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ**» يا محمد بأن تقول: لِمَ قلتم ولم فعلتم ولم طعنتم في الدين؟ وهو سؤال تقريع وإنكار وليس سؤال[١] تعريف، عن أبي مسلم. «**لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**» أي ندخل في ذلك عبر طريق للعب، غير معتقدين ولا جادين «**قُلْ**» لهم يا محمد «**أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ**» حججه وكتابه «**وَرَسُولِهِ**» محمد ﷺ «**كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**» هذا استفهام، والمراد الإنكار عليهم، وقيل: بذكر الله تستهزئون، وقيل: بدينه لأن الاستهزاء به محال «**لا تَعْتَذِرُوا**» قيل: إن كان هذا القول لَعُذْرٍ قلتم فليس ذلك بعذر بل كفرهم بهذا الصنيع، عن أبي علي. وقيل: إنه غير مقبول ولا يكون عذر فلا تعتذروا «**قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**» قيل: كفرتم بهذا العذر بعد إظهاركم الإيمان، عن الحسن. وقيل: كفرتم بالتخلف عن رسول الله ﷺ وغير ذلك من أفعالكم، عن أبي مسلم. وقيل: أظهر الله كفركم للنبي ﷺ وأصحابه بعد أن كنتم عندهم مسلمين، عن الأصم. «**إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ**» قيل: عن جماعة بالتوبة، وقيل: هو رجل من أشجع لما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه «**نُعَذِّبْ طَائِفَةً**» جماعة بالإصرار وترك التوبة «**بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**».

۞ الأحكام

تدل على خوف المنافقين من نزول الوحي وذلك يدل على تحيرهم ونكثهم في الدين؛ لأنهم مع تكذيبهم إياه جوزوا كونه صادقًا.

وتدل على أن اللعب والاستهزاء في الدين كُفْرٌ[٢]، فتدل على [أن] جد[٣] الكفر كُفْرٌ، وهزله كفر.

وتدل على أن التوبة من الكفار مقبولة؛ لأن قوله: «**نَعْفُ**» بالتوبة، وإذا وجب ذلك فيهم فغيرهم أولى.

---

(١) سؤال: بسؤال، د.

(٢) كفر: كفروا، ض.

(٣) جد: حذر، ض.

الفهرس